حاشية الصاوي

على

تفسير الجلالين

شرح

العلامة الشيخ أحمد بن محمد الصاوي المصري الخلوتي المالكي

١١٧٥ - ١٢٤١هـ

ضبطه وصححه

محمد عبد السلام شاهين

الجزء الخامس

المحتوى:

أول سورة لقمان آخر سورة الذاريات

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت

هاتف و فاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٣٧٨٥٤١ (١ ٩٦١) ٠٠

صندوق البريد : ١١ - ٩٤٢٤ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif,Bohtory st.,Melkart bldg., 1st Floor
Tel + Fax : 00 (961 1) -378541 - 366135 - 364398
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

ISBN 2-7451-0707-0

90000

9782745107077

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ لُقْمَانَ

مكيّة

إلا ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام﴾ الآيتان فمدنيتان.

وهي أربع وثلاثون آية

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿ الٓمٓ ﴾ (١) الله أعلم بمراده به ﴿ تِلْكَ ﴾ أي هذه الآيات ﴿ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ القرآن ﴿ ٱلْحَكِيمِ ﴾ (٢) ذي الحكمة والإضافة بمعنى من هو ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً ﴾ بالرفع ﴿ لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾ وفي قراءة العامة بالنصب حالاً من الآيات العامل فيها ما في تلك من معنى الإشارة ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ (٣) بيان للمحسنين ﴿ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ (٤) هم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

سورة لقمان مكية

إلا ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام﴾ الآيتان فمدنيتان.

وهي أربعة وثلاثون آية

مبتدأ وخبر، سميت بذلك لذكر قصة لقمان فيها. قوله: **(إلا)** ﴿ولو أن ما في الأرض﴾ إلخ، هذا أحد أقوال ثلاثة، وقيل مكية كلها، وقيل إلا ثلاث آيات من قوله: ﴿ولو أن ما في الأرض﴾ إلى ﴿خبير﴾ وهذا القول الثالث للبيضاوي. قوله: **(أي هذه الآيات)** أي آيات السورة، وأشير إليها بإشارة البعيد لعلو رتبتها ورفعة قدرها عند الله، وإن كانت قريبة من الأذهان. قوله: **(ذي الحكمة)** أي المشتمل على الحكمة، وهي العلم النافع، ويصح أن يراد بالحكيم المحكم، أي المتقن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ويصح أن يراد ﴿الْحَكِيمِ﴾ قائله، حذف المضاف، وأقيم المضاف إليه، وهو الضمير المجرور، فبانقلابه مرفوعاً استكن في الصفة المشبهة. قوله: **(بالرفع)** أي لحمزة على أنه خبر لمحذوف قدره بقوله: **(هو)**. قوله: **(وفي قراءة العامة)** أي وهم السبعة ما عدا حمزة. قوله: **(حالاً من الآيات)** أي حال كون كل منها حالاً. قوله: **(من معنى الإشارة)** أي كأنه قال: أشير إلى تلك الآيات، حال كونها هدى ورحمة.

قوله: ﴿**الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ**﴾ أي يؤدونها بأركانها وآدابها. قوله: ﴿**وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ**﴾ أي

الثاني تأكيد ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ ٥ الفائزون ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ ﴾ أي ما يلهي منه عما يعني ﴿ لِيُضِلَّ ﴾ بفتح الياء وضمها ﴿ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ طريق الإسلام ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا ﴾ بالنصب عطفاً على يضل وبالرفع عطفاً على يشتري ﴿ هُزُوًا ﴾ مهزوءاً بها ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ ٦ ذو إهانة ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا ﴾ أي القرآن ﴿ وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا ﴾ متكبراً ﴿ كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ﴾ صمماً، وجملتا التشبيه حالان من مضير ولي، أو الثانية بيان للأولى ﴿ فَبَشِّرْهُ ﴾ أعلمه ﴿ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ٧ مؤلم، وذكر البشارة تهكم به وهو النضر بن الحرث، كان يأتي الحيرة يتجر، فيشتري كتب أخبار الأعاجم ويحدث بها أهل مكة ويقول: إن محمداً يحدثكم أحاديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم أحاديث فارس والروم، فيستملحون حديثه، ويتركون استماع القرآن ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴾ ٨ ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ حال مقدرة أي مقدراً خلودهم فيها إذا دخلوها ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ﴾ أي

يعطونها لمستحقيها. قوله: ﴿وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ أي يؤمنون بلقاء الله والبعث. قوله: **(الفائزون)** أي بما أعد لهم من النعيم المقيم.

قوله: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي﴾** إلخ، شروع في ذكر مقابل الفريق الأول على حكم عادته تعالى في كتابه، والجار والمجرور خبر مقدم، والاسم الموصول مبتدأ مؤخر، واعلم أن من لفظها مفرد، ومعناها جمع، فروعي لفظها في جميع الضمائر الآتية، وروعي معناها في﴿أولئك لهم عذاب مهين﴾. قوله: **﴿لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾** إما من إضافة الصفة للموصوف، أي الحديث اللهو، أي المشتغل عما يعني، أو الإضافة على معنى من، وإليه يشير المفسر بقوله: **(أي ما يلهي عنه)**. قوله: **(بفتح الياء)** أي ليستمر على الضلال، وقوله: **(وضمها)** أي ليوقع غيره في الضلال، فهو ضال مضل، والقراءتان سبعيتان. قوله: **(طريق الإسلام)** أي الأمور الموصلة للإسلام، فاللهو كل ما يشغل عن عبادة الله، وذكره من الأضاحيك والخرافات والمغاني والمزامير، وغيرها من الأمور الباطلة.

قوله: **﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾** حال من فاعل **﴿يَشْتَرِي﴾** أي حالة كونه جاهل القلب، وإن كان عليم اللسان. قوله: **﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾** أي الآيات. قوله: **(بالنصب)** إلخ، أي والقراءتان سبعيتان. قوله: **(مهزوءاً بها)** أي لمحاكاته لها بالخرافات. قوله: **(أعلمه)** أشار بذلك إلى أن المراد بالبشارة مطلق الإعلام بالخبر، وإن لم يكن فيه بشارة، ودفع بذلك ما يقال: إن الأخبار بالعذاب الأليم، ليس بشارة بل هو نذارة، وقوله: **(وذكر البشارة)** إلخ، جواب آخر، فكان المناسب أن يذكره بأو. قوله: **(النضر بن الحرث)** أي ابن كلدة كان صديقاً لقريش. قوله: **(فيستملحون حديثه)** أي يعدونه مليحاً فيصغون له.

قوله: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾** بيان لحال المؤمنين وبالقرآن، بعد بيان حال الكافرين به. قوله: **﴿جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾** المراد بها جميع الجنان، لا خصوص المسماة بهذا الاسم. قوله: **(أي مقدراً خلودهم)** أي فهم عند دخولهم يقدرون الخلود، لسماعهم النداء من قبل الله، يا أهل الجنة خلود بلا موت. قوله: **﴿وَعْدَ اللهِ حَقّاً﴾** مصدران مؤكدان لمضمون الجملة الأولى، والعامل مختلف، والتقدير وعد

وعدهم الله ذلك وحقه حقاً ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ الذي لا يغلبه شيء فيمنعه من إنجاز وعده ووعيده ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ ﴿٩﴾ الذي لا يضع شيئاً إلا في محله ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ أي العمد جمع عماد وهو الأسطوانة، وهو صادق بأن لا عمد أصلاً ﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ ﴾ جبالاً مرتفعة ﴿أَن﴾ لا ﴿ تَمِيدَ ﴾ تتحرك ﴿ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا ﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ ﴿١٠﴾ صنف حسن ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ أي مخلوقه ﴿فَأَرُونِى﴾ أخبروني يا أهل مكة ﴿مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ غيره أي آلهتكم حتى أشركتموها به تعالى، وما استفهام إنكار مبتدأ، وذا بمعنى الذي بصلته خبره، وأروني معلق عن العمل، وما بعده سد مسد المفعولين ﴿بَلِ﴾ للانتقال ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿١١﴾ بيِّن بإشراكهم وأنتم منهم ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ منها: العلم والديانة والإصابة في القول، وحكمه كثيرة مأثورة،

الله ذلك وعداً وحقه حقاً. قوله: (**الذي لا يغلبه شيء**) أي لا يقهره أحد.

قوله: ﴿**خَلَقَ السَّمٰوَاتِ**﴾ إلخ، هذا دليل على أنه عزيز حكيم، لا يمنعه أحد عن إنجاز وعده ووعيده. قوله: (**أي العمد**) أشار بذلك إلى أن جملة ﴿**تَرَوْنَهَا**﴾ صفة لعمد. قوله: (**جمع عماد**) أي كأهب جمع إهاب. قوله: (**الإسطوانة**) بضم الهمزة وهي السارية. قوله: (**وهو صادق**) إلخ، أي لأن السالبة تصدق بنفي الموضوع وهو المراد هنا، ويصح أن يراد الشق الثاني، وهو أن يكون لها عمد لا ترى، وهي قدرة الله تعالى. قوله: ﴿**رَوَاسِيَ**﴾ أي ثوابت. قوله: (**جبالاً مرتفعة**) قال ابن عباس: هي سبعة عشر جبلاً منها: ق وأبو قبيس والجودي ولبنان وطور سينين. قوله: ﴿**أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ**﴾ قدر المفسر لام التعليل ولا النافية، إشارة إلى أن حكمة تثبيت الأرض بالجبال، عدم تحركها بأهلها. قوله: ﴿**وَبَثَّ فِيهَا**﴾ أي نشر، وقوله: ﴿**مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ**﴾ ﴿**مِنْ**﴾ زائدة. قوله: (**فيه التفات**) أي من الغيبة إلى التكلم، زيادة في التبكيت وإلزام الحجة.

قوله: ﴿**هٰذَا خَلْقُ اللهِ**﴾ أي ما ذكر من السماوات والأرض وما فيهما. قوله: (**استفهام إنكار**) وتوبيخ وتقريع. قوله: (**معلق على العمل**) أي في اللفظ، وأما في المحل فهو عامل النصب. قوله: (**سد مسد المفعولين**) ظاهره أن أروني تنصب ثلاثة مفاعيل، الياء وجملة الاستفهام التي سدت مسد الثاني والثالث، وهذا غير ما ذكروه من أن أرى إن كان بمعنى أخبر، فإنها تتعدى لمفعولين: الأول مفرد صريح، والثاني جملة الاستفهام، فالمناسب للمفسر أن يقول: سدت مسد الثاني. قوله: (**للانتقال**) أي من تبكيتهم إلى الإخبار بتقبيح الظالمين عموماً.

قوله: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ**﴾ اختلف في لقمان، فقيل اسم عجمي ممنوع الصرف للعلمية والعجمة، وقيل عربي ومنع من الصرف للعلمية وزيادة الألف والنون، واختلف فيه أيضاً، فقيل هو لقمان بن فاغور بن ناخور بن تارخ وهو آزر، فعلى هذا هو ابن ابن أخي ابراهيم الخليل عليه السلام، وقيل كان ابن أخت أيوب، وقيل كان ابن خالته، يقال إنه عاش ألف سنة حتى أدرك داود، واتفق العلماء على أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً، إلا عكرمة والشعبي فقالا بنبوته، وقيل خيِّر بين النبوة والحكمة فاختار

كان يفتي قبل بعثة داود، وأدرك بعثته وأخذ عنه العلم وترك الفتيا، وقال في ذلك: ألا أكتفي إذا كفيت؟ وقيل له: أي الناس شر؟ قال: الذي لا يبالي إن رآه الناس مسيئاً ﴿أَنِ﴾ أي وقلنا له أن ﴿ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ على ما أعطاك من الحكمة ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ لأن ثواب شكره له ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ النعمة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عن خلقه﴿حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ محمود في صنعه ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ﴾ تصغير إشفاق ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ﴾ بالله ﴿لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾

الحكمة، وروي أنه كان نائماً في وسط النهار، فنودي يا لقمان، هل لك أن نجعلك خليفة في الأرض، فتحكم بين الناس بالحق؟ فأجاب الصوت فقال: إن خيرني ربي قبلت العافية ولم أقبل البلاء، وإن عزم علي فسمعاً وطاعة، فإني أعلم أن الله تعالى، إن فعل بي ذلك أعانني وعصمني، ، فقالت الملائكة بصوت لا يراهم: لم يا لقمان؟ قال: إن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها، يغشاه المظلوم من كل مكان، إن عدل نجا، وإن أخطأ الطريق أخطأ طريق الجنة، ومن يكن في الدنيا ذليلاً، خير من أن يكون شريفاً، ومن يختر الدنيا على الآخرة، تفتنه الدنيا ولم يصب الآخرة، فعجبت الملائكة من حسن منطقه، فنام نومه فأعطي الحكمة، فانتبه وهو يتكلم بها، ثم نودي بها داود بعده فقبلها، وكان لقمان يؤازر داود لحكمته، وقيل كان خياطاً، وقيل كان راعي غنم، فروي أنه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال: ألست فلاناً الراعي؟ قال: بلى، قال: فيم بلغت ما بلغت؟ قال: بصدق الحديث وأداء الأمانة وترك ما يعنيني. قوله: **(منها العمل والديانة)** أي فالحكمة هي العلم والعمل، ولا يسمى الرجل حكيماً حتى يجمعها، وقيل الحكمة المعرفة والأمانة، وقيل هي نور في القلب، يدرك به الأشياء كما تدرك بالبصر. قوله: **(وحكمه كثيرة)** قال وهب: تكلم لقمان باثني عشر ألف باب من الحكمة، أدخلها الناس في كلامهم. قوله: **(وقال في ذلك)** أي في شأن الاعتذار عن ترك الفتيا. قوله: **(وقلنا له أن)** ﴿**اشْكُرْ**﴾ إلخ، أشار بذلك إلى أن أن زائدة، وجملة ﴿**أَنِ اشْكُرْ**﴾ مقول القول، والأنسب **(أن)** تفسيرية لتقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه. قوله: **(ما أعطاك من الحكمة)** أي فهي نعمة يجب الشكر عليها بصرفها في مصارفها. قوله: ﴿**وَمَنْ يَشْكُرْ**﴾ إلخ، تعليل للأمر بالشكر. قوله: **(محمود في صنعه)** أي فهو حقيق بأن يحمد من دون المخلوقات.

قوله: ﴿**وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ**﴾ أي واسمه ثاران وقيل مشكم وقيل أنعم، قيل كان ابنه وامرأته كافرين، فما زال يعظهما حتى أسلما، قيل وضع لقمان جراباً من خردل إلى جنبه، وجعل يعظ ابنه موعظة موعظة، ويخرج خردلة خردلة، فنفد الخردل فقال: يا بني وعظتك موعظة لو وعظتها جبلاً لتفطر، فتفطر ابنه ومات. قوله: ﴿**وَهُوَ يَعِظُهُ**﴾ الجملة حالية. قوله: ﴿**يَا بُنَيَّ**﴾ بكسر الياء وفتحها قراءتان سبعيتان. قوله: **(اشفاق)** أي محبة. قوله: **(فرجع إليه)** أي إلى دين أبيه وهو الإسلام، وقال أيضاً: يا بني اتخذ تقوى الله تعالى تجارة، يأتك الربح من غير بضاعة، يا بني احضر الجنائز ولا تحضر العرس، فإن الجنائز تذكرك الآخرة، والعرس يشهيك الدنيا. يا بني لا تكن أعجز من هذا الديك الذي يصوت بالأسحار، وأنت نائم على فراشك. يا بني لا تؤخر التوبة، فإن الموت يأتي بغتة. يا بني لا ترغب في ود الجاهل، فيرى أنك ترضى عمله. يا بني اتق الله ولا تـر الناس أنك تخشى، ليكرموك بذلك وقلبك فاجر، يا بني ما ندمت على الصمت قط، فإن الكلام إذا كان من فضة، كان السكوت من ذهب. يا بني اعتزل الشر كما يعتزلك، فإن الشر للشر خلق. يا بني عليك بمجالس العلماء، واستمع كلام الحكماء، فإن الله تعالى يحيي

فرجع إليه وأسلم ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ أمرنا أن يبرهما ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ﴾ فوهنت ﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ أي ضعفت للحمل، وضعفت للطلق، وضعفت للولادة ﴿وَفِصَـٰلُهُۥ﴾ أي فطامه ﴿فِى عَامَيْنِ﴾ وقلنا له ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ أي المرجع ﴿وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ موافقة للواقع ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ أي

القلب الميت بنور الحكمة، كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر، فإن من كذب ذهب ماء وجه، ومن ساء خلقه كثر غمه، ونقل الصخور من موضعها أيسر من إفهام من لا يفهم، يا بني لا ترسل رسولك جاهلاً، فإن لم تجد حكيماً فكن رسول نفسك. يا بني لا تنكح أمة غيرك، فتورث بنيك حزناً طويلاً. يا بني يأتي على الناس زمان لا تقر فيه عين حليم. يا بني اختر المجالس على عينك، فإذا رأيت المجلس يذكر فيه الله عز وجل فاجلس معهم، فإنك إن تك عالماً ينفعك علمك، وإن تـك غبياً يعلمـوك، وإن يطلع الله عز وجل عليهم برحمة تصبك معهم. يا بني لا تجلس في المجلس الذي لا يذكر فيه الله عز وجل، فإنك إن تكن عالماً لا ينفعك علمك، وإن تك غبياً يزيدوك غباوة، وإن يطلع الله عليهم بعد ذلك بسخط يصبك معهم. يا بني لا يأكل طعامك إلا الأتقياء، وشاور في أمرك العلماء. يا بني إن الدنيا بحر عميق، وقد غرق فيه ناس كثير، فاجعل سفينتك فيها تقوى الله، وحشوها الإيمان بها، وشراعها التوكل على الله، لعلك أن تنجو. يا بني إني حملت الجندل والحديد، فلم أحمل شيئاً أثقل من جار السوء، وذقت المرارة كلها، فلم أذق أشد من الفقر. يا بني إن الحكمة أجلست المساكين مجالس الملوك. يا بني لا تتعلم ما لا تعلم، حتى تعمل بما تعلم. يا بني إذا أردت أن تؤاخي رجلاً فأغضبه قبل ذلك، فإن أنصفك عند غضبه وإلا فاحذره. يا بني إنك منذ نزلت إلى الـدنيا استدبرتها واستقبلت الآخرة، فدار أنت إليها تسير، أقرب من دار أنت عنها ترحل. يا بني عود لسانك أن يقول: اللهم اغفر لي، فإن لله ساعات لا ترد. يا بني إياك والدين، فإنه ذل النهار وهم الليل. يا بني أرج الله رجاء لا يجرئك على معصيته، وخف الله خوفاً لا يؤيسك من رحمته. إلى غير ذلك من المواعظ المأثورة عنه عليه السلام.

قوله: **﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ﴾** إلخ، هاتان الآيتان نزلتا في شأن سعد بن أبي وقاص كما تقدم، فهما معترضتان بين كلامي لقمان، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فأل في الإنسان للجنس. قوله: **(أن يبرهما)** أي يحسن إليهما. قوله: **(فوهنت)** قدر الفعل اشارة إلى أن **﴿وَهْناً﴾** مفعول مطلق، والأحسن جعله حالاً من أمة أي ذات وهن. قوله: **﴿عَلَى وَهْنٍ﴾** صفة لوهناً أي ضعفاً كائناً على ضعف، والمراد التوالي لا خصوص وهنين بدليل قول المفسر **(أي ضعفت للحمل)** إلخ. قوله: **(أي فطامه)** أي ترك رضاعه. قوله: **﴿فِي عَامَيْنِ﴾** أي في انقضائهما.

قوله: **﴿أَنِ اشْكُرْ لِي﴾** أن يحتمل أنها مفسرة لجملة **﴿وَصَّيْنَا﴾** أو مصدرية. قوله: **(أي المرجع)** أي فأجازي المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته. قوله: **(موافقة للواقع)** أي فلا مفهوم له، وهو جواب عما يقال: إن الشريك مستحيل على الله تعالى، فربما يتوهم وجود الشريك له به علم. قوله: **﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا﴾** أي أمورها التي لا تتعلق بالدين. قوله: **(أي بالمعروف)** أشار بذلك إلى أنه منصوب بنزع الخافض.

بالمعروف البر والصلة ﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ﴾ طريق ﴿مَنۡ أَنَابَ﴾ رجع ﴿إِلَيَّ﴾ بالطاعة ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ ﴿١٥﴾ فأجازيكم عليه، وجملة الوصية وما بعدها اعتراض ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ﴾ أي الخصلة السيئة ﴿إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي في أخفى مكان من ذلك ﴿يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ﴾ فيحاسب عليها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ باستخراجها ﴿خَبِيرٞ﴾ ﴿١٦﴾ بمكانها ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ﴾ بسبب الأمر والنهي ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ ﴿١٧﴾ أي معزوماتها التي

قوله: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ قيل إن الخطاب للمكلفين عموماً، ويراد بمن أناب النبي وأصحابه ومن على قدمهم، وقيل الخطاب لسعد بن أبي وقاص، والمراد بمن أناب أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وذلك أنه حين أسلم، أتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف فقالوا له: قد صدقت هذا الرجل وآمنت به؟ قال: نعم هو صادق فآمنوا، ثم جاء بهم النبي ﷺ حتى أسلموا، فهؤلاء سابقون للإسلام بإرشاد أبي بكر رضي الله عنه. قوله: **(فأجازيكم عليه)** أي على العمل الحسن والسيئ. قوله: **(وجملة الوصية)** أي وهي قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ﴾ إلخ. وقوله: **(وما بعدها)** أي وهو قوله: **(وإن جاهداك)** إلخ، وقوله: **(اعتراض)** أي بين كلامي لقمان.

قوله: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنَّ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ إلخ، رجوع لذكر وصايا لقمان لولده، وسبب تلك المقالة أنه قال له ولده: يا أبت إن عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد، كيف يعلمها الله؟ فقال له تلك المقالة وهذا السؤال، ليس عن اعتقاد لمضمونه، إذ هو مسلم لا يعتقد أن الله تخفى عليه خافية، وإنما مقصوده الإنتقال من العلم بالدليل إلى المعرفة والمشاهدة، ولذا مات من استيلاء الهيبة على قلبه. قوله: ﴿مِنْ خَرْدَلٍ﴾ هو حب الكبر وهو أصغر حب، والمراد أصغر شيء، بدليل ضرب المثل بالذرة في الآية. قوله: ﴿فِي صَخْرَةٍ﴾ قيل المراد بها التي تحت الأرضين السبع، وهي التي يكتب فيها أعمال الفجار، وخضرة السماء منها لما قيل: خلق الأرض على حوت، والحوت في الماء على ظهر صفاة، والصفاة على ظهر ملك، وقيل على ظهر ثور وهو على الصخرة، وهي التي ذكرها لقمان، فليست في السماء ولا في الأرض. قوله: **(أي في أخفى مكان من ذلك)** أي من الصخرة والسماوات والأرض، فأخفى الصخرة باطنها، وأخفى السماوات أعلاها، وأخفى الأرض أسفلها. قوله: ﴿يَأْتِ بِهَا اللهُ﴾ جواب الشرط. قوله: ﴿إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ﴾ أي عالم بخفيات الأمور. قوله: ﴿خَبِيرٌ﴾ أي عالم ببواطن الأشياء كظواهرها، قيل إن هذه الكلمة آخر كلمة تكلم بها لقمان، فانشقت مرارة ابنه من هيبتها وعظمها، فمات مسلماً شهيداً رضي الله عنه.

قوله: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ أي بشروطها وأركانها وآدابها، لكونها عماد الدين ومناجاة الله تعالى. قوله: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي بكل ما عرف شرعاً، لأن الدال على الخير كفاعله. قوله: ﴿وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ أي باليد أو اللسان أو القلب على حسب الطاقة، فإن لم يفد، فالهجر أولى بالمعروف. قوله: **(بسبب الأمر والنهي)** المناسب حمله على العموم، فالصبر على المصائب، سواء كانت من الخلق أو الخالق أمره عظيم، لأن الكل في الحقيقة من الله، والمراد بالصبر التسليم لأحكام الله والرجوع إليه، قال تعالى:

يعزم عليها لوجوبها ﴿وَلَا تُصَعِّرْ﴾ وفي قراءة تصاعر ﴿خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ لا تمل وجهك عنهم تكبراً ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي خيلاء ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ متبختر في مشيه ﴿فَخُورٍ﴾ ﴿١٨﴾ على الناس ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ توسط فيه بين الدبيب والإسراع، وعليك السكينة والوقار ﴿وَاغْضُضْ﴾ اخفض ﴿مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ﴾ أقبحها ﴿لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ ﴿١٩﴾ أوله زفير، وآخره شهيق ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ تعلموا يا مخاطبين ﴿أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ من الشمس والقمر والنجوم لتنتفعوا بها ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من الثمار والأنهار والدواب ﴿وَأَسْبَغَ﴾ أوسع وأتم ﴿عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً﴾ هي حسن الصورة وتسوية الأعضاء وغير ذلك

﴿وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾. قوله: **(التي يعزم عليها لوجوبها)** أي تحتمها على المكلفين، فلا ترخيص في تركها.

قوله: **﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾** الصعر بفتحتين في الأصل، داء يصيب البعير يلوي عنقه، ثم استعمل في ميل العنق وانقلاب الوجه إلى أحد الشدقين، لأجل الفخر على الناس، والمراد لا تتكبر فتحتقر الناس، ولا تعرض عنهم بوجهك إذا كلموك. قوله: **(وفي قراءة تصاعر)** أي وهما سبعيتان ومعناهما واحد. قوله: **(أي خيلاء)** أي عجباً وتكبراً، قال تعالى: **﴿إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً﴾**. قوله: **﴿فَخُور﴾(على الناس)** أي لظنه أن نعمة الله أسبغت عليه لاستحقاقه إياها، فتكبر بها على الناس. قوله: **﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾** لما أمره أولاً بحسن الباطن، أمره ثانياً بحسن الظاهر، ليجمع له في وصيته بين كمال الظاهر والباطن. قوله: **(بين الدبيب)** أي وهو ضعيف المشي جداً، قال الشاعر:

زعمتني شيخاً ولست بشيخ إنما الشيخ من يدب دبيبا

قوله: **(والإسراع)** أي وهي قوة المشي وهي مذمومة لما ورد: سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن. إن قلت: ورد في الحديث: كنا نجهد أنفسنا خلف رسول الله ﷺ، فيقتضي أنه كان يسرع في مشيه. أجيب بأنه ﷺ في نفسه مشية متوسطة، وبالنسبة للصحابة هو أعلى مشياً منهم، لما في الحديث المقتدم: وهو غير مكترث كأن الأرض تطوى له. قوله: **﴿مِنْ صَوْتِكَ﴾ يحتمل أن ﴿مِنْ﴾ تبعيضية**، أو الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لمحذوف، أي شيئاً من صوتك. قوله: **﴿لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾** أي هذا الجنس لما فيه من العلو المفرط من غير حاجة، فإن كل حيوان يصيح من ثقل أو تعب أو غير ذلك، والحمار يصيح لغير سبب، وصياح كل شيء تسبيح لله تعالى، إلا الحمار. إن قلت: إن دق النحاس بالحديد أشد صوتاً من الحمير. أجيب: بأن الصوت الشديد لحاجة يتحمله العقلاء، بخلاف الصوت الخالي عن الثمرة والفائدة، وهو صوت الحمار. قوله: **(أوله زفير)** أي صوت قوي، وقوله: **(وآخره شهيق)** أي صوت ضعيف، وهما صفة أهل النار.

قوله: **﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ﴾** إلخ، رجوع لما سبق من خطاب المشركين والرد عليهم. قوله: **(يا مخاطبين)** القياس بالواو لأنه منادى مفرد، وهو مبني على ما يرفع به، إلا أن يقال: إنه نكرة غير مقصودة فهو منصوب. قوله: **﴿نِعَمَهُ﴾** إما بالجمع فظاهرة وباطنة حالان، أو الإفراد بتاء التأنيث نكرة فهما نعتان لها، وهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(هي حسن الصورة)** إلخ، وقيل الظاهرة نعمة الدنيا،

﴿وَبَاطِنَةً﴾ هي المعرفة وغيرها ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي أهل مكة ﴿مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى﴾ من رسول ﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ أنزله الله بل بالتقليد ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ قال تعالى: ﴿أَ﴾ يتبعونه ﴿وَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ أي موجباته؟ لا ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي يقبل على طاعته ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ موحد ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ بالطرف الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ مرجعها ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ﴾ يا محمد ﴿كُفْرُهُۥٓ﴾ لا تهتم بكفره ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾﴾ أي بما فيها كغيره فمجاز عليه ﴿نُمَتِّعُهُمْ﴾ في الدنيا ﴿قَلِيلًا﴾ أيام حياتهم ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾ في الآخرة ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾ وهو عذاب النار لا يجدون عنه محيصاً ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي الأمثال، وواو الضمير لالتقاء الساكنين ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾

والباطنة نعمة العقبى، وقيل الظاهرة ما ترى الأبصار، كالمال والجاه والجمال في الناس، والباطنة ما يجده الإنسان في نفسه من حسن اليقين والعلم بالله تعالى، وكل صحيح. قوله: **(وتسوية الأعضاء)** أي تناسبها.

قوله: **﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾** نزلت في النضر بن الحارث وأبي بن خلف ومن حذا حذوهما، كانوا يجادلون النبي ﷺ في الله وصفاته من غير علم. قوله: **﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾** أي بل بالجهل وعدم المعرفة. قوله: **﴿وَلَا هُدىً﴾** أي مع رسول جاءهم به. قوله: **﴿وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾** أي نير واضح الدلالة.

قوله: **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾** الجمع باعتبار المعنى. قوله: **﴿أَ﴾(يتبعونه)** أشار بذلك إلى أن الشرط للحال والتقدير أيتبعونه، والحال أن الشيطان يدعوهم إلى العذاب، وحينئذ فلا جواب للو. قوله: **﴿يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾** أي يدعو آباءهم، لأن مدار إنكار الإتباع، كون الرؤساء تابعين للشيطان. قوله: (لا) أي لا يليق منهم ذلك. قوله: **(أي يقبل على طاعته)** أشار بذلك إلى أن المراد بالوجه الذات، والمعنى من يبذل ذاته في طاعة ربه، والحال أنه موحد، فقد استمسك إلخ، وهذا هو حقيقة الشكر، فالإقبال على الله ظاهراً وباطناً، موجب للأمن من عذاب الله، ومن زوال تلك النعمة، وهذه الآية معنى قوله تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾. قوله: **(موحد)** إنما فسره بذلك ليشمل الإسلام في حق العامة وهو التوحيد، وإلا فالإحسان الكامل أن تعبد الله كأنك تراه. قوله: **(بالطرف الأوثق)** أي الموصل إلى الله بلا انقطاع، فقد مثل المؤمن المتمسك بطاعة الله، بمن أراد أن يرقى إلى شاهق جبل، فتمسك بأوثق حبل، فهو تشبيه تمثيلي بذكر طرفي التشبيه. قوله: **(مرجعها)** أي فيجازي عليها.

قوله: **﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾** إلخ، هذا مقابل الفريق الأول. قوله: **﴿فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ﴾** بفتح الياء وضم الزاي، وبضم الياء وكسر الزاي قراءتان سبعيتان، أي فتسل ولا تغتم على ذلك. قوله: **﴿فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾** أي نخبرهم بأعمالهم التي عملوها في الدنيا، كما أن المؤمن إذا نعم في الدنيا بأنواع النعم، فليس ذلك جزاء لأعماله الصالحة. قوله: **(لا يجدون عنها محيصاً)** أي ملجأ. قوله: **﴿لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾** الجملة جواب

على ظهور الحجة عليهم بالتوحيد ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ وجوبه عليهم ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً، فلا يستحق العبادة فيهما غيره ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه ﴿الْحَمِيدُ﴾ ﴿٢٦﴾ المحمود في صنعه ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ﴾ عطف على اسم أن ﴿يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ مداد ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ المعبر بها عن معلوماته بكتبها بتلك الأقلام بذلك المداد ولا بأكثر من ذلك، لأن معلوماته تعالى غير متناهية ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمٌ﴾ ﴿٢٧﴾ لا يخرج شيء من علمه وحكمته ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ خلقاً وبعثاً، لأنه بكلمة كن فيكون ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ يسمع كل مسموع ﴿بَصِيرٌ﴾ ﴿٢٨﴾ يبصر كل مبصر لا يشغله شيء عن شيء ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم يا مخاطباً ﴿أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ﴾

القسم، وحذف جواب الشرط للقاعدة، ولفظ الجلالة مرفوع، إما على أنه فاعل بفعل محذوف تقديره خلقهن الله، بدليل آية ﴿خلقهن العزيز العليم﴾، أو خبر لمحذوف تقديره الخالق لهن. قوله: **(وواو الضمير)** أي لالتقائها ساكنة مع نون التوكيد، وبقيت الضمة دليلاً عليها. قوله: ﴿**بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾**(وجوبه عليهم)** أي بل يعتقدون أن الإشراك يقرب إلى الله، مع كونهم ينسبون الخلق لله وحده.

قوله: ﴿**لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ هذا نتيجة ما قبله، أي فحيث ثبت أنه الخالق لها، تحقق أنه المالك لها. **(المحمود في صنعه)** أي المتصف بالكمالات أزلاً وأبداً، لا يستحق الحمد غيره. قوله: ﴿**وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ**﴾ ﴿**أَنَّ**﴾ حرف توكيد ونصب و ﴿**مَا**﴾ اسم موصول في محل نصب اسمها، وجمل الجار والمجرور مع متعلقة صلة الموصول، و ﴿**مِنْ شَجَرَةٍ**﴾ بيان لما، وتوحيد شجرة إشارة إلى استغراق الأفراد كأنه قال: لو أن كل شجرة تجعل أقلاماً إلخ، وقوله: ﴿**أَقْلَامٌ**﴾ خبر ﴿**أَنَّ**﴾. قوله: ﴿**وَالْبَحْرُ**﴾ أي المحيط، لأن الحقيقة إذا أطلقت تنصرف للفرد الكامل. قوله: **(عطف على اسم أن)** أشار بذلك إلى توجيه قراءة النصب، وترك توجيه قراءة الرفع، وتوجيهها أن يقال: إما **عطف** على جملة ﴿**أَنَّ**﴾ واسمها وخبرها، لأن موضعها رفع على الفاعلية لفعل محذوف، والتقدير لو ثبت أن ما في الأرض إلخ، أو مبتدأ خبره ﴿**يَمُدُّهُ**﴾ والجملة حالية. قوله: **(مداد)** خبر لمحذوف تقديره والجميع مداد، وهو جملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر تقديره ما تجعل تلك الأبحر؟ فأجاب بقوله: **(مداد)** يدل على ذلك قوله في الآية الأخرى: ﴿**قل** لو كان البحر مداداً لكلمات ربي﴾ إلخ. قوله: ﴿**كَلِمَاتُ اللهِ**﴾ أي مدلولات كلامه النفسي القديم القائم بذاته تعالى، بدليل قوله المعبر بها، فإن مدلول الكلام القديم، هو ما أحاط به العلم القديم، وأما الكلام المنزل للقراءة والتعبد به كالكتب السماوية، فهو دال على بعض مدلول الكلام القديم، فلذلك كان له مبدأ وغاية.

قوله: ﴿**مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾ سبب نزولها: أن أبي بن خلف وجماعة قالوا للنبي ﷺ: أن الله خلقنا أطواراً، نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً ثم تقول: إنا نبعث خلقاً جديداً جميعاً في ساعة واحدة فنزلت، والمعنى أن الله لا يصعب عليه شيء، بل خلق العالم وبعثه برمته، كخلق نفس واحدة وبعثها. قوله: **(خلقاً وبعثاً)** لف ونشر مرتب. قوله: **(يا مخاطباً)** نصبه لكونه قصد أنه نكرة

يدخل ﴿ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ ﴾ يدخله ﴿فِي ٱلَّيۡلِ﴾ فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلٌّ﴾ منهما ﴿ يَجۡرِيٓ ﴾ في فلكه ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ﴾ هو يوم القيامة ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ الثابت ﴿ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ ﴾ بالياء والتاء يعبدون ﴿ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ ﴾ الزائل ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ﴾ على خلقه بالقهر ﴿ٱلۡكَبِيرُ﴾ ﴿٣٠﴾ العظيم ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱلۡفُلۡكَ﴾ السفن ﴿تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم﴾ يا مخاطبين بذلك ﴿مِّنۡ ءَايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ﴾ عبراً ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٖ﴾ عن معاصي الله ﴿شَكُورٖ﴾ ﴿٣١﴾ لنعمته ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم ﴾ أي علا الكفار ﴿مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ﴾ كالجبال التي تظل من تحتها ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ أي الدعاء بأن ينجيهم، أي لا يدعون معه غيره ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ﴾ متوسط بين الكفر والإيمان، ومنهم باق على كفره ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ ومنها الإنجاء من الموج ﴿إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ﴾ غدار ﴿كَفُورٖ﴾ ﴿٣٢﴾ لنعم الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي ﴾ يغني ﴿وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ فيه شيئاً ﴿وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ﴾ فيه

غير مقصودة. قوله: (بما نقص) أي بالجزاء الذي نقص من الأجر، وهو أربع ساعات دائرة بين الليل والنهار، زائدة على الأثني عشر، فتارة يزيدها الليل، وتارة يزيدها النهار.

قوله: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ عطف على ﴿يُولِجُ﴾ وعبر في الأولى بالمضارع، لأن الإيلاج متجدد بخلاف التسخير. قوله: ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ عبر هنا بإلى، وفي فاطر والزمر باللام تفنناً، لأن اللام وإلى للإنتهاء. قوله: ﴿ذَلِكَ﴾(المذكور) أي من الآيات الكريمة، وهو مبتدأ خبره قوله: ﴿بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ﴾. قوله: (الثابت) أي الذي لا يقبل الزوال ولا أبداً. قوله: (بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ﴾ إلخ، هذا دليل آخر على إثبات الأولوهية لله وحده. قوله: ﴿بِنِعْمَةِ اللهِ﴾ أي إحسانه. قوله: (أي علا الكفار) أي أحاط بهم، فعلا فعل ماض لا حرف جر. قوله: (أي لا يدعون معه غيره) أي كالأصنام لأنهم في ذلك الوقت في غاية الشدة والهول، فلا يجدون ملجأ لكشف ما نزل بهم غيره تعالى. قوله: (متوسط بين الكفر والإيمان) المناسب تفسير المقتصد بالعدل الموفي، بما عاهد الله عليه من التوحيد، ليكون موافقاً لسبب النزول، فإنها نزلت في عكرمة بن أبي جهل، وذلك أنه هرب عام الفتح إلى البحر، فجاءتهم ريح عاصف فقال عكرمة: لئن أنجانا الله من هذا، لأرجعن إلى محمد ﷺ، ولأضعن يدي في يده فسكن الريح، فرجع عكرمة إلى مكة فأسلم وحسن اسلامه. قوله: (ومنهم باق على كفره) أي وهو المشار إليه بقوله: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ إلخ. قوله: (غدار) أي لأنه نقض العهد، ورجع إلى ما كان عليه.

قوله: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ أي امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه. قوله: ﴿لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ إلخ، كل من الجملتين نعت ليوماً، والمعنى أن يوم القيامة يقول كل إنسان، نفسي نفسي لا أملك غيرها، ولا يهتم بقريب ولا بعيد، وهذه الآية مخصوصة بالكفار، وأما المسلمون فينتفعون من بعضهم، فالأولاد تنفع

﴿شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ بالبعث ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ عن الإسلام ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ﴾ في حلمه وإمهاله ﴿ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ الشيطان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ متى تقوم ﴿وَيُنَزِّلُ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ٱلْغَيْثَ﴾ بوقت يعلمه ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ أذكر أم أنثى، ولا يعلم واحداً من الثلاثة غير الله تعالى ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ من خير أو شر، ويعلمه الله تعالى ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ ويعلمه الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بكل شيء ﴿خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ بباطنه كظاهره، روى البخاري عن ابن عمر حديث مفاتح الغيب خمسة (إن الله عنده علم الساعة إلى آخر السورة.

الآباء، والآباء تنفع الأولاد، قال تعالى: ﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم﴾ وأما ما ورد من قوله عليه الصلاة والسلام لفاطمة ابنته: «أنا لا أغني عنك من الله شيئاً» فهو تحذير لها من الكفر الذي به تنقطع الأنساب. قوله: ﴿وَلَا مَوْلُودٌ﴾ مبتدأ، وهو مبتدأ ثان، و ﴿جَازٍ﴾ خبر الثاني، وهو وخبره خبر الأول، أو معطوف على والد. قوله: **(في حلمه وإمهاله)** أشار بذلك أن الباء سببية، والكلام على حذف مضاف، والأصل لا يغرنكم بسبب حلم الله وامهاله الغرور.

قوله: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ إلخ، نزلت لما قال الحرث بن عمرو للنبي ﷺ: متى الساعة؟ وأنا قد ألقيت الحب في الأرض فمتى السماء تمطر؟ وامرأتي حامل فهل حملها ذكر أم أنثى؟ وأي شيء أعمله غداً؟ ولقد علمت بأي أرض ولدت، فبأي أرض أموت؟ قوله: **(متى تقوم)** أي وقت قيامها. قوله: **(بالتخفيف والتشديد)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(بوقت يعلمه)** أي وفي أي مكان ينزله.

قوله: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً﴾ أي من حيث ذاتها، وأما بإعلام الله للعبد فلا مانع منه، كالأنبياء وبعض الأولياء، قال تعالى: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ وقال تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾ قال العلماء: وكذا ولي، فلا مانع من كون يطلع بعض عباده الصالحين على بعض هذه المغيبات، فتكون معجزة للنبي وكرامة للولي، ولذلك قال العلماء: الحق أنه لم يخرج نبينا من الدنيا، حتى أطلعه الله على تلك الخمس، ولكنه أمر بكتمها، والحكمة في كونه تعالى، أضاف العلم إلى نفسه في الثلاثة الأول: ونفى العلم عن العباد في الأخيرتين منها، مع أن الخمسة سواء في اختصاص الله تعالى بعلمها، ونفي علم العباد بها، أن الثلاثة الأول أمرها عظيم، لا يتوهم في الخلق علمها، بخلاف الأخيرتين فهما من صفات العباد، فربما يتوهمون علمها، فإذا انتفى عنهم علمهما، كان انتفاء علمهم بغيرهما أولى. قوله: ﴿بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ لم يقل بأي وقت تموت فيه، لأن انتقال الإنسان من مكان إلى آخر في وسعه واختياره، فتوهمه علم مكان موته أقرب بخلاف الزمان، ففيه تنبيه على انتقاء علم الأقرب، ليفهم منه علم الأبعد بالأولى. قوله: ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ أشار بذلك إلى أن علمه تعالى، ليس مختصاً بهذه الأشياء المتقدمة، بل هو عليم ببواطن الأشياء كظواهرها.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُورَةُ السَّجۡدَةِ

مكيّة

وآياتها ثلاثون

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿الٓمٓ﴾ (١) الله أعلم بمراده به ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ القرآن مبتدأ
﴿لَا رَيۡبَ﴾ شك ﴿فِيهِ﴾ خبر أول ﴿مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (٢) خبر ثان ﴿أَمۡ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ﴾
محمد؟ لا ﴿بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ﴾ به ﴿قَوۡمٗا مَّآ﴾ نافية ﴿أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة السجدة مكية

وهي ثلاثون آية

أي التي ذكر فيها السجدة. قوله: (**مكية**) ظاهره أن جميعها مكي، وقال غيره: إلا ثلاث آيات، وقيل إلا خمس آيات أولها قوله ﴿**تتجافى جنوبهم**﴾ وآخرها قوله: ﴿**الذي كنتم به تكذبون**﴾ وورد في فضلها أحاديث، منها ما في الصحيح عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة ﴿**الٓمٓ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ**﴾ السجدة، و﴿**هل أتى على الإنسان حين من الدهر**﴾ وقد أخذ بهذا الحديث الإمام الشافعي رضي الله عنه، ولم يأخذ به مالك، لعدم استمرار العمل عليه، ومنها أنه ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ ﴿**الٓمٓ تَنْزِيلُ**﴾ السجدة و﴿**تبارك الذي بيده الملك**﴾ وتسمى أيضاً المنجية، لأنها إحدى المنجيات السبع وهي: هذه السورة، ويس، والدخان، والواقعة، وهل أتى، والملك، والبروج. ولما ورد عن خالد بن معدان أنه قال: اقرؤوا المنجية وهي ﴿**الٓمٓ تَنْزِيلُ**﴾ فإنه بلغني أن رجلاً كان يقرؤها، ما يقرأ شيئاً غيرها، وكان كثير الخطايا، فنشرت جناحها عليه وقالت: رب اغفر لي فإنه كان يكثر قراءتي، **فشفعها الرب فيه**، وقال: اكتبوا له بكل خطيئة حسنة، وارفعوا له درجة.

قوله: ﴿**تَنْزِيلُ الْكِتَابِ**﴾ أي نزوله ومجيئه. قوله: ﴿**مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ أي لفظاً ومعنى. (**خبر ثان**) هذا أحسن الأعاريب في هذا الموضع، ويصح أن يكون حالاً من ضمير الخبر. قوله: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ**﴾ أم: منقطعة تفسر ببل، والهمزة عند البصريين، والمفسر قدرها ببل فقط، وهو غير مناسب بدليل قوله: (**لا**) فإنه إشارة إلى أن الاستفهام إنكاري، مع أنه لم يذكر الهمزة، ولعلها سقطت من قلم ناسخ المبيضة. قوله: ﴿**بَلْ هُوَ الْحَقُّ**﴾ اضراب انتقالي من نفي الافتراء عنه إلى إثبات حقيقته، ويصح أن يكون

﴿يَهْتَدُونَ ۝٣﴾ بإنذارك ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد، وآخرها الجمعة ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ وهو في اللغة سرير الملك، استواء يليق به ﴿مَا لَكُم﴾ يا كفار مكة ﴿مِّن دُونِهِ﴾ أي غيره ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ اسم ما بزيادة من أي ناصر ﴿وَلَا شَفِيعٍ﴾ يدفع عذابه عنكم ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤﴾ هذا فتؤمنون ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ مدة الدنيا

ابطالياً لقوله، كأنه قيل ليس هو كما قالوا، بل هو الحق، وقولهم كل ما في القرآن من الإضراب انتقالي يحمل على غير هذا، والمعنى أن القرآن محصور في الحق، لا يخرج عنه لغيره، واستفيد الحصر من الجملة المعرفة الطرفين.

قوله: ﴿لِتُنْذِرَ قَوْماً﴾ هو فعل بنصب مفعولين، الأول قوماً، والثاني محذوف قدره المفسر بقوله: (به) وقدره غيره العقاب. قوله: ﴿مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ جعل المفسر الجملة منفية صفة لقوماً، واختلف في القوم فقيل: المراد بهم العرب، لأنهم أمة لم يأتهم نذير قبل محمد ﷺ، وتكون هذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم﴾ وقيل المراد بهم أهل الفترة، الذين كانوا قبل عيسى ومحمد عليهما السلام، فيشمل بني آدم برمتهم. قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ الترجي بالنسبة له ﷺ، والمعنى لتنذر قوماً راجياً لاهتدائهم لا آيساً منه. قوله: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ مبتدأ وخبر، وهو شروع في ذكر أدلة توحيده سبحانه وتعالى. قوله: **(أولها الأحد وآخرها الجمعة)** أي على سبيل التوزيع، فخلق الأرض أولاً في الأحد والاثنين وخلق ما فيها في الثلاثاء والأربعاء، وخلق السماوات في الخميس والجمعة، وفي ذلك إشكال، وهو أن الأيام لم تكن معروفة إذ ذاك، فضلاً عن تسميتها، لعدم وجود الشمس والأفلاك التي بها تعرف الأيام. وأجيب: بأن المراد في مقدار ستة أيام، كائنة في علمه تعالى، بحيث تكون عند ظهورها لنا، أولها الأحد، وآخرها الجمعة، ومقتضى هذا، أنها كأيام الدنيا وبه قال الحسن، وقال ابن عباس والضحاك: اليوم منها مقداره ألف سنة. قوله: **(سرير الملك)** أي ومنه قال نكروا لها عرشها، والمراد به هنا الجسم النوراني المحيط بالعالم كله. قوله: **(استواء يليق به)** هذه إشارة لطريق السلف الذين يؤمنون بالمتشابه، ويفوضون علمه لله تعالى، وهو أسلم، ولذا سلكه المفسر، وطريقة الخلف يؤولون الاستواء بالاستيلاء والقهر، إذ هو أحد معنى الاستواء، ومنه قول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

وتقدم الكلام في هذا غير مرة. قوله: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ هذا نتيجة ما قبله، أي فحيث ثبت أنه الخالق للسماوات والأرض وما بينهما، وهو المالك للعرش وما حوى، فلا ولي ولا شفيع غيره. قوله: **(يا كفار مكة)** خصهم لأنهم سبب نزول الآية، وإلا فالعبرة بعموم اللفظ. قوله: **(اسم ما)** أشار بذلك إلى أن ﴿مَا﴾ حجازية، و ﴿وَلِيٍّ﴾ اسمها مؤخر، و ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ خبرها مقدم، وفيه أن شرط أعمالها الترتيب وهو مفقود هنا، إلا أن يقال: إنه مشى على قول ضعيف للنحويين من عدم اشتراطه في عملها، والأحسن جعلها تميمية، و ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ خبر مقدم، و﴿وَلِيٍّ﴾ مبتدأ مؤخر، لأن القرآن لا ينبغي حمله على ضعيف. قوله: ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير أغفلتم فلا تتذكرون. قوله: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾ أي الشأن، والحال والمعنى يتصرف على طبق علمه وإرادته، وهو القضاء والقدر المشار إليهما بقول الأجهوري:

إرادة الله مع التعلق ... في أزل قضاؤه فحقق

﴿ ثُمَّ يَعْرُجُ ﴾ يرجع الأمر والتدبير ﴿ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ ٥ في الدنيا، وفي سورة سأل خمسين ألف سنة، وهو يوم القيامة لشدة أهواله بالنسبة إلى الكافر، وأما المؤمن فيكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا، كما جاء في الحديث ﴿ذَٰلِكَ﴾ الخالق المدبر ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ أي ما غاب عن الخلق وما حضر ﴿ ٱلْعَزِيزُ ﴾ المنيع في ملكه ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ٦ بأهل طاعته ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ بفتح اللام فعلاً ماضياً صفة،

والقدر الإيجاد للأشياء على ... وجه معين أراده علا

وبعضهم قد قال معنى الأول:

العلم مع تعلق في الأزل

والقدر الإيجاد للأمور ... على وفاق علمه المذكور

وهذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿كل يوم هو في شأن﴾ فالتصرف الذي يظهر في الخلق، من حيث وجوده على طبق العلم والإرادة قدر، ومن حيث تعلق علم الله وإرادته به قضاء، فكل شيء بقضاء وقدر. قوله: ﴿مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: معناه ينزل القضاء والقدر، وقيل ينزل الوحي مع جبريل، وروي أنه يدبر أمر الدنيا أربعة: جبريل وميكائيل وملك الموت وإسرافيل صلوات الله عليهم أجمعين، فأما جبريل فموكل بالأرياح والجنود، وأما ميكائيل فموكل بالقطر والماء، وأما ملك الموت فموكل بقبض الأرواح، وأما إسرافيل فهو ينزل بالأمر عليهم، وقد قيل: إن العرض موضع التدبير، كما أن ما دون العرش موضع التفصيل قال تعالى: ﴿ثم استوى على العرش يدبر الأمر يفصل الآيات﴾ وما دون السماوات موضع التصريف. قوله: **(مدة الدنيا)** أي وهي كما ورد سبعة آلاف سنة، بعث رسول الله ﷺ في الألف السادس، ومدة أمته تزيد على الألف سنة، ولا تبلغ الزيادة عليها خمسمائة سنة، كما ذكره السيوطي في الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف، وهذا أحد أقوال تقدمت. قوله: **(يرجع الأمر والتدبير)** ﴿إِلَيْهِ﴾ أي ينتقل التصريف الظاهري من أيدي العبيد يوم القيامة، ويكون لله وحده ظاهراً وباطناً، قال تعالى: ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾. قوله: **(لشدة أهواله)** إلخ، هذا إشارة لوجه الجمع بين الآيتين، أي فالمراد من ذكر الألف وذكر الخمسين، التنبيه على طوله والتخويف منه، لا العدد المذكور بخصوصه، وجمع أيضاً بأن موقف القيامة خمسون موقفاً، كل موقف ألف فهذه الآية بينت أحد المواقف، وآية سأل بينت المواقف كلها، وهذا هو الأقرب، وجمع أيضاً بأن العذاب مختلف، فيعذب الكافر بجنس من العذاب ألف سنة، ثم ينقل إلى جنس آخر مدته خمسون ألف سنة. قوله: **(من صلاة مكتوبة)** صادق بصلاة الصبح، فهو في حق المؤمنين قصير جداً.

قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ، و ﴿عَالِمُ﴾ خبر أول، و ﴿الْعَزِيزُ﴾ خبر ثان، و ﴿الرَّحِيمُ﴾ خبر ثالث، و ﴿الَّذِي أَحْسَنَ﴾ خبر رابع، وهذه قراءة العامة، وقرىء شذوذاً برفع ﴿عَالِمُ﴾ وخفض ﴿الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ على أنهما بدلان من الهاء في إليه، وقرىء أيضاً بجر ﴿عَالِمُ﴾ وما بعده، وخرجت على جعل اسم الإشارة فاعلاً ليعرج، و ﴿عَالِمُ﴾ وما بعده بدل من الضمير في إليه. قوله: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ﴾ أي

وبسكونها بدل اشتمال ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ﴾ آدم ﴿مِن طِينٍ ۝٧﴾ ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ﴾ ذريته ﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾ علقة ﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨﴾ ضعيف هو النطفة ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾ أي خلق آدم ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ أي جعله حياً حساساً، بعد أن كان جماداً ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾ أي لذريته ﴿ٱلسَّمْعَ﴾ بمعنى الأسماع ﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ القلوب ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٩﴾ ما زائدة مؤكدة للقلة ﴿وَقَالُوٓا۟﴾ أي منكرو البعث ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ غبنا فيها، بأن صرنا تراباً مختلطاً بترابها ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾ استفهام إنكاري، بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانيـة، وإدخال ألف بينهـما على الوجهين في الموضعين، قال تعالى: ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث ﴿كَٰفِرُونَ ۝١٠﴾ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ أي بقبض أرواحكم ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝١١﴾ أحياء فيجازيكم بأعمالكم ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ الكافرون ﴿نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ مطأطئوها

أحكم وأتقن. قوله: (صفة) أي لكل أو لشيء. قوله: (وبسكونها) أي وهما قراءتان سبعيتان. قوله: (بدل اشتمال) أي من كل شيء. قوله: (ذريته) سميت نسلاً لأنها تنسل أي تنفصل. قوله: (أي خلق آدم) أشار بذلك إلى أن الضمير في ﴿سَوَّاهُ﴾ عائد على (آدم) ويصح أن يكون عائداً على النسل، ويكون المعنى سوى أعضاءه في الرحم وصورها بعد أن كان يشبه الجماد، حيث كان نطفة ثم علقة ثم مضغة. قوله: ﴿مِنْ رُوحِهِ﴾ الإضافة للتشريف. قوله: (أي لذريته) فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب، والنكتة أن الخطاب إنما يكون مع الحي، فلما نفخ فيه الروح حسن خطابه.

قوله: ﴿قَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا﴾ حكاية لبعض قبائحهم وأباطيلهم، وقرأ العامة ضللنا بضاد معجمة ولام مفتوحة بمعنى ذهبنا، وقرىء شذوذاً بكسر اللام وبضم الضاد وكسر اللام مشددة. قوله: (وإدخال ألف بينهما) أي وتركه، فتكون القراءات أربعاً سبعيات. قوله: (في الموضعين) أي وهما ائذا ضللنا أئنا. قوله: ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ انتقال من جحدهم البعث إلى جحدهم لقاء الله بالمرة.

قوله: ﴿قُلْ﴾ (لهم) أي للكفار، وخصهم بالذكر لوجود التشنيع بعد ذلك. قوله: ﴿يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ﴾ أسند التوفي في هذه الآية لملك الموت، وفي آية الانعام للرسل، وفي الزمر لله تعالى، ولا منافاة بينها، فما هنا محمول على مباشرة أخذها حتى تصل للحلقوم، وما في الأنعام محمول على معالجة أعوان عزرائيل لمن أمر بقبض روحه، فإن المباشر لإخراجها من الظفر إلى الحلقوم أعوانه، وما في الزمر محمول على الحقيقة، فإن المتوفى حقيقة هو الله تعالى، روي أن الدنيا جعلت لملك الموت مثل راحة اليد، فيأخذ منها من شاء أخذه من غير مشقة، فهو يقبض أرواح الخلق من مشارق الأرض ومغاربها، وله أعوان من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، وروي أن خطوته ما بين المشرق والمغرب، وروي أنه جعلت له الأرض مثل الطشت يتناول منه حيث يشاء، وقيل إنه على معراج بين السماء والأرض، وقيل إن له حربة تبلغ ما بين المشرق، وهو يتصفح وجوه الناس، فما من أهل بيت إلا وملك الموت يتصفحهم في كل يوم مرتين، فإذا رأى إنساناً قد انقضى أجله، ضرب رأسه بتلك الحربة وقال له: الآن ينزل بك عسكر الموت. قوله: (فيجازيكم بأعمالكم) أي عليها من خير وشر.

حياء يقولون ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا﴾ ما أنكرنا من البعث ﴿وَسَمِعۡنَا﴾ منك تصديق الرسل فيما كذبناهم فيه ﴿فَٱرۡجِعۡنَا﴾ إلى الدنيا ﴿نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا﴾ فيها ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ ﴿١٢﴾ الآن فما ينفعهم ذلك ولا يرجعون، وجواب لو رأيت أمراً فظيعاً، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا﴾ فتهتدي بالإيمان والطاعة باختيار منها ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي﴾ وهو ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ﴾ الجن ﴿وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ ﴿١٣﴾ وتقول لهم الخزنة إذا دخلوها ﴿فَذُوقُواْ﴾ العذاب ﴿بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ﴾ أي بترككم الإيمان به ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ﴾ تركناكم في العذاب ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ﴾ الدائم ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ ﴿١٤﴾ من الكفر والتكذيب ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ﴾ وعظوا ﴿بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ﴾ متلبسين ﴿بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ أي قالوا: سبحان الله وبحمده ﴿وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ ﴿١٥﴾ عن الإيمان والطاعة ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ﴾ ترتفع ﴿عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ﴾

قوله: ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ الخطاب لكل أحد ممن يصلح. قوله: ﴿نَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ﴾ أي خافضوها قوله: ﴿وَسَمِعْنَا﴾(منك تصديق الرسل) أي فيما أخبرونا به من الوعد والوعيد. قوله: ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾(الآن) أي آمنا في الحال، ويحتمل أن المعنى لم يقع منا الشرك كقولهم: والله ربنا ما كنا مشركين. قوله: (لرأيت أمراً فظيعاً) أي شنيعاً عجيباً. قوله: ﴿هُدَاهَا﴾ أي إيمانها. والمعنى لو أردنا خلق كل نفس على الإيمان والطاعة لفعلنا ذلك. قوله: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ أي ثبت وتقرر وعيدي. قوله: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ﴾ قدمهم لأن دخول الجن النار أكثر من الإنس. قوله: (أي بترككم الإيمان) أشار بذلك إلى أن المراد بالنسيان الترك. قوله: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ كرره لبيان مفعول ذوقوا الأول. قوله: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي بسبب عملكم.

قوله: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ إلخ، هذا تسلية له ﷺ على بقاء من كفر على كفره، كأن الله يقول لنبيه ﷺ: لا تحزن فإن أهل الإيمان مجبولون على الاتعاظ بالقرآن، وأهل الكفر مجبولون على عدم الاتعاظ به، فالخلق فريقان في علم الله. قوله: (القرآن) استشكل ظاهر تلك الآية، بأنه يقتضي مدح كل من سمع القرآن واتعظ به، ويسجد له وإن لم يكن له موضع سجود. وأجيب: بأن السنة بينت مواضع السجود في القرآن، فمدح المتعظين بالقرآن، في كل آية الساجدين في مواضع السجود. قوله: ﴿خَرُّوا سُجَّداً﴾ أي على وجوههم تعظيماً لآياته وامتثالاً لأمره، وخص السجود بالذكر، لأنه غاية الذل والخضوع، وهو لا يكون إلا لله، وفعله لغيره كفر، لأنه روح الصلاة وأعظم أركانها، ولأنه يقرب العبد من الله تعالى لما في الحديث: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد». قوله: (متلبسين) ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي جمعوا في سجودهم، بين التنزيه والحمد، فالتنزيه حاصل بوضع الأعضاء على الأرض، وبقولهم سبحان الله والحمد لله حاصل بقولهم وبحمده، فالسجود يطلب فيه التسبيح والتحميد، ويطلب فيه أيضاً الدعاء، وما ورد فيما يقال في سجدات القرآن: اللهم اكتب لي بها أجراً، وضع عني بها وزراً، واجعلها لي عندك ذخراً، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود عليه السلام. قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي لا يتكبرون ولا يأنفون.

قوله: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ﴾ أسند التجافي للجنوب، لأن الواعظ الذي يكون سبباً في القيام للصلاة

مواضع الاضطجاع بفرشها لصلاتهم بالليل تهجداً ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ من عقابه ﴿وَطَمَعًا﴾ في رحمته ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ﴿١٦﴾ يتصدقون ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ﴾ خبيء ﴿لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ ما تقرُّ به أعينهم، وفي قراءة بسكون الياء مضارع ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٧﴾ ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ ﴿١٨﴾ أي المؤمنون والفاسقون ﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا﴾ هو ما يعدُّ للضيف ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٩﴾ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ بالكفر والتكذيب ﴿فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا

ونحوها من جهة الجنوب وهو القلب، فالإنسان إذا كان مشغولاً بربه، سلط عليه واعظ في قلبه يقلقه، فيكون قليل النوم والهجوع، قال تعالى: ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾ فإذا اضطجع قصد بذلك التقوى على القيام والخدمة، وبالجملة فتكون جميع أفعاله دائرة بين الواجب والمندوب. قوله: **(لصلاتهم بالليل)** أي لما فيها من نور القلب ورضا الرب، لما في الحديث: «ما زال جبريل يوصيني بقيام الليل، حتى علمت أن خيار أمتي لا ينامون». قوله: **﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾** أي لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، فضلاً عن غيرهم. والمعنى لا تعلم ذلك تفصيلاً، وإلا فنحن نعلمه إجمالاً، كالأشجار والأنهار والغرف والحور والولدان وغير ذلك، لأن عطاء الجنة لا تحيط به العقول، ففي الحديث: «لموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها». قوله: **﴿مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾** أي سرورها وفرحها، فلا يلتفتون لغيره. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: **(مضارع)** أي والفاعل مستتر تقديره أنا، ففي الحديث: «أعددت لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر». قوله: **﴿جَزَاءً﴾** مفعول مطلق أو مفعول لأجله.

قوله: **﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً﴾** إلخ، سبب نزولها: أنه كان بين علي بن أبي طالب وعقبة بن أبي معيط تنازع، فقال الوليد بن عقبة لعلي: اسكت فإنك صبي، وأنا والله أبسط منك لساناً، وأشجع منك جناناً، وأملأ منك حشواً في الكتيبة، فقال علي: اسكت فإنك فاسق. وهذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين﴾ ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾. قوله: **﴿كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً﴾** أي كافراً. قوله: **﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾** أي في المآل، وقد راعى المعنى فجمع، لأن المراد الفريق في كل، وروي أنه ﷺ كان يعتمد الوقف على قوله: **﴿فَاسِقاً﴾** ويبتدىء بقوله: **﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾**

قوله: **﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾** تفصيل لما أجمل أولاً. قوله: **﴿نُزُلاً﴾** أي مهيأة ومعدة لاكرامهم، كما تهيأ التحف للضيف النازل بالكرام. قوله: **﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** أي بسبب كونهم يعملون الصالحات.

قوله: **﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾** لم يقل وعملوا السيئات، إشارة إلى أن مجرد الكفر كاف في الخلود في النار، فلا التفات إلى الأعمال معه، وأما العمل الصالح، فله مع الإيمان تأثير، فلذا قرنه به. قوله: **﴿فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾** أي مسكنهم ومنزلهم. قوله: **﴿كُلَّمَا أَرَادُوا﴾** إلخ، بيان لكون النار مأواهم. روي أن النار تضربهم فيرتفعون إلى طبقاتها، حتى إذا قربوا من بابها، وأرادوا أن يخرجوا منها، يضربهم لهبها

عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ عذاب الدنيا بالقتل والأسر والجدب سنين والأمراض ﴿دُونَ﴾ قبل ﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ عذاب الآخرة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي من بقي منهم ﴿يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٢١﴾ إلى الإيمان ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾ القرآن ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ أي لا أحد أظلم منه ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي المشركين ﴿مُنتَقِمُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ وقد التقيا ليلة الإسراء ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾ أي موسى أو الكتاب ﴿هُدًى﴾ هادياً ﴿لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ياء، قادة ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟﴾ على دينهم وعلى البلاء من عدوهم ﴿وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا ﴿يُوقِنُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ وفي قراءة بكسر اللام وتخفيف الميم ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ ﴿٢٥﴾ من أمر الدين ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم﴾ أي يتبين لكفار مكة إهلاكنا كثيراً ﴿مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ الأمم بكفرهم

فيهوون إلى قعرها، وهكذا يفعل بهم أبداً. قوله: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ عطف على ﴿أُعِيدُوا﴾ والقائل لهم الخزنة. قوله: ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ صفة لعذاب، وعبر هنا بالتذكير، نظراً للمضاف وهو العذاب، وفي سبأ بالتأنيث، نظراً إلى المضاف إليه وهو النار. قوله: (والجدب سنين) أي بمكة سبع سنين، حتى أكلوا فيها الجيف والعظام والكلاب. قوله: (أي من بقي منهم) أي بعد القحط وبعد يوم بدر، والترجي في القرآن بمنزلة التحقيق، وقد تحقق ذلك عند الفتح.

قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ إلخ، هذا بيان إجمالي لحال المكذب أثر بيانه تفصيلاً. قوله: ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ أي ترك الإيمان بها. قوله: (أي لا أحد) إلخ، أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري. قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ الحكمة في ذكر موسى، قربه من النبي ووجود من كان على دينه، لتقوم الحجة عليهم. قوله: (وقد التقيا ليلة الإسراء) أي في الأرض عند الكثيب الأحمر، وهو قائم يصلي في قبره، وفي السماء السادسة، كما ورد بذلك الحديث، وفي كلامه إشارة إلى أن الضمير في لقائه عائد على موسى، والمصدر مضاف لمفعوله، أي من لقائك موسى ليلة الإسراء، وهو أقوى الاحتمالات في هذا الموضع. قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً﴾ أي وهم الأنبياء الذين كانوا في بني إسرائيل، أو اتباع الأنبياء. قوله: (وابدال الثانية ياء) تقدم أنها سبعية، لكن من طريق الطيبة، لا من طريق الشاطبية. قوله: ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ أي تحملوا المشاق، فالصبر عواقبه خير كما قيل:

الصبر كالصبر مر في مذاقته ... لكن عواقبه أحلى من العسل

والمعنى جعلنا منهم أئمة حق صبرهم. قوله: ﴿وَكَانُوا﴾ عطف على ﴿صَبَرُوا﴾. قوله: (وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضاً، وخرجت على جعل اللام للتعليل وما مصدرية، أي جعلناهم أئمة لأجل صبرهم. قوله: (بينهم) أي المؤمنين والمشركين، أو بين الأنبياء وأممهم. قوله: ﴿أَوَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير أغفلوا ولم يتبين لهم، إلخ. قوله: ﴿مِنَ الْقُرُونِ﴾ ﴿مِن﴾ بيانية لكم، و ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ حال من ﴿الْقُرُونِ﴾. قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي المذكورة من كثرة

﴿يَمْشُونَ﴾ حال من ضمير لهم ﴿فِي مَسَٰكِنِهِمْۚ﴾ في أسفارهم إلى الشام وغيرها فيعتبروا ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍۖ﴾ دلالات على قدرتنا ﴿أَفَلَا يَسۡمَعُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ سماع تدبر واتعاظ ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ﴾ اليابسة التي لا نبات فيها ﴿فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡۚ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ هذا فيعلمون أنا نقدر على إعادتهم ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للمؤمنين ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ﴾ بيننا وبينكم ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ﴾ بإنزال العذاب بهم ﴿لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ يمهلون لتوبة أو معذرة ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَٱنتَظِرۡ﴾ أنزال العذاب بهم ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ بك حادث موت أو قتل فيستريحون منك، وهذا قبل الأمر بقتالهم.

إهلاك الأمم الخالية. قوله: (اليابسة التي لا نبات فيها) أي التي قطع وأزيل بالمرة، فالجزر معناه القطع، سميت الأرض اليابسة بذلك لقطع النبات منها، وقيل المراد بالجزر موضع باليمن. قوله: ﴿تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ﴾ قدم الأنعام لأن أكلها مقدم، لكونها تأكله قبل أن يثمر.

قوله: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هٰذَا الْفَتْحُ﴾ سبب نزولها: أن المسلمين كانوا يقولون: إن الله سيفتح لنا على المشركين، ويفصل بيننا وبينهم، وكان أهل مكة إذا سمعوهم يقولون بطريق الاستعجال تكذيباً واستهزاءاً: متى الفتح؟ قوله: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ﴾ المراد به يوم القيامة، لأنه يوم الفصل بين المؤمنين والكافرين. قوله: ﴿لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ﴾ أي لأن الإيمان المقبول، هو الذي يكون في الدنيا، ولا يقبل بعد خروجهم منها. قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ أي يؤخرون، وقوله: (أو معذرة) أي اعتذار. قوله: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي اتركهم ولا تتعرض لهم. قوله: (وهذا قبل الأمر بقتالهم) أي فهو منسوخ بآية الجهاد، ويحتمل أن الآية محكمة، ومعنى فأعرض عنهم، أي اقبل عذر من أسلم منهم، واترك ما هو عليه، وقد وقع منه ذلك، فقد، عفا عن وحشي حين أسلم بعد قتله حمزة عمه ﷺ، وعن جميع من دخل عليهم مكة عام الفتح.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الأَحْزَابِ

مدنيّة
وآياتها ثلاث وسبعون

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ دم على تقواه ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ فيما يخالف شريعتك ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بما يكون قبل كونه ﴿حَكِيمًا﴾ ① فيما يخلقه ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي القرآن ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ② وفي قراءة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ
سورة الأحزاب مدنية
وهي ثلاث وسبعون آية

أي التي ذكر فيها قصة الأحزاب، وهذه السورة اشتملت على مدح النبي والصادقين من أصحابه والتشنيع على المنافقين وذمهم، وكانت هذه السورة قدر سورة البقرة، وكانت فيها آية الرجم «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم» فألقى الله منها ما هو بأيدينا ورفع الزائدة، خلافاً للروافض حيث كانوا زعموا أن تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة فأكلها الداجن. قوله: **(مدنية)** أي بإجماع.

قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ**﴾ لم يخاطبه الله كما خاطب غيره من الأنبياء حيث قال: يا موسى، يا عيسى، يا داود، لكونه ﷺ أفضل الخلق على الإطلاق، فخاطبه بما يشعر بالتعظيم والإجلال حيث قال: يا أيها النبي، يا أيها الرسول، وإن ذكر اسمه صريحاً، أردفه بما يشعر بالتعظيم حيث قال: ﴿محمد رسول الله﴾ ﴿وما محمد إلا رسول﴾ إلى غير ذلك. قوله: **(أي دم على تقواه)** دفع بذلك ما يقال: إن في الآية تحصيل الحاصل، وسبب نزول هذه الآية، أن أبا سفيان بن حرب، وعكرمة بن أبي جهل، وأبا الأعور عمرو بن سفيان السلمي، قدموا المدينة، فنزلوا على عبد الله بن أبي رأس المنافقين بعد قتال أحد، وقد أعطاهم النبي ﷺ الأمان على أن يكلموه، فقام معهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وطعمة بن أبيرق، فقالوا للنبي ﷺ وعنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة، وقل إن لها شفاعة لمن عبدها، وندعك وربك، فشق ذلك على النبي ﷺ فقال عمر: يا رسول الله، ائذن لنا في قتلهم، فقال: إني أعطيتهم الأمان، فقال عمر: اخرجوا في لعنة الله وغضبه، فأمر النبي عمر أن يخرجهم من المدينة.

قوله: ﴿**إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً**﴾ تعليل للأمر والنهي. قوله: ﴿**إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيراً**﴾

بالفوقانية ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ في أمرك ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ ❨٣❩ حافظاً لك، وأمته تبع له في ذلك كله ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ﴾ رداً على من قال من الكفار: إن له قلبين يعقل بكل منهما أفضل من عقل محمد ﴿وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي﴾ بهمزة وياء وبلا ياء ﴿تُظَٰهِرُونَ﴾ بلا ألف قبل الهاء وبها، والتاء الثانية في الأصل مدغمة في الظاء ﴿مِنۡهُنَّ﴾ بقول الواحد مثلاً لزوجته: أنت عليَّ كظهر أمي ﴿أُمَّهَٰتِكُمۡۚ﴾ أي كالأمهات في تحريمها بذلك، لعد ذلك في الجاهلية طلاقاً، وإنما تجب به الكفارة بشرطه كما ذكر في سورة المجادلة ﴿وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ﴾ جمع دعيّ وهو من يدعي

الواو ضمير الكفرة والمنافقين على قراءة التحتانية، وضمير النبي وأمته على قراءة الفوقانية، وهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ أي اعتمد عليه وفوض أمورك إليه. قوله: ﴿وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً﴾ الباء زائدة في فاعل كفى و ﴿وَكِيلاً﴾ حال. قوله: **(تبع له في ذلك)** أي فيما ذكر من قوله: ﴿اتَّقِ اللهَ﴾ إلى هنا. قوله: ﴿مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ أي لأن القلب عليه مدار قوى الجسد فيمتنع تعدده،لأنه يؤدي للتناقض، وهو أن يكون كل منهما أصلاً لكل قوى الجسد وغير أصل له. قوله: **(رداً على من قال)** إلخ، أي وهو أبو معمر، جميل بن معمر الفهري، كان رجلاً لبيباً حافظاً لما يسمع، فقالت قريش: ما حفظ أبو معمر هذه الأشياء، إلا من أجل أن له قلبين، وكان يقول: لي قلبان أعقل بكل منهما أفضل من عقل محمد. فلما هزم الله المشركين يوم بدر، انهزم أبو معمر، لقيه أبو سفيان وإحدى نعليه بيده والأخرى برجله، فقال له: يا أبا معمر ما حال الناس؟ قال: انهزموا، فقال: ما بال إحدى نعليك في يدك، والأخرى في رجلك، فقال أبو معمر: ما شعرت إلا أنهما في رجلي، فعلموا يومئذ أنه لو كان له قلبان، لما نسي نعله في يده. قوله: **(بهمزة وياء بلا ياء)** أي فهما قراءتان سبعيتان وهو جمع التي، قال ابن مالك: باللات واللاء التي قد جمعا. قوله: **(بلا ألف قبل الهاء)** أي فأصله تتظهرون بتاءين، سكنت الثانية وقلبت ظاء وأدغمت في الظاء. قوله: **(وبها والتاء الثانية في الأصل مدغمة في الظاء)** أي فهما قراءتان سبعيتان، وبقي قراءتان سبعيتان أيضاً، وهما فتح التاء والهاء مع تخفيف الظاء وأصلها بتاءين، حذفت احداهما وضم التاء وكسر الهاء وتخفيف الظاء أيضاً مضارع ظاهر، وهذه القراءات واردة في قد سمع أيضاً، غير فتح التاء والهاء وتخفيف الظاء، لأن المضارع هناك مبدوء بالياء فلا تتأتى فيه، وفي الماضي ثلاث لغات: تظهر كتكلم، وتظاهر كتقاتل، وظاهر كقاتل. قوله: **(بقول الواحد مثلاً لزوجته)** إلخ، أي وضابطه أن يشبه زوجته كلاً أو بعضاً بظهر مؤبدة التحريم. قوله: ﴿أُمَّهَاتِكُمْ﴾ مفعول ثان لجعل. قوله: **(بشرطه)** أي وهو العزم على العود، فإن لم يعزم على العود، فلا تجب عليه الكفارة ما لم يمسها، وإلا تحتمت عليه، ولو طلقها بعد ذلك.

قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ﴾ نزلت في حق زيد بن حارثة، وهو كما روي كان من سبايا الشام، فاشتراه حكيم بن حزام بن خويلد، فوهبه لعمته خديجة بنت خويلد، فوهبته خديجة للنبي ﷺ فأعتقه وتبناه، فأقام عنده مدة، ثم جاء عنده أبوه وعمه في فدائه، فقال لهما النبي ﷺ: خيراه، فاختار الرق مع رسول الله ﷺ على حريته وقومه، فقال النبي ﷺ عند ذلك: يا معشر قريش، اشهدوا أنه ابني يرثني وأرثه، وكان يطوف على خلق قريش يشهدهم على ذلك، فرضي ذلك عمه وأبوه وانصرفا، فزوجه رسول

لغير أبيه ابناً له ﴿أَبْنَآءَكُمْ﴾ حقيقة ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾ أي اليهود والمنافقين قالوا لما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش التي كانت امرأة زيد بن حارثة الذي تبناه النبي ﷺ قالوا: تزوج محمد امرأة ابنه، فأكذبهم الله تعالى في ذلك ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ في ذلك ﴿وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ﴾ ٤ سبيل الحق لكن ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ﴾ أعدل ﴿عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ بنو عمكم ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ في ذلك ﴿وَلَٰكِن﴾ في ﴿مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ فيه وهو بعد النهي ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لما كان من قولكم قبل النهي ﴿رَّحِيمًا﴾ ٥ بكم في ذلك ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فيما دعاهم إليه ودعتهم أنفسهم إلى خلافه ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ في حرمة نكاحهن عليهم ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ﴾ ذوو القرابات ﴿بَعْضُهُمْ

الله ﷺ زينب بن جحش، فمكثت معه مدة، ثم أخبر الله نبيه أنه زوجه زينب، فلما طلقها زيد، تزوجها رسول الله، فتكلم المنافقون وقالوا: تزوج محمد حليلة ابنه وهو يحرمها، فنزلت هذه الآية رداً عليهم، وستأتي هذه القصة في أثناء السورة. قوله: **(جمع دعيّ)** أي بمعنى مدعو وأصله دعيو، اجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون، قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء. قوله: **(أي اليهود)** تفسير للكاف في أفواهكم.

قوله: **﴿ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ﴾** روي عن عمر بن الخطاب قال: ما كنا ندعو زيد بن حارثة، إلا زيد ابن محمد، حتى نزلت **﴿ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ﴾**. قوله: **﴿هُوَ أَقْسَطُ﴾** أي دعاؤهم لآبائهم أبلغ في العدل والصدق. قوله: **﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾** أي فادعوهم بمادة الأخوة، بأن تقولوا له يا أخي مثلاً. قوله: **(بنو عمكم)** تفسير للموالي، فإنه يطلق على معان من جملتها ابن العم، والمعنى إذا لم تعرفوا نسب شخص، وأردتم خطابه، فقولوا له: يا ابن عمي مثلاً. قوله: **﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾** أي إثم قوله: **﴿وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ﴾** أي ولكن الجناح فيما تعمدته قلوبكم.

قوله: **﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾** أي أنه ﷺ أحق بكل مؤمن من نفسه كان في زمنه أولاً، فطاعة النبي مقدمة على طاعة النفس، في كل شيء من أمور الدين والدنيا، لأنها طاعة الله، قال تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ وإذا كان أولى بهم من أنفسهم، فهو أولى بمالهم وأولادهم وأزواجهم من أنفسهم بالأولى، فحقه ﷺ على أمته أعظم من حق السيد على عبده، وهذه الآية أعظم دليل على أنه ﷺ هو الواسطة العظمى في كل نعمة وصلت للخلق. قوله: **(فيما دعاهم إليه)** أي من أمور الدين أو الدنيا أو الآخرة، فإذا طلب النبي شيئاً من أمر الدنيا أو الدين، وطلبت النفس خلافه، فالحق في الطاعة للنبي، وحينئذ فلا يتأتى من النبي الغصب ولا السرقة، ولكن من كمال أخلاقه، أنه كان يتداين مع اليهود، ويشتري الشيء بالثمن، وإنما جعله الله أولى بالمؤمنين، لأنه ﷺ لا يفعل شيئاً عن هوى نفسه، بل عن وحي، فجميع أفعاله وأقواله عن ربه.

قوله: **﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾** أي من عقد عليهن، سواء دخل بهن أو لا، مات عنهن أو طلقهن، وسراريه اللاتي تمتع بهن كذلك. قوله: **(في حرمة نكاحهن عليهم)** أي والتعظيم والاحترام والبر، لا في

﴿أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ في الإرث ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ أي من الإرث بالإيمان والهجرة الذي كان أول الإسلام فنسخ ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا﴾ بوصية فجائز ﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾ أي نسخ الإرث بالإيمان والهجرة، بإرث ذوي الأرحام ﴿فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ ﴿٦﴾ وأريد بالكتاب في الموضعين اللوح المحفوظ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ حين أخرجوا من صلب آدم كالذر جمع ذرة وهي أصغر النمل ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ بأن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادته، وذكر الخمسة من عطف الخاص على العام ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ ﴿٧﴾ شديداً بالوفاء بما حملوه وهو اليمين بالله تعالى، ثم أخذ الميثاق ﴿لِّيَسْأَلَ﴾ الله ﴿الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ في تبليغ الرسالة تبكيتاً للكافرين بهم ﴿وَأَعَدَّ﴾ تعالى ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾

غير ذلك من النظر والخلوة، فإنهن في ذلك كالأجانب. قوله: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ﴾ مبتدأ، و ﴿بَعْضُهُمْ﴾ بدل أو مبتدأ ثان، و ﴿أَوْلَىٰ﴾ خبر. قوله: **(في الإرث)** أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، والتقدير الأقارب، أولى بإرث بعضهم، من أن يرثهم المؤمنون والمهاجرون الأجانب. قوله: **(أي من الإرث بالإيمان والهجرة)** أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ متعلق بأولى. يعني أن الأقارب أولى بإرث بعضهم، من الإرث بسبب الإيمان والهجرة الذي كان في صدر الإسلام، وذلك أن النبي ﷺ كان يؤاخي بين الرجلين، فإذا مات أحدهما ورثه الآخر دون عصبته، حتى نزلت ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾.

قوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا﴾ استثناء منقطع، ولذا فسره بلكن. قوله: ﴿إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ﴾ أي من توالونه من الأجانب. قوله: **(بوصية)** أي فلما نسخ الإرث بالإيمان والهجرة، توصل إلى نفع الأجانب بالوصية، وهي خارجة من ثلث المال. قوله: ﴿مَسْطُوراً﴾ أي مكتوباً. قوله: ﴿وَإِذَا أَخَذْنَا﴾ ظرف لمحذوف قدره بقوله: **(اذكر)**. قوله : **(وهي أصغر النمل)** أي فكل أربعين منها أصغر من جناح بعوضة. قوله: **(بأن يعبدوا الله)** أي يوحدوه، وهو تفسير للميثاق. قوله: **(ويدعوا إلى عبادته)** أي يبلغوا شرائعه للخلق، فعهد الأنبياء ليس كعهد مطلق الخلق. قوله: **(من عطف الخاص على العام)** أي والنكتة كونهم أولي العزم ومشاهير الرسل، وقدمه ﷺ لمزيد شرفه وتعظيمه قوله: **(بما حملوه)** أي وهو عبادة الله والدعاء إليها. قوله: **(وهو اليمين)** أي الحلف بالله على أن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادته، فالميثاق الثاني غير الأول، لأن الأول إيصاء على التوحيد، والدعوى إليه من غير يمين، والثاني مغلظ باليمين، والشيء مع غيره غيره في نفسه.

قوله: ﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ﴾ متعلق بأخذنا، وفي الكلام التفات من التكلم للغيبة، كما أشار له المفسر بقوله: **(ثم أخذ الميثاق)** والمراد بالصادقين الرسل. قوله: **(تبكيتاً للكافرين)** أي تقبيحاً عليهم، أي فالحكمة في سؤال الرسل عن صدقهم، وهو تبليغهم ما أمروا به، مع علمه تعالى أنهم صادقون التقبيح على الكفار يوم القيامة. قوله: **(هو عطف على أخذنا)** ويصح أن يكون في الكلام احتباك، وهو الحذف من الثاني، نظير ما أثبت الأول، والتقدير ليسأل الصادقين عن صدقهم، فأعد لهم نعيماً مقيماً، ويسأل الكافرين عما أجابوا به رسلهم، وأعد لهم عذاباً أليماً.

بهم ﴿عَذَابًا أَلِيمًا ۝٨﴾ مؤلماً هو عطف على أخذنا ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ﴾ هذا شروع في ذكر قصة غزوة الأحزاب، وكانت في شوال سنة أربع وقيل خمس، وسببها أنه لما وقع إجلاء بني النضير من أماكنهم، سار منهم جمع أكابرهم، منهم حيي بن أخطب، وكنانة بن الربيع، وأبو عمار الوائلي، في نفر من بني النضير، إلى أن قدموا مكة على قريش، فحرضوهم على حرب رسول الله ﷺ وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فقال أبو سفيان: مرحباً وأهلاً، وأحب الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد، ثم قالت قريش لأولئك اليهود: يا معشر اليهود، إنكم أهل الكتاب الأول، فأخبرونا أنحن على الحق أم محمد؟ فقالوا: بل أنتم على الحق، فأنزل الله ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب﴾ إلى قوله: ﴿وكفى بجهنم سعيرا﴾ فلما قالوا ذلك لقريش، سرهم ونشطوا لحرب محمد، ثم خرج أولئك اليهود، حتى جاؤوا غطفان وقيس غيلان فاجتمعوا على ذلك، وخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان، وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن، ولما تهيأ الكل للخروج، أتى ركب من خزاعة في أربع ليال، حتى أخبروا محمداً بما اجتمعوا عليه، فشرع في حفر الخندق، بإشارة سلمان الفارسي فقال له: يا رسول الله، إنا كنا بفارس إذا حاصرونا خندقنا علينا، فعمل فيه النبي والمسلمون حتى احكموه، وكان النبي يقطع لكل عشرة أربعين ذراعاً، ومكثوا في حفره ستة أيام، وقيل خمسة عشر، وقيل أربعة وعشرين، وقيل شهراً. قال عمرو بن عوف: كنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزني وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً، فحفرنا وإذا ببطن الخندق صخرة كسرت حديدنا وشقت علينا، فقلنا: يا سلمان ارق إلى رسول الله ﷺ وأخبره بخبر هذه الصخرة، فأتى سلمان إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله خرجت لنا صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق، فكسرت حديدنا وشقت علينا، فمرنا فيها بأمرك، فإنا لا نحب أن نجاوز خطتك، فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان إلى الخندق، وأخذ المعول مع سلمان، وضربها به ضربة صدعها، وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها، يعني المدينة، حتى كأن مصباحاً في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله ﷺ وكبر المسلمون معه، ثم ضربها الثانية، فبرق منها مثل الأول، فكبر رسول الله ﷺ وكبر المسلمون معه، ثم ضربها الثالثة فكسرها، فبرق منها برق مثل الأول، وأخذ بيد سلمان ورقي، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد رأيت شيئاً ما رأيت مثله قط، فالتفت رسول الله ﷺ إلى القوم وقال: «أرأيتم ما يقول سلمان»؟ قالوا: نعم، قال: ضربت ضربتي الأولى، فبرق البرق الذي رأيتم، فأضاء لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى، كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت الثانية، فبرق لي الذي رأيتم، أضاءت لي منها قصور قيصر من أرض الروم، كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت الثالثة، فبرق الذي رأيتم، أضاءت لي منها قصور صنعاء، كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها فأبشروا، فاستبشر المسلمون وقالوا: الحمد لله موعد صدق، وعدنا النصر بعد الحصر، فقال المنافقون: ألا تعجبون؟ يمنيكم ويعدكم الباطل، ويخبر أنه ينظر من يثرب، قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأنها تفتح لكم، وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا؟ فنزل قوله تعالى: ﴿وإذا يقول المنافقون والذي في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً﴾ وقوله تعالى: ﴿قل اللهم مالك الملك﴾ الآية فلما فرغوا من حفره، أقبلت قريش والقبائل وجملتهم اثنا عشر ألفاً، فنزلوا حول

المدينة، والخندق بينهم وبين المسلمين، فلما رأته قريش قالوا: هذه مكيدة لم تكن العرب تعرفها، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون معه، حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره والخندق بينهم وبين القوم، وخرج عدو الله حيي بن أخطب رئيس بني النضير، حتى أتى كعب بن أسد القرظي سيد بني قريظة، فلما سمع كعب حيياً، أغلق دونه حصنه، فاستأذن عليه، فأبى أن يفتح له وقال له: ويحك يا حيي إنك امرؤ ميشوم، إني عاهدت محمداً فلست بناقض، فإني لم أر منه إلا وفاء وصدقاً، فما زال حيي به ويقول له: جئتك بعز الدهر، حتى فتح له ونقض عهد رسول الله، فلما انتهى الخبر إلى رسول الله، بعث لهم سعد بن معاذ سيد الأوس، وسعد بن عبادة سيد الخزرج، وعبد الله بن رواحة، فوجدوهم نقضوا عهد رسول الله ﷺ، فشاتموهم وقالوا لهم: لا عهد بيننا وبينكم، ورجعوا وأخبروا رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين، فشرعوا يترامون مع المسلمين بالنبل، ومكثوا في ذلك الحصار خمسة عشر يوماً، وقيل أربعة وعشرين يوماً فاشتد على المسلمين الخوف، ثم إن نعيم بن مسعود الأشجعي من غطفان، جاء إلى رسول الله ﷺ فقال له: إني أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت، قال له رسول الله ﷺ؟ «أخذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة»، فخرج نعيم حتى أتى بني قريظة، وكان نديماً لهم في الجاهلية، فقال لهم: قد عرفتم ودي إياكم، وخاصة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت لست عندنا بمتهم، فقال لهم: إن قريشاً وغطفان جاؤوا لحرب محمد، وقد ظاهرتموهم عليه، وإن قريشاً وغطفان ليسوا كهيئتكم، البلد بلدكم، به أموالكم وأولادكم ونساؤكم، لا تقدرون على أن تتحولوا منه إلى غيره، وإن قريشاً وغطفان أموالهم وابناؤهم ونساؤهم بغيره، وإن رأوا نهزة وغنيمة أصابوا، وإن كان غير ذلك، لحقوا ببلادهم، وخلوا بينكم وبين هذا الرجل، ولا طاقة لكم عليه إن خلا بكم، فلا تقاتلوه مع القوم حتى تأخذوا رهناً من أشرافهم، يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمداً، حتى لا يتأخروا، قالوا: لقد أشرت برأي ونصح، ثم خرج حتى أتى قريشاً، فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه: قد عرفتم ودي إياكم وفراقي محمداً، فقد بلغني أمر، رأيت حقاً علي أن أبلغكم نصحاً لكم فاكتموا علي، قالوا: نفعل، قال: تعلمون أن معشر يهود، قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه أن قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك منا أن نأخذ من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم، فنعطيكم فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم، فأرسل إليهم أن نعم، فإن بعث إليكم يهود يلتمسون رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً، ثم خرج حتى أتى غطفان، فقال: يا معشر غطفان، أنتم أهلي وعشيرتي وأحب الناس إلي، ولا أراكم تتهموني، قالوا: صدقت، قال: فاكتموا علي، قالوا: نفعل، فقال لهم مثل ما قال لقريش، وحذرهم مثل ما حذرهم، فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس، وكان مما صنع الله لرسوله ﷺ، أرسل أبو سفيان ورؤوس غطفان إلى بني قريظة فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام، قد هلك الخف والحافر، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً، ونفرغ مما بيننا وبينه، فأرسلوا إليهم أن اليوم السبت، لا وهو يوم نعمل فيه شيئاً، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً، فأصابهم ما لم يخف عليكم، ولسنا من الذين نقاتل معكم، حتى تعطونا رهناً من رجالكم، يكون بأيدينا ثقة لنا، حتى نناجز معكم محمداً، فإنا نخشى إن ضرمتكم الحرب، واشتد عليكم القتال، أن تسيروا إلى بلادكم وتتركونا، والرجل

﴿جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ﴾ من الكفار متحزبون أيام حفر الخندق ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ﴾ من الملائكة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ بالتاء من حفر الخندق، وبالياء من تحزيب المشركين

في بلادنا، ولا طاقة لنا بذلك من محمد، فلما رجعت إليهم الرسل بالذي قالت بنو قريظة، قالت قريش وغطفان: تعلمون والله أن الذي حدثكم به نعيم بن مسعود لحق، فأرسلوا إلى بني قريظة إنا والله لا ندفع إليكم رجلًا واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا، فقالت بنو قريظة حين انتهت إليهم الرسل بهذا: إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا، فإن وجدوا فرصة انتهزوها، وإن كان غير ذلك انتهزوا إلى بلادهم، وخلوا بينكم وبين الرجل في بلادكم، فأرسلوا إلى قريش وغطفان، إنا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً، فأبوا عليهم، وخذل الله عز وجل بينهم، وبعث الله عليهم ريحاً عاصفاً، وهي ريح الصبا، في ليلة شديدة البرد والظلمة، فقلعت بيوتهم، وقطعت أطنابهم، وكفأت قدورهم، وصارت تلقي الرجل على الأرض، وأرسل الله الملائكة فزلزلتهم ولم تقاتل، بل نفثت في قلوبهم الرعب، ثم إن رسول الله ﷺ قال: «من يقوم فيذهب إلى هؤلاء القوم فيأتينا بخبرهم»، أدخله الله الجنة، فما قام منا رجل، ثم صلى رسول الله ﷺ هوياً من الليل، ثم التفت الينا فقال مثله، فسكت القوم، وما قام منا أحد، ثم صلى هوياً من الليل، ثم التفت الينا فقال مثله، فسكت القوم، وما قام منا أحد من شدة الخوف والجوع والبرد، ثم قال: يا حذيفة، فقلت: لبيك يا رسول الله وقمت حتى أتيته، فأخذ بيدي ومسح رأسي ووجهي ثم قال: ائت هؤلاء القوم حتى تأتيني بخبرهم، ولا تحدثن شيئاً حتى ترجع إلي، ثم قال: اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه ومن تحته، فأخذت سهمي ثم انطلقت أمشي نحوهم، كأنما أمشي في حمام، فذهبت فدخلت في القوم، وقد أرسل الله عليهم ريحاً وجنوداً لله تفعل بهم ما تفعل، لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء، وأبو سفيان قاعد يصطلي، فأخذت سهماً فوضعته في كبد قوسي، فأردت أن أرميه، ولو رميته لأصبته، فذكرت قول رسول الله ﷺ لا تحدثن حدثاً حتى ترجع، فرددت سهمي في كنانتي، فلما رأى أبو سفيان ما تفعل الريح وجنود الله بهم، لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء، فقال يا معشر قريش، ليأخذ كل منكم بيد جليسه فلينظر من هو، فأخذت بيد جليسي فقلت: من أنت؟ فقال: سبحان الله ما تعرفني؟ أنا فلان بن فلان رجل من هوزان، فقال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، فقد هلك الكراع والخف، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون، فارتحلوا فإني مرتحل، ثم قام إلى جمله وهو معقول، فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث، فما أطلق عقاله إلا وهو قائم، وسمعت غطفان بما فعلت قريش، فاستمروا راجعين إلى بلادهم، قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ كأني أمشي في حمام، فأتيته وهو قائم يصلي، فلما سلم أخبرته، فضحك حتى بدت أنيابه في سواد الليل، فلما أخبرته وفرغت قررت وذهب عني الدفأ، فأتاني النبي ﷺ فأنامني عند رجليه، وألقى علي طرف ثوبه، وألصق صدري ببطن قدميه، فلم أزل نائماً حتى أصبحت، فلما أصبحت قال: قم يا نومان.

قوله: ﴿إِذْ جَاؤُكُمْ﴾ بدل من ﴿نِعْمَةَ﴾ والعامل ﴿اذْكُرُوا﴾. قوله: (متحزبون) أي مجتمعون، وتقدم أنهم كانوا اثني عشر ألفاً، وكان المسلمون إذ ذاك ثلاثة آلاف، والمنافقون من جملتهم. قوله: ﴿رِيحاً﴾ أي من الصبا التي تهب من المشرق ولم تتجاوزهم. قوله: (ملائكة) أي وكانوا ألفاً ولم يقاتلوا،

﴿بَصِيرًا﴾ ﴿٩﴾ ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ من أعلى الوادي وأسفله، من المشرق والمغرب ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ مالت عن كل شيء إلى عدوها من كل جانب ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ جمع حنجرة وهي منتهى الحلقوم من شدة الخوف ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ ﴿١٠﴾ المختلفة بالنصر واليأس ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ اختبروا ليتبين المخلص من غيره ﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾ حركوا ﴿زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ ﴿١١﴾ من شدة الفزع ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ضعف اعتقاد ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ بالنصر ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ ﴿١٢﴾ باطلاً ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ أي المنافقين ﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ﴾ هي أرض المدينة ولم تصرف للعلمية ووزن الفعل ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ بضم الميم وفتحها، أي لا إقامة ولا مكانة ﴿فَٱرْجِعُوا۟﴾ إلى منازلكم من المدينة، وكانوا خرجوا مع النبي ﷺ إلى سلع، جبل خارج المدينة للقتال ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ﴾ في الرجوع ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ غير حصينة يخشى عليها، قال تعالى: ﴿وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن﴾ ما ﴿يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ ﴿١٣﴾ من القتال ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ﴾ أي المدينة ﴿عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ نواحيها

وإنما ألقوا الرعب في قلوبهم. قوله: **(وبالياء)** أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: **﴿إِذْ جَاؤُوكُمْ﴾** بدل من إذا جاءتكم. قوله: **(من أعلى الوادي)** أي وهم أسد وغطفان. قوله: **(وأسفله)** أي وهم قريش وكنانة. قوله: **(من المشرق والمغرب)** لف ونشر مرتب. قوله: **(من كل جانب)** أي المحيط من كل جانب. قوله: **(وهي منتهى الحلقوم)** أي من أسفله. قوله: **﴿الظُّنُونَا﴾** بألف بعد النون وصلاً ووقفاً، وبدونها في الحالين، وبإثباتها وقفاً، وحذفها وصلاً، ثلاث قراءات سبعيات، وتجري في قوله أيضاً﴿السبيلا﴾و ﴿الرسولا﴾في آخر السورة. قوله: **(بالنصر)** أي من المؤمنين، وقوله: **(واليأس)** أي من المنافقين وبعض الضعفاء. قوله: **﴿هُنَالِكَ﴾** ظرف مكان أي في ذلك المكان وهو الخندق. قوله: **﴿زِلْزَالاً﴾** بكسر الزاي في قراءة العامة، وقرىء شذوذاً بفتح الزاي، وهما لغتان في مصدر الفعل المضعف إذا جاء على فعلال، كصلصال وقلقال.

قوله: **﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾** إلخ، القائل معتب بن بشير، وقال أيضاً: يعدنا محمد بفتح فارس والروم، وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقاً وخوفاً، ما هذا إلا وعد غرور. قوله: **﴿وَإِذْ قَالَت طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾** القائل وهو أوس بن قيظي، بكسر الظاء المعجمة من رؤساء المنافقين. قوله: **(هي أرض المدينة)** أي فسميت باسم رجل من العمالقة كان نزلها قديماً، وقد نهى النبي ﷺ عن تسميتها بذلك، وسماها طيبة وطابة وقبة الإسلام ودار الهجرة. قوله: **(ووزن الفعل)** أي فهي على وزن يضرب. قوله: **(بضم الميم وفتحها)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(ولا مكانة)** أي تمكنا فهو بمعنى الإقامة. قوله: **(جبل خارج المدينة)** أي بينها وبين الخندق، فجعل المسلمون ظهورهم إليه ووجوهم للعدو.

قوله: **﴿وَيَسْتَأْذِنُ﴾** عطف على **﴿قَالَتْ طَائِفَةٌ﴾** وعبر بالمضارع استحضاراً للصورة. قوله: **(يخشى عليها)** أي من السراق لكونها قصيرة البناء. قوله: **(قال تعالى)** أي تكذيباً لهم. قوله: **﴿وَلَوْ دُخِلَتْ**

﴿ثُمَّ سُئِلُوا﴾ أي سألهم الداخلون ﴿الْفِتْنَةَ﴾ الشرك ﴿لَآتَوْهَا﴾ بالمد والقصر، أي أعطوها وفعلوها ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾﴾ عن الوفاء به ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا﴾ إن فررتم ﴿لَّا تُمَتَّعُونَ﴾ في الدنيا بعد فراركم ﴿إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾﴾ بقية آجالكم ﴿قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم﴾ يجيركم ﴿مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا﴾ هلاكاً وهزيمة ﴿أَوْ﴾ يصيبكم بسوء إن ﴿أَرَادَ﴾ الله ﴿بِكُمْ رَحْمَةً﴾ خيراً ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿وَلِيًّا﴾ ينفعهم ﴿وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾ يدفع الضر عنهم ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ﴾ المثبطين ﴿مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ﴾ تعالوا ﴿إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ﴾ القتال ﴿إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾﴾ رياء وسمعة ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ بالمعاونة جمع شحيح، وهو حال من ضمير يأتون ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ

عَلَيْهِمْ﴾ أي دخلها الأحزاب. قوله: **(الشرك)** أي ومقاتلة المسلمين. قوله: **(بالمد والقصر)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(أي أعطوها وفعلوها)** لف ونشر مرتب. قوله: **﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيراً﴾** أي أقاموا بالمدينة بعد نقض العهد وإظهار الكفر وقتال المسلمين إلا زمناً قليلاً ويهلكون، فالعزة لله ورسوله والمسلمين، فالمعنى لو دخل الكفار المدينة، وارتد هؤلاء المنافقون، وقاتلوكم مع الكفار، لأخذ الله بأيديكم سريعاً بقطع دابرهم، فلا تخشوا منهم داخل المدينة أو خارجها. قوله: **﴿مِنْ قَبْلُ﴾** أي قبل غزوة الخندق. قوله: **﴿لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ﴾** أي بل يثبتون على القتال حتى يموتوا شهداء. قوله: **﴿مَسْؤُولاً﴾(عن الوفاء به)** أي مسؤولاً صاحبه هل وفى به أم لا.

قوله: **﴿إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوتِ أَوْ الْقَتْلِ﴾** أي لأنه مصيبكم لا محالة. قوله: **﴿وَإِذَا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلاً﴾** أي وإن نفعكم الفرار وتمتعتم بالتأخير، لم يكن ذلك التمتع إلا زمناً قليلاً. قوله: **﴿أو أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾** قدر له المفسر عاملاً يناسبه وهو قوله: **﴿أَوْ﴾(يصيبكم بسوء)** لأنه لا يصلح لتساقط العامل السابق وهو **﴿يَعْصِمُكُمْ﴾** على حد: علفتها تبناً وماء بارداً. قوله: **(المثبطين)** أي المكسلين غيرهم من القتال في سبيل الله وهم المنافقون.

قوله: **﴿وَالْقَائِلِينَ﴾** عطف على **﴿الْمُعَوِّقِينَ﴾** وقوله: **﴿لإِخْوَانِهِمْ﴾** أي في الكفر والعداوة لرسول الله ﷺ، والمراد بالقائلين اليهود من بين قريظة. قوله: **﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾** اسم فعل، ويلزم صيغة واحدة للواحد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث، وهذه لغة أهل الحجاز، وعند تميم هو فعل أمر، تلحقه العلامات الدالة على التثنية والجمع والتأنيث، ومقتضى عبارة المفسر أنه لازم حيث فسره بتعالوا، ويصح جعله متعدياً بمعنى قربوا، ومفعوله محذوف، والتقدير أنفسكم إلينا. قوله: **(رياء وسمعة)** أي لأن شأن من يكسل غيره عن الحرب لا يفعله إلا قليلاً لغرض خبيث.

قوله: **﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾** أي مانعين للخير عنكم. قوله: **(جمع شحيح)** هذا هو المسموع فيه وقياسه أفعلاء، كخليل وأخلاء، والشح البخل. قوله: **﴿رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾** إلخ، هذا وصف لهم بالجبن،

﴿كَٱلَّذِى﴾ كنظر أو كدوران الذي ﴿يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ أي سكراته ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ﴾ وحيزت الغنائم ﴿سَلَقُوكُم﴾ آذوكم أو ضربوكم ﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ أي الغنيمة يطلبونها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ حقيقة ﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ الإحباط ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ ﴿١٩﴾ بإرادته ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ﴾ من الكفار ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾ إلى مكة لخوفهم منهم ﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ﴾ كرة أخرى ﴿يَوَدُّوا﴾ يتمنوا ﴿لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ﴾ أي كائنون في البادية ﴿يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ﴾ أخباركم مع الكفار ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُم﴾ هذه الكرة ﴿مَّا قَٰتَلُوٓا إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٢٠﴾ رياء وخوفاً من التعيير ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ﴾ بكسر الهمزة وضمها ﴿حَسَنَةٌ﴾ اقتداء به في القتال والثبات في مواطنه ﴿لِّمَن﴾ بدل من لكم ﴿كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ﴾ يخافه ﴿وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ ﴿٢١﴾ بخلاف من ليس كذلك ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ﴾ من

لأن شأن الجبان الخائف ينظر يميناً وشمالاً، شاخصاً ببصره. قوله: **(كنظر أو كدوران)** أشار بذلك إلى أن قوله: **﴿كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ﴾** نعت لمصدر محذوف من **﴿يَنْظُرُونَ﴾** أو من **﴿تَدُورُ﴾**. قوله: **﴿كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾** أي لأنه يشخص ببصره ويذهب عقله. قوله: **﴿سَلَقُوكُمْ﴾** السلق بسط العضو ومده للقهر، كان يداً أو لساناً، ففي الآية استعارة بالكناية، حيث شبه اللسان بالسيف، وطوى ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو السلق بمعنى الضرب، فإثباته تخييل والحداد ترشيح. قوله: **﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيرِ﴾** أي مانعين له، فلا نفع في أنفسهم ولا في مالهم. قوله: **﴿لَمْ يُؤْمِنُوا﴾(حقيقة)** أي بقلوبهم وإن أسلموا ظاهراً.

قوله: **﴿فَأَحْبَطَ الله أَعْمَالَهُمْ﴾** أي أظهر بطلانها. قوله: **﴿يَحْسَبُونَ﴾** أي المنافقون لشدة جبنهم. قوله: **﴿الأَحْزَابَ﴾** أي قريشاً وغطفان واليهود. قوله: **﴿لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ﴾** أي ساكنون في البادية خارج المدينة، ليكونوا في بعد عن الأحزاب. قوله: **﴿يَسْئَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾** يصح أن يكون حالاً من الواو في **﴿بَادُونَ﴾** أو جملة مستأنفة، والمعنى يسألون كل قادم من جانب المدينة، عما جرى بينكم وبين الكفار، وقائلين فيما بينهم: إن غلب المسلمون قاسمناهم في الغنيمة، وإن غلب الكفار فنحن معهم.

قوله: **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾** هذه الآية وما بعدها إلى قوله: **﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾** من تمام قصة الأحزاب، وفيها عتاب للمتخلفين عن القتال مع رسول الله ﷺ من المؤمنين والمنافقين. قوله: **(بكسر الهمزة وضمها)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(اقتداء)** أشار بذلك إلى أن الأسوة اسم بمعنى المصدر وهو الائتساء، يقال ائتسى فلان بفلان أي اقتدى به. قوله: **(في القتال)** لا مفهوم له، بل الاقتداء برسول الله ﷺ واجب في الأقوال والأفعال والأحوال، لأنه لا ينطق ولا يفعل عن هوى، بل جميع أفعاله وأقواله وأحواله عن ربه، ولذا قال العارف:

وخصك بالهدى في كل أمر فلست تشاء إلا ما يشاء

وإنما خص القتال بالذكر لأنه معرض السبب. قوله: **﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُو الله وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾** أي فالمتصف بهذه الأوصاف، ثبتت له الأسوة الحسنة في رسول الله، وأما من لم يكن متصفاً بتلك الأوصاف،

الكفار ﴿قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ من الابتلاء والنصر ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ في الوعد ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ ذلك ﴿إِلَّآ إِيمَٰنًا﴾ تصديقاً بوعد الله ﴿وَتَسْلِيمًا ٢٢﴾ لأمره ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ من الثبات مع النبي ﷺ ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ مات أو قتل في سبيل الله ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ ذلك ﴿وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ٢٣﴾ في العهد وهم بخلاف حال المنافقين ﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ﴾ بأن يميتهم على نفاقهم ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لمن تاب ﴿رَّحِيمًا ٢٤﴾ به ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي الأحزاب ﴿بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا﴾ مرادهم من الظفر بالمؤمنين ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ بالريح والملائكة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا﴾ على إيجاد ما يريده ﴿عَزِيزًا﴾ غالباً على أمره ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي قريظة ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ حصونهم جمع صيصية وهو ما يتحصن به

فليس كذلك. قوله: ﴿وَذَكَرَ الله كَثِيراً﴾ أي بلسانه أو جنانه أو ما هو أعم. قوله: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ﴾ أي أبصروهم محدقين حول المدينة. قوله: ﴿قَالُوا هٰذَا مَا وَعَدَنَا الله﴾ أي بقوله: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾. وقوله: ﴿وَرَسُولُهُ﴾ أي بقوله: إن الأحزاب سائرون إليكم بعد تسع ليال أو عشر، والعاقبة لكم عليهم. قوله: ﴿وَصَدَقَ الله وَرَسُولُهُ﴾ أي ظهر صدق خبر الله ورسوله في الوعد بالنصر، فاستبشروا بالنصر قبل حصوله، وأظهر في محل الإضمار، وزيادة في تعظيم اسم الله، ولأنه لو أضمر الجمع بين اسم الله واسم رسوله في ضمير واحد، مع أن النبي ﷺ عاب على من قال: من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى، فقال له: بئس خطيب القوم أنت، قل: ﴿ومن يعص الله ورسوله﴾. قوله: ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾(ذلك) أي والوعد أو الصدق.

قوله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا﴾ إلخ، هم جماعة من الصحابة نذروا أنهم إذا أدركوا حرباً مع رسول الله ﷺ ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا. قوله: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾ أي وفى نذره بموته في القتال، يقال: نحب ينحب، من باب قتل نذر، ومن باب ضرب بكى. قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾(ذلك) أي قضاء النحب بالموت في سبيل الله. قوله: (بخلاف حال المنافقين) أي فقد بدلوا وغيروا، فكان الواحد منهم إذا أراد القتال، إنما يقاتل خوفاً على نفسه وماله، لا طمعاً في رضا الله. قوله: ﴿لِيَجْزِيَ الله الصَّادِقِينَ﴾ متعلق بمحذوف تقديره خلق المؤمنين والمنافقين وفرق بين نياتهم ليجزي الله، إلخ. قوله: (بأن يميتهم على نفاقهم) أشار بذلك إلى أن مفعول ﴿شَاءَ﴾ محذوف، ودفع بذلك ما يقال: إن عذابهم متحتم، فكيف علق على المشيئة؟ فالتعليق بحسب علمنا، وأما في علم الله فالأمر محتم، إما بالسعادة أو الشقاوة، وسيظهر ذلك للعباد. قوله: ﴿بِغَيْظِهِمْ﴾ الجملة حالية أي ملتبسين بالغيظ. قوله: ﴿لَمْ يَنَالُوا خَيْراً﴾ حال ثانية. قوله: ﴿وَكَفَى الله الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ أي لم يحصل بينهم اختلاط في الحرب، وإنما كان بينهم ضرب بالسهام والخندق بينهم. قوله: (بالريح) أي فكفأت قدورهم وقطعت خيامهم. قوله: (والملائكة) أي بإلقاء الرعب في قلوبهم، وتقدم بسط ذلك في القصة.

قوله: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ إلخ، شروع في ذكر قصة بني قريظة، وذكرت

﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ الخوف ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ منهم وهم المقاتلة ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ ﴿٢٦﴾ منهم أي الذراري ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ بعد وهي خيبر أخذت بعد قريظة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ وهن تسع وطلبن

عقب الأحزاب، لكون بني قريظة كانوا من جملة الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ وأصحابه ونقضوا عهده وحاربوه، قال العلماء بالسير: لما أصبح رسول الله ﷺ من الليلة التي انصرف فيها الأحزاب راجعين إلى بلادهم، انصرف هو والمؤمنون إلى المدينة ووضعوا السلاح، فلما كان الظهر، أتى جبريل وعليه عمامة من إستبرق، راكباً على بغلة بيضاء، عليها قطيفة من ديباج، ورسول الله ﷺ عند زينب بنت جحش وهي تغسل رأسه، وقد غسلت شقه الأيمن، فقال: يا رسول الله قد وضعت السلاح؟ قال: نعم، قال جبريل: عفا الله عنك، وما وضعت الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم، فقال: إن الله يأمرك بالسير إلى بني قريظة فانهض اليهم، فإني قد قطعت أوتارهم، وفتحت أبوابهم، وتركتهم في زلزال، وألقيت الرعب في قلوبهم، فأمر رسول الله ﷺ منادياً ينادي: إن من كان مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة، فحاصرهم المسلمون خمساً وعشرين ليلة، حتى جهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فقال لهم رسول الله ﷺ: أتنزلون على حكمي؟ فأبوا فقال: أتنزلون على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس؟ فرضوا به، فحكمه فيهم، فقال سعد: إني أحكم فيهم، أن تقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبى الذراري ـ النساء ـ فقال ﷺ: ﴿لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات﴾، فحبسهم رسول الله ﷺ في دار بنت الحرث، من نساء بني النجار، ثم خرج إلى سوق المدينة الذي هو سوقها اليوم، فخندق فيه خندقاً، ثم بعث إليهم، فأتى بهم اليه وفيهم حيي بن أخطب رئيس بني النضير، وكعب بن أسد رئيس بني قريظة، وكانوا ستمائة أو سبعمائة، فأمر علياً والزبير بضرب أعناقهم، وطرحهم في ذلك الخندق، فلما فرغ من قتلهم وانقضى في شأنهم، توفي سعد المذكور بالجرح الذي أصابه في وقعة الأحزاب، وحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، قالت عائشة: فوالذي نفس محمد بيده. إني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حجرتي، قالت: وكانوا كما قال الله تعالى ﴿رحماء بينهم﴾. قوله: (وهو ما يتحصن به) أي سواء كان من الحصون أو لا، حتى الشوكة والقرن وباب الدار ونحو ذلك، تسمى صيصية.

قوله: ﴿فَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾ بيان لما فعل بهم. قوله: (وهم المقاتلة) أي وكانوا ستمائة وقيل سبعمائة. قوله: (أي الذراري) أي وكانوا سبعمائة وقيل وخمسين. قوله: (بعد) أي الآن وعبر بالماضي لتحقق الحصول. قوله: (وهي خيبر) أي وغيرها من كل أرض ظهر عليها المسلمون بعد ذلك إلى يوم القيامة. قوله: (أخذت بعد قريظة) أي بسنتين أو ثلاث، على الخلاف المتقدم في قريظة، هل هي في الرابعة أو الخامسة، وخيبر كانت في السابعة في أول محرم، هي مدينة كبيرة ذات حصون ثمانية، وذات مزارع ونخل كثير، بينها وبين المدينة الشريفة أربع مراحل، فأقبل عليها صبيحة النهار، وفي تلك الليلة لم يصح لهم ديك ولم يتحركوا، وكان فيها عشرة آلاف مقاتل، فنزل رسول الله ﷺ عليها وحاصرها، وبنى هناك مسجداً صلى به طول مقامه عندها، وقطع من نخلها أربعمائة نخلة، وسبى أهلها، وأصاب من سبيها صفية بنت حيي بن أخطب رئيس بني النضير، وكانت وقعت في سهم دحية الكلبي، فتنازع بعض

منه من زينة الدنيا ما ليس عنده ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾ أي متعة الطلاق ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ ﴿٢٨﴾ أطلقكن من غير ضرار ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ﴾ أي الجنة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ﴾ بإرادة الآخرة ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٢٩﴾

الصحابة في شأن ذلك، فأخذها رسول الله وأرضاه، وكانت من سبط هارون أخي موسى، فأسلمت ثم أعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ﴾ اختلف المفسرون في هذا التخيير، هل كان تفويضاً في الطلاق إليهن، فيقع بنفس الاختيار، أم لا؟ فذهب الحسن وقتادة وأكثر أهل العلم، إلى أنه لم يكن تفويضاً في الطلاق، وإنما خيرهن على أنهن إن اخترن الدنيا فارقهن، لقوله تعالى: ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ﴾ وذهب قوم إلى أنه كان تفويضاً، وأنهن لو اخترن الدنيا لكان طلاقاً، فلا يحتاج لإنشاء صيغة من رسول الله ﷺ. قوله: (وهن تسع) أي وهن اللاتي مات عنهن، وقد جمعهن بعض العلماء بقوله:

توفي رسول الله عن تسع نسوة	إليهن تعزى المكرمات وتنسب
فعائشة ميمونة وصفية	وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة	ثلاث وست نظمهن مهذب

فعائشة هي بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، وميمونة بنت الحرث الهلالية، وصفية بنت حيي بن أخطب من بني النضير، وهند هي أم سلمة بنت أبي أمية، وزينب بنت جحش، وجويرية بنت الحرث الخزاعية المصطلقية، ورملة هي أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرث، وسودة هي بنت زمعة. قوله: ﴿إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي التنعم فيها. قوله: ﴿وَزِينَتَهَا﴾ أي زخارفها، روي أن أبا بكر جاء ليستأذن على رسول الله ﷺ، فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد منهم، قال: فأذن لأبي بكر فدخل، ثم جاء عمر فاستأذن فأذن له فدخل فوجد النبي ﷺ جالساً واجماً ساكتاً وحوله نساؤه، قال عمر: فقلت: والله لأقولن شيئاً أضحك به النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة، فقمت إليها فوجأت عنقها، فضحك النبي ﷺ وقال: هن حولي كما ترى يسألنني النفقة، فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها، وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: تسألن رسول الله ما ليس عنده، فقلن: والله لا نسأل رسول الله ﷺ شيئاً أبداً ما ليس عنده، ثم اعتزلهن شهراً، ثم نزلت هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ﴾ حتى بلغ ﴿لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً﴾ قال: فبدأ بعائشة فقال: يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمراً، أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك، قالت: وما هو يا رسول الله؟ فتلا عليها الآية، قالت: أفيك يا رسول الله أستشير أبوي، بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة، وكلهن قلن كما قالت عائشة، فشكر لهن ذلك، فأنزل الله ﴿لا يحل لك النساء من بعد﴾ ثم رفع ذلك الحرج بقوله تعالى: ﴿وما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له﴾ وبقوله: ﴿ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء﴾.

قوله: ﴿فَتَعَالَيْنَ﴾ فعل أمر مبني على السكون، ونون النسوة فاعل. قوله: ﴿أُمَتِّعْكُنَّ﴾ جواب الشرط وما بينهما اعتراض، ويصح أن يكون مجزوماً في جواب الأمر، والجواب ﴿فَتَعَالَيْنَ﴾ قوله:

أي الجنة فاخترن الآخرة على الدنيا ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾ بفتح الياء وكسرها أي بينت أو هي بينة ﴿يُضَٰعَفْ﴾ وفي قراءة يضعف بالتشديد، وفي أخرى نضعف بالنون معه ونصب العذاب ﴿لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ ضعفي عذاب غيرهن أي مثليه ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿ وَمَن يَقْنُتْ﴾ يطع ﴿ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ أي مثلي ثواب غيرهن من النساء، وفي قراءة بالتحتية في تعمل ونؤتها ﴿ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ ﴿٣١﴾ في الجنة زيادة ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ﴾ كجماعة ﴿مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾ الله

(**أطلقكن من غير ضرار**) أي من غير تعب ومشقة. قوله: (**فاخترن الآخرة على الدنيا**) أي ودمن على ذلك، فكن زاهدات في الدنيا، حتى ورد أن عائشة دخل عليها ثمانون ألف درهم من بيت المال، فأمرت جاريتها بتفرقتها ففرقتها في مجلس واحد، فلما فرغت طلبت عائشة منها شيئاً تفطر به وكانت صائمة، فلم تجد منها شيئاً.

قوله: ﴿**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ**﴾ إلخ، هذه الآيات خطاب من الله لأزواج النبي ﷺ إظهاراً لفضلهن وعظم قدرهن عند الله تعالى، لأن العتاب والتشديد في الخطاب، مشعر برفعة رتبتهن لشدة قربهن من رسول الله ﷺ، لأنهن ضجيعاته في الجنة، فبقدر القرب من رسول الله يكون القرب من الله، خلافاً لمن شذ وزعم أن حب النبي والقرب منه والتعلق به شرك. قوله: ﴿**بِفَاحِشَةٍ**﴾ قيل المراد بها الزنا، والمعنى لو وقع من واحدة منكن هذا الفعل، لحدت حدين، لعظم قدرها، كالحر بالنسبة للأمة، وعلى هذا القول فلا خصوصية لنساء النبي، بل جميع نساء الأنبياء مصونات من الزنا، ولذا قال ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط، وإنما خانت امرأة نوح ولوط في الإيمان والطاعة، وقيل المراد بها النشوز وسوء الخلق، وقيل الفاحشة إذا وردت معرفة فهي الزنا واللواط، وإن وردت منكرة فهي سائر المعاصي، وإن وردت منعوتة كما هنا، فهي عقوق الزوج وسوء عشرته، وقيل المراد بها جميع المعاصي وهو الأظهر، وهذا على سبيل الفرض والتقدير على حد: لئن أشركت ليحبطن عملك، وإلا فنساء النبي مطهرات مصونات من الفواحش. قوله: (**بفتح الياء وكسرها**) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (**أي بينت**) إلخ، لف ونشر مرتب. قوله: (**وفي قراءة يضعف**) أي والثلاث سبعيات. قوله: (**العذاب**) أي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة. قوله: (**أي مثليه**) أي فضعف الشيء مثله، وضعفاه مثلاه، وأضعافه أمثاله.

قوله: ﴿**وَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً**﴾ أي سهلاً، فلا يبالي الله بأحد وإن عظمت رتبته، فليس أمر الله كأمر الخلق بترك تعذيب الأعزة حيث أذنبوا، لكثرة أوليائهم وأعوانهم، بل المكرم عند الله هو التقي. قوله: ﴿**وَتَعْمَلْ صَالِحاً**﴾ أي تدم عليه، وفيه مراعاة معنى من على قراءة التاء، ومراعاة لفظها على قراءة الياء. قوله: ﴿**مَرَّتَيْنِ**﴾ أي مرة على الطاعة والتقوى، ومرة أخرى على خدمة رسول الله ﷺ الخدمة الباطنية التي لا تتيسر من غيرهن.

قوله: ﴿**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ**﴾ تقدم أن حكمة التشديد عليهن، شدة قربهن من رسول الله ﷺ، وهو دليل على رفعة قدرهن وعظم رتبتهن، فلا يليق منهن التوغل في الشهوات وتطلب زينة الدنيا، لأن رسول الله ﷺ قال: «لست من الدنيا وليست الدنيا مني». والمقربون منه كذلك، والمعنى

فإنكن أعظم ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ للرجال ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ نفاق ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٣٢﴾ من غير خضوع ﴿وَقَرْنَ﴾ بكسر القاف وفتحها ﴿فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ من القرار وأصله اقررن بكسر الراء وفتحها من قررت بفتح الراء وكسرها، نقلت حركة الراء إلى القاف وحذفت مع همزة الوصل ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ بترك إحدى التاءين من أصله ﴿تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي ما قبل الإسلام من إظهار النساء محاسنهن للرجال، والإظهار بعد الإسلام مذكور في آية ﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾ ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ

ليست الواحدة منكن كالواحدة من آحاد النساء، فالتفاضل في الأفراد. قوله: ﴿إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه، كما يشير له المفسر بقوله: **(فإنكن أعظم)** والمعنى أن اتقيتن الله، فلا يقاس بالواحدة منكن واحدة من سائر النساء. قوله: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ﴾ كلام مستأنف مفرع على التقوى. قوله: ﴿بِالْقَوْلِ﴾ أي بأن تتكلمن بكلام رقيق يميل قلوب الرجال إليكن، إذ لا يليق منكن ذلك، لكونكن أعظم النساء.

قوله: ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ في ذلك احتراس عما يقال: إنهن أمهات المؤمنين، والإنسان لا يطمع في أمه، فأجاب: بأن الذي يقع منه الطمع إنما هو النفاق، لأن شهوته حاصلة معه، وهو منزوع الخشية والخوف من الله، ولكن نهين عموماً سداً للذريعة. قوله: ﴿قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾ أي حسناً، فيه تعظيم الكبير ورحمة الصغير لا ريبة فيه. قوله: **(بكسر القاف وفتحها)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(من القرار)** أي الثبات بيان لمعنى القراءتين. قوله: **(وأصله اقررن بكسر الراء)** أي من باب ضرب، وقوله: **(وفتحها)** أي من باب علم، فماضي الأول مفتوح، والأمر مكسور، والثاني بالعكس. قوله: **(نقلت حركة الراء)** أي الأولى، وحركتها إما كسرة على الأول، أو فتحة على الثاني. قوله: **(مع همزة الوصل)** أي الاستغناء عنها بتحريك القاف، والمعنى اثبتن في بيوتكن ولا تخرجن إلا لضرورة.

قوله: ﴿تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأولى﴾ اختلف في زمنها، فقيل هي ما قبل بعثة إبراهيم، وقيل ما بين آدم ونوح، وقيل ما بين نوح وإدريس، وقيل ما بين نوح وابراهيم، وقيل ما بين موسى وعيسى، وقيل ما بين عيسى ومحمد ﷺ، وقيل هي ما قبل الإسلام مطلقاً، وعليه اقتصر المفسر، وجعلها أولى بالنسبة إلى ما كن عليه، وليس المعنى أن ثم جاهلية أخرى. قوله: **(من اظهار محاسنهن للرجال)** أي فكانت المرأة تلبس القميص من الدر غير مخيط الجانبين، وكانت النساء يظهرن ما يقبح اظهاره، حتى كانت المرأة تجلس مع زوجها وخلها، فينفرد خلها بما فوق الإزار، وينفرد زوجها بما دون الإزار إلى أسفل، وربما سأل أحدهما صاحبه البدل. قوله: **(والإظهار بعد الإسلام)** إلخ، جواب عما يقال: إن اظهار الزينة واقع من فسقة النساء بعد الإسلام، فلا حاجة لذكر الجاهلية الأولى، فأجاب: بأنه تقدم النهي عنه في قوله: ﴿ولا يبدين زينتهن﴾.

قوله: ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ﴾ أي بشروطها وآدابها. قوله: ﴿وَآتِينَ الزَّكُوةَ﴾ أي لمستحقيها. قوله: ﴿وَأَطِعْنَ الله وَرَسُولَهُ﴾ أي في جميع الأوامر والنواهي، فلا تليق منكن المخالفة فيما أمر الله ورسوله به.

عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ الإثم يا ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ أي نساء النبي ﷺ ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ منه ﴿تَطْهِيرًا﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةِ﴾ السنة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا﴾ بأوليائه ﴿خَبِيرًا﴾ ﴿٣٤﴾ بجميع خلقه ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ المطيعات ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ في الإيمان ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ على الطاعات ﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ﴾ المتواضعين ﴿وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ عن الحرام ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً﴾ للمعاصي ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٣٥﴾ على الطاعات ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى

قوله: ﴿**الرِّجْسَ**﴾ أي الذنب المدنس لعرضكن. قوله: ﴿**أَهْلَ الْبَيْتِ**﴾ منصوب على أنه منادى، وحرف النداء محذوف قدره المفسر. قوله: (**أي نساء النبي**) قصره عليهن لمراعاة السياق، وإلا فقد قيل: الآية عامة في أهل بيت سكنه وهن أزواجه، وأهل بيت نسبه وهن ذريته. قوله: ﴿**وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾ أكده اشارة إلى الزيادة في التطهير بسبب التكاليف، فالعبادة والتقوى سبب للطهارة، وهي الخلوص من دنس المعاصي، فمن ادعى الطهارة مع ارتكابه المعاصي، فهو ضال كذاب. قوله: ﴿**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلى فِي بُيُوتِكُنَّ**﴾ أي لتذكرن به أنفسكن أو غيركن، وفيه تذكير لهن بهذه النعمة العظيمة، حيث جعلن من أهل بيت النبوة، وشاهدن نزول الوحي، وكل ذلك موجب للزوم التقوى. قوله: ﴿**مِنْ آيَاتِ اللهِ**﴾ بيان لما. قوله: ﴿**لَطِيفاً**﴾ أي عالماً بخفيات الأمور. قوله: ﴿**خَبِيراً**﴾ أي مطلعاً على كل شيء.

قوله: ﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ**﴾ إلخ، سبب نزولها: أن أزواج النبي ﷺ جلسن يتذاكرن فيما بينهن ويقلن: إن الله ذكر الرجال في القرآن، ولم يذكر النساء بخير، فما فينا خير نذكر به، إنا نخاف أن لا تقبل منا طاعة، فسألت أم سلمة رسول الله ﷺ وكانت كثيرة السؤال له فقالت: يا رسول الله، ما بال ربنا يذكر الرجال في كتابه ولا يذكر النساء؟ فنخشى أن لا يكون فيهن خير، فنزلت جبراً لخاطرهن. قوله: ﴿**وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾ إنما عطف وصفهم بالإيمان على وصفهم بالإسلام، وإن كانا متحدين شرعاً، نظراً إلى أنهما مختلفان مفهوماً، إذ الإسلام التلفظ بالشهادتين، بشرط تصديق القلب بما جاء به النبي ﷺ، والإيمان الإذعان القلبي بشرط النطق باللسان، ويكفي في العطف أدنى تغاير.

قوله: ﴿**وَالْحَافِظَاتِ**﴾ حذف المفعول لدلالة ما قبله عليه والتقدير والحافظات فروجهن. قوله: ﴿**وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً**﴾ أي بأي ذكر كان، من تسبيح أو تهليل أو تحميد أو صلاة على النبي ﷺ، والكثرة مختلفة باختلاف الأشخاص، فالكثرة في حق العامة أقلها ثلاثمائة، وفي حق المريدين اثنا عشر ألفاً، وفي حق العارفين عدم خطور الغير على قلوبهم، ومنه قول العارف ابن الفارض:

ولو خطرت لي في سواك إرادة ... على خاطري يوماً حكمت بردتي

قوله: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ**﴾ أي لا ينبغي ولا يصلح ولا يليق، وهذا اللفظ يستعمل تارة في الحظر والمنع كما هنا، وتارة في الامتناع عقلاً كما في قوله تعالى: ﴿وما كان لكم أن تنبتوا شجرها﴾ وتارة

﴿ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ﴾ بالتاء والياء ﴿لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ﴾ أي الاختيار ﴿مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ﴾ خلاف أمر الله ورسوله؛ نزلت في عبدالله بن جحش وأخته زينب، خطبها النبي ﷺ وعنى لزيد بن حارثة فكرها ذلك حين علما بظنهما قبل، أن النبي ﷺ خطبها لنفسه، ثم رضيا للآية ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ٣٦﴾ بيناً، فزوجها النبي ﷺ لزيد ثم وقع بصره عليها بعد حين، فوقع في نفس زيد كراهتها، ثم قال للنبي ﷺ: أريد فراقها فقال: ﴿أمسك عليك زوجك﴾ كما قال تعالى: ﴿وَإِذۡ﴾ منصوب باذكر ﴿تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ﴾ بالإسلام ﴿وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ﴾ بالإعتاق وهو زيد بن حارثة كان من سبي الجاهلية اشتراه رسول الله ﷺ قبل البعثة وأعتقه وتبناه ﴿أَمۡسِكۡ

في الامتناع شرعاً كقوله تعالى: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً﴾. قوله: ﴿إذا قَضَى الله وَرَسُولُهُ أَمْراً﴾ ذكر اسم الله للتعظيم، وإشارة إلى أن قضاء رسول الله هو قضاء الله، لكونه لا ينطق عن الهوى، وإذا يصح أن تكون ظرفاً معمولاً لما تعلق به خبر كان، والتقدير وما كان مستقراً لمؤمن ولا مؤمنة وقت قضاء الله ورسوله أمراً كون الخيرة لهم، ويصح أن تكون شرطية، وجوابها محذوف دل عليه ما قبله. قوله: ﴿اينْ تَكُونَ﴾ اسم كان مؤخر، والجار والمجرور خبر مقدم. قوله: (**بالتاء والياء**) أي فهما قراءتان سبعيتان، فالتاء ظاهرة والياء نظراً إلى أن الخيرة مجازي التأنيث، أو للفصل بين العامل والمعمول. قوله: ﴿الْخِيَرَةُ﴾ بفتح الياء وقرىء شذوذاً بإسكانها، ومعناهما واحد وهو الاختيار. قوله: (**أي الاختيار**) أشار بذلك إلى أن الخيرة مصدر.

قوله: ﴿مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ حال من الخيرة. قوله: (**وأخته زينب**) أي بنت جحش، وأمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ. قوله: (**خطبها النبي وعنى لزيد**) أي بعد أن كان زوجه أولاً أم أيمن بركة الحبشية بنت ثعلبة بن حصن، كان لعبد الله أبي النبي ﷺ فأعتقها، وقيل أعتقها النبي ﷺ، وعاشت بعده ﷺ خمسة أشهر وقيل سنة، وولدت لزيد أسامة، وكانت ولادته بعد البعثة بثلاث سنين وقيل بخمس. قوله: (**فكرها ذلك**) أي كون الخطبة لزيد، وقالت لرسول الله ﷺ: أنا بنت عمتك، فلا أرضاه لنفسي، وكانت بيضاء جميلة، وزيد أسود. قوله: (**ثم رضيا للآية**) أي حين نزلت الآية توبيخاً لهما.

قوله: ﴿وَمَنْ يَعْصِ الله وَرَسُولَهُ﴾ إلخ، هذا من تمام ما نزل في شأنهما، فكان المناسب للمفسر تأخير ذكر سبب النزول عن هذه الآية. قوله: ﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾ أي أخطأ طريق الصواب. قوله: (**فزوجها النبي لزيد**) أي وأعطاها رسول الله عشرة دنانير وستين درهماً وخماراً ودرعاً وملحفة وخمسين مداً من طعام وثلاثين صاعاً من تمر. قوله: (**ثم وقع بصره عليها**) هذا بناء على أن معنى قوله تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا الله مُبْدِيهِ﴾ هو حبها الذي درج عليه المفسر تبعاً لغيره، وهذا التفسير غير لائق بمنصب النبوة لا سيما بجنابه الشريف، وأيضاً يبعد أن النبي يخفى عليه حالها، مع كونها بنت عمته وفي حجره. قوله: (**فقال: ﴿أمسك عليك زوجك﴾**) أي لا تفارقها. قوله: (**منصوب باذكر**) أي فهو معمول لمحذوف. قوله: (**اشتراه رسول الله**) فيه تسمح، بل الذي في السير، أن خديجة اشترته بأربعمائة درهم، ثم وهبته لرسول الله ﷺ، وهذا الشراء صوري، وإلا فهو كان حراً، لأنه لم يكن الرق بالسبي مشروعاً، لكونهم

عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في أمر طلاقها ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ مظهره من محبتها، وأن لو فارقها زيد تزوجتها ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ أن يقولوا: تزوج زوجة ابنه ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ في كل شيء، وتزوجها ولا عليك من قول الناس، ثم طلقها زيد، وانقضت عدتها، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ حاجة ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ فدخل عليها النبي ﷺ بغير إذن، وأشبع المسلمين خبزاً ولحماً ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا

أهل فترة، وهم ناجون ليس فيهم حربي، والعلماء عرفوا الرق بأنه عجز حكمي سببه الكفر، روي أن عمه لقيه يوماً بمكة، فعرفه وضمه إلى صدره وقال له: لمن أنت؟ قال: لمحمد بن عبد الله، فأتوه وقالوا: هذا ابننا فرده علينا، فقال اعرضوا عليه، فإن اختاركم فخذوه، فبعث إلى زيد وخيره فقال: يا رسول الله ما أختار عليك أحداً، فجذبه عمه وقال: يا زيد اخترت العبودية على أبيك وعمك؟ قال: **نعم هي أحب** إلي من أن أكون عندكم، فتبناه رسول الله ﷺ. قوله: **(من محبتها)** بيان لما أبداه، وهذا القول مردود لما تقدم أنه تنزه عنه رسول الله، والصواب أن يقول: إن الذي أخفاه في نفسه، هو ما أخبره الله به، من أنها ستصير إحدى زوجاته بعد طلاق زيد لها، لما روي عن علي بن الحسين رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ كان قد أوحى الله إليه أن زيداً يطلق زينب، وأنه يتزوجها بتزويج الله إياها، فلما شكا للنبي خلق زينب وأنها لا تطيعه، وأعلمه بأنها تريد طلاقها، قال له رسول الله على جهة الأدب والوصية: اتق الله في قولك وأمسك عليك زوجك، وهذا هو الذي أخفى في نفسه، وخشي رسول أن يلحقه قول الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد وهو متبنيه، فعاتبه الله على الكتم لأجل هذا العذر، والحكمة في تزوج رسول الله بزينب، إبطال حكم التبني، والتفرقة بين ولد الصلب وولد التبني، من حيث إن ولد الصلب يحرم التزوج بزوجته، وولد التبني لا يحرم. قوله: **(وتزوجها)** هكذا في بعض النسخ بصيغة الأمر، وفي نسخة ويزوجكها فعل مضارع.

قوله: **﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً﴾** أي بأن لم يبق له فيها أرب وطلقها وانقضت عدتها، وفي ذكراسمه صريحاً دون غيره من الصحابة جبر وتأنيس له، وعوض من الفخر بأبوة محمد ﷺ، فكان اسمه قرآناً يتلى في الدنيا والآخرة على ألسنة البشر والملائكة، وزاد في الآية أن قال: **﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه﴾** أي بالإيمان، فدل على أنه من أهل الجنة، فعلم ذلك قبل موته، فهذ فضيلة أخرى. قوله: **(فدخل عليها النبي ﷺ بغير إذن)** أي ولا عقد ولا صداق، وهذا من خصوصياته التي لم يشاركه فيها أحد بالإجماع، وكان تزوجه بها سنة خمس من الهجرة، وقيل سنة ثلاث، وهي أول من مات بعده من زوجاته، ماتت بعده بعشر سنين، ولها من العمر ثلاث وخمسون سنة، وكانت تفتخر على أزواج النبي وتقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات، وكانت تقول للنبي: جدي وجدك واحد، وليس من نسائك من هي كذلك غيري، وقد أنكحنيك الله، والسفير في ذلك جبريل. قوله: **(وأشبع المسلمين خبزاً ولحماً)** أي فذبح شاة وأطعم الناس خبزاً ولحماً حتى تركوه، ولم يولم النبي على أحد من نسائه، كما أولم على زينب.

قوله: **﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾** إلخ، أي فهو دليل على أن هذا الأمر ليس مخصوصاً

﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ مقضيه ﴿مَفْعُولًا ۝٣٧﴾ ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ﴾ أحل ﴿ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ أي كسنة الله فنصب بنزع الخافض ﴿فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ﴾ من الأنبياء أن لا حرج عليهم في ذلك توسعة لهم في النكاح ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ فعله ﴿قَدَرًا مَّقْدُورًا ۝٣٨﴾ مقضياً ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعت للذين قبله ﴿يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ فلا يخشون مقالة الناس فيما أحل الله لهم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ۝٣٩﴾ حافظاً لأعمال خلقه ومحاسبتهم ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ فليس أبا زيد أي والده، فلا يحرم عليه التزوج بزوجته زينب ﴿وَلَٰكِن﴾ كان ﴿رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ فلا يكون له ابن رجل بعده يكون نبياً، وفي قراءة بفتح التاء كآلة الختم أي به ختموا ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠﴾ منه بأن لا نبي بعده، وإذا نزل السيد عيسى يحكم بشريعته ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١﴾ ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً

به ﷺ. قوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُ الله مَفْعُولاً﴾ أي موجوداً لا محالة. قوله: ﴿مِنْ حَرَجٍ﴾ أي إثم. قوله: (**فنصب بنزع الخافض**) ويصح نصبه على المصدرية، وفي هذه الآية رد على اليهود حيث عابوا على النبي ﷺ كثرة النساء. قوله: (**توسعة لهم في النكاح**) أي فقد كان لداود مائة امرأة، ولسليمان ولده سبعمائة امرأة وثلاثمائة سرية. قوله: ﴿قَدَراً مَقْدُوراً﴾ هو من التأكيد كظل ظليل وليل أليل.

قوله: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ أي أبوة حقيقية، فلا ينافي أنه أبوهم من حيث إنه شفيق عليهم وناصح لهم، يجب عليهم تعظيمه وتوقيره. قوله: ﴿وَلَكِنْ رَسولَ الله﴾ العامة على تخفيف لكن، ونصب رسول على أنه خبر لكان المحذوفة، وقرىء شذوذاً بتشديد ﴿لَكِنَّ﴾، و ﴿رَسُولَ﴾ اسمها، وخبرها محذوف تقديره أب من غير وراثة، إذ لم يعش له ولد ذكر، وقرىء أيضاً بتخفيفها، ورفع رسول على الابتداء، والخبر مقدر أي هو أو بالعكس، ، ووجه الاستدراك رفع ما يتوهم من نفي الأبوة عنه، أن حقه ليس أكيداً، فأفاد أن حقه آكد من حق الأب الحقيقي بوصف الرسالة. قوله: (**فلا يكون له ابن رجل بعده يكون نبياً**) النفي في الحقيقة متوجه للوصف، أي كون ابنه رجلاً، وكونه نبياً بعده، وإلا فقد كان له من الذكر أولاد، ثلاث، إبراهيم والقاسم والطيب، ولكنهم ماتوا قبل البلوغ، لم يبلغوا مبلغ الرجال، فكونه خاتم النبيين، يلزم منه عدم وجود ولد بالغ له، وأورد عليه بمنع الملازمة، إذ كثير من الأنبياء، وجد لهم أولاد بالغون وليسوا بأنبياء، وأجيب: بأن الملازمة، ليست عقلية، بل على مقتضى الحكمة الإلهية، وهي أن الله أكرم بعض الرسل بجعل أولادهم أنبياء كالخليل، ونبينا أكرمهم وأفضلهم، فلو عاش أولاده، اقتضى تشريف الله له جعلهم أنبياء، لجمعه المزايا المتفرقة في غيره فتدبر. قوله: (**وإذا نزل السيد عيسى**) إلخ، جواب عما يقال: كيف قال تعالى: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ وعيسى ينزل بعده وهو نبي؟ ولا يرد على هذا، وضع الجزية، وعدم قبول غير الإسلام، ونحو ذلك مما جاء في الأحاديث مما يخالف شرعنا، لأن ذلك شرع نبينا عند نزول عيسى عليه الصلاة والسلام.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا الله ذِكْراً كَثِيراً﴾ في هذا إشارة إلى تشريف المؤمنين عموماً، حيث ناداهم وأمرهم بذكره وتسبيحه، وصلى عليهم هو وملائكته، وأفاض عليهم الأنوار وحياهم،

وَأَصِيلًا ﴾ ﴿٤٢﴾ أول النهار وآخره ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ أي يرحمكم ﴿وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ أي يستغفرون لكم ﴿لِيُخْرِجَكُم﴾ ليديم إخراجه إياكم ﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ أي الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ أي الإيمان ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ منه تعالى ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ بلسان الملائكة ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ

والمقصود من ذكر العباد ربهم كون الله يذكرهم، قال تعالى: ﴿اذكروني أذكركم﴾ وليس المقصود منه انتفاعه تعالى بذلك، تنزه الله عن أن يصل له من عباده نفع أو ضر، قال تعالى: ﴿إن تكفروا فإن الله غني عنكم﴾ فذكرنا لأنفسنا، لأنه لا غنى لنا عن ربنا طرفة عين، وإذا كان كذلك، فلا تليق الغفلة عنه أبداً، بل المطلوب ذكره دائماً وأبداً، واعلم أن الله تعالى لم يفرض فريضة على عباده، إلا جعل لها حداً معلوماً، وعذر أهلها في حال العذر غير الذكر، فلم يجعل له حداً، ولم يعذر أحداً في تركه، إلا من كان مغلوباً على عقله، ولذا أمرهم به في جميع الأحوال، قال تعالى: ﴿فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم﴾ ففيه إشارة إلى أن الذكر أمره عظيم وفضله جسيم. قوله: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ خص التسبيح بالذكر وإن كان داخلاً فيه، لكونه أعلى مراتبه، وحكمة تخصيص التسبيح بهذين الوقتين، لكونهما أشرف الأوقات، بسبب تنزل الملائكة فيهما.

قوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ استئناف في معنى التعليل للأمر بالذكر والتسبيح. قوله: ﴿وَمَلاَئِكَتُهُ﴾ عطف على الضمير المستتر في ﴿يُصَلِّي﴾ والفاصل موجود. قوله: (**أي يستغفرون لكم**) أي يطلبون لكم من الله المغفرة، قال تعالى: ﴿ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك﴾ الآيات. قوله: (**ليديم إخراجه إياكم**) جواب عما يقال: إن إخراجه إيانا من الظلمات حاصل بمجرد الإيمان، وإيضاح الجواب: أن المراد دوام هذا الإخراج، لأن الغفلة عن الخالق إذا دامت، ربما أخرجت العبد من النور والعياذ بالله. قوله: ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ جمع الأول لتعداد أنواع الكفر، وأفرد الثاني لأن الإيمان شيء واحد لا تعدد فيه، فمن ادعى الإيمان، وأثبت التعدد والمخالفة، فهو ضال مضل، خارج عن السنة والجماعة.

قوله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾ أي يقبل القليل من أعمالهم، ويعفو عن الكثير من ذنوبهم، حيث أخلصوا في إيمانهم. قوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ (**منه تعالى**) أي التحية الصادرة منه تعالى، زيادة في الاعتناء بهم، وتعظيماً لقدرهم. قوله: ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾ اختلف في وقت اللقى، فقيل: عند الموت، وقيل: عند الخروج من القبور، وقيل: عند دخول الجنة. قوله: (**بلسان الملائكة**) أي لما ورد: إذا جاء ملك الموت يقبض روح المؤمن يقول له: ربك يقرئك السلام، وفي الحقيقة هم يسمعون السلام من الله ومن الملائكة ومن الخلق غيرهم، قال تعالى: ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾ وقال تعالى: ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم﴾. وقال تعالى: ﴿لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قيلاً سلاماً سلاماً﴾. قوله: (**هو الجنة**) أي وما فيها من النعيم المقيم. قوله: (**على من أرسلت إليهم**) أي لترقب أحوالهم، وتكون مشاهداً لما صدر منهم من الأعمال الحسنة والقبيحة، فالأعمال تعرض عليه حياً وميتاً، ويصح أن يكون المراد شاهداً يوم القيامة للمؤمنين وعلى الكافرين، فهو مقبول الدعوى، لا يحتاج في دعواه إلى شهادة أحد، فيشهد للأنبياء بالتبليغ، وعلى الأمم إما بالتصديق أو بالتكذيب. قوله: (**بأمره**) دفع بذلك

﴿أَجْرًا كَرِيمًا﴾ ﴿٤٤﴾ هو الجنة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ على من أرسلت إليهم ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ من صدقك بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ ﴿٤٥﴾ منذراً من كذبك بالنار ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ إلى طاعته ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ بأمره ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ ﴿٤٦﴾ أي مثله في الاهتداء به ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ ﴿٤٧﴾ هو الجنة ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ فيما يخالف شريعتك ﴿وَدَعْ﴾ اترك ﴿أَذَىٰهُمْ﴾ لا تجازهم عليه إلى أن تؤمر فيهم بأمر ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فهو كافيك ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ ﴿٤٨﴾ مفوضاً إليه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ وفي قراءة تماسوهن أي تجامعوهن ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ تحصونها بالأقراء وغيرها ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ أعطوهن ما يستمتعن به، أي إن لم يسم لهنَّ أصدقة، وإلا فلهنَّ نصف المسمى فقط، قاله ابن عباس وعليه الشافعي ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ ﴿٤٩﴾ خلوا سبيلهن من غير إضرار ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا

ما يقال: الأذن حاصل بقوله: ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾، فأجاب: بأن المراد بالإذن الأمر والحكمة في الأذن تسهيل الأمر وتيسيره، لأن الدخول في الشيء من غير إذن متعذر، فإذا حصل الإذن سهل وتيسر، ومن هنا أخذ الأشياخ استعمال الإجازة للمريدين، فمن أجاز أشياخه بشيء من العلم والإرشاد، فقد سهلت له الطريق وتيسرت، ومن لم تحصل له الإجازة وتصدر بنفسه، فقد عطل نفسه وغيره، وانسدت عليه الطرق. قوله: ﴿وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾ يحتمل أن المراد بالسراج الشمس وهو ظاهر، ويحتمل أن المراد به المصباح، وحينئذ فيقال إنما شبه بالسراج، ولم يشبه بالشمس مع أن نورها أتم، لأن السراج يسهل اقتباس الأنوار منه، وهو ﷺ تقتبس منه الأنوار الحسية والمعنوية.

قوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي حيث كنت متصفاً بالصفات الخمسة فبشر المؤمنين. قوله: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ أي لا تدار الكفار، ولا تلن لهم جانبك في أمر الدين، بل اثبت على ما أوحي إليك وبلغه، ولا تكتم منه شيئاً. قوله: ﴿وَدَعْ أَذَاهُمْ﴾ إما من إضافة المصدر لفاعله، أي أذيتهم إياك، فلا تقاتلهم جزاء على ما صدر منهم، أو لمفعوله أي اترك اذيتك لهم في نظير كفرهم، واصفح عنهم واصبر، ولا تعاجلهم بالعقوبة، وهذا منسوخ بآية القتال. قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ أي ثق به في أمورك واعتمد عليه، يكفك أمور الدين والدنيا. قوله: ﴿وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً﴾ الباء زائدة في الفاعل، أي إن الله تعالى كاف من توكل عليه أمور الدنيا والآخرة، وفي الآية إشارة إلى أن التوكل أمره عظيم، فإذا عجز الإنسان عن أمر، فعليه بالتوكل على الله والتفويض إليه، فإن الله يكفيه ما أهمه من أمور الدنيا والآخرة.

قوله: ﴿فَإِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ المراد بالنكاح العقد بدليل قوله: ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ وذكر المؤمنات خرج مخرج الغالب، إذ الكتابيات كذلك، وإنما خص المؤمنات بالذكر، إشارة إلى أن الأولى للمؤمن أن ينكح المؤمنات، وأما نكاح الكتابيات فمكروه، أو خلاف الأولى. قوله: ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ أي ولو طال زمن العقد. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهما سبعيتان. قوله: **(أي تجامعوهن)** تفسير لكل من القراءتين. قوله: ﴿تَعْتَدُّونَهَا﴾ إما من العدد أو من الاعتداد أي تحسبونها أو تستوفون عددها من قولهم: عد الدراهم فاعتدها أي استوفى عددها. قوله: **(وعليه الشافعي)** أي

لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ من الكفار بالسبي، كصفية وجويرية ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ

ومالك، فالمطلقة قبل الدخول إن سمي لها صداق، فلا متعة لها ولا عدة عليها، وإن لم يسم لها صداق بأن نكحت تفويضاً، فلا عدة عليها ولها المتعة، إما وجوباً كما هو عند الشافعي، أو ندباً كما هو عند مالك. قوله: (**خلوا سبيلهن**) أي اتركوهن. قوله: (**من غير ضرار**) أي بأن تمسكوهن تعنتاً حتى يفتدين منكم، أو تؤذوهن وتتكلموا في أعراضهن.

قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ**﴾ إلخ، اختلف المفسرون في المراد بهذه الآية فقيل: المعنى أن الله أحل له أن يتزوج بكل امرأة دفع مهرها إلخ، فعلى هذا تكون الآية ناسخة للتحريم الكائن بعد التخيير المدلول عليه بقوله: ﴿**لا تحل لك النساء من بعد**﴾فهذه الآية وإن كانت متقدمة في التلاوة، فهي متأخرة في النزول عن الآية المنسوخة بها، كآية الوفاة في البقرة، وقيل المراد ﴿**أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ**﴾ الكائنات عندك، لأنهن اخترنك على الدنيا، ويؤيده قول ابن عباس: كان رسول الله ﷺ يتزوج من أي النساء شاء، وكان يشق على نسائه، فلما نزلت هذه الآية، وحرم عليه بها النساء إلا من سمى، سر نساؤه بذلك، والقول الأول أصح. قوله: ﴿**اللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ**﴾ بيان لما كان يفعله من مكارم الأخلاق، وإلا فالله أحل له أن يتزوج بلا مهر.

قوله: ﴿**مِمَّا أَفَاءَ الله عَلَيْكَ**﴾ بيان لما ملكت يمينك، وهذا القيد خرج مخرج الغالب، بل الملك بالشراء كذلك. قوله: (**كصفية**) هي بنت حيي بن أخطب من نسل هارون أخي موسى، وتقدم أنها كانت من سبي خيبر، أذن النبي ﷺ لدحية الكلبي في أخذ جارية فأخذها، فقيل للنبي ﷺ أعطيته سيدة بني قريظة والنضير، وهي لا تصلح إلا لك، فخشي عليها الفتنة، فأعطاه غيرها ثم أعتقها وتزوجها وبنى بها وهو راجع إلى المدينة، وفي رواية: أنه ﷺ قال لها: هل لك فيَّ؟ قالت: نعم يا رسول الله، إني كنت أتمنى ذلك في الشرك، وكان بعينها خضرة، فسألها عنها فقالت: إنها كانت نائمة، ورأس زوجها ملكهم في حجرها، فرأت قمراً وقع في حجرها، فلما استيقظ أخبرته فلطمها وقال: تتمنين ملك يثرب، ماتت في رمضان سنة خمسين ودفنت في البقيع. قوله: (**وجويرية**) أي وهي بنت الحرث الخزاعية، وكانت وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري، فكاتبها فجاءت تسأل النبي ﷺ وعرفته بنفسها فقال: هل لك إلى ما هو خير من ذلك، أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك؟ فقالت: نعم، فسمع الناس بذلك، فأعتقوا ما بأيديهم من قومها وقالوا: أصهار رسول الله ﷺ، قالت عائشة: فما رأينا امرأة كانت أعظم في قومها بركة منها، أعتق بسببها مائة أهل بيت من بني المصطلق، وقسم لها النبي ﷺ، وكانت بنت عشرين سنة، وتوفيت سنة خمسين.

قوله: ﴿**وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ**﴾ أي نساء قريش المنسوبات لأبيك، وقوله: ﴿**وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاَتِكَ**﴾ أي نساء بني زهرة المنسوبات لأمك، وحكمة إفراد العم والخال دون العمة والخالة، أن العم والخال يعمان إذا أضيفا، لكونهما مفردين خاليين من تاء الوحدة، والعمة والخالة لا يعمان لوجود

﴿مَعَكَ﴾ بخلاف من لم يهاجرن ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا﴾ يطلب نكاحها بغير صداق ﴿خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ﴾ النكاح بلفظ الهبة من غير صداق ﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ﴾ أي المؤمنين ﴿فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ﴾ من الأحكام بألا يزيدوا على أربع نسوة، ولا يتزوجوا إلا بولي وشهود ومهر ﴿وَ﴾ في ﴿مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ من الإماء بشراء وغيره، بأن تكون الأمة ممن تحل لمالكها كالكتابية، بخلاف المجوسية والوثنية، وأن تستبرأ قبل الوطء ﴿لِكَيۡلَا﴾ متعلق بما قبل ذلك ﴿يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ﴾ ضيق في النكاح ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا﴾ لما يعسر التحرز عنه ﴿رَّحِيمٗا ٥٠﴾ بالتوسعة في ذلك ﴿تُرۡجِي﴾ بالهمزة والياء بدله تؤخر ﴿مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ﴾ أي أزواجك عن نوبتها ﴿وَتُـٔۡوِيٓ﴾ تضم ﴿إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ﴾ منهن فتأتيها ﴿وَمَنِ

التاء. قوله: (**بخلاف من لم يهاجرن**) أي فلا يحللن له، وهذا الحكم كان قبل الفتح، حين كانت الهجرة شرطاً في الإسلام، فلما نسخ حكم الهجرة، نسخ هذا الحكم.

قوله: ﴿**وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً**﴾ معطوف على مفعول ﴿**أَحْلَلْنَا**﴾ أي وأما غير المؤمنة فلا تحل له، وظاهر الآية أن النكاح ينعقد في حقه ﷺ بالهبة، وحينئذ فيكون من خصوصياته، والنساء اللاتي وهبن أنفسهن أربع: ميمونة بنت الحرث، وزينب بنت خزيمة أم المساكين الأنصارية، وأم شريك بنت جابر، وخولة بنت حكيم. واعلم أنه يحرم على النبي تزوج الحرة الكتابية لما في الحديث: «سألت ربي أن لا أزوج إلا من كان معي في الجنة فأعطاني». ولقوله تعالى: ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ ولا يليق أن تكون المشركة أم المؤمنين، ويحرم عليه أيضاً نكاح الأمة ولو مسلمة، لأن نكاحها مشروط بأمرين: خوف العنت، وعدم وجود مهر الحرة، وكلا الأمرين مفقود منه ﷺ، وأما تسريه بالأمة الكتابية ففيه خلاف. قوله: ﴿**إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ**﴾ أظهر في محل الإضمار، تشريفاً لهذا الوصف، وإظهاراً لعظمة قدره عليه.

قوله: ﴿**إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا**﴾ هذا الشرط في الشرط الأول، فإن هبتها نفسها لا توجب حلها، إلا إذا أراد نكاحها، بأن يحصل منه القبول بعد الهبة، أو يسألها في ذلك قبل الهبة فتدبر. قوله: ﴿**خَالِصَةً**﴾ مصدر معمول لمحذوف، أي خلصت لك خالصة، ومجيء المصدر على هذا الوزن كثير، كالعاقبة والعافية والكاذبة. قوله: (**من غير صداق**) أي ومن غير ولي وشهود. قوله: (**وغيره**) أي كهبة. قوله: (**بخلاف المجوسية**) إلخ، فلا تحل لمالكها إلا إذا استسلمها، وذلك كجواري السودان والحبشة والمغرب، لأنهن يجبرن على الإسلام، ولذا لا يجوز للكفار شراؤهن كما هو مقرر في الفقه. قوله: (**وأن تستبرأ قبل الوطء**) أي كتابية كانت أو مجوسية. قوله: (**متعلق بما قبل ذلك**) أي وهو قوله: ﴿**إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ**﴾ والمعنى: أحللنا لك أزواجك، وما ملكت يمينك، والموهوبة لك، لئلا يكون عليك ضيق. قوله: (**لما يعسر التحرز عنه**) أي لقولهم إذا ضاق الأمر اتسع.

قوله: ﴿**تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ**﴾ إلخ، اتفق المفسرون على أن المقصود من هذه الآية، التوسعة على رسول الله ﷺ في معاشرته لنسائه، واختلفوا في تأويله، وأصح ما قيل فيها: التوسعة على رسول الله ﷺ في ترك القسم، فكان لا يجب عليه القسم بين زوجاته، لما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت

ٱبْتَغَيْتَ﴾ طلبت ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ من القسمة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ في طلبها وضمها إليك، خير في ذلك بعد أن كان القسم واجباً عليه ﴿ذَٰلِكَ﴾ التخيير ﴿أَدْنَىٰٓ﴾ أقرب إلى ﴿أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ﴾ ما ذكر المخير فيه ﴿كُلُّهُنَّ﴾ تأكيد للفاعل في يرضين ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ من أمر النساء والميل إلى بعضهن، وإنما خيرناك فيهن تيسيراً عليك في كل ما أردت ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَلِيمًا﴾ ﴿٥١﴾ عن عقابهم ﴿لَّا يَحِلُّ﴾ بالتاء والياء ﴿لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ بعد التسع اللاتي اخترنك ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ﴾ بترك إحدى التاءين في الأصل ﴿بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ بأن

أغار على النبي ﷺ على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ، وأقول: أوتهب المرأة نفسها لرجل، فلما أنزل الله عز وجل ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ قالت: قلت: والله ما أرى ربك إلا يسارع في هواك، وقيل: إن ذلك في الواهبات أنفسهن، وحينئذ فيكون المعنى تأخذ من شئت منهن، وتترك من شئت، وقيل: إن ذلك في الطلاق فالمعنى لك طلاق من شئت منهن، وإمساك من شئت، وعلى كل حال، فالآية معناها التوسعة عليه في أمر النساء . قوله: **(والياء بدله)** أي بدل الهمزة، وحينئذ فهو مرفوع بضمة مقدرة على الياء، منع من ظهورها الثقل. قوله: **(عن نوبتها)** أي من القسم.

قوله: ﴿وَمَنِ ابْتَغَيْتَ﴾ إلخ أي التي طلبت ردها إلى فراشك، بعد أن عزلتها وأسقطتها من القسمة، فلا جناح عليك. قوله: **(بعد أن كان القسم واجباً عليه)** هذا أحد قولين، وقيل: كان مخيراً من أول الأمر، ولم يكن واجباً عليه ابتداء. قوله: ﴿ذٰلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾ هذا إشارة إلى حكمة تخييره في القسم وعدم وجوبه عليه، والمعنى لم يجب عليه القسم بين نسائه مع أنه عدل، لأن التخيير، أقرب إلى سكون أعينهن وعدم حزنهن، وأقرب إلى رضاهن بما حصل لهن، لأنهن إذا علمن أن الله لم يوجب على النبي شيئاً من القسم، وحصل منه القسم سررن بذلك وقنعن به. قوله: **(تأكيد للفاعل)** أي فهو بالرفع، وهذه قراءة العامة، وقرىء شذوذاً بالنصب توكيد للمفعول.

قوله: ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ خطاب للنبي على جهة التعظيم، ويحتمل أن يراد العموم. قوله: **(والميل إلى بعضهن)** أي بالطبع، فكان يميل إلى بعضهن أكثر، وكان يقول: اللهم إن هذا حظي فيما أملك، فلا تؤاخذني فيما لا أملك، واتفق العلماء على أنه ﷺ كان يعدل بينهن في القسمة حتى مات، غير سودة رضي الله عنها، فإنها وهبت ليلتها لعائشة رضي الله عنها. قوله: ﴿حَلِيماً﴾**(على عقابهم)** أي يعلم العيب ويستره، فينبغي للإنسان أن لا يفرط في حقوقه، لأن انتقام الحليم وغضبه أمر عظيم لما في الحديث: «اتقوا غيظ الحليم». ففي الآية ترغيب وترهيب. قوله: **(بالتاء والياء)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(بعد التسع)** أي بعد اجتماعهن في عصمتك، فهن بمنزلة الأربع لآحاد الأمة، فقد قصر الله نبيه عليهن، جزاء لهن على اختيارهن الله ورسوله، وهن التسع اللاتي توفي عنهن وهن: عائشة بنت أبي بكر الصديق، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وسودة بنت زمعة، وأم سلمة بنت أبي أمية، وصفية بنت حيي، وميمونة بنت الحرث الهلالية، وزينب بنت جحش، وجويرية بنت الحرث المصطلقية، وقيل المراد بعد التخيير. قوله: ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ البدل في

تطلقهن أو بعضهن وتنكح بدل من طلقت ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ من الإماء فتحل لك وقد ملك ﷺ بعدهن مارية وولدت له إبراهيم ومات في حياته ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا﴾ ﴿٥٢﴾ حفيظاً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ في الدخول

الجاهلية أن يقول الرجل للرجل تنزل لي عن امرأتك، وأنزل لك عن امرأتي وأزيدك، والمراد هنا نهيه عن المفارقة والإبدال بأي وجه. قوله: ﴿مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ ﴿مِنْ﴾ زائدة في المفعول.

قوله: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ حال من فاعل ﴿تَبَدَّلَ﴾. قوله: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ استثناء متصل من النساء، لأنه يتناول الأزواج والإماء، وقيل منقطع لإخراجه من الأزواج. قوله: (**وقد ملك بعدهن مارية**) أي القبطية، أهداها له المقوقس ملك القبط، وهم أهل مصر والاسكندرية، وذلك أنه ﷺ بعث له حاطب بن أبي بلتعة بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام صورته: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت، فإنما عليك إثم القبط، و﴿يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾، الآية. فلما جاء حاطب بالكتاب إلى المقوقس، وجده في الإسكندرية، فدفعه إليه فقرأه، ثم جعله في حق من عاج وختم عليه ودفعه إلى جارية، ثم كتب جوابه في كتاب صورته: بسم الله الرحمن الرحيم، لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط، سلام عليك، أما بعد، فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه، وعلمت أن نبياً قد بقي، وما كنت أظن إلا أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، أي فإنه قد دفع له مائة دينار وخمسة أثواب، وبعثت لك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم، أي وهما مارية وسيرين، وعشرين ثوباً من قباطي مصر، وطيباً وعوداً ونداً ومسكاً، مع ألف مثقال من الذهب، ومع قدح من قوارير، وبغلة للركوب، وأهدى إليه جارية أخرى زيادة على الجاريتين، وخصياً يقال له مابور، والبغلة هي دلدل وكانت شهباء، وفرساً وهو اللزاز، فإنه سأل حاطباً: ما الذي يحب صاحبك من الخيل؟ فقال له: الأشقر، وقد تركت عنده فرساً يقال لها المرتجز، فانتخب له فرساً من خيل مصر الموصوفة، فأسرج وألجم، وهو فرسه الميمون، وأهدى إليه عسلاً من عسل بنها، قرية من قرى مصر، فأعجب به ﷺ وقال: إن كان هذا عسلكم، فهذا أحلى، ثم دعا فيه بالبركة. قوله: (**وولدت له إبراهيم**) أي في ذي الحجة سنة ثمان، وعاش سبعين يوماً، وقيل: سنة وعشرة أشهر، وقوله: (**ومات في حياته**) أي ولم يصلّ عليه بنفسه، بل أمرهم فصلوا عليه.

قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ**﴾ إلخ، هذه الآية نزلت في شأن وليمة زينب بنت جحش، حين بنى بها رسول الله ﷺ، عن أنس بن مالك قال: كنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل، وكان أول ما أنزل في بناء رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش، حين أصبح النبي ﷺ بها عروساً، فدعا القوم فأصابوا من الطعام ثم خرجوا، وبقي رهط عند النبي ﷺ فأطالوا المكث، فقام رسول الله ﷺ فخرج، وخرجت معه لكي يخرجوا، فمشى النبي ﷺ ومشيت، حتى جاء عتبة حجرة عائشة، ثم ظن أنهم قد خرجوا، فرجع ورجعت معه، حتى إذا دخل على زينب، فإذا هم جلوس لم يقوموا، فرجع النبي ﷺ ورجعت، حتى إذا بلغ حجرة عائشة، وظن أنهم قد خرجوا، فرجع ورجعت معه، فإذا هم قد خرجوا، فضرب النبي ﷺ بيني وبينه الستر، وأنزل الحجاب. قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ

بالدعاء ﴿إِلَىٰ طَعَامٍ﴾ فتدخلوا ﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ﴾ منتظرين ﴿إِنَىٰهُ﴾ نضجه مصدرأنى يأني ﴿وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا﴾ تمكثوا ﴿مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ من بعضكم لبعض ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ﴾ المكث ﴿كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ﴾ أن يخرجكم ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ أن يخرجكم أي لا يترك بيانه، وقرىء يستحي بياء واحدة ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ أي أزواج النبي ﷺ ﴿مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ ستر ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ من الخواطر المريبة ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ بشيء ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ﴾

﴿لَكُمْ﴾ أي إلا بسبب الإذن لكم. قوله: ﴿إِلَى طَعَامٍ﴾ متعلق بيؤذن لتضمينه معنى يدعى كما قدره المفسر. قوله: (فتدخلوا) ﴿غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ هذا التقدير غير مناسب، لأنه يقتضي أن الدخول مع الإذن، لا يجوز معه انتظار نضج الطعام، مع أنه يجوز، فالمناسب حذف هذا التقدير، إذ هذه الآية نزلت في قوم كانوا يدخلون من غير إذن، وينتظرون نضج الطعام، فنهاهم الله عن كل من الأمرين. والحاصل: أن أسباب النزول في هذه الآيات تعددت، منها: أن قوماً كانوا يدخلون بيوت النبي بغير دعوى وينتظرون نضج الطعام، ومنها: أن قوماً كانوا يدخلون بإذن ويتخلفون بعدما طعموا مستأنسين لحديث، ومنها: مؤاكلة الأجانب مع رسول الله ﷺ بحضور زوجاته، فنزلت آية الحجاب، ونهى عن ذلك كله، وهذه آيات الحجاب الخصوص أمهات المؤمنين، وأما لعموم الأمة، فقد تقدم في سورة النور تأمل. قوله: (مصدر أنى يأني) أي من باب رمى، وقياس مصدر أنى، لكن لم يسمع، وإنما المسموع إنى بالكسر والقصر.

قوله: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ﴾ أي أكلتم الطعام. قوله: ﴿فَانْتَشِرُوا﴾ أي اذهبوا حيث شئتم في الحال، ولا تمكثوا بعد الأكل والشرب. قوله: ﴿وَلَا﴾(تمكثوا) ﴿مُسْتَأْنِسِينَ﴾ أشار بذلك إلى أن ﴿مُسْتَأْنِسِينَ﴾ حال من محذوف، وذلك المحذوف معطوف على انتشروا. قوله: ﴿كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾ أي لتضيقه عليه. قوله: ﴿فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ﴾ أي من إخراجكم. قوله: ﴿واللهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ المراد بالحق إخراجكم من منزله، وأطلق الاستحياء في حق الله، وأريد لازمه وهو ترك البيان. قوله: (بياء واحدة) أي قراءة شاذة في الثاني. قوله: ﴿فَاسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ روي أن عمر قال: يا رسول الله، يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فنزلت، وروي أن رسول الله ﷺ كان يأكل ومعه بعض أصحابه، فأصابت يد رجل منهم عائشة، وهي تأكل معهم، فكره النبي ذلك، فنزلت هذه الآية. قوله: ﴿ذٰلِكُمْ﴾ أي ما ذكر من عدم الدخول بغير إذن، وعدم الاستئناس للحديث، وسؤال المتاع من وارء الحجاب. قوله: (من الخواطر المريبة) أي أنفى وأبعد لدفع الريبة والتهمة، وهو يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يثق بنفسه في الخلوة، مع من لا تحل له، فإن مجانبة ذلك أحسن لحاله وأحصن لنفسه.

قوله: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ﴾ أي ما صح وما استقام لكم، وقوله: ﴿أَنْ تُؤْذُوا﴾ وهو اسم ﴿كَانَ﴾، و ﴿لَكُمْ﴾ خبرها، و ﴿أَنْ تَنْكِحُوا﴾ عطف على اسم ﴿كَانَ﴾ نزلت هذه الآية في رجل من الصحابة يقال له طلحة بن عبيد الله، قال في سره: إذا قبض رسول الله ﷺ نكحت عائشة، ثم ندم هذا الرجل، ومشى على رجليه، وحمل على عشرة أفراس في سبيل الله، وأعتق رقبة، فكفر الله عنه. قوله: ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي

عِندَ ٱللَّهِ﴾ ذنباً ﴿عَظِيمًا﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ في نكاحهن بعده ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ ﴿٥٤﴾ فيجازيكم عليه ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾ أي المؤمنات ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ﴾ من الإماء والعبيد أن يروهن ويكلموهن من غير حجاب ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾ فيما أمرتن به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا﴾ ﴿٥٥﴾ لا يخفى عليه شيء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ محمد ﷺ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ ﴿٥٦﴾ أي قولوا: اللهم صل على محمد وسلم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ

بعد وفاته أو فراقه، ولو قبل الدخول بها، لأن كل من عقد عليها رسول الله ﷺ يتأبد تحريمها على أمته، وأما إماؤه فلا يحرمن على غيره إلا بمسه لهن. قوله: ﴿إِنَّ ذٰلِكُمْ﴾ أي ما ذكر من إيذائه ونكاح أزواجه من بعده. قوله: ﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئاً﴾ أي تظهروه على ألسنتكم، وقوله: ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ أي في صدوركم، وقوله: (فيجازيكم عليه) جواب الشرط، وقوله: ﴿فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ تعليل للجواب وهو بمعنى قوله تعالى: ﴿إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾.

قوله: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ﴾ إلخ، هذا في المعنى مستثنى من قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً﴾ الآية، روي أنه لما نزلت آية الحجاب قال آباؤهن وأبناؤهن: يا رسول الله أو نكلمهن أيضاً من وراء حجاب، فنزلت هذه الآية. وقوله: ﴿فِي آبَائِهِنَّ﴾ أي أصولهن وإن علوا، وقوله: ﴿وَلَا أَبْنَائِهِنَّ﴾ المراد فروعهن وإن سفلوا. قوله: ﴿وَلَا نِسَائِهِنَّ﴾ الإضافة من حيث المشاركة في الوصف وهو الإسلام، فقول المفسر (أي المؤمنات) تفسير للمضاف، ومفهومه أن النساء الكافرات، لا يجوز لهن النظر لأزواج النبي ﷺ وهو كذلك، ولا مفهوم لأزواج النبي، بل جميع النساء المسلمات كذلك، فلا يحل للمسلمة أن تبدي شيئاً منها للكافرة، لئلا تصفها لزوجها الكافر. قوله: ﴿وَاتَّقِينَ اللهَ﴾ عطف على محذوف، والتقدير امتثلن ما أمرتن به، واتقين الله، وحكمة تخصيص الحجاب هنا بأمهات المؤمنين، وإن تقدم في سورة النور عموماً دفع توهم أن أزواج النبي كالأمهات من كل وجه، فأفاد هنا أنهن كالأمهات في التعظيم والتوقير، لا في الخلوة والنظر، فإنهن كالأجانب بل هن أشد، فذكر لهن حجاباً مخصوصاً، فلا يقال إنه مكرر مع ما تقدم في النور. قوله: (لا يخفى عليه شيء) أي من الطاعات والمعاصي الظاهرة والخفية.

قوله: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ إلخ، هذه الآية فيها أعظم دليل على أنه ﷺ مهبط الرحمات، وأفضل الخلق على الإطلاق، إذ الصلاة من الله على نبيه، ورحمته المقرونة بالتعظيم، ومن الله على غير النبي مطلق الرحمة، لقوله تعالى: ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ فانظر الفرق بين الصلاتين، والفضل بين المقامين. قوله: ﴿وَمَلَائِكَتَهُ﴾ بالنصب معطوف على اسم ﴿إِنَّ﴾، وقوله: ﴿يُصَلُّونَ﴾ خبر عن الملائكة، وخبر لفظ الجلالة محذوف تقديره: إن الله يصلي وملائكته يصلون، وهذا هو الأتم لتغاير الصلاتين، والمراد بالملائكة جميعهم، والصلاة من الملائكة الدعاء للنبي بما يليق به، وهو الرحمة المقرونة بالتعظيم، وحينئذ فقد وسعت رحمة النبي كل شيء، تبعاً لرحمة الله، فصار بذلك مهبط الرحمات، ومنبع التجليات.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ أي ادعوا له بما يليق به، وحكمة صلاة الملائكة والمؤمنين

﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ وهم الكفار، يصفون الله بما هو منزه عنه من الولد والشريك، ويكذبون رسوله ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ۝٥٧﴾ ذا إهانة وهو النار ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ يرمونهم بغير ما عملوا ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا﴾ تحملوا

على النبي تشريفهم بذلك، حيث اقتدوا بالله في مطلق الصلاة، وإظهار تعظيمه ﷺ، ومكافأة لبعض حقوقه على الخلق، لأنه الواسطة العظمى في كل نعمة وصلت لهم، وحق على من وصل له نعمة من شخص أن يكافئه، فصلاة جميع الخلق عليه، مكافأة لبعض ما يجب عليهم من حقوقه. إن قلت: إن صلاتهم طلب من الله أن يصلي عليه، وهو مصل عليه مطلقاً طلبوا أو لا؟ أجيب: بأن الخلق لما كانوا عاجزين عن مكافأته ﷺ؛ طلبوا من القادر المالك أن يكافئه، ولا شك أن الصلاة الواصلة للنبي ﷺ من الله لا تقف عند حد، فكلما طلبت من الله، زادت على نبيه، فهي دائمة بدوام الله.

قوله: ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ إن قلت: خص السلام بالمؤمنين، دون الله والملائكة. أجيب بأن هذه الآية لما ذكرت عقب ذكر ما يؤذي النبي، والأذية إنما هي من البشر، فناسب للتخصيص بهم، لأن في السلام سلامة من الآفات، وأكد السلام دون الصلاة، لأنها لما أسندت لله وملائكته، كانت غنية عن التأكيد. واعلم أن العلماء اتفقوا على وجوب الصلاة والسلام على النبي ﷺ، ثم اختلفوا في تعيين الواجب، فعند مالك تجب الصلاة والسلام في العمر مرة، وعند الشافعي تجب في التشهد الأخير من كل فرض، وعند غيرهما تجب في كل مجلس مرة، وقيل: تجب عند ذكره، وقيل: يجب الإكثار منها من غير تقييد بعدد، وبالجملة فالصلاة على النبي أمرها عظيم، وفضلها جسيم، وهي من أفضل الطاعات، وأجل القربات، حتى قال بعض العارفين: إنها توصل إلى الله تعالى من غير شيخ، لأن الشيخ والسند فيها صاحبها، لأن تعرض عليه، ويصلى على المصلي بخلاف غيرها من الأذكار، فلا بد فيها من الشيخ العارف، وإلا دخلها الشيطان، ولم ينتفع صاحبها بها. قوله: **(أي قولوا اللهم صلِّ على محمد وسلم)** أي اجمعوا بين الصلاة والسلام، وصيغ الصلاة على النبي ﷺ كثيرة لا تحصى وأفضلها ما ذكره فيه لفظ الآل والصحب، فمن تمسك بأي صيغة منها، حصل له الخير العظيم.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ الإيذاء في حق الله معناه تعدي حدوده، وفي حق الرسول ظاهر. قوله: **(وهم الكفار)** أي اليهود والنصارى والمشركون. قوله: ﴿لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا﴾ أي حجبهم عن الطاعة والتوحيد. قوله: ﴿وَالآخِرَةِ﴾ أي بتخليدهم في العذاب الدائم. قوله: **(أبعدهم)** أي عن رحمته. قوله: **(ذا إهانة)** أي هوان واستخفاف.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إلخ، قيل: نزلت في علي بن أبي طالب، كانوا يؤذونه ويسمعونه، وقيل: نزلت في شأن عائشة رضي الله عنها، وقيل: نزلت في شأن المنافقين الذين كانوا يمشون في طرق المدينة يطلبون النساء إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن، فإن سكتت المرأة اتبعوها، وإن زجرتهم انتهوا عنها، وفي هذه الآية زجر لمن يسيء الظن بالمؤمنين والمؤمنات، ويتكلم فيهم من غير علم، وهي بمعنى قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم﴾.

كذباً ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ ۝٥٨ بيناً ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ﴾ جمع جلباب وهي الملاءة التي تشتمل بها المرأة، أي يرخين بعضها على الوجوه إذا خرجن لحاجتهن، إلا عيناً واحدة ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ﴾ أقرب إلى ﴿أَن يُعْرَفْنَ﴾ بأنهن حرائر ﴿ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ بالتعرض لهن، بخلاف الإماء فلا يغطين وجوههن، فكان المنافقون يتعرضون لهن ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لما سلف منهن من ترك الستر ﴿رَّحِيمًا﴾ ۝٥٩ بهن إذ سترهن ﴿لَّئِن﴾ لام قسم ﴿ لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ عن نفاقهم ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ بالزنا ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ المؤمنين بقولهم: قد أتاكم العدو، وسراياكم قتلوا أو هزموا ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ لنسلطنك عليهم ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾ يساكنونك ﴿ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ۝٦٠ ثم يخرجون ﴿مَّلْعُونِينَ﴾ مبعدين عن الرحمة ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟﴾ وجدوا ﴿أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾ ۝٦١ أي الحكم فيهم هذا على جهة الأمر به ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ أي سن الله ذلك ﴿فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ من الأمم الماضية في منافقيهم المرجفين المؤمنين ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ ۝٦٢ منه ﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ متى تكون ﴿قُلْ

قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ**﴾ إلخ، سبب نزولها: أن المنافقين كانوا يتعرضون للنساء بالأذية، يريدون منهن الزنا، ولم يكونوا يطلبون إلا الإماء، ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الأمة، لأن زي الكل واحد، تخرج الحرة والأمة في درع وخمار، فتكون ذلك لأزواجهن، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت. قوله: ﴿**يُدْنِينَ**﴾ أي يرخين ويغطين. قوله: (**التي تشتمل بها**)أي تتغطى وتتستر بها المرأة من فوق الدرع والخمار. قوله: (**فلا يغطين وجوههن**) أي فكن لا يغطين وجوههن، وهذا فيما مضى، وأما الآن فالواجب على الحرة والأمة الستر بثياب غير مزينة خوف الفتنة. قوله: (**لما سلف منهن من ترك الستر**) ورد أن عمر بن الخطاب مر بجارية متقنعة، فعلاها بالدرة وقال لها أتتشبهين بالحرائر يا لكاع، ألقي القناع.

قوله: ﴿**لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ**﴾ أي كعبد الله بن أبي وأصحابه. قوله: ﴿**وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ**﴾ أي فجور وهم الزناة، وهم من جملة المنافقين. قوله: ﴿**وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ**﴾ أي بالكذب، وذلك أن ناساً منهم كانوا إذا خرجت سراياه ﷺ يوقعون في الناس أنهم قد قتلوا وهزموا ويقولون: قد أتاكم العدو. قوله: (**لنسلطنك عليهم**) أي فتخرجهم من مجلسك وتقتلهم، وقد فعل بهم ﷺ ذلك، فإنه لما نزلت في سورة براءة، جمعهم وصعد على المنبر فقال النبي ﷺ: يا فلان قم فاخرج فإنك منافق، ويا فلان قم، فقام إخوانهم من المسلمين، وتولوا إخراجهم من المسجد. قوله: ﴿**مَلْعُونِينَ**﴾ حال من محذوف قدره المفسر بقوله: (**ثم يخرجون**). قوله: (**أي الحكم فيهم هذا**) أي الأخذ والقتل. قوله: (**على جهة الأمر به**) أي أن الآية خبر بمعنى الأمر. (**أي سن الله ذلك**) أشار بذلك إلى أن سنة مصدر مؤكد، وفيه تسلية للنبي ﷺ، أي فلا تحزن على وجود المنافقين في قومك، فإنه سنة قديمة، كما كان في قوم موسى، منهم موسى السامري وأتباعه، وقارون وأتباعه. قوله: ﴿**وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً**﴾ أي تغييراً ونسخاً، لكونها بنيت على أساس متين، فليست مثل الأحكام التي تتبدل وتتنسخ.

قوله: ﴿**يَسْئَلُكَ النَّاسُ**﴾ أي على سبيل الاستهزاء والسخرية، لأنهم ينكرونها. واعلم أن السائل للنبي

إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ﴾ يعلمك بها أي أنت لا تعلمها ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ﴾ توجد ﴿قَرِيبًا﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ ﴿٦٤﴾ ناراً شديدة يدخلونها ﴿خَٰلِدِينَ﴾ مقدراً خلودهم ﴿فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يحفظهم عنها ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ﴿٦٥﴾ يدفعها عنهم ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ﴾ للتنبيه ﴿يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي الأتباع منهم ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾ وفي قراءة ساداتنا جمع الجمع ﴿وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ ﴿٦٧﴾ طريق الهدى ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي مثلي عذابنا ﴿وَٱلْعَنْهُمْ﴾ عذبهم ﴿لَعْنًا كَبِيرًا﴾ ﴿٦٨﴾ عدده وفي قراءة بالموحدة أي عظيماً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟﴾ مع نبيكم ﴿كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾ بقولهم مثلاً: ما يمنعه أن يغتسل معنا إلا أنه آدر ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ

عن الساعة أهل مكة واليهود، فسؤال أهل مكة استهزاء، وسؤال اليهود امتحان، لأن الله أخفى علمها في التوراة، فإن أجابهم بالتعيين ثبت عندهم كذبه، وإن أجابهم بقوله: علمها عند ربي مثلاً، ثبتت نبوته وصدقه، فقول المفسر (**أي أهل مكة**) أي واليهود. قوله: ﴿**عَنِ السَّاعَةِ**﴾ أي عن أصل ثبوتها، وعن وقت قيامها. قوله: ﴿**قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ**﴾ أي لم يطلع عليها أحد، وهذا إنما هو وقت السؤال، وإلا فلم يخرج نبينا ﷺ من الدنيا، حتى أطلعه الله على جميع المغيبات ومن جملتها الساعة، لكن أمر بكتم ذلك.

قوله: ﴿**وَمَا يُدْرِيكَ**﴾ ﴿**مَا**﴾ استفهامية مبتدأ، وجملة ﴿**يُدْرِيكَ**﴾ خبره، والاستفهام إنكاري. قوله: ﴿**لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً**﴾ ﴿**لَعَلَّ**﴾ حرف ترج ونصب، و ﴿**السَّاعَةَ**﴾ اسمها، وجملة ﴿**تَكُونُ**﴾ خبرها، و ﴿**قَرِيباً**﴾ حال وتكون تامة، ولذا فسرها بتوجد، والمعنى قل أترجى وجود الساعة عن قريب، فكل منها جملة مستقلة لما ورد: أن الدنيا سبعة آلاف سنة، بعث رسول الله ﷺ في الألف السابع، فلم يبق من الدنيا إلا القليل. قوله: (**أبعدهم**) أي عن رحمته. قوله: (**مقدراً خلودهم**) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿**خَالِدِينَ**﴾ حال مقدرة. قوله: ﴿**فِيهَا**﴾ أي من السعير، وأنثه مراعاة لمعناه. قوله: ﴿**أَبَداً**﴾ تأكيد لما استفيد من قوله: ﴿**خَالِدِينَ**﴾.

قوله: ﴿**يَوْمَ تُقَلَّبُ**﴾ إما ظرف لخالدين، أو ليقولون مقدم عليه، والمعنى تصرف من جهة إلى جهة، كاللحم يشوى بالنار. قوله: ﴿**يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا**﴾ كلام مستأنف واقع في جواب سؤال مقدر كأنه قيل: ماذا صنعوا عند ذلك؟ فقيل: يقولون متحسرين على ما فاتهم ﴿**يَا لَيْتَنَا**﴾ إلخ. قوله: ﴿**وَأَطَعْنَا الرَّسُولاَ**﴾ بألف بعد اللام، وبدونها هنا، وفي قوله: ﴿**السَّبِيلاَ**﴾ قراءتان سبعيتان، وتقدم التنبيه على ذلك. قوله: ﴿**سَادَتَنَا**﴾ جمع إما لسيد أو لسائد على غير قياس. قوله: (**وفي قراءة**) أي وهي سبعية أيضاً. قوله: (**جمع الجمع**) أي جمع تصحيح بالألف والتاء لسادة، الذي مفرده إما سيد أو سائد. قوله: (**أي مثلي عذابنا**) أي لأنهم ضلوا وأضلوا. قوله: (**وفي قراءة بالموحدة**) أي وهما سبعيتان. قوله: (**ما يمنعه أن يغتسل معنا**) إلخ، أي لما روي أن بني إسرائيل كانوا يغتسلون عراة، ينظر بعضهم إلى سوأة بعض، وكان موسى يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا، إلا أنه آدر، فذهب يوماً يغتسل، فوضع ثوبه على حجر، ففر الحجر بثوبه، فجلع موسى عليه السلام يعدو إثره يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى

مِمَّا قَالُوا﴾ بأن وضع ثوبه على حجر ليغتسل، فقرَّ الحجر به حتى وقف بين ملإ من بني إسرائيل، فأدركه موسى فأخذ ثوبه فاستتر به، فرأوه لا أدرة به وهي نفخة في الخصية ﴿وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ ﴿٦٩﴾ ذا جاه. ووما أوذي به نبينا ﷺ أنه قسم قسماً، فقال رجل: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تعالى، فغضب النبي ﷺ من ذلك وقال: يرحم الله موسى، لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر، رواه البخاري. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ ﴿٧٠﴾ صواباً ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ يتقبلها ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ﴿٧١﴾ نال غاية مطلوبه ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ الصلوات وغيرها مما في فعلها من الثواب وتركها من العقاب ﴿عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ بأن خلق فيها فهماً ونطقاً ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ﴾ خفن ﴿مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ﴾ آدم بعد عرضها عليه ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا﴾

نظرت بنو إسرائيل سوأة موسى فقالوا: والله ما بموسى من بأس، فقام الحجر حتى نظروا إليه، فأخذ ثوبه فاستتر به، وطفق بالحجر ضرباً، قال أبو هريرة: والله إن به ندباً، أي اثراً، ستة أو سبعة من ضرب موسى.

قوله: ﴿فَبَرَّأَهُ الله﴾ أي أظهر له براءته لهم. قوله: **(وهي نفخة في الخصية)** أي بسبب انصباب مادة أو ريح غليظ فيها. قوله: ﴿**وَكَانَ عِنْدَ الله وَجِيهاً**﴾ المراد عندية مكانه وقدر لا مكان. قوله: **(فغضب النبي من ذلك)** أي وقال كما في رواية: «إن لم أعدل من يعدل، خسرت وندمت إن لم أعدل». قوله: ﴿**قَوْلاً سَدِيداً**﴾ المراد قولاً فيه رضا الله، بأن يكون ما يعني الإنسان، فدخل في ذلك جميع الطاعات القولية، وهذا التفسير أتم من غيره. قوله: **(يتقبلها)** أي يثبكم عليها. قوله: ﴿**وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**﴾ أي يمحها من الصحف، أو يسترها عن الملائكة.

قوله: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ**﴾ اختلف في المراد بالأمانة، فأحسن ما قيل فيها: إنها التكاليف الشرعية، وقيل: إنها قواعد الدين الخمس، وقيل: هي الودائع، وقيل: الفرج، وقيل: غير ذلك، روي أن الله تعالى قال للسماوات والأرض والجبال: أتحملن هذه الأمانة بما فيها؟ قلن: وما فيها؟ قال: إن أحسنتن جوزيتن، وإن عصيتن عوقبتن، قلن: لا يا رب نحن مسخرات لأمرك، لا نريد ثواباً ولا عقاباً، وقلن ذلك خوفاً وخشية وتعظيماً لدين الله لئلا يقمن بها، لا معصية ولا مخالفة لأمره، وكان العرض عليهن تخييراً لا إلزاماً، ولو ألزمهن لم يمتنعن من حملها. قوله: **(من الثواب)** بيان لما، أي عرضناها مع الثواب والعقاب على السموات إلخ. قوله: **(بأن خلق فيها فهماً)** أي حتى عقلت الخطاب، وقوله: **(ونطقاً)** أي حتى ردت الجواب.

قوله: ﴿**فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا**﴾ أي استصغاراً أو خوفاً من عدم الوفاء بها، فليس إباؤهن كإباء إبليس من السجود لآدم، لأن السجود كان فرضاً، والأمانة كانت عرضاً، وإباؤه استكباراً، وإباؤهن استصغاراً. قوله: ﴿**وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا**﴾ أي خفن من عدم القيام بها وعدم أدائها. قوله: ﴿**وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ**﴾ عطف على محذوف تقديره فعرضناها على الإنسان فحملها. قوله: **(بعد عرضها عليه)** روي أن الله عز وجل قال

لنفسه بما حمله ﴿جَهُولًا﴾ ﴿٧٢﴾ به ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ﴾ اللام متعلقة بعرضنا المترتب عليه حمل آدم ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ المضيعين الأمانة ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ المؤدين الأمانة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ للمؤمنين ﴿رَّحِيمًا﴾ ﴿٧٣﴾ بهم.

لآدم: إن عرضت الأمانة على السماوات والأرض والجبال فلم تطقها. فهل أنت آخذها بما فيها؟ قال: يا رب وما فيها؟ قال: إن أحسنت جوزيت، وإن أسأت عوقبت، فحملها آدم فقال: بين أذني وعاتقي، قال الله تعالى: أما إذا تحملت فسأعينك، وأجعل لبصرك حجاباً، فإذا خشيت أن تنظر إلى ما لا يحل، فأرخ عليه حجابه، وأجعل للسانك لحيين وغلاقاً، فإذا خشيت فأغلق عليه، وأجعل لفرجك لباساً، فلا تكشفه على ما حرمت عليك، قال مجاهد: فما كان بين أن تحملها، وبين أن أخرج من الجنة، إلا مقدار ما بين الظهر إلى العصر.

قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً﴾(لنفسه) أي حيث حملها ما لا تطيقه، وقوله: ﴿جَهُولاً﴾(به) أي بما حمله، وقيل جهولاً بقدر ربه، لأنه لا يعلم قدره غيره، وهذا يناسب تفسير الإنسان بآدم، وعود الضمير عليه، وإن أريد بالضمير ما يشمله وأولاده، فيكون في الكلام استخدام، فيقال في الأنبياء والصالحين منهم كذلك، وفي غيرهم الظلم والجهل، من حيث خيانته في الأمانة ومجاوزته حد الشرع.

قوله: ﴿لِيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ﴾ اللام للعاقبة والصيرورة على حد ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾. قوله: ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُوراً﴾(للمؤمنين) أي حيث عفا عما سلف منهم. قوله: ﴿رَحِيماً﴾(بهم) أي حيث أثابهم وأكرمهم بأنواع الكرامات، وحكمة اخبار الأمة بما حصل من تحمل آدم الأمانة ليكونوا على أهبة، ويعرفوا أنهم متحملون أمراً عظيماً لم تقدر على حمله الأرض والسموات والجبال، وقيل في حق المعصوم: إنه كان ظلوماً جهولاً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ سَبَإٍ

مكيّة

إلا ﴿ويرى الذين اوتوا العلم﴾ الآية. وهي أربع أو خمس وخمسون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حمد تعالى نفسه بذلك، والمراد به الثناء بمضمونه من ثبوت الحمد، وهو الوصف بالجميل لله تعالى ﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ كالدنيا يحمده أولياؤه إذا دخلوا الجنة ﴿وَهُوَ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

سورة سبأ مكية

إلا ﴿ويرى الذين أوتوا العلم﴾ الآية. وهي أربع أو خمس وخمسون آية

بالصرف وتركه كما سيأتي، سميت بذلك لذكر قصة سبأ فيها، من باب تسمية الشيء باسم بعضه.
قوله: **(حمد تعالى)** من باب فهم. قوله: **(المراد به)** بالجر نعت لاسم الإشارة. قوله: **(الثناء بمضمونه)** أي انشاء الثناء بمضمونه، وهو الوصف بالجميل، وليس المراد انشاء المضمون، لأن اتصافه بالجميل أزلي ثابت له سبحانه وتعالى، وإنما تعبدنا الله تعالى، بتجديد حمد موافق للحمد الأزلي، وهذا يؤيد قول بعض العلماء: إن أل في الحمد عهدية، لأن الله لما علم عجز خلقه في كنهه، حمد نفسه بنفسه أزلاً، وأمرهم أن يحمدوه بحمد موافق لحمده، فتحصل أن الوصف بالجميل ثابت لله أزلاً، وإنشاء الثناء به حادث، فقول الله تعالى ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ**﴾ اللفظ والتلفظ حادثان دالان على معنى قديم، وهو اتصاف الله بالجميل. إن قلت: الحمد مدح، ومدح النفس مذموم بين الخلق، فما وجه ذلك؟ أجيب: بأن أوصاف الرب لا تقاس على أوصاف العبيد، ألا ترى الاتصاف بالعظمة والكبرياء، فإنها نقص في الخلق، كمال في الخالق، وبهذا انهدم قول المعتزلة: إن كل ما حسنه العقل يوصف به الرب، وكل ما قبحه العقل ينزه عنه، وبنوا على ذلك أموراً فاسدة منها: وجوب الصلاح والأصلح، وغير ذلك. قوله: **(ملكاً وخلقاً)** أي إن كل ما في السماوات وما في الأرض، مملوك ومخلوق له سبحانه وتعالى.

قوله: ﴿**وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ**﴾ أي في نظير النعم التي تعطى لأهل الإيمان، فالحمد في الآخرة مخصوص بمن آمن، وأما الكفار فليسوا من أهله. قوله: **(كالدنيا)** أشار بذلك أن في الآية اكتفاء. قوله: **(يحمده أولياؤه)** المراد بهم المؤمنون. قوله: **(إذا دخلوا الجنة)** أي فيقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا

﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في فعله ﴿ٱلۡخَبِيرُ ۝١﴾ بخلقه ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ﴾ يدخل ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ كماء وغيره ﴿وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا﴾ كنبات وغيره ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من رزق وغيره ﴿وَمَا يَعۡرُجُ﴾ يصعد ﴿فِيهَاۚ﴾ من عمل وغيره ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ﴾ بأوليائه ﴿ٱلۡغَفُورُ ۝٢﴾ لهم ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ﴾ القيامة ﴿قُلۡ﴾ لهم ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ﴾ بالجر صفة، والرفع خبر مبتدإ، وعلام بالجر ﴿لَا يَعۡزُبُ﴾ يغيب ﴿عَنۡهُ مِثۡقَالُ﴾ وزن ﴿ذَرَّةٖ﴾ أصغر نملة ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٣﴾ بيِّن هو اللوح المحفوظ ﴿لِّيَجۡزِيَ﴾ فيها ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ۝٤﴾ حسن في

الحزن، الحمد لله الذي صدقنا وعده. قوله: ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ أي فلا اعتراض عليه في فعل من الأفعال.

قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ﴾ تفصيل لبعض معلوماته التي تعلق بها مصالح الدين والدنيا. قوله: (**كماء وغيره**) أي كالكنوز والأموات. قوله: (**كنبات وغيره**) أي كالكنوز والأموات إذا اخرجت من القبور. قوله: (**من رزق وغيره**) أي كالبركات والملائكة والصواعق. قوله: ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ ضمن العروج معنى الاستقرار، فعداه بفي دون إلى. قوله: (**من عمل وغيره**) أي كالملائكة، فهو سبحانه وتعالى محيط بجميع ذلك. قوله: ﴿الْغَفُورُ﴾(**لهم**) أي إذا عصوه أو فرطوا في بعض حقوقه، وفي ذلك إشارة إلى أن رحمة الله وغفرانه، مختصان بمن يدخل الجنة، وهذا في الآخرة، وأما في الدنيا، فرحمته وسعت كل شيء. قوله: ﴿لاَ تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ أراد الكفار بضمير التكلم جميع الخلق لا خصوص أنفسهم، وأرادوا أيضاً ينفي اتيانها، نفي وجودها لا عدم حضورها، مع كونها في نفس الأمر.

قوله: ﴿قُلْ بَلَى﴾ رد لكلامهم، لأن كلامهم نفي. فأجيب بالنفي، ونفي النفي اثبات. قوله: ﴿وَرَبِّي﴾ أتى بالقسم تأكيداً للرد، وقوله: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾ تقوية للتأكيد، والحكمة في وصفه تعالى بهذا الوصف، الإهتمام بشأن المقسم عليه. قوله: (**بالجر**) إلخ، أي فالقراءات الثلاث سبعيات وجهان في صيغة اسم الفاعل، ووجه واحد في صيغة المبالغة. قوله: ﴿لاَ يَعْزُبُ﴾ بضم الزاي في قراءة الجمهور، وكسرها في قراءة الكسائي. قوله: ﴿وَلاَ أَصْغَرُ مِنْ ذٰلِكَ﴾ إلخ، قرأ العامة بضم الراء في أصغر وأكبر على أنه مبتدأ، وخبره قوله: ﴿إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ وقرىء بفتح الراء، على أن لا نافية للجنس، و ﴿أَصْغَرُ﴾ اسمها، وقوله: ﴿إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ خبرها، والمعنى على كل من القراءتين واحد، وهو أن كل ما كان، وما يكون، وما هو كائن من سائر المخلوقات، ثابت في اللوح المحفوظ ومبين فيه زيادة على تعلق علم الله به وإثباتها في اللوح، لا لاحتياج تنزه الله عنه. إن قلت: أي حاجة إلى ذكر الأكبر بعد الأصغر، إذ هو مفهوم بالأولى؟ أجيب: بأنه لرفع توهم أن اثبات الأصغر خوف توهم النسيان، وأما الأكبر فلا ينسى، فلا حاجة إلى إثباته، فأفاد أن كلًا مرسوم في اللوح المحفوظ لا لاحتياج.

قوله: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلخ، علة لقوله: ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ كأنه قال: لتأتينكم لأجل جزاء المؤمنين والكافرين، واللام للعاقبة والصيرورة. قوله: (**حسن في الجنة**) أي محمود العاقبة، وأعظمه رؤية

الجنة ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ﴾ إبطال ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ وفي قراءة هنا وفيما يأتي معاجزين، أي مقدرين عجزنا أو مسابقين لنا فيفوتونا لظنهم أن لا بعث ولا عقاب ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ﴾ سيىء العذاب ﴿أَلِيمٌ ۝٥﴾ مؤلم بالجر والرفع، صفة لرجز وعذاب ﴿وَيَرَى﴾ يعلم ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ مؤمنو أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي القرآن ﴿هُوَ﴾ فصل ﴿ٱلْحَقَّ وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾ طريق ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٦﴾ أي الله ذي العزة المحمود ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي قال بعضهم على وجهة التعجيب لبعض ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ هو محمد ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾ يخبركم أنكم ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ﴾ قطعتم ﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ بمعنى تمزيق ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧﴾ ﴿أَفْتَرَىٰ﴾ بفتح الهمزة للاستفهام، واستغنى بها عن

الله تعالى. قوله: ﴿**وَالَّذِينَ سَعَوْا**﴾ عطف على قوله: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ وما بينهما اعتراض سيق لبيان جزاء المؤمنين، وهذا أحسن من جعله مبتدأ خبره ﴿**أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ**﴾ إلخ. قوله: (**في ابطال**) ﴿**آيَاتِنَا**﴾ أي بالطعن فيها ونسبتها إلى الأكاذيب. قوله: (**وفي قراءة**) أي وهي سبعية أيضاً. قوله: (**مقدرين عجزنا**) إلخ، لف ونشر مرتب، والمعنى مؤملين أنهم يعجزون رسولنا، بسبب سعيهم في إبطال القرآن. قوله: (**أو مسابقين لنا**) أي مغالبين لنا بسبب طعنهم في القرآن، ظانين أن مغالبتم تمنع عنهم العذاب، وذلك أن القرآن يثبت البعث والعذاب لمن كفر، فيطعنون فيه ويريدون ابطاله، لظنهم أن ذلك الإبطال ينفعهم، فيفروا من البعث والعذاب، لاعتقادهم بطلانه. قوله: (**لظنهم أن لا بعث**) إلخ، علة لقوله: ﴿**سَعَوا**﴾. قوله: (**بالجر والرفع**) أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿**وَيَرَى**﴾ إما بالرفع بضمة مقدرة على الاستئناف، أو بالنصب على أنه معطوف على يجزي، فقول المفسر (**يعلم**) يصح قراءته بالوجهين، و ﴿**الَّذِينَ**﴾ فاعل، و ﴿**الَّذِي أُنْزِلَ**﴾ مفعول أول وهو ضمير فصل، و ﴿**الْحَقَّ**﴾ معفول ثان، وقوله: ﴿**وَيَهْدِي**﴾ إما عطف على ﴿**الْحَقَّ**﴾ من باب عطف الفعل على الاسم الخالص، كأنه قيل: ﴿**وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنَ رَّبِّكَ**﴾ الحق وهادياً، أو مستأنف، أو حال بتقدير وهو يهدي. قوله: (**مؤمنو أهل الكتاب**) هذا أحد أقوال، وقيل: المراد بهم أصحاب رسول الله ﷺ، وقيل: جميع المسلمين. قوله: ﴿**الْعَزِيزِ**﴾ أي عديم النظير والشبيه والمثيل، أو من عز بمعنى قهر وغلب. قوله: ﴿**الْحَمِيدِ**﴾ فعيل بمعنى مفعول، أي محمود في ذاته وصفاته وأفعاله. قوله: (**هو محمد**) نكروه تجاهلاً وسخرية، كأنهم لم يعرفوا منه إلا أنه رجل، مع أنه عندهم أشهر من الشمس في رائعة النهار.

قوله: ﴿**إِذَا مُزِّقْتُمْ**﴾ يتعين أن عامل الظرف محذوف تقديره تبعثون وتحشرون إذا مزقتم إلخ، يدل عليه قوله: ﴿**إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾ ولا يصح أن يكون عامله ﴿**يُنَبِّئُكُمْ**﴾ لأن الإخبار لم يقع في ذلك الوقت، ولا قوله: ﴿**مُزِّقْتُمْ**﴾ لأنه مضاف إليه، والمضاف إليه لا يعمل في المضاف، ولا ﴿**خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾ لأن ما بعد أن لا يعمل فيما قبلها، وعبارة المفسر غير وافية بالمراد، فلو قال: يخبركم أنكم تبعثون إذا مزقتم لوفى بالمقصود. قوله: (**بمعنى تمزيق**) أشار بذلك إلى أن ممزق اسم مصدر، لأن كل ما زاد على الثلاث يجيء بالميم، مصدره وزمانه ومكانه، على زنة اسم مفعول. قوله: ﴿**إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾ أي تنشؤون

همزة الوصل ﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ في ذلك ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ جنون تخيل به ذلك، قال تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ المشتملة على البعث والعذاب ﴿فِى ٱلْعَذَابِ﴾ فيها ﴿وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾ ﴿٨﴾ من الحق في الدنيا ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟﴾ ينظروا ﴿إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم﴾ ما فوقهم وما تحتهم ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا﴾ بسكون السين وفتحها قطعة ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ وفي قراءة في الأفعال الثلاثة بالياء ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المرئي ﴿لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ ﴿٩﴾ راجع إلى ربه، تدل على قدرة الله على البعث وما يشاء ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ﴾ نبوة وكتاباً وقلنا ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى﴾ ارجعي ﴿مَعَهُۥ﴾ بالتسبيح ﴿وَٱلطَّيْرَ ۖ﴾ بالنصب عطفاً على محل الجبال، أي ودعوناها تسبح معه ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ ﴿١٠﴾ فكان في يده كالعجين

خلقاً جديداً بعد تمزيق أجسامكم.

قوله: ﴿أَفْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً﴾ يحتمل أن يكون من تمام قول الكافرين ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ﴾ إلخ، ويحتمل أن يكون من كلام السامع جواباً للقائل. قوله: (**واستغنى بها**) أي بهمزة الاستفهام، لأنها كافية في التوصل للنطق بالساكن. قوله: (**في ذلك**) أي الإخبار بالبعث. قوله: (**جنون**) أي خبل في عقله. قوله: (**قال تعالى**) أشار بذلك إلى أنه هذا إنشاء كلام من الله رداً عليهم، وما تقدم وإن كان كلامه، إلا أنه حكاية عنهم. قوله: ﴿الْعَذَابِ﴾ أي في الآخرة، وذكره إشارة إلى أنه متحتم الوقوع، فنزل المتوقع منزلة الواقع، وقدمه على ﴿الضَّلَالِ﴾ وإن كان الضلال حاصلاً لهم بالفعل، لأن التسلية بحصول العذاب لهم، أتم من الأخبار بكونهم في الضلال.

قوله: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير أعموا فلم يروا، إلخ. قوله: ﴿إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ المراد به ما ينظر له من غير التفات، وقوله: ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ المراد به ما ينظر له بالتفات، فالمراد جميع الجهات. قوله: ﴿مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ بيان لما، والمعنى أفلم يتفكروا في أحوال السماء والأرض، فيستدلوا على باهر قدرته تعالى؟ وقد علمنا الله كيفية النظر بقوله: ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج﴾ الآية. قوله: ﴿إِنْ نَشَأْ﴾ هذا تحذير للكفار كأنه قيل: لم يبق من أسباب وقوع العذاب بكم، إلا تعلق مشيئتنا به. قوله: ﴿نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ﴾ أي كما خسفناها بقارون. قوله: ﴿أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسْفاً﴾ أي كما أسقطناها على أصحاب الأيكة. قوله: (**بسكون السين وفتحها**) أي فهما قراءتان سبعيتان، وكل منهما جمع كسفة، فقول المفسر (**قطعة**) المناسب قطعاً. قوله: (**في الأفعال الثلاثة**) أي نشأ ونخسف ونسقط. قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ (المرئي) أي من السماء والأرض.

قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾ اللام موطئة لقسم محذوف تقديره وعزتنا وجلالنا. قوله: (**وكتاباً**) أي وهو الزبور. قوله: (**وقلنا**) قدره اشارة إلى أن قوله: ﴿يَا جِبَالُ﴾ مقول لقول محذوف معطوف على قوله: ﴿آتَيْنَا﴾ فهو زيادة على الفضل. قوله: ﴿أَوِّبِي﴾ بفتح الهمزة وتشديد الواو أمر من التأويب وهو الترجيع، وهو قراءة العامة، وقرىء شذوذاً أوبي بضم الهمزة وسكون الواو، أمر من آب بمعنى رجع أي ارجعي وعودي معه في التسبيح كلما سبح، فكان داود إذا سبح اجابته الجبال وعطفت عليه ﴿الطَّيْرَ﴾ من فوقه،

وقلنا ﴿ أَنِ ٱعْمَلْ ﴾ منه ﴿سَٰبِغَٰتٍ﴾ دروعاً كوامل يجرها لابسها على الأرض ﴿ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ﴾ أي نسج الدروع، قيل لصانعها سرَّاد، أي اجعله بحيث تتناسب حلقه ﴿وَٱعْمَلُوا۟﴾ أي آل داود معه ﴿ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ﴿١١﴾ فأجازيكم به ﴿وَ﴾ سخرنا ﴿ لِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ ﴾ وقراءة الرفع بتقدير تسخير ﴿غُدُوُّهَا﴾ مسيرها من الغدوة بمعنى الصباح إلى الزوال ﴿شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا﴾ سيرها من الزوال إلى الغروب ﴿شَهْرٌ﴾ أي مسيرته ﴿وَأَسَلْنَا﴾ أذبنا ﴿ لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ﴾ أي

وقيل: كان إذا أدركه فتور، أسمعه الله تسبيح الجبال فينشط له. قوله: **(عطفاً على محل الجبال)** أي لأن محله نصب، لكونه منادى مفرداً، أو مفعولاً معه، وقرىء بالرفع عطف على لفظ الجبال، تشبيهاً للحركة البنائية بالحركة الإعرابية، قال ابن مالك:

وإن يكن مصحوب أل ما نسقا ففيه وجهان ورفع ينتقى

قوله: **﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾** سبب ذلك: أن الله تعالى أرسل ملكاً في صورة رجل، فسأله داود عن حال نفسه فقال له: ما تقول في دواد؟ فقال: نعم هو لولا خصلة فيه، فقال داود: ما هي؟ قال: إنه يأكل ويطعم عياله من بيت المال، فسأل داود ربه أن يسبب له سبباً يستغني به عن بيت المال، فألان الله له الحديد، وعلمه صنعة الدروع، فهو أول من اتخذها، وكانت قبل ذلك صفائح، قيل: كان يعمل كل يوم درعاً ويبيعها بأربعة آلاف درهم، وينفق ويتصدق منها، فلذا قال ﷺ: «كان داود لا يأكل إلا من عمل يده». قوله: **(فكان في يده كالعجين)** أي من غير نار ولا آلة. قوله: **(دروعاً كوامل)** أشار بذلك إلى أن **﴿سَابِغَاتٍ﴾** صفة لموصوف محذوف.

قوله: **﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾** اختلف في معنى الآية فقيل: اجعله على سبيل الحاجة ولا تنهمك فيه، بل اشتغل بعبادة ربك، وقيل: قدر المسامير في حلق الدروع، لا غلاظاً ولا دقاقاً، ورد ذلك بأنه لم يكن في حلقها مسامير لعدم الحاجة إليها بسبب إلانة الحديد، وحينئذ فالأظهر ما قاله المفسر من أن السرد الدروع، والتقدير اجعل كل حلقة مساوية لأختها ضيقة، لا ينفذ منها السهم في الغلظ، لا تقبل الكسر، ولا تثقل حاملها، والكل نسبة واحدة. قوله: **(بحيث تتناسب حلقه)** بفتحتين أو بكسر ففتح جمع حلقة بفتح فسكون أو بفتحتين. قوله: **(أي آل داود)** تفسير للواو في **﴿اعْمَلُوا﴾**. قوله: **﴿صَالِحاً﴾** أي عملاً صالحاً، ولا تتكلوا على عز أبيكم وجاهه. قوله: **(فأجازيكم عليه)** أي إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

قوله: **﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾** الجار والمجرور متعلق بمحذوف قدره المفسر بقوله: **(سخرنا)** بدليل التصريح به في قوله تعالى: **﴿وسخرنا له الريح تجري بأمره﴾**. قوله: **(بتقدير تسخير)** أي فالجار والمجرور خبر مقدم، و **﴿الرِّيحَ﴾** مبتدأ مؤخر على حذف مضاف، والأصل وتسخير الريح كائن لسليمان، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه. قوله: **﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ﴾** مبتدأ وخبر، والمعنى سيرها من الغداة إلى الزوال، مسيرة شهر للسائر المجد، ومن الزوال للغروب مسيرة شهر، عن الحسن: كان سليمان يغدو من دمشق فيقيل في اصطخر، وبينهما مسيرة شهر، ثم يروح من اصطخر فيبيت ببابل، وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع، وتقدم أن الريح تحمل البساط بجيوشه لأي جهة توجه إليها، فالعاصف تقلع البساط، والرخاء تسيره.

النحاس فأجريت ثلاثة أيام بلياليهن كجري الماء، وعمل الناس إلى اليوم مما أعطي سليمان ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ﴾ بأمر ﴿رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ﴾ يعدل ﴿مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ له بطاعته ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ ﴿١٢﴾ النار في الآخرة، وقيل في الدنيا بأن يضربه ملك بسوط منها ضربة تحرقه ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾ أبنية مرتفعة يصعد إليها بدرج ﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾ جمع تمثال، وهو كل شيء مثلته بشيء، أي صور من نحاس وزجاج ورخام ولم يكن اتخاذ الصور حراماً في شريعته ﴿وَجِفَانٍ﴾ جمع جفنة ﴿كَٱلْجَوَابِ﴾ جمع جابية، وهي حوض كبير، يجتمع على الجفنة ألف رجل يأكلون منها ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ ثابتات لها قوائم لا تتحرك عن أماكنها، تتخذ من الجبال باليمن، يصعد إليها بالسلالم، وقلنا ﴿ٱعْمَلُوٓا۟﴾ يا ﴿ءَالَ دَاوُۥدَ﴾ بطاعة الله ﴿شُكْرًا﴾ له على ما آتاكم ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ ﴿١٣﴾ العامل بطاعتي شكراً لنعمتي

قوله: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ أي جعلنا النحاس في معدنه جارياً كالعين النابعة من الأرض، وكانت تلك العين باليمن. قوله: **(فأجريت له ثلاثة أيام)** قيل: مرة واحدة، وقيل: كان يسيل في كل شهر ثلاثة أيام. قوله: **(وعمل الناس)** إلخ، مبتدأ خبره قوله: **(مما أعطي سليمان)** أي صنع الناس النحاس، وإذابته بالنار من آثار كرامة سليمان، لأنه قبل ذلك لم يكن يلين بنار ولا غيرها. قوله: ﴿مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يصح أن يكون مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله، ويصح أن يكون مفعولاً لمحذوف تقديره: وسخرنا من الجن من يعمل، ومن على كل حال واقعة على فريق. قوله: **(بطاعته)** أي بطاعة سليمان. قوله: **(بأن يضربه ملك)** إلخ، أي فقد وكل الله ملكاً بالجن المسخرين لسليمان، وجعل في يده سوطاً من نار، فمن زاغ منهم عن طاعة سليمان، ضربه بذلك السوط ضربة أحرقته. قوله: **(أبنية مرتفعة)** أي مساجد وغيرها، وسميت بذلك لأن صاحبها يحارب فيها غيره لحمايتها، وقيل: المراد بالمحاريب خصوص المساجد، والأقرب ما قاله المفسر، وليس المراد بها الطاقات التي تقف فيها الأئمة في المساجد، إذ هي حادثة في المساجد بعد زمن النبي ﷺ، وسميت بالمحاريب تشبيهاً لها بالأبنية المرتفعة، لأنها رفيعة القدر، ولذا خصوها بالأئمة.

قوله: ﴿وَتَمَاثِيلَ﴾ قال بعضهم: إنها صور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والعلماء، كانت تصور في المساجد ليراها الناس، فيزدادوا عبادة واجتهاداً، يدل على ذلك قوله ﷺ: «إن أولئك كان إذا مات فيهم الرجل الصالح، بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصورة» أي ليذكروا عبادتهم، فيجتهدوا في العبادة. قوله: **(ولم يكن اتخاذ الصور حراماً)** إلخ، جواب عما يقال: إن اتخاذ الصور حرام، فكيف يليق اتخاذها من سليمان؟ واعلم أن اتخاذ الصور أولاً، كان لمقصد حسن، فلما ساء المقصد بسبب اتخاذها آلهة تعبد من دون الله، حرم الله اتخاذها على العباد. قوله: **(وهي حوض كبير)** أي وسمي جابية، لأن الماء يجبى فيه أي يجمع. قوله: ﴿آلَ دَاوُدَ﴾ المراد سليمان وأهل بيته. قوله: ﴿شُكْراً﴾ مفعول لأجله، أي اعملوا لأجل الشكر لله، على ما أعطاكم من تلك النعم العظيمة التي لا تضاهى، وهذا أعظم المقاصد، وهو العمل لأجل شكر الله على نعمه، فالواجب على العباد خدمة الله وطاعته لذاته وسابق نعمه عليهم حيث أوجدهم من العدم، وجعل لهم السمع والبصر والأفئدة والعافية، وغير ذلك من أنواع النعم التي لا

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ﴾ على سليمان ﴿الْمَوْتَ﴾ أي مات ومكث قائماً على عصاه حولاً ميتاً، والجن تعمل تلك الأعمال الشاقة على عادتها، لا تشعر بموته، حتى أكلت الأرضة عصاه،

تحصى. قوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ أي لكون هذا المقصد عزيزاً، لم يوفق له إلا القليل من الناس، وغالب الناس عبادتهم وطاعتهم، إما لأجل طلب الدنيا، أو خوفاً من النار وطمعاً في الجنة.

فائدة ـ من جملة عمل الجن لسليمان بيت المقدس، وذلك أن داود ابتدأ بناءه في موضع فسطاط موسى التي كان ينزل فيها، فرفعه قدر قامة، فأوحى الله إليه لم يكن تمامه على يديك، بل على يد ابن لك اسمه سليمان، فلما قضى على داود، واستخلف سليمان وأحب إتمامه، جمع الجن والشياطين وقسم عليهم الأعمال، فأرسل بعضهم في تحصيل الرخام، وبعضهم في تحصيل البلور من معادنه، وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفائح، فلما فرغ منها، ابتدأ في بناء المسجد، فوجه الشياطين فرقاً منهم من يستخرج الجواهر واليواقيت والدر الصافي في أماكنها، ومنهم من يأتيه بالمسك والطيب والعنبر من أماكنه، فأتي من ذلك بشيء كثير، ثم أحضر الصناع لنحت تلك الأحجار، واصلاح تلك الجواهر، وثقب تلك اليواقيت واللآلىء، فبناه بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر، وجعل عمده من البلور الصافي، وسقفه بأنواع الجواهر، وبسط أرضه بالعنبر، فلم يكن على وجه الأرض يومئذ بيت أبهى ولا أنور منه، فكان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر، فلم يزل على هذا البناء حتى غزاه بختنصر، فخرب المدينة وهدمه، وأخذ ما فيه من الذهب والفضة وسائر أنواع الجواهر، وحمله إلى ملكه بالعراق حين بطرت بنوا إسرائيل النعم، وقتلوا زكريا ويحيى، وكان ابتداء بيت المقدس في السنة الرابعة من ملك سليمان، وكان عمره سبعاً وستين سنة، وملك وهو ابن سبع عشرة، وكان ملكه خمسين سنة، وقرب بعد فراغه منه، اثني عشر ألف ثور، ومائة وعشرين ألف شاة، واتخذ اليوم الذي فرغ فيه من بنائه عيداً، وقام على الصخرة رافعاً يديه إلى الله تعالى بالدعاء وقال: اللهم أنت وهبت لي هذا السلطان، وقويتني على بناء هذا المسجد، اللهم فاوزعني شكرك على ما أنعمت علي، وتوفني على ملتك، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني، اللهم إني اسألك لمن دخل هذا المسجد خمس خصال: لا يدخله مذنب دخل للتوبة إلا غفرت له وتبت عليه، ولا خائف إلا أمنته، ولا سقيم إلا شفتيه، ولا فقير إلا أغنيته والخامسة أن لا تصرف نظرك عمن دخله حتى يخرج منه، إلا من أراد إلحاداً، أو ظلماً يا رب العالمين، وروي أن سليمان لما بنى بيت المقدس، سأل الله تعالى خلالاً ثلاثاً: حكماً يصادف حكمه فأوتيه، وسأل الله تعالى ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه، وسأل الله حين فرغ من بنائه، أن لا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه إلا خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه، إذا علمت ذلك، فبيت المقدس تم بناؤه وهو حي، وهو الصحيح.

قوله: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ إلخ، روي أن سليمان كان يتجرد للعبادة في بيت المقدس السنة والسنتين، والشهر والشهرين، فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه، فلما أعلمه الله بوقت موته قال: اللهم أخف على الجن موتي، حتى تعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب، وكانت الجن تخبر الإنس أنهم يعلمون في الغيب أشياء، وأنهم يعلمون ما في غد، ثم لبس كفنه وتحنط ودخل المحراب وقام يصلي، واتكأ على عصاه على كرسيه فمات، فكان الجن ينظرون إليه ويحسبون أنه حي، ولا ينكرون احتباسه على الخروج إلى الناس، لتكرره منه قبل ذلك، فالحكمة في إخفاء موته، ظهور أن الجن لا يعلمون الغيب، لا

فخرّ ميتاً ﴿ مَادَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ مصدر أرضت الخشبة بالبناء للمفعول، أكلتها الأرضة ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ بالهمز وتركه بألف، عصاه، لأنها ينسأ ويطرد ويزجر بها ﴿ فَلَمَّا خَرَّ ﴾ ميتاً ﴿ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ ﴾ انكشف لهم ﴿أَن﴾ مخففة أي أنهم ﴿لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ﴾ ومنه ما غاب عنهم من موت سليمان ﴿مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ ﴿١٤﴾ العمل الشاق لهم، لظنهم حياته خلاف ظنهم علم الغيب، وعلم كونه سنة، بحساب ما أكلته الأرضية من العصا بعد موته يوماً وليلة مثلاً ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ بالصرف وعدمه، قبيلة سميت باسم جد لهم من العرب ﴿ فِى مَسْكَنِهِمْ﴾ باليمن ﴿ءَايَةٌ﴾ دالة على قدرة الله تعالى ﴿جَنَّتَانِ﴾ بدل ﴿عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ عن يمين واديهم وشماله، وقيل لهم ﴿ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ﴾ على ما رزقكم من النعمة

تتميم بناء بيت المقدس كما قيل، فإن الصحيح أنه تم قبل موته بالزمن الطويل. قوله: **(حتى أكلت الأرضة عصاه)** فلما أكلتها أحبها الجن وشكروا لها، فهم يأتونها بالماء والطين في خروق الخشب وقالوا: لو كنت تأكلين الطعام والشراب لأتيناك بهما. قوله: **(مصدر أرضت الخشبة)** أي أكلت، فمعنى دابة الأرض دابة الأكل، وهذا أحد وجهين، والوجه الآخر أن المراد بالأرض المعروفة، ونسبت لها لخروجها منها. قوله: **(بالهمز)** أي الساكن أو المفتوح، فتكون القراءات ثلاثاً سبعيات. قوله: **(الشاق لهم)** اللام بمعنى على، وفي نسخة له أي لسليمان. قوله: **(لظنهم حياته)** علة لقوله: ﴿مَا لَبِثُوا﴾. قوله: **(وعلم كونه)** إلخ، إما بالبناء للمفعول، أو مصدر مبتدأ خبره قوله: **(بحساب)** إلخ، فتحصل أن الجن أرادوا أن يعرفوا وقت موته، فوضعوا الأرضة على العصا، فأكلت في يوم وليلة مقداراً؛ فحسبوا على ذلك، فوجدوه قد مات منذ سنة.

قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ اللام موطئة لقسم محذوف، أي والله لقد كان إلخ. و ﴿لِسَبَإٍ﴾ خبر ﴿كَانَ﴾ مقدم، و ﴿آيَةٌ﴾ اسمها مؤخر، و ﴿مَسْكَنِهِمْ﴾ حال. قوله: **(بالصرف وعدمه)** أي وفي عدم الصرف قراءتان، فتح الهمز وسكونها، فالقراءات ثلاث. قوله: **(سميت باسم جد لهم)** أي وهو سبأ بن يشجب بجيم مضمومة ابن يعرب بن قحطان، روي أن رجلاً قال: يا رسول الله، وما سبأ، أرض أو امرأة قال: ليس بأرض ولا امرأة، ولكنه رجل ولد عشراً من العرب، فتيامن منهم ستة، أي سكنوا اليمن، وتشاءم منهم أربعة أي سكنوا الشام، فأما الذين تشاءموا، فلخم وجذام وغسان وعاملة، وأما الذين تيامنوا: فالأزد والأشعريون وحمير وكندة ومذحج وأنمار، فقال رجل: يا رسول الله، وما أنمار؟ قال: الذين منهم خثعم وبجيلة، والمقصود من تلك القصة، اتعاظ هذه الأمة المحمدية، ليعتبروا ويشكروا نعمة الله عليهم، وإلا يحل بهم ما حل بمن قبلهم. قوله: ﴿فِي مَسْكَنِهِمْ﴾ بالجمع كمساجد، والإفراد إما بكسر الكاف أو فتحها، ففيه ثلاث قراءات سبعيات. قوله: **(باليمن)** أي وكان بينها وبين صنعاء ثلاثة أيام. قوله: **(دالة على قدرة الله)** أي فإذا تأمل العاقل فيها، استدل على باهر قدرته، وأنه الخالق لجميع المخلوقات. قوله: **(بدل)** أي من آية التي هي اسم كان، وصح إبدال المثنى من المفرد، لأنه في قوة المتعدد، وذلك أن الجنتين لما كانتا متماثلتين، وكانت كل واحدة دالة على قدرة الله، من غير انضمام غيرها لها، صح جعلهما أي واحدة، نظير قوله تعالى: ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾. قوله:

في أرض سبأ ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ ليس بها سباخ، ولا بعوضة، ولا ذبابة، ولا برغوث، ولا عقرب، ولا حية، ويمر الغريب فيها وفي ثيابه قمل فيموت لطيب هوائها ﴿وَ﴾ الله ﴿رَبٌّ غَفُورٌ﴾ ﴿١٥﴾ ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ عن شكره وكفروا ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ جمع عرمة، وهو ما يمسك الماء من بناء وغيره إلى وقت حاجته، أي سيل واديهم الممسوك بما ذكر، فأغرق جنتيهم وأموالهم ﴿وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ﴾ تثنية ذوات مفرد على الأصل ﴿أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ مرّ بشع، بإضافة أكل بمعنى مأكول وتركها ويعطف عليه ﴿وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ ﴿١٦﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ التبديل ﴿جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا﴾ بكفرهم ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ ﴿١٧﴾ بالياء والنون مع كسر

(عن يمين واديهم وشماله) هذا أحد قولين، وقيل: عن يمين الذاهب وشماله. قوله: **(وقيل لهم)** أي على لسان أنبيائهم، لأنه بعث لهم ثلاثة عشر نبياً، فدعوهم إلى الله وذكروهم بنعمه، وهذا الأمر للإذن والإباحة. قوله: **﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾** أي اصرفوا نعمه في مصارفها. قوله: **(أرض سبأ)** إلخ، أشار بذلك إلى أن قوله: **﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾** خبر لمحذوف، فهو كلام مستأنف. قوله: **(ليس بها سباخ)** جمع سبخة وهي الأرض ذات الملح. قوله: **(ولا بعوضة)** البعوض البق، وقوله: **(ولا برغوث)** بضم الباء. قوله: **(فيموت)** أي القمل ومثله باقي الهوام. قوله: **﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾** أي يستر ذنبوكم. قوله: **﴿فَأَعْرَضُوا﴾(عن شكره)** أي عن أمره واتباع رسله، لما روي أنه أرسل الرسل لهم ثلاثة عشر نبياً، فدعوهم إلى الله وذكروهم بنعمه وأنذروهم عقابه، فكذبوهم وقالوا: ما نعرف لله علينا نعمة فقولوا له، فليحبس عنا هذه النعم إن استطاع وكان لهم رئيس يلقب بالحمار، وكان له ولد فمات، فرفعه رأسه إلى السماء فبزق وكفر، فلا يمر بأرضه أحد إلا دعاه للكفر، فإن أجابه وإلا قتله. قوله: **(وهو ما يمسك الماء من بناء وغيره)** أي فكان واديهم أرضاً متسعة بين جبال شامخة، فبنت بلقيس سداً حول ذلك الوادي بالصخر والقار، وجعلت له أبواباً ثلاثة، بعضها فوق بعض، وصار ماء يتساقط من الجبال خلف السد من كل جهة، فكانوا يسقون من الأعلى، ثم من الأوسط، ثم من الأدنى؛ على حسب علو الماء وهبوطه، فالعرم هو هذا السد، وقيل: العرم اسم للفأر الذي نقب السد لما ورد أنهم كانوا يزعمون أنهم يجدون في كهانتهم أنه يخرب سدهم فأرة، فلم يتركوا فرجة بين صخرتين، إلا ربطوا إلى جانبها هرة، فلما جاء ما أراده بهم، أقبلت فأرة حمراء إلى بعض تلك الهرة، فثاورتها حتى استأخرت على الحجر، ثم وثبت ودخلت في الفرجة التي عندها، ونقبت السد حتى وهنته للسيل وهم لا يدرون، فلما جاء السيل، دخل تلك الفرجة حتى بلغ السد، وفاض الماء على أموالهم فأغرقها ودفن بيوتهم.

قوله: **﴿جَنَّتَيْنِ﴾** تسميتها بذلك تهكم بهم لمشاكله الأول. قوله: **(مفرد في الأصل)** أي لأن أصلها ذوية، تحركت الياء وانفتح ما قبلها، قلبت ألفاً فصار ذوات، ثم حذفت الواو تخفيفاً، ففي تثنيته وجهان: اعتبار الأصل، واعتبار العارض، فالأول ذواتان، والثاني ذاتان. قوله: **(مر بشع)** قيل: هو شجر الأراك. وقيل: كل شجر له شوك. قوله: **(بإضافة أكل)** أي بضم الكاف لا غير، وقوله: **(وتركها)** أي بضم الكاف وسكونها، فالقراءات ثلاث سبعيات. قوله: **(ويعطف عليه)** أي على أكل. قوله: **﴿مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾** الصحيح أن السدر وهو النبق نوعان: نوع يؤكل ثمره وينتفع بورقه، وهو له ثمر غض، لا

الزاي ونصب الكفور، أي ما يناقش إلا هو ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ بين سبأ وهم باليمن ﴿وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ بالماء والشجر، وهي قرى الشام التي يسيرون إليها للتجارة ﴿قُرًى ظَاهِرَةً﴾ متواصلة من اليمن إلى الشام ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ بحيث يقيلون في واحدة، ويبيتون في أخرى، إلى انتهاء سفرهم، ولا يحتاجون فيه إلى حمل زاد وماء، أي وقلنا ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ ﴿١٨﴾ لا تخافون في ليل ولا في نهار ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ﴾ وفي قراءة باعد ﴿بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ إلى الشام اجعلها مفاوز ليتطاولوا على الفقراء بركوب الرواحل وحمل الزاد والماء، فبطروا النعمة ﴿وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالكفر ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ لمن بعدهم في ذلك ﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ فرقناهم في البلاد كل التفريق ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَاتٍ﴾ عبراً ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن المعاصي ﴿شَكُورٍ﴾ ﴿١٩﴾ على النعم ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي الكفار منهم سبأ ﴿إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ أنهم بإغوائه يتبعونه ﴿فَاتَّبَعُوهُ﴾ فصدق بالتخفيف في ظنه، أو صدق بالتشديد ظنه، أي وجده صادقاً ﴿إِلَّا﴾ بمعنى لكن ﴿فَرِيقًا مِنَ

يؤكل أصلاً، ولا ينتفع بورقه، وهو المسمى بالضال، وهو المراد هنا. قوله: ﴿ذٰلِكَ﴾ مفعول ثان لجزينا مقدم عليه. قوله: **(بكفرهم)** أشار بذلك إلى أن ما مصدرية. قوله: **(بالياء والنون)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(أي ما يناقش إلا هو)** أشار بذلك إلى أن الحصر منصب على المناقشة والتدقيق في الحساب والمؤاخذة بكل الذنوب، وإلا فمطلق المجازاة تكون للمؤمن والكافر، لكن المؤمن يعامل بالفضل والكافر يعامل بالعدل.

قوله: **﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾** عطف على ما تقدم، عطف قصة على قصة. قوله: **﴿قُرىً ظَاهِرَةً﴾** قيل: كانت قراهم أربعة آلاف وسبعمائة قرية، متصلة من سبأ إلى الشام. قوله: **﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾** أي جعلنا السير بين قراهم، وبين القرى المباركة، سيراً مقدراً، من منزل إلى منزل، ومن قرية إلى قرية. قوله: **(ولا يحتاجون فيه إلى حمل زاد وماء)** أي فكانوا يسيرون غير جائعين ولا ظامئين ولا خائفين، مسيرة أربعة أشهر في أماكن لا يحرك بعضهم بعضاً، ولو لقي الرجل قاتل أبيه لا يحركه.

قوله: **﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾** أي لما بطروا وطغوا وكرهوا الراحة، تمنوا طول السفر والتعب في المعايش، نظير قول بني إسرائيل ﴿ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض﴾ الآية، وكتمني أهل مكة العذاب بقولهم: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء﴾ الآية. قوله: **(مفاوز)** جمع مفازة وهو الموضع المهلك، مأخوذ من فوز بالتشديد إذا مات، وقيل: من فاز إذا نجا وسلم، سمي بذلك تفاؤلاً بالسلامة. قوله: **﴿أَحَادِيثَ﴾** أي يتحدث بأخبارهم. قوله: **(فرقناهم في البلاد)** أي لضيق عيشهم وخراب أماكنهم، وهي سنة باقية في كل من بطر النعمة وظلم، فقد أفادنا الله في تلك الآيات، أنه أصابهم بنعمتين، وابتلاهم بنقمتين. قوله: **(بالتخفيف والتشديد)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **﴿ظَنَّهُ﴾** أي وسبب ظنه، إما رؤيته إنهماكهم في الشهوات، أو قول الملائكة ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها﴾ أو وسوسته لآدم في الجنة فأخرج منها، فظن ضعف أولاده بالنسبة له، وإن كان لم تؤثر وسوسته لآدم. قوله:

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ للبيان أي وهم المؤمنون لم يتبعوه ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ تسليطاً منا ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ علم ظهور ﴿مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ﴾ فنجازي كلاً منهما ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾ ﴿٢١﴾ رقيب ﴿قُلِ﴾ يا محمد لكفار مكة ﴿ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ أي زعمتموهم آلهة ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره لينفعوكم بزعمكم قال تعالى فيهم ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ﴾ وزن ﴿ذَرَّةٍ﴾ من خير أو شر ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾ شركة ﴿وَمَا لَهُۥ﴾ تعالى ﴿مِنْهُم﴾ من الآلهة ﴿مِّن ظَهِيرٍ﴾ ﴿٢٢﴾ معين ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ﴾ تعالى رداً لقولهم: إن آلهتهم تشفع عنده ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ﴾ بفتح الهمزة وضمها ﴿لَهُۥ﴾ فيها

(فصدق بالتخفيف في ظنه) أشار بذلك إلى أن قوله: **(ظنه)** على قراءة التخفيف منصوب على نزع الخافض، والمعنى صار فيما ظنه أولاً من إغوائهم على يقين، وقوله: **(أو صدق)** بالتشديد إلخ. أي فظنه مفعول لصدق، والمعنى حقق ظنه ووجده صادقاً. قوله: **(بمعنى لكن)** أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع، وحمله على ذلك تفسيره الضمير بالكفار، ويصح أن يكون متصلاً، لأن بعض المؤمنين يذنب ويتبع ابليس في بعض المعاصي، ويكون قوله: ﴿**إلاّ فريقاً من المُؤْمِنِينَ**﴾ المراد بهم من لم يتبعه أصلاً، والأقرب الأول، لأن المعصومين استثناهم من حين طرده بقوله: ﴿**لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين**﴾. قوله: **(تسليطاً منا)** أي فالشيطان سبب في الإغواء، لا خالق الإغواء، فمن أراد الله حفظه، منع الشيطان عنه، ومن أراد الله إغواءه، سلط عليه الشيطان، والكل فعل الله تعالى. قوله: **(علم ظهور)** أي فالمعنى ليظهر متعلق علمنا، فاللام للعاقبة لا للتعليل، ومعنى الآية: ما كان له عليهم ايجاد اضلال، بل خالق الهدى والضلال هو نحن، وإنما سبقت حكمتنا بتسليطه، ليتميز بين عبادنا، من خلقنا فيه الكفر، ومن خلقنا فيه الإيمان، فاتباعه وعدمه، علامة على ما تعلق به علمه تعالى فتدبر. قوله: **(رقيب)** أي فهو تعالى قادر على منع ابليس منهم، عالم بما سيقع.

قوله: ﴿**قُلْ ادْعُوا**﴾ بكسر اللام على أصل التخلص، وبالضم اتباعاً، قراءتان سبعيتان. قوله: **(أي زعمتموهم آلهة)** أي فالمفعولان محذوفان، الأول لطوله بصلته، والثاني لقيام صفته ـ أعني قوله من دون الله ـ مقامه. قوله: **(لينفعوكم)** متعلق بادعوا، أي ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم في سني الجوع، ويجلبوا لكم سعة العيش. قوله: ﴿**مِثْقَالَ ذَرَّةٍ**﴾ أي لا يملكون أمراً من الأمور في العالم، وذكر السماوات والأرض للتعميم عرفاً. قوله: **(معين)** أي على خلق شيء. بل الله تعالى المنفرد بالايجاد والإعدام.

قوله: ﴿**وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ**﴾ أي إن الشفاعة لا يكون من هؤلاء المعبودين من دون الله، من الملائكة والأنبياء والأصنام، إلا أن يأذن الله للملائكة والأنبياء في الشفاعة لغير الكفار، وأما الكفار فلا شفاعة فيهم لقوله تعالى: ﴿**احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم**﴾. قوله: **(رداً لقولهم)** إلخ، أي حيث قالوا: ﴿**ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**﴾، وايضاحه أن الشفاعة لا تكون ولا تحصل إلا بالإذن والرضا، وهم قد ارتكبوا ما يقتضي للغضب وهو

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ﴾ بالبناء للفاعل وللمفعول ﴿عَن قُلُوبِهِمْ﴾ كشف عنها الفزع بالإذن فيها

الكفر، فكيف يطلبون الشفاعة بالكفر المقتضي للغضب، وعدم الإذن في الشافعة؟ إن هذا الزعم باطل. قوله: ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ يصح وقوع من على الشافعين، والمعنى إلا لشافع أذن له في الشفاعة، ويصح وقوعها على المشفوع لهم، والمعنى لا تنفع الشفاعة إلا لمشفوع أذن أن يشفع له، فاللام على كل حال متعلقة بأذن، والضمير عائد على الموصول وفيه الوجهان. قوله: **(بفتح الهمزة)** أي والضمير عائد على الله تعالى لذكره أولاً، وقوله: **(وضمها)** أي بالبناء للمفعول، والآذن هو الله تعالى، والقراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿**حَتَّى إذا فُزِّعَ**﴾ غاية في محذوف تقديره يتربصون ويتوقعون مدة من الزمان، فزعين حتى إذا فزع إلى آخره، والتضعيف للسلب كالهمزة، كما أشار له بقوله: **(كشف عنها الفزع)** والمعنى: حتى إذا أزيل الفزع من قلوب الشافعين والمشفوع لهم، بكلمة يتكلم بها رب العزة في الإذن بالشفاعة سأل بعضهم بعضاً. قوله: **(بالبناء للفاعل)** أي والفاعل ضمير يعود على الله، وقوله: **(والمفعول)** أي والجار والمجرور نائب الفاعل، والقراءتان سبعيتان. قوله: **(استبشاراً)** أي لزوال الكرب والحزن عن القلوب، واختلف هل هذا الأمر في الآخرة أو الدنيا؟ فقيل في الآخرة، ويؤيده ما في سورة النبأ ﴿**يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً**﴾ وعلى هذا فيكون في الكلام حذف، والتقدير لا تنفع الشفاعة عنده يوم القيامة، إلا لمن أذن له، ففزع ما ورد على القلوب من المهابة، حتى إذا ذهب الفزع عن قلوبهم، سأل بعضهم بعضاً، وقيل: في الدنيا، ويؤيده ما ورد عن النبي ﷺ «إن الله تعالى إذا أراد أن يوحي بأمر وتكلم بالوحي، أخذت السماوات والأرض منه رجفة أو رعدة شديدة خوفاً من الله تعالى، فإذا سمع أهل السماوات بذلك، صعقوا وخروا لله سجداً، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله تعالى ويقول له من وحيه ما أراد، ثم يمر جبريل بالملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير، قال: فيقول كلهم كما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي حيث أمر الله تعالى». وعن ابن عباس قال: كان لكل قبيلة من الجن مقعد من السماء يستمعون منه الوحي، وكان إذا نزل الوحي، سمع له صوت كإمرار السلسلة على الصفوان، فلا ينزل على أهل سماء إلا صعقوا، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير، ثم يقول: يكون في هذا العام كذا ويكون كذا، فتسمعه الجن فيخبرون الكهنة، والكهنة تخبر الناس، فيجدونه كذلك، فلما بعث الله سيدنا محمداً ﷺ، دحروا ومنعوا بالشهب، فقالت العرب حين لم تخبرهم الجن بذلك؟ هلك من في السماء، فجعل صاحب الإبل ينحر كل يوم بعيراً، وصاحب البقر ينحر كل يوم بقرة، وصاحب الغنم يذبح كل يوم شاة، حتى أسرعوا في أموالهم، فقالت ثقيف وكانت أعقل العرب: أيها الناس أمسكوا على أموالكم، فإنه لم يمت من في السماء، أما ترون معالمكم من النجوم كما هي، والشمس والقمر والليل والنهار؟ فقال إبليس: لقد حدث في الأرض اليوم حدث، فائتوني من كل تربة أرض فأتوه بها، فلما شم تربة مكة قال: من ههنا جاء الحدث، فانصتوا فإذا رسول الله ﷺ قد بعث، فتحصل أن الفزع على القول بأنه في الآخرة يكون من جميع الخلق، وعلى القول بأنه في الدنيا يكون من الملائكة خاصة، والآية محتملة للأمرين، والعموم أولى، لأن الكفار زعموا أن

﴿قَالُواْ﴾ قال بعضهم لبعض استبشاراً ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ﴾ فيها ﴿قَالُواْ﴾ القول ﴿ٱلْحَقَّۖ﴾ أي قد أذن فيها ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ فوق خلقه بالقهر ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ ﴿٢٣﴾ العظيم ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ المطر ﴿وَٱلْأَرْضِۖ﴾ النبات ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ﴾ إن لم يقولوه لا جواب غيره ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ﴾ أي أحد الفريقين ﴿لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٢٤﴾ بيِّن الإبهام، تلطف بهم داع إلى الإيمان إذا وفقوا له ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا﴾ أذنبنا ﴿وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ لأنا بريئون منكم ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ يوم القيامة ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ﴾ يحكم ﴿بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ فيدخل المحقين الجنة والمبطلين النار ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ﴾ الحاكم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ ﴿٢٦﴾ بما يحكم به ﴿قُلْ أَرُونِيَ﴾ أعلموني ﴿ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَۖ﴾ في العبادة ﴿كَلَّاۚ﴾ ردع لهم عن اعتقاد شريك له ﴿بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ ﴿٢٧﴾ في تدبيره لخلقه، فلا يكون له شريك في ملكه ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً﴾ حال من الناس قدم للاهتمام ﴿لِّلنَّاسِ بَشِيرًا﴾ مبشراً

آلهتهم تنفعهم في الدنيا والآخرة، فرد الله عليهم بهذه الآية الشاملة للأمرين فتدبر. قوله: **(القول)** ﴿**الْحَقَّ**﴾ أشار بذلك إلى أن الحق صفة لمصدر محذوف مقول القول. قوله: ﴿**وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾ هذا من تمام كلام الشفعاء، اعترافاً بعظمة الله وكبريائه.

قوله: ﴿**قُلِ مَنْ يَرْزُقُكُمْ**﴾ إلخ، هذا السؤال تبكيت للمشركين، وإشارة إلى أن آلهتهم لا تملك لهم ضراً ولا نفعاً، وهذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿**قُلِ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ إلى قوله: ﴿**فَسَيَقُولُونَ الله**﴾. قوله: ﴿**لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ غاير بين الحرفين، إشارة إلى أن المؤمنين مستعلون على الهدى، كراكب الجواد يسير به حيث يشاء، والكفار محبوسون في الضلال، كالمنغمس في الظلمات الذي لا يبصر شيئاً. قوله: **(في الإبهام)** خبر مقدم، و **(تلطف)** مبتدأ مؤخر، و **(داع)** صفة لتلطف.

قوله: ﴿**لَا تُسْئَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا**﴾ إلخ، فيه تلطف بهم وتواضع، حيث أسند الإجرام لأنفسهم والعمل للمخاطبين. قوله: **(يوم القيامة)** أي في الموقف. قوله: **(أعلموني)** أشار بذلك إلى أن أرى علمية، فتتعدى إلى ثلاثة مفاعيل: أولها ياء المتكلم، وثانيها الموصول، وثالثها شركاء، ويصح أن تكون بصرية فتتعدى إلى مفعولين: الأول المتكلم، والثاني الموصول، وشركاء حال من عائد الموصول، والقصد من ذلك تبكيتهم وإظهار خطئهم بعد إقامة الحجة عليهم. قوله: ﴿**بَلْ هُوَ**﴾ الضمير إما عائد على الله، أو ضمير الشأن، وما بعده مبتدأ وخبره، والجملة خبره.

قوله: ﴿**إِلَّا كَافَّةً**﴾ الحصر إضافي، جيء به للرد على المشركين الذين يعتقدون أن رسالته غير عامة لجميع بني آدم. قوله: **(حال من الناس)** تبع فيه ابن عطية، واعترضه الزمخشري بأن تقدم الحال على صاحبها المجرور خطأ، بمنزلة تقدم المجرور على الجار، ورد بأن الصحيح جواز تقديم الحال على صاحبها المجرور وما يتعلق به، وإذا جاز تقديمها على صاحبها وعاملها، فتقديمها على صاحبها وحده أجوز، لتقدم عاملها وهو أرسلنا، وهذا أحد وجهين في الآية، ويصح جعل ﴿**كَافَّةً**﴾ حالاً من الكاف في ﴿**أَرْسَلْنَاكَ**﴾ والتاء للمبالغة كهي في علامة وراوية، والمعنى إلا جامعاً للناس في التبليغ، يخرج عن تبليغك أحد، فكافة

للمؤمنين بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ منذراً للكافرين بالعذاب ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ ذلك ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾ بالعذاب ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ فيه ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ عليه وهو يوم القيامة ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي تقدمه كالتوراة والإنجيل الدالين على البعث لإنكارهم له، قال تعالى فيهم ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ يا محمد ﴿إِذِ الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون ﴿مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾ الأتباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ الرؤساء ﴿لَوْلَا أَنتُمْ﴾ صددتمونا عن الإيمان ﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٣١﴾ بالنبي ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا

اسم فاعل من كف بمعنى جمع، أو مصدر كالعاقبة، والعاقبة إما مبالغة أو على حذف مضاف، أي ذا كافة للناس، أو صفة لمصدر محذوف تقديره إلا ارساله كافة، أي محيطه بهم وشاملة لهم، فلا يخرج منها، أحد والأوجه الثلاثة على أنه حال من الكاف وهي متقاربة، فتحصل أن هذه الآيات دلت على أنه مرسل لجميع الإنس بشيراً ونذيراً، وأما ارساله لغيرهم، فمأخوذ من آيات أخر منها﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾لكن ارساله للإنس والجن، ارسال تكليف وللملائكة: قيل، ارسال تكليف، وقيل تشريف، وللحيوانات الغير العاقلة والجمادات ارسال تشريف. قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾**(ذلك)** أي ما ذكر من عموم رسالته، وكونه بشيراً ونذيراً.

قوله: ﴿**وَيَقُولُونَ**﴾ أي على سبيل الاستهزاء والسخرية. قوله: ﴿**إِنْ كُنْتُمْ**﴾ الخطاب للنبي والمؤمنين. قوله: ﴿**لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ**﴾ أي إن أردتم التأخر. قوله: ﴿**وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ**﴾ أي إن أردتم التقدم والاستعجال كما هو مطلوبكم. إن قلت: إن الجواب ليس مطابقاً للسؤال، لأن السؤال عن طلب تعيين الوقت، والجواب يقتضي أنهم منكرون للوقت من أصله. وأجيب: بأن الجواب مطابق بالنظر لحالهم لا لسؤالهم، لأن سؤالهم وإن كان على صورة الاستفهام عن الوقت، إلا أن مرادهم الإنكار والتعنت، والجواب المطابق أن يكون بالتهديد على تعنتهم.

قوله: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ**﴾ إلخ، سبب ذلك أن أهل الكتاب قالوا لهم: إن صفة محمد في كتبنا، فلما سألوهم ووافق ما قال أهل الكتاب، قال المشركون: لن نؤمن بهذا القرآن، ولا بالذي بين يديه. قوله: **(الدالين على البعث)** أي وعلى صفة محمد ﷺ، فإنهم يكفرون بها أيضاً. قوله: **(قال تعالى فيهم)** أي في بيان أحوالهم في الآخرة.

قوله: ﴿**وَلَوْ تَرَى**﴾ مفعول ﴿**تَرَى**﴾ وجواب ﴿**لَوْ**﴾ محذوف، والتقدير: ولو ترى حال الظالمين وقت وقوفهم عند ربهم، حال كونهم يرجع بعضهم إلى بعض القول لرأيت أمراً فظيعاً. قوله: ﴿**إِذِ الظَّالِمُونَ**﴾ ﴿**إِذِ**﴾ ظرف لترى بمعنى وقت. قوله: ﴿**مَوْقُوفُونَ**﴾ أي محبوسون في الموقف للحساب. قوله: ﴿**عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾ العندية للمكانة والعظمة لا المكان. قوله: ﴿**يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ**﴾ حال من ضمير ﴿**مَوْقُوفُونَ**﴾ والقول منصوب بيرجع. قوله: ﴿**يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا**﴾ تفسير لقوله: ﴿**يَرْجِعُ**﴾ فالجملة لا محل لها من الإعراب. قوله: ﴿**لَوْلَا أَنْتُمْ**﴾ ما بعد ﴿**لَوْلَا**﴾ مبتدأ خبره محذوف، قدره المفسر بقوله: **(صددتمونا)** إلخ، وقوله: ﴿**لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ**﴾ جواب ﴿**لَوْلَا**﴾. قوله: ﴿**قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا**﴾ أي جواباً

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم﴾؟ لا ﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ في أنفسكم ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي فيهما منكم بنا ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ شركاء ﴿وَأَسَرُّواْ﴾ أي الفريقان ﴿ٱلنَّدَامَةَ﴾ على ترك الإيمان به ﴿لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ أي أخفاها كل عن رفيقة مخافة التعبير ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِيٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في النار ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ في الدنيا ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾ رؤساؤها المتنعمون ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ ﴿وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا﴾ ممن آمن ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾ ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ امتحاناً ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاء ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ ذلك ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾ قربى أي تقريباً ﴿إِلَّا﴾

للمستضعفين. قوله: ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ﴾ أي منعناكم. قوله: (لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام انكاري.

قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾ ترك العاطف فيما سبق لأنه مر أولاً كلامهم، فأتى بالجواب مستأنفاً من غير عاطف، ثم أتى بكلام آخر للمستضعفين معطوفاً على كلامهم الأول. قوله: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ ردٌّ وإبطال لكلام المستكبرين، ومكر فاعل بفعل محذوف، أي صددنا مكركم بنا في الليل والنهار، فحذف المضاف إليه، وأقيم الظرف مقامه على الاتساع، والإسناد مجازي. قوله: ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا﴾ ظرف للمكر، أي مكركم وقت أمركم لنا، إلخ. قوله: ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ﴾ جملة حالية، أو مستأنفة. قوله: (أي أخفاها كل عن رفيقه) أي فكل أخفى الندم على فعله في الدنيا من الكفر والمعاصي مخافة أن يعيره الآخر. قوله: ﴿وَجَعَلْنَا الأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي زيادة على تعذيبهم بالنار.

قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾ إلخ، هذا تسليه له ﷺ. قوله: ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ حال من قرية وإن كانت نكرة، لوقوعها في سياق النفي، فنعم فقد وجد المسوغ. قوله: ﴿بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ متعلق بكافرون، قدم للاهتمام ورعاية للفواصل. قوله: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً﴾ أي فلو لم يكن راضياً بما نحن عليه، لما أعطانا الأموال والأولاد، في الدنيا، وإذا كان كذلك، فلا يعذبنا في الآخرة. قوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ أي لأنه لما أكرمنا في الدنيا، فلا يهيننا في الآخرة على فرض وجودها.

قوله: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ إلخ أي فبسط الرزق وضيقه في الدنيا، ليس دليلاً على رضا الله، فقد يبسط الرزق للكافر، ويضيقه على المؤمن الخالص، وقد يكون بالعكس، وإنما هو تابع للقسمة الأزلية، قال تعالى: ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات﴾ قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ (ذلك) أي فيظنون أن بسط الرزق وتضييقه، تابع لرضا الله وغضبه.

قوله: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ﴾ إلخ، كلام مستأنف سيق لتقرير ما سبق تحقيقه. قوله: ﴿بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ﴾ صفة للأموال والأولاد، لأن جمع التكسير للعاقل يعامل معاملة المؤنثة الواحدة، ويصح أن تكون التي صفة لموصف محذوف تقديره بالأحوال التي. قوله: (قربى) أشار بذلك إلى ﴿زُلْفَى﴾ مصدر من معنى

لكن ﴿ مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ ﴾ أي جزاء العمل: الحسنة مثلاً بعشر فأكثر ﴿ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ﴾ من الجنة ﴿ ءَامِنُونَ ﴾ ﴿٣٧﴾ من الموت وغيره، وفي قراءة الغرفة بمعنى الجمع ﴿ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ القرآن بالإبطال ﴿ مُعَٰجِزِينَ ﴾ لنا مقدرين عجزنا وأنهم يفوتونا ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ ﴾ يوسعه ﴿ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ امتحاناً ﴿ وَيَقْدِرُ ﴾ يضيقه ﴿ لَهُۥ ﴾ بعد البسط أو لمن يشاء ابتلاء ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ ﴾ في الخير ﴿ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ ﴿٣٩﴾ يقال كل إنسان يرزق عائلته أي من رزق الله ﴿ وَ ﴾ اذكر ﴿ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾ أي المشركين ﴿ ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال

الفعل. قوله: **(لكن)** ﴿**مَنْ آمَنَ**﴾ أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع، وحمله على ذلك جعل الخطاب للكفار، ويصح أن يكون متصلاً، والخطاب الأول عام، كأنه قيل: وما الأموال والأولاد تقرب أحداً، إلا المؤمن الصالح الذي أنفق أمواله في سبيل الله، وعلم أولاده الخير ورباهم على الصلاح، ﴿**فَأُولَئِكَ**﴾ إلخ. قوله: ﴿**فَأُولَئِكَ**﴾ مبتدأ، و ﴿**لَهُمْ**﴾ خبر مقدم، و ﴿**جَزَاءُ**﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة خبر أولئك، وهو استئناف لبيان جزاء أعمالهم. قوله: ﴿**جَزَاءُ الضِّعْفِ**﴾ من إضافة الموصوف لصفته، أي الجزاء المضاعف. قوله: **(مثلاً)** أي أو الحسنة بسبعين أو بسبعمائة أو أكثر. قوله: **(وغيره)** أي من سائر المكاره، فلا يفنى شبابهم. ولا تبلى ثيابهم. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: **(مقدرين عجزنا)** أي معتقدين أننا عاجزون فلا نقدر عليهم. قوله: ﴿**إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾ إلخ، اختلف في هذه الآية، فقيل: مكررة مع التي قبلها للتأكيد، وقيل: مغايرة لها، فالأولى محمولة على أشخاص متعددين، وهذه محمولة على شخص واحد باعتبار وقتين، فوقت البسط غير وقت القبض، وهو الاحتمال الأول في قول المفسر، أو الأولى محمولة على الكفار، وهذه في حق المؤمنين، وكل صحيح. قوله: **(ابتلاء)** علة لقوله: ﴿**وَيَقْدِرُ لَهُ**﴾ أي يختبر هل يصبر أو لا.

قوله: ﴿**وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ**﴾ أي على أنفسكم وعيالكم أو تصدقتم به. قوله: ﴿**فَهُوَ يُخْلِفُهُ**﴾ أي بالمال أو بالقناعة التي هي كنز لا ينفد، أو بالثواب في الآخرة، وفي الحديث: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً». ويؤيد هذا الحديث قوله تعالى: ﴿فأما من أعطى واتقى﴾ الآيات، وأتى بهذه الآية عقب التي قبلها، إشارة إلى أن الإنفاق لا يضيق الرزق، بل ربما كان سبباً في توسعته، فالحيلة في توسعة الرزق، الإنفاق في وجوه الخير، والثقة بالله والتوكل عليه.

قوله: ﴿**وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾ أي أحسنهم وأجلهم، لكونه خالق السبب والمسبب. قوله: **(يقال كل إنسان)** إلخ، أي لغة، ودفع بذلك ما قيل: إن الرزاق في الحقيقة واحد وهو الله. فأجاب: بأن الجمع باعتبار الصورة، فالله خالق الرزق، والعبيد متسببون فيه. إن قلت: أي مشاركة بين المفضل والمفضل عليه؟ أجيب: بأن الرزاق يطلق على الموصل للرزق والخالق له، والرب يوصف بـالأمرين، والعبد يوصف بالإيصال فقط، فخيرية الله من حيث إنه خالق وموصل، فعلم أن العبد يقال له رازق بهذا، ولا يقال له رزاق، لأنه من الأسماء المختصة به تعالى. قوله: **(يرزق عائلته)** أي عياله، وعيال

الأولى ياء وإسقاطها ﴿كَانُواْ يَعْبُدُونَ ۝٤٠﴾ ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيهاً عن الشريك ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ أي لا موالاة بيننا وبينهم من جهتنا ﴿بَلْ﴾ للانتقال ﴿كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ الشياطين أي يطيعونهم في عبادتهم إيانا ﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ۝٤١﴾ مصدقون فيما يقولون لهم، قال تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ﴾ أي بعض المعبودين لبعض العابدين ﴿نَّفْعًا﴾ شفاعة ﴿وَلَا ضَرًّا﴾ تعذيباً ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ كفروا ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝٤٢﴾ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾ القرآن ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ واضحات بلسان نبينا محمد ﷺ ﴿قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ﴾ من الأصنام ﴿وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ﴾ أي القرآن ﴿إِلَّآ إِفْكٌ﴾ كذب ﴿مُّفْتَرًى﴾ على الله ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ﴾ القرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٤٣﴾ بيِّن، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن

الرجل من يعولهم، واحده عيل كجيد. قوله: **(وابدال الأولى ياء)** هذا سبق قلم من المفسر، إذ لم يقرأ بهذه أحد من القراء، وأما تحقيقها وإسقاط الأولى فقراءتان سبعيتان، وبقي ثلاث قراءات سبعيات: تحقيق الأولى، وتسهيل الثانية وعكسه، وابدال الثانية ياء ساكنة ممدودة مع تحقيق الأولى، فتكون الجملة خمساً.

قوله: **﴿كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾** خطاب للملائكة وتقريع للكفار، وذلك كقوله تعالى لعيسى: **﴿أأنت قلت للناس أتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾** مع كون الله تعالى عالماً بأن الملائكة وعيسى بريئون من ذلك. قوله: **﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دِونِهِمْ﴾** أي أنت الذي نواليك ونتقرب اليك بالعبادة، فلم يكن لنا دخل في عبادتهم لنا. قوله: **(أي يطيعونهم)** أي فالمراد بعبادة الجن طاعتهم فيما يوسوسون لهم، وقيل كانوا يتمثلون لهم، ويخيلون إليهم أنهم الملائكة، كما وقع لجماعة من خزاعة كانوا يعبدون الجن، ويزعمون أن الجن تتراءى لهم، وأنهم ملائكة، وأنهم بنات الله. قوله: **﴿أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾** إن قلت: حيث أثبت أولاً أنهم كانوا يعبدون الجن، لزم منه أن جميعهم مؤمنون بهم، فكيف قال أكثرهم؟ أجيب: بأن قول الملائكة أكثرهم من باب الاحتياط تحرزاً عن ادعاء الإحاطة بهم، كأنهم قالوا: إن الذين رأيناهم واطلعنا على أحوالهم كانوا يعبدون الجن، ولعل في الوجود من يطلع عليه من الكفار وأجيب أيضاً: بأن العبادة عمل ظاهر، والإيمان عمل باطن، والظاهر عنوان الباطل غالباً، فقالوا: بل كانوا يعبدون الجن لاطلاعهم على أعمالهم، وقالوا أكثرهم بهم مؤمنون، لعدم اطلاعهم على ما في القلوب. قوله: **(أي بعض المعبودين)** أي وهم الملائكة، وقوله: **(لبعض العابدين)** أي وهم الكفار.

قوله: **﴿وَنَقُولُ﴾** عطف على **﴿لَا يَمْلِكُ﴾**. قوله: **﴿وَإِذا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾** أي دلائل توحيدنا. قوله: **﴿إِلَّا إِفْكٌ﴾** أي كذب غير مطابق للواقع، ومع كونه كذلك هو **﴿مُفْتَرىً﴾** أي مختلق من حيث نسبته إلى الله، فقوله: **﴿مُفْتَرىً﴾** تأسيس لا تأكيد. قوله: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** التصريح بالفاعل انكار عظيم وتعجيب بليغ. قوله: **(قال تعالى)** أي رداً عليهم. قوله: **﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾** أي فالمعنى لا عذر لهم في عدم تصديقك، بخلاف أهل الكتاب، فإن لهم كتاباً وديناً، ويحتجون بأن نبيهم حذرهم من ترك دينه، وإن كان عذراً باطلاً وحجة واهية.

نَّذِيرٍ﴾ ﴿٤٤﴾ فمن أين كذبوك ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ﴾ أي هؤلاء ﴿مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾ من القوَّة وطول العمر، وكثرة المال ﴿فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ﴾ إليهم ﴿فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ ﴿٤٥﴾ إنكاري عليهم بالعقوبة والإهلاك، أي هو واقع موقعه ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ﴾ هي ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ﴾ أي لأجله ﴿مَثۡنَىٰ﴾ اثنين اثنين ﴿وَفُرَٰدَىٰ﴾ واحداً واحداً ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ﴾ فتعلموا ﴿مَا بِصَاحِبِكُم﴾ محمد ﴿مِّن جِنَّةٍۚ﴾ جنون ﴿إِنۡ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ﴾ أي قبل ﴿عَذَابٖ شَدِيدٖ﴾ ﴿٤٦﴾ في الآخرة إن عصيتموه ﴿قُلۡ﴾ لهم ﴿مَا سَأَلۡتُكُم﴾ على الإنذار والتبليغ ﴿مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ﴾ أي

قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ أي نبي يخوفهم ويحذرهم من عقاب الله. قوله: ﴿مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ﴾ قيل: المعشار لغة في العشر، وقيل: المعشار هو عشر العشير، والعشير هو عشر العشر، فيكون جزءاً من ألف وهو الأظهر، لأن المراد به المبالغة في القليل. قوله: (من القوة) إلخ، أي ومع ذلك، فلم ينفعهم شيء من ذلك في دفع الهلاك. قوله: ﴿فَكَذَّبُوا رُسُلِي﴾ عطف على قوله: ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ عطف مسبب على سبب. قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ عطف على محذوف تقديره: فحين كذبوا رسلي، جاءهم إنكاري بالتدمير، فكيف كان نكيري لهم؟ قوله: (واقع موقعه) أي فهو غاية العدل، وعدم الجور والظلم.

قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ﴾ أي آمركم وأوصيكم، وقوله: ﴿بِوَاحِدَةٍ﴾ صفة لموصوف محذوف تقديره بخصلة واحدة. قوله: ﴿أَنْ تَقُومُوا﴾ ﴿أَنْ﴾ وما دخلت عليه في تأويل مصدر خبر لمحذوف، قدره المفسر بقوله: (هي) وليس المراد بالقيام حقيقة، وهو الانتصاب على القدمين، بل المراد صرف الهمة، والاشتغال والتفكر في أمر محمد وما جاء به، لأن أول واجب على المكلف، النظر المؤدي للمعرفة. قوله: ﴿مَثْنَى وَفُرَادَى﴾ حالان من فاعل ﴿تَقُومُوا﴾ وإنما أمرهم بذلك لأن الجماعة ربما يكون في اجتماعها تشويش الخاطر ومنع التفكر، بسبب الأغراض والتعصب، وأما الاثنان فيتفكران، ويعرض كل واحد منهما على صاحبه ما استفاده بفكرته، وأما الواحد فيفكر في نفسه ويقول: هل رأينا من هذا الرجل جنوناً، أو جربنا عليه كذباً قط، وقد علمتم أن محمداً ما به جنون، بل علمتوه أرجح قريش عقلاً، وأوزنهم حلماً، وأحدهم ذهناً، وأرضاهم رأياً، وأصدقهم قولاً، وأزكاهم نفساً، وإذا علمتم ذلك، كفاكم أن تطلبوا منه آية على صدقه، وإذا جاء بها، تبين أنه صادق فيما جاء به، وإذا كان كذلك، فالواجب اتباعه وتصديقه. قوله: (فتعلموا) أشار بذلك إلى أن نتيجة الفكر والعلم، ومعمول التفكر محذوف، والتقدير فتفكروا في أحوال محمد، فينتج لكم العلم بأن ما بصاحبكم جنون ولا نقص.

قوله: ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ﴾ أضافه لهم اشارة إلى أنه كان مشهوراً بينهم، وحاله معروف عندهم، فكانوا يدعونه بالصادق الأمين، فإذا تفكروا وقاسوا حاله بعد النبوة، على حاله قبلها، فيفيدهم العلم بكمال أوصافه. قوله: ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي المحدث عنه وهو محمد ﷺ. قوله: ﴿بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ أي هو مقدمة عذاب لكم في الدنيا والآخرة، إن لم تؤمنوا وتصدقوه فيما جاء به فيخبركم به قبل وقوعه. قوله: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ يحتمل أن ﴿مَا﴾ شرطية مفعول لسألتكم، و ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ بيان، وقوله: ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ جواب للشرط، ويحتمل أنها موصولة مبتدأ، وقوله: ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ خبرها، وقرن الخبر بالفاء لما في

لا أسألكم عليه أجراً ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ ما ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿٤٧﴾ مطلع يعلم صدقي ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ يلقيه إلى أنبيائه ﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ ﴿٤٨﴾ ما غاب عن خلقه في السماوات والأرض ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ الإسلام ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ﴾ الكفر ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾ ﴿٤٩﴾ أي لم يبق له أثر ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ﴾ عن الحق ﴿فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي﴾ أي إثم ضلالي عليها ﴿وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ من القرآن والحكمة ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ الدعاء ﴿قَرِيبٌ﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ يا محمد ﴿إِذْ فَزِعُوا﴾ عند البعث لرأيت أمراً عظيماً ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ لهم منا، أي لا يفوتونا

الموصول من العموم، وعلى كل فيحتمل أن المعنى: ما أسألكم أجراً البتة، فيكون كقولك لمن لم يعطك شيئاً أصلاً: إن أعطيتني شيئاً فخذه، ويؤيده قوله: **﴿إِنَّ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ﴾**، وقول المفسر: **(أي لا أسألكم عليه أجراً)** ويحتمل أن المعنى: لم أسألكم شيئاً يعود نفعه علي، فهو كقوله تعالى: **﴿قل** لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾، وقوله: ﴿ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً﴾.

قوله: **﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي﴾** أي مالكي وسيدي. قوله: **﴿يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾** مفعول **﴿يَقْذِفُ﴾** محذوف تقديره يقذف الباطل بالحق، ويؤيده قوله تعالى: ﴿بل نقذف بالحق على الباطل﴾ أي ندفع الباطل بالحق ونصرفه به، ويصح أن تكون الباء للملابسة، والمفعول محذوف أيضاً، والتقدير: يقذف الوحي إلى أنبيائه ملتبساً بالحق، أو ضمن يقذف معنى يقضي ويحكم، والأقرب الأول، لأن خير ما فسرته بالوارد. قوله: **﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾** خبر ثان لأن، أو خبر مبتدأ محذوف. قوله: **(ما غاب عن خلقه)** أي فتسميته غيباً بالنسبة للخلق، وإلا فالكل شهادة عنده تعالى.

قوله: **﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾** أفاد بذلك أن الوعد منجز ومتحقق بالفعل، فليس مجرد وعد. قوله: **﴿وَمَا يُبْدِىءُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾** أي لم يبق له بداية ولا إعادة ولا نهاية، فهو كناية عن ذهابه بالمرة، وهذا بمعنى قوله تعالى: **﴿قل** جاء الحق وزهق **الباطل﴾** إن قلت: إن السورة مكية، والكفر في ذلك الوقت، كان له شوكة قوية، والإسلام كان ضعيفاً، فكيف قال **﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾** إلخ؟ أجيب بأنه لتحقق وقوعه نزله منزلة الواقع، فعبر عنه بالماضي كقوله: **﴿أتى أمر الله﴾**.

قوله: **﴿قُلْ إِنَّ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾** سبب نزولها: أن الكفار قالوا للنبي ﷺ: تركت دين آبائك فضللت، والمعنى: فقل لهم يا محمد: إن حصل لي ضلال كما زعمتم، فإن وبال ضلالي على نفسي، لا يضر غيري، وقراءة العامة بفتح اللام من باب ضرب، وقرىء شذوذاً بكسر اللام من باب علم. قوله: **﴿وَإِنِ اهْتَدَيْتُ﴾** إلخ، أي لأن الاهتداء لا يكون إلا بهدايته وتوفيقه. قوله: **﴿فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾** أي بسبب إيحاء ربي إلي، أو بسبب الذي يوحيه إلي، **فما** مصدرية أو موصولة، والمعنى فهداي بفضل الله تعالى، فحاصل المعنى المراد، أنه إن كان بي ضلال، فمن نفسي لنفسي، وإن كان بي هدى، فمن فضل الله بالوحي إلي، على حد قوله تعالى: ﴿وما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾. قوله: **﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾** أي يسمع كل ما خفي وما ظهر، وقوله: **﴿قَرِيبٌ﴾** أي قرب مكانة لا مكان. قوله: **﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ﴾** يحتمل أن مفعول **﴿تَرَى﴾** محذوف تقديره: ولو ترى حالهم وقت فزعهم، ويحتمل أن **﴿إِذْ﴾** مفعول **﴿تَرَى﴾** أي ولو ترى وقت فزعهم؛ واسناد الرؤية للوقت

﴿ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ ﴿٥١﴾ أي القبور ﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ بمحمد أو القرآن ﴿ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾ بالواو وبالهمزة بدلها أي تناول الإيمان ﴿مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾ ﴿٥٢﴾ عن محله إذ هم في الآخرة ومحله الدنيا ﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ في الدنيا ﴿وَيَقْذِفُونَ﴾ يرمون ﴿ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾ ﴿٥٣﴾ أي بما غاب علمه عنهم غيبة بعيدة حيث قالوا في النبي ساحر شاعر كاهن، وفي القرآن سحر شعر كهانة ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ من الإيمان أي قبوله ﴿ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم﴾ أشباههم في الكفر ﴿مِّن قَبْلُ﴾ أي قبلهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾ ﴿٥٤﴾ موقع في الريبة لهم فيما آمنوا به الآن ولم يعتدوا بدلائله في الدنيا.

مجاز، وحقه أن يسند لهم، وقوله: **(عند البعث)** أحد أقوال في وقت الفزع، وقيل: في الدنيا يوم بدر، حين ضربت أعناقهم بسيوف الملائكة، فلم يستطيعوا الفرار إلى التوبة، وقيل: نزلت في ثمانين ألفاً، يأتون في آخر الزمان، يغزون الكعبة ليخربوها، فلما يدخلون البيداء يخسف بهم، فهو الأخذ من مكان قريب. قوله: **(لرأيت أمراً عظيماً)** أشار بذلك إلى أن جواب لو محذوف. قوله: **﴿فَلَا فَوْتَ﴾** أي لا مخلص ولا مهرب. قوله: **(أي القبور)** أي وهي قريبة من مساكنها في الدنيا، أو المعنى قبضت أرواحهم في أماكنها فلم يمكنهم الفرار، وقيل: أخذوا من مكان قريب، وهي القبور لجهنم، فيخرجون من قبورهم لها. قوله: **﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾** أي قالوا ذلك وقت حصول الفزع، وهو وقت نزول العذاب بهم. قوله: **﴿وأنى لهم﴾** أي كيف يمكنهم الخلاص والظفر بمطلوبهم وهم في الآخرة، مع أن ذلك لا يحصل ولا يكون إلا في الدنيا، وهي بعيدة في الآخرة؟ فالماضي بعيد إذ لا يعود، والمستقبل قريب لأنه آت، وكل آت قريب. قوله: **﴿التَّنَاوُشُ﴾** أي الرجوع إلى الدنيا للإيمان وقبول التوبة قوله: **(بالواو وبالهمزة)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **﴿وَقَدْ كَفَرُوا﴾** إلخ، الجملة حالية، أي يستبعد تناولهم الإيمان في الآخرة، والحال أنهم كفروا في الدنيا. قوله: **﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾** أي يتكلمون في الرسول بالمطاعن والنقص من جانب بعيد من أمره، وهو الشبه التي اقترحوها في جانب الرسول، ويتكلمون في العذاب، ويحلفون على نفيه من جانب بعيد عنهم، من حيث إنهم لم يعلموا ذلك، فالمكان البعيد هو ظنهم الفاسد، فهو بعيد عن رتبة العلم. قوله: **(غيبة بعيدة)** أي عن الصدق. قوله: **﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ﴾** أي في الآخرة. قوله: **(أي قبوله)** أي بحيث يخلصهم في الآخرة. قوله: **﴿بِأَشْيَاعِهِمْ﴾** جمع شيع، وشيع جمع شيعة، فالأشياع جمع الجمع، وهم قوم الرجل وأنصاره وأتباعه، المراد بهم هنا أشباههم في الكفر كما قال المفسر. قوله: **﴿مِنْ قَبْلُ﴾** صفة للأشياع. قوله: **(أي قبلهم)** أي الذين كانوا سابقين عليهم في الزمان لا في العذاب، فإن زمن عذابهم في القيامة متحد. قوله: **(موقع في الريبة لهم)** أي فهو من أراد به إذا أوقعه في الريبة وهي الشك، فهو كقولهم: عجب عجيب، وشعر شاعر، من باب التأكيد. قوله: **(ولم يعتدوا بدلائله)** حال من الواو في **(آمنوا)** أي آمنوا به في الآخرة، والحال أنهم لم يعتدوا في الدنيا بدلائله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ فَاطِرٍ

مكيّة

وهي خمس أو ست وأربعون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حمد الله تعالى نفسه بذلك، كما بين في أول سبأ ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خالقهما على غير مثال سبق ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ إلى الأنبياء

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

سورة فاطر مكية

وهي خمس أو ست وأربعون آية

أي تسمى سورة الملائكة أيضاً. قوله: (**حمد الله تعالى نفسه**) أي تعظيماً لنفسه، وتعليماً لخلقه كيفية الثناء عليه، فأل في الحمد الصادر منه تعالى، يحتمل أن تكون للاستغراق أو للجنس، ولا يصح أن تكون عهدية، لأنه لم يكن ثم شيء معهود غير الحاصل بهذه الجملة، وأما في كلام العباد، فالأولى أن تكون عهدية، والمعهود هو الحمد الصادر منه تعالى لنفسه. قوله: (**كما بين في أول سورة سبأ**) أي حيث قال هناك: حمد تعالى نفسه بذلك، المراد به الثناء بمضمونه من ثبوت الحمد، وهو الوصف الجميل، وعلم أن السور المفتتحة بالحمد أربع: الأنعام والكهف وسبأ وفاطر، وحكمة افتتاحها بذلك، أن فيها تفصيل النعم الدينية والدنيوية التي احتوت عليها الفاتحة. قوله: (**على غير مثال ذلك**) أي وإن كان لهما مادة، وهو النور المحمدي، فالمنفي المثال السابق فقط.

قوله: ﴿**جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ**﴾ نعت ثاني للفظ الجلالة، و ﴿**جَاعِلَ**﴾ وإن كان بمعنى المضي، إلا أنه للاستمرار، فباعتبار دلالته على المضي، تكون إضافته محضة، فيصلح لوصف المعرفة به، وباعتبار دلالته على الحال والاستقبال، يصلح للعمل في ﴿**رُسُلاً**﴾. قوله: (**إلى الأنبياء**) أي بالوحي، وحينئذ فيراد بعض الملائكة لا كلهم، وعبارة البيضاوي أوضح من هذه وأولى، ونصها: جاعل الملائكة رسلاً وسائط بين الله تعالى، وبين أنبيائه والصالحين من عباده، يبلغون إليهم رسالاته بالوحي والإلهام والرؤيا الصالحة، أو بينه وبين خلقه يوصلون إليهم آثار صنعه.

﴿أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ﴾ في الملائكة وغيرها ﴿مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ١﴾ ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٖ﴾ كرزق ومطر ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ﴾ من ذلك ﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ﴾ إي بعد إمساكه ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿ٱلْحَكِيمُ ٢﴾ في فعله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْۚ﴾ بإسكانكم الحرم ومنع الغارات

قوله: ﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ﴾ يصح أي يكون صفة لرسلاً، وهو إن كان صحيحاً من جهة اللفظ لتوافقهما تنكير، إلا أنه يوهم أن الأجنحة لخصوص الرسل، مع أنها لكل الملائكة، فالأحسن جعله صفة أو حالاً من الملائكة، نظراً لأل الجنسية. قوله: ﴿مَثْنَى﴾ بدل من ﴿أَجْنِحَةٍ﴾ مجرور بفتح مقدرة، نيابة عن الكسرة المقدرة، لأنه اسم لا ينصرف، والمانع له من الصرف الوصفية والعدل، لكونه معدولاً عن اثنين اثنين. قوله: ﴿وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ إن قلت: في أي محل يكون الجناح الثالث لذي الثلاثة؟ قلت: لعله يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بالقوة.

قوله: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ﴾ جملة مستأنفة سيقت لبيان باهر قدرته تعالى. قوله: (في الملائكة) أي في صورهم، فقد قال الزمخشري: رأيت في بعض الكتب، أن صنفاً من الملائكة لهم ستة أجنحة، فجناحان يلفون بها أجسادهم، وجناحان للطير يسيرون بها في الأمر من أمور الله، وجناحان على وجوههم حياء من الله تعالى، وفي الحديث: «رأيت جبريل عند سدرة المنتهى، وله ستمائة جناح، يتناثر من رأسه الدر والياقوت». وروى أنه سأل جبريل أن يتراءى له في صورته فقال: إنك لن تطيق ذلك. فقال: إني أحب أن تفعل، فخرج رسول الله ﷺ في ليلة مقمرة، فأتاه جبريل في صورته، فغشي على رسول الله ﷺ، ثم أفاق وجبريل عليه السلام مسنده، وإحدى يديه على صدره، والأخرى بين كتفيه، فقال: سبحان الله ما كنت أرى شيئاً من الخلق هكذا، فقال جبريل: فكيف لو رأيت اسرافيل، له اثنا عشر ألف جناح، جناح منها بالمشرق، وجناح بالمغرب، وإن العرش على كاهله، وإنه ليتضاءل الأحايين، أي يتصاغر الأزمان لعظمة الله، حتى يعود مثل الوصع، وهو العصفور الصغير. قوله: (وغيرها) أي من جميع الخلق، كطول القامة، واعتدال الصورة، وتمام الأعضاء، وقوة البطش، وحسن الصوت، والشعر، والخط، وغير ذلك من الكمالات التي أعطاها الله لخلقه. قوله: ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ كالتعليل لما قبله.

قوله: ﴿مَا يَفْتَحِ اللهُ﴾ ﴿مَا﴾ إما شرطية، و ﴿يَفْتَحِ﴾ فعل الشرط، وقوله: ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ جواب الشرط، أو موصولة مبتدأ، وقوله: ﴿يَفْتَحِ﴾ صلتها، وقوله: ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ خبر المبتدأ، وقرن بالفاء لما في المبتدأ من العموم، وقوله: ﴿مِنْ رَحْمَةٍ﴾ بيان لما. قوله: (كرزق) أي دنيوي أو أخروي، وعبر في جانب الرحمة بالفتح، إشارة إلى أنها شيء عزيز نفيس، شأنه أن يوضع في خزائن، وأتى بها منكرة، لتعم كل رحمة دنيوية أو أخروية. قوله: ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ أنث مراعاة لمعنى ﴿مَا﴾ وهو الرحمة. قوله: ﴿وَمَا يُمْسِكْ﴾ يصح أن يبقى على عمومه، فالتذكير في قوله ظاهر، ويصح أن يكون قد حذف من الثاني، لدلالة الأول عليه، والتذكير مراعاة اللفظ، وقد أشار المفسر لهذا الثاني بقوله: (من ذلك) يعني من الرحمة. قوله: (أي أهل مكة) تفسير للناس باعتبار سبب النزول، وإلا فالعبرة بعموم اللفظ.

عنكم ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ﴾ من زائدة وخالق مبتدأ ﴿غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ بالرفع والجر، نعت لخالق لفظاً ومحلاً وخبر المبتدأ ﴿يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ المطر ﴿وَ﴾ من ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ النبات والاستفهام للتقرير، أي لا خالق رازق غيره ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ ﴿٣﴾ من أين تصرفون عن توحيده، مع إقراركم بأنه الخالق الرازق؟ ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ يا محمد في مجيئك بالتوحيد والبعث والحساب والعقاب ﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ في ذلك فاصبر كما صبروا ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ ﴿٤﴾ في الآخرة، فيجازي المكذبين، وينصر المرسلين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعث وغيره ﴿حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ عن الإيمان بذلك ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ﴾ في حلمه وإمهاله ﴿ٱلْغَرُورُ﴾ ﴿٥﴾ الشيطان ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ بطاعة الله ولا تطيعوه ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ﴾ أتباعه في الكفر

قوله: ﴿**اذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ**﴾ أي اشكروه على تلك النعم التي اسداها إليكم. قوله: (**بإسكانكم**) إلخ، أشار بذلك إلى أن النعمة بمعنى الإنعام، ويصح أن تكون بمعنى المنعم به. قوله: (**وخالق مبتدأ**) أي مرفوع بضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. قوله: (**بالجر والرفع**) أي فهما قراءتان سبعيتان، وقوله: (**لفظاً أو محلاً**) لف ونشر مرتب، وفي بعض النسخ بتقديم الرفع، فيكون لفاً ونشراً مشوشاً، وقرىء شذوذاً بالنصب على الاستثناء. قوله: (**والاستفهام للتقرير**) أي والتوبيخ. قوله: (**أي لا خالق رازق غيره**) هذا حل معنى لا حل إعراب، وإلا لقال: لا خالق غيره رازق لكم. قوله: ﴿**لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ**﴾ كلام مستأنف لتقرير النفي المتقدم. قوله: ﴿**فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ**﴾ من الإفك بالفتح وهو الصرف، وبابه ضرب، ومنه قوله تعالى: ﴿**قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا**﴾ وأما الإفك بالكسر فهو الكذب. قوله: (**من أين تصرفون عن توحيده**) أي كيف تعبدون غيره. مع أنه ليس في ذلك الغير وصف يقتضي عبادته من دون الله.

قوله: ﴿**وَأَنْ يُكَذِّبُوكَ**﴾ أي يدوموا على تكذيبك، وهذا تسلية له ﷺ. قوله: (**فاصبر كما صبروا**) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف، والمعنى فتأسى بمن قبلك ولا تحزن. قوله: (**فيجازي المكذبين**) أي بإدخالهم النار، وقوله: (**وينصر المرسلين**) أي بقبول شفاعتهم وإدخالهم دار الكرامة. قوله: (**وغيره**) أي كالحساب والعقاب. قوله: ﴿**فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**﴾ المراد نهيهم عن الاغترار بها، والمعنى فلا تغتروا بالدنيا، فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعي لها. قوله: (**في حلمه**) أي بسببه، والمعنى لا تجعلوا حلمه وامهاله سبباً في اتباعكم الشيطان. قوله: ﴿**الْغَرُورُ**﴾ هو بالفتح في قراءة العامة كالصبور والشكور، وقرىء شذوذاً بضمها، إما جمع غار كقاعد وقعود، أو مصدر كالجلوس. قوله: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ**﴾ أي عظيم، فإن عداوته قديمة مؤسسة من عهد آدم، قوله: ﴿**فَاتَّخِذُوهُ عَدُواً**﴾ أي فكونوا منه على حذر في جميع أحوالكم، ولا تأمنوا له في السر والعلانية، ولا تقبلوا منه صرفاً ولا عدلاً، قال البوصيري:

وخالف النفس والشيطان واعصهما ... وإن هما محضاك النصح فاتهم
ولا تطع منهما خصماً ولا حكماً ... فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

﴿لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ النار الشديد ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ هذا بيان ما لموافقي الشيطان وما لمخالفيه. ونزل في أبي جهل وغيره ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ بالتمويه ﴿فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ﴾ من مبتدأ خبره كمن هداه الله لا، دل عليه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ﴾ على المزين لهم ﴿حَسَرَٰتٍ ۚ﴾ باغتمامك أن لا يؤمنوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾ فيجازيهم عليه ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ﴾ وفي قراءة الريح ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ المضارع لحكاية الحال الماضية أي تزعجه ﴿فَسُقْنَـٰهُ﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ بالتشديد والتخفيف لا نبات بها ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ

قوله: ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ﴾ إلخ بيان لوجه عداوته وتحذير من طاعته. قوله: (هذا) أي قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى آخره، والمعنى من كفر من أول الزمان إلى آخره، فله العذاب الشديد، ومن آمن من أول الزمان إلى آخره، فله المغفرة والأجر الكبير. قوله: (ونزل في أبي جهل وغيره) أي من مشركي مكة، كالعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، وعقبة بن أبي معيط وأضرابهم، ويؤيد هذا القول آيات منها: ﴿ليس عليك هداهم﴾. ومنها: ﴿ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾. ومنها: ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً﴾ وغير ذلك. ففي هذه الآيات تسلية له ﷺ على كفر قومه، وقيل: هذه الآية نزلت في الخوارج الذين يحرفون تأويل الكتاب والسنة، ويستحلون بذلك دماء المسلمين وأموالهم، استحوذ عليهم الشيطان، فأنساهم ذكر الله، أولئك حزب الشيطان، ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون، نسأل الله الكريم أن يقطع دابرهم. وقيل: نزلت في اليهود والنصارى. وقيل: نزلت في الشيطان، حيث زين له أنه العابد التقي، وآدم العاصي، فخالف ربه لاعتقاده أنه على كل شيء.

قوله: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ أي زين له الشيطان ونفسه الأمارة عمله السيىء، فهو من اضافة الصفة للموصوف. قوله: (بالتمويه) أي التحسين ظاهراً بأن غلب وهمه على عقله، فرأى الحق باطلاً، والباطل حقاً، وأما من هداه الله، فقد رأى الحق حقاً فاتبعه، ورأى الباطل باطلاً فاجتنبه. قوله: (لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام انكاري. قوله: (دل عليه) أي على تقدير الخبر، والمعنى حذف الخبر لدلالة قوله: ﴿فَإِنَّ الله يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ إلخ عليه، وفي هذه الآية رد على المعتزلة الذين يزعمون أن العبد يخلق أفعال نفسه، فلو كان كذلك، ما أسند الاضلال والهدى لله تعالى.

قوله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ﴾ عامة القراء على فتح التاء والهاء، ورفع نفس على الفاعلية، ويكون المعنى: لا تتعاط أسباب ذلك، وقرىء شذوذاً بضم التاء وكسر الهاء، و ﴿نَفْسَكَ﴾ مفعول به، ويكون المعنى: لا تهلكها على عدم إيمانهم. قوله: ﴿حَسَرَاتٍ﴾ مفعول لأجله، جمع حسرة، وهي شدة التلهف على الشيء الفائت. قوله: (فيجازيهم عليه) أي إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. قوله: (وفي قراءة الريح) أي وهي سبعية أيضاً. قوله: (لحكاية الحال الماضية) أي استحضاراً لتلك الصورة العجيبة التي تدل على كمال قدرته تعالى. قوله: (أي تزعجه) أي تحركه وتثيره. قوله: (فيه التفات عن الغيبة) أي

﴿ٱلْأَرْضَ﴾ من البلد ﴿بَعْدَ مَوْتِهَاۚ﴾ يبسها أي أنبتنا به الزرع والكلأ ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ ⁽⁹⁾ أي البعث والإحياء ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ أي في الدنيا والآخرة، فلا تنال منه إلا بطاعته فليطعه ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ يعلمه وهو: لا إله إلا الله، ونحوها ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ﴾ يقبله ﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ﴾ المكرات ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ بالنبي في دار الندوة من تقييده أو قتله أو إخراجه، كما ذكر في الأنفال ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ ⁽¹⁰⁾ يهلك ﴿وَٱللَّهُ

الكائنة في قوله: ﴿وَاللهُ الَّذِي أَرْسَلَ﴾. قوله: ﴿إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ البلد يذكر ويؤنث، يطلق على القطعة من الأرض، عامرة أو خالية. قوله: **(بالتشديد والتخفيف)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(لا نبات بها)** أي فالمراد بالموت وعدم النبات والمرعى، وبالحياة وجودهما. قوله: **(من البلد)** (من) بيانية. قوله: ﴿**كَذَلِكَ النُّشُورُ**﴾ أي كمثل احياء الأرض بالنبات احياء الأموات، ووجه الشبه، أن الأرض الميتة لما قبلت الحياة اللائقة بها، كذلك الأعضاء تقبل الحياة اللائقة بها، فإن البلد الميت تساق إليها المياه فتحيا بها، والأجساد تساق إليها الأرواح فتحيا بها.

قوله: ﴿**وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً**﴾ ﴿**مَنْ**﴾ شرطية مبتدأ، وجوابها محذوف، قدره المفسر بقوله: **(فليطعه)** وقوله: ﴿**فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ**﴾ تعليل للجواب، واختلف في هذه الآية فقيل: المراد من كان يريد أن يسأل عن العزة لمن هي؟ فقل له: لله العزة جميعاً. وقيل: المراد من أراد العزة لنفسه فليطلبها من الله، فإن له لا لغيره، وطلبها يكون بطاعته والالتجاء إليه، والوقوف على بابه، لما ورد في الحديث: «من أراد عز الدارين فليطع العزيز، ومن طلب العزة من غيره تعالى كسي من وصفه» وهو الذل، لأن وصف العبد الذل، ووصف الله العز، فمن التجأ إلى الله، كساه الله من وصفه، ومن التجأ إلى العبد كساه الله من وصف ذلك العبد، لما ورد: من استعز بقوم أورثه الله ذلهم، وقال الشاعر:

وإذا تذللت الرقاب تواضعاً   منا إليك فعزها في ذلها

قوله: **(يعلمه)** أشار بذلك إلى أن في الكلام مجازاً، فالصعود مجاز عن العلم، كما يقال: ارتفع الأمر إلى القاضي، يعني علمه، وعبر عنه بالصعود، إشارة لقبوله؛ لأن موضع الثواب فوق، وموضع العذاب أسفل، وقيل: المعنى يصعد إلى سمائه، وقيل: يحتمل الكتاب الذي كتب فيه طاعة العبد إلى السماء. قوله: **(ونحوها)** أي من الأذكار والتسبيح وقراءة القرآن. قوله: ﴿**وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ**﴾ أي كالصلاة والصوم، وغير ذلك من الطاعات. قوله: ﴿**وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ**﴾ بيان لحال الكلم الخبيث والعمل السيىء، بعد بيان حال الكلم الطيب والعمل الصالح. قوله: **(المكرات)** قدره اشارة إلى أن السيئات، صفة لموصوف محذوف مفعول مطلق ليمكرون، لأن مكر لازم لا ينصب المفعول، والمكر: الحيلة والخديعة. قوله: **(في دار الندوة)** أي وهي التي بناها قصي بن كلاب للتحدث والمشاورة. قوله: **(كما ذكر في الأنفال)** أي في قوله تعالى: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا﴾ الآيات، وقد فصلت هناك. قوله: ﴿**وَمَكْرُ أولَئِكَ**﴾ أتى باسم الاشارة البعيد، اشارة لبعدهم عن الرحمة واشتهارهم بالبغي والفساد. قوله: ﴿**هُوَ يَبُورُ**﴾ ﴿**هُوَ**﴾ مبتدأ ثان، و ﴿**يَبُورُ**﴾ خبره، والجملة خبر الأول، ويصح أن يكون ضمير فصل لا محل

خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ بخلق أبيكم آدم منه ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي منيّ بخلق ذريته منها ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ ذكوراً وإناثاً ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ حال أي معلومة له ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾ أي ما يزاد في عمر طويل العمر ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ أي ذلك المعمر أو معمر آخر ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ هو اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾﴾ هين ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ شديد العذوبة ﴿سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ﴾ شربه ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ شديد الملوحة ﴿وَمِن كُلٍّ﴾ منهما ﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو السمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ﴾ من الملح وقيل منهما ﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ هي اللؤلؤ والمرجان ﴿وَتَرَى﴾ تبصر ﴿ٱلْفُلْكَ﴾ السفن ﴿فِيهِ﴾ في كل منهما ﴿مَوَاخِرَ﴾

له من الاعراب، وقولهم: إن الفصل لا يقع قبل الخبر إذا كان فعلاً مردود بجواز ذلك. قوله: **(بخلق أبيكم آدم منه)** ويصح أن يراد ﴿**خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ**﴾ بواسطة أن النطفة من الغذاء وهو من التراب. قوله: ﴿**أَزْوَاجاً**﴾ أي أصنافاً. قوله: ﴿**مِنْ أُنْثَى**﴾ ﴿**مِنْ**﴾ زائدة في الفاعل. قوله: **(حال)** أي من أنثى.

قوله: ﴿**وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ**﴾ بفتح الميم في قراءة العامة. قال ابن عباس: ما يعمر من معمر، إلا كتب عمره، كم هو سنة؟ وكم هو شهراً؟ وكم هو يوماً؟ وكم هو ساعة؟ ثم يكتب في كتاب آخر: نقص من عمره يوم، نقص شهر، نقص سنة، حتى يستوفي أجله، فما مضى من أجله فهو النقصان، وما يستقبله فهو الذي يعمره، وهذا هو الأحسن، وقيل: إن الله كتب عمر الإنسان مائة سنة إن أطاع، وتسعين إن عصى، فأيهما بلغ فهو كتاب، وهذا مثل قوله عليه السلام: «من أحب أن يبسط الله له في رزقه، وينسأ له في أثره، أي يؤخر في عمره، فليصل رحمه» أي إنه يكتب في اللوح المحفوظ: عمر فلان كذا سنة، فإن وصل رحمه يزيد في عمره كذا سنة، فبين ذلك في موضع آخر من اللوح المحفوظ، أنه سيصل رحمه، فمن أطلع على الأول دون الثاني، ظن أنه زيادة أو نقصان. قوله: **(أو معمر آخر)** أي على حد: عندي درهم ونصفه، أي فالمعنى: ما يزاد في عمر شخص بأن يكون أجله طويلاً، ولا ينقص من عمر آخر بأن يكون عمره قصيراً إلا في كتاب. قوله: ﴿**إِنَّ ذٰلِكَ**﴾ أي كتابة الأعمار والآجال، قوله: ﴿**عَلَى اللهِ يَسِيرٌ**﴾ أي سهل غير متعذر.

قوله: ﴿**وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ**﴾ هذا مثل المؤمن والكافر، وقوله: **(شديد العذوبة)** أي يكسر وهج العطش، وقوله: ﴿**سَائِغٌ**﴾ أي يسهل الحرارة. قوله: **(شربه)** إنما فسر الشراب بالشرب، لأن الشراب هو المشروب، فيلزم إضافة الشيء لنفسه. قوله: ﴿**أُجَاجٌ**﴾ أي يحرق الحلق بملوحته. قوله: ﴿**وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ**﴾ إلخ، يحتمل أنه استطراد لبيان صفة البحرين وما فيهما من المنافع، والمثل قد تم بما قبله وهو الأظهر، وقيل: هو من تمام التمثيل، يعني أنهما وإن اشتركا في بعض الأوصاف، لا يستويان في جميعها كالبحرين، فإنهما وإن اشتركا في بعض المنافع، لا يستويان في جميعها. قوله: **(هو السمك)** المراد به حيوانات البحر كلها، فيجوز أكلها. قوله: **(وقيل منهما)** أي ووجهه أن في البحر الملح عيوناً عذبة تمتزج بالملح، فيخرج اللؤلؤ منهما عند الامتزاج. قوله: **(والمرجان)** هو عروق حمر، تطلع من البحر كأصابع الكف، وقيل: هو صغار اللؤلؤ.

تمخر الماء أي تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة ﴿لِتَبْتَغُواْ﴾ تطلبوا ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ تعالى بالتجارة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿١٢﴾ الله على ذلك ﴿يُولِجُ﴾ يدخل الله ﴿ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ فيزيد ﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ﴾ يدخله ﴿فِى ٱلَّيْلِ﴾ فيزيد ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ﴾ منهما ﴿يَجْرِى﴾ في فلكه ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يوم القيامة ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ أي غيره وهم الأصنام ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ ﴿١٣﴾ لفافة النواة ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ﴾ فرضاً ﴿مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ﴾ ما أجابوكم ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ بإشراككم إياهم مع الله، أي يتبرؤون منكم ومن عبادتكم إياهم ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ﴾ بأحوال الدارين ﴿مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ ﴿١٤﴾ عالم وهو الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بكل حال ﴿وَٱللَّهُ هُوَ

قوله: ﴿لِتَبْتَغُوا﴾ متعلق بمواخر. قوله: **(بالتجارة)** أي وغيرها كالغزو والحج. قوله: **(على ذلك)** أي على ما أسداه إليك من تلك النعم. قوله: ﴿**يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ**﴾ أي فيطول النهار، حتى يصير من طلوع الشمس لغروبها، أربع عشرة ساعة كأيام الصيف، وقوله: ﴿**وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلَ**﴾ أي فيطول الليل، حتى يكون من الغروب للطلوع أربع عشرة ساعة كأيام الشتاء، فالدائر بين الليل والنهار أربع ساعات، تارة تكون في الليل وتارة تكون في النهار.

قوله: ﴿**وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ**﴾ معطوف على ﴿**يُولِجُ**﴾ وعبر بالمضارع في جانب الليل والنهار، لأن إيلاج أحدها في الآخر يتجدد كل عام، وأما الشمس والقمر، فتسخيرهما من يوم خلقهما الله، فلا تجدد فيه، وإنما التجدد في آثارهما، فلذا عبر في جانبهما بالماضي. قوله: ﴿**وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ**﴾ إلخ، هذا من جملة الأدلة على انفراده تعالى بالألوهية. قوله: **(لفافة النواة)** بكسر اللام، وهي القشرة الرقيقة الملتفة على النواة. واعلم أن النواة أربعة أشياء، ويضرب بها المثل في القلة: الفتيل: وهو ما في شق النواة، والقطمير: وهو اللفافة، والنقير: وهو ما في ظهرها، والثفروق: وهو ما بين القمع والنواة. قوله: **(ما أجابوكم)** أي بجلب نفع، ولا دفع ضر. قوله: **(بإشراككم إياهم)** أشار بذلك إلى أن المصدر مضاف للفاعل قوله: **(أي يتبرؤون منكم) أي بقولهم: ﴿ما كانوا إيانا يعبدون﴾**. قوله: ﴿**وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ**﴾ أي لا يخبرك أحد مثلي، لأني عالم بالأشياء وغيري لا يعلمها، وهذا الخطاب يحتمل أن يكون عاماً غير مختص بأحد، ويحتمل أن يكون خطاباً له ﷺ.

قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ**﴾ إنما خاطب الناس بذلك، وإن كان كل ما سوى الله فقيراً، لأن الناس هم الذين يدعون الغنى وينسبونه لأنفسهم. والمعنى: يا أيها الناس، أنتم أشد الخلق افتقاراً واحتياجاً إلى الله، في أنفسكم وعيالكم وأموالكم، وفيما يعرض لكم من سائر الأمور، فلا غنى لكم عنه طرفة عين، ولا أقل من ذلك، ومن هنا قول الصديق رضي الله عنه: من عرف نفسه عرف ربه، أي من عرف نفسه، بالفقر والذل والعجز والمسكنة، عرف ربه بالغنى والعز والقدرة والكمال. قوله: **(بكل حال)** أي في حالة الفقر والغنى والضعف والقوة والذل والعز، فالعبد مفتقر لربه في أي حاله كان بها

﴿ٱلۡغَنِيُّ﴾ عن خلقه ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ ﴿١٥﴾ المحمود في صنعه بهم ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ ﴿١٦﴾ بدلكم ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ﴾ ﴿١٧﴾ شديد ﴿وَلَا تَزِرُ﴾ نفس ﴿وَازِرَةٞ﴾ آثمة أي لا تحمل ﴿وِزۡرَ﴾ نفس ﴿أُخۡرَىٰۚ وَإِن تَدۡعُ﴾ نفس ﴿مُثۡقَلَةٌ﴾ بالوزر ﴿إِلَىٰ حِمۡلِهَا﴾ منه أحد ليحمل بعضه ﴿لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ وَلَوۡ كَانَ﴾ المدعو ﴿ذَا قُرۡبَىٰٓۗ﴾ قرابة كالأب والابن وعدم الحمل في الشقين حكم من الله تعالى ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ﴾ أي يخافونه وما رأوه لأنهم

ذلك العبد. قوله: ﴿الْحَمِيدُ﴾ إنما ذكره بعد الغنى، لدفع توهم أن غناه تعالى تارة ينفع وتارة لا، فأفاد أنه كما أنه غني، وهو منعم جواد محمود على إنعامه، لكونه يعطي النوال قبل السؤال، للبر والفاجر.

قوله: ﴿إِنَّ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ هذا بيان لغناه المطلق، يعني أن إذهابكم ليس متوقفاً على شيء، إلا على مشيئته، فإبقاؤكم من محض فضله. قوله: ﴿بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي بعالم آخر غير ما تعرفونه. قوله: **(شديد)** أي متعذر ومتعسر. قوله: ﴿وَازِرَةٌ﴾ فاعل ﴿تَزِرُ﴾ وهو صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله: **(نفس)** والمعنى لا تحمل نفس وازرة وزر نفس أخرى، وأما غير الوازرة، فتحصل وزر الوازرة، بمعنى تشفع لها في غفرانه، لا بمعنى أنه ينتقل من الوازرة لغيرها. إن قلت: ما الجمع بين هذه الآية، وبين قوله تعالى: ﴿وليحملن أثقالهم﴾ الآية؟ أجيب: بأن تلك الآية محمولة على من ضل، وتسبب في الضلال لغيره، فعليه وزر ضلاله، ووزر تسببه، لأن تسببه من فعله، فلم يحمل إلا أثقال نفسه، فرجع الأمر إلى أن الإنسان لا يحمل وزر غيره أصلاً، بل كل نفس بما كسبت رهينة.

قوله: ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا﴾ أي وإن تدع نفس مثقلة بالذنوب نفساً إلى حملها، وهو بالكسر ما يحمل على ظهر أو رأس، وبالفتح ما كان في البطن أو على رأس شجرة. قوله: ﴿لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ العامة على قراءة يحمل مبنياً للمفعول، و ﴿شَيْءٌ﴾ نائب الفاعل، وقرىء شذوذاً تحمل، بفتح التاء وكسر الميم، مسنداً إلى ضمير النفس المحذوفة، وشيئاً مفعول تحمل. قوله: ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ العامة على قراءة ﴿ذَا﴾ بالنصب خبر ﴿كَانَ﴾ واسمها ضمير يعود على **(المدعو)** كما قدره المفسر، وقرىء شذوذاً بالرفع على أن ﴿كَانَ﴾ تامة، والمعنى وإن تدع نفس مذنبة نفساً أخرى، إلى حمل شيء من ذنبها، لا يحمل منه شيء، ولو كانت تلك النفس الأخرى قريبة للداعية، كابنها أو أبيها، لما ورد: يلقى الأب والأم الابن فيقولان له: يا بني احمل عنا بعض، فيقول: لا أستطيع حسبي ما علي. قوله: **(وفي الشقين)** أي الحمل القهري والاختياري. قوله: **(حكم من الله تعالى)** أي وهو لا يخلو عن حكمة عظيمة.

قوله: ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ ﴿إِنَّمَا﴾ أداة حصر، والمعنى إن إنذارك مقصور على الذين يخشون ربهم، وقوله: ﴿بِالْغَيْبِ﴾ حال من فاعل قوله: ﴿يَخْشَوْنَ﴾ أي يخشونه، حال كونهم غائبين عنه، فالغيبة وصف العبيد لا وصف الرب، فإن وصف الرب القرب، قال تعالى: ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ ووصف العبيد الغيبة والحجاب، فالعبيد محجوبون عن ربهم بصفات جلاله، ويصح أن يكون حالاً من المفعول، أي يخشونه، والحال أنه غائب عنهم، أي محتجب بجلاله فلا يرونه، وإلى هذا أشار المفسر بقوله: **(وما رأوه)** فعدم رؤية الله تعالى، إنما هو من تحجبه بصفات الجلال، فإذا

المنتفعون بالإنذار ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ﴾ أداموها ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾ تطهر من الشرك وغيره ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ فصلاحه مختص به ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ ﴿١٨﴾ المرجع فيجزي بالعمل في الآخرة ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ ﴿١٩﴾ الكافر والمؤمن ﴿وَلَا الظُّلُمَٰتُ﴾ الكفر ﴿وَلَا النُّورُ﴾ ﴿٢٠﴾ الإيمان ﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾ ﴿٢١﴾ الجنة والنار ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَٰتُ﴾ المؤمنون ولا الكفار، وزيادة لا في الثلاثة تأكيد ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ﴾ هدايته فيجيبه بالإيمان ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ ﴿٢٢﴾ أي الكفار، شبههم بالموتى فيجيبون ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ ﴿٢٣﴾ منذر لهم ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَٰكَ بِالْحَقِّ﴾ بالهدى ﴿بَشِيرًا﴾ من أجاب إليه ﴿وَنَذِيرًا﴾ من لم يجب إليه ﴿وَإِن﴾ ما ﴿مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا﴾ سلف ﴿فِيهَا نَذِيرٌ﴾ ﴿٢٤﴾ نبي ينذرها ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ أي أهل مكة ﴿فَقَدْ كَذَّبَ

تجلى بالجمال رأته الأبصار، وذلك يحصل في الآخرة لأهل الإيمان، وقد حصل في الدنيا لسيد الخلق على الإطلاق، وقد يتجلى بالجمال للقلوب في الدنيا فتراه، وهي الجنة المعجلة لأهل الله المقربين. قوله: **(لأنهم المنتفعون بالإنذار)** جواب عما يقال: كيف قصر الإنذار على أهل الخشية، مع أنه لجميع المكلفين. فأجاب: بأن وجه قصره عليهم انتفاعهم به، فكأنه قال: إنما ينفع إنذارك أهل الخشية. قوله: **(أداموها)** أي واظبوا عليها، بأركانها وشروطها وآدابها، وفي نسخة أدوها. قوله: **(وغيره)** أي كالمعاصي. قوله: **(فصلاحه مختص به)** أي فهو قاصر عليه لا يتعداه، فيجزى بالعمل في الآخرة، أي الخير والشر.

قوله: **﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾** إلخ، مثل ضربه الله المؤمن والكافر، وأفاد أولاً الفرق بين ذاتيهما، وثانياً بين وصفيهما، وثالثاً بين داريهما في الآخرة، وأما قوله: **﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ﴾** إلخ، فهو مثل آخر على أبلغ وجه، لأن الأعمى ربما يكون فيه بعض نفع، بخلاف الميت. قوله: **﴿وَلاَ الظُّلُمَاتُ وَلاَ النُّورُ﴾** جمع **﴿الظُّلُمَاتُ﴾** باعتبار أنواع الكفر، فإن أنواعه كثيرة، بخلاف الإيمان، فهو نوع واحد. قوله: **﴿وَلاَ الْحَرُورُ﴾** هي الريح الحارة، خلاف السموم، فالحرور تكون بالنهار، والسموم بالليل، وقيل: الحرور والسموم: الليل والنهار. قوله: **(وزيادة لا في الثلاثة)** أي في الجمل الثلاث التي أولها **﴿وَلاَ الظُّلُمَاتُ وَلاَ النُّورُ﴾** وثانيها **﴿وَلاَ الظِّلُّ وَلاَ الْحَرُورُ﴾** وثالثها **﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلاَ الأَمْوَاتُ﴾** وإنما زيدت للتأكيد في الجميع، لأن نفي المساواة معلوم من ما النافية. قوله: **﴿إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ﴾** من هنا إلى قوله: **﴿نَكِيرٌ﴾** تسليه له. قوله: **(شبههم بالموتى)** أي في عدم التأثر بدعوته.

قوله: **﴿إِنْ أَنْتَ إِلاَّ نَذِيرٌ﴾** أي فليس عليك إلا التبليغ، والهدى بيد الله يؤتيه من يشاء. قوله: **﴿بِالْحَقِّ﴾** حال من الكاف، بدليل قول المفسر **(بالهدى)** كأنه قال: أرسلناك حال كونك هادياً. **﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ﴾** أي تعلمها، وقوله: **(نبي ينذرها)** أي يخوفها من عقاب الله، وتنقضي شريعته بموته، فما بين الرسولين من أهل الفترة، وهم ناجون من أهل الجنة، وإن غيروا وبدلوا وعبدوا غير الله، بنص قوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ وأما ما ورد من تعذيب بعض أهل الفترة، كعمرو بن لحي، وامرىء القيس، وحاتم الطائي، فقيل: إن ذلك لحكمة يعلمها الله لا لكفرهم، والتحقيق أنه خبر آحاد، وهو لا يعارض النص القطعي، وتقدم الكلام في ذلك عند قوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى

﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات ﴿وَبِٱلزُّبُرِ﴾ كصحف إبراهيم ﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ ﴿٢٥﴾ هو التوراة والإنجيل، فاصبر كما صبروا ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بتكذيبهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ ﴿٢٦﴾ إنكاري عليهم بالعقوبة والإهلاك، أي هو واقع موقعه ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ كأخضر وأحمر وأصفر وغيرها ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ﴾ جمع جدة طريق في الجبل وغيره ﴿بِيضٌ وَحُمْرٌ﴾ وصفر ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾ بالشدة والضعف ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ ﴿٢٧﴾ عطف على جدد، أي صخور شديدة السواد، يقال كثيراً: أسود غربيب، وقليلاً، غربيب أسود ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ﴾ كاختلاف الثمار والجبال ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ بخلاف الجهال ككفار مكة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿غَفُورٌ﴾ ﴿٢٨﴾ لذنوب عباده المؤمنين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ﴾ يقرؤون

نبعث رسولاً﴾. قوله: ﴿وَبِالزُّبُرِ﴾ اسم لكل ما يكتب. قوله: (**كصحف إبراهيم**) أي وهي ثلاثون، وكصحف موسى قبل التوراة وهي عشرة، وكصحف شيث وهي ستون، فجملة الصحف مائة، تضم لها الكتب الأربعة، فجملة الكتب السماوية مائة وأربعة. قوله: (**فاصبروا كما صبروا**) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف. قوله: (**أي هو واقع موقعه**) أشار بذلك إلى أن الاستفهام تقريري.

قوله: ﴿**أَلَمْ تَرَ**﴾ خطاب لكل من تتأتى منه الرؤية، وهو كلام مستأنف، سيق لبيان باهر قدرته تعالى وكمال حكمته. قوله: (**فيه التفات**) أي وحكمته أن المنة في الإخراج، أبلغ من إنزال الماء، ولما في الإخراج من الصنع البديع الدال على كمال القدرة الإلهية. قوله: ﴿**ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوانُها**﴾ أي في أصل اللون، كالأخضر والأصفر والأحمر، وفي شدة اللون الواحد وضعفه. قوله: ﴿**وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ**﴾ قرأ العام بضم الجيم وفتح الدال، جمع جدة وهي الطريق، وقرىء شذوذاً بضم الجيم والدال جمع جديدة، وبفتحهما. قوله: ﴿**مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا**﴾ مختلف صفة لجدود، و ﴿**أَلْوانُها**﴾ فاعل به، و ﴿**مُخْتَلِفٌ**﴾ خبر مقدم، و ﴿**أَلْوانُها**﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة صفة لجدد. قوله: ﴿**وَغَرَابِيبُ سُودٌ**﴾ الغربيب تأكيد للأسود، كالقاني تأكيد للأحمر، وإنما قدمه عليه للمبالغة. قوله: (**يقال كثيراً**) أي بتقديم الموصوف على الصفة، وهذا هو الأصل، وقوله: (**وقليلاً**) أي بتقديم الصفة على الموصوف، وهذا خلاف الأصل، ويرتكب للمبالغة.

قوله: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ**﴾ خبر مقدم، وقوله: ﴿**مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ**﴾ صفة لموصوف محذوف هو المتبدأ، أي صنف مختلف ألوانه من الناس، وقوله: ﴿**كَذٰلِكَ**﴾ صفة لمصدر محذوف، أي اختلافاً كذلك. قوله: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ أي أن خشية الله، شرطها العلم والمعرفة به، فمن اشتدت معرفته لربه، كان أخشاهم له، ولذا ورد في الحديث: «أنا أخشاكم لله وأتقاكم له». وقرىء شذوذاً برفع الجلالة ونصب العلماء، والمعنى إنما يعظم الله من العباد العلماء، وإنما كان كذلك، لكونهم أعرف الناس بربهم وأتقاهم له، فالواجب على الناس تعظيمهم واحترامهم، اقتداء بالله تعالى، فإن الله أخبر أنه يعظمهم ويجلهم. قوله: ﴿**إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**﴾ تعليل لوجوب الخشية كأن قيل: يجب على كل انسان، أن يخشى الله تعالى، لأنه عزيز قاهر لما سواه، غفور للمذنبين.

﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أداموها ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ زكاة أو غيرها ﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ ﴿٢٩﴾ تهلك ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ ثواب أعمالهم المذكورة ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ﴾ لذنوبهم ﴿شَكُورٌ﴾ ﴿٣٠﴾ لطاعتهم ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ تقدمه من الكتب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ ﴿٣١﴾ عالم بالبواطن والظواهر ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا﴾ أعطينا ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وهم أمّتك ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ بالتقصير في العمل به ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ يعمل به أغلب الأوقات ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ يضم إلى العمل التعليم والإرشاد إلى العمل ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بإرادته ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي إيراثهم الكتاب ﴿هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ الثلاثة بالبناء للفاعل وللمفعول خبر جنات المبتدأ ﴿يُحَلَّوْنَ﴾ خبر ثان ﴿فِيهَا مِنْ﴾ بعض ﴿أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ﴾ أي يقرؤونه على طهارة أو لا، على ظهر قلب أو في المصحف، وفضل الله واسع. قوله: **(زكاة أو غيرها)** لف ونشر مشوش، وهو تحضيض على الإنفاق كيفما تيسر. قوله: ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾ أي يرجون ثواب تجارة. قوله: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ اللام للعاقبة والصيرورة. قوله: ﴿شَكُورٌ﴾ أي يثيبهم على طاعتهم. قوله: ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ ﴿مِنَ﴾ لبيان الجنس أو للتبعيض. قوله: ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾ هو إما ضمير فصل أو مبتدأ، و ﴿الْحَقُّ﴾ خبر، والجملة خبر ﴿الَّذِي﴾ و ﴿مُصَدِّقاً﴾ حال مؤكدة. قوله: **(عالم بالبواطن والظواهر)** لف ونشر مرتب.

قوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا﴾ أتى بثم إشارة لبعد رتبتهم عن رتبة غيرهم من الأمة. قوله: **(أعطينا)** أشار بذلك إلى أن المراد بالتوريث الإعطاء، ووجه تسميته ميراثاً، أن الميراث يحصل للوارث بلا تعب ولا نصب، وكذلك إعطاء الكتاب حاصل بلا تعب ولا نصب، قوله: ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾ بيان للمصطفين. قوله: **(وهم أمتك)** أي أمة الإجابة، سواء حفظوه كلًّا أو بعضاً، أو لا، وإلا فليس المراد بإعطاء الكتاب حفظه، بل الاهتداء بهديه والإقتداء به. قوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ إلخ، أي من غلبت سيئاته على حسناته، والمقتصد من غلبت حسناته على سيئاته، والسابق من لا تقع منه سيئة أصلاً، ولذا ورد في الحديث في تفسير هذه الآية: «سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له». وقيل: الظالم هو راجح السيئات، والمقتصد هو الذي تساوت سيئاته وحسناته، والسابق هو الذي رجحت حسناته، وقيل الظالم هو الذي ظاهره خير من باطنه، والمقتصد من تساوى ظاهره وباطنه، والسابق من باطنه خير من ظاهره، وقدم الظالم على من بعده، ليقوى رجاؤه في ربه، ولئلا يعجب الطائع بعمله فيهلك، وهذا على حد ما قيل في قوله تعالى: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾.

قوله: ﴿بِإِذْنِ اللهِ﴾ متعلق بقوله سابق، وإنما خص مع أن الكل بإذن الله، تنبيهاً على عزة هذه المرتبة، فأضيفت لله. قوله: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ إلخ، أتى بضمير جماعة الذكور في تلك الآيات، تغليباً للمذكر على المؤنث، وإلا فلا خصوصية للذكور. قوله: **(بالبناء للفاعل وللمفعول)** أي فهما قراءتان سبعيتان.

مرصع بالذهب ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ جميعه ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿شَكُورٌ﴾ ﴿٣٤﴾ للطاعات ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ﴾ أي الإقامة ﴿مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ تعب ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ ﴿٣٥﴾ إعياء من التعب لعدم التكليف فيها، وذكر الثاني التابع للأول للتصريح بنفيه ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ﴾ بالموت ﴿فَيَمُوتُوا﴾ يستريحوا ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ طرفة عين ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ ﴿٣٦﴾ كافر بالياء والنون والمفتوحة مع كسر الزاي ونصب كل ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ يستغيثون بشدة وعويل يقولون ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا﴾ منها ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ فيقال

قوله: **(مرصع بالذهب)** تقدم أنه أحد قولين، وقيل: إنهم يحلون فيها أسورة من ذهب، وأسورة من فضة، وأسورة من لؤلؤ. قوله: **﴿وَقَالُوا﴾** عبر بالماضي لتحقق وقوعه. قوله: **(جميعه)** أي كخوف الأمراض والفقر والموت وزوال النعم، وغير ذلك من آفات الدنيا وهمومها. قوله: **﴿الَّذِي أَحَلَّنَا﴾** أي أدخلنا وأسكننا. قوله: **﴿دَارَ الْمُقَامَةِ﴾** مفعول ثان لأحلنا، والمراد بها الجنة التي تقدم ذكرها. قوله: **﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾** حال من ضمير أحلنا البارز. قوله: **(تعب)** أي فلا نوم في الجنة لعدم التعب بها. قوله: **(إعياء من التعب)** أي فإذا اشتهى الشخص من أهل الجنة، أين يسير وينظر ويتمتع بجميع ما أعطاه الله، من الحور والغرف والقصور، في أقل زمن فعل، ولا يحصل له إعياء ولا مشقة، وبالجملة فأحوال الجنة، لا تقاس على أحوال الدنيا، وهذه الآية فيها أعظم بشرى لهذه الأمة المحمدية. قوله: **(وذكر الثاني)** جواب عما يقال: ما الفائدة في نفي اللغوب، مع أن انتفاءه يعلم من انتفاء النصب، لأن انتفاء السبب، يستلزم انتفاء المسبب.

قوله: **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾** إلخ، هذا مقابل قوله: **﴿إن الذين يتلون كتاب الله﴾** على حكم عادته سبحانه وتعالى في كتابه، إذا ذكر أوصاف المؤمنين، أعقبه بذكر أوصاف الكفار. قوله: **﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ﴾** أي لا يحكم عليهم بالموت، وقوله: **﴿فَيَمُوتُوا﴾** مسبب على قوله: **﴿لَا يُقْضَى﴾** وهو منفي أيضاً، لأنه يلزم من انتفاء السبب انتفاء المسبب. إن قلت: إن في هذه الآية دليلاً على أن أهل النار لا يموتون، وفي آية أخرى **﴿لا يموت فيها ولا يحيى﴾** فيقتضي أن أهل النار حالة بين الحالتين، مع أنه لا واسطة. وأجيب: بأن المعنى لا يموتون فيستريحون من العذاب، ولا يحيون حياة طيبة.

قوله: **﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾** أي بحيث ينقطع عنهم زمناً ما، وبهذا اندفع ما قيل: إن بعض أهل النار يخفف عنه، كأبي طالب، وأبي لهب، لما ورد: أن رسول الله ﷺ تشفع في أبي طالب، فنقل من ضحضاح من نار، ينتعل بنعلين يغلي منهما دماغه، وورد: أن أبا لهب يسقى في نقرة إبهامه ماء، كل ليلة اثنين، لعتقه جاريته ثويبة حين بشرته بولادته ﷺ، فتحصل أن المراد بعدم التخفيف، عدم انقطاعه عنهم، وإن كان يحصل لبعضهم بعض تخفيف فيه. قوله: **(بالياء)** أي المضمومة مع فتح الزاي ورفع **﴿كل﴾**، وقوله: **(والنون المفتوحة)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **﴿يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾**. أي يصيحون فيها. قوله: **(وعويل)** العويل رفع الصوت بالبكاء. قوله: **(يقولون)** قدره إشارة إلى أن قوله: **﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا﴾** إلخ. مقول لقول محذوف معطوف على قوله: **﴿يَصْطَرِخُونَ﴾**. قوله: **(منها)** قدره هنا

لهم ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا﴾ وقتاً ﴿يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ الرسول فما أجبتم ﴿فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين ﴿مِن نَّصِيرٍ﴾ ﴿٣٧﴾ يدفع العذاب عنهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ ﴿٣٨﴾ بما في القلوب، فعلمه بغيره أولى بالنظر إلى حال الناس ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ جمع خليفة، أي يخلف بعضكم بعضاً ﴿فَمَن كَفَرَ﴾ منكم ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ﴾ أي وبال كفره ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ﴾ غضباً ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ ﴿٣٩﴾ للآخرة ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره وهم الأصنام الذين زعمتم أنهم شركاء الله تعالى ﴿أَرُونِى﴾ أخبروني ﴿مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ

لدلالة الآية الأخرى عليه. قوله: ﴿صَالِحاً﴾ صفة لموصوف محذوف تقديره عملاً صالحاً. قوله: **(فيقال لهم)** أي على سبيل التوبيخ والتبكيت.

قوله: ﴿**أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ**﴾ الهمزة داخلة على محذوف تقديره: أتعتذرون وتقولون ﴿**رَبَّنَا أَخْرِجْنَا**﴾ إلخ، ولم نؤخركم ونمهلكم ونعطكم عمراً، يتمكن فيه مريد التذكر من التذكر والتفكر قوله: ﴿**مَا يَتَذَكَّرُ**﴾ ﴿**مَا**﴾ نكرة موصوفة بمعنى وقت، ولذا قدره المفسر. قوله: ﴿**وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ**﴾ عطف على معنى الجملة الإستفهامية، كأنه قال: قروا بأننا عمرناكم وجاءكم النذير. قوله: **(الرسول)** أي رسول كان، لأن هذا الكلام مع عموم الكفار، من أول الزمان لآخره.

قوله: ﴿**فَذُوقُوا**﴾ مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله: **(فما أجبتم)** فاندفع ما يقال: إن ظاهر الآية، ربما يوهم أن إذاقتهم العذاب، مرتبة على مجيء الرسول، مع أنه ليس كذلك. قوله: ﴿**مِنْ نَصِيرٍ**﴾ ﴿**مِنْ**﴾ زائدة و ﴿**نَصِيرٍ**﴾ مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله. قوله: ﴿**غَيْبِ السَّمٰوَاتِ وِالأَرْضِ**﴾ أي ما غاب عنا فيهما. قوله: ﴿**إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾ تعليل لما قبله، كأنه قيل: إذا علم ما خفي في الصدور، كأن أعلم بغيرها، من باب أولى، وقوله: **(بالنظر إلى حال الناس)** جواب عما يقال: علم الله لا تفاوت فيه، بل جميع الأشياء مستوية في علمه، لا فرق بين ما خفي منها على الخالق، وما ظهر لهم، فأجاب بما ذكر، أي أن الأولوية من حيث عادة الناس الجارية، أن من علم الخفي، يعلم الظاهر بالأولى.

قوله: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ**﴾ أي رعاة مسؤولين عن رعاياكم، من أنفسكم وأزواجكم وأولادكم وخدمكم، فكل إنسان خليفة في الأرض وهو راع، وكل راع مسؤول عن رعيته. قوله: **(جمع خليفة)** كذا في بعض النسخ بالتاء، وفي بعض النسخ بلا تاء، والأولى أولى، لأن خليفاً جمعه خلفاء، وأما خليفة فجمعه خلائف. قوله: **(أي وبال كفره)** أي فلا يضر إلا نفسه. قوله: ﴿**وَلاَ يَزِيدُ الْكَافِرِينَ**﴾، بيان لوبال كفرهم وعاقبته.

قوله: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ**﴾ إلخ، رأى بصرية تتعدى لمفعول واحد إن كانت بلا همز، وبالهمز كما هنا تتعدى لمفعولين: الأول قوله: ﴿**شُرَكَاءَكُمْ**﴾ والثاني قوله: ﴿**مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ**﴾ على سبيل التنازع، لأن كلاً من أرأيتم وأروني، طالب ماذا خلقوا من الأرض على أنه مفعول له قوله: ﴿**شُرَكَاءَكُمْ**﴾ أضافهم لهم من حيث إنهم جعلوهم شركاء، أو من حيث إنهم أشركوهم في أموالهم فإنهم كانوا يعينون

﴿ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ شركة مع الله ﴿فِي﴾ خلق ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَٰتٍ﴾ حجة ﴿مِّنْهُ﴾ بأن لهم معي شركة لا شيء من ذلك ﴿بَلْ إِن﴾ ما ﴿يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الكافرون ﴿بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ ﴿٤٠﴾ باطلاً بقولهم: الأصنام تشفع لهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ أي يمنعهما من الزوال ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿زَالَتَآ إِنْ﴾ ما ﴿أَمْسَكَهُمَا﴾ يمسكهما ﴿مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ أي سواه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤١﴾ في تأخير عقاب الكفار ﴿وَأَقْسَمُوا۟﴾ أي كفار مكة ﴿بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ غاية اجتهادهم فيها ﴿لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ رسول ﴿لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ اليهود والنصارى وغيرهم، أي أيِّ واحدة منها، لما رأوا من تكذيب بعضهم بعضاً، إذ قالت اليهود: ليست النصارى على شيء، وقالت النصارى: ليست

شيئاً من أموالهم لآلهتهم، وينفقونه على خدمتها، ويذبحون عندها. قوله: ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ﴾ أي أي شيء خلقه من الأمور التي في الأرض، كالحيوانات والنباتات والأشجار وغير ذلك. قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ ﴿أَمْ﴾ في الموضعين منقطعة تفسر ببل والهمزة. قوله: ﴿آتَيْنَاهُمْ﴾ أي الشركاء. قوله: ﴿عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ بالإفراد والجمع، قراءتان سبعيتان. قوله: (لا شيء من ذلك) جواب الاستفهام في الجمل الثلاث وهو انكاري.

قوله: ﴿بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ﴾ لما ذكر نفي الحجج، أضرب عنه بذكر الأمر الحامل للرؤساء على الشرك وإضلال الأتباع، وهو قولهم لهم إنهم شفعاء عند الله. قوله: ﴿بَعْضُهُمْ﴾ بدل من ﴿الظَّالِمُونَ﴾ قوله: (بقولهم) أي الرؤساء للأتباع. قوله: (أي يمنعهما من الزوال) أشار بذلك إلى أن الإمساك بمعنى المنع، وقوله: ﴿أَنْ تَزُولا﴾ ﴿أَنْ﴾ وما دخلت عليه، في تأويل مصدر مفعول ثان على اسقاط من. قوله: ﴿وَلَئِنْ زَالَتَا﴾ اجتمع قسم وشرط، فقوله: ﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا﴾ جواب الأول، وحذف جواب الثاني على القاعدة المعروفة. قوله: ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ ﴿مَنْ﴾ زائدة في الفاعل، وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ ﴿مِنْ﴾ ابتدائية، والتقدير: ما أمسكهما أحد مبتدأ وناشئاً من غيره.

قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾ تعليل لقوله: ﴿إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أي فإمساكهما حاصل بحلمه وغفرانه، وإلا فكانتا جديرتين بأن تزولا، كما قال تعالى ﴿تكاد السموات يتفطرن منه﴾ الآية، فحلم الله تعالى من أكبر النعم على العباد، إذ لولاه لما بقي شيء من العالم، فقول العامة: حلم الله يفتت الكبود، إساءة أدب. قوله: (أي كفار مكة) أي قبل أن يبعث الله محمداً ﷺ حين بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم، فلعنوا من كذب نبيه منهم، وأقسموا بالله تعالى، لئن جاءهم نبي ينذرهم، ﴿لَيَكُونَنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ﴾. قوله: ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ الجهد بالفتح بلوغ الغاية في الاجتهاد، وأما بالضم فهو الطاقة، وإنما كان الحلف بالله غاية أيمانهم، لأنهم كانوا يحلفون بآبائهم وأصنامهم، فإذا أرادوا التأكيد والتشديد حلفوا بالله.

قوله: ﴿لَيَكُونُنَّ﴾ هذه حكاية لكلامهم بالمعنى، وإلا فلفظه لنكونن إلخ. قوله: ﴿مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ﴾ المراد من احدى الأحد الدائرة، فالمعنى من كل الأمم، فقول المفسر (أي أي واحدة منها) الأوضح أن

اليهود على شيء ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ محمد ﷺ ﴿مَّا زَادَهُمْ﴾ مجيئه ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ ﴿٤٢﴾ تباعداً عن الهدى ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ عن الإيمان مفعول له ﴿وَمَكْرَ﴾ العمل ﴿ٱلسَّيِّئِ﴾ من الشرك وغيره ﴿وَلَا يَحِيقُ﴾ يحيط ﴿ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ وهو الماكر، ووصف المكر بالسيىء أصل، وإضافته إليه قبل استعمال آخر قدر فيه مضاف حذراً من الإضافة إلى الصفة ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾ ينتظرون ﴿إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم رسلهم ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ ﴿٤٣﴾ أي لا يبدل بالعذاب غيره، ولا يحول إلى غير مستحقه ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ فأهلكهم الله بتكذيبهم رسلهم ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ﴾ يسبقه ويفوته ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا﴾ أي بالأشياء كلها ﴿قَدِيرًا﴾ ﴿٤٤﴾ عليها ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا

يقول: أي كل واحدة منها. قوله: ﴿مَا زَادَهُمْ إِلاَّ نُفُوراً﴾ جواب لما، وفيه اشعار بأن فيهم أصل النفور، لكونهم جاهلية لم يأتهم نذير من عهد اسماعيل. قوله: **(مفعول له)** أي لأجل الاستكبار، وصح أن يكون بدلاً من نفوراً، أو حالاً من ضمير زادهم، أي حال كونهم مستكبرين. قوله: **(ووصف المكر بالسيىء)** أي في قوله: ﴿وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّىءُ﴾ وقوله: **(أصل)** أي جاء على الأصل من استعمال الصفة تابعة للموصوف. قوله: **(وإضافته إليه قبل)** أي في قوله: ﴿وَمَكْرَ السَّيِّىءِ﴾. قوله: **(استعمال آخر)** أي جاء على خلاف الأصل حيث أضيف فيه الموصوف للصفة. قوله: **(قدر فيه مضاف)** أي مضاف إليه، وقوله: **(حذراً من الإضافة إلى الصفة)** أي من اضافة المكر، الذي هو الموصوف إلى السيىء، الذي هو الصفة، فيجعل المكر مضافاً لمحذوف، والسيىء صفة لذلك المحذوف، وتلك الإضافة من اضافة العام للخاص، لأن المكر يشمل الاعتقاد والعمل، فإضافته للعمل تخصيص له.

قوله: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ سُنَّةَ الأَوَّلِينَ﴾ إلا فلا ينتظرون إلا تعذيبهم كمن قبلها. قوله: **(سنة الله فيهم)** أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿سُنَّةَ الأَوَّلِينَ﴾ مصدر مضاف لمفعوله، وسيأتي اضافته لفاعله في قوله: ﴿لِسُنَّةِ اللهِ﴾. قوله: ﴿فَلَنْ تَجِدَ﴾ الفاء للتعليل كأنه قيل: لا ينتظرون إلا تعذيبهم كمن قبلهم، لأنك أيها العاقل لن تجد إلخ. قوله: **(أي لا يبدل بالعذاب غيره ولا يحول إلى غير مستحقه)** أشار بذلك إلى أن المراد بالتبديل، تغيير العذاب بغيره، والتحويل نقله لغير مستحقه، وجمع بينهما للتهديد والتقريع. قوله: ﴿أَوَ لَمْ يَسِيرُوا﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والتقدير أتركوا السفر ولم يسيروا، وهو استشهاد على أن سنة الله لا تبديل لها ولا تحويل، والاستفهام انكاري بمعنى النفي، ونفي النفي إثبات. والمعنى: بل ساروا في الأرض، ومروا على ديار قوم صالح، وقوم لوط، وقوم شعيب وغيرهم، فنظروا آثار ديارهم. قوله: ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي على أي حالة كانت، ليعلموا أنهم ما أخذوا إلا بتكذيب رسلهم، فيخافوا أن يفعل بهم مثل ذلك. قوله: ﴿وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ أي أطول أعماراً، والجملة حالية أو معطوفة على قوله: ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ﴾ إلخ، تقرير لما فهم من استئصال الأمم السابقة. قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً

كَسَبُواْ﴾ من المعاصي ﴿مَاتَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾ أي الأرض ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ نسمة تدب عليها ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي يوم القيامة ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾ ﴿٤٥﴾ فيجازيهم على أعمالهم بإثابة المؤمنين وعقاب الكافرين.

قَدِيراً﴾ تعليل لما قبله قوله: ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ الباء سببية، وما مصدرية أو موصولة، أي بسبب كسبهم أو الذي كسبوه. قوله: **(من المعاصي)** بيان لما. قوله: **﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾** أي من جميع ما دب على وجهها من الحيوانات العاقلة وغيرها، وذلك بأن يمسك عنها ماء السماء مثلاً، فينقطع عنهم النبات، فيموتون جوعاً، فالظالم لظلمه، وغيره لشؤم الظالم، وعبر بالظهر تشبيهاً للأرض بالدابة من حيث التمكن عليها، ويعبر تارة بوجه الأرض، من حيث أن ظاهرها كالوجه للحيوان، وغيره كالبطن، وهو الباطن منها، فتحصل أنه يقال لما عليه الخلق من الأرض وجه الأرض، وظهرها، فهو من قبيل اطلاق الضدين عل شيء واحد. قوله: **(نسمة)** من التنسم وهو التنفس، أي ذوي روح. قوله: **(فيجازيهم بأعمالهم)** أشار بذلك إلى أن جواب الشرط محذوف، وقوله: **﴿فَإِنَّ اللهَ﴾** إلخ، تعليل له.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ يسٓ

مكيّة

أو إلا قوله ﴿وإذا قيل لهم انفقوا﴾ الآية أو مدنية وهي اثنتان وثمانون آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة يٓس مكية

أو إلا قوله ﴿وإذا قيل لهم أنفقوا﴾ الآية أو مدنية وهي اثنتان وثمانون آية

أي كلها، وقوله: أو إلا قوله ﴿وإذا قيل﴾ إلخ، قول ثان، وقوله: (أو مدنية) أي كلها، وهو قول ثالث، وورد في فضل سورة يس أحاديث كثيرة منها: قوله ﷺ اقرؤوا يس على موتاكم ومنها: ما من ميت يقرأ عليه يس إلا هوَّن الله عليه. ومنها: من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله، غفر الله له في تلك الليلة. ومنها: إن لكل شيء قلباً، وقلب القرآن يس، ومن قرأ يس، كتب الله له بها قراءة القرآن عشر مرات، ومنها: إن في القرآن لسورة تشفع لقارئها وتغفر لمستمعها، ألا وهي سورة يس، تدعى في التورة المعمة، قيل: يا رسول الله وما المعمة؟ قال: تعم صاحبها بخير الدنيا، وتدفع عنه أهوال الآخرة، وتدعى أيضاً الدافعة والقاضية، قيل: يا رسول الله وكيف ذلك؟ قال: تدفع عن صاحبها كل سوء، وتقضي له كل حاجة. ومنها: من قرأ يس حين يصبح، أعطي يسر يومه حتى يمسي، ومن قرأها في صدر ليلته، أعطي يسر ليلته حتى يصبح. ومنها عن أبي جعفر: من وجد في قلبه قسوة، فليكتب سورة يس في جام أي إناء بزعفران ثم يشربه. ومنها: من قرأ سورة يس ليلة الجمعة أصبح مغفوراً له. ومنها: من دخل المقبرة فقرأ سورة يس، خفف العذاب عن أهلها ذلك اليوم، وكان له بعدد من فيها حسنات، ومنها عن يحيى بن أبي كثير: بلغني أن من قرأ سورة يس ليلاً، لم يزل في فرح حتى يصبح، ومن قرأها حين يصبح، لم يزل في فرح حتى يمسي وقد حدثني بهذا من جربها. ومنها: إن لكل شيء قلباً، وقلب القرآن يس، من قرأها يريد بها وجه الله، غفر الله له وأعطي من الأجر كأنما قرأ القرآن عشر مرات، وأيما مسلم قرئ عنده إذا نزل به ملك الموت سورة يس، نزل بكل حرف منها عشرة أملاك، يقومون بين يديه صفوفاً، يصلون عليه، ويستغفرون له، ويشهدون غسله، ويتبعون جنازته، ويصلون عليه، ويشهدون دفنه. وأيما مسلم قرأ سورة يس، وهو في سكرات الموت، لم يقبض ملك الموت روحه، حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه، فيقبض روحه وهو ريان، ويمكث في قبره وهو ريان، ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء، حتى يدخل الجنة وهو ريان. ومنها: يس لما قرئت له. وحكمة

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿ يسٓ ﴾ ① الله أعلم بمراده به ﴿ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾ ② المحكم بعجيب النظم وبديع المعاني ﴿ إِنَّكَ ﴾ يا محمد ﴿ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ③ ﴿ عَلَىٰ ﴾ متعلق بما قبله ﴿ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ④ أي طريق الأنبياء قبلك، التوحيد والهدى والتأكيد بالقسم وغيره، رد لقول الكفار له: لست مرسلاً ﴿ تَنزِيلَ الْعَزِيزِ ﴾ في ملكه ﴿ الرَّحِيمِ ﴾ ⑤ بخلقه خبر مبتدأ مقدر، أي القرآن ﴿ لِتُنذِرَ ﴾ به ﴿ قَوْمًا ﴾ متعلق بتنزيل ﴿ مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ ﴾ أي لم ينذروا في زمن الفترة ﴿ فَهُمْ ﴾ أي القوم ﴿ غَافِلُونَ ﴾ ⑥ عن الإيمان والرشد ﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ ﴾ وجب ﴿ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ ﴾ بالعذاب

اختيار الصالحين في استعمالها التكرار، كأربع أو سبع أو إحدى وأربعين وغير ذلك شدة الحجاب والغفلة على القلب، فبالتكرار تصفو مرآته وترق طبيعته، وإن كان الفضل المذكور لا يتوقف على تكرار، كما يشهد له هذه الأحاديث.

قوله: ﴿يسٓ﴾ القراء السبعة على تسكين النون، بإدغامها في الواو بعدها، أو بإظهارها، وقرىء شذوذاً بضم النون وفتحها وكسرها، فالأول خبر لمبتدأ محذوف أي هـذه، ومنع من الصرف للعلمية والتأنيث، والثاني إما على البناء على الفتح تخفيفاً، كأين وكيف، أو مفعول به لفعل محذوف تقديره اتل، أو مجرور بحرف قسم محذوف وهو ممنوع من الصرف، والثالث مبني على الكسر، على أصل التخلص من التقاء الساكنين. قوله: **(الله أعلم بمراده به)** هذا أحد أقوال في تفسير الحروف المقطعة، كحم وطس، وتقدم أن هذا القول أسلم، وقيل: معناه يا إنسان، وأصله يا أنيسين، فاقتصر على شطره لكثرة النداء به: وقيل هو اسم لرسول الله ﷺ، وقيل: اسم القرآن.

قوله: ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ كلام مستأنف لا محل له من الإعراب، وهو قسم، وجوابه قوله: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. قوله: **(المحكم)** أي المتقن الذي هو في أعلى طبقات البلاغة. قوله: **(متعلق بما قبله)** أي بالمرسلين، ويصح أن يكون خبراً ثانياً لأن، كأنه قيل: **إنك** لمن المرسلين، **إنك على صراط مستقيم**. قوله: **(أي طريق الأنبياء قبلك)** أي وقولهم: إن شرع رسول الله ﷺ ناسخ لجميع الشرائع، فهو باعتبار الفروع، وأما الأصول فالكل مستوون فيها، ولا يتعلق بها نسخ. قال تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿فبهداهم اقتده﴾. قوله: **(وغيره)** أي إن واللام والجملة الاسمية. قوله: **(خبر مبتدأ مقدر)** هذا أحد وجهين في الآية، والآخر النصب على أنه مفعول لمحذوف أي امدح، أو مفعول مطلق لنزل، القراءتان سبعيتان. قوله: ﴿لِتُنْذِرَ قَوْماً﴾ أي العرب وغيرهم. قوله: **(في زمن الفترة)** هو بالنسبة للعرب، ما بين اسماعيل ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وبالنسبة لغيرهم، ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام. قوله: ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ مرتب على نفي الإنذار، وقوله: **(أي القوم)** تفسير للضمير، ويصح أن يكون الضمير راجعاً للفريقين هم وآباؤهم.

قوله: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾ أي وهو قوله: ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾. قوله: ﴿عَلَى أَكْثَرِهِمْ﴾ أي أكثر المكلفين من كل زمن، فالأقل متحتم إيمانه، والأكثر متحتم كفره، وتقدم لنا في سورة

﴿ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ ﴿٧﴾ أي الأكثر ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا﴾ بأن تضم إليها الأيدي، لأن الغل يجمع اليد إلى العنق ﴿فَهِيَ﴾ أي الأيدي مجموعة ﴿إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ﴾ جمع ذقن وهي مجتمع اللحيين ﴿فَهُم مُّقۡمَحُونَ﴾ ﴿٨﴾ رافعون رؤوسهم لا يستطيعون خفضها، وهذا تمثيل، والمراد أنهم لا يذعنون للإيمان ولا يخفضون رؤوسهم له ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا﴾ بفتح السين وضمها في الموضعين ﴿فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ ﴿٩﴾ تمثيل أيضاً لسدّ طرق الإيمان

الأنعام، أن الأقل واحد من ألف. قوله: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ تفريع على ما قبله، وأشار بذلك إلى أن الإيمان والكفر بتقدير الله، فمن طبعه على أحدهما، فلا يستطيع التحول عنه، وإنما الأمر بالإيمان، باعتبار التكليف الظاهري والنوع الاختياري، ومن هنا قول بعض العارفين:

الكل تقدير مولانا وتأسيسه فاشكر لمن قد وجب حمده وتقديسه
وقل لقلبك إذا زادت وساوسه إبليس لما طغى من كان إبليسه

قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالاً﴾ قيل: نزلت في أبي جهل بن هشام وصاحبيه المخزوميين، وذلك أن أبا جهل حلف، لئن رأى محمداً يصلي، ليرضخن رأسه بحجر، فلما رآه ذهب فرفع حجراً ليرميه، فلما أومأ إليه، رجعت يداه إلى عنقه، والتصق الحجر بيديه، فلما عاد إلى أصحابه، أخبرهم بما رأى، فقال الرجل الثاني، وهو الوليد بن المغيرة: أنا أرضخ رأسه، فأتاه وهو يصلي على حالته ليرميه بالحجر، فأعمى الله بصره، فجعل يسمع صوته ولا يراه، فرجع إلى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه، فقال الثالث: والله لأشدخن رأسه، ثم أخذ الحجر وانطلق، فرجع القهقرى ينكص على عقبيه، حتى خر على قفاه مغشياً عليه، فقيل له: ما شأنك؟ قال شأني عظيم، رأيت الرجل فلما دنوت منه، فإذا فحل يخطر بذنبيه، ما رأيت قط فحلاً أعظم منه حال بيني وبينه، فواللات والعزى لو دنوت منه لأكلني، فأنزل الله تعالى تلك الآية، وفيها إشارة إلى ما يحصل لهم في جهنم من السلاسل والأغلال وعمى أبصارهم، وفيها أيضاً استعارة تمثيلية، حيث شبه حالهم في امتناعهم من الهدى والإيمان، بحال من غلت يده في عنقه وعمي بصره، بجامع أن كلاً ممنوع من الوصول إلى المقصود، فتحصل أن الآية دالة على الأمور الثلاثة: سبب النزول، وما يحصل لهم في الآخرة، وتمثيل لمنعهم من الهدى. قوله: **(بأن تضم إليها الأيدي)** جعل المفسر هذا، توطئة لإرجاع الضمير للأيدي في قوله: ﴿فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ﴾ كأنه قال: الأيدي، وإن لم يتقدم لها ذكر صراحة، فهي مذكورة ضمناً في قوله الأغلال، لأن الغل يدل عليها. قوله: **(مجموعة)** قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿إِلَى الأَذْقَانِ﴾ متعلق بمحذوف، ولو قدره مرفوعة لكان أظهر، وذلك أن اليد ترفع تحت الذقن، ويلبس الغل في العنق، فتضم اليد إليها تحت الذقن، فحينئذ لا يستطيعون خفض رأس ولا التفاتاً. قوله: **(وهذا تمثيل)** أي استعارة تمثيلية للمعنى المذكور، وفيه إشارة إلى سبب النزول، وإلى ما يحصل لهم في الآخرة كما علمت. قوله: **(بفتح السين وضمها)** أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾ هو بالغين المعجمة في قراءة العامة، أي غطينا أبصارهم، وقرىء شذوذاً بالعين المهملة من العشا، وهو عدم الإبصار ليلاً. والمعنى: أضعفنا أبصارهم عن الهدى كعين الأعشى. قوله: **(تمثيل)** أي استعارة تمثيلية، حيث شبه حالهم في سد طرق الإيمان عليهم ومنعهم منه، بحال من

عليهم ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه ﴿أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝١٠﴾ ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ ينفع إنذارك ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ﴾ القرآن ﴿وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾ خافه ولم يره ﴿فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ۝١١﴾ هو الجنة ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ للبعث ﴿وَنَكۡتُبُ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿مَا قَدَّمُواْ﴾ في حياتهم من خير وشر ليجازوا عليه ﴿وَءَاثَٰرَهُمۡۚ﴾ ما استنَّ به بعدهم ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ﴾ نصبه بفعل يفسره ﴿أَحۡصَيۡنَٰهُ﴾ ضبطناه ﴿فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ۝١٢﴾ كتاب بيِّن هو اللوح المحفوظ ﴿وَٱضۡرِبۡ﴾ اجعل ﴿لَهُم مَّثَلًا﴾ مفعول أول ﴿أَصۡحَٰبَ﴾ مفعول ثان ﴿ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ أنطاكية ﴿إِذۡ جَآءَهَا﴾ إلى آخره، بدل

سدت عليه الطرق، وأخذ بصره بجامع أن كلًا لا يهتدي لمقصوده. قوله: ﴿**وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهِمْ**﴾ إلخ، هذا نتيجة ما قبله، وقوله: ﴿**لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ بيان للاستواء، والمعنى إنذارك وعدمه سواء في عدم إيمانهم، وهو تسلية له ﷺ، وكشف لحقيقة أمرهم وعاقبتها. قوله: (**بتحقيق الهمزتين**) أي مع ادخال ألف بينهما وتركه، فالقراءات خمس لا أربع كما توهمه عبارته، فالتحقيق فيه قراءتان، والتسهيل كذلك، والإبدال فيه قراءة واحدة وهي سبعيات. قوله: (**ينفع إنذارك**) جواب عما يقال: إن ظاهر الآية يقتضي إن رسالته ﷺ غير عامة، بل هي لقوم مخصوصين، وهم ﴿**مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرِ وَخَشِيَ الرَّحْمٰنِ بِالْغَيْبِ**﴾ ويخالف قوله سابقاً ﴿**لِتُنْذِرَ قَوْماً**﴾، إلخ فأجاب المفسر عن ذلك، بأن محط الحصر الإنذار النافع، فلا ينافي وجود غيره لمن لم ينتفع به. قوله: ﴿**بِالْغَيْبِ**﴾ يصح أن يكون حالاً من الفاعل أو المفعول، وتقدم نظيره. قوله: ﴿**فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ**﴾ إلخ، تفريع على ما قبله، إشارة لبيان عاقبة أمرهم.

قوله: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى**﴾ أي نبعثهم في الآخرة للمجازاة على أعمالهم. قوله: ﴿**وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا**﴾. إن قلت: إن الكتابة متقدمة قبل الإحياء، إذ هي في الدنيا والإحياء يكون في الآخرة. أجيب بأنه قدم الإحياء اعتناء بشأنه، إذ لولاه لما ظهرت ثمرة الكتابة. قوله: (**في اللوح المحفوظ**) المناسب أن يقول في صحف الملائكة، لأن الكتابة التي تكون في حياة العباد، إنما هي في صحف الملائكة، وأما اللوح، فقد كتب فيه ذلك قبل وجود الخلق. قوله: (**ما استن به بعدهم**) أي من خير: كعلم علموه، أو كتاب صنفوه، أو نخل غرسوه، أو وقف حبسوه، أو غير ذلك، أو شر: كمكس رتبوه، أو ضلالة أحدثوها، أو غير ذلك، لما في الحديث: «من سن سنة حسنة فعمل بها من بعده، كان له أجرها ومثل أجر من عمل بها، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من وزرهم شيء». قوله: (**نصبه بفعل يفسره**) إلخ، أي فهو من باب الاشتغال.

قوله: ﴿**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً**﴾ هذا خطاب النبي ﷺ أن يضرب لقومه مثلاً، لعلهم يتعظون فيؤمنوا. قوله: ﴿**أَصْحَابَ**﴾(**مفعول ثان**) الأوضح أن يجعله مفعول أولا. قوله: (**أنطاكية**) بالفتح والكسر وسكون النون وكسر الكاف وتخفيف الياء المفتوحة، وهي مدينة بأرض الروم، ذات سور عظيم من صخر، وهي بين خمسة جبال، دورها اثنا عشر ميلاً. وحاصل تلك القصة. أن عيسى عليه السلام، بعث رسولين من الحواريين إلى أهل انطاكية، اسم أحدهما صادق، والثاني مصدوق، فلما قربا من

المدينة، رأيا شيخاً يرعى غنيمات له، وهو حبيب النجار صاحب يس، فسلما عليه، فقال الشيخ لهما: من أنتما؟ فقالا: رسولا عيسى صلى الله عليه وآله وسلم، ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن، فقال: أمعكما آية؟ قالا: نعم، نشفي المريض، ونبرىء الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى، وذلك كرامة لهما، ومعجزة لنبيهما، لأنه لما أرسلهما أيدهما بمعجزاته، فقال الشيخ: إن لي ابناً مريضاً منذ سنين، قالا: فانطلق بنا ننظر حاله، فأتى به، فمسحا ابنه، فقام في الوقت باذن الله تعالى صحيحاً، ففشا الخبر في المدينة، وشفى الله على أيديهما كثيراً من المرضى. وكان لهم ملك يعبد الأصنام اسمه انطيخا، فدعا بهما وقال: من أنتما؟ قالا: رسولا عيسى عليه السلام، قال: وفيم جئتما؟ قالا: ندعوك من عبادة من لا يسمع ولا يبصر، إلا عبادة من يسمع ويبصر، قال: وهل لنا إله دون آلهتنا؟ قالا: نعم، الذي أوجدك وآلهتك، قال لهما: قوما حتى أنظر في أمركما، فتبعهما الناس، فأخذوهما وجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة، ووضعوهما في السجن، فلما كذبا وضربا، بعث عيسى عليه السلام رأس الحواريين شمعون الصفي على أثرهما ليبصرهما، فدخل شمعون البلد متنكراً، فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به، فرفعوا خبره إلى الملك، فدعاه وأنس به وأكرمه ورضي عشرته، قال للملك ذات يوم: بلغني أنك حبست رجلين في السجن، وضربتهما حين دعواك إلى غير دينك، فهل كلمتهما وسمعت قولهما؟ فقال: حال الغضب بيني وبين ذلك، قال: فإني أرى أيها الملك، أن تدعوهما حتى نطلع على ما عندهما، فدعاهما الملك، فقال شمعون: من أرسلكما إلى ههنا؟ قالا: الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك، فقال شمعون: فصفاه وأوجزا، قالا: إنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فقال شمعون: وما آيتكما؟ قالا: ما تتمناه، فأمر الملك حتى جاؤوا بغلام مطموس العينين، وموضع عينيه كالجبهة، فما زالا يدعوان ربهما، حتى انشق موضع البصر، فأخذا بندقتين من طين، فوضعاهما في حدقتيه، فصارتا مقلتين يبصر بهما، فتعجب الملك، فقال شمعون للملك: إن أنت سألت آلهتك حتى يصنعوا مثل هذا، كان لك الشرف ولآلهتك، فقال له الملك: ليس لي عنك سر مكتوم، فإن آلهنا الذي نعبده، لا يسمع ولا يبصر، ولا يضر ولا ينفع، وكان شمعون يدخل مع الملك على الصنم، ويصلي ويتضرع، حتى ظنوا أنه على ملتهم، فقال الملك للرسولين: إن قدر إلهكما الذي تعبدانه، على احياء ميت آمنا به وبكما، قالا: إلهنا قادر على كل شيء، فقال الملك: إن ههنا ميتاً قد مات منذ سبعة أيام، وهو ابن دهقان، وأنا أخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان غائباً وقد تغير، فجعلا يدعوان ربهما علانية، وشمعون يدعو ربه سراً، فقام الميت وقال: إني ميت منذ سبعة أيام، وكنت مشركاً، فأدخلت في سبعة أودية من النار، وأنا أحذركم ما أنتم عليه، فآمنوا بالله، ثم قال: فتحت أبواب السماء، فنظرت شاباً حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة: شمعون وهذين، وأشار بيده إلى صاحبيه، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن عيسى روح الله وكلمته، فعجب الملك من ذلك، فلما علم شمعون أن قوله قد أثر في الملك، أخبره بالحال وأنه رسول عيسى، ودعاه فآمن الملك، وآمن معه قوم وكفر آخرون، وقيل بل كفر الملك، وأجمع على قتل الرسل هو وقومه، فبلغ ذلك حبيباً وهو على باب المدينة، فجاء يسعى إليهم ويذكرهم ويدعوهم إلى طاعة المرسلين.
قوله: (إلى آخره) أي آخر القصة وهو قوله: ﴿إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

قوله: ﴿لَمُرْسَلُونَ﴾ جمع باعتبار الثالث. قوله: (أي رسل عيسى) هذا هو المشهور، وقيل: إنهم

اشتمال من أصحاب القرية ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿١٣﴾ أي رسل عيسى ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ إلى آخره بدل من إذ الأولى ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ بالتخفيف والتشديد قوّينا الاثنين ﴿بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ ﴿١٤﴾ ﴿قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ ﴿١٥﴾ ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ﴾ جار مجرى القسم، وزيد التأكيد به وباللام على ما قبله لزيادة الإنكار في ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ ﴿١٦﴾ ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ ﴿١٧﴾ التبليغ البيِّن الظاهر بالأدلة الواضحة، وهي: إبراء الأكمه والأبرص والمريض، وإحياء الميت ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا﴾ تشاءمنا ﴿بِكُمْ﴾ لانقطاع المطر عنا بسببكم ﴿لَئِن﴾ لام قسم ﴿لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ بالحجارة ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١٨﴾ مؤلم ﴿قَالُوا طَائِرُكُم﴾ شؤمكم ﴿مَّعَكُمْ﴾ بكفركم ﴿أَئِن﴾ همزة استفهام دخلت على إن الشرطية، وفي همزتها التحقيق والتسهيل وإدخال ألف بينها بوجهيها وبين الأخرى ﴿ذُكِّرْتُم﴾ وعظتم وخوفتم، وجواب الشرط محذوف، أي تطيرتم وكفرتم وهو محل الاستفهام، والمراد به التوبيخ ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ ﴿١٩﴾ متجاوزون الحد بشرككم ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ

رسل من الله من غير واسطة عيسى؛ أرسلوا إلى أصحاب هذه القرية. قوله: **(بدل من إذ الأولى)** أي بدل مفصل من مجمل. قوله: **(بالتخفيف والتشديد)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **﴿فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾** أكدوا كلامهم بأن التقدم انكارهم بتكذيب الأثنين، وتكذيبهما تكذيب للثالث لاتحاد مقالتهم. قوله: قالوا: **﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾** أي فلا مزية لكم علينا. قوله: **(جار ومجرى القسم)** أي فيؤكد به كالقسم، ويجاب كما يجاب به القسم. قوله: لزيادة الإنكار أي حيث تعددت ثلاث مرات. قوله: **(وهي إبراء الأكمه)** أي الأعمى.

قوله: **﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾** التطير التفاؤل، سمي بذلك لأنهم كانوا يتفاءلون بالطير، إذا أرادوا سفراً أو غيره، فإن ذهب ميمنة قالوا خير، وإن ذهب ميسرة قالوا شر. قوله: **(لانقطاع المطر عنا بسببكم)** قيل: حبس عنهم المطر ثلاث سنين فقالوا: هذا بشؤمكم. قوله: **(لام قسم)** أي وقد حنثوا فيه، لأن الله أهلكهم، قبل أن يفعلوا بهم ما حلفوا عليه. قوله: **(بكفركم)** الباء سببية أي طائركم حاصل معكم، بسبب كفركم وعنادكم. قوله: **(وإدخال ألف)** أي وتركه، فالقراءات أربع سبعيات. قوله: **(وجواب الشرط محذوف)** أي على القاعدة، وهي أنه إذا اجتمع استفهام وشرط، أتى بجواب الاستفهام، وحذف جواب الشرط، وهو مذهب سيبويه، وعند يونس بالعكس. قوله: **(وهو محل الاستفهام)** أي وهو المستفهم عنه، والمعنى لا ينبغي ولا يليق بكم التطاير والكفر حيث وعظتم، بل آمنوا وانقادوا.

قوله: **﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾** اضراب عما تقتضيه الشرطية، من كون التذكير سبباً للشؤم، أي ليس الأمر كذلك، بل أنتم قوم عادتكم الإسراف في العصيان، فشؤمكم لذلك. قوله: **(متجاوزون الحد بشرككم)** أي بعد ظهور المعجزات، وهذا الخطاب لمن بقي على الكفر منهم، وهم الذين رجموا حبيباً النجار، وأهلكهم الله كما يأتي.

رَجُلٌ﴾ هو حبيب النجار كان قد آمن بالرسل، ومنزله بأقصى البلد ﴿يَسْعَىٰ﴾ يشتد عدواً لما سمع بتكذيب القوم الرسل ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿ٱتَّبِعُوا۟﴾ تأكيد للأول ﴿مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا﴾ على رسالته ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ ﴿٢١﴾ فقيل له: أنت على دينهم فقال ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ خلقني، أي لا مانع لي من عبادته الموجود مقتضيها وأنتم كذلك ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ بعد الموت فيجازيكم بكفركم ﴿ءَأَتَّخِذُ﴾ في الهمزتين منه ما تقدم في (أأنذرتهم﴾ وهو استفهام بمعنى النفي ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي غيره ﴿ءَالِهَةً﴾ أصناماً ﴿إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ﴾

قوله: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ﴾ هي انطاكية المعبر عنها أولاً بالقرية، وعبر عنها بالمدينة، إشارة إلى عظمها وكبرها. قوله: (**هو حبيب النجار**) أي ابن اسرائيل، كان يصنع لهم الأصنام، وهو ممن آمن بالنبي ﷺ قبل وجوده، كما آمن به تبع الأكبر، وورقة بن نوفل وغيرهما، وفي الحقيقة: كل نبي آمن بالنبي ﷺ قبل ظهوره، بمصداق قوله تعالى: ﴿وإذا أخذ الله ميثاق النبيين﴾ الآية، وهذا من خصوصياته ﷺ، وأما غيره من الأنبياء، فلم يؤمن به أحد إلا بعد ظهوره. قوله: (**كان قد آمن بالرسل**) أي رسل عيسى، وسبب إيمانه ما تقدم من شفاء ولده المريض، وقيل: إنه هو كان مجذوماً، وعبد الأصنام سبعين سنة لكشف ضره فلم يكشف، فلما دعاه الرسل إلى عبادة الله قال لهم: هل من آية؟ قالوا له: ندعو ربنا القادر، يفرج عنك ما بك، فقال: إن هذا عجيب، قد عبدت هذه الأصنام سبعين سنة، فلم تستطع تفريجه، فهل يستطيع ربكم تفريجه في غداة واحدة؟ قالوا: نعم، ربنا على كل شيء قدير، فدعوا ربهم فكشف ما به فآمن. قوله: (**يشتد عدواً**) أي يسرع في مشيته، حرصاً على نصح قومه، والدفع على الرسل. قوله: (**تأكيد للأول**) أي تأكيد لفظي، فلفظ اتبعوا، تأكيد للفظ اتبعوا الأول، من توكيد الفعل بالفعل.

قوله: ﴿مَن لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْراً﴾ بدل من المرسلين، والمعنى: اتبعوا الصادقين المخلصين، الذين لم يريدوا منكم العرض الفاني، إذا لو كانوا غير مخلصين، لطلبوا منكم المال، ونازعوكم على الرياسة. قوله: ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ الجملة حالية، وهو تعريض لهم بالإتباع، أي فاهتدوا أنتم تبعاً لهم. قوله: (**أنت على دينهم**) فيه حذف همزة الاستفهام.

قوله: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ تلطف في ارشادهم، وفيه نوع تقريع على ترك عبادة خالقهم، والأحسن أن في الآية احتباكاً، حيث حذف من الأول، نظير ما أثبته في الآخر، والأصل: ومالي لا أعبد الذي فطرني وفطركم، واليه ترجعون وأرجع. قوله: (**الموجود مقتضيها**) أي وهو كون الله فطره وخلقه. قوله: (**في الهمزتين منه ما تقدم**) أي من القراءات الأربع، وتقدم أنها خمسة: التحقيق، وتسهيل الثانية بألف، ودونها، وإبدال الثانية ألفاً، وهي سبعيات. قوله: (**هو استفهام بمعنى النفي**) أي وهو انكاري. قوله: ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ يصح أن يكون مفعولاً ثانياً مقدماً لاتخذوا، على أنها متعدية لاثنين، و ﴿آلِهَةً﴾ مفعول أول مؤخر، ويصح أن يكون حالاً من آلهة، أو متعلقاً باتخذوا، على أنها متعدية لواحد. قوله: ﴿لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ﴾ أي لا تنفعني شفاعتهم، فهو من الغناء بالفتح وهو النفع، ومنه قول البوصيري: قلن ما في اليتيم عنا غناء. قوله: (**صفة آلهة**) أي جملة ﴿إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمٰنُ﴾ إلخ، فهو في

التي زعمتموها ﴿شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ ﴿٢٣﴾ صفة آلهة ﴿إِنِّىٓ إِذًا﴾ أي إن عبدت غير الله ﴿لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٢٤﴾ بينٍ ﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ﴾ ﴿٢٥﴾ أي اسمعوا قولي، فرجموه فمات ﴿قِيلَ﴾ له عند موته ﴿ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾ وقيل دخلها حياً ﴿قَالَ﴾ حرف تنبيه ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى﴾ بغفرانه ﴿وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿وَمَآ﴾ نافية ﴿أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ أي حبيب ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ بعد موته ﴿مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي ملائكة لإهلاكهم ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ ﴿٢٨﴾ ملائكة لإهلاك أحد ﴿إِن﴾ ما ﴿كَانَتْ﴾ عقوبتهم ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ صاح بهم جبريل ﴿فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ ساكنون ميتون ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ هؤلاء ونحوهم ممن كذبوا الرسل فأهلكوا وهي

محل نصب، والأوضح أن تكون مستأنفة، سيقت لتعليل النفي المذكور، لأن جعلها صفة، يوهم أن هناك آلهة ليست كذلك. قوله: **(إن عبدت غير الله)** أشار بذلك إلى أن التنوين عوض عن جملة.

قوله: ﴿**فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ أي لثبوت الأدلة على بطلان ذلك. قوله: ﴿**فَاسْمَعُونِ**﴾ بكسر النون في قراءة العامة وهي نون الوقاية، حذفت بعدها ياء الإضافة، وقرىء شذوذاً بفتحها، ولا وجه له في العربية، لأن فعل الأمر يبنى على حذف النون. قوله: **(أي اسمعوا قولي)** أي ما قلته لكم وهو ﴿**اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ**﴾ إلخ. قوله: **(فرجموه فمات)** أي وهو يقول: اللهم اهد قومي، وقيل: حرقوه وجعلوه في سور المدينة، وقبره في سورة انطاكية، وقيل: نشروه بالمنشار حتى خرج من بين رجليه، فوالله ما خرجت روحه إلا في الجنة، وفي رواية: أنهم قتلوا معه الرسل الثلاثة، ووضعوهم في بئر وهو الرس. قوله: ﴿**وَقِيلَ**﴾**(له عند موته)** هذا أحد أقوال ثلاثة، اقتصر المفسر على اثنين منها، والثالث: إن هذا القول، كناية عن البشرى بأنه يدخل الجنة. قوله: **(وقيل دخلها حياً)** أي فحين هموا بقتله، رفعه الله من بينهم وأدخله الجنة حياً إكراماً له، كما وقع لعيسى أنه رفع إلى السماء.

قوله: ﴿**قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي**﴾ أي وهم الذين نصحهم أولا، وقد نصحهم حياً وميتاً، قوله: **(بغفرانه)** أشار بذلك إلى أن ما مصدرية، ويصح أن تكون موصولة والعائد محذوف، أي بالذي غفره لي، ويصح أن تكون استفهامية، أي بأي شيء غفر لي، أي بأمر عظيم، وهو توحيدي وصدعي بالحق. قوله: ﴿**وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ**﴾ إلخ، هذا تحقير لهم وتصغير لشأنهم، والمعنى: لم يحتج في إهلاكهم إلى إرسال جنود من الملائكة، بل نهلكهم بصيحة واحدة مثلاً، وقوله: ﴿**وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ**﴾ أي لم يكن شأننا وعادتنا، ارسال جنود لإهلاك أحد من الأمم قبلهم، بل إذا أردنا إهلاكاً عاماً، يكون بغير الملائكة، كصيحة أو رجفة أو غير ذلك. إن قلت: إن الملائكة قد نزلت من السماء يوم بدر للقتال مع النبي ﷺ وأصحابه. أجيب: بأن انزالهم تكرمة للنبي وأصحابه لا للإهلاك العام، وقيل: نزول الملائكة والاستنصار بهم من خصوصياته ﷺ. قوله: **(بعد موته)** أي أو بعد رفعه حياً على القول الآخر. قوله: **(لإهلاك أحد)** أي من الأمم السابقة. قوله: **(صاح بهم جبريل)** أي صاح عليهم. قوله: **(ميتون)** أي فشبهوا بالنار الخامدة، لانقطاع النفع في كل.

قوله: ﴿**يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ**﴾ يحتمل أن يكون من كلام الله، أو الملائكة، أو المؤمنين، والمراد بالعباد جميع الكفار، فأل للجنس، وقيل: المراد بالعباد نفس الرسل، و ﴿**عَلَى**﴾ بمعنى من، والقائل ذلك

شدة التألم ونداؤها مجاز أي هذا أو إنك فاحضري ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ ﴿٣٠﴾ مسوق لبيان سببها، لاشتماله على استهزائهم المؤدي إلى إهلاكهم المسبب عنه الحسرة ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ أي أهل مكة القائلون للنبي: لست مرسلاً، والاستفهام للتقرير أي علموا ﴿كَمْ﴾ خبرية بمعنى كثيراً معمولة لما بعدها، معلقة لما قبلها عن العمل، والمعنى أنا ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم﴾ كثيراً ﴿مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿أَنَّهُمْ﴾ أي المهلكين ﴿إِلَيْهِمْ﴾ أي المكذبين ﴿لَا يَرْجِعُونَ ﴾ ﴿٣١﴾ أفلا يعتبرون بهم؟ وأنهم الخ، بدل مما قبله برعاية المعنى المذكور ﴿وَإِن﴾ نافية أو مخففة ﴿كُلٌّ﴾ أي كل الخلائق مبتدأ ﴿لَّمَّا﴾ بالتشديد بمعنى إلا، أو بالتخفيف، فاللام فارقة، وما زائدة ﴿جَمِيعٌ﴾ خبر المبتدأ، أي مجموعون ﴿لَّدَيْنَا﴾ عندنا في الموقف بعد بعثهم ﴿مُحْضَرُونَ ﴾ ﴿٣٢﴾

الكفار، والتقدير: يا حسرة علينا من مخالفة العباد، والأوجه الأول الذي مشى عليه المفسر. قوله: ﴿إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ﴾ الجملة حالية من مفعول ﴿يَأْتِيهِمْ﴾. قوله: (**مسوق**) إلخ. أي فهو استئناف واقع في جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: ما وجه التحسر عليهم؟ قيل: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ﴾ إلخ. قوله: (**لبيان سببها**) أي بواسطة، فإن الاستهزاء سبب لأهلاكهم، وهو سبب للحسرة. قوله: (**لاشتماله**) أي دلالته.

قوله: ﴿**أَلَمْ يَرَوْا**﴾ إلخ، رأى علمية، و ﴿**كَمْ**﴾ خبرية مفعول لأهلكنا مقدم، و ﴿**قَبْلَهُمْ**﴾ ظرف لأهلكنا، و ﴿**مِنَ الْقُرُونِ**﴾ بيان لكم. قوله: (**والاستفهام للتقرير**) أي وهو حمل المخاطب على الإقرار بما بعد النفي. قوله: (**معمولة لما بعدها**) أي وليست معمولة ليروا، لأن ﴿ **كَمْ**﴾ الخبرية لها الصدارة، فلا يعمل ما قبلها فيها. قوله: (**معلقة ما قبلها عن العمل**). إن قلت: إن ﴿**كَمْ**﴾ الخبرية لا تعلق، وإنما التعلق للاستفهامية، قال ابن مالك:

وإن ولا لام ابتداء أو قسم كذا والاستفهام ذا له انحتم

أجيب: بأن الخبرية أجريت مجرى الاستفهامية في التعليق. قوله: (**والمعنى أنا**) ﴿**أَهْلَكْنَا**﴾ أي وقد علموا ذلك. قوله: (**بدل مما قبله**) أي بدل اشتمال، لأن إهلاكهم مشتمل ومستلزم لعدم رجوعهم، أو بدل كل من كل، بناء على تنزيل التلازم منزلة التماثل، كأن إهلاكهم غير رجوعهم. قوله: (**برعاية المعنى المذكور**) أي وهو قوله: (**أنا**) ﴿**أَهْلَكْنَا**﴾ إلخ، والمعنى: قد علموا إهلاكنا كثيراً من القرون السابقة، المشتمل على عدم عودهم إلى هؤلاء الباقين وهم أهل مكة، فينبغي أن يعتبروا بهم. **قوله**: (**نافية**) أي و ﴿**لِمَا**﴾ بالتشديد بمعنى إلا، وقوله: (**أو مخففة**) أي مهملة، ولما بالتخفيف واللام فارقة. قوله: (**وما زائدة**) للتأكيد، فقد أغنت عن الحصر المستفاد من قراءة التشديد، فتحصل أن من شدد ﴿**لِمَا**﴾ جعلها بمعنى إلا، و ﴿**إِنَّ**﴾ نافية، وهذا باتفاق البصريين والكوفيين، ومن خفف ﴿**لِمَا**﴾ فالبصريون على أن ﴿**إِنَّ**﴾ مخففة، واللام فارقة، وما زائدة، وجوز الكوفيون جعل ﴿**لمَّا**﴾ بمعنى إلا، و ﴿**إِنَّ**﴾ نافية، والقراءتان سبعيتان. قوله: (**أي كل الخلائق**) أشار بذلك إلى أن التنوين عوض عن المضاف إليه. **قوله**: (**أي مجموعون**) دفع بذلك ما يتوهم من ذكر كل الاستغناء بها عن الجميع، فأجاب: بأن ﴿**كُلَّ**﴾ أشير بها لاستغراق الأفراد، و ﴿**جَمِيعٌ**﴾ أشير بها لاجتماع الكل في مكان واحد للحشر.

للحساب خبر ثان ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ﴾ على البعث خبر مقدم ﴿ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿أَحْيَيْنَـٰهَا﴾ بالماء مبتدأ ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ كالحنطة ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ۝٣٣﴾ ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّـٰتٍ﴾ بساتين ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ۝٣٤﴾ أي بعضها ﴿لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِۦ﴾ بفتحتين وبضمتين، أي ثمر المذكور من النخيل وغيره ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ أي لم تعمل الثمر ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۝٣٥﴾ أنعمه تعالى عليهم؟ ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ﴾ الأصناف ﴿كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾ من الحبوب وغيرها ﴿وَمِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ من الذكور والإناث ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٦﴾ من المخلوقات العجيبة الغريبة ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ﴾ على القدرة العظيمة ﴿ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ﴾ نفصل ﴿مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ۝٣٧﴾ داخلون في الظلام ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى﴾ إلى آخره من جملة الآية

قوله: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ﴾ أي علامة ظاهرة ودالة على الإحياء بعد الموت. قوله: **(بالتشديد والتخفيف)** أي فيهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(مبتدأ)** أخره بعد قوله: ﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾ اشارة إلى أنه صفة للأرض، والصفة مع الموصوف كالشيء الواحد. قوله: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ عطف على ﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾ قوله: ﴿مِنْ نَخِيلٍ﴾ هو النخل بمعنى واحد، لكن النخل اسم جمع واحدة نخلة يؤنث عند أهل الحجاز، ويذكر عن تميم ونجد، والنخيل مؤنث بلا خلاف، وإذا علمت ذلك، فقول المفسر فيما يأتي **(من النخيل وغيره)** ليس بجيد، بل المناسب وغيرها.

قوله: ﴿وَفَجَّرْنَا﴾ بالتشديد في قراءة العامة، وقرىء شذوذاً بالتخفيف. قوله: **(أي بعضها)** أشار بذلك إلى أن ﴿مِنْ﴾ تبعيضية، ويصح أن تكون زائدة. قوله: **(بفتحتين وبضمتين)** أي فيهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(أي ثمر المذكور)** دفع بذلك ما يقال: إن الضمير عائد على شيئين فحقه التثنية، فأجاب: بأنه أفرد باعتبار ما ذكر. قوله: **(أي لم تعمل الثمر)** أشار بذلك إلى أنه ﴿مَا﴾ نافية، والمعنى: أنه ليس لهم ايجاد شيء، بل الفاعل والمثبت هو الله تعالى، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ما كان لكم أن تنبتوا شجرها﴾ ويصح أن تكون موصولة، أي ومن الذي عملته أيديهم، أو نكرة موصوفة، أو مصدرية، أي ومن عمل أيديهم، وإثبات العمل للأيدي من حيث الكسب. قوله: ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والتقدير: أيتنعمون بهذه النعم فلا يشكرونها؟ أي بحيث لا يصرفونها في مصارفها. قوله: **(أنعمه)** جمع نعمة بالكسر، ونعماء بالمد والفتح.

قوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ﴾ أي تنزه في ذاته وصفاته وأفعاله عما لا يليق به. قوله: **(الأصناف)** ﴿كُلَّهَا﴾ أي فكل زوج صنف، لأنه مختلف في الألوان والطعوم والأشكال، والصغر والكبر، فاختلافها هو ازدواجها. قوله: ﴿مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ﴾ بيان للأزواج، وكذا ما بعده، فتحصل أن هذه الأمور الثلاثة، لا يخرج عنها شيء من أصناف المخلوقات. قوله: **(الغريبة)** أي كالتي في السماوات والتي تحت الأرضين، وكل ما لم يكن مشاهداً لنا عادة.

قوله: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ ذكر الله تعالى في هذه الآية، ما يتضمن علم الميقات الذي تجب معرفته، وقد ذكر أستاذنا الشيخ الدردير رضي الله عنه، مقدمة لطيفة في هذا الشأن، كافية من

اقتصر عليها فيما فرض الله تعالى. وحاصلها بحروفها: **فائدة**: أسماء الشهور القبطية: توت، بابه، هاتور، كيهك، طوبه، أمشير، برمهات، برموده، بشنس، بؤنه، أبيب، مسرى. أسماء البروج: ميزان؛ عقرب، قوس، جدي، دلو، حوت، حمل، ثور، جوزاء، سرطان، أسد، سنبلة. ولا يدخل توت، الذي هو أول السنة القبطية، إلا بعد خمسة أيام أو ستة، بعد مسرى، وتسمى أيام النسيء. وفصول السنة أربعة: فصل الخريف، وفصل الشتاء، وفصل الربيع، وفصل الصيف. وأول فصل الخريف: انتقال الشمس إلى برج الميزان، وذلك في نصف توت، وفي تلك الليلة يستوي الليل والنهار، ثم كل ليلة يزيد الليل نصف درجة، ثلاثين ليلة بخمس عشرة درجة، إلى نصف بابه، تنتقل الشمس إلى برج العقرب، فنزيد الليل كل ليلة ثلث درجة إلى نصف هاتور، تنتقل الشمس إلى برج القوس، فيزيد الليل كل ليلة سدس درجة بخمس درج، فقد تمت زيادة الليل ثلاثين درجة بعد الاعتدال بساعتين، فيصير الليل من غروب الشمس إلى طلوعها، أربع عشرة ساعة، فيصلى الفجر على اثنتي عشرة ساعة وست درج، ومن طلوعه إلى الشمس أربع وعشرون درجة، وذلك في آخر يوم من فصل الخريف، منتصف كيهك، ثم تنتقل الشمس إلى برج الجدي، وهو أول فصل الشتاء، فيأخذ الليل في النقص، والنهار في الزيادة، فيزيد النهار كل يوم سدس درجة، ثلاثين يوماً بخمس درج إلى نصف طوبه، فتنتقل الشمس إلى برج الدلو، فيزيد النهار كل يوم ثلث درجة بعشرة إلى نصف أمشير، فتنتقل إلى برج الحوت، فتسميها العامة بالشمس الصغيرة، فيزيد النهار كل يوم نصف درجة بخمس عشرة درجة إلى نصف برمهات، فتنتقل الشمس إلى برج الحمل، ويسميها العامة بالشمس الكبيرة، وهو أول فصل الربيع، وفيه الاعتدال الربيعي، يستوي الليل في تلك الليلة والنهار، يزيد كل يوم نصف درجة، كما في برج الحوت الذي قبله إلى منتصف برموده، فتنتقل الشمس إلى برج الثور، فيزيد النهار كل يوم ثلث درجة بعشرة إلى منتصف بشنس، فتنتقل الشمس للجوزاء، ويزيد النهار كل يوم سدس درجة بخمسة إلى نصف بؤنة، فتنتقل إلى برج السرطان، وهو أول فصل الصيف، وبه ينتهي طول النهار، فيكون النهار من طلوع الشمس إلى غروبها أربع عشرة ساعة، وينتهي قصر الليل، فيكون من الغروب إلى طلوع الشمس عشرة، وحصة المغرب للعشاء، اثنتان وعشرون درجة، ومن المغرب للفجر، ثمان ساعات وخمس درج، ومنه للشمس خمس وعشرون درجة، ثم ينقص النهار، ويأخذ الليل في الزيادة، فيزيد الليل كل ليلة سدس درجة إلى خامس عشر أبيب، فتنتقل الشمس إلى برج الأسد، فيزيد كل يوم ثلث درجة إلى نصف مسرى، فتنتقل إلى السنبلة، فيزيد النهار كل يوم نصف درجة إلى نصف توت أول السنة، فقد علمت أن الدرج الذي يأخذها النهار من الليل، والليل من النهار، ستون درجة بأربع ساعات، وأن الاعتدال يكون في السنة مرتين، مرة في نصف توت، الذي هو أول السنة القبطية، وهو فصل الخريف، والمرة الثانية في نصف برمهات، أو فصل الربيع، وأن مبدأ زيادة النهار من الفصل الذي قبله، وهو فصل الشتاء، ثلاثين يوماً بالأسداس، ثم ثلاثين بالأثلاث، ثم ثلاثين بالأنصاف، لأول فصل الربيع، فيحصل الاعتدال، ثم ثلاثين بالأنصاف أيضاً إلى نصف برمودة، ودخول الشمس في الثور، فمدة زيادة الأنصاف ستون من نصف أمشير، ودخول الشمس في الحوت إلى نصف برموده، ثم ثلاثين بالأثلاث إلى نصف بشنس، ودخول الشمس في الجوزاء، ثم ثلاثين بالأسداس إلى نصف بؤنة، ودخول الشمس في السرطان، فيأخذ

لهم، أو آية أخرى، والقمر كذلك ﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ إليه أي لا تتجاوزه ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي جريها ﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ ﴿٣٨﴾ بخلقه ﴿وَٱلْقَمَرَ﴾ بالرفع والنصب وهو منصوب بفعل يفسره ما

الليل في الزيادة بالأسداس، ثلاثين ليلة إلى نصف أبيب ودخولها في الأسد، ثم ثلاثين بالأثلاث إلى نصف مسرى، ثم بالأصناف إلى نصف توت، ثم بالأصناف أيضاً إلى نصف بابه، ثم بـالأثلاث إلى نصف هاتور، ثم بالأسداس إلى نصف كهيك، ثم يعدو النهار على الليل، فسبحان الله المقدر للأمور، القادر على كل شيء، العليم الحكيم.

قوله: ﴿وَآيَةٌ﴾ خبر مقدم، و ﴿اللَّيْلُ﴾ مبتدأ مؤخر كما تقدم نظيره. قوله: ﴿نَسْلَخُ﴾ إلخ، بيان لكيفية كونه آية. قوله: **(نفصل)** ﴿مِنْهُ النَّهَارَ﴾ أي نزيله عنه لكونه كالساتر له، فإذا زال الساتر ظهر الأصل، فالليل أصل، فالليل أصل متقدم في الوجود، والنهار طارىء عليه بدليـل قولـه: ﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ هذا لا ينافي ما يأتي في قوله: ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ لأن معناه لا يأتي الليل قبل وقته المقدر له، بأن يأتي في وقت الظهر مثلاً، وهذا غير ما هنا، فتحصل أن معنى السلخ الفصل والإزالة، وليس المراد به الكشف، وإلا لقال فإذا هم مبصرون، لأنه يصير المعنى: وآية لهم الليل نكشف ونظهر منه النهار. قوله: **(داخلون في الظلام)** أي فيقال: أظلم القوم إذا دخلوا في الظلام، وأصبحوا إذا دخلوا في الصباح. قوله: **(من جملة الآية)** أي فهو عطف مفردات على قوله: ﴿الْأَرْضُ﴾، وقوله: **(أو آية أخرى)** أي فيكون عطف جمل.

قوله: ﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ أي مكان تستقر فيه، وهو مكانها تحت العرش، فتسجد فيه كل ليلة عند غروبها، فتستمر ساجدة فيه طول الليل، فعند ظهور النهار، يؤذن لها في أن تطلع من مطلعها، فإذا كان آخر الزمان لا يؤذن لها في الطلوع من المشرق، بل يقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من المغرب، وهذا هو الصحيح عند أهل السنة، ويؤيده قوله ﷺ لأبي ذر غربت الشمس أتـدري أين ذهبت الشمس؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد، فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، فيقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ وقيل: إن الشمس في الليل، تسير وتشرق على عالم آخر من أهل الأرض، وإن كنا لا نعرفه، وهذا قول الحكماء، ويؤيده ما قاله الفقهاء: إن الأوقات الخمسة، تختلف باختلاف الجهات والنواحي، فقد يكون المغرب عندنا، عصراً عند آخرين، وقد يكون الليل عندهم ساعة فقط، واختلف في العشاء حينئذ، فقالت الحنفية بسقوطهـا، وقالت الشافعية ووافقهم المالكية: يقدر لهم بأقرب البـلاد إليهم، ويصلونها ولو بعـد طلوع الشمس عندهم، وتسمى أداء، ولا حرمة عليهم، في ذلك، وعلى ما قالته الحكماء، فاختلف في مستقر الشمس، فقيل: هو انقضاء الدنيا وقيام الساعة، وقيل: مستقرها هو سيرها في منازلها، حتى تنتهي إلى مستقرها التي لا تجاوزه، ثم ترجع إلى أول منازلها، وقيل: مستقرها نهاية ارتفاعها في السماء في الصيف، ونهاية هبوطها في الشتاء.

قوله: ﴿وَالْقَمَرَ﴾ اختلف فيه، هل لكل شهر قمر جديد؟ أو هو قمر واحد لكل شهر؟ فقال الرملي من أئمة الشافعية: إن لكل شهر قمراً جديداً، ولكن المتبادر من كلام الحكماء ومن غالب الأحاديث أنه

بعده ﴿قَدَّرۡنَٰهُ﴾ من حيث سيره ﴿مَنَازِلَ﴾ ثمانية وعشرين منزلاً في ثمان وعشرين ليلة من كل شهر ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوماً وليلة وإن كان تسعة وعشرين يوماً ﴿حَتَّىٰ عَادَ﴾ في آخر منازله في رأي العين ﴿كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾ ﴿٣٩﴾ أي كعود الشماريخ إذا عتق فإنه يرق ويتقوس ويصغر ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي﴾ يسهل ويصح ﴿لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾ فتجتمع معه في الليل ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾ فلا يأتي قبل انقضائه ﴿وَكُلٌّ﴾ تنوينه عوض عن المضاف إليه من الشمس والقمر والنجوم ﴿فِي فَلَكٖ﴾ مستدير ﴿يَسۡبَحُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ يسيرون نزلوا منزلة العقلاء ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمۡ﴾ على قدرتنا ﴿أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ وفي قراءة ذرياتهم أي آباءهم الأصول ﴿فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾ أي سفينة نوح ﴿ٱلۡمَشۡحُونِ﴾ ﴿٤١﴾ المملوء ﴿وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ أي مثل فلك نوح، وهو ما عملوه على

متحد. قوله: **(بالرفع)** أي على مبتدأ خبره ﴿قَدَّرْنَاهُ﴾. قوله: **(والنصب يفسره ما بعده)** أي فهو من باب الاشتغال. قوله: **(من حيث سيره)** أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿مَنَازِلَ﴾ ظرف لقوله: ﴿قَدَّرْنَاهُ﴾ والتقدير قدرنا سيره في منازل، ويصح جعله حالاً على حذف مضاف، والتقدير ذا منازل. قوله: **(أي كعود الشماريخ)** جمع شمراخ، وهو عيدان العنقود الذي عليه الرطب. قوله: **(إذا عتق)** من باب ظرف وقعد. قوله: **(فإنه يدق ويتقوس ويصغر)** أي فوجه الشبه فيه مركب من ثلاثة أشياء.

قوله: ﴿**لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ**﴾ أي بحيث تأتي في وسط الليل، لأن ذلك يخل بتلوين النبات ونفع الحيوان، ويفسد النظام، ولم يقل سبحانه وتعالى: ولا القمر يدرك الشمس، لأن سير القمر أسرع، لأنه يقطع الفلك في شهر، والشمس لا تقطع فلكها في سنة، فالشمس قطعاً لا تدرك القمر، والقمر قد يدرك الشمس في سيرها، ولكن لا سلطنة له. قوله: ﴿**وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ**﴾ أي لا يأتي الليل في أثناء النهار قبل أن ينقضي، كأن يأتي في وقت الظهر مثلاً. قوله: ﴿**وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾ قال ابن عباس: يدورون في فلكة كفلكة المغزل. قوله: **(والنجوم)** أي المدلول عليها بذكر الشمس والقمر. قوله: **(نزلوا منزلة العقلاء)** أي حيث عبر عنهم بضمير جمع الذكور، والذي سوغ ذلك، وصفهم بالسباحة التي هي من أوصاف العقلاء.

قوله: ﴿**وَآيَةٌ لَهُمْ**﴾ خبر مقدم ﴿**وَأَنَّا حَمَلْنَا**﴾ في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر، أي حملنا ذريتهم في **الفلك**، آية دالة على باهر قدرتنا. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: **(أي آباءهم الأصول)** أشار بذلك إلى أن لفظ الذرية، كما يطلق على الفروع، يطلق على الأصول، لأنه من الذرء وهو الخلق، فاندفع ما يقال: إن الذي حمل في سفينة نوح، أصول أهل مكة لا فروعهم، وهذا أوضح ما قررت به هذه الآية. قوله: **(المملوء)** أي لأن نوحاً جعله ثلاث طبقات: السفلى وضع فيها السباع والهوام، والوسطى فيها الدواب والأنعام، والعليا وضع فيها الآدميين والطير.

قوله: ﴿**وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ**﴾ هذا امتنان آخر مرتب على ما قبله، والمعنى: جعلنا سفينة نوح آية عظيمة على قدرتنا، ونعمة للخلق، وعلمناهم صنعة السفينة، **فعملوا** سفناً كباراً وصغاراً لينتفعوا بها.

شكله من السفن الصغار والكبار بتعليم الله تعالى ﴿مَا يَرْكَبُونَ ۝٤٢﴾ فيه ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ مع إيجاد السفن ﴿فَلَا صَرِيخَ﴾ مغيث ﴿لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ۝٤٣﴾ ينجون ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ۝٤٤﴾ أي لا ينجيهم إلا رحمتنا لهم وتمتيعنا إياهم بلذاتهم إلى انقضاء آجالهم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ من عذاب الدنيا كغيرهم ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ من عذاب الآخرة ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٤٥﴾ أعرضوا ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝٤٦﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ أي قال فقراء الصحابة ﴿لَهُمْ أَنفِقُوا﴾ علينا ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ من الأموال ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ استهزاء بهم ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ في معتقدكم هذا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنتُمْ﴾ في قولكم لنا ذلك مع معتقدكم هذا ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٤٧﴾ بيِّن، وللتصريح بكفرهم

قوله: ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ ﴿مِنْ﴾ إما زائدة أو تبعيضية، وعلى كل فمدخولها حال من قوله: ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾. قوله: (**وهو ما عملوه**) هذا أحد أقوال ثلاثة في تفسير المثل، الثاني: إنه خصوص الإبل، والثالث: إنه مطلق الدواب التي تركب. قوله: (**بتعليم الله**) دفع بهذا ما يقال: عادة الله تعالى اضافة صفة العبيد لأنفسهم، وإن كان هو الخالق لها حقيقة، فلم أضافها لنفسه؟ فأجاب: بأن التعليم والهداية لما كانتا منه، أضاف الخلق له، لأن سفينة نوح التي هي أصل السفن، كانت بمحض تعليم الله وإلهامه له. قوله: (**مع ايجاد السفن**) أي ومع ركوبهم لها. قوله: ﴿**فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ**﴾ الصريخ بمعنى الصارخ، يطلق على المستغيث وعلى المغيث، فهو من تسمية الأضداد، والمراد الثاني.

قوله: ﴿**إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا**﴾ ﴿**إِلَّا**﴾ أداة استثناء، و ﴿**رَحْمَةً**﴾ مفعول لأجله، وهو استثناء مفرغ من عموم الأحوال، والمعنى: لا ننجيهم لشيء من الأشياء، إلا لأجل رحمتنا بهم وتمتيعهم الأمد الذي سبق في علمنا. قوله: (**كغيركم**) أي وهم المؤمنون. قوله: (**من عذاب الآخرة**) أشار بذلك إلى أن لفظ الخلف، كما يطلق على ما مضى، يطلق على ما يأتي، فهو من تسمية الأضداد، وسمى ما يأتي خلفاً لغيبته عنا. قوله: (**أعرضوا**) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف، دل عليه قوله: ﴿**وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ**﴾ إلخ. قوله: ﴿**مِنْ آيَةٍ**﴾ ﴿**مِنْ**﴾ زائدة، وقوله: ﴿**مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ**﴾ ﴿**مِنْ**﴾ تبعيضية. قوله: ﴿**إِلَّا كَانُوا**﴾ إلخ، الجملة حالية.

قوله: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا**﴾ إلخ. أشار بذلك إلى أنهم كما تركوا حقوق الخالق، وهذه الآية نزلت حكاية عن بعض جبابرة مكة، كالعاص بن وائل السهمي وغيره، كان إذا سأله المسكين قال له: اذهب إلى ربك فهو أولى مني بك، قد منعك الله، **أفأطعمك أنا**؟وقد تمسك بهذا بعض بخلاء المسلمين حيث يقولون: لا نعطي من حرمه الله، ولم يعلموا أن الفقراء يحملون زاد الأغنياء للآخرة، ولولا الفقراء ما انتفع الغني بغناه.

قوله: ﴿**قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ أي بالصانع، أن ينكرون وجوده، وهم فرقة من جبابرة مكة. قوله: ﴿**مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ أَطْعَمَهُ**﴾ مفعول ﴿**أَنُطْعِمُ**﴾ وقوله: ﴿**أَطْعَمَهُ**﴾ جواب ﴿**لَوْ**﴾. قوله: (**في معتقدكم**) أي أيها الفقراء المؤمنون، لا في معتقد الكفار الأغنياء، فإنهم ينكرون الصانع كما علمت. قوله: (**في قولكم لنا ذلك**) أشار بذلك إلى أن هذا من كلام الكفار للمؤمنين. ويؤيده ما روي: أن أبا بكر الصديق رضي

موقع عظيم ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ بالبعث ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ﴿٤٨﴾ فيه، قال تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ﴾ أي ما ينتظرون ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ وهي نفخة إسرافيل الأولى ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ بالتشديد أصله يختصمون نقلت حركة التاء إلى الخاء وأدغمت في الصاد أي وهم في غفلة عنها بتخاصم وتبايع وأكل وشرب وغير ذلك، وفي قراءة يخصمون كيضربون أي يخصم بعضهم بعضاً ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ أي أن يوصوا ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ من أسواقهم وأشغالهم بل يموتون فيها ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ هو قرن النفخة الثانية للبعث، وبين النفختين أربعون سنة ﴿فَإِذَا هُم﴾ أي المقبورون ﴿مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ ﴿٥١﴾ يخرجون بسرعة ﴿قَالُواْ﴾ أي الكفار منهم ﴿يا﴾ للتنبيه ﴿يَٰوَيْلَنَا﴾ هلاكنا وهو مصدر

الله عنه، كان يطعم مساكين المسلمين، فلقيه أبو جهل فقال: يا أبا بكر، أتزعم أن الله قادر على إطعام هؤلاء؟ قال: نعم، قال: فما باله لم يطعمهم؟ قال: ابتلى قوماً بالفقر، وقوماً بالغنى، وأمر الفقراء بالصوم، والأغنياء بالإعطاء، فقال أبو جهل: والله يا أبا بكر، إن أنت إلا في ضلال، أتزعم أن الله قادر على إطعام هؤلاء، وهو لا يطعمهم، ثم تطعمهم أنت؟ وقيل: إنه من كلام المؤمنين للكفار، وقيل: من كلام الله تعالى رداً عليهم. قوله: **(موقع عظيم)** أي وهو التبكيت والتقبيح عليهم.

قوله: ﴿**وَيَقُولُونَ مَتَى هٰذَا الْوَعْدُ**﴾ رجوع للكلام مع الكفار المعترفين بوجوده تعالى قوله: **(أي ما ينتظرون)** هذا مجاراة لأول كلامهم، لأن شأن من يسأل عن الشيء، أن يكون معترفاً بوجوده، وإلا فهم جازمون بعدمها. قوله: **(الأولى)** أي وهي التي يموت عندها من كان موجوداً على وجه الأرض. قوله: **(نقلت حركة التاء إلى الخاء)** أي بتمامها أو بعضها، فهما قراءتان. قوله: **(وأدغمت)** أي بعد قلبها صاداً، وحذفت همزة الوصل للاستغناء عنها بتحريك الخاء، وقوله: **(وفي قرءاة)** إلخ، تلخص من كلامه أن القراءات هنا ثلاث، وبقي رابعة وهي فتح الياء وكسر الخاء وكسر الصاد المشددة، وعلى هذه القراءة، فحركة الخاء ليست حركة نقل، وإنما هي لما حذفت حركة التاء صارت ساكنة، فالتقت ساكنة مع الخاء، فحركت الخاء بالكسر على أصل التخلص من التقاء الساكنين، وكل تلك القراءات سبعية. قوله: **(أي وهم في غفلة عنها)** أشار بهذا، إلى أن المراد من الاختصام لازمه، وهو الغفلة التي ينشأ عنها الاختصام وغيره، وفي الحديث: «لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوباً بينهما، فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمها، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها» أخرجه البخاري. قوله: **(أي يخصم بعضهم بعضاً)** بيان لحاصل المعنى، والمفعول محذوف على القراءة الأخيرة. قوله: **(أن يوصوا)** أي على أولادهم وأموالهم. قوله: ﴿**وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ**﴾ معطوف على ﴿**يَسْتَطِيعُونَ**﴾. قوله: **(وبين النفختين أربعون سنة)** هذا هو الصحيح، وقيل: أربعون يوماً، وقيل: غير ذلك. قوله: **(أي المقبورون)** أي من شأنه أن يقبر، وقبر كل ميت بحسبه، فيشمل من أكلته السباع ونحوه. قوله: ﴿**مِنَ الأَجْدَاثِ**﴾ جمع جدث كفرس وأفراس، وقرىء شذوذاً الأجواف بالفاء، وهي لغة في الأجداث. قوله: **(يخرجون بسرعة)** أي يسرعون في مشيهم قهراً ولا اختياراً. قوله: **(أي الكفار)** أي لا كل الخلائق، إذ المؤمنون يفرحون

لا فعل له من لفظه ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ لأنهم كانوا بين النفختين نائمين لم يعذبوا ﴿هَٰذَا﴾ أي البعث ﴿مَا﴾ أي الذي ﴿وَعَدَ﴾ به ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ أقروا حين لا ينفعهم الإقرار، وقيل يقال لهم ذلك ﴿إِن﴾ ما ﴿كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا﴾ عندنا ﴿مُحۡضَرُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٍ﴾ بسكون الغين وضمها عما فيه أهل النار مما يتلذذون به، كافتضاض الأبكار، لا شغل يتعبون فيه، لأن الجنة لا نصب فيها ﴿فَٰكِهُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ ناعمون خبر

بالقيامة، ليذهبوا للنعيم الدائم، ورؤية وجه الله الكريم. قوله: **(للتنبيه)** دفع بذلك ما يقال: إن النداء مختص بالعقلاء، فكيف ينادى الويل وهو لا يعقل فأجاب: بأن ﴿يَا﴾ للتنبيه، والمعنى: تنبهوا فإن الويل قد حضر.

قوله: ﴿وَيْلَنَا﴾ قرأ العامة بإضافته إلى ضمير المتكلم، ومعه غيره دون تأنيث، وقرىء شذوذاً يا ويلتنا بتاء التأنيث، ويا ويلتي بإبدال الياء ألفاً، وعلى قراءة الإفراد، يكون حكاية عن مقالة كل واحد. قوله: **(لا فعل له من لفظه)** أي بل معناه وهو هلك. قوله: ﴿مَنْ بَعَثَنَا﴾ **قرأ العامة بفتح ميم** ﴿مِنْ﴾ على أنها استفهامية مبتدأ، وجملة ﴿بَعَثَنَا﴾ خبره؛ وقرىء شذوذاً بكسر الميم على أنها حرف جر، و ﴿بَعْثِنَا﴾ مصدر مجرور بمن؛ والجار والمجرور متعلق بويلنا، وقوله: ﴿مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ متعلق بالبعث، والمرقد يصح أن يكون مصدراً أو اسم مكان، أي من رقادنا أو من مكان رقادنا. قوله: **(لأنهم كانوا بين النفختين نائمين)** أي حين يرفع الله عنهم العذاب، فيرقدون قبيل النفخة الثانية، فيذوقون طعم النوم، فإذا بعثوا وعاينوا أهوال يوم القيامة، دعوا بالويل. قوله: ﴿مَا وَعَدَ الرَّحْمٰنُ﴾ إلخ، مفعول ﴿وَعَدَ﴾ و ﴿صَدَقَ﴾ محذوف والتقدير: ما وعدنا به الرحمن وصدقنا فيه المرسلون. قوله: **(أقروا)** إلخ، أشار بذلك إلى أن هذه الجملة من كلام الكفار، فهي في محل نصب مقول القول، كأنهم لما سألوا فلم يجابوا، أجابوا أنفسهم. قوله: **(وقيل يقال لهم ذلك)** أي من جانب المؤمنين، أو الملائكة، أو الله تعالى، وإنما عدلوا عن جواب سؤالهم، لأن الباعث لهم معلوم، وإنما لهم السؤال عن البعث.

قوله: ﴿إِنْ كَانَتْ﴾ أي النفخة الثانية. قوله: ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ أي وهو قول إسرافيل أيتها العظام النخرة، والأوصال المتقطعة، والعظام المتفرقة، والشعور المتمزقة، وإن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء. قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ أي مجموعون في موقف الحساب. قوله: ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً﴾ هذا حكاية عما يقال لهم حين يرون العذاب. قوله: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ إلخ، جرت عادة الله سبحانه وتعالى في كتابه، إذا ذكر أحوال أهل النار، أتبعه بذكر أحوال أهل الجنة. قوله: ﴿فِي شُغْلٍ﴾ أبهمه ونكره، إشارة إلى تعظيمه ورفعة شأنه، والمراد به ما هم فيه من أنواع الملاذ التي تلهيهم عما عداها بالكلية، كالتفكه بالأكل والشرب والسماع وضرب الأوتار والتزاور، وأعظم ذلك سماع كلام الله تعالى ورؤية ذاته. قوله: **(بسكون الغين وضمها)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(كافتضاض الأبكار)** أي لما روي: أن أهل الجنة، كلما أرادوا القرب من نسائهم وجدوهن أبكاراً، فيفتضون من غير قذر ولا ألم. قوله: ﴿فَاكِهُونَ﴾ من الفكاهة بفتح الفاء، وهي التنعم والتلذذ.

ثان لـ «إن»، والأول في شغل ﴿هُمْ﴾ مبتدأ ﴿وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ﴾ جمع ظلة أو ظل خبر، أي لا تصيبهم الشمس ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ جمع أريكة وهو السرير في الحجلة أو الفرش فيها ﴿مُتَّكِـُٔونَ﴾ ﴿٥٦﴾ خبر ثان متعلق على ﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم﴾ فيها ﴿مَّا يَدَّعُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ يتمنون ﴿سَلَٰمٌ﴾ مبتدأ ﴿قَوْلًا﴾ أي بالقول خبره ﴿مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ ﴿٥٨﴾ بهم أي يقول لهم سلام عليكم ﴿وَ﴾ يقول ﴿ٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ أي انفردوا عن المؤمنين عند اختلاطهم بهم ﴿أَلَمْ

قوله: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ﴾ هذا بيان لكيفية شغلهم وتفكههم. قوله: (**جمع ظلة**) أي كقباب جمع قبة، وزناً ومعنى. قوله: (**أو ظل**) أي كشعاب جمع شعب. قوله: (**أي لا تصيبهم الشمس**) أي لعدم وجودها. قوله: (**في الحجلة**) بفتحتين أو بسكون الجيم مع ضم الحاء أو كسرها، وهي قبة تعلق على السرير وتزين به العروس. قوله: (**أو الفرش فيها**) أي في الحجلة، فالأريكة فيها قولان: قيل هي السرير الكائن في الحجلة، أو الفرش الكائن فيها. قوله: (**متعلق على**) أي قوله: ﴿**عَلَى الأَرائِكِ**﴾ فتحصل أن ﴿**هُمْ**﴾ مبتدأ، و ﴿**أَزْوَاجُهُمْ**﴾ عطف عليه، و ﴿**فِي ظِلَالٍ**﴾ خبر أول، و ﴿**مُتَّكِئُونَ**﴾ خبر ثان، و ﴿**عَلَى الأَرائِكِ**﴾ **متعلق** بمتكئون، قدم عليه رعاية للفاصلة.

قوله: ﴿**لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ**﴾ أي من كل نوع من أنواع الفواكه، لا مقطوع ولا ممنوع، قال تعالى: ﴿**وفاكهة** كثيرة لا مقطوعة ولا **ممنوعة**﴾. قوله: ﴿**وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ**﴾ أصله يدتعيون بوزن يفتعلون، استثقلت الضمة على الياء، فنقلت إلى ما قبلها، فالتقى ساكنان، حذفت الياء لالتقائهما، ثم أبدلت التاء دالاً وأدغمت في الدال، والمعنى: يعطى أهل الجنة، جميع ما يتمنونه ويشتهونه حالاً من غير بطء.

قوله: ﴿**سَلَامٌ**﴾(**مبتدأ**) إلخ، هذا أحسن الأعاريب؛ وقيل: إنه بدل من قوله: ﴿**مَا يَدَّعُونَ**﴾، أو صفة لما، أو خبر لمبتدأ محذوف. قوله: (**أي بالقول**) أشار بذلك إلى أن ﴿**قَوْلاً**﴾ منصوب بنزع الخافض، ويصح أن يكون مصدراً مؤكداً لمضمون الجملة، وهو مع عامله معترض بين المبتدأ والخبر. قوله: (**أي يقول لهم سلام عليكم**) أشار بذلك إلى أن الجملة معمولة لمحذوف، والمعنى أن الله يتجلى لأهل الجنة ويقرئهم السلام لما في الحديث: «بينما أهل الجنة في نعيم، إذ سطع لهم نور، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الرب عز وجل قد أشرف عليهم من فوقهم، السلام عليكم يا أهل الجنة، فلذلك قوله تعالى: ﴿**سلام قولاً** من رب رحيم﴾ فينظر إليهم وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه، حتى يحتجب عنهم؛ فيبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم». قوله: ﴿**وَ**﴾(**يقول**) ﴿**امْتَازُوا**﴾ إلخ، أشار بذلك إلى أن هذه الجملة معمولة لمحذوف أيضاً. قوله: (**عند اختلاطهم بهم**) أي حين يسار بهم إلى الجنة؛ لما ورد في الحديث ما معناه: «إذا كان يوم القيامة، ينادي مناد: كل أمة تتبع معبودها؛ فتبقى هذه الأمة وفيها منافقوها يقولون: لا نذهب حتى ننظر معبودنا؛ فيظهر لهم عن يمين العرش ملك؛ لو وضعت البحار السبع وجميع الخلائق ومثلهم معهم في نقرة إبهامه لوسعهم؛ فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك لست ربنا، ثم يأتي عن يسار العرش فيقول مثل ذلك؛ فيقولون: نعوذ بالله منك لست ربنا، ثم يتجلى الله تعالى لهم فيخرون سجداً، فيريد المنافقون أن يسجدوا؛ فيصير ظهرهم طبقاً، فلا يستطيعون السجود، فعند ذلك يقال: ﴿**وَامْتَازُوا الْيَومَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ**﴾».

أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾ آمركم ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾ على لسان رسلي ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ لا تطيعوه ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ﴿٦٠﴾ بيِّن العداوة ﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِى﴾ وحدوني وأطيعوني ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٌ﴾ ﴿٦١﴾ ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا﴾ خلقاً جمع جبيل كقديم، وفي قراءة بضم الباء ﴿كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ عدواته وإضلاله، أو ما حل بهم من العذاب فتؤمنون، ويقال لهم في الآخرة ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿٦٣﴾ بها ﴿ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ أي الكفار لقولهم: والله ربنا ما كنا مشركين ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾ وغيرها ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٦٥﴾ فكل عضو ينطق بما صدر منه ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ لأعميناها طمساً ﴿فَٱسْتَبَقُوا۟﴾ ابتدروا ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ الطريق ذاهبين كعادتهم ﴿فَأَنَّىٰ﴾ فكيف ﴿يُبْصِرُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ حينئذ أي لا يبصرون ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ﴾ قردة وخنازير أو حجارة ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ وفي قراءة مكاناتهم جمع مكانة بمعنى مكان، أي في منازلهم ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا

قوله: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾ الاستفهام للتوبيخ والتقريع، والمراد بالعهد، ما كلفهم الله به على ألسنة رسله من الأوامر والنواهي. قوله: (آمركم) أي وأنهاكم؛ ففيه اكتفاء. قوله: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ ﴿أَنْ﴾ تفسيرية لتقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه، و ﴿لَا﴾ ناهية؛ والفعل مجزوم بها. قوله: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ تعليل لوجوب الانتهاء. قوله: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ﴾تأكيد للتعليل. قوله:﴿جِبِلًّا﴾ بضم الجيم وسكون الباء وتخفيف اللام. قوله: (وفي قراءة بضم الباء) أي مع ضم الجيم، وبقي قراءة ثالثة سبعية أيضاً، وهي بكسر الجيم والباء وتشديد اللام كسجل. قوله: ﴿هَٰذِهِ جَهَنَّمُ﴾ هذا خطاب لهم وهم على شفير جهنم، والمقصود منه زيادة التبكيت والتقريع. قوله: ﴿اصْلَوْهَا﴾ أي ذوقوا حرارتها. قوله: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ أي بسبب كفركم.

قوله: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي ختماً يمنعها عن الكلام النافع، فلا ينافي قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم﴾ وهذا مرتبط بقوله: ﴿اصْلَوْهَا الْيَوْمَ﴾ روي أنهم حين يقال لهم ذلك، يجحدون ما صدر عنهم في الدنيا ويتخاصمون، فتشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم، فيحلفون أنهم ما كانوا مشركين ويقولون: لا نجيز علينا شاهداً إلا من أنفسنا؛ فيختم على أفواههم، ويقال لأركانهم: انطقوا فتنطق بما صدر منهم، وحكمة إسناد الختم لنفسه، والشهادة للأيدي والأرجل، دفع توهم أن نطقها جبر، والمجبور غير مقبول الشهادة، فأفاد أن نطقها اختياري. قوله: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾ إلخ مفعول المشيئة محذوف، أي لو نشاء طمسها لفعلنا، وقوله: ﴿فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾ أي أرادوا أن يستبقوا الطريق المحسوس ذاهبين في حوائجهم، وهو عطف على قوله: ﴿طَمَسْنَا﴾، وقوله: ﴿فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ استفهام إنكاري مرتب على ما قبله، أي فلا يبصرونه.

قوله: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ﴾ إلخ، يقال فيها ما قيل فيما قبلها، والمسخ تغيير الصور، و ﴿عَلَى﴾ بمعنى في، والمقصود من هاتين الآيتين، تسليته ﷺ، وتوبيخ الكفار واعلامهم بأن الله قادر على إذهاب ما بهم من النعم في الدنيا، وأنهم مستحقون ذلك لولا حلمه تعالى، فهاتان الآيتان بمعنى قوله تعالى: ﴿قل

﴿وَلَا يَرۡجِعُونَ ﴾ ﴿٦٧﴾ أي لم يقدروا على ذهاب ولا مجيء ﴿وَمَن نُّعَمِّرۡهُ﴾ بإطالة أجله ﴿نُنَكِّسۡهُ﴾ وفي قراءة بالتشديد من التنكيس ﴿فِي ٱلۡخَلۡقِۚ﴾ أي خلقه فيكون بعد قوته وشبابه ضعيفاً وهرماً ﴿أَفَلَا يَعۡقِلُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ أن القادر على ذلك المعلوم عندهم قادر على البعث فيؤمنون، وفي قراءة بالتاء ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ﴾ أي النبي ﴿ٱلشِّعۡرَ﴾ رد لقولهم أن ما أتى به من القرآن شعر ﴿وَمَا يَنۢبَغِي﴾ يسهل ﴿لَهُۥٓۚ﴾ الشعر ﴿إِنۡ هُوَ﴾ ليس الذي أتى به ﴿إِلَّا ذِكۡرٞ﴾ عظة ﴿وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ﴾ ﴿٦٩﴾ مظهر للأحكام وغيرها ﴿لِّيُنذِرَ﴾ بالياء والتاء به ﴿مَن كَانَ حَيّٗا﴾ يعقل ما يخاطب بـه وهم المؤمنون ﴿وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ﴾

أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم﴾ الآية. قوله: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ﴾ أي من يكون في سابق علمنا طويل العمر. قوله: **(وفي قراءة بالتشديد)** أي وهما قراءتان سبعيتان ومعناهما واحد، والمعنى نقلبه، فلا يزال يتزايد ضعفه وتنقص قواه؛ عكس ما كان عليه أول أمره. قوله: **(أي خلقه)** أي خلق جسده وقواه. قوله: **(ضعفاً)** مقابل قوته؛ وقوله: **(وهرماً)** مقابل شبابه، فهو لف ونشر مرتب، وهذا في غير الأنبياء عليهم السلام، وأما هم فلا يعتريهم الضعف في العقل والبدن، وإن طال عمرهم جداً، واستعاذته ﷺ من الرد لأرذل العمر تعليم لأمته، ويلحق بالأنبياء العلماء العاملون، فلا يهرمون ولا يضعفون بطول العمر، بل يكونون على أحسن ما كانوا عليه. قوله: ﴿**أَفَلا يَعْقِلُونَ**﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والتقدير أتركوا التفكر فلا يعقلون. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً.

قوله: ﴿**وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ**﴾ هذا تنزيه من الله تعالى لنبيه ﷺ عن آلهتهم فيما أوحاه الله إليه، إذ لو كان للعقل فيه بعض اتهام، لبطل الاحتجاج به. قوله: **(رد لقولهم أن ما أتى به من القرآن شعر)** أي وحينئذ فيصير المعنى: ليس القرآن بشعر، لأن الشعر كلام مزخرف موزون مقفى قصداً مبني على خيالات وأوهام واهية، وأين ذلك من القرآن العزيز، الذي تنزه عن مماثلة كلام البشر. قوله: ﴿**وَمَا يَنْبَغِي لَهُ**﴾ أي لا يصح ولا يليق منه، لأن الشعر شأنه الأكاذيب، وهي عليه مستحيلة، ولذا قيل: أعذبه أكذبه، فتحصل أن النبي لا ينبغي له الشعر، ولا يليق منه. إن قلت: إنه تمثل بقول ابن رواحة:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وأنشأ من نفسه قوله:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وقوله:

هل أنت إلا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت

قلت: أحسن ما أجيب به: أن انشاده بيت ابن رواحة، وإنشاء البيتين المقدمين، لم يكن عن قصد، وإنما وافق وزن الشعر، كما في بعض الآيات القرآنية، فليس كل من قال قولاً موزوناً، لا يقصد به الشعر شاعراً، وإنما وافق وزن الشعر. قوله: ﴿**لِيُنْذِرَ**﴾ متعلق بمحذوف دل عليه ما قبله قوله: **(بالياء والتاء)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(وهم المؤمنون)** أي وخصوا بالذكر، لأنهم هم المنتفعون به.

بالعذاب ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ﴿٧٠﴾ وهم كالميتين لا يعقلون ما يخاطبون به ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعلموا، والاستفهام للتقرير، والواو الداخلة عليها للعطف ﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم﴾ في جملة الناس ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ أي عملناه بلا شريك ولا معين ﴿أَنْعَٰمًا﴾ هي الإبل والبقر والغنم ﴿فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ ﴿٧١﴾ ضابطون ﴿وَذَلَّلْنَٰهَا﴾ سخرناها ﴿لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ مركوبهم ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ كأصوافها وأوبارها وأشعارها ﴿وَمَشَارِبُ﴾ من لبنها جمع مشرب بمعنى شرب أو موضعه ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ ﴿٧٣﴾ المنعم عليهم بها فيؤمنون، أي ما فعلوا ذلك ﴿وَٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿ءَالِهَةً﴾ أصناماً يعبدونها ﴿لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ ﴿٧٤﴾ يمنعون من عذاب الله تعالى بشفاعة آلهتهم بزعمهم ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي آلهتهم، نزلوا منزلة العقلاء ﴿نَصْرَهُمْ وَهُمْ﴾ أي آلهتهم من الأصنام ﴿لَهُمْ جُندٌ﴾ بزعمهم نصرهم ﴿مُّحْضَرُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ في النار معهم ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ لك لست مرسلاً وغير ذلك ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ ﴿٧٦﴾

قوله: (**وهم كالميتين**) أخذ هذا من المقابلة في قوله: ﴿مَنْ كَانَ حَيّاً﴾. قوله: (**والاستفهام للتقرير**) أي وهو حمل المخاطب على الإقرار بالحكم. قوله: (**والواو الداخلة عليها للعطف**) هذه العبارة تحتمل التقريرين السابقين في نظير هذه الآية، وهما أن الهمزة إما مقدمة من تأخير، لأن لها الصدارة، والواو عاطفة على قوله فيما تقدم ﴿أو لم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون﴾ أو داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير: ألم يتفكروا ولم يروا.

قوله: ﴿**أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ**﴾ اللام للحكمة، أي حكمة خلقنا ذلك انتفاعهم. قوله: (**في جملة الناس**) أشار بذلك إلى أن هذه النعم ليست مقصورة عليهم، بل لهم ولغيرهم. قوله: ﴿**مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا**﴾ هذا كناية عن الحصر فيه سبحانه وتعالى، وهذا كقول الإنسان: كتبته بيدي مثلاً، بمعنى أني انفردت به ولم يشاركني فيه غيري، فهو كناية عرفية. قوله: ﴿**أَنْعَاماً**﴾ خصها بالذكر، لأن منافعها أكثر من غيرها. قوله: (**ضابطون**) أي قاهرون مذللون، والأحسن أن يفسر قوله: ﴿**مَالِكُونَ**﴾ بالملك الشرعي، أي يتصرفون فيها بسائر وجوه التصرفات الشرعية ليكون قوله: ﴿**وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ**﴾ تأسيساً لنعمة أخرى، لا تتميماً لما قبله. قوله: (**كأصوافها**) أي وجلودها ونسلها وغير ذلك. قوله: (**أو موضعه**) أي وهو الضروع. قوله: (**أي ما فعلوا ذلك**) أشار بذلك إلى أن الاستفهام انكاري، وأن قوله: ﴿**وَاتَّخَذُوا**﴾ إلخ، عطف على محذوف قوله: (**يعبدونها**) تفسير للاتخاذ.

قوله: ﴿**لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ**﴾ الجملة حالية، والمعنى حال كونهم راجين النصرة منهم. قوله: (**نزلوا منزلة العقلاء**) أي لمشاكلة عبادتهم، فعبر عنهم بصيغة جمع الذكور. قوله: ﴿**وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ**﴾ إلخ، ﴿**هُمْ**﴾ مبتدأ، و ﴿**جُنْدٌ**﴾ خبر أول، و ﴿**لَهُمْ**﴾ متعلق بجند، و ﴿**مُحْضَرُونَ**﴾ خبر ثان. قوله: (**أي آلهتهم من الأصنام**) هذا أحد وجهين، والآخر أنه عائد على الكفار، والمعنى: يقومون بمصالحها، فهم لها بمنزلة الجند، وهي لا تستطيع أن تنصرهم. قوله: ﴿**مُحْضَرُونَ**﴾(**في النار**) أي ليعذبوا بها. قوله: ﴿**فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ**﴾ هذا تسلية له ﷺ، والمعنى: لا تحزن من قولهم، بل اتركه ولا تلتفت له. قوله: ﴿**إِنَّا**

من ذلك وغيره فنجازيهم عليه ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ﴾ يعلم وهو العاصي بن وائل ﴿أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ مني إلى أن صيرناه شديداً قوياً ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ شديد الخصومة لنا ﴿مُبِينٌ﴾ ﴿٧٧﴾ بينها في نفي البعث ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ في ذلك ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ من المنيّ وهو أغرب من مثله ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ ﴿٧٨﴾ أي بالية، ولم يقل بالتاء لأنه اسم لا صفة، وروي أنه أخذ عظماً رميماً ففتته وقال للنبي ﷺ: أترى يحيي الله هذا بعدما بلي ورمّ؟ فقال ﷺ: «ويدخلك النار» ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ﴾ مخلوق ﴿عَلِيمٌ﴾ ﴿٧٩﴾ مجملاً ومفصلاً، قبل خلقه وبعد خلقه ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ﴾ في جملة الناس ﴿مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ﴾ المرخ والعفار أو كل شجر إلا العناب ﴿نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ ﴿٨٠﴾ تقدحون، وهذا دال على القدرة على البعث،

نَعْلَمُ﴾ إلخ، تعليل للنهي قبله. قوله: **(فيجازيهم عليه)** أي على ما صدر منهم سراً وعلانية، خيراً أو شراً.

قوله: **﴿أَوَ لَمْ يَرَ الإنْسَانُ﴾** في الهمزة التقريران السابقان، وهما كونها مقدمة من تأخير، أو عاطفة على محذوف؛ والتقدير: أعمي ولم ير؟ قوله: **(وهو العاصي بن وائل)** وقيل: نزلت في أبي بن خلف الجمحي، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. قوله: **﴿أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾** أي قذرة خسيسة؛ والمقصود التعجب من جهله، حيث تصدى لمخاصمة العزيز الجبار، ولم يتفكر في بدء خلقه، وانه من نطفة. قوله: **﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾** عطف على جملة النفي. قوله: **(في نفي البعث)** متعلق بخصيم.

قوله: **﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾** أي أورد كلاماً عجيباً في الغرابة كالمثل، حيث قاس قدرتنا على قدرة الخلق. قوله: **﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾** أي ذهل عنه، وهذا عطف على **﴿ضَرَبَ﴾** داخل حيز الإنكار، وإضافة خلق للضمير، من إضافة المصدر لمفعوله، أي خلق الله إياه. قوله: **﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ﴾** إلخ بيان لضرب المثل. قوله: **(ولم يقل بالتاء)** إلخ، أشار بذلك إلى سؤال حاصله أن فعيلاً بمعنى فاعل، يفرق بين المذكر والمؤنث بالتاء، فكان مقتضى القاعدة أن يقال رميمة، فأجاب المفسر: بأن محل ذلك إذا لم تغلب عليه الاسمية، فإذا صار اسماً بالغلبة لما بلي من العظام، فلا تلحقه التاء في مؤنثه. قوله: **(فقال ﷺ: نعم ويدخلك النار)** أخذ من هذا، أنه مقطوع بكفره وخلوده في النار، وزيادة ذلك في الجواب، لأنه متعنت لا متفهم، وجزاء المتعنت المنكر، أن يجاب بما يكره، وبضد ما يترقب، ويسمى عند علماء البلاغة الأسلوب الحكيم. قوله: **﴿الَّذِي أَنْشَأَهَا﴾** أي أوجدها من العدم. قوله: **﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾** أي بكيفية خلقها، وبأجزاء الأشخاص تفصيلاً.

قوله: **﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ﴾** إلخ، بدل من الموصول قبله. قوله: **(في جملة الناس)** أشار بذلك إلى أنه مخصصاً بالكفار، بل لجميع الخلق. قوله: **(المرخ)** بفتح الميم وسكون الراء وبالخاء المعجمة، شجر سريع القدح، وقوله: **(والعفار)** بفتح العين المهملة، بعدها فاء مفتوحة فألف فراء، وكيفية إيقاد النار منها، أن يجعل العفار كالزند، يضرب به على المرخ، وقيل: يؤخذ منها غصنان خضراوان، ويسحق المرخ على العفار، فتخرج منها النار بإذن الله. قوله: **(أو كل شجر)** أي وقد شوهد في بعضه كالبرسيم، إذا وضع

فإنه جمع فيه بين الماء والنار والخشب، فلا الماء يطفىء النار، ولا النار تحرق الخشب ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ مع عظمهما ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ أي الأناسي في الصغر؟ ﴿بَلَىٰ﴾ أي هو القادر على ذلك، أجاب نفسه ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ﴾ الكثير الخلق ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ ﴿٨١﴾ بكل شيء ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ﴾ شأنه ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا﴾ أي خلق شيء ﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ ﴿٨٢﴾ أي فهو يكون، وفي قراءة بالنصب عطفاً على يقول ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ﴾ ملك، زيدت الواو والتاء للمبالغة أي القدرة على ﴿كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٨٣﴾ تردون في الآخرة.

بعضه على بعض وهو أخضر مدة، فإنه يحرق نفسه وما حوله. قوله: **(إلا العناب)** أي ولذلك تؤخذ منه مطارق القصارين. قوله: **(والخشب)** بفتحتين وضمتين أو ضم فسكون.

قوله: **﴿أَوَ لَيْسَ الَّذِي﴾** الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، تقديره: أليس الذي أنشأها أول مرة، وليس الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً، وليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر؟ قوله: **(أي الأناسي)** تفسير للضمير. قوله: **﴿بَلَى﴾** جواب تقرير النفي، وهو صادر منه تعالى، إشارة إلى تعيينه قالوا أولاً. قوله: **﴿وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ﴾** عطف على مقدر تقديره بلى هو قادر وهو الخلاق العليم. قوله: **﴿أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ﴾** في الكلام استعارة تمثيلية، وتقريرها أن يقال: شبه سرعة تأثير قدرته ونفاذها فيما يريده، بأمر المطاع للمطيع، في حصول المأمور به، من غير امتناع ولا توقف، وحينئذ فمعنى أن يقول له كن، أن تتعلق به قدرته تعلقاً تنجيزياً.

قوله: **﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي﴾** إلخ، أي تنزيه عما يليق به. قوله: **(وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)** قرأ العامة ببنائه للمفعول، وقرىء شذوذاً ببنائه للفاعل.

تتمة: تقدم في فضل يس أنها قلب القرآن، ووجه ذلك: أنها اشتملت على الوحدانية والرسالة والحشر، والإيمان بذلك متعلق بالقلب، فلذلك سميت قلباً، ومن هنا امر بقراءتها عند المحتضر وعلى الميت، ليكون القلب قد اقبل على الله تعالى، ورجع عما سواه، فيقرأ عنده ما يزداد به قوة ويقيناً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

مكيّة
وآياتها اثنتان وثمانون ومائة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ (١) الملائكة تصف نفوسها في العبادة أو أجنحتها في الهواء، تنتظر ما تؤمر به ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ (٢) الملائكة تزجر السحاب أي تسوقه ﴿فَالتَّالِيَاتِ﴾ أي قراءة القرآن يتلونه ﴿ذِكْرًا﴾ (٣) مصدر من معنى التاليات ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ﴾ يا أهل

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الصافات مكية

وهي مائة واثنتان وثمانون آية

أي بالإجماع، وسميت باسم اول كلمة منها، من باب تسمية الشيء باسم بعضه، على حكم عادته سبحانه وتعالى في كتابه. قوله: ﴿**وَالصَّافَّاتِ**﴾ إلخ، والواو حرف قسم وجر، و ﴿**الصَّافَّاتِ**﴾ مقسم به مجرور، وما بعده عطف عليه، وقوله: ﴿**إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ**﴾ جواب القسم، وهو المقسم عليه، والمعنى: وحق الصافات، وحق الزاجرات، وحق التاليات، وإنما خص ما ذكر، لعظم قدرها عنده، ولا يعكر عليه ما ورد من النهي عن الحلف بغير الله، لأن النهي للمخلوق، حذراً من تعظيم غير الله، وأما هو سبحانه وتعالى، فيقسم ببعض مخلوقاته للتعظيم، كقوله: والشمس، والليل، والضحى، والنجم وغير ذلك. قوله: (**الملائكة تصف نفوسها**) إلخ، اشار بذلك إلى أن المفعول محذوف، إن قلت: إن التاء في الصافات وما بعدها للتأنيث، والملائكة منزهون عن الاتصاف بالأنوثة كالذكورة. أجيب: بأنها للتأنيث اللفظي، والمنزهون عنه التأنيث المعنوي، وقوله: (**الملائكة**) هو أحد أقوال في تفسير الصافات، وقيل: المراد المجاهدون، أو المصلون، أو الطير تصف أجنحتها. قوله: (**في العبادة**) أي في مقاماتها المعلومة. قوله: (**وأجنحتها في الهواء**) أي ومعنى صفها بسطها. قوله: (**تنتظر ما تؤمر به**) أي من صعود وهبوط.

قوله: ﴿**فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً**﴾ الفاء للترتيب باعتبار الوجود الخارجي، لأن مبدأ الصلاة الاصطفاف، ثم يعقبه زجر النفس، ثم يعقبه التلاوة، وهكذا ويحتمل أنها للترتيب في المزايا، ثم هو إما باعتبار الترقي: فالصافات ذوات فضل، فالزاجرات أفضل، فالتاليات أكثر فضلاً. أو باعتبار التدلي: فالصافات أعلى، ثم الزاجرات، ثم التاليات، وكل صحيح. قوله: (**الملائكة تزجر السحاب**) وقيل: المراد بهم العلماء تزجر العصاة. قوله: (**مصدر من معنى التاليات**) ويصح أن يكون مفعولاً للتاليات،

مكة ﴿لَوَٰحِدٌ﴾ ﴿٤﴾ ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ ﴿٥﴾ أي والمغارب للشمس، لها كل يوم مشرق ومغرب ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ ﴿٦﴾ أي بضوئها أو بها، والإضافة للبيان كقراءة تنوين زينة المبينة بالكواكب ﴿وَحِفْظًا﴾ منصوب بفعل مقدر، أي حفظناها بالشهب ﴿مِّن كُلِّ﴾ متعلق بالمقدر ﴿شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾ ﴿٧﴾ عاتٍ خارج عن الطاعة ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾ أي الشياطين مستأنف، وسماعهم هو في المعنى المحفوظ عنه ﴿إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ الملائكة في السماء،

والمراد بالذكر: القرآن وغيره من تسبيح وتحميد، والمراد بهم هنا، كل ذاكر من ملائكة وغيرهم.

قوله: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ﴾ إن قلت: ما حكمة ذكر القسم هنا، لأنه إن كان المقصود المؤمنين فلا حاجة له، لأنهم مصدقون ولو من غير قسم، وإن كان المقصود الكفار، فلا حاجة له أيضاً، لأنهم غير مصدقين على كل حال؟ أجيب: بأن المقصود منه، تأكيد الأدلة التي تقدم تفصيلها في سورة يس، ليزداد الذين آمنوا إيماناً، ويزداد الكافر طرداً وبعداً.

قوله: ﴿رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ إما بدل من واحد، أو خبر ثان، أو خبر لمحذوف. قوله: **(أي والمغارب)** أشار بذلك إلى أن في الآية اكتفاء على حد: سرابيل تقيكم الحر، وإنما اقتصر على المشارق، لأن نفعه أعم من الغروب، إن قلت: إنه تعالى جمع المشارق هنا، وحذف مقابله، وجمعهما في سأل، وثناهما في الرحمن، وأفردهما في المزمل، فما وجه الجمع بين هذه الآيات؟ أجيب: بأن الجمع باعتبار مشرق كل يوم ومغربه، لأن الشمس لها في السنة ثلاثمائة وستون مشرقاً، وثلاثمائة وستون مغرباً، فتشرق كل يوم من مشرق منها، وتغرب كل يوم في مقابله من تلك المغارب، والتثنية باعتبار مشرق الصيف ومشرق الشتاء ومغربهما، والإفراد باعتبار مشرق كل سنة ومغربها، وخص الجمع بهذه السور، لمناسبة جموع أولها.

قوله: ﴿السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾ أي القربى من الأرض. قوله: ﴿بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ اختلف العلماء، هل الكواكب في سماء الدنيا، أو ثوابت في العرش وضوؤها يصل لسماء الدنيا، لأن السماوات شفافة لا تحجب ما وراءها؟ قوله: **(بضوئها)** أي نورها، ولولاه لكانت السماء شديدة الظلمة عند غروب الشمس، وقوله: **(أو بها)** أي أن ذات الكواكب زينة لسماء الدنيا، فإن الإنسان إذا نظر إلى الليلة المظلمة إلى السماء، ورأى هذه الكواكب مشرقة على سطح أزرق، وجدها في غاية الزينة. قوله: **(المبينة بالكواكب)** أي فعلى قراءة التنوين مع جر الكواكب، تكون الكواكب عطفاً عليها، وبقي قراءة ثالثة سبعية وهي تنوين، ونصب الكواكب على أنه مفعول لمحذوف تقديره أعني الكواكب. قوله: **(بفعل مقدر)** أي معطوف على ﴿زَيَّنَّا﴾.

قوله: ﴿مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾ وكانوا لا يحجبون عن السماوات، وكانوا يدخلونها ويأتون بأخبارها، فيلقونها على الكهنة، فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام، منعوا من ثلاث سماوات، فلما ولد محمد عليه الصلاة والسلام، منعوا من السموات كلها، فما منهم أحد يريد استراق السمع، إلا رمي بشهاب، وهو الشعلة من النار، فلا يخطئه أبداً، فمنهم من يقتله، ومنهم من يحرق وجهه، ومنهم من يخبله فيصير غولاً يضل الناس في البراري. قوله: **(مستأنف)** أي لبيان حالهم بعد حفظ السماء منهم وما

وعدى السماع بإلى لتضمنه معنى الإصغاء، وفي قراءة بتشديد الميم والسين، أصله يتسمعون، أدغمت التاء في السين ﴿وَيُقْذَفُونَ﴾ أي الشياطين بالشهب ﴿مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ ﴿٨﴾ من آفاق السماء ﴿دُحُورًا﴾ مصدر دحره أي طرده وأبعده، وهو مفعول له ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ ﴿٩﴾ دائم ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ مصدر أي المرَّة والاستثناء من ضمير يسمعون، أي لا يسمع إلا الشيطان الذي سمع الكلمة من الملائكة فأخذها بسرعة ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ﴾ كوكب مضيء ﴿ثَاقِبٌ﴾ ﴿١٠﴾ يثقبه أو يحرقه أو يخبله ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾ استخبر كفار مكة تقريراً أو توبيخاً ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا﴾ من الملائكة والسماوات والأرضين وما فيهما، وفي الإتيان بمن تغليب العقلاء ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم﴾ أي أصلهم آدم ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ ﴿١١﴾ لازم يلصق باليد، المعنى

يعتريهم من العذاب. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: **(أدغمت التاء في السين)** أي بعد قلبها سيناً وإسكانها. قوله: **(من آفاق السماء)** أي نواحيها وجهاتها. قوله: **(والاستثناء من ضمير يسمعون)** أي و (من) في محل رفع بدل من الواو، أو في محل نصب على الاستثناء، والاستثناء على كلٍ متصل، ويجوز أن تكون (من) شرطية، وجوابها **﴿فَأَتْبَعَهُ﴾** أو موصولة مبتدأ، وخبرها **﴿فَأَتْبَعَهُ﴾** وهو استثناء منقطع كقوله تعالى: **﴿لست عليهم بمسيطر إلا من تولى وكفر﴾**.

﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ إن قلت: تقدم أن الكواكب ثابتة في السماء أو في العرش زينة، ومقتضى كونها رجوماً للشياطين، أنها تنفصل وتزول، فكيف الجمع بين ذلك؟ أجيب: بأنه ليس المراد أن الشياطين يرجمون بذات الكواكب، بل تنفصل منها شهب تنزل على الشياطين، والكواكب باقية بحالها. إن قلت: إن الشياطين خلقوا من النار، فكيف يحترقون؟ أجيب: بأن الأقوى يحرق الأضعف، كالحديد يقطع بعضه بعضاً. إن قلت: إذا كان الشيطان يعلم أنه لا يصل لمقصوده بل يصاب، فكيف يعود مرة أخرى؟ أجيب: بأنه يرجو وصوله لمقصوده وسلامته، كراكب البحر، فإنه يشاهد الغرق، المرة بعد المرة، ويعود طمعاً في السلامة. قوله: **(يثقبه)** أي بحيث يموت من ثقبه، وقوله: **(أو يحرقه)** أي ويموت أيضاً، وأو في كلام المفسر للتنويع، وهو لا ينافي وصف الشهاب بالثاقب، لأن معنى الثاقب المضيء، أي الذي يثقب الظلام، خلافاً لما يوهمه المفسر. قوله: **(أو يخبله)** الخبل بسكون الباء وفتحها، الجنون والبله، ويطلق أيضاً على من فسدت أعضاؤه.

قوله: **﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾** إلخ، المقصود من هذا الكلام، الرد على منكري البعث، حيث ادعوا أنه مستحيل، وحاصل الرد، أن يقال لهم: إن استحالته التي تدعونها، إما لعدم المادة، وهو مردود بأن غاية الأمر تصير الأجزاء تراباً، وهو قادر على أن ينزل عليه ماء فيصير طيناً، وقد خلق آباهم آدم من طين، أو لعدم القدرة وهو مردود، بأن القادر على هذه الأشياء العظام من السموات الأرض وغيرهما، قادر على اعادتهم ثانياً، وقدرته ذاتية لا تتغير، فهذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها﴾ إلخ. قوله: **﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً﴾** أي أقوى خلقاً، أو أصعب أو أشق إيجاداً. قوله: **﴿أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾** قرأ العامة بتشديد الميم، وقرىء شذوذاً بفتحها، وهو استفهام ثان، و **﴿مِنْ﴾** مبتدأ خبر محذوف دل عليه ما قبله أي **﴿أَشَدُّ خَلْقاً﴾**. قوله: **﴿لاَزِبٍ﴾** من باب دخل، وقوله: **(يلصق باليد)** أي أنه لضعفه لا قوام له

أن خلقهم ضعيف فلا يتكبروا، بإنكار النبي والقرآن المؤدِّي إلى هلاكهم اليسير ﴿بَلْ﴾ للانتقال من غرض إلى آخر، وهو الإخبار بحاله وحالهم ﴿عَجِبْتَ﴾ بفتح التاء خطاباً للنبي ﷺ، أي من تكذيبهم إياك ﴿وَ﴾ هم ﴿يَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ من تعجبك ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا﴾ وعظوا بالقرآن ﴿لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾﴾ لا يتعظون ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً﴾ كانشقاق القمر ﴿يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ يستهزئون بها ﴿وَقَالُوا﴾ فيها ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ بيِّن، وقالوا منكرين البعث ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾﴾ في الهمزتين في الموضعين التحقيق وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾﴾ بسكون الواو عطفاً بأو، وبفتحها والهمزة للاستفهام، والعطف بالواو والمعطوف عليه محل إن واسمها أو الضمير في لمبعوثون، والفاصل همزة الاستفهام ﴿قُلْ نَعَمْ﴾ تبعثون ﴿وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ صاغرون ﴿فَإِنَّمَا هِيَ﴾ ضميره مبهم

بنفسه. قوله: (**المعنى أن خلقهم**) إلخ، التفت المفسر إلى أنه توبيخ لهم على التكبر والعناد الذي منه إنكار البعث.

قوله: ﴿**بَلْ عَجِبْتَ**﴾ إضراب عن الأمر بالاستفتاء كأنه قال: لا تستفتهم فإنهم جاهلون معاندون، لا منفعة في استفتائهم، بل انظر إلى حالك وحالهم، والمقصود منه تسليته ﷺ قوله: (**بفتح التاء**) أي وبضمها، قراءتان سبعيتان، وعلى الضم فالمتعجب الله تعالى، ومعناه في حقه الغضب والمؤاخذة على حد﴿**ومكروا ومكر الله**﴾ والمعنى يجازيهم على تكذيبهم إياك، وقد يطلق التعجب في حق الله تعالى على الرضا والمحبة كما في الحديث: «عجب ربك من شاب ليس له صبوة». قوله: ﴿**وَ**﴾(**هُمْ**) ﴿**يَسْتَسْخِرُونَ**﴾(**من تعجبك**) أي أو من تعجبي، أي غضبي عليهم ومجازاتي لهم على كفرهم. قوله: (**لا يتعظون**) أي لقيام الغفلة بهم.

قوله: ﴿**أئِذَا مِتْنَا**﴾ إلخ، أصل الكلام: أنبعث إذا متنا، وكنا تراباً وعظاماً؟ قدموا الظرف، وكرروا الهمزة، وأخروا العامل، وعدلوا به إلى الجملة الاسمية، لقصد الدوام والاستمرار، إشعاراً بأنهم مبالغون في الإنكار. قوله: (**وادخال ألف بينهما**) أي وتركه، فالقراءات أربع في كل موضع، وبقي قراءتان سبعيتان أيضاً: الأولى بألفين، والثانية بواحدة، والعكس، وبسط تلك القراءات يعلم من كتبها. قوله: (**وبفتحها**) أي والقراءتان سبعيتان هنا، وفي الواقعة، وتقدم في الأعراف﴿**أو أمن أهل القرى**﴾. قوله: (**للاستفهام**) أي الإنكاري. قوله: (**أو الضمير في لمبعوثون**) أي على القراءة الثانية، فيكون مبعوثون عاملاً فيه أيضاً، إن قلت: إن ما بعد همزة الاستفهام، لا يعمل فيه ما قبلها، فكان الأولى أن يجعل مبتدأ خبره محذوف تقديره أو آباؤنا يبعثون. أجيب: بأنها مؤكدة للأولى، لا مقصودة بالاستقبال، فالعبرة بتقديم المؤكد لا المؤكد. قوله: (**والفاصل**) أي بين المعطوف عليه، وهو ضمير الرفع المستتر، وبين المعطوف وهو ﴿**آبَاؤُنَا**﴾، فتحصل أنه على قراءة سكون الواو، ويتعين العطف على محل إن واسمها لا غير، وعلى قراءة فتحها يجوز هذا الوجه، ويجوز كونه معطوفاً على الضمير المستتر في ﴿**لَمَبْعُوثُونَ**﴾ ويكفي الفصل بهمزة الاستفهام، على حد قول ابن مالك، أو فاصل ما. قوله: ﴿**وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ**﴾ الجملة

يفسره ﴿زَجۡرَةٞ﴾ أي صيحة ﴿وَٰحِدَةٞ فَإِذَا هُمۡ﴾ أي الخلائق أحياء ﴿يَنظُرُونَ ﴾ ⁽١٩⁾ ما يفعل بهم ﴿وَقَالُواْ ﴾ أي الكفار ﴿يا﴾ للتنبيه ﴿ وَيۡلَنَا﴾ هلاكنا وهو مصدر لا فعل له من لفظه، وتقول لهم الملائكة ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ ⁽٢٠⁾ أي الحساب والجزاء ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ﴾ بين الخلائق ﴿ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ ⁽٢١⁾ ويقال للملائكة ﴿ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ أنفسهم بالشرك ﴿ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ ﴾ قرناءهم من الشياطين ﴿ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴾ ⁽٢٢⁾ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره من الأوثان ﴿ فَٱهۡدُوهُمۡ ﴾ دلوهم وسوقوهم ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ ⁽٢٣⁾ طريق النار ﴿ وَقِفُوهُمۡۖ ﴾ احبسوهم عند الصراط ﴿ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ﴾ ⁽٢٤⁾ عن جميع أقوالهم وأفعالهم، ويقال لهم توبيخاً ﴿مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾ ⁽٢٥⁾ لا ينصر بعضكم بعضاً كحالكم في الدنيا، ويقال عنهم ﴿بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ ﴾ ⁽٢٦⁾ منقادون أذلاء ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ﴾ ⁽٢٧⁾ يتلاومون ويتخاصمون ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي الأتباع منهم للمتبوعين ﴿إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ﴾ ⁽٢٨⁾ عن الجهة

حالية، والعامل فيها معنى ﴿نَعَمْ﴾ كأنه قيل (تبعثون) والحال أنكم صاغرون لخروجهم من قبورهم، حاملين أوزارهم على ظهورهم.

قوله: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ﴾ إلخ، هذه الجملة جواب شرط مقدر، أو تعليل لنهي مقدر تقديره إذا كان الأمر كذلك فإنما هي إلخ، أو لا تستصعبوه فإنما هي إلخ. قوله: **(أي صيحة)** ﴿وَاحِدَةٌ﴾ أي وهي النفخة الثانية. قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ أي ينتظرون. قوله: **(لا فعل له من لفظه)** أي بل من معناه وهو هلك. قوله: **(وتقول لهم الملائكة)** أشار بذلك إلى أن الوقف تم عند قوله: ﴿يَا وَيْلَنَا﴾ وما بعده كلام مستقبل، وهذا أحد احتمالات، ويحتمل أنه من كلام بعضهم لبعض، ويحتمل أنه من كلام الله تعالى تبكيتاً لهم، ويحتمل أنه من كلام المؤمنين لهم.

قوله: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي من مقامهم إلى الموقف، أو من الموقف إلى النار. قوله: **(قرناءهم من الشياطين)** هذا أحد أقوال، وقيل: المراد أزواجهم نساؤهم اللاتي على دينهم، وقيل: أشباههم وأخلاؤهم من الإنس، لأن زوج الشيء على مقاربه ومجانسه، فيقال لمجموع فردتي الخف، ولإحداهما زوج. قوله: **(من الأوثان)** أي كالأصنام والشمس والقمر. قوله: ﴿إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾ بكسر الهمزة في قراءة العام على الاستئناف، وفي معنى التعليل، وقرىء بفتحها على حذف لام العلة، والمعنى قفوهم لأجل سؤال الله إياهم. قوله: **(عن جميع أقوالهم وأفعالهم)** أي لما في الحديث: «لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن شبابه فيما أبلاه، وعن عمره فيما أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به». قوله: **(ويقال لهم)** أي والقائل خزنة جهنم. قوله: **(كحالكم في الدنيا)** تشبيه في المنفي. قوله: **(ويقال عنهم)** أي في شأنهم على سبيل التوبيخ.

قوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ﴾ أي بعض الكفار يوم القيامة؛ وهذا بمعنى ما تقدم في سورة سبأ في قوله: **﴿ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول﴾**. قوله: **(يتلاومون ويتخاصمون)** أي يلوم بعضهم بعضاً، ويخاصم بعضهم بعضاً، كما قال تعالى في شأنهم **﴿كلما دخلت أمة**

التي كنا نأمنكم منها، لحلفكم أنكم على الحق فصدقناكم واتبعناكم، المعنى إنكم أضللتمونا ﴿قَالُواْ﴾ أي المتبوعون لهم ﴿بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾﴾ وإنما يصدق الأضلال منا أن لو كنتم مؤمنين فرجعتم عن الإيمان إلينا ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ﴾ قوّة وقدرة نقهركم على متابعتنا ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾﴾ ضالين مثلنا ﴿فَحَقَّ﴾ وجب ﴿عَلَيْنَا﴾ جميعاً ﴿قَوْلُ رَبِّنَآ﴾ بالعذاب أي قوله (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) ﴿إِنَّا﴾ جميعاً ﴿لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾﴾ العذاب بذلك القول ونشأ عنه قولهم ﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ﴾ المعلل بقولهم ﴿إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾﴾ قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ أي لاشتراكهم في الغواية ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما نفعل بهؤلاء ﴿نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾﴾ غير هؤلاء، أي نعذبهم التابع منهم والمتبوع ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي هؤلاء بقرينة ما بعده ﴿كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا﴾ في همزتيه ما تقدم ﴿لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾﴾ أي لأجل قول محمد، قال تعالى: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ

لعنت أختها﴾ بخلاف تساؤل المؤمنين في الجنة، فهو شكر وتحدث بنعم الله عليهم. قوله: ﴿عَنِ الْيَمِينِ﴾ يطلق على الحلف والجارحة المعلومة والقوة والدين والخير، والآية محتملة لتلك المعاني، والمفسر اختار الأول، وعليه فعن بمعنى من، والمعنى: كنتم تأتوننا من الجهة التي كنا نأمنكم منها؛ فتلك الجهة مصورة بحلفكم أنكم على الحق؛ إلخ. قوله: **(المعنى أنكم أضللتمونا)** هذا المعنى هو المراد على جميع الاحتمالات، لا على ما قاله المفسر فقط.

قوله: **﴿قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾** إلخ، أجابوا بأجوبة خمسة آخرها **﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾** والمعنى إنكم لم تتصفوا بالإيمان في حال من الأحوال. قوله: **(إن لو كنتم مؤمنين)** أي إن لو اتصفتم بالإيمان. قوله: **(فرجعتم عن الإيمان إلينا)** أي بإضلالنا وإغوائنا، كأنهم قالوا لهم: إن من آمن لا يطيعنا لثبات الإيمان في قلبه، فلو حصل منكم الإيمان لما أطعتمونا. قوله: **﴿قَوْلُ رَبِّنَا﴾** أي وعيده، ومفعول القول محذوف قدره بقوله: **﴿لأملأن جهنم﴾** إلخ. قوله: **﴿إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾** إخبار منهم عن جميع الرؤساء والأتباع بإذاقة العذاب.

قوله: **﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ﴾** أي تسببنا لكم في الغواية من غير إكراه، فلا ينافي ما قبله. قوله: **﴿إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾** أي فأحببنا لكم ما قام بأنفسنا، لأن من كان متصفاً بصفة شنيعة، يجب أن يتصف بها غيره، لتهون المصيبة عليه. قوله: **(يوم القيامة)** أي حين التحاور والتخاصم. قوله: **(كما يفعل بهؤلاء)** أي عبدة الأصنام، وقوله: **(غير هؤلاء)** أي كالنصارى واليهود. قوله: **﴿إِنَّهُمْ كَانُوا﴾** إلخ، أي عبدة الأصنام، وسبب ذلك: أن النبي ﷺ دخل على أبي طالب عند موته، وقريش مجتمعون عنده فقال: قولوا لا إله إلا الله، تملكوا بها العرب، وتدين لكم بها العجم، فأبوا وأنفوا من ذلك وقالوا: **﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا﴾** إلخ. قوله: **﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾** أي يتكبرون عن قولها، وعن من يدعوهم إليها. قوله: **(في همزتيه ما تقدم)** أي من التحقيق فيهما، وتسهيل الثانية، بألف ودونها، فالقراءات أربع. قوله: **﴿لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا﴾** من اضافة اسم الفاعل لمفعوله، أي لتاركون آلهتنا، والمعنى لتاركون عبادتها. قوله: **﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ﴾** إلخ،

﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿٣٧﴾ الجائين به وهو أن لا إله إلا الله ﴿إِنَّكُمْ﴾ فيه التفات ﴿لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ ﴿٤٠﴾ أي المؤمنين استثناء منقطع أي ذكر جزاؤهم في قوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الخ ﴿لَهُمْ﴾ في الجنة ﴿رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ ﴿٤١﴾ بكرة وعشياً ﴿فَوَٰكِهُ﴾ بدل أو بيان للرزق، وهو ما يؤكل تلذذاً لا لحفظ صحة، لأن أهل الجنة مستغنون عن حفظها بخلق أجسادهم للأبد ﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾ ﴿٤٢﴾ بثواب الله سبحانه وتعالى ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ ﴿٤٤﴾ لا يرى بعضهم قفا بعض ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم﴾ على كل منهم ﴿بِكَأْسٍ﴾ هو الإناء بشرابه ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾ ﴿٤٥﴾ من خمر يجري على وجه الأرض كأنهار الماء ﴿بَيْضَآءَ﴾ أشد بياضاً من اللبن ﴿لَذَّةٍ﴾ لذيذة ﴿لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ بخلاف خمر الدنيا فإنها كريهة عند الشرب ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ ما يغتال عقولهم ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ ﴿٤٧﴾ بفتح الزاي وكسرها

رد عليهم بأن ما جاء به من التوحيد حق، موافق فيه المرسلين قبله. قوله: **(فيه التفات)** أي من الغيبة إلى الخطاب، زيادة في التقبيح عليهم. قوله: **﴿إلاَّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** أي فالشر يكون جزاؤه بقدره، بخلاف الخير، فجزاؤه بأضعاف مضاعفة. قوله: **(استثناء منقطع)** أي من الواو في **﴿تُجْزَوْنَ﴾**.

قوله: **﴿أولئِكَ﴾** أي عباد الله المخلصين. قوله: **(إلى آخره)** أي وهو قوله: **﴿كَأَنَّهن بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾**. قوله: **﴿لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾** أي أوقاته وصفاته، فلا ينافي آية ﴿يرزقون فيها بغير حساب﴾ فإن المراد غير **معلوم** المقدار. قوله: **(بدل)** أي كل من كل، لأن جميع ما يؤكل في الجنة، إنما هو على سبيل التفكه والتلذذ، فلا فرق بين الرزق والفواكه. قوله: **(لا لحفظ صحة)** المناسب أن يقول: لا لحفظ بنية. قوله: **(بخلق أجسادهم للأبد)** أي فهم يدومون بدوام الله، لا يفنون أبداً. قوله: **﴿وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾** أي معظمون مبجلون بالتحية وبالكلام اللين. قوله: **﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾** إما متعلق بمكرمون، أو خبر ثان، أو حال. قوله: **﴿عَلَى سُرُرٍ﴾** قال ابن عباس: على سرر مكللة بالدر والياقوت والزبرجد، والسرير ما بين صنعاء إلى الجابية، وما بين عدن إلى إيليا. قوله: **﴿مُتَقَابِلِينَ﴾** أي تواصلاً وتحابياً، وقيل: الأسرة تدور كيف شاؤوا، فلا يرى أحداً قفا أحد.

قوله: **﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ﴾** أي والطائف الولدان كما في آية ﴿يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين﴾. قوله: **(هو الإناء بشرابه)** أي فإن لم يكن فيه شراب، فإنه يسمى قدحاً، ويطلق الكأس على الخمر نفسه، من باب تسمية الشيء باسم محله. قوله: **﴿مِنْ مَعِينٍ﴾** أي ظاهر العيون، أو خارج من العيون، فعلى الأول اسم مفعول كمبيع، وعلى الثاني اسم فاعل من عان بمعنى نبع، وصف به خمر الجنة، لأنه يجري كالماء النابع.

قوله: **﴿بَيْضَاءَ﴾** إما صفة لكأس أو للخمر. قوله: **﴿لَذَّةٍ﴾** إما صفة مشبهة، كصعب وسهل، فتكون مشتقة، فالوصف بها ظاهر، أو مصدر فالوصف بها مبالغة، أو على حذف مضاف أي ذات لذة. قوله: **(ما يغتال عقولهم)** أي يفسدها، وقيل: الغول صداع في الرأس، وعليه فيكون ما بعده تأسيساً. قوله: **﴿وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾** عن سببية، أي ولا هم ينزفون بسببها. قوله: **(بفتح الزاي)** أي مع ضم

من نزف الشارب وأنزف أي يسكرون، بخلاف خمر الدنيا ﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ ﴾ حابسات الأعين على أزواجهن، لا ينظرن إلى غيرهم لحسنهم عندهنَّ ﴿عِينٌ﴾ ﴿٤٨﴾ ضخام الأعين حسانها ﴿كَأَنَّهُنَّ﴾ في اللون ﴿ بَيْضٌ﴾ للنعام ﴿مَّكْنُونٌ﴾ ﴿٤٩﴾ مستور بريشه، لا يصل إليه غبار ولونه وهو البياض في صفرة أحسن ألوان النساء ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ﴾ بعض أهل الجنة ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ عما مر بهم في الدنيا ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴾ ﴿٥١﴾ صاحب ينكر البعث ﴿ يَقُولُ﴾ لي تبكيتاً ﴿أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ ﴿٥٢﴾ بالبعث ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا ﴾ في الهمزتين في الثلاثة مواضع ما تقدم ﴿لَمَدِينُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ مجزيون ومحاسبون؟ أنكر ذلك أيضاً ﴿قَالَ﴾ ذلك القائل لإخوانه ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴾ ﴿٥٤﴾ معي إلى النار لننظر حاله؟ فيقولون: لا ﴿ فَٱطَّلَعَ﴾ ذلك القائل من بعض كوى الجنة ﴿فَرَءَاهُ﴾ أي رأى قرينه ﴿فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ ﴿٥٥﴾ أي وسط النار ﴿ قَالَ ﴾ له تشميتاً ﴿تَٱللَّهِ إِن﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كِدتَّ﴾ قاربت ﴿ لَتُرْدِينِ ﴾ ﴿٥٦﴾ لتهلكني بإغوائك ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى ﴾ عليَّ بالإيمان ﴿ لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ ﴿٥٧﴾ معك في النار. ويقول أهل الجنة ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ أي التي في الدنيا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ ﴿٥٩﴾

الياء، فهو مبني للمفعول، وقوله: **(وكسرها)** أي مع ضم الياء أيضاً، فهو مبني للفاعل قراءتان سبعيتان، وقرىء شذوذاً بالفتح والكسر وبالفتح والضم. قوله: (**من نزف الشارب**) إلخ، أي فهو مأخوذ من الثلاثي أو الرباعي، والقراءتان السبعيتان على مقتضى أخذه من الرباعي فتدبر. قوله: **﴿عِينٌ﴾** جمع عيناء، وهي الواسعة العين اتساعاً غير مفرط، بل مع الحسن والجمال قوله: **﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾** شبهن هنا ببيض النعام، وفي سورة الواقعة باللؤلؤ المكنون لصفائه، وكون بياضه مشوباً ببعض صفرة مع لمعان، لأن هذه الأوصاف جمال أهل الجنة. قوله: **(عما مر بهم في الدنيا)** أي من الفضائل والمعارف، وما عملوه في الدنيا.

قوله: **﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾** أي من أهل الجنة لإخوانه في الجنة، وهذا من جملة ما يتحدثون به. قوله: **(تبكيتاً)** أي توبيخاً على عدم إنكار البعث. قوله: **(ما تقدم)** أي من القراءات الأربع، وهي تحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية بإدخال ألف وتركه. قوله: **(مجزيون)** أي فهو من الدين بمعنى الجزاء. قوله: **(أنكر ذلك)** أي الجزاء والحساب، وقوله: **(أيضاً)** أي كما أنكر البعث. قوله: **(لإخوانه)** أي من أهل الجنة. قوله: **(من بعض كوى الجنة)** بضم الكاف مع القصر، وبكسرها مع القصر والمد، جمع كوة بفتح الكاف وضمها أي طبقاتها. قوله: **(تشميتاً)** أي فرحاً بمصيبته، لأن الله نزع رحمة الكفار من قلوب المؤمنين. قوله: **(مخففة من الثقيلة)** أي واللام فارقة، ويصح أن تكون نافية، واللام بمعنى إلا، وعلى كل، فهي جواب القسم.

قوله: **﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾** الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه تقديره: أنحن مخلدون ومنعمون؟ فما نحن بميتين، إلخ. قوله: **﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا الأُولَى﴾** **﴿إلَّا﴾** أداة حصر، و **﴿مَوْتَتَنَا﴾** منصوب على المصدر، والعامل فيه قوله ميتين، ويكون استثناء مفرغاً، وهو بمعنى قوله تعالى: ﴿لا يذوقون فيها

هو استفهام تلذذ وتحدث بنعمة الله تعالى من تأبيد الحياة وعدم التعذيب ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي ذكر لأهل الجنة ﴿لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ ﴿٦١﴾ قيل يقال لهم ذلك، وقيل هم يقولونه ﴿أَذَٰلِكَ﴾ المذكور لهم ﴿خَيْرٌ نُّزُلًا﴾ وهو ما يعد للنازل من ضيف وغيره ﴿أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ ﴿٦٢﴾ المعدة لأهل النار، وهي من أخبث الشجر المرّ بتهامة، ينبتها الله في الجحيم كما سيأتي ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا﴾ بذلك ﴿فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿٦٣﴾ أي الكافرين من أهل مكة إذ قالوا: النار تحرق الشجر فكيف تنبته؟ ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾ ﴿٦٤﴾ أي قعر جهنم وأغصانها

الموت إلا الموتة الأولى﴾. قوله: (**هو استفهام تلذذ**) أي فهو من كلام بعضهم لبعض، وقيل: من كلام المؤمنين للملائكة حين يذبح الموت، ويقال: يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت. قوله: (**من تأبيد الحياة**) إلخ، لف ونشر مرتب. قوله: (**الذي ذكر لأهل الجنة**) أي من قوله: ﴿**أولئك لهم رزق معلوم**﴾ إلخ. قوله: ﴿**لِمِثْلِ هٰذَا**﴾ أي لا للحظوظ الدنيوية الفانية التي تزول ولا تبقى. قوله: ﴿**فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ**﴾ أي ليجتهد المجتهدون في الأعمال الصالحة، فإن جزاءها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فإذا كان كذلك، فلو أفنى الإنسان عمره في خدمة ربه، ولم يشتغل بشيء سواها، لكان ذلك قليلاً بالنسبة لما يلقاه من النعيم الدائم، جعلنا الله من أهله بمنه وكرمه. قوله: (**قيل يقال لهم ذلك**) أي ما ذكر من الجملتين من قبل الله تعالى، وقوله: (**وقيل هم يقولونه**) أي يقول بعضهم لبعض، ويبعد كلاً من الاحتمالين. قوله: ﴿**فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ**﴾ فإن العمل والترغيب فيه، إنما يكون في الدنيا، فالأولى أنه جملة مستأنفة من كلام الله تعالى، ترغيباً للمكلفين في عمل الطاعات.

قوله: ﴿**أَذٰلِكَ**﴾ معمول لمحذوف تقديره: قل يا محمد لقومك، على سبيل التوبيخ والتبكيت ﴿**أَذٰلِكَ خَيْرٌ**﴾ إلخ. قوله: (**المذكور لهم**) أي لأهل الجنة من قوله: ﴿**أولئك لهم رزق معلوم**﴾ إلخ. قوله: ﴿**نُزُلًا**﴾ تمييز لخير، وقوله: ﴿**أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ**﴾ ﴿**أَمْ**﴾ حرف عطف، و ﴿**شَجَرَةُ الزَّقُّومِ**﴾ معطوف على اسم الإشارة، وهو مبتدأ حذف خبره لدلالة ما قبله عليه، والتقدير أم شجرة الزقوم خير نزلاً. والتعبير بخير، و ﴿**نُزُلًا**﴾ تهكم بهم وللمشاكلة. قوله: (**من ضيف وغيره**) الضيف من يأتي بدعوة، وغيره من يأتي زائراً للمحبة والألفة، وربما كان أعز من الضيف. قوله: ﴿**أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ**﴾ من التزقم، وهو البلع بشدة وإكراه للأشياء الكريهة، سميت بذلك، لأن أهل النار يكرهون على الأكل منها، وهي شجرة مسمومة، متى مست جسد أحد تورم فمات، وهي خبيثة مرة كريهة الطعم. قوله: (**وهي من أخبث الشجر**) أي وهي صغيرة الورق منتنة.

قوله: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهَا**﴾(**بذلك**) أي بسبب إخبار الله تعالى بذلك. قوله: ﴿**فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ**﴾ أي امتحاناً واختباراً، هل يصدقون أم لا؟ قوله: (**إذ قالوا النار تحرق الشجر فكيف تنبته**) أي ولم يعلموا أن القادر لا يعجزه شيء. قوله: ﴿**تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ**﴾ أي تنبت في أسفلها. قوله: (**إلى دركاتها**) أي منازلها، وذلك نظير شجرة طوبى لأهل الجنة، فإن أصلها في عليين، وما من بيت في الجنة إلا وفيه غصن منها.

ترتفع إلى دركاتها ﴿طَلْعُهَا﴾ المشبه بطلع النخل ﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٦٥﴾ أي الحيات القبيحة المنظر ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ أي الكفار ﴿لَآكِلُونَ مِنْهَا﴾ مع قبحها لشدَّة جوعهم ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ۝٦٦﴾ ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ۝٦٧﴾ أي ماء حار يشربونه فيختلط بالمأكول منها فيصير شوباً له ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ۝٦٨﴾ يفيد أنهم يخرجون منها لشرب الحميم وأنه خارجها ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟﴾ وجدوا ﴿ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ۝٦٩﴾ ﴿فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ۝٧٠﴾ يزعجون إلى اتباعهم فيسرعون إليه ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٧١﴾ من الأمم الماضية ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ۝٧٢﴾ من الرسل مخوفين ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ۝٧٣﴾ الكافرين، أي عاقبتهم العذاب ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٧٤﴾ أي المؤمنين، فإنهم نجوا من العذاب لإخلاصهم في العبادة، أو لأن الله أخلصهم لها على قراءة فتح اللام ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ﴾ بقوله: رب إني

قوله: ﴿طَلْعُهَا﴾ الطلع في الأصل، اسم لثمر النخل أول بروزه، فتسميته طلعاً تهكم بهم. قوله: **(أي الحياة القبيحة المنظر)** أي ووجه الشبه الشناعة والسم في كل، وما مشى عليه المفسر أحد أقوال ثلاثة، وقيل: شبه طلعها برؤوس الشياطين حقيقة، ووجه الشبه القباحة ونفور النفس من كل، لكن يرد عليه أنه تشبيه بغير معلوم للمخاطبين، وأجيب: بأن الشيطان وإن كان غير معلوم في الخارج، فهو معروف في الأذهان والخيالات، كالغول فإنه مرسوم في خيال كل أحد بصورة قبيحة، وقيل: الشياطين شجر في البادية معروف للمخاطبين. قوله: **(لشدة جوعهم)** أي ولقهرهم على الأكل منها زيادة في عذابهم.

قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا﴾ أي على ما يأكلونه منها، إذا شبعوا وغلبهم العطش. قوله: ﴿لَشوباً﴾ بفتح الشين في قراءة العامة مصدر على أصله، وقرىء شذوذاً بضم الشين اسم بمعنى المشوب. قوله: **(يفيد أنهم يخرجون منها)** هذا أحد قولين، والآخر وهو قول الجمهور، أنهم لا يخرجون أصلاً، لقوله تعالى: ﴿وما هم بخارجين منها﴾ وحينئذ فالمعنى أنه ينوع عذابهم وهم في النار، فتارة يكون عذابهم بأكل الزقوم، وتارة بشرب الحميم، وتارة بالزمهرير، وغير ذلك من أنواع العذاب، فإذا كانوا مشغولين بأكل الزقوم وفرغوا منه، يردون إلى الاشتغال بعذاب غيره، والحال أنهم في النار لا يخرجون منها، ويمكن التوفيق بين القولين، بأن يحمل القول بأنه خارجها، وعلى أنه في محل خارج عن المحل الذي يعذبون فيه، وليس المراد أنه خارج النار بالكلية، لمعارضته صريح النص؛ فيخرجون إلى ذلك المحل للأكل والشرب، ثم يردون إلى محل العذاب الذي كانوا فيه أولاً.

قوله: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ﴾ هذا تعليل لاستحقاقهم العذاب، والمعنى: أن سبب استحقاقهم للعذاب، تقليد آبائهم في الضلال، في غير شيء يتمسكون به سوى التقليد. قوله: ﴿يُهْرَعُونَ﴾ أي من غير تأمل ولا تدبر. قوله: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾ إلخ اللام فيه وفيما بعده موطئة لقسم حذوف، وكل من الجملتين سبق لتسليته ﷺ. قوله: ﴿فَانْظُرْ﴾ خطاب للنبي أو لكل من يتأتى منه النظر. قوله: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللهِ﴾ استثناء منقطع، لأن ما قبله وعيد، وهم لم يدخلوا فيه. قوله: **(لاخلاصهم في العبادة)** أي على قراءة كسر اللام. قوله: **(على قراءة فتح اللام)** أي والقراءتان سبعيتان.

مغلوب فانتصر ﴿فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ له نحن، أي دعانا على قومه فأهلكناهم بالغرق ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ ﴿٧٦﴾ أي الغرق ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ ﴿٧٧﴾ فالناس كلهم من نسله عليه السلام، وكان له ثلاثة أولاد: سام وهو أبو العرب وفارس والروم، وحام وهو أبو السودان، ويافث أبو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك ﴿وَتَرَكْنَا﴾ أبقينا ﴿عَلَيْهِ﴾ ثناء حسناً ﴿فِى ٱلْآخِرِينَ﴾ ﴿٧٨﴾ من الأنبياء والأمم إلى يوم القيامة ﴿سَلَٰمٌ﴾ منا ﴿عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٨٠﴾ ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٨١﴾ ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ﴾ ﴿٨٢﴾ كفار قومه ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ﴾ أي ممن تبعه في أصل الدين

قوله: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ﴾ شروع في تفصيل ما أجمله في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ وقد ذكر في هذه السورة سبع قصص: قصة نوح، وقصة إبراهيم، وقصة الذبيح، وقصة موسى وهرون، وقصة الياس، وقصة لوط، وقصة يونس، وذلك تسلية له ﷺ وتحذير لمن كفر من أمته. قوله: **(ربي إني مغلوب)** أي مقهور، وقوله: **(فانتصر)** أي انتقم منهم. قوله: ﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ الواو للتعظيم، وقوله: **(نحن)** هو المخصوص بالمدح. قوله: ﴿وَأَهْلَهُ﴾ أي من آمن به، ومنهم زوجته المؤمنة وأولاده الثلاثة وزوجاتهم. قوله: **(فالناس كلهم من نسله)** هذا هو المعتمد، وقيل كان لغير ولد نوح أيضاً نسل. قوله: **(سام)** إلخ، الثلاثة بمنع الصرف للعلمية والعجمة وفارس، كذلك للعلمية والتأنيث، لأنه علم على قبيلة. قوله: **(والخزر)** بفتح الخاء والزاي بعدهما راء مهملة، وهكذا في النسخ الصحيحة وهو الصواب، وفي بعض النسخ: والخزرج، وهو تحريف فاحش، لأن الخزرج من جملة العرب، والخزر صنف من الترك صغار الأعين، يعرفون الآن بالططر. قوله: **(وما هنالك)** أي وهم قوم عند يأجوج ومأجوج، إذا طلعت عليهم الشمس، دخلوا في أسراب لهم تحت الأرض، فإذا زالت عنهم، خرجوا إلى معايشهم وحروثهم، وقيل: هم قوم عراة، يفرش بعضهم إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى. قوله: **(ثناء حسناً)** قدره إشارة إلى أن مفعول ﴿تَرَكْنَا﴾ محذوف، وقوله: ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ﴾ كلام مستقل انشاء، ثناء من الله تعالى على نوح، فالأول ثناء الخلق، والثاني ثناء الخالق، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «من قال حين يمسي: سلام على نوح في العالمين، لم تلدغه عقرب». قوله: ﴿الْعَالَمِينَ﴾ متعلق بما تعلق به الجار قبله، والمراد بالعالمين الملائكة والثقلان.

قوله: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ تعليل لما فعل بنوح من الكرامة، في إجابة دعائه، وإبقاء ذريته، وذكر الجميل، وتسليم الله عليه في العالمين، أي فهذا الجزاء سنتنا في كل من اتصف بالإحسان كنوح. قوله: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ علة لكونه محسناً، وفيه إجلال لشأن الإيمان، وإظهار لفضله، وترغيب في تحصيله والثبات عليه والازدياد منه. قوله: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ﴾ معطوف على ﴿نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ فالترتيب حقيقي، لأن نجاتهم بركوب السفينة، حصلت قبل غرق الباقين فتدبر.

قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ﴾ إلخ عطف على قوله: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ﴾ عطف قصة على قصة. قوله: **(أي ممن اتبعه)** إلخ، أي فالشيعة الأتباع والحزب. قوله: **(في أصل الدين)** أي وإن اختلفت فروع

﴿لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ ﴿٨٣﴾ وإن طال الزمان بينهما، وهو ألفان وستمائة وأربعون سنة، وكان بينهما هود وصالح ﴿إِذْ جَآءَ﴾ أي تابعه وقت مجيئه ﴿رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ ﴿٨٤﴾ من الشك وغيره ﴿إِذْ قَالَ﴾ في هذه الحالة المستمرة له ﴿لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ﴾ موبخاً ﴿مَاذَا﴾ الذي ﴿تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿أَئِفْكًا﴾ في همزتيه ما تقدم ﴿ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ ﴿٨٦﴾ وإفكاً مفعول له، وآلهة مفعول به لتريدون، والإفك أسوأ الكذب أي أتعبدون غير الله ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ إذ عبدتم غيره أنه يترككم بلا عقاب؟ لا، وكانوا نجّامين، فخرجوا إلى عيد لهم، وتركوا طعامهم عند أصنامهم زعموا التبرك عليه، فإذا رجعوا أكلوه، وقالوا للسيد إبراهيم اخرج معنا ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ﴾ ﴿٨٨﴾ إيهاماً لهم

شرائعهما، فالأتباع في أصول الدين وهو التوحيد، لا في الفروع كالصلاة مثلاً. قوله: **(وإن طال الزمان)** إلخ، الجملة حالية، والمعنى أنه من أتباعه على عهده، والحال أن الزمان طال بينهما، فطول المدة لم ينسه العهد. قوله: **(وهو ألفان)** إلخ، هذا أحد قولين، والآخر أن بينهما ألف سنة ومائة واثنتين وأربعين سنة. قوله: **(وكان بينهما هود وصالح)** أي وكان قبل نوح ثلاثة: إدريس وشيت وآدم، فجملة من قبل إبراهيم من الأنبياء ستة.

قوله: **﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ﴾** إلخ، معنى مجيئه توجهه بقلبه مخلصاً لربه، وفي الكلام استعارة تبعية تقريرها أن تقول: شبه اقباله على ربه مخلصاً قلبه بمجيئه بتحفة جميلة، والجامع بينهما طلب الفوز بالرضا، واشتق من المجيء جاء بمعنى أقبل بقلبه. قوله: **(أي تابعه وقت مجيئه)** أشار بذلك إلى أن الظرف متعلق بمحذوف دل عليه قوله: **﴿شِيعَتِهِ﴾** ويصح جعله متعلقاً بشيعته، لما فيها من معنى المشايعة، لكن فيه أنه يلزم عليه الفصل بينه وبين معموله بأجنبي وهو قوله: **﴿لإِبْرَاهِيمَ﴾** وأيضاً يلزم عليه عمل ما قبل اللام الابتدائية فيما بعدها، وأجيب: بأنه يتوسع في الظروف، **ما لا** يتوسع في غيرها. قوله: **(من الشك وغيره)** أي من الآفات والعلائق التي تشغل القلب عن شهود الرب تعالى.

قوله: **﴿لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾** تقدم الخلاف في كونه أباه حقيقة أو عمه، وإنما عبر بالأب، لأن العم أب، والمراد بقومه النمروذ وجماعته. قوله: **(في همزتيه ما تقدم)** أي وهو تحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بألف بينهما وتركها. قوله: **(وإفكاً مفعول له)** أي وقدم على المفعول به، لأجل التقبيح عليهم بأنهم على إفك وباطل. قوله: **(أي تعبدون غير الله)** كان عليه أن يزيد قوله لأجل الافك، ليوفي بالمفعول لأجله. قوله: **(إذ عبدتم غيره)** أي وقت عبادتكم غيره. قوله: **(أنه يترككم بلا عقاب)** معمول للظن، والمعنى: أي سبب حملكم على ظنكم أنه تعالى يترككم بلا عقاب حين عبدتم غيره، وأشار بقوله: **(لا)** إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي، أي ليس لكم سبب ولا عذر، يحملكم على الظن المذكور، إذا انتفى السبب، انتفى المسبب بالأولى. قوله: **(وكانوا نجّامين)** ذكر هذا توطئة لقوله تعالى: **﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾**. قوله: **(فخرجوا إلى عيد لهم)** أي وكانوا في قرية بين البصرة والكوفة يقال لها هرمز. قوله: **(زعموا التبرك عليه)** أي أنها تنزل عليه البركة.

قوله: **﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾** أي في علم النجوم، متفكراً في أمر يعذرونه بسببه فيتركونه قوله:

أنه يعتمد عليها ليعتمدوه ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ﴿٨٩﴾ عليل أي سأسقم ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ إلى عيدهم ﴿مُدْبِرِينَ﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿فَرَاغَ﴾ مال في خفية ﴿إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾ وهي الأصنام وعندها الطعام ﴿فَقَالَ﴾ استهزاء ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿٩١﴾ فلم ينطقوا فقال ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾ ﴿٩٢﴾ فلم تجب ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ ﴿٩٣﴾ بالقوة فكسرها، فبلغ قومه ممن رآه ﴿فَأَقْبَلُوٓا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾ ﴿٩٤﴾ أي يسرعون المشي، فقالوا له: نحن نعبدها وأنت تكسرها ﴿قَالَ﴾ لهم موبخاً ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ ﴿٩٥﴾ من الحجارة وغيرها أصناماً ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٦﴾ من نحتكم ومنحوتكم فاعبدوه وحده، وما مصدرية، وقيل موصولة، وقيل موصوفة ﴿قَالُوا﴾ بينهم ﴿ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا﴾ فاملؤوه حطباً وأضرموه بالنار، فإذا التهب ﴿فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ ﴿٩٧﴾ النار الشديدة ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ بإلقائه في النار لتهلكه ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ ﴿٩٨﴾ المقهورين فخرج من النار سالماً ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ

(**أي سأسقم**) جواب عما يقال: كيف قال: ﴿**إنِّي سَقِيمٌ**﴾ والحال أنه لم يكن سقيماً؟ وأجيب أيضاً: بأن المعنى سقيم القلب، من عبادتكم ما لا يضر ولا ينفع، وقد أشار بقوله: ﴿**إنِّي سَقِيمٌ**﴾ إلى سقم مخصوص وهو الطاعون، وكان الطاعون أغلب الأسقام عليهم، وكانوا يخافون منه العدوى، فتفرقوا عن ابراهيم خوفاً منها، فهربوا إلى عيدهم، وتركوه في بيت الأصنام، قوله: (**وهي الأصنام**) أي وكانت اثنين وسبعين صنماً، بعضها من حجر، وبعضها من خشب، وبعضها من ذهب، وبعضها من فضة، وبعضها من نحاس، وبعضها من حديد، وبعضها من رصاص، وكان كبيرها من ذهب مكللاً بالجواهر، وكان في عينيه ياقوتتان تتقدان نوراً. قوله: (**وعندها الطعام**) الجملة حالية.

قوله: ﴿**فَقَالَ**﴾(**استهزاء بهم**) إن قلت: أي فائدة في خطاب ما لا يعقل؟ أجيب: بأنه لعل عنده من يسمع كلامه من خدمتها أو غيرهم. قوله: ﴿**فَرَاغَ عَلَيْهِمْ**﴾ أي مال في خفية، من قولهم: راغ الثعلب روغاناً: تردد وأخذ الشيء خفية. قوله: (**بالقوة**) أي القدرة. قوله: ﴿**فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ**﴾ مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله: (**فبلغ قومه**) إلخ. قوله: ﴿**يَزِفُّونَ**﴾ بكسر الزاي مع فتح الياء أو ضمها قراءتان سبعيتان. قوله: (**فقالوا نحن نعبدها**) إلخ، أي بعد أن سألوه وأجابهم، فلما تحققوا أنه هو الذي كسرها قالوا: ﴿**نحن نعبدها**﴾ إلخ، وقد تقدم بسط ذلك في الأنبياء. قوله: (**موبخاً**) أي على ما وقع منهم، حيث يأتون للخشب مثلاً، فيصنعون منه صورة ويتخذونها إلهاً، مع أنها قبل ذلك لم تكن معبودة لهم، ولا تضر ولا تنفع. قوله: (**وما مصدرية**) إلخ، ذكر فيها ثلاثة أوجه، وبقي اثنان كونها استفهامية، والمعنى: وأي شيء تعلمونه وكونها نافية؟ والمعنى: ليس العمل في الحقيقة لكم، وإنما هو لله تعالى. قوله: ﴿**بُنْيَاناً**﴾ قيل بنوا له حائطاً من الحجر، طوله في السماء ثلاثون ذراعاً، وعرضه عشرون ذراعاً، وملأوه من الحطب، وأوقدوا عليه النار، ثم تحيروا في كيفية رميه، فعلمهم إبليس المنجنيق، فصنعوه ووضعوه فيه ورموه فيها، فصارت عليه برداً وسلاماً. قوله: (**وأضرموه بالنار**) أي أوقدوه بها. قوله: (**النار الشديدة**) أي فكل نار بعضها فوق بعض تسمى جحيماً من الجحمة، وهي شدة التأجج. قوله: (**المقهورين**) أي بإبطال كيدهم، حيث جعلت عليه برداً وسلاماً.

قوله: ﴿**وَقَالَ إنِّي ذَاهِبٌ**﴾ إلخ، عطف على محذوف قدره بقوله: (**فخرج**) إلخ، والمعنى: لما خرج

﴿رَبِّي﴾ مهاجر إليه من دار الكفر ﴿سَيَهْدِينِ ﴾ ﴿٩٩﴾ إلى حيث أمرني ربي بالمصير إليه وهو الشام، فلما وصل إلى الأرض المقدسة قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي﴾ ولداً ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١٠٠﴾ ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ ﴿١٠١﴾ أي ذي حلم كثير ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ أي أن يسعى معه ويعينه، قيل بلغ سبع سنين، وقيل ثلاث عشرة سنة ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى﴾ أي رأيت ﴿فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ ورؤيا الأنبياء حق وأفعالهم بأمر الله تعالى ﴿فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ من الرأي، شاوره ليأنس بالذبح وينقاد

من النار سالماً، ولم يهتد من قومه أحد، هاجر هو ولوط ابن اخيه، وسارة زوجته إلى أرض الشام، وهو أول من هاجر من الخلق في طاعة الله، وقوله: ﴿إِلَى رَبِّي﴾ أي إلى عبادة ربي وطاعته. قوله: ﴿سَيَهْدِينِ﴾ أي إلى ما فيه صلاح ديني وبلوغ مطالبي. قوله: (إلى حيث أمرني ربي) أي إلى مكان أمرني إلخ، وهذا متعلق بكل من ﴿ذَاهِبٌ﴾ ويهدين. قوله: (فلما وصل إلى الأرض المقدسة) قدره توطئة لقوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي﴾ إلخ. قوله: ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي بعض الصالحين، يكون خليفة لي ويرث حالي.

قوله: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ﴾ مرتب على محذوف تقديره فاستجبنا له فبشرناه، وتلك البشارة على لسان الملائكة الذين جاؤوا له في صورة أضياف، فبشروه بالغلام، ثم انتقلوا من قريته وهي فلسطين، إلى قرية لوط وهي سذوم، لإهلاك قومه، كما تقدم ذلك في سورة هود، ويأتي في الذاريات. قوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ أشار المفسر إلى أن قوله: (معه) ظرف متعلق بالسعي، وفيه أنه يلزم عليه تقدم صلة المصدر المؤول من (أن) والفعل عليه وهو لا يجوز، وأجيب: بأنه يغتفر في الظروف ما لا يغتفر في غيرها، ويصح جعله متعلقاً بمحذوف على سبيل البيان، كأن قائلاً قال: مع من بلغ السعي؟ فقيل: بلغ معه، ولا يصح جعله متعلقاً ببلغ، ولا حالاً من ضميره، لأنه يوهم اقترانهما في بلوغ السعي، لأن المصاحبة تقتضي المشاركة، مع أن المقصود، وصف الصغير بذلك فقط.

قوله: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ﴾ جواب لما، والحكمة في ذلك: أن ابراهيم اتخذه الله تعالى خليلاً، والخلة هي صفاء المودة، ومن شأنها عدم مشاركة الغير مع الخليل، وكان قد سأل ربه الولد، فلما وهبه له، تعلقت شعبة من قلبه بمحبته، فجاءت غيرة الخلة تنزعها من قلب الخليل، فأمر بذبح المحبوب، لتظهر صفاء الخلة وعدم المشاركة فيها، حيث امتثل أمر ربه، وقدم محبته على محبة ولده. قوله: (أي رأيت) أشار بذلك إلى أن الرؤيا وقعت بالفعل، لما روى: أنه رأى ليلة التروية، أن قائلاً يقول له: إن الله يأمرك بذبح ابنك، فلما أصبح فكر في نفسه أنه من الله، فلما أمسى رأى مثل ذلك في الليلة الثانية، ثم رأى مثله في الليلة الثالثة، فهم بنحره فقال له: ﴿يَا بُنَيَّ﴾ إلخ، ولذلك سميت الأيام الثلاثة: بالتروية، وعرفة، والنحر، لأنه في اليوم الأول تروى، وفي الثاني عرف، وفي الثالث نحر.

قوله: ﴿أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ أي أفعل الذبح، أو أمرت، به، احتمالان: ويشير للأول قوله: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾، وللثاني. قوله: ﴿افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾. قوله: ﴿مَاذَا تَرَى﴾ يصح أن تكون ﴿مَاذَا﴾ مركبة، وحينئذ فهي منصوبة بترى، وما بعدها في محل نصب بالنظر، لأنها معلقة له، ويصح أن تكون ما استفهامية، وذا موصولة، فتكون ﴿مَاذَا﴾ مبتدأ وخبراً، وقوله: ﴿تَرَى﴾ بفتحتين من الرأي، وفي قراءة سبعية ترى بالضم والكسر، والمفعولان محذوفان، أي تريني إياه من صبرك واحتمالك، وقرىء شذوذاً

للأمر به ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ﴾ التاء عوض عن ياء الإضافة ﴿ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾ به ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (١٠٢) على ذلك ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا﴾ خضعا وانقاداً لأمر الله تعالى ﴿وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ (١٠٣) صرعه عليه، ولكل إنسان جبينان بينهما الجبهة، وكان ذلك بمنى، وأمرَّ السكين على حلقه فلم تعمل شيئاً بمانع من القدرة الإلهية ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾ (١٠٤) ﴿قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾ بما أتيت به مما أمكنك من أمر الذبح، أي يكفيك ذلك، فجملة ناديناه جواب لما بزيادة الواو ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناك ﴿نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (١٠٥) لأنفسهم بامتثال الأمر بإفراج الشدة عنهم ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذبح المأمور به ﴿لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ﴾ (١٠٦) أي الاختبار الظاهر

بضم ففتح، أي ما يخيل لك. قوله: **(شاوره ليأنس)** إلخ، أي وليعلم صبره وعزيمته على طاعة الله.

قوله: **﴿قَالَ يَا أَبَتِ﴾** أي بفتح التاء وكسرها، قراءتان سبعيتان. قوله: **(التاء عوض عن ياء الإضافة)** أي فهي في محل جر، كما كانت الياء في محل جر. قوله: **﴿افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾** قال ابن اسحاق وغيره: لما أمر إبراهيم بذلك قال لابنه: يا بني، خذ هذا الحبل والمدية، وانطلق بنا إلى هذا الشعب لنحتطب، فلما خلا بابنه في الشعب، أخبره بما أمره الله به، فقال: **﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾**. قوله: **﴿إِنْ شَاءَ اللهُ﴾** أتى بها تبركاً وإشارة إلى أنه لا حول عن المعصية إلا بعصمة الله، ولا قوة على الطاعة إلا بمعونة الله.

قوله: **﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾** أي الوالد والولد. قوله: **﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾** أي صرعه ورماه على شقه فوق التل الذي هو المكان المرتفع، قال ابن عباس: لما فعل ذلك الابن قال: يا أبت اسدد رباطي كي لا أضطرب، واكفف ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمي شيء، فينقص أجري، وتراه أمي فتحزن، واستحد شفرتك، وأسرع بها على حلقي، ليكون أهون علي، وإذا أتيت أمي فاقرأ عليها السلام مني، وأن رأيت أن ترد قميصي عليها فافعل، فإنه عسى أن يكون أسلى لها عني، فقال إبراهيم: نعم العون أنت يا بني على أمر الله، ففعل ابراهيم ما أمر به ابنه، ثم أقبل عليه وهو يبكي، والابن يبكي، فلما وضع السكين على حلقه فلم تؤثر شيئاً، فاشتدها بالحجر مرتين أو ثلاثاً، كل ذلك لا تستطيع أن تقطع شيئاً، فمنعت بقدرة الله تعالى، وقيل: ضرب الله صفيحة من نحاس على حلقه، والأول أبلغ في القدرة الإلهية، وهو منع الحديد عن اللحم، فعند ذلك قال الابن: يا أبت كبني لوجهي على جبيني، فإنك إذا نظرت في وجهي رحمتني، فأدركتك رأفة تحول بينك وبين أمر الله، وأنا أنظر إلى الشفرة فأجزع منها، ففعل ذلك إبراهيم، ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت، فنودي **﴿يَا إِبْرَاهِيمَ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾** إلخ. قوله: **(بمنى)** يذكر ويؤنث ويصرف ويمنع من الصرف باعتبار المكان والبقعة. قوله: **(وأمرَّ السكين)** هذ أحد قولين مشهورين، وهو ما تقدم عن ابن عباس، والآخر: أنه لم يمرّ السكين، بل لما أضجعه وأراد أن يمرَّ السكين جاءه النداء، وبالأول استدل أهل السنة، على أن الأمور العادية لا تؤثر شيئاً، لا بنفسها، ولا بقوة أودعها الله فيها، وإنما المؤثر هو الله تعالى، فتخلف القطع في ولد إبراهيم، وتخلف الاحراق في إبراهيم. قوله: **(فجملة ناديناه جواب لما)** إلخ، هذا أحد أوجه ثلاثة، والثاني أنه محذوف تقديره ظهر صبرهما، أو أجز لنا لهما الأجر، والثالث أن قوله: **﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾** بزيادة الواو. قوله: **(بإفراج الشدة)** المناسب أن يقول:

﴿وَفَدَيْنَٰهُ﴾ أي المأمور بذبحه وهو إسماعيل أو إسحق قولان ﴿بِذِبْحٍ﴾ بكبش ﴿عَظِيمٍ﴾ ﴿١٠٧﴾ من الجنة هو الذي قربه هابيل، جاء به جبريل عليه السلام فذبحه السيد إبراهيم مكبراً ﴿وَتَرَكْنَا﴾ أبقينا ﴿عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ ﴿١٠٨﴾ ثناء حسناً ﴿سَلَٰمٌ﴾ منا ﴿عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ ﴿١٠٩﴾ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١١٠﴾ لأنفسهم ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١١١﴾ ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ﴾ استدل بذلك على أن الذبيح غيره ﴿نَبِيًّا﴾ حال مقدرة، أي يوجد مقدراً نبوته ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ﴿١١٢﴾ ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ بتكثير ذريته ﴿وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ﴾ ولده، بجعلنا أكثر الأنبياء من نسله ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ﴾ مؤمن ﴿وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ كافر ﴿مُبِينٌ﴾ ﴿١١٣﴾ بيِّن الكفر ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ ﴿١١٤﴾ بالنبوة ﴿وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا﴾ بني إسرائيل ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ ﴿١١٥﴾ أي

بتفريج الشدة أو بفرجها، لأن الفعل فرج بالتخفيف والتشديد، فمصدره إما التفريج أو الفرج.

قوله: ﴿وَفَدَيْنَاهُ﴾ عطف على قوله: ﴿وَنَادَيْنَاهُ﴾. قوله: **(قولان)** أي وهما مبنيان على قولين آخرين: هل اسماعيل أكبر أو اسحاق؟ فمن قال بالأول، قال إن الذبيح اسماعيل، ومن قال بالثاني، قال إن الذبيح اسحاق، واعلم أن كلاً من القولين، قال به جماعة من الصحابة والتابعين، لكن القول بأن الذبيح اسحاق، أقوى في النقل عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين، حتى قال سعيد بن جبير: أرى إبراهيم ذبح اسحاق في المنام، فسار به مسيرة شهر في غداة واحدة، حتى أتى به المنحر بمنى، فلما صرف الله عنه الذبح، أمره أن يذبح به الكبش فذبحه، وسار إلى الشام مسيرة شهر في روحة واحدة، وطويت له الأودية والجبال. وبقي قول ثالث، وهو الوقف عن الجزم بأحد القولين، وتفويض علم ذلك إلى الله تعالى. قوله: **(كبش)** ﴿عَظِيمٍ﴾ وقيل: إنه كان تيساً جبلياً أهبط عليه من ثبير. قوله: **(وهو الذي قربه هابيل)** أي ووصفه بالعظم، لكونه تقبل مرتين. قوله: **(فذبحه السيد ابراهيم)** أي وبقي قرناه معلقين على الكعبة، إلى أن احترق البيت في زمن ابن الزبير، وما بقي من الكبش أكلته السباع والطيور، لأن النار لا تؤثر فيما هو من الجنة. قوله: **(مكبراً)** روي أنه لما ذبحه قال جبريل: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، فقال الذبيح: لا إله إلا الله والله أكبر، فقال إبراهيم: الله أكبر ولله الحمد، فصار سنة. قوله: **(استدل بذلك)** إلخ، أي وهو مذهب الشافعي، وقال مالك وأبو حنيفة: لا دليل فيها، لأن اسحاق وقعت البشارة به مرتين، مرة بوجوده، ومرة بنبوته، فمعنى قوله: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحٰقَ نَبِياً﴾ بشرنا بنبوة اسحاق بعد البشارة بوجوده. قوله: ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ إما صفة لنبياً، أو حال من ضميره. قوله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا﴾ خبر مقدم، وقوله: ﴿مُحْسِنٌ﴾ إلخ، مبتدأ مؤخر، وفيه اشارة إلى أن النسب، لا مدخل له في الهدى ولا في الضلال.

قوله: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا﴾ معطوف على ما قبله، عطف قصة على قصة، واللام موطئة لقسم محذوف تقديره: وعزتنا وجلالنا لقد أنعمنا إلخ؛ وتحدث الله بالامتنان على عباده من عظيم الشرف لهم، وقوله: **(بالنبوة)** أي المصاحبة للرسالة، لأنهما كانا رسولين، ولا مفهوم للنبوة، بل أعطاهما الله تعالى نعماً جمة دينية ودنيوية، وإنما خصها لأنها أشرف النعم. قوله: **(بني إسرائيل)** أي أولاد يعقوب. قوله: **(أي استعباد**

استعباد فرعون إياهم ﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ﴾ على القبط ﴿فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾﴾ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾﴾ البليغ البيان فيما أتى به من الحدود والأحكام وغيرهما، وهو التوراة ﴿وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ﴾ الطريق ﴿ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾﴾ ﴿وَتَرَكْنَا﴾ أبقينا ﴿عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾﴾ ثناء حسناً ﴿سَلَٰمٌ﴾ منا ﴿عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناهما ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾﴾ ﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ﴾ بالهمز أوّله وتركه ﴿لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ قيل هو ابن أخي هرون أخي موسى، وقيل غيره، أرسل إلى قوم ببعلبك ونواحيها ﴿إِذْ﴾ منصوب باذكر

فرعون إياهما) وسبب استيلائه عليهم: أن أصولهم قدموا مصر مع أبيهم يعقوب ليوسف حين كان ملكاً، فاستمروا بها، فلما ظهر فرعون وتكبر، استعبد ذريتهم وجعلهم خدماً للقبط.

قوله: ﴿وَنَصَرْنَاهُمْ﴾ الضمير عائد على موسى وهارون وقومهما. قوله: ﴿فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ يصح أن يكون ﴿هُمْ﴾ ضمير فصل أول بدلاً من الواو في كانوا، والأول أظهر. قوله: **(وغيرهما)** أي كالقصص والمواعظ. قوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي وصلناهما للدين الحق. قوله: ﴿سَلَامٌ﴾ مبتدأ خبره محذوف قدره بقوله: **(منا)** وقوله: ﴿عَلَى مُوسَى وَهٰرُونَ﴾ متعلق بسلام، والمسوغ للابتداء بالنكرة قصد التعظيم، وعملها في الجار والمجرور بعدها. قوله: **(كما جزيناهما)** أي ما تقدم، من الإنجاء والنصر وإيتاء الكتاب وإبقاء الثناء. قوله: ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ في مثل هذه الآيات، ترغيب للمؤمنين، وإشعار بأن كل مؤمن، قابل لكل خير وصالح له. قوله: ﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي الكاملين في الإيمان، البالغين الغاية فيه.

قوله: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ﴾ معطوف على ما قبله، عطف قصة على قصة. قوله: **(بالهمز أوله وتركه)** أي بناء على أنها همزة قطع أو وصل، قراءتان سبعيتان، وسبب جواز الأمرين، أنه اسم أعجمي استعملته العرب، فلم تضبط فيه همزة قطع ولا وصل. قوله: ﴿لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾. قوله: **(قيل هو ابن أخي هارون)** إلخ، الصحيح أنه من ذرية هارون، لقول محمد بن اسحاق: هو الياس بن ياسين بن فنحاص بن معيزار بن هارون بن عمران وإلياس ابن عم اليسع. قوله: **(وقيل غيره)** من جملة ذلك، أنه هو ادريس، وقيل هو اليسع. قوله: **(أرسل إلى قوم ببعلبك)** حاصل قصته كما قال محمد بن اسحاق وعلماء السير والأخبار: لما قبض الله عز وجل حزقيل النبي ﷺ، عظمت الأحداث في بني اسرائيل، وظهر فيهم الفساد والشرك، ونصبوا الأصنام وعبدوها من دون الله عز وجل، فبعث الله إليهم إلياس نبياً، وكانت الأنبياء يبعثون من بعد موسى عليه الصلاة والسلام في بني اسرائيل، بتجديد ما نسوا من أحكام التوراة، وكان يوشع لما فتح الشام، قسمها على بني اسرائيل، وإن سبطاً منهم حصل في قسمته بعلبك ونواحيها، وهم الذين بعث إليهم الياس، وعليهم يومئذ ملك اسمه أرحب، وكان قد أضل قومه، وجبرهم على عبادة الأصنام، وكان له صنم من ذهب، طوله عشرون ذراعاً، وله أربعة وجوه، وكان اسمه بعلاً، وكانوا قد فتنوا به وعظموه، وجعلوا له أربعمائة سادن، وجعلوهم أبناءه، وكان الشيطان يدخل في جوف بعل، ويتكلم بشريعة الضلال، والسدنة، يحفظونها عنه ويبلغونها الناس، وهم أهل بعلبك، وكان الياس يدعوهم إلى عبادة الله عز وجل، وهم لا يسمعون له ولا يؤمنون به، إلا ما كان من

مقدراً ﴿قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ﴿١٢٤﴾ الله ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ اسم صنم لهم من ذهب، وبه سمي البلد أيضاً، مضافاً إلى بك أي أتعبدونه ﴿وَتَذَرُونَ﴾ تتركون ﴿أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ ﴿١٢٥﴾ فلا

أمر الملك، فإنه آمن به وصدقه، فكان الياس يقوم بأمره ويسدده ويرشده؛ ثم إن الملك ارتد واشتد غضبه على إلياس وقال: يا إلياس ما أرى ما تدعونا إليه إلا باطلاً، وهم بتعذيب إلياس وقتله، فلما أحس إلياس بالشر، رفضه وخرج عنه هارباً، ورجع الملك إلى عبادة بعل، ولحق إلياس بشواهق الجبال، فكان يأوي إلى الشعاب والكهوف، فبقي سبع سنين على ذلك خائفاً مستخفياً، يأكل من نبات الأرض وثمار الشجر، وهم في طلبه قد وضعوا عليه العيون، والله يستره منهم، فلما طال الأمر على الياس، وسئم الكمون في الجبال، وطال عصيان قومه، وضاق بذلك ذرعاً، دعا ربه عز وجل أن يريحه منهم، فقيل: انظر يوم كذا وكذا، فاخرج إلى موضع كذا فما جاءك من شيء فاركبه ولا تهبه، فخرج الياس ومعه اليسع، حتى إذا كان بالموضع الذي أمر به، إذا أقبل فرس من نار، وقيل لونه كالنار، حتى وقف بين يدي الياس، فوثب عليه، فانطلق به الفرس، فناداه اليسع: يا الياس ما تأمرني؟ فقذف اليه الياس بكسائه من الجو الأعلى، فكان ذلك علامة استخلافه إياه على بني اسرائيل، وكان ذلك آخر العهد به، ورفع الله الياس من بين أظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب، وكساه الريش، فصار إنسياً ملكياً أرضياً سماوياً، ونبأ الله تعالى اليسع، وبعثه رسولاً إلى بني إسرائيل، وأوحى الله إليه وأيده، فآمنت به بنو اسرائيل، وكانوا يعظمونه وحكم الله تعالى فيهم قائم، إلى أن فارقهم اليسع، وقد أعطى الله الياس معجزات جمة منها: تسخير الجبال له، والأسود وغيرهما، وأعطاه الله قوة سبعين نبياً، وكان على صفة موسى في الغضب والقوة. روي أن الياس والخضر يصومان رمضان كل عام ببيت المقدس، ويحضران موسم الحج كل عام، ويفترقان على أربع كلمات: بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله، بسم الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله، بسم الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله، بسم الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله، وقيل في الرواية غير ذلك، والياس موكل بالفيافي والقفار، والخضر موكل بالبحار، ولا يموتان إلا في آخر الزمان حين يرفع القرآن. وعن أنس قال: غزونا مع رسول الله ﷺ، حتى إذا كنا عند فج الناقة، فسمعت صوتاً يقول: اللهم اجعلني من أمة محمد، المرحومة، المغفور لها، المستجاب لها، فقال النبي ﷺ: «يا أنس انظر ما هذا الصوت؟ فدخلت الجبل، فإذا رجل عليه ثياب بيض، أبيض الرأس واللحية، طوله أكثر من ثلاثمائة ذراع، فلما رآني قال: أنت صاحب رسول الله ﷺ؟ فقلت: نعم، قال: فارجع إليه فأقرأه السلام وقل له: هذا أخوك الياس يريد أن يلقاك، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فجاء يمشي وأنا معه، حتى إذا كنا قريباً منه، تقدم النبي وتأخرت أنا، فتحدثا طويلاً، فنزل عليهما من السماء شيء يشبه السفرة، ودعواني فأكلت معهما، وإذا فيها كمأة ورمان وحوت وكرسف، فلما أكلت قمت فتنحيت، فجاءت سحابة فحملته، وأنا أنظر إلى بياض ثيابه فيها تهوي قبل السماء. انتهى.

قوله: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ الله﴾ أي تتمثلون أوامره وتجتنبون نواهيه. قوله: (وبه سمي البلد) أي ثانياً، وأما أولاً فاسمها بك فقط، فلما عبد بعل سميت بعلبك. قوله: (مضافاً إلى بك) أي مضموماً إليه، فالتركيب مزجي لا إضافي. قوله: ﴿وَتَذَرُونَ﴾ عطف على ﴿تَدْعُونَ﴾ فهو داخل في حيز الإنكار. قوله: ﴿أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ أي المصورين، لأنه سبحانه وتعالى يصور الصورة ويلبسها الروح، وغيره يصور من

تعبدونه ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ ١٢٦ برفع الثلاثة على إضمار هو، وبنصبها على البدل من أحسن ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ﴾ ١٢٧ في النار ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ ١٢٨ أي المؤمنين منهم فإنهم نجوا منها ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ ١٢٩ ثناء حسناً ﴿سَلَٰمٌ﴾ منا ﴿عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ﴾ ١٣٠ قيل هو إلياس المتقدم ذكره، وقيل هو ومن آمن معه، فجمعوا معه تغليباً، كقولهم للملهب وقومه المهلبون، وعلى قراءة آل ياسين بالمد أي أهله، المراد به إلياس أيضاً ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ ١٣١ ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ١٣٢ ﴿وَإِنَّ لُوطٗا لَّمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ ١٣٣ اذكر ﴿إِذۡ نَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ﴾ ١٣٤ ﴿إِلَّا عَجُوزٗا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ ١٣٥ أي الباقين في العذاب ﴿ثُمَّ دَمَّرۡنَا﴾ أهلكنا ﴿ٱلۡأٓخَرِينَ﴾ ١٣٦ كفار قومه ﴿وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم﴾ على آثارهم ومنازلهم في أسفاركم ﴿مُّصۡبِحِينَ﴾ ١٣٧ أي وقت الصباح يعني بالنهار ﴿وَبِٱلَّيۡلِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ ١٣٨ يا أهل مكة ما حل بهم فتعتبرون به ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ ١٣٩ ﴿إِذۡ أَبَقَ﴾

غير روح. قوله: **(برفع الثلاثة)** إلخ، أي والقراءتان سبعيتان. قوله: **(فإنهم نجوا منها)** أشار بذلك إلى أن الاستثناء من الواو في ﴿**لَمُحْضَرُونَ**﴾ كأنه قال: فكذبوه فإنهم لمحضرون، إلا الذين تابوا من تكذيبهم وأخلصوا، فإنهم غير محضرين. قوله: **(قيل هو الياس المتقدم)** أي وعليه فهو مفرد مجرور بالفتحة للعلمية والعجمة، وهي لغة ثانية فيه. قوله: **(وقيل هو)** إلخ، أي وعليه، فهو مجرور بالياء لكونه جمع مذكر سالماً. قوله: **(المراد به الياس)** أي فأطلق الأول وأراد به ما يشمله وقومه المؤمنين به، فتحصل أن في الآية ثلاث عبارات: الياس أولها، وإلياسين وآل ياسين في آخرها، وكلها سبعية.

قوله: ﴿**وَإِنَّ لُوطاً لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾ عطف على ما قبله ايضاً، عطف قصة عل قصة. قوله: **(اذكر)** ﴿**إِذْ نَجَّيْنَاهُ**﴾ إلخ، قدر المفسر **(اذكر)** إشار إلى أن الظرف متعلق بمحذوف، ولم يجعله متعلقاً بقوله: ﴿**الْمُرْسَلِينَ**﴾ لأنه يوهم أنه قبل النجاة لم يكن رسولاً، مع أنه رسول قبل النجاة وبعدها. قوله: ﴿**وَأَهْلَهُ**﴾ المراد بهم بنتاه. قوله: ﴿**إِلَّا عَجُوزاً**﴾ هي امرأته. قوله: **(أي وقت الصباح)** بيان لمعناه في الأصل، وقوله: **(يعني بالنهار)** بيان للمراد منه، وقوله: ﴿**بِاللَّيْلِ**﴾ عطف على ﴿**مُصْبِحِينَ**﴾ وهو حال أخرى. قوله: ﴿**أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير: أتشاهدون ذلك فلا تعقلون؟.

قوله: ﴿**وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾ هو ابن متى، وهو ابن العجوز التي نزل عليها الياس، فاستخفى عندها من قومه ستة أشهر، ويونس صبي يرضع، وكانت أم يونس تخدمه بنفسها وتؤانسه، ولا تدخر عنه كرامة تقدر عليها، ثم إن الياس أذن له في السياحة فلحق بالجبال، ومات يونس ابن المرأة، فخرجت في أثر الياس، تطوف وراءه في الجبال حتى وجدته، فسألته أن يدعو الله لها، لعله يحيي لها ولدها، فجاء الياس إلى الصبي بعد أربعة عشر يوماً مضت من موته، فتوضأ وصلى ودعا الله، فأحيا الله تعالى يونس بن متى بدعوة الياس عليه السلام، وأرسل الله يونس إلى أهل نينوى من أرض الموصل، وكانوا يعبدون الأصنام.

هرب ﴿إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ ﴿١٤٠﴾ السفينة المملوءة حين غاضب قومه لما لم ينزل بهم العذاب الذي وعدهم به، فركب السفينة فوقفت في لجة البحر، فقال الملاحون: هنا عبد أبق من سيده تظهره القرعة ﴿فَسَاهَمَ﴾ قارع أهل السفينة ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ ﴿١٤١﴾ المغلوبين بالقرعة فألقوه في البحر ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ﴾ ابتعله ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ ﴿١٤٢﴾ أي آت بما يلام عليه، من ذهابه إلى البحر وركوبه السفينة بلا إذن من ربه ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ ﴿١٤٣﴾ الذاكرين بقوله كثيراً في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك، إني كنت من الظالمين ﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ﴿١٤٤﴾ لصار بطن الحوت قبراً له إلى يوم القيامة ﴿فَنَبَذْنَٰهُ﴾ ألقيناه من بطن الحوت ﴿بِٱلْعَرَآءِ﴾ بوجه الأرض أي بالساحل من يومه أو بعد ثلاثة أو سبعة أيام، أو عشرين أو أربعين يوماً ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ ﴿١٤٥﴾ عليل كالفرخ المعط ﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ ﴿١٤٦﴾ وهي القرع تظله بساق على خلاف العادة في القرع، معجزة له، وكانت تأتيه وعلة صباحاً ومساء، يشرب من لبنها حتى قوي ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ﴾ بعد ذلك كقبله إلى قوم بنينوى من أرض الموصل ﴿إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ﴾

قوله: ﴿**إِذْ أَبَقَ**﴾ ظرف لمحذوف تقديره اذكر، كما تقدم نظيره، وقوله: أبق: بابه فتح، والإباق في الأصل: الهروب من السيد، وإطلاقه على هروب يونس، استعارة تصريحية، فشبه خروجه بغير إذن ربه، بإباق العبد من سيده. قوله: (**حين غاضب قومه**) المفاعلة على بابها، لأنهم غاضبوه بعدم الانقياد له والإيمان به، وهو غضب عليهم. قوله: (**فركب السفينة**) أي باجتهاد منه، لظنه أنه إن بقي بينهم قتلوه، لأنهم كانوا يقتلون كل من ظهر عليه كذب، فركوب السفينة ليس معصية لربه، لا صغيرة ولا كبيرة، ومؤاخذته بحبسه في بطن الحوت على مخالفته الأولى، فإن الأولى له انتظار الإذن من الله تعالى، هذا هو الصواب في تحقيق المقام، وهناك أقوال أخر، اعتقادها يضر في العقيدة، والعياذ بالله تعالى. قوله: (**فوقفت**) أي من غير سبب، وقوله: (**في لجة البحر**) المراد به الدجلة. قوله: (**فقال الملاحون**) إلخ، أي وكان من عادتهم أن السفينة إذا كان فيها آبق أو مذنب لم تسر. قوله: (**قارع أهل السفينة**) أي غالبهم، قيل مرة واحدة، وقيل ثلاثاً. قوله: (**فألقوه في البحر**) قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿**فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ**﴾ مرتب على محذوف قوله: (**أي آت بما لا يلام عليه**) أي أو المعنى وهو مليم نفسه. قوله: (**بقوله كثيراً**) استفيدت الكثرة من جعله من المسبحين. قوله: (**قبراً له**) أي بأن يموت فيبقى في بطنه ميتاً، وقيل: بأن يبقى على حياته.

قوله: ﴿فَنَبَذْنَاهُ﴾ أي أمرنا الحوت بنبذه فنبذه. قوله: ﴿**بِالْعَرَاءِ**﴾ أي بالأرض المتسعة التي لا نبات بها. قوله: (**من يومه**) أي فالتقمه ضحى ونبذه عشية، وما ذكره المفسر خمسة أقوال: الأول للشعبي، والثاني لمقاتل، والثالث لعطاء، والرابع للضحاك، والخامس للسدي. قوله: (**المعط**) بضم الميم الأولى، وتشديد الثانية مفتوحة، بعدها عين مهملة، بعدها طاء مهملة أيضاً أي المنتوف الشعر. قوله: (**وهي القرع**) خص بذلك، لأنه بارد الظل، لين الملمس، كبير الورق، لا يعلوه الذباب، وما ذكره المفسر أحد أقوال في تفسير اليقطين، وقيل: كانت شجرة التين، وقيل: شجرة الموز، تغطى بورقه، واستظل بأغصانه، وأفطر على ثماره. قوله: (**وعلة**) إما بفتح الواو والعين، أو بكسر الواو وسكون العين، هي

بل ﴿يَزِيدُونَ ﴾ ﴿١٤٧﴾ عشرين أو ثلاثين أو سبعين ألفاً ﴿فَـَٔامَنُواْ﴾ عند معاينة العذاب الموعودين به ﴿فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ ﴾ أبقيناهم ممتعين بما لهم ﴿إِلَىٰ حِينٖ ﴾ ﴿١٤٨﴾ تنقضي آجالهم فيه ﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ﴾ استخبر كفار مكة توبيخاً لهم ﴿أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ﴾ بزعمهم أن الملائكة بنات الله ﴿وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ﴾ ﴿١٤٩﴾ فيختصون بالأسنى ﴿أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ﴾ ﴿١٥٠﴾ خلقنا، فيقولون ذلك؟ ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ﴾ كذبهم ﴿لَيَقُولُونَ وَلَدَ ٱللَّهُ ﴾ ﴿١٥١﴾ بقولهم: الملائكة بنات الله ﴿وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ ﴿١٥٢﴾ فيه ﴿أَصۡطَفَى﴾ بفتح الهمزة للاستفهام واستغنى بها عن همزة الوصل فحذفت، أي اختار ﴿ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ﴾ ﴿١٥٣﴾ ﴿مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾ ﴿١٥٤﴾ هذا الحكم الفاسد ﴿أَفَلَا

الغزالة. قوله: (كقبله) جواب عما توهم أنه قبل خروجه لم يكن مرسلاً. قوله: (بنينوى) بكسر النون الأولى، وياء ساكنة، ونون مضمومة، وألف مقصورة بعد الواو.

قوله: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ جعل المفسر ﴿أَوْ﴾ للإضراب بمعنى بل، ويصح أن تكون للشك بالنسبة للمخاطبين، أي أن الرائي يشك عند رؤيتهم، أو للإبهام بمعنى أن الله أبهم أمرهم، أو الإباحة، أو التخيير بمعنى أن الناظر يباح له، أو بخير بين أن يحذرهم بكذا أو كذا. قوله: (عند معاينة العذاب) أي عند حضور أمارته، ولذا نفعهم إيمانهم، وأما مثل فرعون، فلم يؤمن إلا بعد حصول العذاب بالفعل، وأيضاً قوم يونس، أخلصوا في إيمانهم، وفرعون لم يخلص، وإنما ايمانه عند الغرغرة لدفع الشدة، ولو ردوا لعادوا. قوله: (بما لهم) بفتح اللام، أي بالذي ثبت لهم من النعم، وتقدم بسط قصة يونس في سورة يونس، فراجعها إن شئت.

قوله: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾ الفاء واقعة في جواب شرط مقدر تقديره: إذا علمت ما تقدم للأمم من شركهم ومخالفتهم لأنبيائهم فاستفتهم، أي اطلب من أهل مكة الخبر، لأجل توبيخهم وإقامة الحجة عليهم. قوله: (توبيخاً لهم) أي فليس الاستفتاء على سبيل الاستعلام والإفادة، بل هو على سبيل التقريع والتوبيخ لهم. قوله: ﴿أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ أي ألهذه القسمة الجائرة وجه؟ فإنهم كفروا من وجهين: الأول: نسبة الولد لله سبحانه وتعالى من حيث هو. الثاني: كونه خصوص الأنثى فإنهم لا يرضون بنسبتها لأنفسهم، بل إما أن يمسكوها على الهوان، أو يدفنوها حية، فكيف يرضونها لله عز وجل، ويختصون بالبنين؟ قوله: (فيختصون بالأسنى) أي الأشرف وهو الذكور وفي نسخة بالأبناء.

قوله: ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثاً﴾ ﴿أَمْ﴾ منقطعة تفسر ببل والهمزة، فهو اضراب عما زعموا، ورد عليهم، وهذا بمعنى قوله تعالى: ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم﴾ الآية. قوله: ﴿وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ الجملة حالية، أي والحال أنهم معاينون لخلقهم. قوله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ﴾ استئناف لبيان إبطال ما هم عليه، كأنه قيل: ليس لهم مستند، إلا الكذب الصريح والافتراء القبيح. قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ فِيهِ﴾ أي في قولهم: الملائكة بنات الله. قوله: (واستغنى بها) أي بهمزة الاستفهام في التوصل للنطق بالساكن، والاستفهام للتوبيخ والتقريع. قوله: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أي أي شيء ثبت واستقر لكم، من حكمكم بهذا الحكم الجائر، حيث تثبتون أخس الجنسين في زعمكم لله

﴿تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿١٥٥﴾ بإدغام التاء في الذال أنه سبحانه وتعالى منزه عن الولد ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿١٥٦﴾ حجة واضحة أن لله ولداً ﴿فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ﴾ التوراة فأروني ذلك فيه ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ﴿١٥٧﴾ في قولكم ذلك ﴿وَجَعَلُوا۟﴾ أي المشركون ﴿بَيْنَهُۥ﴾ تعالى ﴿وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ﴾ أي الملائكة لاجتنانهم عن الأبصار ﴿نَسَبًا﴾ بقولهم إنها بنات الله ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ﴾ أي قائلي ذلك ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ ﴿١٥٨﴾ للنار يعذبون فيها ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ تنزيهاً له ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿١٥٩﴾ بأن لله ولداً ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ ﴿١٦٠﴾ أي المؤمنين، استثناء منقطع، أي فإنهم ينزهون الله تعالى عما يصفه هؤلاء ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ ﴿١٦١﴾ من الأصنام ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي على معبودكم، وعليه متعلق بقوله ﴿بِفَٰتِنِينَ﴾ ﴿١٦٢﴾ أي أحداً ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ ﴿١٦٣﴾ في علم الله تعالى، قال جبريل للنبي ﷺ ﴿وَمَا مِنَّآ﴾ معشر الملائكة أحد ﴿إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ ﴿١٦٤﴾ في

سبحانه وتعالى؟ قوله: (**بإدغام التاء في الذال**) أي أو بتاء واحدة من غير إدغام، قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿**أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ**﴾ انتقال من توبيخهم إلى إلزامهم الحجة بما لا وجود له، ولا يقدرون على اثباته. قوله: (**التوراة**) الصواب اسقاطه لأن الخطاب مع المشركين، والتوراة ليس لهم. قوله: ﴿**وَجَعَلُوا بَيْنَهُ**﴾ التفات من الخطاب للغيبة، اشارة إلى أنهم بعيدون من رحمة الله، وليسوا أهلاً لخطابه. قوله: (**لاجتنانهم عن الأبصار**) أي استتارهم عنها.

قوله: ﴿**وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ**﴾ هذا زيادة في تبكيتهم وتكذيبهم كأنه قيل: هؤلاء الملائكة الذين عظمتموهم وجعلتموهم بنات الله أعلم بحالكم، وما يؤول اليه أمركم ويحكمون بتعذيبكم، على سبيل التأبيد. قوله: ﴿**سُبْحَانَ**﴾ إلخ، هذا من كلام الملائكة، تنزيه لله تعالى عما وصفه به المشركون بعد تكذيبهم له، فكأنه قيل: ولقد علمت الملائكة أن المشركين لمعذبون بقولهم ذلك، وقالوا سبحان الله عما يصفونه به، ولكن عباد الله المخلصين الذين نحن من جملتهم، برآء من هذا الوصف، وقوله: ﴿**فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ**﴾ تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين، ببيان عجزهم عن اغوائهم. قوله: (**استثناء منقطع**) أي من الواو في ﴿**يَصِفُونَ**﴾ وهو في قوة والاستدراك، دفع به ما يتوهم ثبوته أو نفيه، كأنه قال: تنزه الله عن وصف الكفار له تعالى، وأما وصف المؤمنين المخلصين له فلا يتنزه عنه، لأنهم لا يصفونه تعالى إلا بالكمالات. قوله: (**أي على معبودكم**) أشار بذلك إلى أن الضمير في (**عليه**) عائد على ﴿**مَا**﴾ وعلى هذا، فالواو للمعية، و ﴿**مَا**﴾ مفعول معه ساد مسد خبر إن. قوله: ﴿**بِفَاتِنِينَ**﴾ مفعوله محذوف قدره المفسر بقوله: (**أحداً**) والمعنى: إنكم مع معبودكم، لستم بمفسدين أحداً، إلا من سبقت له الشقاوة في علم الله. قوله: (**إلا من هو صال الجحيم**) استثناء من المفعول الذي قدره المفسر، و (**صال**) مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوف لالتقاء الساكنين، فهو معتل كقاض. قوله: (**في علم الله تعالى**) أي من علم الله أنه من أهل الجحيم، فإنه يميل إلى الكفر وأهله.

قوله: ﴿**وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ**﴾ هذا حكاية عن اعتراف الملائكة بالعبودية رداً على عبدتهم والمعنى: ليس منا أحد، إلا له مقام معلوم في المعرفة والعبادة، وامتثال ما يأمرنا الله تعالى به. قال ابن

السماوات يعبد الله فيه لا يتجاوزه ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝١٦٥﴾ أقدامنا في الصلاة ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ۝١٦٦﴾ المنزهون الله عما لا يليق به ﴿وَإِن﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كَانُواْ﴾ أي كفار مكة ﴿لَيَقُولُونَ ۝١٦٧﴾ ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا﴾ كتاباً ﴿مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٦٨﴾ أي من كتب الأمم الماضية ﴿لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝١٦٩﴾ العبادة له، قال تعالى ﴿فَكَفَرُواْ بِهِۦ﴾ أي الكتاب الذي جاءهم وهو القرآن الأشرف من تلك الكتب ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝١٧٠﴾ عاقبة كفرهم ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾ بالنصر ﴿لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٧١﴾ وهي لأغلبن أنا ورسلي؛ أو هي قوله ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝١٧٢﴾ ﴿وَإِنَّ جُندَنَا﴾ أي المؤمنين ﴿لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ۝١٧٣﴾ الكفار بالحجة والنصرة عليهم في الدنيا، وإن لم ينتصر بعض منهم في الدنيا ففي الآخرة ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي أعرض عن

عباس: ما في السماوات موضع شبر، إلا وعليه ملك يصلي ويسبح، وقيل: إن هذه الثلاث آيات، نزلت ورسول الله ﷺ عند سدرة المنتهى، فتأخر جبريل، فقال النبي ﷺ: أهنا تفارقني؟ فقال جبريل: ما أستطيع أن أتقدم عن مكاني هذا، وأنزل الله تعالى حكاية عن الملائكة **﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾** الآيات، وفي الحديث: «ما في السماوات موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم». قوله: **(أحد)** قدره إشارة إلى أن في الآية حذف الموصوف وابقاء صفته وهو مبتدأ، والخبر جملة قوله: **﴿إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾** والتقدير: **ما** أحد منا إلا له مقام معلوم. قوله: **(أقدامنا في الصلاة)** أشار بذلك إلى أن المفعول محذوف. قوله: **(مخففة من الثقيلة)** أي واللام فارقة، والمعنى: أن قريشاً كانت تقول قبل بعثة النبي ﷺ: لو أن لنا كتاباً مثل كتاب الأولين، لأخلصنا العبادة لله تعالى، وهذا نظير قوله تعالى: **﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من أحدى الأمم﴾**. قوله: **﴿فَكَفَرُوا بِهِ﴾** الفاء للفصيحة مرتب على ما قبله. قوله: **﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾** أي في الدنيا والآخرة، والتعبير بسوف تهديد لهم، كقولك لمن تريد ضربه مثلاً: سوف ترى ما توعد به وأنت شارع فيه، **﴿فَسَوفَ﴾** للوعيد لا للتعبير.

قوله: **﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾** إلخ، هذا تسلية له ﷺ، وإنما صدرت هذه الجملة بالقسم، لتأكيد الاعتناء بتحقيق مضمونها. قوله: **﴿كَلِمَتُنَا﴾(بالنصر)** إنما سمى الوعد بالنصر كلمة، مع أنه كلمات، لكون معنى الكل واحداً. قوله: **(وهي لأغلبن أنا ورسلي)** أي فيكون قوله: **﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾** جملة مستأنفة، وقوله: **(أو هي قوله) ﴿إِنَّهُمْ﴾** إلخ، أي وعليه فيكون بدلاً من **﴿كَلِمَتُنَا﴾** أو تفسيراً لها. قوله: **﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا﴾** الجند في الأصل الأنصار والأعوان، والمراد منه أنصار دين الله، وهم المؤمنون، كما قال المفسر. قوله: **(وإن لم ينتصر بعض منهم)** إلخ، دفع بهذا ما يقال: قد شوهدت غلبة الكفار على المؤمنين في بعض الأزمان، فأجاب: بأن النصر إما في الآخرة للجميع، أو في الدنيا للبعض، فالمؤمنون منصورون على كل حال. أجيب أيضاً: بأن الأنبياء المأذون لهم في القتال، لا بد لهم من النصر في الدنيا، ولا تقع لهم هزيمة أبداً، وإنما إن وقع للكفار بعض غلبة، كما في أحد، فهو لحكم عظيمة، ولا تبيت على المؤمنين، بل ينصرون عليهم بصريح قوله تعالى: **﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله﴾** الآية، وأما غيرهم، فتارة ينصرون في الدنيا، وتارة لا، وإنما ينصرون في الآخرة. قوله: **(تؤمر فيه**

كفار مكة ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ﴿١٧٤﴾ تؤمر فيه بقتالهم ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ إذا نزل بهم العذاب ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ ﴿١٧٥﴾ عاقبة كفرهم فقالوا استهزاء: متى نزول هذا العذاب؟ قال تعالى تهديداً لهم: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ ﴿١٧٦﴾ ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ بفنائهم، قال الفراء: العرب تكتفي بذكر الساحة عن القوم ﴿فَسَاءَ﴾ بئس صباحاً ﴿صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ﴾ ﴿١٧٧﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمر ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ﴿١٧٨﴾ ﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ ﴿١٧٩﴾ كرر تأكيداً لتهديدهم وتسلية له ﷺ ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ الغلبة ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿١٨٠﴾ بأن له ولداً ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٨١﴾ المبلغين عن الله التوحيد والشرائع ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٨٢﴾ على نصرهم وهلاك الكافرين.

بقتالهم) أي فكان أولاً مأموراً بالتبليغ والصبر، ثم لما كان في السنة الثانية من الهجرة، أمر ﷺ بالجهاد، وغزواته سبع وعشرون غزوة، قاتل في ثمان منها بنفسه: بدر وأحد والمصطلق والخندق وقريظة وخيبر وحنين والطائف.

قوله: **﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾(إذا نزل بهم العذاب)** أي من القتل والأسر، والمراد بالأمر: الدلالة على أن ذلك قريب كأنه واقع مشاهدة. قوله: **(عاقبة كفرهم)** أي من نزول العذاب بساحتهم. قوله: **(تهديداً لهم)** أي فليس الاستفهام على حقيقته، بل المقصود تهديدهم. قوله: **(تكتفي بذكر الساحة)** أي تستغني على سبيل الكفاية، فالمعنى: فإذا نزل بهم العذاب، فشبه العذاب بجيش هجم عليهم، فأناخ بفنائهم بغتة وهم في ديارهم، ففي ضمير العذاب استعارة بالكناية، والنزول تخييل. قوله: **(بئس صباحاً)** أشار بهذا إلى أن الفاعل ضمير، والتمييز محذوف، والمذكور مخصوص، والأوضح ما قاله غيره، من أن المذكور هو الفاعل، والمخصوص محذوف، وعليه فالتقدير: بئس صباح المنذرين صباحهم. قوله: **(فيه اقامة الظاهر مقام المضمر)** أي في التعبير بالمنذرين، وكان مقتضى الظاهر أن يقال صباحهم.

قوله: **﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ﴾** إلخ، الغرض منه تعليم المؤمنين أن يقولوه ولا يغفلوا عنه، لما روي عن علي كرم الله وجهه قال: من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة، فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه: **﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾** إلخ، وعن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ غير مرة ولا مرتين يقول في آخر صلاته أو حين ينصرف: **﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**. قوله: **﴿رَبِّ الْعِزَّةِ﴾** أضيف الرب إلى العزة لاختصاصه بها، كأنه قيل: ذي العزة، وقيل: المراد العزة المخلوقة الكائنة بين خلقه، ويترتب على كل من القولين مسألة اليمين، فعلى الأول ينعقد بها اليمين، لأنها من صفات الله تعالى، وعلى الثاني لا ينعقد، لأنها من صفات المخلوق. قوله: **﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾** تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ صٓ

مكيّة

وهي ست أو ثمان وثمانون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿صٓ﴾ الله أعلم بمراده به ﴿وَالْقُرْءَانِ ذِى الذِّكْرِ﴾ (١) أي البيان أو الشرف، وجواب هذا القسم محذوف، أي ما الأمر، كما قال كفار مكة من تعدد الآلهة ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿فِى عِزَّةٍ﴾ حمية وتكبر عن الإيمان ﴿وَشِقَاقٍ﴾ (٢) خلاف وعداوة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

سورة صّ مكية

وهي ست أو ثمان وثمانون آية

أي ويقال لها سورة داود. قوله: (مكية) أي كلها. قوله: (أو ثمان) أو لحكاية الخلاف. قوله: (الله أعلم به) تقدم غير مرة أن هذا القول أسلم، لأن تفويض الأمر المتشابه لعلم الله تعالى هو غاية الأدب، واعلم أن في لفظ ص قراءات خمسة السبعة على السكون لا غير، والباقي شاذ، وهو الضم والفتح من غير تنوين، والكسر بتنوين وبدونه، فالضم على أنه خبر لمحذوف، على أنه اسم للسورة، أي هذه ص، ومنع من الصرف للعلمية والتأنيث، والفتح إما على أنه مفعول لمحذوف تقديره اقرأ ونحوه، أو مبني على الفتح كأين وكيف، والأول أقرب، والكسر بغير تنوين للتخلص من التقاء الساكنين، وبالتنوين مجرور بحرف قسم محذوف، وصرف بالنظر إلى اللفظ. قوله: (أي البيان) أي لما يحتاج إليه أمر الدين، وقوله: (أو الشرف) أي أن من آمن به، كان شريفاً في الدنيا والآخرة؛ قال تعالى: ﴿لقد أنزلنا اليكم كتاباً فيه ذكركم﴾ أي شرفكم، وأيضاً القرآن شريف في ذاته، من حيث اشتماله على المواعظ والأحكام وغيرهما، فهو شريف في نفسه مشرف لغيره، وقيل: المراد بالذكر، ذكر أسماء الله تعالى وتمجيده، وقيل: المراد به الموعظة، وقيل: غير ذلك. قوله: (وجواب هذا القسم محذوف) إلخ، هذا أحد أقوال وهو أحسنها، وقيل: تقديره ﴿إنك لمن المرسلين﴾ كما في يس، وقيل: هو قوله: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ وفيه حذف اللام، والأصل لكم أهلكنا، وإنما حذفت لطول الكلام، نظير حذفها في قوله: ﴿قد أفلح من زكاها﴾ بعد قوله: ﴿والشمس﴾، وقيل: غير ذلك.

قوله: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اضراب وانتقال من قصة إلى قصة. قوله: (من أهل مكة) خصهم

للنبي ﷺ ﴿كَمْ﴾ أي كثيراً ﴿أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ أي أمة من الأمم الماضية ﴿فَنَادَوا﴾ حين نزول العذاب بهم ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾﴾ أي ليس الحين حين قرار، والتاء زائدة، والجملة حال من فاعل نادوا، أي استغاثوا، والحال أن لا مهرب ولا منجى وما اعتبر بهم كفار مكة ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ رسول من أنفسهم ينذرهم ويخوِّفهم النار بعد البعث، وهو النبي ﷺ ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر ﴿هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾﴾ ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ حيث قال لهم: قولوا: لا إله إلا الله، أي كيف يسع الخلق كلهم إله واحد؟ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ أي عجيب ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾ من مجلس اجتماعهم عند أبي

بالذكر لأنهم سبب النزول، وإلا فالمراد كل كافر. قوله: **(أي كثيراً)** أشار بذلك إلى أن ﴿كَمْ﴾ خبرية بمعنى كثيراً مفعول ﴿أَهْلَكْنَا﴾ و ﴿مِنْ قَرْنٍ﴾ تمييز لها. قوله: ﴿وَلَاتَ حِينَ﴾ اختلفت المصاحف في رسم التاء، فبعضهم رسمها مفصولة، وبعضهم رسمها متصلة بحين، وينبني على هذا الاختلاف الوقف، فبعضهم يقف على التاء، وبعضهم على لا، ومن يقف على التاء، فجمهور السبعة يقفون على التاء المجرورة، اتباعاً لمرسوم الخط الشريف، والأقل منهم يقف بالهاء، وهذا الوقف للاختيار، لا أنه من جملة الأوقاف الجائزة. قوله: ﴿مَنَاصٍ﴾ المناص يطلق على المنجي والمفر والتقدم والتأخر، وكل هنا يناسب المقام. قوله: **(أي ليس الحين)** إلخ، أشار بذلك إلى مذهب الخليل وسيبويه في لات، من حيث إنها تعمل عمل ليس، وان اسمها محذوف، وهو وخبرها لفظ الحين، وإلى ذلك أشار ابن مالك بقوله:

وما للات في سوى حين عمل ... وحذف ذي الرفع فشا والعكس قل

قوله: **(والتاء زائدة)** أي لتأكيد النفي. قوله: **(من فاعل نادوا)** أي وهو الواو. قوله: **(وما اعتبر) معطوف** على ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾. قوله: ﴿وَعَجِبُوا﴾ إلخ أي جعلوا مجيء رسول من جنسهم أمراً خارجاً عن طوق العقل فيتعجب منه. قوله: **(من أنفسهم)** أي من جنسهم. قوله: **(فيه وضع الظاهر)** إلخ زيادة في التقبيح عليهم، وإشعاراً بأن كفرهم جسرهم على هذا القول. قوله: ﴿سَاحِرٌ﴾ أي فيما يظهره من الخوارق. قوله: ﴿كَذَّابٌ﴾، أي فيما يسنده إلى الله من الإرسال والإنزال.

قوله: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ﴾ إلخ، الاستفهام تعجبي، أي كيف يعلم الجميع، ويقدر على التصرف فيهم إله واحد؟ وسبب هذا التعجب، قياسهم للقديم على الحادث، ولم يعلموا أنه واحد لا من قلة، بل وحدته تعزز وانفراد، تنزه الله عن مماثلة الحوادث له. قوله: **(عجيب)** أشار بذلك إلى أن ﴿عِجَابٌ﴾ مبالغة في **(عجيب)**. قوله: **(عند أبي طالب)** روي أنه لما أسلم عمر، شق ذلك على قريش، فاجتمع خمسة وعشرون من صناديدهم، فأتوا أبا طالب فقالوا: أنت شيخنا وكبيرنا، وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء، وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك، فأحضره وقال له: يا ابن أخي، هؤلاء قومك يسألونك السواء والإنصاف، فلا تمل كل الميل على قومك، فقال النبي ﷺ: ماذا تسألونني؟ فقالوا: ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا، وندعك وإلهك، فقال: أرأيتم إن أعطيتكم ما سألتم، أمعطي أنتم كلمة واحدة تملكون بها رقاب العرب، وتدين لكم العجم، فقالوا: نعم وعشر أمثالها، فقال: قولوا لا إله إلا الله،

طالب، وسماعهم فيه من النبي ﷺ قولوا: لا إله إلا الله ﴿أَنِ ٱمۡشُواْ﴾ أي يقول بعضهم لبعض: امشوا ﴿وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ﴾ اثبتوا على عبادتها ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ المذكور من التوحيد ﴿لَشَيۡءٞ يُرَادُ﴾ ﴿٦﴾ منا ﴿مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي ملة عيسى ﴿إِنۡ﴾ ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ﴾ ﴿٧﴾ كذب ﴿أَءُنزِلَ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركه ﴿عَلَيۡهِ﴾ على محمد ﴿ٱلذِّكۡرُ﴾ القرآن ﴿مِنۢ بَيۡنِنَاۚ﴾ وليس بأكبرنا ولا أشرفنا؟ أي لم ينزل عليه، قال تعالى ﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ﴾ وحيي، أي القرآن حيث كذبوا الجائي به ﴿بَل لَّمَّا﴾ لم ﴿يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾ ﴿٨﴾ ولو ذاقوه لصدقوا النبي ﷺ فيما جاء به ولا ينفعهم التصديق حينئذ ﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ﴾ الغالب ﴿ٱلۡوَهَّابِ﴾ ﴿٩﴾ من النبوّة وغيرها، فيعطونها من شاؤوا ﴿أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ﴾ إن زعموا ذلك ﴿فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ﴾ ﴿١٠﴾ الموصلة إلى السماء فيأتوا بالوحي فيخصوا به من شاؤوا، وأم في الموضعين بمعنى همزة الإنكار ﴿جُندٞ مَّا﴾ أي هم جند حقير ﴿هُنَالِكَ﴾ أي في تكذيبهم لك ﴿مَهۡزُومٞ﴾ صفة جند ﴿مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ ﴿١١﴾

فقاموا وانطلقوا قائلين: امشوا واصبروا على آلهتكم. قوله: **(أي يقول بعضهم)** إلخ، أشار بذلك إلى أن **﴿أَنِ﴾** تفسيرية، وضابطها موجود، وهو تقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه.

قوله: **﴿وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ﴾** أي استمروا على عبادتها. قوله: **﴿إِنَّ هٰذَا﴾** تعليل للأمر بالصبر. قوله: **﴿يُرَادُ﴾(منا)** أي يقصد منا تنفيذه، فلا انفكاك لنا عنه. قوله: **﴿مَا سَمِعْنَا بِذٰلِكَ﴾** إلخ، أي وإنما سمعنا فيها التثليث. قوله: **(بتحقيق الهمزتين)** أي فالقراءات أربع سبعيات. قوله: **(أي لم ينزل عليه)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام انكاري بمعنى النفي. قوله: **﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ﴾** اضراب عن مقدر تقديره انكارهم للذكر ليس عن علم، بل هم في شك منه. قوله: **﴿بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾** اضراب انتقالي لبيان سبب الشك، والمعنى سببه أنهم لم يذوقوا العذاب إلى الآن، ولو ذاقوه لأيقنوا بالقرآن وآمنوا به. قوله: **﴿يَذُوقُوا﴾** أشار بذلك إلى أن **﴿لمَّا﴾** بمعنى لم، فالمعنى لم يذوقوه إلى الآن، وذوقهم له متوقع، فإذا ذاقوه زال عنهم الشك وصدقوا، وتصديقهم حينئذ لا ينفعهم. قوله: **(حينئذ)** أي حين ذاقوه.

قوله: **﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾** المعنى أن النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده فلا مانع له. قوله: **(الغالب)** أي الذي لا يغلبه شيء، بل هو الغالب لكل شيء. قوله: **﴿الْوَهَّابِ﴾** أي الذي يهب من يشاء لمن يشاء. قوله: **﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾** المعنى: ليس لهم تصرف في العالم الذي هو من جملة خزائن رحمته، فمن أين لهم التصرف فيها. قوله: **﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَابِ﴾** الفاء واقعة في جواب شرط مقدر قدره بقوله: **(إن زعموا ذلك)** أي المذكور من العندية والملكية، والمعنى: فليصعدوا في المعاريج التي يتوصل بها العرش، حتى يستووا عليه، ويدبروا أمر العالم، وينزلوا الوحي على من يختارون. قوله: **(بمعنى همزة الإنكار)** أي وبعضها قدرها ببل والهمزة. قوله: **(أي وهم جند)** أشار بذلك إلى أن **﴿جُنْدٌ﴾** خبر لمحذوف، والتنوين للتقليل، والتحقير، و **﴿مَا﴾** لتأكيد القلة. قوله: **﴿هُنَالِكَ﴾** ظرف لجند أو لمهزوم. قوله: **﴿مَهْزُومٌ﴾** أي مقهور ومغلوب، والمعنى: إن قريشاً

صفة جند أيضاً، أي كالأجناد، من جنس الأحزاب المتحزبين على الأنبياء قبلك، وأولئك قد قهروا وأهلكوا، فكذا نهلك هؤلاء ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ تأنيث قوم باعتبار المعنى ﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾ ﴿١٢﴾ كان يتد لكل من يغضب عليه أربعة أوتاد يشد إليها يديه ورجليه ويعذبه ﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْأَيْكَةِ﴾ أي الغيضة، وهم قوم شعيب عليه السلام ﴿أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ﴾ ﴿١٣﴾ ﴿إِن﴾ ما ﴿كُلٌّ﴾ من الأحزاب ﴿إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ لأنهم إذا كذبوا واحداً منهم فقد كذبوا جميعهم، لأن دعوتهم واحدة وهي دعوة التوحيد ﴿فَحَقَّ﴾ وجب ﴿عِقَابِ﴾ ﴿١٤﴾ ﴿وَمَا يَنظُرُ﴾ ينتظر ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ أي كفار مكة ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ هي نفخة القيامة تحل بهم العذاب ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ ﴿١٥﴾ بفتح الفاء وضمها: رجوع ﴿وَقَالُوا﴾ لما نزل ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه﴾ الخ ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ أي كتاب أعمالنا ﴿قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ ﴿١٦﴾ قالوا ذلك استهزاء، قال

جند حقير قليل من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عن قريب، فلا تكترث بهم، وتسلَّ عنهم. قوله: **(صفة جند أيضاً)** أي فقد وصف **﴿جُنْدٌ﴾** بصفات ثلاث: الأولى **﴿مَا﴾** والثانية **﴿مَهْزُومٌ﴾** والثالثة **﴿مِنَ الْأَحْزَابِ﴾**. قوله: **(وأولئك)** أي الأحزاب.

قوله: **﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾** إلخ، استئناف مقرر لمضمون ما قبله ببيان تفاصيل الأحزاب. قوله: **(باعتبار المعنى)** أي وهو أنهم أمة. قوله: **(كان يتد)** من باب وعد، أي يدق ويغرز، و **﴿الْأَوْتَادِ﴾** جمع وتد، بفتح الواو وكسر التاء على الأفصح. قوله: **(يشد إليها يديه)** إلخ، أي ويضجعه مستلقياً على ظهره. قوله: **(ويعذبه)** قيل: يتركه حتى يموت، وقيل: يرسل عليه العقارب والحيات، وقيل: معنى ذو الأوتاد: ذو الملك الثابت، أو ذو الجموع الكثيرة، وفي **﴿الْأَوْتَادِ﴾** استعارة بليغة، حيث شبه الملك ببيت الشعر، وهو لا يثبت إلا بأوتاد. قوله: **(أي الغيضة)** أي الأشجار الملتفة المجتمعة، وتقدم أنهم أهلكوا بالظلة.

قوله: **﴿أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾** بدل من الطوائف المذكورة، وقوله: **﴿إِنْ كُلٌّ﴾** إلخ، استئناف جيء به تقريراً لتكذيبهم، وبياناً لكيفيته، وتمهيداً لما يعقبه، و **﴿إِنْ﴾** نافية لا عمل لها لانتقاض النفي بإلا. قوله: **(لأنهم)** إلخ، جواب سؤال كيف يقال: إن كلاً كذب الرسل، مع أن كل أمة كذبت رسولاً واحداً. قوله: **﴿وَمَا يَنْظُرُ هؤُلَاءِ﴾** شروع في بيان عقاب كفار مكة، إثر بيان عقاب إخوانهم الأحزاب. قوله: **(هي نفخة القيامة)** أي الثانية. قوله: **﴿مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾** الجملة في محل صفة لصيحة، و **﴿مِنْ﴾** مزيدة في المبتدأ. قوله: **(بفتح الفاء وضمها)** أي فهما قراءتان سبعيتان بمعنى واحد، هو الزمان الذي بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع، والمعنى: ما لها من توقف قدر فواق ناقة، وقال ابن عباس: ما لها من رجوع، من أفاق المريض إذا رجع إلى صحته، وقد مشى عليه المفسر، وكل صحيح. قوله: **(لما نزل ﴿فأما من أوتي كتابه﴾** إلخ، أي الذي في سورة الحاقة. قوله: **﴿قِطَّنَا﴾** أي نصيبنا وحظنا، وأصله من قط الشيء أي قطعه. قوله: **(أي كتاب أعمالنا)** سمي قطاً لأنه مقطوط أي مقطوع، لأن صحيفة الأعمال قطعة ورق مقطوعة من غيرها. قوله: **﴿قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾** أي في الدنيا.

تعالى ﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ﴾ أي القوة في العبادة، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ويقوم نصف الليل وينام ثلثه ويقوم سدسه ﴿ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ ﴿١٧﴾ رجاع إلى مرضاة الله ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ ﴾ بتسبيحه ﴿ بِٱلْعَشِيِّ ﴾ وقت صلاة ٱلْعشاء ﴿ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴾ ﴿١٨﴾ وقت صلاة الضحى، وهو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوؤها ﴿ وَ ﴾ سخرنا ﴿ ٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ﴾ مجموعة إليه تسبح معه ﴿ كُلٌّ ﴾ من الجبال والطير ﴿ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ ﴿١٩﴾ رجاع إلى طاعته بالتسبيح ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ ﴾ قوّيناه بالحرس والجنود، وكان يحرس محرابه في كل ليلة ثلاثون ألف رجل ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ ﴾ النبوة والإصابة في الأمور ﴿ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾ ﴿٢٠﴾ البيان الشافي في كل قصد

قوله: ﴿**اصْبِرْ عَلَى مَايَقُولُونَ**﴾ فيه تهديد للكفار، وتسلية لرسول الله ﷺ. قوله: ﴿**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ**﴾ إلخ، والمقصود من ذكر تلك القصص، إظهار فضل المتقدمين، وتسليته له ﷺ على أذى قومه، فيقتدي بمن قبله لكونه سيد الجميع، فهو أولى بالصبر، والإضافة في عبدنا لتشريف المضاف. قوله: ﴿**ذَا الأَيْدِ**﴾ مصدر مفرد بوزن البيع، من آد يئيد، إذا قوي واشتد، وليس جمع يد. قوله: (**كان يصوم يوماً ويفطر يوماً**) أي وهو جهاد للنفس، دليل على قوة داود، لأن النفس كالطفل، فإذا فطمها عن شهوتها بالصوم يوماً، أطلقها في اليوم الثاني، ثم يعود لفطمها، ولا شك أنه جهاد عظيم. قوله: (**ويقوم نصف الليل**) إلخ، هكذا في بعض النسخ موافقة لما في القرطبي والبيضاوي وأبي السعود، وفي بعض النسخ: كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، وهو الموافق لما في الصحيحين من قوله عليه الصلاة والسلام: «إن أحب الصيام إلى الله صيام داود، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود، كان يصوم يوماً، ويفطر يوماً، وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه». ولما في الجامع الصغير من قوله عليه الصلاة والسلام: «أحب الصيام إلى الله صيام داود، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه» ولعله كان أحياناً هكذا، وأحياناً هكذا. قوله: ﴿**إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾ تعليل لكونه ذا قوة في الدين. قوله: (**إلى مرضاة الله**) المرضاة بمعنى الرضا.

قوله: ﴿**إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ**﴾ تعليل آخر لقوته في الدين. قوله: ﴿**يُسَبِّحْنَ**﴾ أي بلسان المقال ويسرن معه في السياحة، والجملة حالية من مفعول سخرنا. قوله: (**وقت صلاة العشاء**) ظاهره أن المراد بها العشاء الآخرة، والذي يفهم من كلام غيره، أنها المغرب حيث قال: فكان داود يسبح إثر صلاته، عند طلوع الشمس وعند غروبها. قوله: (**ويتناهى ضوؤها**) أي وهو ربع النهار. قوله: ﴿**وَالطَّيْرِ مَحْشُورَةً**﴾ بالنصب في قراءة العامة معطوف على الجبال، وقرىء شذوذاً بالرفع مبتدأ وخبر.

قوله: ﴿**كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ**﴾ أشار المفسر إلى أن الضمير في ﴿**لَهُ**﴾ عائد على ﴿**دَاوُدَ**﴾، وحينئذ فالمعنى: كل من الجبال والطير مطيع لداود في تسبيحه إن رفع رفعوا، وإن خفض خفضوا، وهو أحد قولين، والآخر أنه عائد على الله تعالى، والمعنى: كل من داود والجبال والطير مطيع لله تعالى. قوله: (**بالحرس**) بفتحتين اسم جمع كخدم، أو بضم الحاء وفتح الراء المشددة جمع حارس. قوله: (**ثلاثون ألف رجل**) في رواية ابن عباس ستة وثلاثون ألفاً. قوله: (**النبوة والإصابة في الأمور**) هذا أحد أقوال تفسير الحكمة، وقيل هي العلم بكتاب الله تعالى، وقيل: العلم والفقه، وقيل: السنة. قوله: (**البيان الشافي**) أي

﴿وَهَلْ﴾ معنى الاستفهام هنا التعجب والتشويق إلى استماع ما بعده ﴿أَتَىٰكَ﴾ يا محمد ﴿نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ۝٢١﴾ محراب داود أي مسجده حيث منعوا الدخول عليه من الباب لشغله بالعبادة، أي خبرهم وقصتهم ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ﴾ نحن ﴿خَصْمَانِ﴾ قيل فريقان ليطابق ما قبله من ضمير الجمع، وقيل اثنان والضمير بمعناها، والخصم على الواحد وأكثر، وهما ملكان جاءا في صورة وقع لهما ما ذكر على سبيل الفرض، لتنبيه داود عليه السلام على ما وقع منه، وكان له تسع وتسعون امرأة، وطلب امرأة شخص ليس له غيرها وتزوجها ودخل بها ﴿بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ تجر ﴿وَٱهْدِنَآ﴾ أرشدنا ﴿إِلَىٰ سَوَآءِ

الإظهار المنبه للمخاطب من غير التباس، وهو أحد أقوال في تفسير فصل المخاطب، وقيل الفصل في القضاء، وقيل: هو البينة على المدعي واليمين على من أنكر، وقيل: هو أما بعد، وقيل: غير ذلك. قوله: **(التعجيب)** أي حمل المخاطب على التعجب، أو إيقاعه في العجب. قوله: **(إلى استماع ما بعده)** أي لكونه أمراً غريباً، كقولك لجليسك: هل تعلم ما وقع اليوم؟ تريد أن يستمع لكلامك، ثم تذكر له ما وقع.

قوله: **﴿إِذْ تَسَوَّرُوا﴾** ظرف لمضاف محذوف تقديره نبأ تخاصم الخصم، ولا يصح إن يكون ظرفاً لأتاك، لأن إتيان النبأ كائن في عهد رسول الله، لا في عهد داود، ولا لنبأ، لأن النبأ واقع في عهد داود، فلا يصح إتيانه رسول الله ﷺ. قوله: **(أي مسجده)** أي الذي كان يدخله للاشتغال بالعبادة والطاعة. قوله: **(حيث منعوا الدخول عليه من الباب)** أي لكونهم أتوه في اليوم الذي كان يشتغل فيه بالعبادة، فمنعهم الحرس الدخول عليه من الباب. قوله: **﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾** أي لأنهم نزلوا من أعلى، على خلاف العادة والحرس حوله.

قوله: **﴿قَالُوا لَا تَخْفْ﴾** جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: ماذا قالوا لما شاهدوا فزعه؟ فقال: قالوا: لا تخف. قوله: **(قيل: فريقان)** هذا مبني على أن الداخل فيه كان أزيد من اثنين، فكان المتخاصمين والشاهدين والمزكيين. قوله: **(وقيل: اثنان)** أي شخصان، وهو مبني على أن الداخل المتداعيان فقط. قوله: **(والخصم يطلق)** إلخ، أي لأنه في الأصل مصدر. قوله: **(وهما ملكان)** قيل هما جبريل وميكائيل. قوله: **(على سبيل العرض)** بالعين المهملة أي التعريض، وهو جواب عما يقال: إن الملائكة معصومون، فكيف يتصور منهم البغي أو الكذب؟ فأجاب: بأن هذا على سبيل التعريض للمخاطب، فلا بغي فيه ولا كذب. قوله: **(لتنبيه داود)** أي ايقاظه على ما صدر منه. قوله: **(وكان له تسع)** إلخ، بيان لما وقع منه. قوله: **(وطلب امرأة شخص)** هو وزيره أوريا بن حان لسر عظيم، وهو كما قيل: إنها أم سليمان عليه السلام. قوله: **(وتزوجها ودخل بها)** مشى المفسر على أن داود سأل أوريا طلاق زوجته، ثم بعد وفاء عدتها، تزوجها داود ودخل بها، وهو أحد أقوال ثلاثة، والثاني: أن داود لما تعلق بها قلبه، أمر أوريا ليذهب للجهاد ليقتل فيتزوجها ففعل، فلما قتل في الجهاد تزوجها داود، والثالث أن أوريا لم يكن متزوجاً بها، وإنما خطبها فقط، فخطبها داود على خطبته وتزوجها، وكان ذلك كله جائزاً في شرعه، وإنما عاتبه الله لرفعة قدره، وللسيد أن يعاقب عبده على ما يقع منه، وإن كان جائزاً، من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين. قوله: **﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾** العام على ضم التاء من أشطط إذا تجاوز الحد،

ٱلصِّرَٰطِ ﴾ ﴿٢٢﴾ وسط الطريق الصواب ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى ﴾ أي على ديني ﴿ لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً ﴾ يعبر بها عن المرأة ﴿ وَلِىَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا ﴾ أي اجعلني كافلها ﴿وَعَزَّنِى﴾ غلبني ﴿فِى ٱلۡخِطَابِ﴾ ﴿٢٣﴾ أي الجدال وأقره الآخر على ذلك ﴿قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ ﴾ ليضمها ﴿ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ ﴾ الشركاء ﴿ لَيَبۡغِى بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمۡۗ ﴾ ما لتأكيد القلة فقال الملكان صاعدين في صورتيهما إلى السماء قضى الرجل على نفسه، فتنبه داود، قال تعالى: ﴿وَظَنَّ﴾ أي أيقن ﴿دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ أوقعناه في فتنة أي بلية بمحبته تلك المرأة ﴿فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ أي ساجداً ﴿وَأَنَابَ﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ

وقرىء شذوذاً تشطط بفتح التاء وضم الطاء، وتشط من أشط رباعياً، إلا أنه أدغم، وتشطط من شطط وتشاطط. قوله: ﴿إِنَّ هٰذَا أَخِي﴾ إلخ، مرتب على مقدر تقديره: فقال لهما داود تكلما، فقال أحدهما: إن هذا أخي، إلخ. قوله: ﴿أي على ديني﴾ أي فليس المراد أخوة النسب، لأن الملائكة لا يلدون، ولا يوصفون بذكورة ولا أنوثة. قوله: (يعبر بها عن المرأة) أي يكنى بها عن المرأة لسكونها وعجزها، وقد يكنى عنها بالبقرة والناقة. قوله: (أي اجعلني كافلها) هذا هو معناه الأصلي، والمراد هنا ملكنيها وانزل لي عنها. قوله. ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ أي فهو أصح مني في الكلام، فالغلبة له علي لضعفي. قوله: (وأقره الآخر) أي المدعى عليه، وهو جواب عما يقال: كيف حكم داود، ولم يسمع شيئاً من المدعى عليه؟ فأجيب: بأنه سمع منه الإقرار والاعتراف. قوله: ﴿بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ﴾ من أضافة المصدر لمفعوله والفاعل محذوف، أي بأن سألك نعجتك. قوله: (ليضمها) أشار بذلك إلى أنه ضمن السؤال معنى الإضافة والضم. قوله: ﴿الْخُلَطَاءِ﴾(الشركاء) أي الذين خلطوا أموالهم، وفيه اشارة إلى أن داود ساير ظاهر دعواهم.

قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ استثناء متصل. قوله: (فتنبه داود) أي علم أنهما يريدانه بهذا التعريض. قوله: ﴿أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ ما زائدة، والمعنى وظن داود أنا فتناه فتنبه ولاحظ، والظن هنا بمعنى اليقين كما أشار له المفسر. قوله: ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ﴾ أي طلب منه المغفرة، وتقدم أنه ليس بذنب، وإنما هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين. قوله: (أي ساجداً) عبر بالركوع عنه، لأن كلاًّ منهما فيه انحناء.

قوله: ﴿وَأَنَابَ﴾ أي رجع إلى مولاه، قال المفسرون: سجد داود أربعين يوماً لا يرفع رأسه إلا لحاجة، أو لوقت صلاة مكتوبة، ثم يعود ساجداً إلى تمام الأربعين يوماً، لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي، حتى نبت العشب حول رأسه، وهو ينادي ربه عز وجل ويسأله التوبة، وكان من دعائه في سجوده: سبحان الملك الأعظم الذي يبتلي الخلق بما يشاء، سبحان خالق النور، سبحان الحائل بين القلوب، سبحان خالق النور، إليه خليت بيني وبين عدوي إبليس فلم أقم لفتنته إذ نزلت بي، سبحان خالق النور، إلهي أنت خلقتني وكان في سابق علمك ما أنا إليه صائر، سبحان خالق النور، إلهي الويل لداود إذا كشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطىء، سبحان خالق النور، إلهي بأي عين أنظر إليك يوم القيامة، وإنما ينظر الظالمون من طرف خفي، سبحان خالق النور، إلهي بأي قدم أقدم أمامك يوم القيامة يوم تزل أقدام الخاطئين، سبحان خالق النور، إلهي من أين يطلب العبد المغفرة إلا من عند سيده،

لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ أي زيادة خير في الدنيا ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ ﴿٢٥﴾ مرجع في الآخرة ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ تدبر أمر الناس ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ أي هوى

سبحان خالق النور، إلهي أنا لا أطيق حر شمسك فكيف أطيق حر نارك، سبحان خالق النور، إلهي أنا لا أطيق صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهنم، سبحان خالق النور، إلهي الويل لداود من الذنب العظيم الذي أصابه، سبحان خالق النور، إلهي كيف يستتر الخاطئون بخطاياهم دونك وأنت تشاهدهم حيث كانوا، سبحان خالق النور، إلهي قد تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي، سبحان خالق النور، إلهي اغفر لي ذنوبي ولا تباعدني من رحمتك لهواني، سبحان خالق النور، إلهي أعوذ بك بوجهك الكريم من ذنوبي التي أوبقتني، سبحان خالق النور، إلهي ففررت إليك بذنوبي واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني من القانطين ولا تخزني يوم الدين، سبحان خالق النور. قيل: مكث داود أربعين يوماً، لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه حتى غطى رأسه، فنودي يا داود أجائع أنت فتطعم؟ أظمآن أنت فتسقى؟ أمظلوم أنت فتنصر؟ فأجيب في غير ما طلب، ولم يجبه في ذكر خطيئته بشيء، فحزن حتى هاج ما حوله من العشب فاحترق من حرارة جوفه، ثم أنزل الله تعالى له التوبة والمغفرة بقوله: **﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾** وقد ورد أنه لما قبل الله توبته، بكى على خطيئته ثلاثين سنة، لا يرقأ دمعه ليلاً ولا نهاراً، وكان سنه إذ ذاك سبعين سنة، فقسم الدهر على أربعة: يوم للقضاء، ويوم لنسائه، ويوم يسيح في الجبال والفيافي والسياحة، ويوم يخلو في دار له فيها أربعة آلاف محراب، فيجتمع إليه الرهبان، ينوح معهم على نفسه، فإذا كان يوم سياحته، خرج إلى الفيافي ويرفع صوته بالبكاء، فتبكي معه الأشجار والرمال والطيور والوحوش، حتى يسيل من دموعهم مثل الأنهار، ثم يجيء إلى الساحل فيرفع صوته بالبكاء، فتبكي معه دواب البحر وطير الماء، فإذا كان يوم من نوحه على نفسه نادى مناديه: إن اليوم يوم نوح داود على نفسه، فليحضره من يساعد ويدخل الدار التي فيها المحاريب، فيبسط فيها ثلاثة فرش من مسوح حشوها ليف فيجلس عليها، ويجيء أربعة آلاف راهب فيجلسون في تلك المحاريب، ثم يرفع داود عليه السلام صوته بالبكاء والرهبان معه فلا يزال يبكي حتى يغرق الفرش من دموعه، ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب، فيجيء ابنه سليمان فيحمله، وقد ورد أيضاً أنه لما تاب الله على داود قال: يا رب غفرت لي فكيف لي أن أنسى خطيئتي فاستغفر منها وللخاطئين إلى يوم القيامة، فوسم الله خطيئته في يده اليمنى، فما رفع فيها طعاماً ولا شراباً إلا بكى إذا رآها، وما قام خطيباً في الناس إلا وبسط راحته فاستقبل بها الناس ليروا وسم خطيئته، وكان يبدأ إذا دعا واستغفر للخاطئين قبل نفسه، وكان قبل الخطيئة يقوم نصف الليل، ويصوم نصف الدهر، فلما كان من خطيئته ما كان، صام الدهر كله وقام الليل كله، وكان إذا ذكر عقاب الله تعالى انخلعت أوصاله، وإذا ذكر رحمة الله تراجعت ا. هـ ملخصاً.

قوله: **﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ﴾** يحتمل أنه كلام مستأنف، بيان للزلفى في قوله: **﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى﴾** يحتمل أن مقول القول محذوف معطوف على قوله: **﴿فَغَفَرْنَا لَهُ﴾** كأنه قيل: فغفرنا له وقلنا يا داود إلخ، وفي هذه الآية دليل على أن خلافته التي كانت قبل الفتنة، باقية مستمرة بعد التوبة. قوله: (**تدبر أمر الناس**) أي لكونك ملكاً وسلطاناً عليهم، فقد جمع لداود بين النبوة والسلطنة، وكان فيمن قبله النبوة مع شخص والسلطنة مع آخر، فيحكم للسلطان بما يأمره به النبي. قوله:

النفس ﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ أي عن الدلائل الدالة على توحيده ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي عن الإيمان بالله ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ﴾ بنسيانهم ﴿يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ ﴿٢٦﴾ المرتب عليه تركهم الإيمان، ولو أيقنوا بيوم الحساب لآمنوا في الدنيا ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ﴾ أي عبثاً ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي خلق ما ذكر لا لشيء ﴿ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ من أهل مكة ﴿فَوَيْلٌ﴾ واد ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ ﴿٢٨﴾ نزل لما قال كفار مكة للمؤمنين: إنا نعطي في الآخرة مثل ما تعطون، وأم بمعنى همزة الإنكار ﴿كِتَٰبٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي هذا ﴿أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ﴾ أصله يتدبروا أدغمت التاء في الدال ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ ينظروا في معانيها فيؤمنوا

﴿بِالْحَقِّ﴾ أي العدل، لأن الأحكام إذا كانت موافقة لما أمر الله به، صلحت الخلق واستقام نظامهم، بخلاف ما إذا كانت موافقة لهوى النفس، فإن ذلك يؤدي إلى فساد النظام، ووقوع الهرج والمرج المؤدي للهلاك، وهو معنى قولهم: العدل إن دام عمر، والظلم إن دام دمر.

قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾ المقصود من نهيه اعلام أمته بأنه معصوم، ولتتبعه فيما أمر به، لأنه إذا كان هذا الخطاب للمعصوم فيغيره أولى. قوله: ﴿فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ بالنصب في جواب النهي، وهو أولى من جعله مجزوماً عطفاً على النهي، وفتح للتخلص من التقاء الساكنين. قوله: **(أي عن الدلائل الدالة على توحيده)** إنما فسر السبيل بذلك وإن كان شاملاً لفروع الدين الموصلة إلى الله تعالى، ليوافق قوله: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ إلخ. قوله: **(بنسيانهم)** أشار بذلك إلى أن ما مصدرية والباء سببية، وقوله: ﴿يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ إما ظرف لقوله: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ أو مفعول لنسوا. قوله: **(المرتب عليه)** إلخ، أي فالسبب الحقيقي في حصول العذاب لهم، هو ترك الإيمان، ونسيان يوم الحساب سبب في ترك الإيمان، فاكتفى بذكر السبب.

قوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ﴾ إلخ، استئناف لتقرير ما قبله من البعث والحساب. قوله: ﴿بَاطِلًا﴾ نعت لمصدر محذوف، أي خلقنا باطلاً، أو حال من ضمير الخلق. قوله: ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي مظنونهم. قوله: ﴿فَوَيْلٌ﴾ هو في الأصل معناه الهلاك، أي هلاك ودمار للذين كفروا، وعبر بالظاهر تقبيحاً عليهم، واشارة إلى أن ظنهم إنما نشأ من أجل كفرهم. قوله: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ إلخ ﴿أَمْ﴾ منقطعة تفسر ببل والهمزة، وهو إضراب انتقالي من أمر البعث والحساب، إلى بيان عدم استواء المؤمنين والكافرين في العواقب، وهو نظير قوله تعالى: ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ الآية.

قوله: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ﴾ إلخ، تنويع آخر في الإضراب، والمعنى واحد. قوله: **(بمعنى همزة الإنكار)** أي مع بل التي للإضراب. قوله: **(خبر مبتدأ محذوف)** أي و ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ صفة ﴿كِتَابٌ﴾ و ﴿مُبَارَكٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أو خبر ثان لا صفة ثانية للكتاب، لأنه يلزم عليه الوصف بالجملة قبل الوصف بالمفرد، وفيه خلاف. قوله: **(ينظروا في معانيها)** أي يتأملوا فيها، فيزدادوا معرفة ونوراً على

﴿وَلِيَتَذَكَّرَ﴾ يتعظ ﴿أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ﴿٢٩﴾ أصحاب العقول ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ﴾ ابنه ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ أي سليمان ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ ﴿٣٠﴾ رجاع في التسبيح والذكر في جميع الأوقات ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ﴾ هو ما بعد الزوال ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾ الخيل جمع صافنة، وهي القائمة على ثلاث وإقامة الأخرى على طرف الحافر وهو من صفن يصفن صفوناً ﴿ٱلْجِيَادُ﴾ ﴿٣١﴾ جمع جواد وهو السابق، المعنى: أنها إذا استوقفت سكنت وإن ركضت سبقت وكانت ألف فرس عرضت عليه بعد أن صلى الظهر، لإرادته الجهاد عليها لعدو، فعند بلوغ العرض منها تسعمائة غربت الشمس ولم يكن صلى العصر فاغتمّ ﴿فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ﴾ أي أردت ﴿حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾ أي الخيل ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾ أي صلاة العصر ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ﴾ أي الشمس ﴿بِٱلْحِجَابِ﴾ ﴿٣٢﴾ أي استترت بما يحجبها عن الأبصار ﴿رُدُّوهَا عَلَىَّ﴾ أي الخيل المعروضة فردّوها ﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا﴾ بالسيف ﴿بِٱلسُّوقِ﴾ جمع ساق

حسب مشاربهم، فإن التالين للقرآن على مراتب، فالعامة يقرؤونه مرتلاً مجوداً مراعي بعض معانيه على حسب الطاقة، والخاصة يقرؤونه ملاحظين أنهم في حضرة الله تعالى يقرؤون كلامه عليه، وخاصة الخاصة يقرؤون فانين عن أنفسهم مشاهدين أن لسانهم ترجمان عن الله تعالى، رضي الله عنهم وعنا بهم. قوله: ﴿**أُولُوا الأَلْبَابِ**﴾ خصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بالذكر.

قوله: ﴿**وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ**﴾ أي من المرأة التي أخذها من أوريا، وكان سنه إذ ذاك سبعين سنة. قوله: (**أي سليمان**) تفسير للمخصوص بالمدح. قوله: ﴿**إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ**﴾ ظرف لمحذوف تقديره: اذكر يا محمد لقومك وقت أن عرض إلخ، والمعنى اذكر القصة الواقعة في ذلك الوقت. قوله: (**ما بعد الزوال**) أي إلى الغروب. قوله: (**وهي القائمة**) أي الواقفة على ثلاثة قوائم. قوله: (**على طرف الحافر**) أي من رجل أو يد. قوله: (**وهو من صفن**) أي مأخوذ منه، والصافن من الآدميين الذي يصف قدميه ويقرن بينهما، وجمعه صفون. قوله: (**جمع جواد**) وقيل: جمع جيد يطلق على كل من الذكر والأنثى، مأخوذ من الجودة أو الجيد وهو العنق، والمعنى طويلة العنق لفراهتها. قوله: (**المعنى**) أي معنى الصافنات الجياد. قوله: (**وكان ألف فرس**) روي أنه غزا أهل دمشق ونصيبين وأصاب منهم ألف فرس، وقيل: أصابها أبوه من العمالقة فوضع يده عليها لبيت المال، وقيل: خرجت له من البحر ولها أجنحة. قوله: (**لإرادة الجهاد**) أي ليختبرها.

قوله: ﴿**فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ**﴾ إلخ، أي على وجه الاعتذار عما صدر منه وندماً عليه، وضمن أحببت معنى آثرت فعداه بعن. قوله: (**أي الخيل**) إنما سماها خيراً لتعلق الخير بها لما في الحديث: «الخير معقود بنواصي الخيل إلى يوم القيامة». قوله: ﴿**بِالْحِجَابِ**﴾ أي وهو جبل دون جبل ق بمسيرة سنة تغرب من ورائه. قوله: ﴿**رُدُّوهَا عَلَيَّ**﴾ الخطاب لأتباعه المتولين أمر الخيل، والضمير عائد على التي شغلته وهي التسعمائة، وأما المائة الأخرى فلم يذبحها، وما في أيدي الناس من الخيل الجياد فمن نسل تلك المائة. قوله: (**أي ذبحها وقطع أرجلها**) أي وكان مباحاً له، ولذا لم يعاتبه الله عليه، وهذا قول ابن عباس وأكثر المفسرين، وقيل: الضمير في قوله: ﴿**رُدُّوهَا**﴾ عائد على الشمس، والخطاب للملائكة الموكلين بها

﴿وَالْأَعْنَاقِ﴾ ﴿٣٣﴾ أي ذبحها وقطع أرجلها تقرباً إلى الله تعالى، حيث اشتغل بها عن الصلاة وتصدق بلحمها فعوَّضه الله تعالى خيراً منها وأسرع وهي الريح تجري بأمره كيف شاء ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ ابتليناه بسلب ملكه، وذلك لتزوجه بامرأة هواها، وكانت تعبد الصنم في داره من غير

فردوها، فصلى العصر في وقتها، وقال الفخر الرازي: معنى قوله: ﴿فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ أي يمسحها حقيقة بيده ليختبر عيوبها وأمراضها، لكونه كان أعلم بأحوال الخيل، وإشارة إلى أنه بلغ من التواضع، إلى أنه يباشر الأمور بنفسه، ولم يحصل منه ذبح ولا عقر، ولم تفوت عليه صلاة، ومعنى ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ أي لأجل طاعة ربي لا لهوى نفسي، ومعنى ﴿تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ أي الخيل غابت عن بصره حين أمر بإجرائها ليختبرها للغزو فقال: ردّوها علي، فردوها، فصار يمسح في أعناقها وسوقها كما تقدم، وليس في الآية ما يدل على ثبوت ذبح ولا عقر ولا فوات صلاة ا.هـ بالمعنى.

قوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ إلخ، أجمل المفسر في القصة. وحاصل تفصيلها على ما رواه وهب بن منبه قال: سمع سليمان بمدينة في جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون، وبها ملك عظيم الشأن، ولم يكن للناس اليه سبيل لمكانه في البحر، وكان الله تعالى قد آتى سليمان في ملكه سلطاناً لا يمتنع عليه شيء في بر ولا بحر، وإنما يركب إليه الريح، فخرج إلى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء، حتى نزل بجنوده من الجن والإنس، فقتل ملكها وسبى ما فيها، وأصاب فيها أصاب بنتاً لذلك الملك يقال لها جرادة، لم ير مثلها حسناً ولا جمالاً، فاصطفاها لنفسه ودعاها إلى الإسلام، فأسلمت على جفاء منها وقلة فقه، وأحبها حباً لم يحب مثله أحداً من نسائه، وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها، فشق ذلك على سليمان فقال لها: ويحك ما هذا الحزن الذي لا يذهب والدمع الذي لا يرقأ؟ قالت: إن أبي أذكره وأذكر ملكه وما كان فيه وما أصابه فيحزنني ذلك، فقال سليمان، فقد أبدلك الله به ملكاً هو أعظم من ذلك؟ قالت: إن ذلك كذلك، ولكنني إذا ذكرته أصابني ما ترى من الحزن، فلو أنك أمرت الشياطين، فصوروا لي صورته في داري التي أنا فيها، أراها بكرة وعشية، لرجوت أن يذهب ذلك حزني، وأن يسلي عن بعض ما أجد في نفسي، فأمر سليمان الشياطين فقال: مثلوا لها صورة أبيها في دارها حتى لا تنكر منه شيئاً، فمثلوه لها حتى نظرت إلى أبيها بعينه، إلا أنه لا روح فيه، فعمدت إليه حين صنعوه، فألبسته ثياباً مثل ثيابه التي كان يلبسها، ثم كانت إذا خرج سليمان من دارها، تغدو إليه في ولائدها أي جواريها، فتسجد له ويسجدن له، كما كانت تصنع في ملكه أي أبيها، وتروح في كل عشية بمثل ذلك، وسليمان لا يعلم بشيء من ذلك أربعين صباحاً، وبلغ ذلك إلى آصف بن برخيا، وكان صديقاً له، وكان لا يرد عن أبواب سليمان أية ساعة أراد دخول شيء من بيوته دخل سواء، كان سليمان حاضراً أو غائباً، فأتاه وقال: يا نبي الله، إن غير الله يعبد في دارك منذ أربعين صباحاً في هوى امرأة، فقال سليمان: في داري؟ قال في دارك، قيل: فإنا لله وإنا اليه راجعون، ثم رجع سليمان إلى داره، فكسر ذلك الصنم وعاتب تلك المرأة وولائدها، ثم أمر بثياب الظهيرة فأتى بها، وهي ثياب لا يغزلها إلا الأبكار، ولا ينسجها إلا الأبكار، ولا يغسلها إلا الأبكار، لم تمسها يد امرأة قد رأت الدم، فلبسها ثم خرج إلى فلاة من الأرض وحده، وأمر برماد ففرش له، ثم أقبل تائباً إلى الله تعالى، حتى جلس على ذلك الرماد، وتمعك به في ثيابه تذللاً إلى الله تعالى، وتضرعاً اليه يبكي ويدعو ويستغفر مما كان في داره، فلم يزل كذلك يومه حتى أمسى،

علمه، وكان ملكه في خاتمه، فنزعه مرة عند إرادة الخلاء، ووضعه عند امرأته المسماة بالأمينة على عادته، فجاءها جني في صورة سليمان فأخذه منها ﴿ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ﴾ هو ذلك الجني،

ثم رجع إلى داره، وكانت له أم ولد يقال لها الأمينة، كان إذا دخل الخلاء، أو أراد إصابة امرأة من نسائه، وضع خاتمه عندها حتى يتطهر، وكان لا يمس خاتمه إلا وهو طاهر، وكان ملكه في خاتمه، فوضعه يوماً عندها ثم دخل مذهبه، فأتاها شيطان اسمه صخر المارد ابن عمير في صورة سليمان، لا تنكر منه شيئاً، فقال: هات خاتمي يا أمينة، فناولته إياه فجعله في يده، ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان، وعكفت عليه الطير والوحش والجن والإنس، وخرج سليمان فأتى أمينة، وقد تغيرت حالته وهيئته عند كل من رآه فقال: يا أمينة خاتمي، قالت: من أنت؟ قال: سليمان بن داود، فقالت: كذبت قد جاء سليمان وأخذ خاتمه، وهو جالس على سرير ملكه، فعرف سليمان أن خطيئته أدركته، فخرج وجعل يقف على الدار من دور بني اسرائيل ويقول: أنا سليمان بن داود، فيحثون عليه التراب ويقولون: انظروا إلى هذا المجنون يزعم أنه سليمان، فلما رأى سليمان ذلك عمد إلى البحر، فكان ينقل الحيتان لأصحاب السوق ويعطونه كل يوم سمكتين، فإذا أمسى باع احدى سمكتيه بأرغفة، ويشوي الأخرى فيأكلها، فمكث على ذلك أربعين صباحاً، عدة ما كان يعبد بعد الوثن في داره، ثم إن آصف وعظماء بني اسرائيل، أنكروا حكم عدو الله الشيطان في تلك المدة، فقال آصف: يا معشر بني اسرائيل، هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود ما رأيتم؟ فقالوا: نعم، فلما مضى أربعون صباحاً، طار الشيطان عن مجلسه، ثم مر بالبحر فقذف الخاتم فيه، فأخذته سمكة فأخذها بعض الصيادين، وقد عمل له سليمان صدر يومه، فلما أمسى أعطاه سمكتيه، فباع سليمان أحدهما بأرغفة، وبقر بطن الأخرى ليشويها، فاستقبله خاتمه في جوفها، فأخذه وجعله في يده وخر لله ساجداً، وعكفت عليه الطير والجن، وأقبل الناس عليه، وعرف أن الذي دخل عليه من أجل ما حدث في داره، فرجع إلى ملكه، وأظهر التوبة من ذنبه، وأمر الشياطين أن يأتوه بصخر المارد، فأتى به فأدخله في جوف صخرة وسد عليه بأخرى، ثم أوثقها بالحديد والرصاص، ثم أمر به فقذف به في البحر، فهو باق فيها إلى النفخة، وسيأتي رد تلك القصة، وأنها من موضوعات الأخباريين. قوله: **(لتزوجه بامرأة)** أي واسمها جرادة. قوله: **(هواها)** هويها قياسه بمعنى أحبها من باب صدى، وأما هوى كرمى فهو بمعنى سقط، وفي نسخة يهواها وهي ظاهرة. قوله: **(وكانت تبعد الصنم)** أي وهو صورة أبيها، ومدة ذلك أربعون يوماً. قوله: **(وكان ملكه في خاتمه)** أي كان ملكاً مرتباً على لبسه إياه، فإذا لبسه سخرت له الريح والجن والشياطين وغيرها، وإذا نزعه زال عنه وكان خاتمه من الجن، وهو من جملة الأشياء التي نزل بها آدم من الجنة، وقد نظمها بعضهم بقوله:

وآدم معه أنزل العود والعصا ... لموسى من الآس النبات المكرم
وأوراق تين واليمين بمكة ... وختم سليمان النبي المعظم

وقوله العود: المراد به عود البخور، وقوله واليمين بمكة: المراد بالحجر الأسود، وورد في الحديث: «أن نقش خاتم سليمان: لا إله إلا الله محمد رسول الله». قوله: **(ووضعه عند امرأته)** في عبارة غيره أم ولده المسماة بالأمينة. قوله: **(هو ذلك الجني)** أي وسمي جسداً، لأنه ليس فيه روح سليمان، وإن كان فيه

وهو صخر أو غيره، جلس على كرسي سليمان وعكفت عليه الطير وغيرها، فخرج سليمان في غير هيئته، فرآه على كرسيه وقال للناس: أنا سليمان فأنكروه ﴿ ثُمَّ أَنَابَ ﴾ ﴿٣٤﴾ رجع سليمان إلى ملكه بعد أيام، بأن وصل إلى الخاتم فلبسه وجلس على كرسيه ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى ﴾ لا يكون ﴿ لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾ أي سواي، نحو فمن يهديه من بعد الله أي سوى الله ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً ﴾ لينة ﴿ حَيْثُ أَصَابَ ﴾ ﴿٣٦﴾ أراد

روحه هو، لأن الجسد هو الجسم الذي لا روح فيه. قوله: (وهو صخر) أي ابن عمير المارد. قوله: (في غير هيئته) أي المعتادة التي كانوا يعرفونه بها. قوله: (رجع سليمان إلى ملكه) هذا التفسير مبني على أن قوله: ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ مرتبط بقوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾ وقال غيره: إنه مرتبط بقوله: ﴿وَلَقَدْ فُتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ ومعنى إنابته: رجوعه إلى الله تعالى وتوبته. قوله: (بعد أيام) أي أربعين، قال القاضي عياض وغيره من المحققين: لا يصح ما نقله الإخباريون، من تشبه الشيطان بسليمان، وتسلطه على ملكه، وتصرفه في أمته بالجور في حكمه، وإن الشياطين لا يتسلطون على مثل هذا، وقد عصم الله تعالى الأنبياء من مثل هذا، والذي ذهب إليه المحققون، أن سبب فتنته، ما أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال سليمان: لأطوفن الليلة على تسعين امرأة، وفي رواية على مائة امرأة، كلهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى، فقال له صاحبه: قل إن شاء الله، فلم يقل إن شاء الله، فطاف عليهن جميعاً، فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل، وايم الله الذي نفسي بيده، لو قال إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون» قال العلماء: والشق هو الجسد الذي ألقي على كرسيه، وفتنته من نسيان المشيئة، فامتحن بهذا، فتاب ورجع، وقيل: إن المراد بالجسد الذي ألقي على كرسيه، أنه ولد له ولد، فاجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض: إن عاش له ولد لم ننفك من البلاء، فسبيلنا أن نقتل ولده أو نخيله، فعلم بذلك سليمان فأمر السحاب فحمله، فكان يربيه في السحاب خوفاً من الشياطين، فبينما هو مشتغل في بعض مهماته، إذ ألقي ذلك الولد ميتاً على كرسيه، فعاتبه الله على خوفه من الشياطين، حيث لم يتوكل عليه في ذلك، فتنبه واستغفر ربه. إذا علمت ذلك، فالمناسب أن يعرج على ما في الصحيحين، ويترك تلك القصة البشعة.

قوله: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ إنما قال ذلك تواضعاً واظهاراً للخضوع للمولى عز وجل، وإلا فهو لم يحصل منه ذنب، وإنما هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين. قوله: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكاً﴾ إلخ، قدم طلب المغفرة اهتماماً بأمر الدين. قوله: ﴿لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ أي ليكون معجزة لي، فليس طلبه للمفاخرة بأمور الدنيا، وإنما كان هو من بيت النبوة والملك، وكان في زمن الجبارين وتفاخرهم بالملك، فطلب ما يكون معجزة لقوله، ومعجزة كل نبي ما اشتهر في عصره. قوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ تعليل للدعاء بالمغفرة والهبة.

قوله: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ﴾ أي أعدنا له تسخير الريح، بعد ما كان قد ذهب بزوال ملكه، وهذا على ما مشى عليه المفسر، وعلى ما مشى عليه المحققون، فيقال: أدمنا تسخيرها. قوله: ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾ بيان لتسخيرها له. قوله: ﴿رُخَاءً﴾ حال من قوله: ﴿الرِّيح﴾. قوله: (لينة) أي غير عاصفة، وهذا في

﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ ﴾ يبني الأبنية العجيبة ﴿ وَغَوَّاصٍ ﴾ ﴿٣٧﴾ في البحر يستخرج اللؤلؤ ﴿ وَءَاخَرِينَ ﴾ منهم ﴿ مُقَرَّنِينَ ﴾ مشدودين ﴿ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴾ ﴿٣٨﴾ القيود بجمع أيديهم إلى أعناقهم وقلنا له ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ ﴾ أعط منه من شئت ﴿ أَوْ أَمْسِكْ ﴾ عن الأعطاء ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ﴿٣٩﴾ أي لا حساب عليك في ذلك ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ ﴿٤٠﴾ تقدم مثله ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى ﴾ أي بأني ﴿ مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ ﴾ ضر ﴿ وَعَذَابٍ ﴾ ﴿٤١﴾ ألم، ونسب ذلك إلى الشيطان، وإن كانت الأشياء كلها من الله تأدباً معه تعالى، وقيل له ﴿ ٱرْكُضْ ﴾ أضرب ﴿ بِرِجْلِكَ ﴾ الأرض فضرب فنبعت عين ماء فقيل ﴿ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ ﴾ ماء تغتسل به ﴿ بَارِدٌ

أثناء سيرها وأما في أوله فهي عاصفة، فكانت العاصفة تقلع البساط والرخاء تسيره. قوله: ﴿بِأَمْرِهِ﴾ أي اياها، فالمصدر مضاف لفاعله. قوله: ﴿كُلَّ بَنَّاءٍ﴾ بدل من الشياطين. ﴿وَآخَرِينَ﴾ عطف على ﴿كُلَّ بَنَّاءٍ﴾ وذلك أن سليمان قسم الشياطين إلى عملة، استخدمهم في الأعمال الشاقة من البناء والغوص ونحو ذلك، وإلى مقرنين في السلاسل كالمردة والعتاة. قوله: **(القيود)** من المعلوم أن القيد يكون في الرجل، فلا يلتئم مع قوله: **(بجمع أيديهم)** إلخ، فلو فسر الأصفاد بالأغلال لكان أولى، لأنها تطلق عليها، كما تطلق على القيود. قوله: **(وقلنا له)** ﴿هٰذَا﴾ أي هذا الملك عطاؤنا. قوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه: أحدها أنه متعلق بعطاؤنا، أي أعطيناك بغير حساب وبغير حصر. الثاني أنه حال من عطاؤنا، أي في حال كون عطائنا غير محاسب عليه. والثالث أنه متعلق بامنن أو أمسك، والمعنى أعط من شئت، وامنع من شئت، لا حساب عليك في اعطاء ولا منع. قال الحسن: ما أنعم الله نعمة على أحد، إلا عليه فيها تبعة، إلا سليمان، فإنه إن أعطى أجر، وإن لم يعط لم يكن عليه تبعة. قوله: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ أي زيادة خير في الدنيا والآخرة.

قوله: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾ عطف على قوله: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ﴾ عطف قصة على قصة، وليس معطوفة على قصة سليمان، لأن لكمال الاتصال بينه وبين أبيه، لم يصدر في قصته بقوله واذكر عبدنا سليمان مثلاً، بل كانا كأنهما قصة واحدة، وتقدم لنا في الأنبياء، أن أيوب بن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن اسحاق بن ابراهيم عليه السلام، وقيل: إنه ابن عيصو بن اسحاق، وقيل: وهو ابن أموص بن رعيل بن عيص بن اسحاق، وتقدمت قصته مفصلة في سورة الأنبياء.

قوله: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ بدل من ﴿عَبْدَنَا﴾ أو عطف بيان له. قوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ﴾ أي حين ابتلي بفقد ماله وولده وتمزيق جسده، وهجر جميع الناس له إلا زوجته، وكانت مدة بلائه ثلاث سنين، وقيل سبعاً، وقيل عشراً، وقيل ثماني عشرة. قوله: ﴿بِنُصْبٍ﴾ بضم فسكون، التعب والمشقة، وقوله: ﴿وَعَذَابٍ﴾ عطف سبب على مسبب. قوله: **(تأدباً معه تعالى)** أي لأن الشيطان هو السبب في ذلك، لأنه نفخ في أنفه، فمرض جسده ظاهراً وباطناً، إلا قلبه ولسانه. قوله: **(وقيل له)** أي حين رجا وقت شفائه. قوله: **(فنبعت عين ماء)** ظاهره أنها عين واحدة، وهو أحد قولين، وقيل: كانتا عينين بأرض الشام في أرض الجابية، فاغتسل من احداهما، فأذهب الله تعالى ظاهر دائه، وشرب من الأخرى، فأذهب الله باطن دائه، وكانت احدى العينين حارة، والأخرى باردة، فاغتسل من الحارة، وشرب من الأخرى.

وَشَرَابٌ﴾ ﴿٤٢﴾ تشرب منه، فاغتسل وشرب فذهب عنه كل داء كان بباطنه وظاهره ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ أي أحيى الله له من مات من أولاده ورزقه مثلهم ﴿رَحْمَةً﴾ نعمة ﴿مِّنَّا وَذِكْرَىٰ﴾ عظة ﴿لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ﴿٤٣﴾ لأصحاب العقول ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ هو حزمة من حشيش أو قضبان ﴿فَٱضْرِب بِّهِۦ﴾ زوجتك، وكان قد حلف ليضربنها مائة ضربة لإبطائها عليه يوماً ﴿وَلَا تَحْنَثْ﴾ بترك ضربها، فأخذ مائة عود من الإذخر أو غيره فضربها به ضربة واحدة ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ أيوب ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ ﴿٤٤﴾ رجاع إلى الله تعالى ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي ٱلْأَيْدِي﴾ أصحاب القوى في العبادة ﴿وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ ﴿٤٥﴾ البصائر في الدين، وفي قراءة عبدنا، وإبراهيم بيان له، وما بعده عطف على عبدنا ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ﴾ هي ﴿ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ ﴿٤٦﴾ الآخرة أي ذكرها والعمل لها، وفي قراءة بالإضافة وهي للبيان ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا

قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ﴾ عطف على محذوف قدره المفسر بقوله: **(فاغتسل)** إلخ. قوله: **(من مات من أولاده)** أي وكانوا ثلاثة ذكور وثلاث اناث، وقيل كل صنف سبع. قوله: **(ورزقه مثلهم)** أي من زوجته وزيد في شبابها، واسمها، قيل رحمة بنت أفرائيم بن يوسف، وقيل ليا بنت يعقوب. قوله: ﴿رَحْمَةً﴾ إلخ، مفعول لأجله، أي لأجل رحمتنا إياه، وليتذكر بحاله أولو الألباب. قوله: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً﴾ عطف على محذوف قدره المفسر بعد بقوله: **(وكان قد حلف)** إلخ. قوله: **(هو حزمة)** أي ملء الكف. قوله: **(لإبطائها عليه يوماً)** واختلف في سبب بطئها المتسبب عنه حلفه، فقيل: إن الشيطان تمثل في طريقها في صورة حكيم يداوي المرضى، فمرت عليه فوجدت الناس منكبين عليه، فقالت له: عندي مريض، فقال: أداويه على أنه إذا برىء قال أنت شفيتني، ولا أريد جزاء سواه، قالت: نعم، فأشارت على أيوب بذلك، فحلف ليضربنها وقال: ويحك ذلك الشيطان، وقيل: إنها باعت ذوائبها برغيفين، حين لم تجد شيئاً تحمله إلى أيوب، وكان أيوب يتعلق بها إذا أردا القيام، فلهذا حلف ليضربنها، وقيل غير ذلك.

قوله: ﴿وَلَا تَحْنَثْ﴾ أي لا تقع في يمينك بحيث تلزمك كفارته، وهذا الحكم من خصوصيات أيوب رفقاً بزوجته، وأما في شرعنا فلا يبر إلا بضرب المائة، وضربه بأعواد مجتمعة لا يعد واحدة منها، إلا إذا حصل منه ألم الضربة المنفردة. قوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً﴾ أي علمناه، والمعنى أظهرنا صبره للناس. قوله: **(أيوب)** تفسير للمخصوص بالمدح.

قوله: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا ابْرَاهِيمَ﴾ إلخ، اذكر صبرهم على ما امتحنوا به. قوله: ﴿أُولِي الأَيْدِي﴾ العامة على ثبوت الياء، وهو جمع يد، فكنى بذلك عن الأعمال، لأن أكثر الأعمال إنما يزاول بها، وقيل: المراد بالأيدي النعم، وفسرها المفسر بالقوة في العبادة، وكلها معان متقاربة، وقرىء شذوذاً بحذف الياء تخفيفاً.

قوله: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ﴾ تعليل لما وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة بالعلم والعمل. قوله: ﴿بِخَالِصَةٍ﴾ صفة لموصوف محذوف تقديره بخصلة خالصة. قوله: (هي) ﴿ذِكْرَى الدَّارِ﴾ جعلها المفسر

لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ﴾ المختارين ﴿ٱلْأَخْيَارِ﴾ ﴿٤٧﴾ جمع خيِّر بالتشديد ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ﴾ هو نبي واللام زائدة ﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ اختلف في نبوته، قيل: كفل مائة نبي فروا إليه من القتل ﴿وَكُلٌّ﴾ أي كلهم ﴿مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ ﴿٤٨﴾ جمع خير بالتثقيل ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ لهم بالثناء الجميل هنا ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الشاملين لهم ﴿لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ ﴿٤٩﴾ مرجع في الآخرة ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ بدل أو عطف بيان لحسن مآب ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ ﴿٥٠﴾ منها ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ على الأرائك ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ ﴿٥١﴾ ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ حابسات الأعين على أزواجهن ﴿أَتْرَابٌ﴾ ﴿٥٢﴾ أسنانهن واحدة وهن بنات ثلاث وثلاثين سنة جمع ترب ﴿هَٰذَا﴾ المذكور ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ بالغيبة وبالخطاب التفاتاً ﴿لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ ﴿٥٣﴾ أي لأجله ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ ﴿٥٤﴾ أي انقطاع، والجملة حال من رزقنا، أو خبر ثان لأن، أي دائماً أو دائم ﴿هَٰذَا﴾ المذكور للمؤمنين ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ﴾ مستأنف

خبر المحذوف. قوله: **(وفي قراءة)** إلخ، مقابل لما قدره المفسر، وهما قراءتان سبعيتان، فعلى القراءة الأولى يكون ﴿ذِكْرَى﴾ مرفوعاً على اضمار مبتدأ، وعلى الثاني يكون مجروراً بالإضافة، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف المحذوفة، والإضافة بيانية كما قال المفسر.

قوله: **﴿وَاذْكُرْ إِسْمٰعِيلَ﴾** فصل ذكره عن أبيه وأخيه، للإشعار بعراقته في الصبر الذي هو المقصود بذكر مناقبهم. قوله: **﴿وَالْيَسَعَ﴾** هو ابن أخطوب بن العجوز، استخلفه الياس على بني اسرائيل، ثم نبأه الله عليهم كما تقدم. قوله: **(اختلف في نبوته)** روى الحاكم عن وهب، أن الله بعث بعد أيوب ابنه بشراً وسماه ذا الكفل، فهو بشر بن أيوب، اختلف في نبوته ولقبه، والصحيح أنه نبي، وسمي ذا الكفل، إما لما قاله المفسر، أو لأنه تكفل بصيام النهار وقيام الليل، وأن يقضي بين الناس ولا يغضب، فوفى بما التزم، وتقدمت قصته في الأنبياء. قوله: **(أي كلهم)** أي المتقدمين من داود إلى هنا. قوله: **﴿هٰذَا ذِكْرٌ﴾** جملة من مبتدأ وخبر، قصد بها الفصل بين ما قبلها وما بعدها، فهي للإنتقال من غرض إلى آخر، ففيها تخلص من قصة، وكذا يقال في قوله هذا: وإن للطاغين إلخ. قوله: **﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾** إلخ، شروع في بيان أجرهم الجزيل بعد ذكرهم الجميل. قوله: **(الشاملين لهم)** أي فالمتقين يشملهم وغيرهم. قوله: **﴿مُفَتَّحَةً﴾** حال من جنات عدن، والعامل فيها ما في المتقين من معنى الفعل، و **﴿الأَبْوَابُ﴾** مرفوعة باسم المفعول، وأل عوض عن الضمير.

قوله: **﴿مُتَّكِئِينَ﴾** حال من الهاء في لهم، والاقتصار على دعاء الفاكهة للإيذان بأن مطاعمهم لمحض التفكه والتلذذ دون التغذي، لأنه لا جوع فيها. قوله: **(حابسات الأعين)** أي لا ينظرن إلى غيرهم نظر شهوة وميل. قوله: **(أسنانهن واحدة)** أي فقد استوين في السن والجمال، وقيل: **﴿أَتْرَابٌ﴾** متآخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن ولا يتحاسدن، وكل صحيح. قوله: **(لأجله)** أي لأجل وقوعه فيه، فوقوعه وانجازه فيه علة للوعد به في الدنيا. قوله: **﴿إِنَّ هٰذَا لَرِزْقُنَا﴾** من كلام الله تعالى، والمعنى أن هذا أي ما ذكر من الجنات وأوصافها لرزقنا، أي لهو الرزق الذي نتفضل به على عبادنا **﴿مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾** أي انقطاع أبداً. قوله: **(أي دائماً)** إلخ، لف ونشر مرتب. قوله: **﴿هٰذَا﴾** مبتدأ حذف خبره قدره بقوله: **(المذكور)** وهو تخلص من مآل المتقين لمآل المجرمين، فهو بمنزلة أما بعد.

﴿لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا﴾ يدخلونها ﴿فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴾ ﴿٥٦﴾ الفراش ﴿هَٰذَا﴾ أي العذاب المفهوم مما بعده ﴿فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ﴾ أي ماء حار محرق ﴿وَغَسَّاقٌ﴾ ﴿٥٧﴾ بالتخفيف والتشديد ما يسيل من صديد أهل النار ﴿وَءَاخَرُ﴾ بالجمع والإفراد ﴿مِن شَكۡلِهِۦٓ﴾ أي مثل المذكور من الحميم والغساق ﴿أَزۡوَٰجٌ﴾ ﴿٥٨﴾ أصناف، أي عذابهم من أنواع مختلفة، ويقال لهم عند دخولهم النار بأتباعهم ﴿هَٰذَا فَوۡجٌ﴾ جمع ﴿مُّقۡتَحِمٌ﴾ داخل ﴿مَّعَكُمۡ﴾ النار بشدة، فيقول المتبوعون ﴿لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ﴾ أي لا سعة عليهم ﴿إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿قَالُواْ﴾ أي الأتباع ﴿بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ﴾ أي الكفر ﴿لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ﴾ ﴿٦٠﴾ لنا ولكم النار ﴿قَالُواْ﴾ أيضاً ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا﴾ أي مثل عذابه على كفره ﴿فِي ٱلنَّارِ﴾ ﴿٦١﴾ ﴿وَقَالُواْ﴾ أي كفار مكة وهم في النار ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم﴾ في الدنيا ﴿مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا﴾ بضم

قوله: ﴿وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ﴾ أي الكافرين. قوله: ﴿لَشَرَّ مَآبٍ﴾ مقابل قوله في حق المتقين ﴿لَحُسْنَ مَآبٍ﴾. قوله: ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ أي يكونون بها على سبيل التأبيد، وهو لازم للدخول. قوله: (الفراش) أي الغطاء والوطاء. قوله: ﴿هٰذَا﴾ مبتدأ، و ﴿حَمِيمٌ﴾ و ﴿غَسَّاقٌ﴾ و ﴿آخَرُ﴾ خبره، و ﴿مِنْ شَكْلِهِ﴾ صفة أولى لآخر، و ﴿أَزْوَاجٌ﴾ صفة ثانية له، وقوله: ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾ جملة معترضة بين المبتدأ والخبر، وهذا أحسن ما يقال. قوله: (محرق) أي للإمعاء لقوله في الآية الأخرى: ﴿وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم﴾. قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (من صديد) إلخ بيان لما، كأنه قال: وهو صديد أهل النار الذي يسيل من جلودهم وفروجهم. قوله: (بالجمع والإفراد) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (أي مثل المذكور) أي في كونه حاراً يقطع الامعاء. قوله: (من أنواع مختلفة) أي كالحيات والعقارب والضرب بالمطارق والزمهرير، وغير ذلك من أنواع العذاب، أجارنا الله منه. قوله: (ويقال لهم) أي من خزنة النار. قوله: ﴿مُقْتَحِمٌ﴾ الاقتحام: الإلقاء في الشيء بشدة، فإنهم يضربون بمقامع من حديد، حتى يقتحموها بأنفسهم خوفاً من تلك المقامع، قوله: (فيقول المتبعون) أي جواباً للخزنة كأنهم يقولون: أنحسد على كثرة أتباعنا، مع كوننا واياهم في النار؟

قوله: ﴿لَا مَرْحَباً بِهِمْ﴾ مفعول لفعل محذوف تقديره لا أتيتم مرحباً، أي مكاناً واسعاً. قوله: ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ هو من كلام الرؤساء، أي إنهم صالوا النار كما صليناها. قوله: ﴿قَالُوا﴾ أي الأتباع، أي جواباً للرؤساء. قوله: ﴿بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَباً بِكُمْ﴾ أي أنتم أحق بما قلتم لنا، فدأبهم أنه ﴿كلما دخلت أمة لعنت أختها﴾. قوله: ﴿أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ أي دللتمونا عليه، بتزيين الأعمال السيئة لنا واغوائنا عليها. قوله: (النار) هذا هو المخصوص بالذم. قوله: ﴿قَالُوا﴾(أيضاً) أشار بذلك إلى أن هذا من كلام الأتباع. قوله: (أي مثل عذابه وكفره) أي وهو عذاب الدلالة على الكفر، فإن الدال على الشر كفاعله. قوله: (أي كفار مكة) أي كأبي جهل وأبي بن خلف وغيرهما. قوله: (وهم في النار) الجملة حالية.

قوله: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالاً﴾ أي أي شيء ثبت لنا لا نبصر رجالاً، إلخ. قوله: ﴿مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ إنما سموهم أشراراً لأنهم خالفوا دينهم. قوله: ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ﴾ إما بوصل الهمز مكسورة، أو قطعها

السين وكسرها، أي كنا نسخر بهم في الدنيا، والياء للنسب، أي أمفقودون هم؟ ﴿أَمْ زَاغَتْ﴾ مالت ﴿عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ ﴿٦٣﴾ فلم نرهم، وهم فقراء المسلمين: كعمار وبلال وصهيب وسلمان ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ﴾ واجب وقوعه وهو ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ ﴿٦٤﴾ كما تقدم ﴿قُلْ﴾ يا محمد لكفار مكة ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ مخوف بالنار ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ ﴿٦٥﴾ لخلقه ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾ ﴿٦٦﴾ لأوليائه ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ أي القرآن الذي أنبأتكم به وجئتكم فيه بما لا يعلم إلا بوحي وهو قوله ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ﴾ أي الملائكة ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ ﴿٦٩﴾ في شأن آدم

مفتوحة، قراءتان سبعيتان، فعلى الأولى تكون الجملة صفة لرجالاً، أي رجالاً موصوفين بكوننا عددناهم من الأشرار، وبكوننا نسخر بهم في الدنيا، وعلى الثانية فالجملة استفهامية، حذفت همزة الوصل استغناء بهمزة الاستفهام عنها، والمعنى: ما لنا لا نرى رجالاً موصوفين، بكوننا عددناهم من الأشرار أتخذناهم سخرياً، فهم مفقودون من النار، أم زاغت عنهم الأبصار، أي هم معنا في النار، لكن زاغت أبصارنا عنهم فلم نرهم. قوله: **(بضم السين وكسرها)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(أي كنا نسخر بهم)** راجع لقراءة الوصل. قوله: **(والياء للنسب)** أي على كل من القراءتين.

قوله: **﴿أَمْ زَاغَتْ﴾** على قراءة الوصل تكون **﴿أَمْ﴾** بمعنى بل، وعلى قراءة القطع تكون معادلة للهمزة. قوله: **(وهم فقراء المسلمين)** تفسير لقوله: **﴿رِجَالاً﴾**. قوله: **(وسلمان)** المناسب اسقاطه، لأن الكلام في أهل مكة، وهو إنما أسلم في المدينة. قوله: **﴿إِنَّ ذٰلِكَ﴾** أي المحكي عنهم من أقوالهم وأحوالهم. قوله: **(وهو)** **﴿تَخَاصُمُ﴾** أشار بذلك إلى أن **﴿تَخَاصُمُ﴾** خبر لمحذوف، والجملة بيان لاسم الإشارة قوله: **﴿إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ﴾** أي لا ساحر ولا شاعر ولا كاهن، واقتصر على الإنذار لأن كلامه مع الكفار، وهم إنما يناسبهم الإنذار فقط، وإن كان مبشراً أيضاً. قوله: **﴿الْوَاحِدُ﴾** أي المعدوم المثيل في ذاته وصفاته وأفعاله، وقد ذكر أوصافاً خمسة، كل واحد منها يدل على انفراده تعالى بالألوهية.

قوله: **﴿رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾** أي مالكهما. قوله: **﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾** كرر الأمر إشارة إلى الاهتمام به. قوله: **(أي القرآن)** تفسير لهو. قوله: **(بما يعلم)** أي من القصص والأخبار وغيرهما. قوله: **(وهو)** أي ما لا يعلم إلا بوحي، وفيه أن ما لا يعلم إلا بوحي، وهو قوله: **﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ﴾** إلخ، لا قوله: **﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ﴾** إلخ، إلا أن يقال إنه ذكر توطئة وتمهيداً لما لا يعلم إلا بالوحي. قوله: **(أي الملائكة)** أي وابليس. قوله: **﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾** منصوب إما بعلم أو بمحذوف، والتقدير: ما كان لي من علم بالملأ الأعلى وقت اختصامهم، أو ما كان لي من علم بكلام الملأ الأعلى وقت اختصامهم. قوله: **﴿إِلاَّ أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾** **﴿إِلاَّ﴾** أداة حصر، وإن وما دخلت عليه في تأويل مصدر نائب فاعل يوحى، والتقدير: ما يوحى إلي إلا كوني نذيراً مبيناً، والحصر فيه وفي قوله: **﴿إنما أنا منذر﴾** اضافي، والمعنى لا ساحر ولا كذاب كما زعمتم.

قوله: **﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾** ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله: **(اذكر)** ويصح أن يكون بدلاً من قوله: **﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾** إن حمل الاختصام على ما حصل في شأن آدم فقط، وأما إن جعل عاماً، فلا

حين قال الله تعالى: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ الخ ﴿إن﴾ ما ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠﴾ أي أني ﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٧٠﴾ بيِّن الإنذار اذكر ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ ﴿٧١﴾ هو آدم ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ أتممته ﴿وَنَفَخْتُ﴾ أجريت ﴿فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ فصار حياً، وإضافة الروح إليه تشريف لآدم، والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوذه فيه ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ ﴿٧٢﴾ سجود تحية بالانحناء ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ ﴿٧٣﴾ فيه تأكيدان ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ هو أبو الجن كان بين الملائكة ﴿ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ﴿٧٤﴾ في علم الله تعالى ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ أي توليت خلقه، وهذا تشريف لآدم، فإن كل مخلوق تولى الله خلقه ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ الآن عن السجود، استفهام توبيخ ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ ﴿٧٥﴾ المتكبرين فتكبرت عن السجود لكونك منهم ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ

يصح جعله بدلاً منه، بل ظرف لمحذوف. قوله: **﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً﴾** أي انساناً ظاهر البشر أي الجلد، ليس على جلده صوف ولا شعر ولا وبر ولا ريش ولا قشر. قوله: **(أجريت)** **﴿فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾** أشار بذلك إلى أنه ليس المراد بالنفخ حقيقته لاستحالته على الله تعالى، وإنما هو تمثيل لإفاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها. قوله: **(والروح جسم لطيف)** إلخ، هذا هو قول جمهور المتكلمين وهو الأصح، وقيل: إن الروح عرض، وهي الحياة التي صار الجسم بها حياً، وقيل: إنها ليست بجسم ولا عرض، بل هي جوهر مجرد قائم بنفسه، له تعلق بالبدن للتدبير والتحريك، غير داخل فيه ولا خارج عنه، وهو قول بعض الفلاسفة. قوله: **(بنفوذه فيه)** أي سريانه فيه؛ كسريان الماء في العود الأخضر. قوله: **﴿فَقَعُوا﴾** الفاء واقعة في جواب إذا. قوله: **(سجود تحية بالانحناء)** جواب عما يقال: كيف جاز السجود لغير الله تعالى؟ وتقدم قول بأنه كان سجوداً حقيقة بالجباه. وتقدم الجواب عنه، بأن محل كون السجود لغير الله غير جائز، ما لم يأمر به المولى تعالى، أو يقال: إن السجود لله تعالى، وآدم جعل كالقبلة.

قوله: **﴿فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ﴾** إلخ، قيل: أول من سجد لآدم جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم الملائكة المقربون، وكان السجود يوم الجمعة من وقت الزوال إلى العصر، وقيل مائة سنة، وقيل خمسمائة سنة. قوله: **(فيه تأكيدان)** أي فكل منهما يفيد ما أفاد الآخر، وقيل: إن كل للإحاطة، و **﴿أَجْمَعُونَ﴾** للاجتماع، فأفاد أنهم سجدوا عن آخرهم، وأنهم سجدوا جميعاً في وقت واحد غير متفرقين في أوقات. قوله: **(كان بين الملائكة)** أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع وهو الحق، وتقدم تحقيق ذلك. قوله: **(في علم الله)** أي أن الله تعالى علم في الأزل أنه يكفر فيما لا يزال، وكان مسلماً عابداً، طاف بالبيت أربعة عشرة ألف عام، وعبد الله ثمانين ألف عام. قوله: **(أي توليت خلقه)** أي بذاتي من غير واسطة أب وأم، وتثنية اليد إظهاراً لكمال الاعتناء بخلقه عليه السلام. قوله: **﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾(الآن)** إلخ، أشار المفسر إلى جواب سؤال وارد وهو أن قوله: **﴿مِنَ الْعَالِينَ﴾** معناه المتكبرين، فيلزم عليه التكرار، فأجاب: بأن المعنى أتركت السجود لاستكبارك الحادث، أم لاستكبارك القديم.

قوله: **﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾** هذا جواب من إبليس لم يطابق الاستفهام السابق، لأنه أجاب بأنه إنما

مِنۡهَا﴾ أي من الجنة وقيل من السماوات ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ۝٧٧﴾ مطرود ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٧٨﴾ الجزاء ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝٧٩﴾ أي الناس ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ۝٨٠ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ۝٨١﴾ وقت النفخة الأولى ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ۝٨٣﴾ أي المؤمنين ﴿قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ۝٨٤﴾ بنصبهما ورفع الأول ونصب الثاني فنصبه بالفعل بعده ونصب الأول، قيل: بالفعل المذكور،

ترك السجود، لكونه خيراً منه، وبين ذلك بأن أصله من النار، وأصل آدم من الطين، والنار أشرف من الطين، لكون النار نورانية، والطين من الأرض وهي ظلمانيـة، والنوراني أشرف من الظلماني، وهذه شبهته، وقد أخطأ فيها، لأن مآل النار إلى الرماد الذي لا ينتفع به، والطين أصل لكل نـام نابت، كالإنسان والشجرة، ومن المعلوم أن الإنسان والشجرة خير من الرماد، وزيـادة على ذلـك، أن النوع الإنساني تشرف بأمور: الأول من جهة الفاعل المشار إليه بقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ والثاني من جهة الصورة المشار إليها بقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ ومن جهة الغاية المشار إليها بقوله: ﴿وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾؛ ولم يحصل ذلك غير النوع الإنساني، فدل على أفضليته. قوله: **(أي من الجنة)** إلخ، هذا الخلاف مبني على الخلاف الواقع في أمر الملائكة بالسجود لآدم، هل كان بعد دخوله الجنة أو قبله؟ فقوله: **(أي من الجنة)** مبني على الأول، و قوله: **(أو من السماوات)** مبني على الثاني، وقيل: المعنى اخرج من الخلقة التي كنت عليها أولاً، لما ورد: أن ابليس كان يفتخر بخلقته، فغير الله خلقته فاسود بعد ما كان أبيض، وقبح بعد ما كان حسناً، وأظلم بعد ما كان نورانياً، وروي أن ابليس كان رئيساً على اثني عشر ألف ملك، وكان له جناحان من زمرد أخضر، فلما طرد غيرت صورته، وجعله الله معكوساً على مثال الخنازير، ووجهه كالقردة، وهو شيخ أعور، وفي لحيته سبع شعرات مثل شعر الفـرس، وعيناه مشقوقتان في طول وجهه، وأنيابه خارجة كأنياب الخنازير، ورأسه كرأس البعير، وصدره كسنام الجمل الكبير، وشفتاه كشفتي الثور، ومنخراه مفتوحتان مثل كوز الحجام. قوله: ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ إلخ، فإن قلت: إذا كان الرجم بمعنى الطرد، فاللعنة بمعناه ولزم التكرار. أجيب: بأن الرجم الطرد من الجنة أو السماء، واللعنة والطرد من الرحمة وهو أبلغ.

قـولـه: ﴿وَإِن عَلَيْكَ لَعْنَتِي﴾ ذكرها هنا بالإضافة وفي غيرها بالتعريف تفنناً. قوله: ﴿إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ فإن قلت: كلمة ﴿إِلَى﴾ لانتهاء الغاية، فتقتضي انقضاء اللعنة عند مجيء يوم الدين، مع أنها لا تنقطع. أجيب: أن اللعنة قبل يوم الدين من الله وعيد بخلوده في العذاب، ومن العبيد طلب ذلك، وفي يوم الدين تحقق الوعيد والمطلوب. قوله: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي﴾ أي أمهلني وأخـرني، والفاء متعلقـة بمحذوف تقديرها إذ جعلتني رجيماً فأمهلني ولا تمتني إلى يوم يبعثون، أي آدم وذريته، وأراد بذلك أن يجد فسحة لإغوائهم، ويأخذ منهم ثأره، وينجو من من الموت بالكلية، إذ لا موت بعد البعث. فأجابه الله تعالى بالإمهال مدة الدنيا لأجل الإغواء، لا بالنجاة من الموت.

قوله: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ﴾ الباء للقسم، ولا ينافيه قوله تعالى في الآية الأخرى ﴿قال فبما أغويتني﴾ فإن إغواء الله تعالى له من آثار عزته التي أقسم بها هنا. قوله: **(بنصبهما ورفع الأول)** إلخ، أي فالقراءتان

وقيل: على المصدر، أي أحق الحق، وقيل: على نزع حرف القسم ورفعه على أنه مبتدأ محذوف الخبر، أي فالحق مني، وقيل: فالحق قسمي، وجواب القسم ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ﴾ بذريتك ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ أي الناس ﴿أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ جعل ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ ﴿٨٦﴾ المتقوِّلين القرآن من تلقاء نفسي ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي ما القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ للإنس والجن والعقلاء دون الملائكة ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾ يا كفار مكة ﴿نَبَأَهُۥ﴾ خبر صدقه ﴿بَعْدَ حِينٍۭ﴾ ﴿٨٨﴾ أي يوم القيامة، وعلم بمعنى عرف، واللام قبلها لام قسم مقدر أي والله.

سبعيتان. قوله: (وجواب القسم) أي المذكور في بعض الأعاريب المتقدمة أو المحذوفة. قوله: ﴿أَجْمَعِينَ﴾ توكيد للضمير في ﴿مِنْكَ﴾ وما عطف عليه. قوله: (دون الملائكة) إنما أخرجهم من العالمين، وإن كان لفظ العالمين يشملهم لأجل قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ والذكر معناه الموعظة والتخويف، وهو لا يناسب إلا الإنس والجن. قوله: (خبر صدقه) أي من ذكره الوعد والوعيد. قوله: (أي يوم القيامة) تفسير لـ ﴿بَعْدَ حِينٍ﴾ والحين مدة الدنيا، وقال ابن عباس: بعد الموت، وقيل من طال عمره علم ذلك ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾. قوله: (بمعنى عرف) أي فهو متعد لمفعول واحد وهو نبأه، وقيل: إن علم على بابها فتنصب مفعولين، والثاني قوله: ﴿بَعْدَ حِينٍ﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الزُّمَرِ

مكيّة

إلا ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ الآية مدنية وهي خمس وسبعون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن مبتدأ ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ خبره ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ (١) في صنعه ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بأنزل ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ (٢) من الشرك أي موحداً له ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ لا يستحقه غيره

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الزمر مكية

إلا ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ الآية مدنية وهي خمس وسبعون آية

سميت بذلك لذكر لفظ الزمر فيها في قوله: ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً﴾ ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً﴾ وسيأتي أن الزمر جمع زمرة وهي الطائفة، وتسمى أيضاً سورة الغرف، لذكر الغرف فيها، قال تعالى: ﴿لهم غرف من فوقها غرف مبنية﴾ وروي من أراد أن يعرف قضاء الله في خلقه، فليقرأ في سورة الغرف، وورد أنه ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ الزمر وبني اسرائيل. قوله: **(إلا قل يا عبادي)** إلخ، أي فإنها نزلت في وحشي قاتل حمزة عم النبي ﷺ، فإنه اسلم بالمدينة، وظاهره أنها آية واحدة، وقيل: إن الذي نزل بالمدينة سبع آيات، هذه الآية وست بعدها، وقيل: إنها آيتان، هذه الآية، وقوله تعالى: ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾ الآية، فتحصل أن فيها ثلاثة أقوال: قيل مكية إلا آية، وقيل إلا آيتين، وقيل ألا سبعاً. قوله: **(وهي خمس وسبعون)** وقيل: اثنتان وسبعون.

قوله: ﴿**تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِن اللهِ**﴾ أي انزال القرآن كائن وحاصل من الله لا من غيره، نزل رداً لقول المشركين ﴿إنما يعلمه بشر﴾ ولقولهم ﴿إن به جنة﴾. قوله: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا**﴾ إلخ، شروع في بيان تشريف المنزل عليه، إثر بيان شأن المنزل، من حيث كونه من عند الله. قوله: ﴿**الْكِتَابَ**﴾ هو عين الكتاب الأول، لأن المعرفة إذا أعيدت معرفة كانت عيناً. قوله: **(متعلق بأنزل)** أي والباء سببية، والمعنى: بسبب الحق الذي أنت عليه واثباته واظهاره. قوله: ﴿**فَاعْبُدِ اللهَ**﴾ تفريع على قوله: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ**﴾ إلخ، والخطاب له، والمراد ما يشمل جمع أمته. قوله: ﴿**مُخْلِصاً**﴾ حال من فاعل اعبد، و ﴿**الدِّينَ**﴾ مفعول لاسم فاعل. قوله: **(أي موحداً له)** أي مفرداً له بالعبادة والإخلاص، بأن لا تقصد بعملك ونيتك غير ربك. قوله: ﴿**أَلَا لِلَّهِ**

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ﴾ الأصنام ﴿أَوۡلِيَآءَ﴾ وهم كفار مكة قالوا ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ قربى مصدر بمعنى تقريباً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ﴾ وبين المسلمين ﴿فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ﴾ من أمر الدين، فيدخل المؤمنين الجنة، والكافرين النار ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ﴾ في نسبة الولد إليه ﴿كَفَّارٞ﴾ ﴿٣﴾ بعبادته غير الله ﴿لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا﴾ كما قالوا: ﴿اتخذ الرحمن ولداً﴾ ﴿لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ﴾ واتخذه ولداً، غير من قالوا: الملائكة بنات الله، وعزير ابن الله، والمسيح ابن الله ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ﴾ تنزيهاً له عن اتخاذ الولد ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ ﴿٤﴾ لخلقه ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ﴾ متعلق بخلق ﴿يُكَوِّرُ﴾ يدخل ﴿ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ﴾ فيزيد ﴿وَيُكَوِّرُ

الدِّينُ﴾ إلخ، **﴿أَلَا﴾** أداة استفتاح، والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها من الأمر بالإخلاص.

قوله: **﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا﴾** إلخ، اسم الموصول مبتدأ، **﴿اتَّخَذُوا﴾** صلته، والخبر محذوف قدره المفسر بقوله: **(قالوا)** وقوله: **﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾** إلخ، مقول لذلك القول، وقوله: **﴿إِنَّ الله يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾** إلخ، استئناف بياني واقع في جواب سؤال مقدر تقديره ماذا يحصل لهم؟ وهذا هو الأحسن، وقيل: إن خبر المبتدأ وهو قوله: **﴿إِنَّ الله يَحْكُمُ﴾** إلخ، وقوله: **﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾** حال من فاعل **﴿اتَّخَذُوا﴾** على تقدير القول، أي قائلين **﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾** الخ. قوله: **(الأصنام)** قدره اشارة إلى أن **﴿اتَّخَذُوا﴾** تنصب مفعولين، الأول محذوف. قوله: **(وهم كفار مكة)** تفسير للموصول. قوله: **(قالوا)** **﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾** إلخ، أي فكانوا إذا قيل لهم: من خلقكم، ومن خلق السماوات والأرض، ومن ربكم؟ فيقولون: الله، فيقال لهم: وما معنى عبادتكم الأصنام؟ فيقولون لتقربنا إلى الله زلفى، تشفع لنا عنده. قوله: **(مصدر)** أي مؤكد ملاق لعامله في المعنى، والتقدير ليزلفونا زلفى، أو ليقربونا قربى، قوله: **(وبين المسلمين)** أشار بذلك إلى أن المقابل محذوف. قوله: **(فيدخل المؤمنين الجنة)** أي فالمراد بالحكم تمييز كل فريق عن الآخر. قوله: **﴿إِنَّ الله لَا يَهْدِي﴾** أي لا يوفق للهدي من هو كاذب كفار، أي مجبول على الكذب والكفر في علمه تعالى. قوله: **(في نسبة الولد إليه)** أشار بذلك إلى أن قوله: **﴿إِنَّ الله لَا يَهْدِي﴾** إلخ، توطئة لقوله: **﴿لَوْ أَرَادَ الله﴾** إلخ، ويصح أن يكون من تتمة ما قبله، وحينئذ فيقال كاذب في نسبة الألوهية لغيره تعالى.

قوله: **﴿لَوْ أَرَادَ الله أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً﴾** أي لو تعلقت ارادته باتخاذ ولد على سبيل الفرض والتقدير، والآية اشارة إلى قياس استثنائي حذفت صغراه، ونتيجته وتقريره أن يقال: لو أراد الله أن يتخذ ولداً، لاصطفى مما يخلق ما يشاء، لكنه لم يصطف من خلقه شيئاً، فلم يرد أن يتخذ ولداً. قوله: **(غير من قالوا)** أي غير المخلوق الذي قالوا في شأنه انه ابن الله. قوله: **(تنزيهاً عن اتخاذ الولد)** أي لأنه امتنع عقلاً ونقلاً، أما عقلاً فلأنه يلزم أن يكون الولد من جنس خالقه، وكونه جنساً منه، يستلزم حدوث الخالق وهو باطل، وأما نقلاً فقد تواترت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والكتب السماوية، على أن الله تعالى لم يتخذ ولداً.

قوله: **﴿هُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾** هذا بيان لتنزه في الصفات، اثر بيان تنزهه في الذات، لأن الوحدة تنافي المماثلة فضلاً عن الولد، والقهارية تنافي قبول الزوال المحوج إلى الولد، وإلا لكان مقهوراً، تعالى الله عن ذلك. قوله: **﴿خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾** تفصيل لبعض أفعاله الدالة على انفراده بالألوهية،

﴿ٱلنَّهَارِ﴾ يدخله ﴿عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ فيزيد ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي﴾ في فلكه ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ليوم القيامة ﴿أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره، المنتقم من أعدائه ﴿ٱلْغَفَّٰرُ ٥﴾ لأوليائه ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ أي آدم ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ الإبل والبقر والغنم والضأن والمعز ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ من كلٍّ زوجان ذكر وأنثى كما بين في سورة الأنعام ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ﴾ أي نطفاً ثم علقاً ثم مضغاً ﴿فِي ظُلُمَٰتٍ

واتصافه بالصفات الجليلة. قوله: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ﴾ من التكوير، وهو في الأصل اللف والليِّ، يقال كور العمامة على رأسه، أي لفها ولواها، ثم استعمل في الإدخال والإغشاء، فكان الليل يغشى النهار، والنهار يغشى الليل. قوله: (فيزيد) تقدم أن منتهى الزيادة أربع عشرة ساعة، ومنتهى النقص عشر ساعات، فالزيادة أربع ساعات، تارة تكون في الليل، وتارة تكون في النهار. قوله: (ليوم القيامة) أي ثم ينقطع جريانه لانتقال العالم من الدنيا، فإن تسخير الشمس والقمر، إنما كان في الدنيا لمصالح العالم، فلما انتقل العالم، فقد فرغت مصالحه. قوله: ﴿أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ إنما صدرت الجملة بحرف التنبيه، للدلالة على كمال الاعتناء بمضمونها، كأنه قال: تنبهوا يا عبادي، فإني الغالب على أمري، الستار لذنوب خلقي، فلا تشركوا بي شيئاً وأخلصوا عبادتكم لي.

قوله: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ هذا من جملة أدلة توحيده وانفراده بالعزة والقهر، وجميع صفات الألوهية. قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ إن قلت: إن ﴿ثُمَّ﴾ للترتيب، فيقتضي أن خلق الذرية قبل خلق حواء، هو خلاف المعروف المشاهد. وأجيب بثلاثة أجوبة، الأول: أن ﴿ثُمَّ﴾ لمجرد الإخبار، لا لترتيب الإيجاد. الثاني: أن المعطوف متعلق بمعنى واحدة، و ﴿ثُمَّ﴾ عاطفة عليه، كأنه قال: خلقكم من نفس كانت متوحدة لم يخلق نظيرها، ثم شفعت بزوج. الثالث: أن معنى ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ أخرجكم منها يوم أخذ الميثاق في دفعة واحدة، لأن الله تعالى خلق آدم، وأودع في صلبه أولاده كالذر، ثم أخرجهم وأخذ عليهم الميثاق، ثم ردهم إلى ظهره، ثم خلق منهم حواء.

قوله: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ﴾ إلخ إنما عبر عنها بالنزول، لأنها تكونت بالنبات، وهو غذاء لها، والنبات بالماء المنزل، فهو يسمى عندهم بالتدريج، ومنه قوله تعالى: ﴿قد أنزلنا عليكم لباساً﴾ الآية، وقيل: إن الإنزال حقيقة لما روي أن الله خلق الأنعام في الجنة، ثم أنزلها في الأرض، كما قيل في قوله تعالى: ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾ فإن آدم لما هبط إلى الأرض نزل معه الحديد. قوله: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ الزوج ما معه آخر من جنسه، ولا يستغنى بأحدهما عن الآخر. قوله: (كما بين في سورة الأنعام) أي في قوله: ﴿ثمانية أزواج من الضأن اثنين﴾ الآيات.

قوله: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ هذا بيان لكيفية الخلق الدالة على باهر قدرته تعالى. قوله: ﴿خَلْقاً﴾ مصدر ليخلقكم، وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ صفة لخلقا. قوله: (أي نطفاً) إلخ، فيه قصور، وعكس ترتيب الإيجاد، فالمناسب أن يقول: أي حيواناً سوياً، من بعد عظام مكسوة لحماً، من بعد عظام عارية، من بعد مضغ، من بعد علق، من بعد نطف. قوله: ﴿فِي ظُلُمَاتٍ﴾ بدل اشتمال من بطون أمهاتكم بإعادة الجار، ولا يضر الفصل بين البدل والمبدل منه المصدر، لأنه من تتمة العامل فليس

ثَلَٰثٍۚ﴾ هي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ ﴿٦﴾ عن عبادته إلى عبادة غيره ﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَۖ﴾ وإن أراده من بعضهم ﴿وَإِن تَشْكُرُواْ﴾ الله فتؤمنوا ﴿يَرْضَهُ لَكُمْۗ﴾ بسكون الهاء وضمها مع إشباع ودونه أي الشكر ﴿لَكُمْ وَلَا تَزِرُ﴾ نفس ﴿وَازِرَةٌ وِزْرَ﴾ نفس ﴿أُخْرَىٰۗ﴾ أي لا تحمله ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ ﴿٧﴾ بما في القلوب ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أي الكافر ﴿ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ﴾ تضرع ﴿مُنِيبًا﴾ راجعاً ﴿إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً﴾ أعطاه

بأجنبي. قوله: **(وظلمة المشيمة)** أي فهي داخل الرحم، وهو داخل البطن، و **(المشيمة)** بوزن كريمة، وأصلها مشيمة بسكون الشين وكسر الياء، نقلت كسرة الياء إلى الساكن قبلها، وهي غشاء ولد الإنسان، ويقال لها الغلاف والكيس، ويقال لها من غير ولد الإنسان السلا.

قوله: **﴿ذَٰلِكُمُ﴾** مبتدأ، و **﴿اللهُ رَبُّكُمْ﴾** خبران له وجملة **﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾** خبر ثالث. قوله: **﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾** جملة مستأنفة نتيجة ما قبله، أي فحيث ثبت أنه ربنا وله الملك، نتج منه لا إله إلا هو. قوله: **﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾** أي تمنعون. قوله: **﴿فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ﴾** أي له الغنى المطلق، فلا يفتقر إلى ما سواه. قوله: **﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾** أي لا يفعل فعل الراضي، بأن يثيب فاعله ويمدحه، بل يفعل فعل الساخط، بأن ينهى عنه، ويعاقب فاعله ويذمه عليه. قوله: **(وإن أراده من بعضهم)** أشار بهذا إلى أنه لا تلازم بين الرضا والإرادة، بل قد يرضى ولا يريد، وقد يريد ولا يرضى، وإنما التلازم بين الأمر والرضا، خلافاً للمعتزلة القائلين بالتلازم بين الرضا والإرادة، وبنوا على ذلك أموراً فاسدة، ومن هنا قال العلماء: إن الأمور أربعة: تارة يأمر ويريد وهو الإيمان من المؤمنين، وتارة لا يأمر ولا يريد وهو الكفر منهم، وتارة يأمر ولا يريد وهو الإيمان من الكفار، وتارة يريد ولا يأمر وهو الكفر من الكفار. وحكي أن رجلاً من المعتزلة، تناظر مع رجل من أهل السنة، فقال المعتزلي: سبحان من تنزه عن الفحشاء، فقال السني: سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء، فقال المعتزلي: أيريد ربك أن يعصى؟ فقال السني: أيعصى ربنا قهراً؟ فقال المعتزلي: أرأيت إن منعني الهدى، وحكم عليَّ بالردى، أحسن إلي أم أساء؟ فقال: إن منعك ما هو لك فقد أساء، وإن منعك ما هو له، فالمالك يفعل في ملكه كيف يشاء، فبهت المعتزلي. قوله: **﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾** أي لأنه سبب لفوزكم بسعادة الدارين، لا لانتفاعه به، تعالى الله عن ذلك. قوله: **(بسكون الهاء)** إلخ، أي فالقراءات ثلاث سبعيات.

قوله: **﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾** أي لا يحمل شخص إثم كفر شخص آخر، وما ورد من أن الدال على الشر كفاعله، فمعناه أن عليه إثم فعله وإثم دلالته، ولا شك أن دلالته من فعله، فآل الأمر إلى عقابه على فعله، لا على فعل غيره، وقوله: **﴿وَازِرَةٌ﴾** أي وأما غير الوازرة فتحمل وزر غيرها، بمعنى أن من كان ناجياً، وأذن له في الشفاعة يشفع في غيره، فينتفع المشفوع له بتلك الشفاعة إن كان مسلماً، وأما الكافر فلا ينتفع بشفاعة مسلم ولا كافر. قوله: **﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾** علة لقوله: **﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** أي يخبركم بأعمالكم، لأنه عليم بما في القلوب، فضلاً عن غيرها. قوله: **(أي الكافر)** أشار بهذا إلى أن أل في الإنسان للعهد. قوله: **﴿ضُرٌّ﴾** المراد به جميع المكاره، كانت في نفسه أو ماله أو أهله. قوله: **﴿مُنِيباً إِلَيْهِ﴾** أي تاركاً عبادة الأصنام، لعلمه بأنها لا تقدر على كشف ما نزل به. قوله:

إنعاماً ﴿مِنْهُ نَسِيَ﴾ ترك ﴿مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ﴾ يتضرع ﴿إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ وهو الله، فما في موضع من ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ شركاء ﴿لِّيُضِلَّ﴾ بفتح الياء وضمها ﴿عَن سَبِيلِهِۦ﴾ دين الإسلام ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ بقية أجلك ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۝٨﴾ ﴿أَمَّنْ﴾ بتخفيف الميم ﴿هُوَ قَٰنِتٌ﴾ قائم بوظائف الطاعات ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ ساعاته ﴿سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ في الصلاة ﴿يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ﴾ أي يخاف عذابها ﴿وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ﴾ جنة ﴿رَبِّهِۦ﴾ كمن هو عاص بالكفر أو غيره، وفي قراءة أم من، فأم بمعنى بل والهمزة ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي لا يستويان، كما لا يستوي العالم والجاهل ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ يتعظ ﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩﴾ أصحاب العقول ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ أي عذابه بأن تطيعوه ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾ بالطاعة

(**أعطاه إنعاماً**) أي اعطاء على سبيل الإنعام والإحسان، فإنعاماً مفعول لأجله، لأن التحويل هو اعطاء النعم على سبيل التفضل والإحسان من غير مقتض لها. قوله: (**وهو الله**) أشار بذلك إلى أن ﴿مَا﴾ موصولة، بمعنى الذي مراداً بها الله تعالى، ويصح أن يراد بها الضر، والمعنى نسي الضر الذي كان يدعو لكشفه، ويصح أن يكون ﴿مَا﴾ مصدرية، والمعنى نسي كونه داعياً من قبل تخويل النعمة، والأظهر ما قاله المفسر. قوله: ﴿**لِيَضِلَّ**﴾ اللام للعاقبة والصيرورة. قوله: (**بفتح الياء وضمها**) أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿**قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ**﴾ الأمر للتهديد، وفيه إشعار بقنوطه من التمتع في الآخرة. قوله: (**بقية أجلك**) أشار بذلك إلى أن ﴿**قَلِيلاً**﴾ صفة لموصوف محذوف، أي زماناً قليلاً. قوله: ﴿**إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**﴾ أي ملازمها ومعدود من أهلها على الدوام. قوله: ﴿**أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ**﴾ هذا من تمام الكلام المأمور بقوله، وحينئذ فالمعنى قل للكافر ﴿**أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ**﴾ إلخ. قوله: (**بتخفيف الميم**) أي والهمزة للاستفهام الأنكاري و ﴿**مِنْ**﴾ موصولة مبتدأ، خبره محذوف قدره بقوله: (**كمن هو عاص**). قوله: ﴿**آنَاءَ اللَّيْلِ**﴾ جمع إني بالكسر والقصر، كمعى وامعاء. قوله: (**ساعاته**) أي أوله وأوسطه وآخره، وفي الآية دليل على أفضلية قيام الليل على النهار، لما في الحديث: «**ما زال جبريل يوصيني بقيام الليل حتى علمت أن خيار أمتي لا ينامون**». قال ابن عباس: من أحب أن يهون الله عليه الوقوف يوم القيامة، فليره الله في ظلمة الليل. قوله: (**وفي قراءة أمن**) أي بالتشديد، وعليها فأم داخلة على من الموصولة، فأدغمت الميم في الميم، وترسم على هذه القراءة ميماً واحدة متصلة بالنون كقراءة التخفيف، اتباعاً لرسم المصحف والإعراب على كل من القراءتين واحد لا يتغير، وقوله: (**بمعنى بل**) أي التي للإضراب الانتقالي، وقوله. (**والهمزة**) أي التي للاستفهام الإنكاري، والقراءتان سبعيتان. قوله: ﴿**الَّذِينَ يَعْلَمُونَ**﴾ أي وهم المؤمنون بربهم، وقوله: ﴿**وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ أي وهم الكفار. قوله: (**أي لا يستويان**) أشار به إلى أن الاستفهام انكاري بمعنى النفي. قوله: ﴿**إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ**﴾ أي أصحاب القلوب الصافية والآراء السديدة، وخصهم لأنهم المنتفعون بالتذكر.

قوله: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ**﴾ إلخ، أمر الله سبحانه وتعالى رسول الله ﷺ بأوامر لنفسه ولأمته، زيادة في الحث لهم على التجرد لطاعة الله تعالى، واجتناب الشكوك والأوهام. قوله: (**بأن تطيعوه**) أي تتمثلوا أوامره وتجتنبوا نواهيه، وهو تفسير للتقوى التي هي جعل العبد بينه وبين العذاب وقاية. قوله: ﴿**لِلَّذِينَ**﴾ خبر

﴿حَسَنَةٌ﴾ هي الجنة ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾ فهاجروا إليها من بين الكفار ومشاهدة المنكرات ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ عن الطاعة وما يبتلون به ﴿أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ﴿١٠﴾ بغير مكيال ولا ميزان ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ ﴿١١﴾ من الشرك ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ﴾ أي بأن ﴿أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿١٢﴾ من هذه الأمة ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿١٣﴾ ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى﴾ ﴿١٤﴾ من الشرك ﴿فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ غيره؛ فيه تهديد لهم وإيذان بأنهم لا يعبدون الله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بتخليد

مقدم و ﴿**أَحْسَنُوا**﴾ صلته، و ﴿**فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا**﴾ متعلق بأحسنوا، ﴿**حَسَنَةٌ**﴾ مبتدأ مؤخر. قوله: (**هي الجنة**) أي بجميع ما فيها من النعيم المقيم، فهي بمعنى قوله تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾.

قوله: ﴿**وَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ**﴾ جملة من مبتدأ وخبر، وهي حالية. قوله: (**فهاجروا إليها**) إلخ، أشار بذلك إلى أن المراد بالأرض أرض الدنيا، والمعنى: من تعسرت عليه التقوى في محل، فليهاجر إلى محل آخر يتمكن فيه من ذلك، إذ لا عذر في التفريط أصلاً، وكانت الهجرة قبل فتح مكة شرطاً في صحة الإسلام، فلما فتحت مكة نسخ كونه شرطاً، وصارت تعتريها الأحكام، فتارة تكون واجبة، كما إذ هاجر من أرض لا يتيسر له فيها اقامة دينه، لأرض يتعلم فيها دينه ويقيم شعائره، وتارة تكون مندوبة، كما إذا هاجر من أرض لا أخيار بها، لأرض بها أخيار، يجتمع عليهم للإرشاد، وتكون مكروهة، كما إذا هاجر من أرض بها الأخيار وأهل العلم والصلاح، لأرض لا أخيار بها ولا علم ولا عمل، وتارة تكون محرمة، كما إذا هاجر من أرض يأمن فيها على دينه، لأرض لا يأمن فيها عليه.

قوله: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ**﴾ هذا ترغيب في التقوى المأمور بها. قوله: (**على الطاعات**) أي أو عن المعاصي. قوله: (**وما يبتلون**) أي ومن جملته مفارقة الوطن المأمور بها في قوله: ﴿**وأرض الله واسعة**﴾.
قوله: ﴿**بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ أي لما ورد: «تنصب الموازين يوم القيامة لأهل الصلاة والصدقة والحج؛ فيوفون بها أجورهم، ولا تنصب لأهل البلاء، بل يصب عليهم الأجر صباً حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا، أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل».

قوله: ﴿**قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ**﴾ إلخ، الحكمة في هذا الأخبار، اعلام الأمة بأن يتصفوا به ويلزموه، فإن العادة أن المتصف بخلق، ثم يأمر به، أو يعرض بالأمر به ويؤثر في غيره كما قيل: حال رجل في ألف رجل، أنفع من حال ألف رجل في رجل. قوله: (**من هذه الأمة**) جواب عما يقال: إن رسول الله ﷺ ليس أول المسلمين مطلقاً، فأجاب: بأن الأولية بحسب سبق الدعوة. قوله: ﴿**قُلْ أَنِّي أَخَافُ**﴾ سبب نزولها: أن كفار قريش قالوا للنبي ﷺ: ما حملك على هذا الذي أتيتنا به، ألا تنظر إلى ملة أبيك وجدك وقومك فتأخذ بها؟ فنزلت، فالمقصود منها زجر الغير عن المعاصي، لأنه ﷺ إذا كان خائفاً مع كمال طهارته وعصمته، فغيره أولى، وذلك سنة الأنبياء والصالحين، حيث يخبرون غيرهم بما هم متصفون به ليكونوا مثلهم، لا الملوك والمتجبرين، حيث يأمرون غيرهم بما لم يتصفوا به. قوله: (**فيه تهديد لهم**) أي من حيث الأمر. قوله: (**وإيذان**) أي اعلام.

قوله: ﴿**الَّذِينَ خَسِرُوا**﴾ خبر ﴿**إِنَّ**﴾. قوله: ﴿**وَأَهْلِيهِمْ**﴾ أي أزواجهم وخدمهم يوم القيامة، لما

الأنفس في النار، وبعدم وصولهم إلى الحور المعدَّة لهم في الجنة لو آمنوا ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ البين ﴿لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ﴾ طباق ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ﴾ من النار ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ﴾ أي المؤمنين ليتقوه، يدل عليه ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ الأوثان ﴿أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ﴾ أقبلوا ﴿إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ﴾ بالجنة ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ﴾ وهو ما فيه صلاحهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ

ورد: أن الله تعالى جعل لكل انسان منزلاً وأهلاً في الجنة، فمن عمل بطاعة الله، كان ذلك المنزل والأهل له، ومن عمل بمعصية الله دخل النار، وكان ذلك المنزل والأهل لغيره ممن عمل بطاعة الله، فخسر نفسه وأهله ومنزله، وقيل: المراد أهلهم في الدنيا، لأنهم إن كانوا من أهل النار، فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم، وإن كانوا من أهل الجنة، فقد ذهبوا عنهم ذهاباً لا رجوع بعده. قوله: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي حين يدخلون النار. قوله: **(بتخليد الأنفس)** راجع لقوله: ﴿أَنْفُسَهُمْ﴾. قوله: **(بعد وصولهم إلى الحور العين)** إلخ، راجع لقوله: ﴿وَأَهْلِيهِمْ﴾ على سبيل اللف والنشر المرتب. قوله: ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ أي الذي لا خفاء فيه، وتصدير الجملة بأداة التنبيه، إشارة إلى فظاعته وشناعته.

قوله: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ﴾ ﴿لَهُمْ﴾ خبر مقدم، و ﴿ظُلَلٌ﴾ مبتدأ مؤخر، و ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ حال. قوله: **(طباق)** أي قطع كبار، وإطلاق الظلل عليها تهكم، وإلا فهي محرقة، والظلة تقي من الحر. قوله: ﴿وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ أي لغيرهم وإن كان فراشاً لهم، لأن النار دركات، فما كان فراشاً لجماعة، يكون ظلة لآخرين. قوله: ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾ أي فالحكمة في ذكر أحوال أهل النار، تخويف المؤمنين منها ليتقوها بطاعة ربهم. قوله: **(يدل عليه)** أي على الوصف المقدر وهو قوله: **(المؤمنين)**.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾ إلخ، قيل: نزلت هذه الآية في عثمان بن عفان وعبد الرحمن ابن عوف وسعد وسعيد وطلحة والزبير رضي الله عنهم، سألوا أبا بكر رضي الله عنه، فأخبرهم بإيمانه فآمنوا. قوله: **(الأوثان)** هذا أحد أقوال في تفسيره، وقيل هو الشيطان، وقيل: كل ما عبد من دون الله تعالى، وقيل: غير ذلك. قوله: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾**(بالجنة)** أي على ألسنة الرسل، أو على ألسنة الملائكة، عند حضور الموت، وفي الحقيقة البشرى تحصل لهم في الدنيا، بالثناء عليهم بصالح أعمالهم، وعند الموت وعند الوضع في القبر، وعند الخروج من القبور، وعند الوقوف للحساب، وعند المرور على الصراط، ففي كل موقف من هذه المواقف، تحصل لهم البشارة بالروح والريحان.

قوله: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ أي الموصوفين باجتناب الأوثان، والإنابة إلى الله تعالى، والإضافة لتشريف المضاف. قوله: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ قيل: المراد يسمعون الحسن والقبيح، فيتحدثون بالحسن ويكفون عن القبيح، وقيل: يسمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن، وقيل: يسمعون القرآن وأقوال الرسول، فيتبعون المحكم ويعملون به، ويتركون المتشابه ويفوضون علمه لله تعالى، وقيل: يسمعون العزيمة والرخصة، فيأخذون العزيمة ويتركون الرخصة، وكل صحيح. قوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ﴾ أي الموصوفون بتلك الأوصاف.

وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ أصحاب العقول ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ أي ﴿لأملأن جهنم﴾ الآية ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ﴾ تخرج ﴿مَن فِي النَّارِ ﴿١٩﴾﴾ جواب الشرط، وأقيم فيه الظاهر مقام المضمر، والهمزة للإنكار، والمعنى: لا تقدر على هدايته فتنقذه من النار ﴿لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ بأن أطاعوه ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي من تحت الغرف الفوقانية والتحتانية ﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾ منصوب بفعله المقدر ﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾﴾ وعده ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ﴾ أدخله أمكنة نبع ﴿فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ﴾ ييبس ﴿فَتَرَاهُ﴾ بعد الخضرة مثلاً ﴿مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾ فتاتاً ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ تذكيراً ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾﴾ يتذكرون به، لدلالته على وحدانية الله تعالى وقدرته

قوله: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ إلخ، يحتمل أن ما شرطية، وجوابها قوله: ﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ كما قال المفسر، وأعيدت الهمزة لتأكيد معنى الإنكار ولطول الكلام، وأقيم الظاهر مقام المضمر، أي أفأنت تنقذه، ويحتمل أنها موصولة مبتدأ، والخبر محذوف تقديره أنت لا تنفعه فجملة قوله: ﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ مستقلة مؤكدة لما قبلها، وهذه الآية نزلت في حق أبي لهب وولده، ومن تخلف من عشيرة النبي ﷺ عن الإيمان، وقد كان حريصاً على إيمانهم. قوله: (والهمزة) أي الأولى والثانية توكيد لها. قوله: (للإنكار) أي الاستفهام الإنكاري. قوله: (والمعنى لا تقدر على هدايته) إلخ، أشار بهذه إلى أن قوله: ﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ مجاز مرسل، حيث أطلق المسبب وأراد السبب، لأن الإدخال في النار، مسبب عن الضلال وترك الهدى، كأنه قال: أنت تهدي من أضله الله، وجعل له النار بسبب ضلاله، وجعلها السمرقندي في حواشي رسالته استعارة بالكناية، حيث شبه استحقاقهم العذاب بالدخول في النار، على طريق المكنية في المركب، وحذف المركب الدال على المشبه به، ورمز له بذكر شيء من لوازمه وهو الإنقاذ، وفيه إشكال، انظر بسطه في حاشيتنا على رسالة البيان، لأستاذنا الشيخ الدردير.

قوله: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ أي وهم الموصوفون بالصفات الجميلة السابقة المخاطبون بقوله: ﴿يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم﴾ الآية، ولكن ليست للاستدراك، وإنما هي للإضراب عن قصة إلى قصة مخالفة للأولى. قوله: ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾ مقابل قوله في حق أهل النار ﴿لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل﴾. قوله: (بفعله المقدر) أي وتقديره وعدهم الله وعداً. قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ إلخ، استئناف مسوق لبيان تمثيل الحياة الدنيا في سرعة زوالها وقرب اضمحلالها، بما ذكر من أحوال الزرع، تحذيراً عن زخارفها والاغترار بها. قوله: (أدخله أمكنة نبع) أي فمراده بالينابيع الأمكنة التي أودعت فيها المياه السماوية لمنافع العباد، بحيث تكون قريبة من وجه الأرض، وتطلق الينابيع على نفس الماء الجاري على وجه الأرض، وكل صحيح. قوله: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً﴾ صيغة المضارع لاستحضار الصورة واستمرارها. قوله: ﴿مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ﴾ أي من أحمر وأخضر وأصفر وأبيض، واختلاف تلك الألوان، إما ثماره أو عوده، ومراده بالزرع كل ما يستنبت. قوله: (فتاتاً) أي متفتتاً ومتمزقاً.

قوله: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ الله صَدْرَهُ﴾ إلخ، الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير:

﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ فاهتدى ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ كمن طبع على قلبه دل على هذا ﴿فَوَيْلٌ﴾ كلمة عذاب ﴿لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي عن قبول القرآن ﴿أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٢٢﴾ بيِّن ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا﴾ بدل من أحسن أي قرآناً ﴿مُّتَشَابِهًا﴾ أي يشبه بعضه بعضاً في النظم وغيره ﴿مَّثَانِيَ﴾ ثنى فيه الوعد والوعيد وغيرهما ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ﴾ ترتعد عند ذكر وعيده ﴿جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ﴾ يخافون ﴿رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ﴾ تطمئن ﴿جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ

أكل الناس سواء؟ فمن شرح الله صدره إلخ، والاستفهام إنكاري، ومن اسم موصول مبتدأ خبره محذف قدره المفسر بقوله: (كمن طبع) الخ، وهذه الآية مرتبة على قوله: ﴿إنما يتذكر أولوا الألباب﴾.
قوله: ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ أي نور المعرفة والاهتداء، وفي الحديث: «إذا دخل النور القلب انشرح وانفسخ، فقيل: ما علامة ذلك؟ قال: الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والتأهب للموت قبل نزوله». قوله: (دل على هذا) أي المقدر. قوله: (كلمة العذاب) أي كلمة تقيد العذاب للمخاطب بها. قوله: (أي عن قبول القرآن) أشار بذلك إلى أن ﴿مِنْ﴾ بمعنى عن، وفي الكلام مضاف محذوف، ويصح أن تبقى من على بابها للتعليل، أي قست قلوبهم من أجل ذكر الله، لفساد قلوبهم وخسرانها. ومن المعلوم المشاهد، أن الأطعمة الفاخرة، تكون داء لبعض المرضى، ومن هنا قول بعض العارفين: ألا بذكر الله تزداد الذنوب وتنطمس البصائر والقلوب.

قوله: ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ إلخ، سبب نزولها: أن أصحاب رسول الله ﷺ حصل لهم بعض ملل، فقالوا لرسول الله ﷺ: حدثنا حديثاً حسناً، فنزلت. قوله: (في النظم) أي اللفظ، وقوله: (وغيره) أي المعنى كالبلاغة والدلالة على المنافع. قال البوصيري رضي الله عنه في هذا المعنى:

ردت بلاغتها دعوى معارضها ... رد الغيور يد الجاني عن الحرم
فما تعد ولا تحصى عجائبها ... ولا تسام من الإكثار بالسأم

واعلم أنه في هذه الآية أثبت أن القرآن متشابه، وفي آية أخرى أثبت أنه محكم، وفي آية أخرى أن بعضه محكم وبعضه متشابه، ووجه الجمع بينها، أن المراد بالمتشابه في آية الاقتصار عليه، ما أشبه بعضه بعضاً في اللفظ، والمعنى من حيث البلاغة وحسن الترتيب، وبالمحكم في آية الاقتصار عليه، ما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبالمتشابه في آية الجمع ما خفي معناه، وبالمحكم ما ظهر معناه، وتقدم هذا الجمع. قوله: ﴿مَثَانِيَ﴾ جمع مثنى من التثنية بمعنى التكرير، ووصف به المفرد وهو الكتاب، لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل تثنى وتكرر، نظير قولك: الإنسان عروق وعظام وأعصاب. قوله: (وغيرهما) أي كالقصص والأحكام.

قوله: ﴿وَتَقْشَعِرُّ مِنْهُ﴾ أي تنقبض وتتجمع من الخوف. قوله: (عند ذكر وعيده) أشار بهذا إلى أن ﴿إِلَى﴾ بمعنى عند. قوله: (تطمئن) أي تسكن وتستقر. قوله: (أي عند ذكر وعده) أشار إلى أن ﴿إِلَى﴾ بمعنى عند، فالتضمين في الحرف وهو أحد وجهين، والآخر أنه ضمن ﴿تَلِينُ﴾ معنى تسكن، فعداه بإلى، والمفسر قد جمع بينهما. والحاصل: أن الله تعالى بين حال المؤمن عند سماع القرآن، ففي حال ذكر الوعيد يغلب عليه الخوف فيتصاغر، وفي حال ذكر الوعد، يغلب عليه الرجاء، فيتسع صدره، وتطمئن

ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ أي عند ذكر وعده ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي الكتاب ﴿هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿أَفَمَن يَتَّقِي﴾ يلقى ﴿بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ أي أشده بأن يلقى في النار مغلولة يداه إلى عنقه، كمن أمن منه بدخول الجنة ﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ﴾ أي كفار مكة ﴿ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ أي جزاءه ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ رسلهم في إتيان العذاب ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ من جهة لا تخطر ببالهم ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ﴾ الذل والهوان من المسخ والقتل وغيره ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ﴾ أي المكذبون ﴿يَعۡلَمُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ عذابها ما كذبوا ﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا﴾ جعلنا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ يتعظون ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال مؤكدة ﴿غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ﴾ أي لبس واختلاف ﴿لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ الكفر ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ﴾ للمشرك والموحد ﴿مَّثَلٗا رَّجُلٗا﴾ بدل من مثلاً ﴿فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ متنازعون سيئة أخلاقهم ﴿وَرَجُلٗا سَلَمٗا﴾ خالصاً ﴿لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ﴾

نفسه، لأن الخوف والرجاء مصحوبان للعبد، كجناحي الطائر إن عدم أحدهما سقط. قوله: **(أي الكتاب)** أي الموصوف بتلك الصفات. قوله: **﴿هُدَى الله﴾** أي سبب في الهدى أو بولغ فيه، حتى جعل نفس الهدى.

قوله: **﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي﴾** الهمزة داخل على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير أكل الناس سواء فمن يتقي إلخ، ومن اسم موصول مبتدأ خبره محذوف، قدره المفسر بقوله كمن أمن منه. قوله: **(مغلولة يداه)** أي وفي عنقه صخرة من كبريت مثل الجبال العظيمة، فتشتعل النار فيها، وهي في عنقه، فحرها ووهجها على وجه، لا يطيق دفعها عنه للأغلال التي في يده وعنقه. قوله: **﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾** التعبير بالماضي لتحقق الحصول. قوله: **(أي كفار مكة)** الأوضح أن يقول: أي الكفار من هذه الأمة. قوله: **(أي جزاؤه)** أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف.

قوله: **﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾** بيان لحال المكذبين قبلهم، وما حصل لهم في الدنيا من العذاب. قوله: **(لا تخطر ببالهم)** المراد بالجهة السبب، أي أتاهم العذاب بسبب لا يخطر ببالهم، كاللواط في قوم لوط مثلاً. قوله: **﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾** أي يصدقون ويوقنون، وقوله: **(ما كذبوا)** جواب **﴿لَوْ﴾**. قوله: **﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا﴾** اللام موطئة لقسم محذوف، ومعنى **﴿ضَرَبْنَا﴾** بينا ووضحنا. قوله: **(حال مؤكدة)** أي لفظ قرآنا، وكما تسمى (مؤكدة) بالنسبة لما قبلها، تسمى موطئة بالنسبة لما بعدها، كما تقول: جاء زيد رجلاً صالحاً. قوله: **﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾** نعت لقرآناً أو حال أخرى. قوله: **(أي لبس واختلاف)** أي فمعناه صحيح لا لبس ولا تناقض فيه. قوله: **﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾** علة لقوله: **﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾**.

قوله: **﴿ضَرَبَ الله مَثَلاً﴾** إلخ، والمعنى: اضرب يا محمد لقومك هذا المثل، واذكره لهم لعلهم يؤمنون قوله: **﴿مُتَشَاكِسُونَ﴾** التشاكس التخالف والتشاجر مع سوء الخلق، ومثل التشاخس بخاء معجمة بدل الكاف. قوله: **﴿وَرَجُلاً سَلَماً﴾** بألف بعد السين مع كسر اللام، وتركها مع فتح السين واللام، قراءتان سبعيتان، فالأولى اسم فاعل، والثانية مصدر وصف به على سبيل المبالغة، وقرىء

تمييز، أي لا يستوي العبد لجماعة، والعبد لواحد، فإن الأول إذا طلب منه كل من مالكيه خدمته في وقت واحد، تحير فيمن يخدمه منهم، وهذا مثل للمشرك، والثاني مثل للواحد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وحده ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أي أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون ﴿إِنَّكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ ستموت ويموتون فلا شماتة بالموت، نزلت لما استبطؤوا موته ﷺ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ أيها الناس فيما بينكم من المظالم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ ﴿٣١﴾ ﴿فَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ﴾ بالقرآن ﴿إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿لِّلْكَـٰفِرِينَ﴾ ﴿٣٢﴾ بلى ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ هو النبي ﷺ ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ هم المؤمنون، فالذي بمعنى الذين ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ الشرك ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٣٤﴾ لأنفسهم بإيمانهم

شذوذاً بكسر السين وسكون اللام. قوله: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾ الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: (تمييز) أي محول عن الفاعل، والمعنى لا يستوي مثلهما وصفتهما. قوله: **(أي لا يستوي العبد لجماعة)** هذا هو المثل المحسوس للمشرك الذي يعبد غير الله، فقوله: **(لجماعة)** أي سيئة اخلاقهم، وقوله: **(والعبد لواحد)** هذا هو المثل المحسوس للموحد الذي يعبد الله وحده، وقوله: **(فإن الأول)** إلخ، تقرير للمثل الأول، ولم يتعرض للثاني لوضوحه.

قوله: **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾** أي على عدم استواء هذين الرجلين. قوله: **﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾** أي مع بيان ظهوره، وهو اضراب انتقالي من بيان عد الاستواء على الوجه المذكور، إلى بيان أن أكثر الناس لا يعلمون ذلك. قوله: **﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾** العامة على التشديد وهو من سيموت،وأما الميت بالتخفيف فهو من فارقته الروح بالفعل. قوله: **(فلا شماتة بالموت)** الشماتة الفرح ببلية العدو. قوله: **(نزلت لما استبطؤوا موته)** إلخ، أي وذلك أنهم كانوا ينتظرون موته، فأخبر الله تعالى بأن الموت يعمهم، فلا معنى لشماتة الفاني بالفاني. قوله: **(أيها الناس)** أي مؤمنكم وكافركم، وقوله: **﴿تَخْتَصِمُونَ﴾** أي يخاصم بعضكم بعضاً، فيقتص للمظلوم من الظالم، لما روي أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم ولا متاع له، فقال رسول الله ﷺ: إن المفلس من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا؛ وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار». قوله: **(أي لا أحد)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: **﴿مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللهِ﴾** أي ومن جملة الكذب على الله، الكذب على رسوله، بأن يقول مثلاً: قال رسول الله كذا، أو هذا شرعه، والحال أنه لم يكن قاله، ولم يكن شرعه.

قوله: **﴿إِذْ جَاءَهُ﴾** ظرف لكذب بالصدق، والمعنى كذب بالصدق وقت مجيئه. قوله: **(بلى)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام تقريري، والمعنى **﴿فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكَافِرِينَ﴾** لأن (بلى) يجاب بها النفي ويصيره إثباتاً كما تقدم. قوله: **(فالذي بمعنى الذين)** أي بالنسبة للصلة الثانية، ولذا روعي معناه، فجمع في قوله: **﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾** وروعي لفظه في قوله: **﴿جَاءَ﴾** و **﴿صَدَّقَ﴾** قوله: **﴿لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ﴾** أي كل ما

﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ أسوأ وأحسن، بمعنى السيِّىء والحسن ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾ أي النبي بلى ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾ الخطاب له ﴿بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ أي الأصنام أن تقتله أو تخبله ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾ غالب على أمره ﴿ذِي ٱنتِقَامٍ﴾ ﴿٣٧﴾ من أعدائه؟ بلى ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي الأصنام ﴿إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ لا ﴿أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ﴾؟ لا، وفي قراءة بالإضافة فيهما ﴿قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ يثق الواثقون ﴿قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾ حالتكم ﴿إِنِّي عَٰمِلٞ﴾ على حالتي

يشتهون من وقت حضور الموت، كالأمن من الفتانات عنده، ومن فتنة القبر وعذابه، ومن هول الموقف إلى غير ذلك. قوله: **(لأنفسهم)** متعلق بالمحسنين، وفيه إشارة إلى أن إحسان الإنسان لنفسه، وثمرته عائدة عليها، فلا يعود على الله نفع محسن، ولا ضر مسيء، تعالى الله عنه، والإحسان للنفس، يكون بطاعة الله والالتجاء إليه وبذل المعروف للخلق محبة في الخالق، وبهذا تكون النفس عزيزة: ومن أعز نفسه أعزه الله. وبضدها تتميز الأشياء.

قوله: **﴿لِيُكَفِّرَ الله عَنْهُمْ﴾** متعلق بمحذوف، أي يسر الله لهم ذلك ليكفر إلخ، واللام للعاقبة والصيرورة، وهو تفصيل لقوله: **﴿لَهمْ مَا يَشَاؤُونَ﴾**. قوله: **(بمعنى السيىء والحسن)** أي فافعل التفضيل ليس على بابه، وهو جواب عما يقال: مقتضاه أنه يكفر عنهم الأسوأ فقط، ويجازون على الأحسن فقط، ولا يكفر عنهم السيىء، ولا يجازون على الحسن. قوله: **﴿عَبْدَهُ﴾** أي رسول الله ﷺ، وقيل: المراد به الخالص في العبودية لله وهو الأتم، ويؤيده قراءة عباده بالجمع، وهي سبعية أيضاً، والمعنى أنه من أخلص لله في عبادته، كفاه ما أهمه في دينه ودنياه وآخرته.

قوله: **﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾** يصح أن تكون الجملة حالية، والمعنى أن الله كافيك في كل حال تخويفهم لك، ويصح أن تكون مستأنفة. قوله: **(أو تخبله)** أي تفسد أعضاءه وتذهب عقله. قوله: **﴿ذِي انْتِقَامٍ﴾** أي ينتقم من أعدائه لأوليائه، وتأخير قوله: **(بلى)** للإشارة إلى أنه راجع لقوله: **﴿ذِي انْتِقَامٍ﴾** أيضاً. قوله: **﴿لَيَقُولُنَّ الله﴾** أي فلا جواب لهم غيره، لقيام البراهين الواضحة على أنه المنفرد بالخلق والإيجاد. قوله: **﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ﴾** إلخ، رأى متعدية لمفعولين: الأول قوله: **﴿مَا تَدْعُونَ﴾**، والثاني قوله: **﴿هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾** إلخ، وقوله: **﴿إِنْ أَرَادَنِيَ﴾** إلخ، جملة شرطية معترضة بين المفعول الأول والثاني، وجوابها محذوف لدلالة المفعول الثاني عليه، وتقديره لا كاشف له غيره. قوله: **﴿إِنْ أَرَادَنِيَ الله بِضُرٍّ﴾** قدمه لأن دفعه أهم وخص نفسه لأنه جواب لتخويفه من الأصنام. قوله: **﴿هَلْ هُنَّ﴾** عبر عنها بضمير الإناث تحقيراً لها، ولأنهم كانوا يسمونها بأسماء الإناث، كاللات والعزى ومناة. قوله: **(وفي قراءة بالإضافة)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: **﴿قُلْ حَسْبِيَ الله﴾** أي كافيّ فلا ألتفت لغيره. قوله: **(يثق الواثقون)** أي يعتمد المعتمدون.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ ﴿مَن﴾ موصولة مفعولة العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ﴾ ينزل ﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ دائم هو عذاب النار، وقد أخزاهم الله ببدر ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بأنزل ﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ﴾ اهتداؤه ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ فتجبرهم على الهدي ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَ﴾ يتوفى ﴿الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ أي يتوفاها وقت النوم ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي وقت موتها، والمرسلة نفس التمييز تبقى بدونها نفس الحياة بخلاف العكس ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَاتٍ﴾ دلالات ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ فيعلمون أن القادر على ذلك قادر على

قوله: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا﴾ إلخ، هذا الأمر للتهديد. قوله: (حالتكم) أي وهي الكفر والعناد، وفيه تشبيه الحال بالمكان، بجامع الثبوت والاستقرار في كل. قوله: (مفعولة العلم) أي لأنها بمعنى عرف، فتنصب مفعولاً واحداً. قوله: ﴿يُخْزِيهِ﴾ أي يهينه ويذله. قوله: ﴿لِلنَّاسِ﴾ أي لمصالح الناس في معاشهم ومعادهم. قوله: (متعلق بأنزل) ويصح أن يكون متعلقاً بمحذوف حال، إما من فاعل أنزل، أو من مفعوله. قوله: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ هذا تسلية له ﷺ، والمعنى ليس هداهم بيدك ولا في ضمانتك، حتى تقهرهم وتجبرهم عليه، وإنما هو بيدنا، فإن شئنا أبقيناهم على ما هم عليه من الضلال.

قوله: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ أي يقبض الأرواح عند حضور آجالها، فالنفس والروح شيء واحد على التحقيق، وذلك القبض ظاهر، بحيث ينعدم التمييز والإحساس، وباطناً بحيث تنعدم الحياة والنفس والحركة. قوله: ﴿وَ﴾(يتوفى) ﴿الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ أشار بذلك إلى أن الموصول معطوف على ﴿الأَنْفُسَ﴾ مسلط عليه ﴿يَتَوَفَّى﴾ والمعنى يقبض الأرواح التي لم تحضر آجالها عند نومها ظاهراً، بحيث ينعدم التمييز والإحساس لا باطناً، فإن الحياة والنفس والحركة باقية، ولذا عرفوا النوم بأنه فترة طبيعية، تهجم على الشخص قهراً عليه، تمنع حواسه الحركة، وعقله الإدراك، وأما في حالة اليقظة، فالروح سارية في الجسد ظاهراً وباطناً، لأنها جسم لطيف شفاف، مشتبك بالاجسام الكثيفة، اشتباك الماء بالعود الأخضر على هيئة جسد صاحبها، وقيل مقرها القلب، وشعاعها مقوم للجسد، كالشمعة الكائنة وسط آنية من زجاج، فأصلها في وسطه، ونورها سار في جميع أجزائه.

قوله: ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوتَ﴾ أي لا يردها إلى جسدها، وتحيا حياة دنيوية. قوله: (أي وقت موتها) ظاهره أن قوله: ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ راجع لقوله: ﴿وَيُرْسِلُ الأُخْرَى﴾ فقط، ويصح رجوعه له وللذي قبله، ويراد بالأجل المسمى في الممسوكة النفخة الثانية. قوله: (نفس التمييز) أي والإحساس. قوله: (نفس الحياة) أي والحركة والنفس. قوله: (بخلاف العكس) أي فمتى ذهبت نفس الحياة، لا تبقى نفس التمييز والإحساس، واعلم أنه اختلف، هل في الإنسان روح واحدة والتعدد باعتبار أوصافها وهو التحقيق، أو روحان: إحداهما روح اليقظة، التي أجرى الله العادة بأنها إذا كانت في الجسد كان الإنسان متيقظاً، فإذا خرجت منه، نام الإنسان ورأت تلك الروح المنامات، والأخرى: روح الحياة، التي أجرى الله العادة بأنها إذا كانت في الجسد كان حياً، فإذا فارقته مات، فإذا رجعت إليه حيي، وكلام المفسر محتمل للقولين. قوله: (المذكور) أي من التوفي والإمساك والإرسال. قوله:

البعث، وقريش لم يتفكروا في ذلك ﴿أَمِ﴾ بل ﴿ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي الأصنام آلهة ﴿شُفَعَآءَ﴾ عند الله بزعمهم ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَ﴾ يشفعون ﴿وَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا﴾ من الشفاعة وغيرها ﴿وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ أنكم تعبدونهم ولا غير ذلك؟ لا ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ أي هو مختص بها، فلا يشفع أحد إلا بإذنه ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾ ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ﴾ أي دون آلهتهم ﴿ٱشْمَأَزَّتْ﴾ نفرت وانقبضت ﴿قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي الأصنام ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ﴾ بمعنى يا الله ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مبدعهما ﴿عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ ما غاب وما شوهد ﴿أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ من أمر الدين اهدني لما اختلفوا فيه من الحق ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَبَدَا﴾ ظهر ﴿لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ يظنون ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾﴾ أي العذاب ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الجنس ﴿ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ﴾ أعطيناه ﴿نِعْمَةً﴾ إنعاماً ﴿مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ من الله بأني له أهل ﴿بَلْ هِىَ﴾ أي القولة ﴿فِتْنَةٌ﴾

(وقريش لم يتفكروا) قدره ليكون قوله: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا﴾ إضراباً انتقالياً. قوله: **(أي الأصنام)** بيان للمفعول الأولى. قوله: ﴿أَ﴾**(يشفعون)** أشار بهذا إلى أن الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه. قوله: ﴿لَا﴾ أشار به إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: **(أي وهو مختص بها)** جواب عما يقال: مقتضى الآية نفي الشفاعة عن غيره تعالى، مع أنه قد جاء في الأخبار: إن للأنبياء والعلماء والشهداء شفاعات فأجاب: بأن المعنى لا يملك الشفاعة إلا الله، وشفاعات بإذن الله ورضاه، قال تعالى: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾. قوله: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي تردون فيجازيكم بأعمالكم.

قوله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ﴾ ﴿إِذَا﴾ معمولة لقوله: ﴿اشْمَأَزَّتْ﴾ قوله: ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ أي لنسيانهم حق الله تعالى، وهذه الآية تجر بذيلها على أهل اللهو والفسوق، الذين يختارون مجالس اللهو ويفرحون بها، على مجالس الطاعات. قوله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾ أي التجىء إلى ربك بالدعاء والتضرع، فإنه القادر على كل شيء. قوله: **(أي يا الله)** أي فحذفت يا النداء، وعوض عنها الميم وشددت، لتكون على حرفين كالمعوض عنه. قوله: **(اهدني)** هذا هو المقصود بالدعاء، وتمام تلك الدعوة النبوية على ما ورد: اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ إلخ، بيان لغاية شدة ما ينزل بهم. قوله: ﴿لافْتَدَوْا بِهِ﴾ أي بالمذكور من الأمرين. قوله: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ظرف ﴿لافْتَدَوْا﴾. قوله: ﴿وَبَدَا لَهُمْ﴾ إلخ، كلام مستأنف أو معطوف على قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ الَّذِينَ ظَلَموا﴾ إلخ. قوله: ﴿سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ أي الأعمال السيئة حين تعرض عليهم صحائفهم. قوله: **(الجنس)** أي فهو إخبار عن الجنس بما يفعله غالب أفراده. قوله: **(إنعاماً)** أي تفضلاً وإحساناً. قوله: ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾**(من الله)** إلخ أي أو مني بوجود سببه، أو أني أعطيته بسبب محبة الله لي وفلاحي. قوله: **(أي القولة)** أشار بذلك إلى أن الضمير عائد على **(القولة)** وقيل عائد

بلية يبتلى بها العبد ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ أن التخويل استدراج وامتحان ﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم، كقارون وقومه الراضين بها ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟﴾ أي جزاؤها ﴿وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي قريش ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ ﴿٥١﴾ بفائتين عذابنا، فقحطوا سبع سنين ثم وسع عليهم ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ امتحاناً ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاء ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ به ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟﴾ بكسر النون وفتحها، وقرىء بضمها تيأسوا ﴿مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ لمن تاب من

على النعمة، والمعنى أن النعمة فتنة، أي امتحان واختبار، هل يشكر عليها أو يكفرها. قوله: **(أن التخويل)** أي إعطاء النعم تفضلاً وإحساناً. قوله: **(الراضين بها)** أشار بذلك إلى أن قومه لم يقولوها بالفعل، وإنما نسبت لهم من حيث رضاهم بها. قوله: **﴿سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾** أي جزاء أعمالهم السيئة. قوله: **﴿مِنْ هٰؤُلَاءِ﴾** بيان للذين ظلموا. قوله: **(فقحطوا سبع سنين)** أي أوائل سني الهجرة، حتى أكلوا الجيف والعظم المحرق. قوله: **(ثم وسع عليهم)** أي استدراجاً لهم، لا رضاً عليهم.

قوله: **﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا﴾** أي القائلون: إنما أوتيته على علم عندي. قوله: **﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾** أي وإن كان لا حيلة له ولا قوة، طائعاً أو عاصياً، وقوله: **﴿وَيَقْدِرُ﴾** أي لمن يشاء، وإن كان قوياً شديداً، طائعاً أو عاصياً، فليس لبسط الرزق الدنيوي ولا لقبضه، مدخل في محبة الله ولا بغضه، بل بحكمته تعالى. قوله: **﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ﴾** أي المذكور.

قوله: **﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا﴾** الخ، سبب نزولها: أن رسول الله ﷺ بعث إلى وحشي قاتل حمزة يدعوه إلى الإسلام، فأرسل إليه: كيف تدعوني إلى دينك، وأنت تزعم أنه من قتل أو اشرك أو زنى يلق أثاماً يضاعف له العذاب، وأنا فعلت ذلك كله؟ فأنزل الله ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً﴾ فقال وحشي: هذا شرط شديد، لعلي لا أقدر عليه، فهل غير ذلك؟ فأنزل الله ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾قال وحشي: اراني بعد في شبهة، أيغفر لي أم لا؟ فنزلت هذه الآية، فقال وحشي: نعم، الآن لا أرى شرطاً، فأسلم، وهذه الآية عامة لكل كافر وعاص، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ومن ثم قيل: إنها أرجى آية في كتاب الله تعالى، وفيها من أنواع المعاني والبيان أمور حسان، منها: إقباله تعالى على خلقه ونداؤه إياهم. ومنها: إضافتهم إليه إضافة تشريف، ومنها: التفات من التكلم إلى الغيبة في قوله: **﴿مِنْ رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾**. ومنها: إضافة الرحمة لأجل اسمائه، الجامع لجميع الأسماء والصفات، وهو لفظ الجلالة. ومنها: الاتيان بالجملة المعرفة الطرفين المؤكدة بأن وضمير الفصل في قوله: **﴿إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾** للإشارة إلى أنه تعالى لا وصف له مع عباده إلا الغفران والرحمة، ومناسبة هذه الآية لما قبلها، أن الله تعالى لما شدد على الكفار التشديد العظيم في قوله﴿ولو أن الذين ظلموا ما في الأرض جميعاً﴾الآية، أتبعها بذكر عظيم غفرانه ورحمته لمن آمن، ليجمع العبد بين الرجاء والخوف. قوله: **﴿ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾** أي فرطوا في الأعمال الصالحة، وارتكبوا سيىء الأعمال، واكثروا منه. قوله: **﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾** إن قلت: إن في هذا إغراء بالمعاصي، واتكالاً

الشرك ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿وَأَنِيبُوٓاْ﴾ ارجعوا ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ﴾ أخلصوا العمل ﴿لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ ﴿٥٤﴾ بمنعه إن لم تتوبوا ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ هو القرآن ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةً وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾ ﴿٥٥﴾ قبل إتيانه

على غفرانه تعالى، وهو لا يليق. اجيب: بأن المقصود تنبيه العاصي على إنه ينبغي له أن يقدم على التوبة، ولا يقنط من رحمة الله، وليس ذلك إغراء بالمعاصي، بل هو تطمين للعصاة، وترغيب لهم في الإقبال على ربهم. قوله: **(بكسر النون وفتحها)** أي من باب جلس وسلم وهما سبعيتان. قوله: **(وقرىء بضمها)** أي من باب دخل، وهي شاذة.

قوله: **﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾** أي إشراكاً أو غيره، وهو مقيد بالتوبة كما قال المفسر، لأن بها يخرج العاصي من ذنوبه كيوم ولدته أمه لما في الحديث: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» وأما من مات مسلماً ولم يتب من ذنوبه فأمره مفوض لربه، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه بقدر جرمه، ثم يدخله الجنة، وأما من مات مشركاً، فلا يغفر له بنص قوله تعالى﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾ومن هنا قيل: رحمة الله غلبت غضبه، لأن دار الغضب مخصوصة بمن مات مشركاً، بخلاف دار الرحمة، فهي لمن عدا ذلك. قوله: **(لمن تاب من الشرك)** إنما خص الشرك، لأن التوبة منه مقبولة قطعاً بنص قوله تعالى:﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾بخلاف التوبة من غير الشرك، ففيها قولان: قيل مقبولة ظناً، وقيل قطعاً، والفرق أن تعذيب العاصي تطهير، وتعذيب الكافر غضب، فمآل العاصي للجنة، وإن طالت مدته في النار، لأن معاملته بالفضل والرحمة بخلاف الكافر، فمعاملته بالعدل. قوله: **﴿إِنَّهُ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾** تعليل لما قبله، وهذان الوصفان يكونان لمن تاب، فالغفران له دخوله الجنة.

قوله: **﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ﴾** أتى بهذه الآية عقب التي قبلها لئلاً يتكل العاصي على الغفران، ويترك التوبة والرجوع إلى الله، فأفاد أن الرجوع إلى الله والإقبال عليه مطلوب، ومن ترك ذلك فله الوعيد العظيم. قوله: **(إن لم يتوبوا)** راجع لقوله: **﴿مِنْ قَبْلِ يَأْتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾**. قوله: **﴿وَٱتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾** أي على لسان أحسن نبي وهو محمد ﷺ، وهذا معطوف على قوله: **﴿وَأَنِيبُوا﴾** والمعنى: ارجعوا إلى ربكم، والزموا أوامر أحسن كتاب أنزل إليكم ونواهيه، وهذا الخطاب عام للأولين والآخرين من لدن آدم إلى يوم القيامة، ولكن من أدركه التكليف كلف بإتباعه، ومن لم يدركه بأن كان متقدماً عليه، يلزمه اتباعه لو فرض أنه أدركه، ومن هنا أخذ الميثاق على الأنبياء وأممهم، إن ظهر محمد ﷺ وأحدهم حي يلزمه اتباعه، وفي الحديث: «لو أدركني موسى ما وسعه إلا اتباعي». وحينئذ فالمعنى: اتبعوا يا عبادي من أول الزمان لآخره، أحسن كتاب أنزل إليكم من ربكم، فالمكلف بهذا الخطاب من أدركه ومن لم يدركه، لكن من لم يدركه مكلف به لولا مانع الموت، ولذا كلف به من بقي حياً حتى أدركه، كالخضر وإلياس وعيسى عليهم السلام. قوله: **(القرآن)** تفسير لأحسن، فإن ما أنزل إلينا من ربنا كتب كثيرة، وأحسنها القرآن، وهذا كله على ما فهم المفسر، وقيل: معنى **﴿أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾** الخ، أي من القرآن وهو أوامره دون نواهيه، أو عزائمه دون رخصه، أو ناسخه دون منسوخه، أو ما هو أعم، والخطاب لخصوص هذه الأمة فتدبر.

بوقته، فبادروا قبل ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ﴾ أصله يا حسرتي أي ندامتي ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ أي طاعته ﴿وَإِن﴾ مخففة من الثقيلة أي وإني ﴿كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ بدينه وكتابه ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى﴾ بالطاعة فاهتديت ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾﴾ عذابه ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ المؤمنين، فيقال له من قبل الله ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى﴾ القرآن وهو سبب الهداية ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ﴾ تكبرت عن الإيمان بها ﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾ ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ عن الإيمان؟ بلى

قوله: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ﴾ معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله: (بادروا قبل) ﴿أَنْ تَقُولَ﴾ الخ، وقدره غيره، كراهة أو مخافة ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ﴾ الخ، وحينئذ فيكون مفعولاً لأجله، وهو أسهل مما قدره المفسر، والمراد نفس الكافر، ونكرها للتحقير. قوله: (أصله يا حسرتي) أي فقلبت الياء الفاً، فهي في محل جر ونداؤها مجاز، أي هذا أوانك فاحضري. قوله: (أي طاعته) أشار بذلك إلى أن المراد بالجنب الطاعة مجازاً، لأن الجنب في الأصل الجهة المحسوسة، ويرادفه الجانب، فشبهت الطاعة بالجهة بجامع تعلق كل بصاحبه، لأن الطاعة لها تعلق بالله تعالى، والجهة لها تعلق بصاحبها. قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُ لَمِنْ السَّاخِرِينَ﴾ الجملة حالية، والمعنى فرطت في جنب الله وأنا ساخر. قوله: ﴿أَوْ تَقُولَ﴾ الخ، ﴿أَوْ﴾ للتنويع في مقالة الكافر. قوله: (بالطاعة) وفي نسخة بإلطافه أي إسعافه، ولو قال بآياته لكان أظهر. قوله: ﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ إما معطوف على ﴿كَرَّةً﴾ فيكون من جملة التمني، والفاء عاطفة للفعل على الاسم الخالص، نظير قول الشاعر:

لولا توقع معتر فأرضيه ... ما كنت أوثر أتراباً على ترب

ويكون إضمار ﴿أَنَّ﴾ جائزاً لا واجباً، قال ابن مالك:

وإن على اسم خالص فعل عطف ... تنصبه إن ثابتاً أو منحذف

أو منصوب في جواب التمني، ويكون مرتباً على التمني، والفاء للسببية، وإضمار ﴿أَنَّ﴾ واجب. قوله: (فيقال له) الخ، أي جواباً لمقالته الثانية، وأخر عن الثانية، ليتصل كلام الكافر بعضه ببعض، ولم تؤخر المقالة الثانية عن الثالثة، لئلا يكون مخالفاً للترتيب الوجودي، فإن الكافر أولاً يتحسر، ثم يحتج بحجج واهية، ثم يتمنى الرجوع إلى الدنيا، إن قلت: إن ﴿بَلَى﴾ يجاب بها النفي ولا نفي في الآية، أجيب: بأن الآية متضمنة للنفي، لأن معنى قوله: ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَانِي﴾ لم يهدني. قوله: (وهي سبب الهداية) أشار بذلك إلى أن المراد بالهداية الوصول بالفعل، وأما إن أريد بها مطلق الدلالة، فالآيات نفسها دالة. قوله: (بنسبة الشريك) الخ، أشار بذلك إلى أن المراد كذب يؤدي للكفر، وإلا فظاهر الآية يعم كل كذب على الله تعالى، وحينئذ ففيها تحذير وتخويف لمن يتعمد الكذب على الله تعالى، كالافتاء بغير الشرع، ورواية الحديث بالكذب.

قوله: ﴿وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾ الجملة حالية إن جعلت الرؤية بصرية، أو مفعول ثان إن جعلت

﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ﴾ من جهنم ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ﴾ الشرك ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ أي بمكان فوزهم من الجنة بأن يجعلوا فيه ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦١﴾ ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿٦٢﴾ متصرف فيه كيف يشاء ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي مفاتيح خزائنها من المطر والنبات وغيرهما ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ ﴿٦٣﴾ متصل بقوله ﴿وينجي الله الذين اتقوا﴾ الخ، وما بينهما اعتراض ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ ﴿٦٤﴾ غير منصوب بأعبد المعمول لتأمروني بتقدير أن بنون واحدة وبنونين بإدغام وفك ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ والله ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ يا محمد فرضاً ﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ

علمية. قوله: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ﴾ الخ، هذا تقرير لاسوداد وجوههم. قوله: ﴿ٱتَّقَوْا﴾ (الشرك) أي جعلوا بينهم وبينه وقاية وهو الإيمان، وهذه تقوى العامة، وتقوى الخواص فعل الطاعات وترك المعاصي، وتقوى خواص الخواص عدم خطور الغير ببالهم. قوله: ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ الباء سببية متعلقة بينجي، وفي قراءة سبعية أيضاً بمفازاتهم جمعاً باعتبار الأشخاص. قوله: (أي بمكان فوزهم) أي بمكان ظفرهم بمقصودهم، والمعنى ينجي الله المتقين بسبب دخولهم في مكان ظفرهم بمقصودهم وهو الجنة. قوله: ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوءُ﴾ يحتمل أن تكون هذه الجملة مستأنفة مفسرة لمفازتهم، فلا محل لها من الإعراب، ويحتمل أن تكون حالية من قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا﴾.

قوله: ﴿ٱللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ هذا دليل لما قبله، ودخل في الشيء الجنة وما فيها، والنار وما فيها، وحينئذ فلا مشارك لله في خلقه. قوله: ﴿لَهُ مَقَالِيدَ السَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ المقاليد جمع مقلاد أو مقليد، والكلام كناية عن شدة التمكن والتصرف في كل شيء في السماوات أو الأرض، وروي عن عثمان رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ عن المقاليد فقال: تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، بيده الخير، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، فهذه الكلمات مفاتيح خزائن السماوات والأرض، من تكلم بها فتحت له. قوله: (من المطر) الخ، بيان للخزائن. قوله: (متصل بقوله وينجي) أي فهو معطوف عليه، من عطف جملة اسمية على فعلية ولا مانع منه. قوله: (المعمول لتأمروني) أي والأصل أتأمروني بأن أعبد غير الله، قدم مفعول ﴿أَعْبُدُ﴾ على تأمروني العامل في عامله وحذفت. قوله: (بنون واحدة) أي مخففة مع فتح الياء لا غير، وهذه النون الرفع، كسرت للمناسبة، واستغني بها عن نون الوقاية. قوله: (بإدغام) أي مع فتح الياء وسكونها وقوله: (وفك) أي مع سكون الياء لا غير، فالقراءات أربع سبعيات.

قوله: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ الخ، اللام موطئة لقسم محذوف، أي والله لقد أوحي الخ، ونائب الفاعل قوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ الخ، والمعنى أوحي اليك هذا الكلام. قوله: (فرضاً) أي على سبيل التقدير وفرض المحال، وهو وجواب عن سؤال مقدر: كيف يقع الشرك من الأنبياء مع عصمتهم؟ وقيل: المقصود بالخطاب أممهم لعصمتهم من ذلك، إن قلت: كان مقتضى الظاهر لئن أشركتم، فما وجه إفراد الخطاب؟ أجيب: بأن المعنى أوحي إلى كل واحد منهم لئن أشركت الخ، كما يقال: كسانا الأمير حلة، أي كسا كل واحد منا حلة. قوله: ﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ من باب تعب، وقرىء شذوذاً من باب ضرب.

وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴿بَلِ ٱللَّهَ﴾ وحده ﴿فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ إنعامه ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ ما عرفوه حق معرفته، أو ما عظموه حق عظمته، حين أشركوا به غيره ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا﴾ حال أي السبع ﴿قَبْضَتُهُۥ﴾ أي مقبوضة له، أي في ملكه وتصرفه ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ﴾ مجموعات ﴿بِيَمِينِهِۦ﴾ بقدرته ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ معه ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ النفخة الأولى ﴿فَصَعِقَ﴾ مات ﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ

قوله: ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ﴾ عطف مسبب على سبب وجملة المعطوف والمعطوف عليه جواب القسم الثاني وهو ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾، والقسم الثاني وجوابه جواب عن القسم الأول ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ﴾ وحذف جواب الشرط وهو إن أشركت للقاعدة. قوله: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَاعْبُدْ﴾ عطف على محذوف، والتقدير فلا تشرك بل الله الخ. قوله: ﴿وَكُنْ مِنَ ٱلشَّاكِرِينَ﴾ أي على ما أعطاك من التوفيق لطاعته وعبادته، لأن الشكر على ذلك، أفضل من الشكر على باقي النعم.

قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ إن قلت: إن مفهوم الآية يقتضي أن المؤمنين يعرفون الله حق معرفته، ومقتضى قوله ﷺ: «سبحانك ما عرفناك حق معرفتك». وقوله: «سبحان من لا يعلم قدره غيره، ولا يبلغ الواصفون صفته، إنه لا يعلم الله إلا الله» فكيف الجمع بينهما؟ أجيب: بأن الآية محمولة على المعرفة المأمور بها المكلف بتحصيلها، ولا شك أن المؤمنين عرفوه حق معرفته التي فرضت عليهم، وهي تنزيهه عن النقائص، ووصفه بالكمالات، والحديث محمول على المعرفة التي لم تفرض على العباد، وهي معرفة الحقيقة والكنه فتدبر، فتحصل أن العجز عن الإدراك ادراك، والبحث عن الذات اشراك، ولم يكلفنا الله إلا بأن ننزهه عما سواه سبحانه وتعالى. قوله: **(أو ما عظموه حق عظمته)** مفهومه أنهم عظموه ولا حق تعظيمه وهو كذلك، لأنهم معترفون بأنه الإله الأكبر، الخالق لكل شيء.

قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعاً﴾ الخ، الجملة حالية من لفظ الجلالة والمعنى ما عظموه حق تعظيمه، والحال أنه موصوف بهذه القدرة الباهرة، وقدم الأرض لمباشرتهم لها ومعرفتهم بحقيقتها. قوله: **(أي في ملكه وتصرفه)** أشار بذلك إلى أنه ليس المراد حقيقة القبض، بل المراد التصرف والملك، ظاهراً وباطناً، بخلاف أمور الدنيا، فإن للعبيد فيها أملاكاً ظاهرية، وقيل: إنه كناية عن انعدامها بالمرة وهو ظاهر، ويقال في الطي مثل ذلك له.

قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ الخ، التعبير في هذا وما بعده بالماضي لتحقق وقوعه، أي لكونه واقعاً في علم الله تعالى أزلاً، لأن كل ما ظهر فهو جار في سابق علمه تعالى، والنافخ اسرافيل وجبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره عليهم السلام، والصور بسكون الواو في قراءة العامة وهو القرن، فيه ثقب بعدد جميع الأرواح، وله ثلاث شعب: شعبة تحت الثرى تخرج منها الأرواح وتتصل بأجسادها، وشعبة تحت العرش منها يرسل الله الأرواح إلى الموتى، وشعبة في فم اسرافيل وهو ملك عظيم له جناح بالمشرق وجناح بالمغرب، والعرش على كاهله، وقدماه قد نزلتا عن الأرض السفلى مسيرة مائة عام. قوله: **(النفخة الأولى)** ظاهر المفسر أن النفخ مرتان: نفخة الصعق، ونفخة البعث، وهو ظاهر الآية، وقيل: إن النفخ ثلاث مرات: فالنفخة الأولى تطول وتكون بها الزلزلة وتسيير الجبال وتكوير الشمس وانكدار النجوم

ٱللَّهُ﴾ من الحور والولدان وغيرهما ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ﴾ أي جميع الخلائق الموتى ﴿قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ ينتظرون ما يفعل بهم ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ أضاءت ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾ حين يتجلى

وتسخير البحار، والناس أحياء والهون ينظرون إليها، فتذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هو بسكارى وهي المعنية بقوله تعالى: ﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾والنفخة الثانية يكون بها الصعق، وعندها يموت كل من كان حياً حياة دنيوية، وأما من كان حياً حياة برزخية فإنه يغشى عليه، والنفخة الثالثة نفخة القيام، وبين هاتين النفختين أربعون سنة على الصحيح، لتستريح الأرض من الهول الذي حصل لها، وفي تلك المدة تمطر السماء وتنبت الأرض، ولا حي على ظهرها من سائر المخلوقات. قوله: (مات) أي ما كان حياً في الدنيا، ويغشى على من كان ميتاً من قبل، لكنه حي في قبره، كالأنبياء والشهداء. قوله: (من الحور) الخ، أي فهو استثناء من الصعق بمعنى الموت، ويستثنى منه بمعنى الغشي والدهش موسى عليه السلام، فإنه لا يغشى عليه، بل يبقى متيقظاً ثابتاً، لأنه صعق في الدنيا في قصة الجبل، فلا يصعق مرة أخرى. قوله: (وغيرهما) أي كجبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت، فإنهم لا يموتون بالنفخة الأولى، وإنما يموتون بين النفختين، لما روي: أن رسول الله ﷺ تلا ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ الآية فقالوا: يا نبي الله من هم الذين استثنى الله تعالى؟ قال: «هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت، فيقول الله لملك الموت: يا ملك الموت من بقي من خلقي وهو أعلم، فيقول: يا رب بقي جبريل وميكائيل واسرافيل وعبدك الضعيف ملك الموت، فيقول الله تعالى: خذ نفس اسرافيل وميكائيل، فيخران ميتين كالطودين العظيمين، فيقول: مت يا ملك الموت، فيموت، فيقول الله لجبريل: يا جبريل من بقي؟ فيقول: تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام، وجهك الباقي الدائم، وجبريل الميت الفاني، فيقول الله تعالى: يا جبريل لا بد من موتك، فيقع ساجداً يخفق بجناحيه يقول: سبحانك ربي تباركت وتعاليت، يا ذا الجلال والإكرام».

قوله: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى﴾ أي بعد أربعين سنة على الصحيح، وقرب نفخة القيام، تأتي سحابة من تحت العرش، فتمطر ماء خاثراً كالمني، فتنبت أجسام الخلائق كما تنبت البقل فتتكامل أجسامهم، وكل ابن آدم تأكله الأرض، إلا عجب الذنب، فإنه يبقى مثل عين الجرادة لا يدركه الطرف، فتركب عليه أجزاؤه، فإذا تم وتكامل، نفخ فيه الروح، ثم انشق عنه القبر، ثم قام خلقاً سوياً، وفي النفخة الثانية يقول: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، والأعضاء المتمزقة، والشعور المنتثرة، إن الله المصور الخالق يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء، فيجتمعن، ثم ينادي: قوموا للعرض على الجبار فيقومون، كما قال تعالى: ﴿يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر﴾ الآية، فإذا خرجوا من قبورهم تتلقى المؤمنون بمراكب من رحمة الله، كما قال تعالى: ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً﴾ويمشي المجرمون على أقدامهم حاملين أوزارهم، كما قال تعالى: ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً﴾وفي الآية الأخرى ﴿يحملون أوزارهم على ظهورهم﴾. قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ﴾ بالرفع في قراءة العامة خبر عن الضمير، وقرىء شذوذاً بالنصب على الحال، وخبر الضمير.

قوله: ﴿يَنْظُرُونَ﴾. قوله: (ما يفعل بهم) أي من الحساب والمرور على الصراط، وإدخالهم الجنة أو النار.

لفصل القضاء ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ كتاب الأعمال للحساب ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ أي بمحمد ﷺ وأمته يشهدون للرسل بالبلاغ ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي العدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿٦٩﴾ شيئاً ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ أي جزاءه ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ﴾ أي عالم ﴿بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٧٠﴾ فلا يحتاج إلى شاهد ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ بعنف ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ جماعات متفرقة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ جواب إذا ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ

قوله: ﴿وأشْرَقَتِ الأرْضُ بنُورِ رَبِّهَا﴾ المراد بالأرض: الأرض الجديدة المبدلة التي يحشر الناس عليها. قوله: (حين يتجلى) أي حين يكشف الحجاب عن الخلائق فيرونه حقيقة لما في الحديث: «سترون ربكم لا تمارون فيه كما لا تمارون في الشمس في اليوم الصحو». وهذا النور يخلقه الله تعالى فتضيء به الأرض، وليس من نور الشمس والقمر، وهو مخصوص بمن يرى الله تعالى في القيامة وهم المؤمنون. قوله: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَابُ﴾ أي أعطي كل واحد من الخلائق كتابه بيمينه أو شماله.

قوله: ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ أي وذلك أن الله تعالى يجمع الخلائق الأولين والآخرين في صعيد واحد، ثم يقول لكفار الأمم: ألم يأتكم نذير؟ فينكرون ويقولون: ما جاءنا من نذير، فيسأل الله تعالى الأنبياء عن ذلك فيقولون: كذبوا قد بلغناهم، فيسألهم البينة وهو أعلم بهم إقامة للحجة فيقولون: أمة محمد تشهد لنا، فيؤتى بأمة محمد ﷺ فيشهدون لهم أنهم قد بلغوا، فتقول الأمم الماضية: من أين علموا، وإنما كانوا بعدنا؟ فيسأل هذه الأمة فيقولون: أرسلت إلينا رسولاً، وأنزلت علينا كتاباً، أخبرتنا فيه بتبليغ الرسل، وأنت صادق فيما أخبرت، ثم يؤتى بمحمد ﷺ فيسأله الله تعالى عن أمته، فيزكيهم ويشهد بصدقهم. قوله: (أي العدل) أي بالنسبة للكافرين، وأما المؤمنون فحكمه فيهم بالفضل. قوله: (أي جزاءه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: (أي عالم) أشار بذلك إلى أن اسم التفضيل ليس على بابه، إذ لا مشاركة بين القديم والحادث. قوله: (فلا يحتاج إلى شاهد) أي لأنه عالم بمقادير أفعالهم وكيفياتها، وإنما الشهود وكتابة الأعمال لحكم عظيمة، منها إقامة الحجة على من عائد، وقد أشار صاحب الجوهرة لهذا بقوله:

والعرش والكرسي ثم القلم ... والكاتبون اللوح كل حكم
لا لاحتياج وبها الإيمان ... يجب عليك أيها الإنسان

قوله: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الخ، هذه الآية وما بعدها تفصيل لما أجمل في قوله: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ﴾. قوله: (بعنف) أي شدة، لأنهم يضربون من خلف بالمقامع، ويسحبون من أمام بالسلاسل والأغلال. قوله: ﴿إِلَى جَهَنَّمَ﴾ المراد دار العذاب بجميع طبقاتها. قوله: ﴿زُمَراً﴾ جمع زمرة من الزمر وهو الصوت، سموا بذلك لأن الجماعة لا تخلو غالباً عنه. قوله: (جماعات متفرقة) أي فوجاً فوجاً كما في آية ﴿كلما ألقي فيها فوج﴾ والمعنى كل أمة على حدة. قوله: ﴿حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا﴾ ﴿حَتَّى﴾ ابتدائية تبتدأ بعدها الجمل. قوله: ﴿فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ أي ليتلقوا حرارتها بأنفسهم. قوله: (جواب إذا) أي بإتفاق. قوله: ﴿رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ أي من جنسكم. قوله: (القرآن) أي بالنسبة لأمة محمد ﷺ، وقوله:

عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ﴾ القرآن وغيره ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ أي ﴿لأملأن جهنم﴾ الآية ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ﴿٧١﴾ ﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓا أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ مقدرين الخلود ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى﴾ مأوى ﴿ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ﴿٧٢﴾ جهنم ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ بلطف ﴿إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ الواو فيه للحال بتقدير قد ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾ حال ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ ﴿٧٣﴾

(وغيره) أي بالنسبة لبقية الأمم. قوله: ﴿**لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا**﴾ أضاف اليوم لهم باعتبار انحصار شدته فيهم، وليس المراد به يوم القيامة جميعه، فإنه مختلف باعتبار الأشخاص، فيكون نعيماً وسروراً للمؤمنين، وشدة وعذاباً للكافرين.

قوله: ﴿**قَالُوا بَلَىٰ**﴾ إقرار بما وقع منهم، وإنما أنكروا حين سألهم الله تعالى طمعاً في النجاة، فلما قامت الحجج عليهم، وتحتم الأمر بعذابهم، رأوا أن الإنكار لا فائدة فيه فأقروا، وبالجملة فالقيامة مواطن، تارة ينكرون وتارة تقر أعضاؤهم، وتارة يقرون بألسنتهم. قوله: ﴿**عَلَى ٱلْكَافِرِينَ**﴾ أظهر في محل الإضمار، اشارة لسبب استحقاقهم العذاب وهو الكفر. قوله: **(مقدرين الخلود)** أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿**خَالِدِينَ**﴾ حال مقدرة، وذلك لأنهم عند الدخول ليسوا خالدين، وإنما هم منتظرون ومقدرون الخلود. قوله: ﴿**فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ**﴾ أظهر في محل الإضمار، إشارة إلى بيان سبب كفرهم الذي استحقوا به العذاب، وقوله: **(جهنم)** هو المخصوص بالذم.

قوله: ﴿**وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ**﴾ أخر وعد المؤمنين ليحسن اختتام السورة به، ليكون آخر الكلام بشرى المؤمنين. قوله: **(بلطف)** أشار بذلك إلى أن السوق في الموضعين مختلف، فسوق الكفار سوق إهانة وانتقام، وسوق المؤمنين سوق تشريف وإكرام، وفي المعنى: سوق المؤمنين سوق مراكبهم، لأنهم يذهبون راكبين، فيسرع بهم إلى دار الكرامة والرضوان، فشتان ما بين السوقين، وهذا من بديع الكلام، وهو أن يؤتى بكلمة واحدة تدل على الهوان في حق جماعة، وعلى العز والرضوان في حق آخرين. قوله: ﴿**زُمَراً**﴾ أي جماعات على حساب قربهم ومراتبهم.

قوله: ﴿**حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا**﴾ ﴿**حَتَّىٰ**﴾ ابتدائية. قوله: **(الواو فيه للحال)** والحكمة في زيادة الواو هنا دون التي قبلها، أن أبواب السجن مغلقة، إلى أن يجيئها صاحب الجريمة، فتفتح له ثم تغلق عليه، فناسب ذلك عدم الواو فيها، بخلاف أبواب السرور والفرح، فإنها تفتح انتظاراً لمن يدخلها. قوله: ﴿**وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا**﴾ عطف على قوله: ﴿**جَاءُوهَا**﴾. قوله: ﴿**سَلَامٌ عَلَيْكُمْ**﴾ أي سلمتم من كل مكروه، وقوله: ﴿**طِبْتُمْ**﴾ أي طهرتم من دنس المعاصي، لما رود: أنه على باب الجنة شجرة ينبع من ساقها عينان، يشرب المؤمنون من احداهما، فتطهر أجوافهم، وذلك قوله تعالى ﴿وسقاهم ربهم شراباً طهوراً﴾ ثم يغتسلون من الأخرى فتطيب أجسادهم، فعندها يقول لهم خزنتها ﴿**ٱلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ**﴾. قوله: **(وجواب إذا مقدر)** هذا أحد أقوال ثلاثة، وقيل: إن جوابها قوله: ﴿**وَفُتِحَتْ**﴾ والواو زائدة، وقيل: هو قوله: ﴿**وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا**﴾ والواو زائدة. قوله: **(وسوقهم)** مبتدأ و **(تكرمة)** خبره، وكذا ما بعده.

مقدرين الخلود فيها، وجواب إذا مقدر أي دخلوها وسوقهم وفتح الأبواب قبل مجيئهم تكرمة لهم، وسوق الكفار، وفتح أبواب جهنم عند مجيئهم ليبقى حرها إليهم إهانة لهم ﴿وَقَالُواْ﴾ عطف على دخلوها المقدر ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ بالجنة ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ أي أرض الجنة ﴿نَتَبَوَّأُ﴾ ننزل ﴿مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ لأنها كلها لا يختار فيها مكان على مكان ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ ﴿٧٤﴾ الجنة ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ﴾ حال ﴿مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ من كل جانب منه ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ حال من ضمير حافين ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ ملابسين للحمد، أي يقولون: سبحان الله وبحمده ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾ بين جميع الخلائق ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي العدل، فيدخل المؤمنون الجنة، والكافرون النار ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿٧٥﴾ ختم استقرار الفريقين بالحمد من الملائكة. والله سبحانه وتعالى أعلم.

قوله: ﴿**وَقَالُوا**﴾ أي بعد استقرارهم في الجنة. قوله: ﴿**الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ**﴾ أي حققه لنا في قوله: ﴿تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً﴾. قوله: ﴿**وَأَورَثَنَا الأَرْضَ**﴾ أي ملكها لنا نتصرف فيها تصرف الوارث فيما يرثه، وقد كانت لآدم وحده، فأخذها أولاده إرثاً لها منه، وقيل: المراد أورثنا أرض الجنة التي كانت للكفار لو آمنوا، والأقرب أن المراد ملكنا إياها كالميراث، فإنه ملك بلا ثمن، ولا شبهة لأحد فيه، فكذلك منازل الجنة. قوله: (**لا يختار فيها مكان على مكان**) أي بل يرى كل إنسان بمكانه الذي أعد له، بحيث لو أطلق الاختيار لا يختار غيره، لزوال الحقد والحسد، من القلوب، وهذا جواب عما قيل: كيف ذلك، مع أن كل إنسان له محل معد لا سبيل له إلى غيره؟ وأجيب أيضاً: بأن المعنى يختار من منازله من يشاء، لما ورد: أن كل واحد له جنة لا توصف سعة ولا حسناً، فيتبوأ من جنته حيث يشاء، ولا يخطر بباله غيرها. قوله: ﴿**فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَامِلِينَ**﴾ هذا من كلام الله تعالى، زيادة في سرور أهل الجنة، وقوله: (**الجنة**) هو المخصوص بالمدح.

قوله: ﴿**وَتَرَى ٱلْمَلائِكَةَ**﴾ الخطاب للنبي ﷺ، بل ولكل مؤمن زيادة في السرور، لأن رؤية الملائكة في الآخرة من النعيم، لاتحاد روحانيتهم مع الإنس، وأما في الدنيا فمفزع، لأن النوع الإنساني في الدنيا ضعيف مكبل بأنواع الشهوات والحجب، فلا يستطيع رؤية المقربين. قوله: (**حافين**) أي محيطين مصطفين بحافته وجوانبه. قوله: (**أي يقولون سبحان الله وبحمده**) أي تلذذاً، لأن منتهى درجاتهم الاستغراق في تسبيحه تعالى وتقديسه. قوله: (**ختم استقرار الفريقين**) الخ، أي كما ابتدأ ذكر الخلق بالحمد في قوله: ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض﴾ ففيه تنبيه على أنه تعالى ينبغي حمده في مبدأ كل أمر ونهايته. قوله: (**من الملائكة**) أي بل ومن جميع الخلق، فإن جميع أهل الجنة، يحمدون الله تعالى على ما أعطاهم وأولاهم من تلك النعم العظيمة ويجدون لذلك الحمد لذة عظيمة لزوال الحجاب عنهم. والله سبحانه وتعالى أعلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ غَافِرٍ

مكيّة

وآياتها خمس وثمانون

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿حمٓ﴾ (١) الله أعلم بمراده به ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ﴾ القرآن مبتدأ

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة غافر مكية

إلا ﴿الذين يجادلون﴾ الآيتين. وهي خمس وثمانون آية

وتسمى سورة المؤمن، لقوله في أثنائها ﴿وقال رجل مؤمن﴾ وسورة الطول، لافتتاحها به في أوصاف الباري تعالى، واعلم أنه ورد في فضل الحواميم أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ «الحواميم ديباج القرآن». ومنها: «لكل شيء ثمرة، وإن ثمرة القرآن ذوات حم، هن روضات حسان مخصبات متجاورات، من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليقرأ الحواميم». ومنها: «مثل الحواميم في القرآن، كمثل الحبرات في الثياب». ومنها: «لكل شيء لباب، ولباب القرآن الحواميم». ومنها: «الحواميم سبع، وأبواب النار سبع، جهنم والحطمة ولظى والسعير وسقر والهاوية والجحيم، فكل حم تقف يوم القيامة على باب من هذه الأبواب فتقول: لا يدخل النار من كان يؤمن بي ويقرؤني». فتحصل أنه يقال: حواميم، وآل حم، وذوات حم، خلافاً لمن أنكر الأول. قوله: (مكية) أي وكذا بقية الحواميم. قوله: **(إلا الذين يجادلون)** الخ، الصواب أن يقول: إلا ﴿إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر﴾ الآيتين، وأول الآية الثانية ﴿لخلق السموات والأرض﴾ الآية، لأن هاتين الآيتين هما المدنيتان، خلافاً لما يوهمه المفسر. قوله: **(خمس وثمانون)** وقيل: اثنتان وثمانون.

قوله: ﴿حمٓ﴾ بسكون الميم في قراءة العامة، وقرىء شذوذاً بضم الميم وفتحها وكسرها. فالأول على أنه خبر لمحذوف. والثاني على أنه مفعول محذوف، ومنع من الصرف للعلمية والتأنيث، أو شبه العجمة. والثالث على أنه مبني على الكسر مبتدأ خبره محذوف، أي هذا محله مثلاً. قوله: **(الله أعلم بمراده)** تقدم أن هذا القول في مثل هذا الموضع أسلم، وقيل: اسم من اسماء الله تعالى، وقيل: مفاتيح خزائنه، وقيل: اسم الله الأعظم، وقيل: مفاتح السور، وقيل: كل حرف منه يشير إلى كل اسم من اسمائه تعالى مبدوء بذلك الحرف، فالحاء افتتاح اسمه: حميد وحليم وحكيم وهكذا، والميم افتتاح اسمه: مالك ومجيد ومنان وهكذا، لما روي: أن أعرابياً سأل النبي ﷺ ما حم، فإنا لا نعرفها في لساننا؟ فقال النبي ﷺ: «بدء

﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ خبره ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ ﴿٢﴾ بخلقه ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ للمؤمنين ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ لهم مصدر ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ للكافرين أي مشدِّده ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ أي الإنعام الواسع، وهو موصوف على الدوام بكل من هذه الصفات، فإضافة المشتق منها للتعريف كالأخيرة ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ ﴿٣﴾ المرجع ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ ﴿٤﴾ للمعاش سالمين فإن عاقبتهم النار ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ﴾ كعاد وثمود وغيرهما ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ يقتلوه ﴿وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟﴾ يزيلوا ﴿بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ﴾ بالعقاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ ﴿٥﴾ لهم؟ أي هو واقع موقعه ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي ﴿لأملأن جهنم﴾ الآية ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ

أسماء وفواتح سور». قوله: ﴿الْعَزِيزِ﴾ **(في خلقه)** أشار إلى أنه من عز، بمعنى قهر وغلب.

قوله: ﴿**غَافِرِ الذَّنْبِ**﴾ أي ماحيه من الصحف. واعلم أن غافر وغفار وغفور، صيغ نسب على الصحيح، لأن أوصافه تعالى لا تفاوت فيها، بخلاف أوصاف الحوادث. قوله: ﴿**وَقَابِلِ التَّوْبِ**﴾ أتى بالواو إشارة إلى أنه تعالى يجمع للمؤمنين بين محو الذنوب وقبول التوبة، فلا تلازم بين الوصفين بل بينهما تغاير، إذ يمكن محو الذنوب من غير توبة، ويمكن قبول التوبة في بعض الذنـوب دون بعض. قولـه: **(مصدر)** وقيل جمع توبة كدوم ودومة. قوله: **(للكافرين)** أي وأما العصاة وإن عوقبوا، فلا يعاملهم الله بالشدة. قوله: **(أي الإنعام الواسع)** وقيل: ﴿**الطَّوْلِ**﴾ بالفتح المن، وقيل: هو الغنى والسعة، وكلها ترجع لما قال المفسر. قوله: **(وهو موصوف على الدوام)** الخ، هذه العبارة جواب عما يقال: إن الصفات الثلاث التي هي غافر وقابل وشديد مشتقات، وإضافة المشتق لا تفيده تعريفاً، فكيف وقعت صفات للمعرفة التي هي لفظ الجلالة؟ فأجاب المفسر: بأن محل ذلك ما لم يقصد بالمشتق الدوام. وإلا تعرف بالإضافة نظيره ما قيل في ﴿مالك يوم الدين﴾. وأجيب أيضاً بأن الكل إبدال وهو لا يشترط فيه التبعية في التعريف.

قوله: ﴿**لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ**﴾ يصح أن يكون حالاً، لأن الجمل بعد المعارف أحوال، ويصح أن يكون مستأنفاً. قوله: ﴿**إِلَيْهِ الْمَصِيرِ**﴾ أي فيجازي كل واحد بعمله. قوله: ﴿**مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ**﴾ أي في إبطالها والطعن فيها، وهذا هو الجدال المذموم، وأما الجدال في نصر آيات الله بالحجج القاطعة الذي هو وظيفة الأنبياء ومن على قدمهم فهو ممدوح، ومنه قوله تعالى ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾. قوله: ﴿**فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ**﴾ الخ، الفاء واقعة في جواب شرط مقدر تقديره: إذا علمت أنهم كفار فلا تحزن، ولا يغررك إمهالهم، فإنهم مأخوذون عن قريب، وهذا تسلية له ﷺ. قوله: ﴿**كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ**﴾ أي قبل أهل مكة، وهو تسلية له ﷺ أيضاً. قوله: ﴿**مِنْ بَعْدِهِمْ**﴾ أي من بعد قوم نوح. قوله: ﴿**لِيَأْخُذُوهُ**﴾ أي يتمكنوا من إصابته بما أرادوه به. قوله: **(أي هو واقع موقعه)** أي فهو عدل منه سبحانه وتعالى.

قوله: ﴿**وَكَذَٰلِكَ**﴾ أي كما وقع للأمم السابقة. قوله: ﴿**حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ**﴾ أي وجبت وثبتت. والمعنى: مثل ما وقع وحصل للمكذبين قبل هؤلاء، يحصل لهؤلاء في الآخرة، وإكرامهم في الدنيا بالنعم،

﴿ٱلنَّارِ ۝٦﴾ بدل من كلمة ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ﴾ مبتدأ ﴿وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ﴾ عطف عليه ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ خبره ﴿بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ ملابسين للحمد، أي يقولون: سبحان الله وبحمده ﴿وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ تعالى ببصائرهم، أي يصدقون بوحدانيته ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يقولون ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ

إنما هو ببركتك يا محمد. قوله: (**بدل من كلمة**) أي بدل كل من كل، إن أريد بلفظ الكلمة خصوص قوله: ﴿**أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ**﴾ أو بدل اشتمال إن فسرت الكلمة بقوله: ﴿**لأملأن جهنم**﴾ الخ، ولا شك أن الكلمة بهذا المعنى مشتملة على قوله: ﴿**أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ**﴾.

قوله: ﴿**الَّذِين يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ**﴾ مبتدأ، أي الاسم الموصول مبتدأ، و﴿**يَحْمِلُونَ**﴾ صلته، وقوله: ﴿**وَمَنْ حَوْلَهُ**﴾ اسم الموصول معطوف على الموصول قبله، و﴿**حَوْلَهُ**﴾ صلته، والتقدير والذين حوله، وليس معطوفاً على الضمير في ﴿**يَحْمِلُونَ**﴾ لإيهامه أن من حوله حامل أيضاً. واعلم أن حملة العرش أعلى طبقات الملائكة، وأولهم وجوداً، وهم في الدنيا أربعة، وفي يوم القيامة ثمانية، ورد: أن لكل ملك منهم وجه رجل، ووجه أسد، ووجه ثور، ووجه نسر، وكل وجه من الأربعة يسأل الله الرزق لذلك الجنس، ولكل واحد منهم أربعة أجنحة، جناحان على وجهه مخافة أن ينظر إلى العرش فيتصدع، وجناحان يصفق بهما بالهواء، يروى أن أقدامهم في تخوم الأرض السفلى والأرضون والسماوات إلى حجزهم، ورؤوسهم خرقت العرش، وهم خشوع لا يرفعون أطرافهم، وهم أشد خوفاً من أهل السابعة، وأهلها أشد خوفاً من أهل السادسة وهكذا، والعرش جوهرة خضراء، وهو أعظم من المخلوقات خلقاً، ويكسى كل يوم ألف لون من النور.

قوله: ﴿**وَمَنْ حَوْلَهُ**﴾ أي وهم الكروبيون سادات الملائكة، قال وهب: إن حول العرش سبعين ألف صف من الملائكة، صف خلف صف، يطوفون بالعرش، يقبل هؤلاء ويدبر هؤلاء، يكبر فريق ويهلل فريق، ومن وراء هؤلاء سبعون ألف صف قيام، أيديهم إلى أعناقهم، واضعين لها على عواتقهم، فإذا سمعوا تكبير أولئك وتهليلهم، رفعوا أصواتهم فقالوا: سبحانك اللهم وبحمدك، ما أعظمك وأجلك، أنت الله لا إله غيرك، والخلق كلهم إليك راجعون، ومن وراء هؤلاء مائة صف من الملائكة، قد وضعوا اليمنى على اليسرى، ليس منهم أحد إلا يسبح بتسبيح لا يسبحه الآخر، ما بين جناحي أحدهم ثلاثمائة عام، وما بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه أربعمائة. قوله: (**أي يقولون سبحان الله وبحمده**) أي لما ورد: أن حملة العرش، يكونون يوم القيامة ثمانية، أربعة منهم يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على علمك وحلمك، وأربعة يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك. قوله: (**ببصائرهم**) جواب عما يقال: إن وصفهم بالتسبيح، يغني عن وصفهم بالإيمان، فما فائدة ذكره عقبه؟ فأجاب: بأن التسبيح من وظائف اللسان، والإيمان من وظائف القلب، فأفاد فائدة لم تكن في الأول، فذكره للاعتناء بشأنه.

قوله: ﴿**وَيَسْتَغْفِرونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا**﴾ أي يطلبون المغفرة لهم. وحكمة طلبهم المغفرة لهم، أنهم تكلموا في بني آدم حيث قالوا: ﴿**أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء**﴾؟ فلما وقع منهم ذلك، أمرهم الله بالاستغفار لهم جبراً لما وقع عنهم، ففيه تنبيه على أن من تكلم في غيره، ينبغي له أن يستغفر ربه. قوله: (**ويقولون**) أي في كيفية الاستغفار لهم، وهذه الجملة المقدرة، حال من ضمير ﴿**يَسْتَغْفِرونَ**﴾.

﴿رَحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾ أي وسع رحمتك كل شيء، وعلمك كل شيء ﴿فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ﴾ من الشرك ﴿وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾ دين الإسلام ﴿وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧﴾ النار ﴿رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾ إقامة ﴿ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ﴾ عطف على هم في وأدخلهم، أو في وعدتهم ﴿مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨﴾ في صنعه ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ أي عذابها ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ﴾ يوم القيامة ﴿فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ﴾ من قبل الملائكة وهم يمقتون أنفسهم عند دخولهم النار ﴿لَمَقۡتُ ٱللَّهِ﴾ إياكم ﴿أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ﴾ في الدنيا ﴿إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ ١٠﴾ ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ إماتتين ﴿وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ إحياءتين لأنهم نطفاً أموات، فأحيوا ثم أميتوا ثم أحيوا للبعث ﴿فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا﴾ بكفرنا بالبعث ﴿فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ﴾ من النار والرجوع إلى الدنيا لنطيع ربنا

قوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ الخ، قدم هذا بين يدي الدعاء، توطئة له للإشارة إلى أنه ينبغي للإنسان أن يدعو الله تعالى، وهو موقن بالإجابة، ولا يتردد في الدعاء، فإنه مانع من الإجابة قوله: ﴿رَحْمَةً وَعِلْماً﴾ قدم الرحمة على العلم، لأن المقام للدعاء، والرحمة مقصودة فيه بالذات، وإلا فالعلم سابق عليها. قوله: (من الشرك) أي إن كان عليهم ذنوب. قوله: ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ أي بأن آمنوا. قوله: ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي اجعل بينهم وبينه وقاية تمنعهم منه، بأن توفقهم لصالح الأعمال.

قوله: ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ﴾ الخ، أي بأن مات على غير الكفر، فيدخل فيه أهل الفترة والجنون. قوله: ﴿وَأَزْوَاجِهِمْ﴾ أي زوجاتهم لما ورد: إذا دخل المؤمن الجنة قال: أين أبي؟ أين أمي؟ أين ولدي؟ أين زوجتي؟ فيقال: إنهم لم يعملوا عملك، فيقول: إني كنت أعمل لي ولهم، فيقال: أدخلوهم، فإذا اجتمع بأهله في الجنة، كان أكمل لسروره ولذاته. قوله: (في وأدخلهم) أي وهو أولى، لأنه يسير الدعاء لهم بالدخول صريحاً بخلافه على (وعدتهم) فإنه ضمني. قوله: ﴿وَقِهِمُ السَّيِّآتِ﴾ الضمير راجع للآباء والأزواج والذرية. قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ التنوين عوض عن جملة مأخوذة من السياق، والتقدير: يوم إذ تدخل من تشاء الجنة، ومن تشاء النار، وهو يوم القيامة. قوله: ﴿وَذٰلِكَ﴾ أي ما ذكر من الرحمة ووقاية السيئات.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ شروع في ذكر أحوال الكفار بعد دخولهم النار؛ إثر بيان أنهم من أصحاب النار. قوله: (وهم يمقتون أنفسهم) أي يبغضونها ويظهرون ذلك على رؤوس الأشهاد فيقول الواحد منهم لنفسه: مقتك يا نفسي، فتقول الملائكة لهم وهم في النار: لمقت الله إياكم، إذ أنتم في الدنيا، وقد بعث إليكم الرسل فلم تؤمنوا، أشد من مقتكم أنفسكم اليوم. قوله: ﴿لَمَقْتُ ٱللهِ﴾ أي بغضه، والمراد لازمه وهو الانتقام والتعذيب، لأن حقيقته محالة في حق الله تعالى. قوله: (لأنهم نطفاً أموات) كذا في بعض النسخ بنصب نطفاً على الحال، والمناسب أن يقول: لأنهم كانوا أو خلقوا نطفاً، فإن الإماتة إعدام الحياة، ابتداء أو بعد سبق الحيـاة.

﴿مِّن سَبِيلٍ﴾ ﴿١١﴾ طريق؟ وجوابهم: لا ﴿ذَٰلِكُم﴾ أي العذاب الذي أنتم فيه ﴿بِأَنَّهُۥٓ﴾ أي بسبب أنه في الدنيا ﴿إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ﴾ بتوحيده ﴿وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ﴾ يجعل له شريك ﴿تُؤْمِنُواْ﴾ تصدَّقوا بالإشراك ﴿فَٱلْحُكْمُ﴾ في تعذيبكم ﴿لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ﴾ على خلقه ﴿ٱلْكَبِيرِ﴾ ﴿١٢﴾ العظيم ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ دلائل توحيده ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾ بالمطر ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ يتعظ ﴿إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ ﴿١٣﴾ يرجع عن الشرك ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ﴾ اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ من الشرك ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ﴿١٤﴾ إخلاصكم منه ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ أي الله عظيم الصفات أو رافع درجات المؤمنين في الجنة ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ خالقه ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ﴾ الوحي ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ أي قوله ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ﴾ يخوِّف الملقى عليه الناس ﴿يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ ﴿١٥﴾ بحذف الياء وإثباتها يوم

قوله: ﴿ذٰلِكُمْ﴾ مبتدأ، و ﴿بِأَنَّهُ﴾ خبره، والضمير للشأن. قوله: ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ﴾ هذا من جملة ما يقال لهم في الآخرة بدليل قوله: (في تعذيبكم)، وأما قوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾فكلام مستأنف منقطع عما قبله، ويصح أن يكون الكلام تم بقوله: ﴿وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾ وقوله: ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ﴾ تفريع على ما تقدم، كأنه قال: إذا علمتم أن الخلق فريقان، مؤمنون وكفار، فلا تعترضوا فإن الحكم لله، أي القضاء بأن هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار، لله وحده الموصوف بكون يرينا آياته، فيعتبر بها من يشاء فيهدى، ويكذب بها من يشاء فيضل. قوله: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ﴾ أي من أجلكم. قوله: (بالمطر) أي بسببه، فإن الماء سبب في جميع الأرزاق، كما هو مشاهد.

قوله: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ﴾ يطلق الدعاء على الطلب حقيقة، وليس مراداً هنا بإجماع، بقرينة ما قبله وما بعده، وعلى العبادة مجازاً كما هنا، من باب تسمية الكل باسم جزئه، لأن الدعاء جزء من أجزاء العبادة، وسميت العبادة دعاء، لأنه أعظم أجزائها، لما في الحديث: «الدعاء مخ العبادة». قوله: ﴿مُخْلِصِينَ﴾ حال من فاعل ادعوا، وأشار بذلك إلى أن الإنسان مأمور بالعبادة ظاهراً، وبإخلاص قلبه من أنواع الشك، والشرك الأكبر والأصغر، فقوله: (من الشرك) عام في الشرك الأكبر وهو الكفر، والأصغر وهو الرياء.

قوله: ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ مبالغة فيما قبله، أي اعبدوه وأخلصوا له قلوبكم، هذا إذا رضي الكافرون بذلك، بل ولو كرهوا، أو قاتلوكم ومانعوكم من عبادته. قوله: (أي الله عظيم الصفات) أشار بذلك إلى أن ﴿رَفِيعُ﴾ صفة مشبهة خبر لمحذوف، أي هو منزه صفاته عن كل نقص، وقوله: (أو رافع) أشار به إلى أن فعيل صيغة مبالغة محولة عن اسم الفاعل.

قوله: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ﴾ أي الوحي، سمي بذلك لأنه يسري في القلوب كسريان الروح في الجسد، ولذا كان لا يطرأ على النبي النسيان. قوله: ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ بيان للروح أو حال منه (أي قوله) وقيل المراد بالأمر القضاء. قوله: (الملقى عليه) هو فاعل الأنذار، وهو كناية عن الموصول في قوله: ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ والمفعول الأول محذوف قدره المفسر بقوله: (الناس) والمفعول الثاني هو قوله: ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾. قوله: (بحذف الياء) أي وصلاً ووقفاً، وقوله: (وإثباتها) أي وصلاً ووقفاً، أو وصلاً فقط، فالقراءات ثلاث

القيامة، لتلاقي أهل السماء والأرض، والعابد والمعبود، والظالم والمظلوم فيه ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ﴾ خارجون من قبورهم ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾؟ يقوله تعالى ويجيب نفسه ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ أي لخلقه ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ﴾ يوم القيامة من أزف الرحيل قرب ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ﴾ ترتفع خوفاً ﴿لَدَى﴾ عند ﴿ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾ ممتلئين غماً حال من القلوب عوملت بالجمع بالياء والنون معاملة أصحابها ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾ محب ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ لا مفهوم للوصف إذ لا شفيع لهم أصلاً، فما لنا من شافعين أو له مفهوم بناء على زعمهم أن لهم شفعاء أي لو شفعوا فرضاً لم يقبلوا ﴿يَعْلَمُ﴾ أي الله

سبعيات. قوله: (لتلاقي أهل السماء) علة لتسمية ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾. قوله: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ﴾ بدل من ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ بدل كل من كل، ويكتب ﴿يَوْمَ﴾ هنا وفي الذاريات في قوله: ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾ منفصلاً، لأن ﴿هُمْ﴾ مرفوع بالابتداء فيهما، فالمناسب القطع، وأما في غير هذين المحلين نحو ﴿يومهم الذي يوعدون﴾ ﴿يومهم الذي فيه يصعقون﴾ فيكتب موصولاً، لأن هم مجرور، فالمناسب وصله. قوله: (خارجون من قبورهم) أي ظاهرون لا يستترون بشيء، لكون الأرض إذ ذاك قاعاً صفصفاً، لما في الحديث: «يحشرون حفاة عراة غرلا».

قوله: ﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ الحكمة في تخصيص ذلك اليوم، مع أن الله لا يخفى عليه شيء في سائر الأيام، أنهم كانوا يتوهمون في الدنيا، أنهم إذا استتروا بالحيطان مثلاً، لا يراهم الله، وفي هذا اليوم لا يتوهمون هذا التوهم. قوله: ﴿لِمَنْ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ هذا حكاية لما يقع من السؤال والجواب حينئذ، وهو كلام مستأنف واقع في جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: ماذا يكون حينئذ؟ فقيل: يقال ﴿لِمَنْ ٱلْمُلْكُ﴾ الخ. قوله: (يقول الله تعالى) قيل في القيامة كما ورد: يحشر الناس على أرض بيضاء مثل الفضة، لم يعص الله عليها، فيؤمر مناد ينادي: ﴿لِمَنْ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾؟ فيقول له العباد مؤمنهم وكافرهم ﴿لِلَّهِ الوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ فيقول المؤمنون هذا الجواب سروراً وتلذذاً، ويقول الكافرون غماً وانقياداً وخضوعاً، وقيل: بين النفختين حين تفنى جميع الخلائق ويبقى الله وحده، فلا يرى غير نفسه، فيقول ﴿لِمَنْ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ فيجيب نفسه بعد أربعين سنة ﴿لِلَّهِ الوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ لأنه بقي وحده قهر خلقه.

قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ﴾ الخ، إما من تتمة الجواب، أو لحكاية ما يقوله الله تعالى عقب جواب الخلق. قوله: ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ ﴿لَا﴾ نافية، للجنس، و ﴿ظُلْمَ﴾ اسمها، و ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ خبرها. قوله: (في قدر نصف النهار) أي ولا يشغله حساب أحد عن أحد، بل كل إنسان يرى أنه هو المحاسب. قوله: (من أزف الرحيل) من باب تعب أي دنا وقرب. قوله: ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ﴾ بدل من ﴿يَوْمَ الآزِفَةِ﴾ و ﴿ٱلْقُلُوبُ﴾ مبتدأ خبره ﴿لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ وهو متعلق بمحذوف قدره بقوله: (ترتفع). قوله: ﴿ٱلْحَنَاجِرِ﴾ جمع حنجور كحلقوم وزناً ومعنى، أو جمع حنجرة. قوله: ﴿مِنْ حَمِيمٍ﴾ ﴿مِنْ﴾ زائدة في المبتدأ. قوله: ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ أي يؤذن له في الشفاعة فيقبل. قوله: (إذ لا شفيع لهم أصلاً) أي لا مطاع ولا غيره. قوله: (أي لو شفعوا) الخ، تفسير للمفهوم على الوجه الثاني.

﴿خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ بمسارقتها النظر إلى محرَّم ﴿وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ ﴿١٩﴾ القلوب ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدون أي كفار مكة بالياء والتاء ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ وهم الأصنام ﴿لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ﴾ فكيف يكونون شركاء الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ ﴿٢٠﴾ بأفعالهم ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ وفي قراءة منكم ﴿قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من مصانع وقصور ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أهلكهم ﴿بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ ﴿٢١﴾ عذابه ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٢٣﴾ برهان بيِّن ظاهر ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟﴾ هو ﴿سَٰحِرٌ

قوله: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأعيُنِ﴾ خبر رابع عن المبتدأ الذي أخبر عنه برفيع وما بعده، والإضافة على معنى من، أي الخائنة من الأعين. قوله: (بمسارقتها النظر إلى محرم) ومن جملة ذلك: الرجل ينظر إلى المرأة، فإذا نظر إليه أصحابه غض بصره، فإذا رأى منهم غفلة تدسس بالنظر، فإذا نظر إليه أصحابه غض بصره. قوله: ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ أي عن العبادة من خير وشر. قوله: (أي كفار مكة) تفسير للواو في ﴿يَدْعُونَ﴾. قوله: (بالياء والتاء) أي فيهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾ من باب التهكم بهم، إذ الجماد لا يوصف بقضاء ولا بغيره. قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ وعيد لهم على أفعالهم وأقوالهم، أي فيجازيكم بها.

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾ لما بالغ في تخويف الكفار بأحوال الآخرة، أردفه بتخويفهم بأحوال الدنيا فقال ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا﴾ الخ، وقوله: ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ﴾ الخ ﴿كَيْفَ﴾ خبر ﴿كَانَ﴾ مقدم، و﴿عَاقِبَةُ﴾ اسمها، والجملة في محل نصب على المفعولية، وقوله: ﴿كَانُوا﴾ الخ جواب ﴿كَيْفَ﴾ والواو اسم ﴿كَانَ﴾ والضمير للفصل، و﴿أَشَدَّ﴾ خبرها. قوله: ﴿فَيَنْظُرُوا﴾ يجوز أن يكون منصوباً في جواب الاستفهام، وأن يكون مجزوماً نسقاً على ما قبله. قوله: ﴿عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي حال من قبلهم من الأمم المكذبة لرسلهم، كعاد وثمود وأضرابهم. قوله: (وفي قراءة منكم) أي بالالتفات من الغيبة إلى الخطاب. قوله: ﴿وَآثَاراً فِي الأَرْضِ﴾ عطف على ﴿قُوَّةً﴾. قوله: (من مصانع) أي أماكن في الأرض تخزن فيها المياه كالصهاريج. قوله: ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ﴾ الخ. ﴿لَهُمْ﴾ خبر ﴿كَانَ﴾ مقدم، و﴿وَاقٍ﴾ اسمها مؤخر على زيادة ﴿مِنْ اللهِ﴾ متعلق بواق، و﴿مِنْ﴾ فيه ابتدائية، ومفعول ﴿وَاقٍ﴾ محذوف قدره بقوله: (عذابه) وكان للاستمرار، أي ليس لهم واق أبداً.

قوله: ﴿ذٰلِكَ﴾ أي أخذهم بسبب أنهم كانت، الخ. قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى﴾ الخ، شروع في ذكر قصة موسى مع فرعون، وحكمة تكرارها وغيرها، تسليته ﷺ وزيادة في الاحتجاج على من كفر من أمته. قوله: ﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ قيل: المراد به نفس الآيات، فالعطف مرادف، وإنما التغاير باعتبار العنوانين، وقيل: المراد به بعض الآيات وهو العصا واليد، وحينئذ فيكون من عطف الخاص على العام، والنكتة الاعتناء بهما.

قوله: ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ﴾ خصهم بالذكر لأنهم الرؤساء، فإن فرعون كان ملكاً،

كَذَّابٌ﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟﴾ استبقوا ﴿نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ ﴿٢٥﴾ هلاك ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ لأنهم كانوا يكفون عن قتله ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ ليمنعه مني ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ من عبادتكم إياي فتتبعونه ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ ﴿٢٦﴾ من قتل وغيره، وفي قراءة أو، وفي أخرى بفتح الياء والهاء وضم الدال ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ﴾ لقومه وقد سمع ذلك ﴿إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ قيل هو ابن عمه ﴿يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن﴾ أي لأن ﴿يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات

وهامان وزيره، وقارون صاحب الأموال والكنوز، إنما جمعه الله معهما لأنه شاركهما، في الكفر والتكذيب في آخر الأمر، وإن آمن أولاً، فإن فعله آخراً، دل على أنه مطبوع على الكفر كإبليس. قوله: **﴿فَقَالُوا﴾** نسبة القول لقارون باعتبار آخر الأمر. قوله: **(هو) ﴿سَاحِرٌ﴾** أشار بذلك إلى أن **﴿سَاحِرٌ﴾** خبر لمحذوف، و **﴿كَذَّابٌ﴾** عطف على **﴿سَاحِرٌ﴾** والمعنى ساحر فيما أظهر من المعجزات، كذاب فيما ادعاه أنه من عند الله.

قوله: **﴿قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِين آمَنُوا﴾** الخ، أي أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلونه بهم، فهذا القتل غير القتل الأول، لأن فرعون بعد ولادة موسى، أمسك عن قتل الأولاد، فلما بعث الله موسى، وعجز عن معارضته، أعاد القتل في الأولاد، ليمتنع الناس من الإيمان، ولئلا يكثر جمعهم فيكيدوه، فأرسل الله عليهم أنواع العذاب، كالضفادع والقمل والدم والطوفان، إلى أن خرجوا من مصر، فأغرقهم الله تعالى، وجعل كيدهم في نحورهم. قوله: **(استبقوا) ﴿نِسَاءَهُمْ﴾** أي بناتهم للخدمة. قوله: **(هلاك)** أي ضياع وبطلان لا يغني عنهم شيئاً. قوله: **(لأنهم كانوا يكفونه عن قتله)** في حكمة منعهم له عن قتله وجوه، أولها: أن المانع له من قتله الرجل المؤمن الآتي ذكره، فكان صاحب سر فرعون، وكان يتحيل في منع فرعون من قتله. ثانيها: أنهم منعوه من قتله احتقاراً له، فكانوا يقولون: إنه ساحر ضعيف، فإن قتلته قالت الناس: إنهم قتلوه لعجزهم عن معارضته. ثالثها: خوفهم على فرعون، لأنهم كانوا يعلمون أنه إن تعرض لموسى بسوء أخذ حالاً. رابعها: ليشتغل عنهم بمخاصمة موسى، لأن شأن الملوك إذا لم يجدوا من يشتغلوا به، تعرضوا لرعاياهم. قوله: **﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾** اللام للأمر، وهو أمر تعجيز في زعم فرعون. قوله: **(فتتبعونه)** المناسب أن يحذف النون. قوله: **(وفي قراءة أو)** الخ، تحصل أن القراءات أربع سبعيات: رفع الفساد، ونصبه مع الواو، أو أو.

قوله: **﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ﴾** بإدغام الذال في التاء وإظهارها، قراءتان سبعيتان. قوله: **﴿مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾** لم يسم فرعون، بل ذكره في ضمن المتكبرين، لتعميم الاستعاذة والتقبيح على فرعون أنه متكبر متجبر. قوله: **﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ﴾** لما التجأ موسى إلى مولاه تعالى، قيض له من يخاصم عنه هذا اللعين، قال ابن عباس: لم يكن من آل فرعون مؤمن غيره، وغير امرأة فرعون، وغير المؤمن الذي قال لموسى ﴿إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك﴾ الخ، وفي الحديث: «الصديقون: حبيب النجار من آل يس، ومؤمن آل فرعون الذي قال: **﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾**، والثالث أبو بكر الصديق وهو

الظاهرات ﴿مِن رَّبِّكُمْۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ﴾ أي ضرر كذبه ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ﴾ بـه من العـذاب عـاجـلاً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ﴾ مشرك ﴿كَذَّابٞ﴾ ﴿٢٨﴾ مفتر ﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ﴾ غالبين حال ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أرض مصر ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ﴾ عذابه إن قتلتم أولياءه ﴿إِن جَآءَنَاۚ﴾ أي لا ناصر لنا ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ أي ما أشير عليكم إلا بما أشير به على نفسي، وهو قتل موسى ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ ﴿٢٩﴾ طريق الصواب ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ ﴿٣٠﴾ أي يوم حزب بعد حزب ﴿مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ﴾ مثل بدل من مثل قبله، أي مثل جزاء عادة من كفر قبلكم من تعذيبهم في الدنيا ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ﴾ ﴿٣١﴾ ﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ﴾ ﴿٣٢﴾ بحذف الياء وإثباتها، أي يـوم القيامة، يكثر فيه نداء أصحاب الجنـة أصحاب النـار وبالعكس، والنـداء بالسعـادة لأهلها،

أفضلهم». وكان اسم الرجل حزقيل، وقيل شمعان بفتح المعجمة بوزن سلمان. قوله: **(قيل هو ابن عمه) وقيل**: كان من بني اسرائيل يكتم إيمانه من آل فرعون. قوله: **(أي لأن) ﴿يَقُولَ﴾** الخ، أي لأجل هذا القول، من غير تأمل وتفكر. قوله: **﴿وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾** الجملة حالية من فاعل **﴿يَقُولَ﴾**. قوله: **﴿بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾** أي إن لم يصبكم كله، فلا أقل من أن يصيبكم بعضه، إن تعرضتم له بسوء.

قوله: **﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾** هذا من الكلام الموجه إلى موسى وفرعون، فالأول معناه: أن الله هدى موسى إلى الإتيان بالمعجزات، ومن كان كذلك فلا يكون مسرفاً كذابـاً، فموسى ليس بمسرف ولا كذاب، والثاني معنا: أن فرعون مسرف في عزمه على قتل موسى، كذاب في ادعائه الألوهـية، وحينئذ فالله لا يهدي من هذا وصفه.

قوله: **﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ﴾** الخ، أي فلا تفسدوا أمركم، ولا تتعرضوا لبأس الله بقتل هذا الرجل قوله: **(حال)** أي من الضمير في **﴿لَكُمُ﴾**. قوله: **﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾** أي بعد أن سمع تلك النصيحة ولم يقبلها. قوله: **(أي ما أشير عليكم بما أشير به على نفسي)** أي فلا أظهر لكم أمراً وأكتم عنكم غيره. قوله: **﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾** أي ما أدعوكم إلا إلى طريق الهدى. قوله: **(أي يوم حزب بعد حزب)** أشار بذلك إلى أن قوله: **﴿يَوْمِ ٱلأَحْزَابِ﴾** مفـرد في معنى الجمع، أي أيـامها. قـوله: **(أي مثـل جزاء)**، أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: **(عادة)** تفسير للدأب. والمعنى جزاء الأمر الذي اعتادوه واستمروا عليه وهو كفرهم.

قوله: **﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ﴾** أي فلا يعاقبهم بغير ذنب. قوله: **﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾** الخ، لما خوفهم بالعذاب الدنيوي، شرع يخوفهم بالعذاب الأخروي. قوله: **(بحذف الياء)** أي في الوصل والوقف، وقوله: **(وإثباتها)** أي في الوصل والوقف، فالقراءات أربـع سبعيات، وهـذا في

وبالشقاوة لأهلها، وغيرذلك ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ عن موقف الحساب إلى النار ﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي من عذابه ﴿مِنْ عَاصِمٍ﴾ مانع ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ﴾ أي من قبل موسى، وهو يوسف بن يعقوب في قول عمر إلى زمن موسى، أو يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب في قول ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ﴾ من غير برهان ﴿لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ أي فلن تزالوا كافرين بيوسف وغيره ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل إضلالكم ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ مشرك ﴿مُّرْتَابٌ﴾ ﴿٣٤﴾ شاكّ فيما شهدت به البينات ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ معجزاته مبتدأ ﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ﴾ برهان ﴿أَتَىٰهُمْ كَبُرَ﴾ جدالهم خبر المبتدأ ﴿مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل إضلالهم ﴿يَطْبَعُ﴾ يختم ﴿ٱللَّهُ﴾ بالضلال ﴿عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ ﴿٣٥﴾ بتنوين قلب ودونه، ومتى تكبر القلب تكبر صاحبه وبالعكس، وكل على القراءتين لعموم الضلال جميع القلب

اللفظ، وأما في الخط فمحذوفة لا غير. قوله: (وغير ذلك) من جملته أن ينادى: ألا إن فلاناً سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وفلاناً شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبداً، وأن ينادي حين يذبح الموت: يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت، وأن ينادي المؤمن: هاؤم اقرؤوا كتابيه، وينادي الكافر: يا ليتني لم أوت كتابيه، وأن ينادي بعض الظالمين بعضاً بالويل والثبور، فهذه الأمور كلها تقع في هذا اليوم. قوله: ﴿مُدْبِرِينَ﴾ (عن موقف الحساب إلى النار) أي لأنهم إذا سمعوا زفير النار أدبروا هاربين، فلا يأتوا قطراً من الأقطار، إلا وجدوا الملائكة صفوفاً، فيرجعوا إلى مكانهم. قوله: ﴿مَا لَكُمْ مِنَ اللهِ﴾ الجملة حالية، وقوله: ﴿مِنْ عَاصِمٍ﴾ مبتدأ، و﴿مِنْ﴾ زائدة، و﴿مِنْ اللهِ﴾ متعلق بعاصم. قوله: ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ بإثبات الياء وحذفها في الوقف وبحذفها في الوصل مع حذفها في الخط على كل شيء.

قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ﴾ الخ، المتبادر أنه من كلام الرجل المؤمن، وقيل من كلام موسى. قوله: (عمر إلى زمن موسى) هذا القول لم يوافقه عليه أحد من المفسرين، لأن بين يوسف وموسى أربعمائة سنة، فالصواب أن يقول: عمر إلى زمن فرعون، فإن فرعون أدركه، وعمر إلى أن أدرك موسى، وعمر بوزن فرح ونصر وضرب وهو لازم، ويتعدى بالتضعيف. قوله: (أو يوسف بن إبراهيم) أي فيوسف هذا سبط يوسف بن يعقوب، أرسله الله إلى القبط، فأقام فيهم عشرين سنة نبياً. قوله: ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ﴾ أي فما زالت أصولكم. قوله: (فلن تزالوا كافرين بيوسف وغيره) أتى بهذا دفعاً لما يتبادر من ظاهر الآية، أنهم كانوا مؤمنين بيوسف، وندموا على فراقه، بل كانوا كفاراً به، وانقيادهم له خوفاً من سطوته بهم، وطمعاً في جاهه الدنيوي.

قوله: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾ الخ، من كلام الرجل المؤمن، وقيل ابتداء كلام من الله تعالى. قوله: ﴿أَتَاهُمْ﴾ صفة لسلطان. قوله: (خبر المبتدأ)، هذا أحسن الأعاريب في هذا المقام، وقوله: ﴿مَقْتاً﴾ تمييز محول عن الفاعل، أي كبر مقت جدالهم، و﴿عِنْدَ﴾ ظرف لكبر، مقت الله أياهم سخطه وانزال العذاب بهم. قوله: (مثل إضلالهم) المناسب أن يقول: مثل ذلك الطبع. قوله: (بتنوين قلب ودونه) أي فهما

لا لعموم القلوب ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾ بناء عالياً ﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾ طرقها الموصلة إليها ﴿فَأَطَّلِعَ﴾ بالرفع عطفاً على أبلغ، وبالنصب جواباً لابن ﴿إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ﴾ أي موسى ﴿كَـٰذِبًا﴾ في أن له إلهاً غيري، قال فرعون ذلك تمويهاً ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ طريق الهدى بفتح الصاد وضمها ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾ ﴿٣٧﴾ خسار ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ﴾ بإثبات الياء وحذفها ﴿أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ ﴿٣٨﴾ تقدم ﴿يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ﴾ تمتع يزول ﴿وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ بضم الياء وفتح الخاء وبالعكس ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ﴿٤٠﴾ رزقاً واسعاً بلا

قراءتان سبعيتان. قوله: (ومتى تكبر القلب) الخ أشار بذلك إلى التوفيق بين القراءتين، لأنه يلزم من اتصاف القلب بالكبر، اتصاف الشخص به، لأن القلب سلطان الأعضاء، فمتى فسد فسدت. قوله: (لعموم الضلال جميع القلب) أي جميع أجزائه، فلم يبق فيه محل يقبل الهدى، وهذا على خلاف القاعدة في ﴿كُلِّ﴾ فإن قاعدتها أنها إذا دخلت على نكرة مفردة، أو مجموعة، أو معرفة مجموعة، تكون لعموم الأفراد، وإذا دخلت على معرفة مفردة، تكون لعموم الأجزاء، وهنا قد دخلت على النكرة المفردة، فكان حقها أن تكون لعموم الأفراد، وإنما أريد هذا المعنى، وإن كان مخالفاً للقاعدة، للمبالغة في وصول الضلال لقلوبهم وتمكنه منها.

قوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ أي معرضاً عن كلام المؤمن. قوله: (بناء عالياً) أي مفرداً طويلاً ضخماً، وتقدمت قصته في سورة القصص. قوله: (طرقها) أي أبوابها الموصلة إليها، وحكمة التكرار في أسباب التفخيم والتعظيم، أن الشيء إذا أبهم ثم وضح، كان أدخل في تعظيم شأنه. قوله: (عطفاً على أبلغ) أي فيكون داخلاً في حيز الترجي. قوله: (فبالنصب جواباً لابن) أي فهو منصوب بأن مضمرة بعد الفاء كقوله:

يا ناق سيري عنقاً فسيحا إلى سليمان فنستريحا

وقيل: إنه منصوب في جواب الترجي، والقراءتان سبعيتان. قوله: ﴿إِلَى إِلَٰهِ مُوسَى﴾ أي انظر إليه واطلع على حاله. قوله: (تمويهاً) أي تلبيساً وتخليطاً على قومه، وإلا فهو يعرف ويعتقد أن موسى صادق في جميع ما قاله. قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي مثل ذلك التزيين. قوله: (بفتح الصاد وضمها) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ﴾ هو الرجل المؤمن، وقيل المراد به موسى عليه السلام. قوله: ﴿اتَّبِعُونِي﴾ أي امتثلوا ما آمركم به. قوله: (بإثبات الياء وحذفها) أي وهما سبعيتان، وهذا في اللفظ، وأما في الخط، فهي محذوفة لا غير، لأنها من ياءات الزوائد. قوله: (تمتع يزول) أي تمتع قليل يسير لا بقاء له. قوله: ﴿دَارُ الْقَرَارِ﴾ أي الثبات فلا تحول عنها. قوله: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً﴾ أي ولم يتب عنها. قوله: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ الجملة حالية. قوله: (بضم الياء) الخ، أي وهما سبعيتان. قوله: ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي وما ورد من أن الحسنة بعشر أمثالها، فهذا في ابتداء الأمر عند المحاسبة على الأعمال،

تبعة ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ ﴿٤١﴾ ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ﴾ الغالب على أمره ﴿ٱلْغَفَّٰرِ﴾ ﴿٤٢﴾ لمن تاب ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقاً ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ لأعبده ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ﴾ أي استجابة دعوة ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ﴾ مرجعنا ﴿إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ الكافرين ﴿هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾ إذا عاينتم العذاب ﴿مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ ﴿٤٤﴾ قال ذلك لما توعدوه بمخالفته دينهم ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾ به من القتل ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ﴾ قومه معه ﴿سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ ﴿٤٥﴾ الغرق ثم ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ يحرقون بها ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾

فإذا تم الحساب، تفضل الله على عباده، بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.
قوله: **(بلا تبعة)** أي فرزق أهل الجنة لا يتوقف على دفع ثمن، بل يتنعمون نعيماً خالياً من العلل، صافياً من الكدر، جعلنا الله من أهل الجنة بمنه وكرمه.

قوله: **﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ﴾** الخ، أتى بالواو في النداء الأول والثالث، لأنه كلام مستقل مستأنف، وتركها من الثاني لأنه من تعلقات الكلام الأول، والعطف يقتضي المغايرة، وقوله: **﴿مَا لِي﴾** أي أي شيء ثبت لي، فما مبتدأ، والجار والمجرور خبر عنه، وقوله: **﴿أَدْعُوكُمْ﴾** حال، والاستفهام للتعجب، ومحط العجب هو قوله: **﴿وَتَدْعُونَنِي إِلَى ٱلنَّارِ﴾** كأنه قال: أعجب من هذه الحال، أدعوكم إلى النجاة والخير، وتدعونني إلى النار والشر. قوله: **﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ﴾** الخ، هذا بدل من قوله: **﴿تَدْعُونَنِي﴾** الأول، بدل مفصل من مجمل. قوله: **﴿مَا لَيْسَ لِي بِهِ﴾** أي بوجوده، والمراد نفي المعلوم من أصله. قوله: **﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ﴾** راجع لقوله: **﴿أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ﴾**. قوله: **﴿إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّارِ﴾** أي إلى عبادته، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه.

قوله: **﴿لَا جَرَمَ﴾** **﴿لَا﴾** نافية، و **﴿جَرَمَ﴾** فعل ماض بمعنى حق، وقوله: **﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِي﴾** فاعله، والمعنى حق ووجب عدم استجابة دعوة آلهتكم. قوله: **(حقاً)** مفعول لمحذوف دل عليه **﴿لَا جَرَمَ﴾** والمعنى حق ما تدعونني إليه حقاً، وهي كلمة في الأصل بمنزلة لا بد، ثم تحولت إلى معنى القسم. قوله: **﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِي﴾** ما اسم موصول، فحقها أن تفصل من النون، وإنما وصلت بها تبعاً للمصحف. قوله: **(أي استجابة دعوة)** أي لا شفاعة لها دنيا ولا أخرى، وقيل: المعنى ليست له دعوة إلى عبادته، لأن الأصنام لا تدعي الربوبية، ولا تدعو إلى عبادة نفسها، وفي الآخرة تتبرأ من عبادها. قوله: **﴿مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾** أي من النصيحة. قوله: **(توعدوه)** أي ففر هارباً إلى جبل، فأرسل فرعون خلفه ألفاً ليقتلوه، فوجدوه يصلي والوحوش صفوف حوله، فأكلت السباع بعضهم، ورجع بعضهم هارباً، فقتله فرعون.

قوله: **﴿فَوَقَاهُ ٱللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾** أي شدائد مكرهم، وقد نجى الله تعالى ذلك الرجل مع موسى من الغرق أيضاً. قوله: **(قومه معه)** أي ولم يصرح به، لأنه أولى منهم بذلك. قوله: **(ثم) ﴿ٱلنَّارُ﴾** أتى بثم إشارة إلى أنه كلام مستأنف، و **﴿ٱلنَّارُ﴾** مبتدأ، وجملة **﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾** خبره، والمعنى: تعرض أرواحهم من حين موتهم إلى قيام الساعة على النار، لما روي: أن أرواح الكفار في جوف طير سود، تغدو على جهنم وتروح كل يوم مرتين، فذلك عرضها.

صاحباً ومساء ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ يقال ﴿أَدْخِلُوٓاْ﴾ يا ﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ وفي قراءة بفتح الهمزة وكسر الخاء أمر للملائكة ﴿أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ ﴿٤٦﴾ عذاب جهنم ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ يَتَحَآجُّونَ﴾ يتخاصم الكفار ﴿فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ جمع تابع ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ﴾ دافعون ﴿عَنَّا نَصِيبًا﴾ جزءاً ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾ ﴿٤٨﴾ فأدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا﴾ أي قدر يوم ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي الخزنة تهكماً ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾ أي فكفروا بهم ﴿قَالُواْ فَٱدْعُواْ﴾ أنتم فإنا لا نشفع لكافر، قال تعالى ﴿وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ ﴿٥٠﴾ انعدام ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ ﴿٥١﴾ جمع شاهد وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ وعلى الكفار بالتكذيب ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ﴾ بالياء والتاء ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ عذرهم لو

قوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ إما معمول لادخلوا، أو لمحذوف تقديره يقال لهم يوم تقوم الساعة ﴿آدْخُلُوا﴾ وعليه درج المفسر. قوله: (وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضاً، فعلى القراءة الأولى، يكون المنادي على حذف ياء النداء، وعلى الثانية يكون مفعولاً لادخلوا. قوله: (عذاب جهنم) تفسير للأشد، فإنه أشد مما كانوا فيه، لأن ذاك عرض، وهذا دخول واستيطان. قوله: ﴿فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ﴾ تفصيل للتخاصم. قوله: (جمع تابع) كخدم وخادم. قوله: (دافعون) أشار بذلك إلى أن ﴿مُغْنُونَ﴾ مضمن معنى (دافعون) فنصب نصيباً، ويصح أن يضمن معنى حاملون، و﴿مِنَ النَّارِ﴾ صفة لنصيباً. قوله: ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾ أي فلو استطعنا لدفعنا عن أنفسنا فكيف ندفع عنكم. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ أي فلا يغني أحد عن أحد شيئاً.

قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ﴾ أي من الضعفاء والمستكبرين جميعاً، حين حصل لهم اليأس، من تحمل بعضهم عن بعض. قوله: ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ أتى بالظاهر في محل الضمير تقبيحاً عليهم، أو لبيان محلهم فيها. قوله: ﴿يَوْماً مِنَ الْعَذَابِ﴾ أي يخفف عنا شيئاً من العذاب في يوم، وقوله: (أي قدر يوم) أشار بذلك إلى أنه ليس في الآخرة ليل ولا نهار. قوله: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ﴾ الخ، المقصود من ذلك، إلزامهم الحجة والتوبيخ على تفريطهم. قوله: ﴿قَالُوا بَلَى﴾ أتونا فكذبناهم، وتقدم أنهم قبل الدخول ينكرون، وبعده يقرون. قوله: (فإنا لا نشفع لكافر) أي لتحتم خلوده في النار، فالشفاعة لا تفيد شيئاً، قوله: (انعدام) أي من الإجابة.

قوله: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا﴾ أي بالحجة والظفر على الأعداء، وإن وقع لهم بعض امتحان، فالعبرة بالعواقب وغالب الأمر. قوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ معطوف على قوله: ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ والمعنى ننصرهم في الدنيا والآخرة. قوله: (جمع شاهد) أي ويصح أن يكون جمع شهيد، قال تعالى: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد﴾. قوله: (وهم الملائكة) أي والأنبياء والمؤمنون، أما الملائكة فهم الكرام الكاتبون، يشهدون بما شاهدوا وأما الأنبياء، فإنهم يحضرون يوم القيامة يشهدون على أممهم، وأما المؤمنون من أمة محمد ﷺ، فتشهد على باقي الأمم يوم القيامة. قوله: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ﴾ بدل من يوم

اعتذروا ﴿وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ﴾ أي البعد من الرحمة ﴿وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ ﴿٥٢﴾ الآخرة أي شدة عذابها ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ التوراة والمعجزات ﴿وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ ﴿٥٣﴾ من بعد موسى ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿هُدٗى﴾ هادياً ﴿وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ ﴿٥٤﴾ تذكرة لأصحاب العقول ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ يا محمد ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ بنصر أوليائه ﴿حَقّٞ﴾ وأنت ومن اتبعك منهم ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ ليستن بك ﴿وَسَبِّحۡ﴾ صلّ متلبساً ﴿بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ﴾ وهو من بعد الزوال ﴿وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ ﴿٥٥﴾ الصلوات الخمس ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ﴾ برهان ﴿أَتَىٰهُمۡ إِن﴾ ما ﴿فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ﴾ تكبر وطمع أن يعلوا عليك ﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ

الأول. قوله: **(بالياء والتاء)** أي فهما سبعيتان. قوله: **(لو اعتذروا)** جواب عما يقال: مقتضى الآية أنهم يذكرون أعذارهم، إلا أنها لا تنفعهم، وحينئذ يكون بينها وبين الآية الأخرى وهي ﴿ولا يؤذن لهم فيتعتذرون﴾ تناف، فأجاب: بأن معنى **(لو اعتذروا)** فرضاً لا تنفعهم معذرتهم، فهذه الآية على سبيل الفرض والتقدير.

قوله: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَى**﴾ هذا مرتب على قوله: ﴿**إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي ٱلْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ**﴾ فهذا من النصر الدنيوي الموصل لنصر الأخروي. قوله: **(من بعد موسى)** أي إلى نزول عيسى، فآتاه الله الإنجيل، ناسخة لبعض احكام التوراة. قوله: ﴿**ٱلْكِتَابَ**﴾ لم يعبر عنه في جانب بني إسرائيل بالهدى، كما عبر في جانب موسى، إشارة إلى أنه لم يكن هدى لجميعهم، بل هدى لمن آمن وصدق، ووبال لمن طغى وكفر. قوله: **(هادياً)** أشار بذلك إلى أن ﴿**هُدى**﴾ حال من ﴿**ٱلْكِتَابَ**﴾، وكذا قوله: ﴿**وَذِكْرَى**﴾. قوله: ﴿**فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللهِ حَقٌّ**﴾ هذا نتيجة ما قبله، أي إذا علمت أن الله ناصر لرسله في الدنيا والآخرة، فاصبر حتى يأتيك النصر من ربك

قوله ﴿**وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ**﴾ أي اطلب المغفرة من ربك لذنبك، والمقصود من هذا الأمر، تعليم الأمة ذلك، وإلا فرسول الله ﷺ معصوم من الذنوب جميعاً، صغائر وكبائر، قبل النبوة وبعدها على التحقيق كجميع الأنبياء، وإلى هذا أشار المفسر بقوله: **(ليستن بك)** أي يقتدى بك، وأجيب أيضاً: بأن الكلام على حذف مضاف، والتقدير: واستغفر لذنب أمتك، وإنما أضيف الذنب له، لأنه شفيع لهم، وأمرهم متعلق به، فإذا لم يسع في غفرانه في الدنيا، اتبعه في الآخرة، قال تعالى ﴿عزيز عليه ما عنتم﴾ وكل هذا تشريف لهذه الأمة المحمدية، فقد تشرفت بأمور: منها أن نبيها مأمور بالاستغفار لها، ومنها صلاة الله وملائكته عليها، وغير ذلك. وأجيب أيضاً: بأن المراد بالذنب خلاف الأولى، وسمي ذنباً بالنسبة لمقامه، من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين. قوله: **(صلّ)** إنما فسر التسبيح بالصلاة لقرينة قوله: **(بعد)** ﴿**بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ**﴾. قوله: **(وهو من بعد الزوال)** أي وفيه أربع صلوات: الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وقوله: ﴿**وَالإِبْكَارِ**﴾ أي وهو من الفجر إلى الزوال، وفيه صلاة واحدة وهي الصبح، فلذلك قال: الصلوات الخمس.

قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ ٱللهِ بِغَيْرِ**﴾ الخ، بيان لتفصيل أن جدالهم ناشىء من الحقد الذي في صدورهم، وفيما تقدم بين عاقبة جدالهم، وما أعد لهم في نظيره. قوله: ﴿**بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ**﴾

﴿فَٱسْتَعِذْ﴾ من شرهم ﴿بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ ﴿٥٦﴾ بأحوالهم، ونزل في منكري البعث ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ابتداء ﴿أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ مرة ثانية وهي الإعادة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ ذلك، فهم كالأعمى ومن يعلمه كالبصير ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَ﴾ لا ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وهو المحسن ﴿وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ﴾ فيه زيادة لا ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ يتعظون بالياء والتاء، أي تذكرهم قليل جداً ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ بها ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أي اعبدوني أثبكم بقرينة ما بعده ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ﴾

وصف كاشف، إذ يستحيل المجادلة في آيات الله بسلطان. قوله: ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ﴾ خبر ﴿إِنْ﴾. قوله: ﴿مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ هذا وعد حسن من الله تعالى، بأن المتكبر لا يبلغ ما أمله بكبره، وإنما يجعل كيده في نحره. قوله: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللهِ﴾ أي تحصن بالله من كيدهم، والتجىء إليه في دفع مكرهم. قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ تعليل لما قبله.

قوله: ﴿لَخَلْقُ السَّمٰواتِ﴾ الخ، أي سبعاً طباقاً على هذا الوجه المشاهد. قوله: (ابتداء) أي من غير سبق مثال. قوله: ﴿أَكْبَرُ﴾ أعظم بحسب العادة، وإلا فالكل بالنسبة إليه تعالى، لا تفاوت فيها بين الصغير والكبير، بدءاً وإعادة. قوله: ﴿وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي والأقل يعلمه وهو من آمن. قوله: (فهم كالأعمى) الخ. هذا نتيجة ما قبله، وهو دخول على قوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى﴾ الخ. قوله: ﴿وَ﴾ (لا) ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الخ، راجع للبصير، وقوله: ﴿وَلَا ٱلْمُسِيءُ﴾ راجع لقوله: ﴿الْأَعْمَى﴾ على سبيل اللف والنشر المشوش، وهو من أنواع البلاغة. قوله: (فيه زيادة لا) أي للتوكيد لطول الكلام بالصلة.

قوله: ﴿قَلِيلاً مَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿قَلِيلاً﴾ صفة لموصوف محذوف مفعول مطلق، أي يتذكرون تذكراً قليلاً، و﴿مَا﴾ زائدة لتوكيد القلة. قوله: (بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (أي تذكرهم قليلاً) هكذا بالنصب على الحال، والخبر محذوف، والتقدير يحصل حال كونه قليلاً. قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ أي لوضوح الأدلة على حصولها. قوله: ﴿وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (بها) أي جحداً وعناداً، والأقل يؤمنون لقيام الدليل العقلي والشرعي، على أنه تعالى قادر على كل شيء، وأخبر على ألسنة رسله أنه كما بدأنا يعيدنا، فلو جوز تخلفه للزم، إما كذب خبره تعالى أو عجزه، وكلاهما محال تنزه الله عنه.

قوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ الدعاء في الأصل، السؤال والتضرع إلى الله تعالى في الحوائج الدنيوية والأخروية الجليلة والحقيرة، ومنه ما ورد: ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها، حتى في شسع نعله إذا انقطع، وقوله: ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أي أجبكم فيما طلبتم، لما ورد: إذا قال العبد: يا رب، قال الله: لبيك يا عبدي. إن قلت: قوله: ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ وعد بالإجابة، ووعده لا يتخلف، مع أنه مشاهد أن الإنسان قد يدعو ولا يستجاب له. أجيب: بأن الدعاء له شروط، فإذا تخلف بعضها تخلفت الإجابة، منها: إقبال العبد بكليته على الله وقت الدعاء، بحيث لا يحصل في قلبه غير ربه، وأن لا يكون

بفتح الياء وضم الخاء وبالعكس ﴿جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ ﴿٦٠﴾ صاغرين ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ إسناد الإبصار إليه مجازي لأنه يبصر فيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ﴿٦١﴾ الله فلا يؤمنون ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ فكيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان ﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ﴾ أي مثل إفك هؤلاء إفك ﴿ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ معجزاته ﴿يَجْحَدُونَ﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ

لمفاسد، وأن لا يكون فيه قطيعة رحم، وأن لا يستعجل الإجابة، وأن يكون موقناً بها، فإذا كان الدعاء بهذه الشروط، كان حقيقاً بالإجابة، فإما أن يعجلها له، وإما أن يؤخرها له، فالإجابة على مراده تعالى، وحينئذ فالذي ينبغي للإنسان أن يدعو الله تعالى، ويفوض له الأمر في الإجابة، ولذا ورد: «ما من رجل يدعو الله تعالى بدعاء إلا استجيب له، فإما أن يعجل له في الدنيا، وإما أن يؤخر له في الآخرة، وإما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، أو يستعجل، قالوا: يا رسول الله وكيف يستعجل؟ قال: يقول: دعوت فما استجاب لي» والدعاء من خصائص هذه الأمة، لما حكي عن كعب الأحبار قال: أعطيت هذه الأمة ثلاثاً، لم يعطهن أمة قبلهم إلا نبي، كان إذا أرسل نبي، قيل له: أنت شاهد على أمتك، وقال تعالى لهذه الأمة ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾ وكان يقال للنبي: ليس عليك في الدين من حرج، وقال تعالى لهذه الأمة ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ وكان يقال للنبي: ادعني أستجب لك، وقال لهذه الأمة ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ وقد يطلق الدعاء على مطلق العبادة مجازاً، من اطلاق الخاص وارادة العام، وهما تفسيران للدعاء هنا مشى على المفسر على الثاني، وعبر عنها بالدعاء إشارة إلى أن المقصود من العبادة، الذل والخضوع والفقر والمسكنة، والدعاء مشعر بذلك. قوله: **(بقرينة ما بعده)** أي وهو قوله: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾** الخ، فتحصل أن في الآية تفسيرين: أحدهما حقيقة، والثاني مجاز، اختار المفسر الثاني لوجود القرينة، ويصح ارادة الحقيقة لأنها الأصل. قوله: **(بفتح الياء وضم الخاء)** أي والقراءتان سبعيتان. قوله: **(صاغرين)** أي أذلاء، فمن أنف واستكبر في الدنيا، ألبس ثوب الذل في الآخرة، ومن تواضع وتذلل في الدنيا، ألبس ثوب العز والفخر في الآخرة، فباب الذل والأنكسار من أعظم الأبواب الموصلة إلى الله تعالى، لما حكي عن سيدي أحمد الرفاعي أنه قال: طرقت الأبواب الموصلة إلى الله تعالى فوجدتها مزدحمة، إلا باب الذل والإنكسار، وورد أن داود سأل ربه فقال: يا ربنا كيف الوصول إليك؟ قال: يا داود خلِّ نفسك وتعال.

قوله: **﴿اَللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ﴾** الخ، هذا من جملة الأدلة على باهر قدرته تعالى كأنه قال: لا يليق منكم أن تتركوا عبادة من هذه أفعاله. قوله: **(مجازي)** أي عقلي من اسناد الفيء إلى زمانه. قوله: **﴿لَذُو فَضْلٍ﴾** أي جود وإحسان. قوله: **﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾** أي وهم الكفار، وكان حقاً على الناس جميعهم أن يشكروا الله تعالى ويوحدوه. قوله: **﴿ذٰلِكُمْ﴾** الإشارة مبتدأ، و **﴿اَللَّهُ﴾** و **﴿رَبُّكُمْ﴾**، و **﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾** و **﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾** أخبار أربعة له. قوله: **﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾** من الأفك بفتح الهمزة وهو الصرف، وأما الإفك بالكسر فهو الكذب. قوله: **﴿كَذٰلِكَ يُؤْفَكُ﴾** الخ، هذا تسلية له ﷺ، والمعنى لا تحزن يا محمد فلا خصوصية لأمتك، بل من قبلهم كذلك. قوله: **(أفك)** **﴿الَّذِينَ﴾** بضم الهمزة فعل

ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ سقفاً ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ﴾ اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ من الشرك ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ دلائل التوحيد ﴿مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ بخلق أبيكم آدم منه ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ مني ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ دم غليظ ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ بمعنى أطفالاً ﴿ثُمَّ﴾ يبقيكم ﴿لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾ تكامل

ماض مبني للمجهول، وأشار بذلك إلى أن المضارع بمعنى الماضي، وأتى به مضارعاً استحضاراً للصورة الغريبة.

قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَراراً﴾ هذا من جملة أدلة توحيده، وقوله: ﴿قَراراً﴾ أي محل قرار، أي سكون مع كونها في غاية الثقل، لا ممسك لها إلا قدرة الله تعالى. ﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ أي صوركم أحسن تصوير، حيث جعلكم منتصبي القامة، بادي البشرة، متناسبي الأعضاء، تمشون على رجلين، وجعل محل المواجهة من أعلى ومحل الاقتذار من أسفل، فسبحان الحكيم العليم. قوله: ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي المستلذات ملبساً ومطعماً ومركباً. قوله: ﴿ذٰلِكُمُ﴾ أي الفاعل لذلك كله، واسم الإشارة مبتدأ، و ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ خبران له. قوله: ﴿هُوَ الْحَيُّ﴾ أي الحياة الذاتية التي لا فناء لها ولا انقضاء. قوله: (اعبدوه) تقدم أنه أحد تفسيرين، ويصح ارادة الآخر، وهو السؤال والتضرع، والمعنى إذا علمتم أن الله مالك الملك، المتصرف فيه دون غيره، فاسألوه في جميع ما تحتاجون، لأن خير الدنيا والآخرة عنده دون غيره. قوله: ﴿مُخْلِصِينَ﴾ حال، وقوله: ﴿الدِّينَ﴾ مفعول للمخلصين، والمعنى غير مشركين غيره، لا ظاهراً ولا باطناً.

قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يحتمل أنه من كلام العباد، فهو مقول لقول محذوف حال، والمعنى قائلين ذلك لما ورد عن ابن عباس: من قال لا إله إلا الله فليقل على أثرها ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فهو إشارة إلى أن العبد لا يؤجر على الحمد، ولا يعد به شكوراً، إلا إذا كان موحداً، وأما الكافر فعمله يذهب هباء منثوراً، ويحتمل أنه مستأنف من كلامه تعالى تعليماً لعباده كيفية الحمد.

قوله: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ﴾ الخ، أمر الله تعالى نبيه أن يخاطب قومه بذلك زجراً لهم، حيث استمروا على عبادة غير الله، بعد ظهور الأدلة العقلية والنقلية. قوله: ﴿لَمَّا جاءَنِي﴾ أي حين جاءني. قوله: (دلائل التوحيد) الأدلة العقلية والنقلية. قوله: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ﴾ الخ، إما من الإسلام بمعنى الانقياد، أو بمعنى الخلوص، وعلى كل فالمفعول محذوف تقديره على الأول أسلم أمري له، وعلى الثاني أخلص قلبي من عبادة غيره تعالى. قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ﴾ الخ، لما ذكر فيما تقدم من جملة أدلة توحيده أربعة أشياء من دلائل الآفاق وهي: الليل والنهار والأرض والسماء، وثلاثة من دلائل الأنفس وهي: التصوير وحسن الصورة ورزق الطيبات، ذكر هنا كيفية خلق الأنفس ابتداء وانتهاء. قوله: (بخلق أبيكم آدم) الخ، أي فالكلام على حذف مضاف، ويصح ابقاء الكلام على ظاهره، باعتبار أن أصل النطفة الغذاء، وهو ناشىء من التراب. قوله: ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ أي بعد مضي أربعين يوماً.

قوتكم من الثلاثين سنة إلى الأربعين ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا﴾ بضم الشين وكسرها ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ﴾ أي قبل الأشد والشيخوخة، فعل ذلك بكم لتعيشوا ﴿وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ وقتاً محدوداً ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ دلائل التوحيد فتؤمنون ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ أراد إيجاد شيء ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ ﴿٦٨﴾ بضم النون وفتحها بتقدير أن، أي يوجد عقب الإرادة التي هي معنى القول المذكور ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يُصْرَفُونَ﴾ ﴿٦٩﴾ عن الإيمان ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا﴾ من التوحيد والبعث وهم كفار مكة ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٧٠﴾ عقوبة تكذيبهم ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ

قوله: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ أجمل هنا في المراتب، وفصلها في سورة المؤمنون في قوله: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ الخ، أي فهنا حذف مرتبتين المضغة والعظم العاري عن اللحم. قوله: (بمعنى أطفالاً) إنما أوله بالجمع، لتحصل المطابقة بين الحال وصاحبها، فإن ﴿طِفْلًا﴾ حال من الكاف في ﴿يُخْرِجُكُمْ﴾ فالحال مفردة لفظاً جمع معنى، لأن لفظ الطفل يقع على المذكر والمؤنث، والمفرد والجمع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أو الطفل الذين لم يظهروا﴾. قوله: ﴿ثُمَّ﴾ (يبقيكم) ﴿لِتَبْلُغُوا﴾ أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿لِتَبْلُغُوا﴾ متعلق بمحذوف وهو معطوف على قوله: ﴿يُخْرِجُكُمْ﴾. قوله: ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا﴾ معطوف على ﴿لِتَبْلُغُوا﴾. قوله: (بضم الشين وكسرها) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (فعل ذلك بكم لتعيشوا) قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿وَلِتَبْلُغُوا﴾ معطوف على محذوف وهما علتان، والمعلول ما تقدم من الأفعال الصادرة منه تعالى. قوله: (وقتاً محدوداً) أي وهو وقت الموت. قوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ معطوف على قوله: ﴿لِتَبْلُغُوا﴾ ويصح أن يكون معطوفاً على محذوف تقديره فعل ذلك لتتدبروا ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

قوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ هذا نتيجة ما قبله، وقوله: ﴿فَإِذَا قَضَى أَمْراً﴾ مرتب على ما تقدم، والمعنى: من ثبت أن هذه أفعاله، علم أنه لا يعسر عليه شيء ولا يتوقف إلا على تعلق إرادته به. قوله: (بضم النون) أي على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أي فهو يكون. قوله: (وفتحها) أي فهو منصوب بأن مضمرة وجوباً، بعد فاء السببية الواقعة في جواب الأمر، والقراءتان سبعيتان. قوله: (عقب الإرادة التي هي معنى القول المذكور) والأوضح أن يقول وهذا القول المذكور، كناية عن سرعة الإيجاد، فالمعنى: أن المراد ايجاد شيء وجد سريعاً من غير توقف على شيء، وإلا فكلام المفسر يقتضي أن معنى الآية: فإذا أراد إيجاد شيء، فإنما يريد إيجاده فيوجد، وهذا لا معنى له.

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِين يُجَادِلُونَ﴾ الخ، هذا تعجب من أحوالهم الشنيعة، وبيان لعاقبة أمرهم. قوله: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ إما بدل من الموصول قبله فهو في محل جر، أو في محل نصب أو رفع على الذم. قوله: (من التوحيد) أي وسائر الكتب والشرائع. قوله: (إذ بمعنى إذا) جواب عما يقال: إن سوف للاستقبال، و ﴿إِذِ﴾ للماضي؛ وحينئذ فلا يصح تعلق الماضي بالمستقبل، فأجاب: بأنها مستعملة في

﴿فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ﴾ إذ بمعنى إذاً ﴿وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾ عطف على الأغلال فتكون في الأعناق، أو مبتدأ خبره محذوف أي في أرجلهم أو خبر ﴿يُسۡحَبُونَ﴾ ﴿٧١﴾ أي يجرُّون بها ﴿فِي ٱلۡحَمِيمِ﴾ أي جهنم ﴿ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ﴾ ﴿٧٢﴾ يوقدون ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ﴾ تبكيتاً ﴿أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ معه وهي الأصنام ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ﴾ غابوا ﴿عَنَّا﴾ فلا نراهم ﴿بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ﴾ أنكروا عبادتهم إياها ثم أحضرت، قال تعالى: ﴿آنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ أي وقودها ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل إضلال هؤلاء المكذبين ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ ﴿٧٤﴾ ويقال لهم أيضاً ﴿ذَٰلِكُم﴾ العذاب ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ من الإشراك وإنكار البعث ﴿وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ تتوسعون في الفرح ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى﴾ مأوى ﴿ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ بعذابهم ﴿حَقّٞۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ فيه إن الشرطية مدغمة،

الاستقبال مجازاً، والمسوغ الإشارة إلى أن هذا الأمر محقق وواقع. قوله: (**عطف على الأغلال**) أي وقوله: ﴿**فِي أَعْنَاقِهِمْ**﴾ خبر عنهما. قوله: (**أو مبتدأ**) الخ، أي وجملة ﴿**يُسْحَبُونَ**﴾ حال من الضمير المستكن في الظرف، أو مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: فماذا حالهم؟ فقيل ﴿**يُسْحَبُونَ فِي ٱلْحَمِيمِ**﴾. قوله: (**أو خبره**) ﴿**يُسْحَبُونَ**﴾ أي وعليه فالرابط محذوف قدره بقوله: (**بها**) فتحصل أن المعنى: الأغلال والسلاسل تكون في أعناقهم، ويسحبون في جهنم على وجوههم؛ وهذا على الاعرابين الأولين؛ وعلى الثالث فالمعنى: أن الأغلال في أعناقهم، والسلاسل في أرجلهم، ويسحبون في جهنم، وكل صحيح. قوله: (**أي جهنم**) وقيل ﴿**ٱلْحَمِيمِ**﴾ الماء الحار. قوله: ﴿**يُسْجَرُونَ**﴾ أي يعذبون بأنواع العذاب.

قوله: ﴿**ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ**﴾ التعبير بالماضي لتحقق الوقوع. قوله: ﴿**أَيْنَ مَا كُنْتُمْ**﴾ ترسم ﴿**أَيْنَ**﴾ مفصولة من ﴿**مَا**﴾. قوله: (**وهي الأصنام**) تفسير لما. قوله: ﴿**بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئاً**﴾ هذا في أول الأمر يتبرؤون من عبادة الأصنام لرجاء أنه ينفعهم، فهو إضراب عن قوله: ﴿**ضَلُّوا عَنَّا**﴾ وهذا قبل أن تقرن بهم آلهتهم. قوله: (**ثم أحضرت**) جواب عما يقال: إن حمل الآية على هذا الوجه؛ يخالف قوله تعالى: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون﴾ فأجاب: بأنهم أولاً تضل عنهم آلهتهم ويتبرؤون؛ ثم تحضر وتقرن بهم. قوله: (**ويقال لهم أيضاً**) أي توبيخاً. قوله: (**تتوسعون في المعاصي**) أي تظهرون السرور في الدنيا؛ بالمعصية وكثرة المال وضياعه في المحرمات، فالمرح شدة الفرح، وهو إن كان ذماً في الكفار؛ يجر بذيله على كل من توسع في معاصي الله، فله من هذا الوعيد نصيب.

قوله: ﴿**ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ**﴾ عطف على قوله: ﴿**ذٰلِكُمْ**﴾ الخ، داخل في حيز القول المقدر. قوله: ﴿**فَبِئْسَ مَثْوى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ**﴾ لم يقل فبئس مدخل المتكبرين، لأن الدخول لا يدوم، وإنما يدوم المثوى، ولذا خصه بالذم. قوله: ﴿**فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللهِ حَقٌّ**﴾ هذا تسلية من الله لنبيه ﷺ، ووعد حسن بالنصر له على أعدائه. قوله: (**بعذابهم**) أي وسمي وعداً، بالنظر لكونه نصراً للنبي، فهو في الحقيقة وعد ووعيد. قوله: (**فيه**) خبر مقدم و (**إن الشرطية**) مبتدأ مؤخر، وقوله: (**مدغمة**) حال من (**إن**) ولم يذكر

وما زائدة تؤكد معنى الشرط أول الفعل، والنون تؤكد آخره ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ به من العذاب في حياتك، وجواب الشرط محذوف أي فذاك ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل تعذيبهم ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ فنعذبهم أشد العذاب، فالجواب المذكور للمعطوف فقط ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ روي أنه تعالى بعث ثمانية آلاف نبي، أربعة آلاف من بني إسرائيل، وأربعة آلاف من سائر الناس ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ منهم ﴿أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ لأنهم عبيد مربوبون ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ بنزول العذاب على الكفار ﴿قُضِىَ﴾ بين الرسل ومكذبيهم ﴿بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ أي ظهر القضاء والخسران

المدغم فيه وهو (ما) الزائدة، وقوله: **(تؤكد معنى الشرط)** أي التعليق، وقوله: **(أول الفعل)** حال من (ما) الزائدة، والمعنى: حال كونها واقعة في أول فعل الشرط، وقوله: **(والنون تؤكد)** أي تؤكد الفعل، فحذف المؤكد بالفتح، وقوله: (آخره) حال من النون، أي حال كونها واقعة في آخر الفعل، فتحصل أن هنا مؤكدين بالكسر وهما: ما والنون، ومؤكدين بالفتح وهما: التعليق وفعل الشرط. قوله: **﴿بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾** مفعول **﴿نُرِيَنَّكَ﴾** الثاني؛ والكاف مفعول أول. قوله: **(وجواب الشرط)** أي الأول.

قوله: **﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾** عطف على قوله: **﴿نُرِيَنَّكَ﴾**. قوله: **(فالجواب المذكور للمعطوف فقط)** أي ولا يصح أن يكون جواباً عن الأول، لأن من المعلوم أن جواب الشرط مسبب عن فعله، ولا يحسن أن يكون انتقام الله منهم في الآخرة، مسبباً عن رؤية النبي ﷺ تعذيبهم في الدنيا، وفي الحقيقة قوله: **﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾** دليل الجواب، والجواب محذوف أيضاً، والتقدير فلا يفوتهم.

قوله: **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ﴾** الخ، هذا تسلية له ﷺ، كأن الله تعالى يقول له: إنا قد أرسلنا رسلاً، وآتيناهم معجزات؛ وجادلهم قومهم، وصبروا على أذاهم، فتأسَّ بهم، وقوله: **﴿رُسُلاً﴾** المراد بهم ما يشمل الأنبياء. قوله: **﴿مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾** أي ذكرنا لك قصصهم وأخبارهم في القرآن، وهم خمسة وعشرون. قوله: **﴿وَمِنْهُمْ مِنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾** أي لم نذكر لك قصصهم في القرآن، تخفيفاً ورحمة بأمتك، لئلا يعجزوا عن حفظه، وبهذا التقدير اندفع ما قد يتوهم أن النبي ﷺ مساو لأمته في عدم علم ما عدا الخمسة والعشرين، فتحصل أن النبي ﷺ لم يخرج من الدنيا، حتى علم جميع الأنبياء تفصيلاً، كيف لا، وهم مخلوقون منه، وصلوا خلفه ليلة الإسراء في بيت المقدس؟ ولكنه من العلم المكتوم، وإنما ترك بيان قصصهم للأمة رحمة بهم، فلم يكلفهم إلا بما يطيقون. قوله: **(روي)** في عبارة غيره، قيل: والصحيح ما روي عن أبي ذر قال: «قلت يا رسول الله، كم عدة الأنبياء؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جماً غفيراً».

قوله: **﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾** أي ما صح وما استقام. قوله: **﴿إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾** أب بإرادته. قوله: **(مربوبون)** أي مملوكون، والمملوك لا يستطيع أن يأتي بأمر إلا بإذن سيده، وهذا رد على قريش حيث قالوا للنبي ﷺ: اجعل لنا الصفا ذهباً، وغير ذلك مما تقدم تفصيله في سورة الإسراء. قوله: **﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾** أي حكمه وقضاؤه، والمعنى ظهر وبرز حكمه بنزول العذاب بهم. قوله: **﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾** الحكمة في ختم هذه الآية بالمبطلون، وختم السورة بالكافرون، أنه ذكر هنا الحق، فكان

للناس، وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمَ﴾ قيل الإبل خاصة هنا، والظاهر والبقر والغنم ﴿لِتَرۡكَبُواْ مِنۡهَا وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٧٩﴾ ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ من الدر والنسل والوبر والصوف ﴿وَلِتَبۡلُغُواْ عَلَيۡهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمۡ﴾ هي حمل الأثقال إلى البلاد ﴿وَعَلَيۡهَا﴾ في البر ﴿وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ﴾ السفن في البحر ﴿تُحۡمَلُونَ ٨٠﴾ ﴿وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الدالة على وحدانيته ﴿تُنكِرُونَ ٨١﴾ استفهام توبيخ وتذكير أي أشهر من تأنيثه ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾ من مصانع وقصور ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨٢﴾ ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات الظاهرات ﴿فَرِحُواْ﴾ أي الكفار ﴿بِمَا عِندَهُم﴾ أي الرسل ﴿مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ فرح استهزاء وضحك منكرين له ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٨٣﴾ أي العذاب ﴿فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا﴾ أي شدة عذابنا ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ٨٤﴾ ﴿فَلَمۡ

مقابلته بالباطل أنسب، وهناك ذكر الإيمان، فكان مقابلته بالكفر أنسب. قوله: **(أي ظهر القضاء)** الخ، دفع بذلك ما يقال: إنهم خاسرون من قبل يوم القيامة، فأجاب: بأن المراد ظهر الأمر الذي كان مخفياً. قوله: **(قيل الإبل خاصة)** أي لأنها هي التي يوجد فيها جميع المنافع الآتية.

قوله: **﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾** الخ، هذه الآية نظير قوله تعالى في النحل ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء﴾ الآية. قوله: **﴿وَعَلَيْهَا﴾ (في البر)** الخ، أفرد الحمل عما قبله لكونه مزية عظيمة، وقرن بينها وبين الفلك، لما بينهما من شدة المناسبة، حتى سميت الإبل سفائن البر، وعبر بالاستعلاء هنا في جانب الفلك، وفي قصة نوح عبر بالظرفية حيث قال تعالى: ﴿وقال اركبوا فيها﴾ ما قيل: إن سفينة نوح كانت مغطاة، فظاهرها كباطنها، فالخلق مظروفون فيها، وما عداها فالشأن فيها أنها غير مغطاة، فالخلق على ظاهرها. قوله: **﴿فَأَيَّ آيَاتِ آللهِ﴾** الخ، أي منصوب بتنكرون، قدم لكونه له صدر الكلام. قوله: **(وتذكيره أشهر من تأنيثه)** أي فلم يقل أية آيات الله، وذلك لأن التفرقة في الأسماء الجامدة بين المؤنث والمذكر غريب، وهي في أي أغرب لإبهامها.

قوله: **﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾** الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير أعجزوا فلم يسيروا الخ، والاستفهام إنكاري؛ وتقدم نظيره غير مرة. قوله: **﴿كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾** كلام مستأنف مبين لمبدأ أحوالهم وعواقبها. قوله: **﴿وَآثَاراً﴾** عطف على **﴿قُوَّةً﴾**. قوله: **(من مصانع)** أي أماكن تخزن فيها المياه كالصهاريج. قوله: **(والقصور)** أي الأماكن المرتفعة. قوله: **﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** ما الأولى نافية أو استفهامية، والثانية موصولة أو مصدرية. قوله: **(فرح استهزاء)** أي سخرية؛ حيث لم يأخذوه بالقبول، ويمتثلوا أمر الله، ويجتنبوا نواهيه يدل على هذا المعنى. قوله: **﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُو بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾**. قوله: **(أي العذاب)** أي فكانوا يعدونهم به لو لم يؤمنوا فيستهزئون بالعذاب الموعود به، قال تعالى حكاية عن أهل مكة ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك﴾ الآية. قوله: **﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾** أي في الدنيا. قوله: **(بفعل مقدر من لفظه)** أي والتقدير سن الله تعالى بهم سنة من قبلهم. قوله:

يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا سُنَّتَ ٱللَّهِ﴾ نصبه على المصدر بفعل مقدر من لفظه ﴿ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦ﴾ في الأمم أن لا ينفعهم الإيمان وقت نزول العذاب ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ ﴿٨٥﴾ تبين خسرانهم لكل أحد وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك.

﴿الَّتِي قدْ خَلَتْ﴾ أي مضت وسبقت. قوله: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَافِرُونَ﴾ أي وقت رؤيتهم العذاب. قوله: (تبين خسرانهم) أي ظهر ما كان خافياً، وهو جواب عن سؤال مقدر كالذي قبله.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُورَةُ فُصِّلَتْ

مكيّة

وآياتها اربع وخمسون

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿حمٓ﴾ ﴿١﴾ الله أعلم بمراده به ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿٢﴾
مبتدأ ﴿كِتَٰبٌ﴾ خبره ﴿فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ بينت بالأحكام والقصص والمواعظ ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال
من كتاب بصفته ﴿لِّقَوْمٍ﴾ متعلق بفصلت ﴿يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣﴾ يفهمون ذلك وهم العرب ﴿بَشِيرًا﴾

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

سورة فصلت مكية

وهي ثلاث وخمسون آية

مبتدأ، و (ثلاث وخمسون آية) خبر أول، و (مكية) خبر ثان، وتسمى أيضاً سورة حم السجدة، وسورة المصابيح، وسورة السجدة. قوله: (الله أعلم بمراده) تقدم غير مرة أن هذا القول أسلم. قوله: ﴿مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ خص هذين الاسمين، إشارة إلى أن نزول القرآن من أكبر النعم، ولا شك أن النعم من مظهر تجلي الرحمة، فالقرآن نعمة باقية إلى يوم القيامة. قوله: (مبتدأ) أي وسوغ الابتداء به، عمله في الجار والمجرور بعده على حد: ورغبة في الخير خير. قوله: ﴿كِتَابٌ﴾(خبره) أي و ﴿فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ نعت للخبر. قوله: (بينت بالأحكام) أي ميزت ووضحت لفظاً ومعنى، فاللفظ في أعلى طبقات البلاغة معجز لجميع الخلق، والمعنى: كالوعد والوعيد والقصص والأحكام، وغير ذلك من المعاني المختلفة، فإذا تأملت في القرآن، تجد بعض آياته متعلقاً بذات الله وصفاته، وبعضها متعلقاً بعجائب خلقه، من السماوات والأرض وما فيهما، وبعضها متعلقاً بالمواعظ والنصائح، وغير ذلك، قال البوصيري في ذلك المعنى:

فلا تعد ولا تحصى عجائبها ... ولا تسام من الإكثار بالسأم

قوله: (حال من كتاب) أي كل من ﴿قُرْآناً﴾ و ﴿عَرَبِيّاً﴾ فتكون حالاً مؤسسة، ويصح أن يكون الحال لفظ ﴿قُرْآناً﴾ و ﴿عَرَبِيّاً﴾ صفته. قوله: (بصفته) أي الكتاب، والمعنى أن المسوغ لمجيء الحال منه مع كونه نكرة، وصفه بما بعده. قوله: (متعلق بفصلت) أي والمعنى بينت ووضحت لهؤلاء. قوله: (يفهمون ذلك) أي تفاصيل آياته. قوله :(وهم العرب) أي وإنما خصوا بالذكر، لأنهم يفهمونها بلا واسطة، لكون القرآن

صفة قرآناً ﴿وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾﴾ سماع قبول ﴿وَقَالُوا﴾ للنبي ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾ أغطية ﴿مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾ ثقل ﴿وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ خلاف في الدين ﴿فَاعْمَلْ﴾ على دينك ﴿إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴿٥﴾﴾ على ديننا ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ بالإيمان والطاعة ﴿وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ﴾ كلمة عذاب ﴿لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾﴾ ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ﴾ تأكيد ﴿كَافِرُونَ ﴿٧﴾﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

نزل بلغتهم، وأما غيرهم فلا يفهم القرآن إلا بواسطتهم. قوله: (**صفة قرآناً**) ويصح أن يكونا حالين من كتاب، وهذا على قراءة الجمهور، وقرىء شذوذاً على أنه خبر لمحذوف، أي ﴿**بَشِيراً وَنَذِيراً**﴾، ونعت لكتاب. قوله: ﴿**فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ**﴾ أي تكبراً وعناداً، واستفيد منه أن الأقل لم يعرض، بل خضع وانقاد وآمن، وذلك كأبي بكر وأضرابه.

قوله: ﴿**وَقَالُوا**﴾ معطوف على ﴿**فَأَعْرَضَ**﴾ وقوله: ﴿**قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ**﴾ جمع كنان، وهو ما تجعل فيه السهام، ويسمى جعبة بفتح الجيم، ويجمع على جعاب. قوله: ﴿**مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ**﴾ ما واقعة على التوحيد، والفعل مرفوع بضمة مقدرة على الواو، والفاعل مستتر تقديره أنت، ونا مفعوله. قوله: ﴿**وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ**﴾ شبهوا أسماعهم بآذان فيها صمم، من حيث إنها تمج الحق، ولا تميل إلى استماعه. قوله: ﴿**وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ**﴾ ﴿**مِنْ**﴾ لابتداء الغاية، والمعنى: أن الحجاب ناشىء من جهتنا، فلا نستطيع التوصل لما عندك، والحجاب ناشىء من جهتك، فلا تستطيع التوصل لما عندنا، فنحن معذورون في عدم اتباعك، لوجود المانع من جهتنا وجهتك. قوله: (**خلاف**) أي مخالفة في الدين. قوله: ﴿**فَاعْمَلْ**﴾(**على دينك**) أي استمر عليه، وقوله: ﴿**إِنَّنَا عَامِلُونَ**﴾ أي مستمرون على ديننا.

قوله: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ**﴾ هذا رد لما زعموا من الحجاب كأنه قال: دعواكم الحجاب باطلة لا أصل لها، لأني بشر من جنسكم، تعرفون حالي وطبعي، وأعرف حالكم وطبعكم، فلست مغايراً لكم، حتى يكون بيني وبينكم حجاب وتباين، ولست بداع لكم إلى شيء لا تقبله العقول والأسماع بل أنا داع لكم إلى توحيد خالقكم وموجدكم، الذي قامت عليه الأدلة العقلية والنقلية. قوله: ﴿**فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ**﴾ ضمنه معنى توجهوا، فعداه بإلى. قوله: ﴿**وَاسْتَغْفِرُوهُ**﴾ أي مماأنتم عليه من سوء العقيدة، وفيه اشارة إلى أن الاستقامة لا تتم، إلا بالاستغفار والندم على ما مضى، بحيث يكره أن يعود الكفر، كما يكره الوقوع في النار.

قوله: ﴿**وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ**﴾ مبتدأ وخبر، وسوغ الإبتداء به قصد الدعاء. قوله: ﴿**الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ**﴾ إنما خص منع الزكاة، وقرنه بالكفر في الآخرة، لأن المال أخو الروح، فإذا بذله الإنسان في سبيل الله، كان دليلاً على قوته وثباته في الدين، قال تعالى: ﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم﴾ إلخ، أي يثبتون أنفسهم، ولذا كان ﷺ يؤلف حديث العهد بالإيمان بالمال، وقاتل أبو بكر مانعي الزكاة بعد وفاته ﷺ، ففي هذه الآية تخويف وتحذير للمؤمنين من منع الزكاة، وتحضيض على أدائها، وقال ابن عباس: هم الذين لا يقولون لا إله إلا الله، وهي زكاة الأنفس، والمعنى: لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد. فإن قلت: على تفسير الجمهور يشكل بأن الآية مكية، والزكاة فرضت

﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴿٨﴾﴾ مقطوع ﴿قُلۡ أَئِنَّكُمۡ﴾ بتحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها، وإدخال ألف بينها بوجهيها وبين الأولى ﴿لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ الأحد والاثنين ﴿وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ﴾ شركاء ﴿ذَٰلِكَ رَبُّ﴾ مالك ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾﴾ جمع عالم وهو ما سوى الله، وجمع لاختلاف أنواعه بالياء والنون تغليباً للعقلاء ﴿وَجَعَلَ﴾ مستأنف ولا يجوز عطفه على صلة

بالمدينة، فلم يكن هناك أمر بالزكاة حتى يذم مانعها. والجواب: أن المراد بالزكاة، صرف المال في مراضي الله تعالى.

قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ إلخ، ذكر تعالى وعد المؤمنين إثر وعيد المشركين، جرياً على عادته سبحانه وتعالى في كتابه. قوله: ﴿**غَيْرُ مَمْنُونٍ**﴾ **(مقطوع)** أي بل هو دائم مستمر بدوام الله، وهذا أحد تفاسير في هذه الآية، وقيل غير منقوص، وقيل غير ممنون به عليهم، فلا يعدد الله ولا ملائكته عليهم النعم في الجنة ويطلبهم بشكرها، لانقطاع التكليف بالموت، وأيضاً نفوس أهل الجنة مطهرة، فلا تزال تشكر الله تعالى، وإن كان غير مطلوب منهم تلذذاً وفرحاً بنعم الله تعالى، ولأن الجنة دار ضيافة مولانا تعالى، والكريم لا يعدد نعمه على أضيافه.

قوله: ﴿**قُلْ أَئِنَّكُمْ**﴾ قدم الاستفهام على التأكيد، لأن له صدر الكلام، وهو استفهام انكار وتشنيع، وأن اللام لتأكيد الإنكار، والمعنى: أنتم تعلمون أنه لا شريك له في العالم العلوي والسفلي، فكيف تجعلون له شريكاً؟ قوله: **(وإدخال ألف)** إلخ، المناسب أن يقول وتركه، لأن القراءات السبعية هنا أربع لا اثنتان كما يوهمه كلامه. قوله: ﴿**فِي يَوْمَيْنِ**﴾ قال ابن عباس: إن الله خلق يوماً فسماه يوم الأحد، ثم خلق ثانياً فسماه الاثنين، ثم خلق ثالثاً فسماه الثلاثاء، ثم خلق رابعاً فسماه الأربعاء، ثم خلق خامساً فسماه الخميس، فخلق الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء، وخلق مواضع الأنهار والشجر والقرى يوم الأربعاء، وخلق الطير والوحوش والسباع والهوام والآفات يوم الخميس، وخلق الإنسان يوم الجمعة، وفرغ من الخلق يوم السبت، وهذا هو الصحيح، وقد مشى عليه المفسر، وقيل إن مبدأ الخلق السبت.

قوله: ﴿**وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً**﴾ عطف على ﴿**تَكْفُرُونَ**﴾ عطف سبب على مسبب. قوله: ﴿**ذٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ اسم الإشارة عائد على الموصول، وأتى بالخطاب مفرداً، اشارة إلى أن المخاطب فرد غير معين. قوله: **(وجمع)** إلخ جواب عما يقال: إنه اسم جنس يصدق على كل ما سوى الله، والجمع لا بد أن يكون له أفراد ثلاثة فأكثر. فأجاب: بأنه جمع باعتبار أنواعه. قوله: **(بالياء والنون)** اشارة لسؤال آخر، فلو أتى بالواو لكان أوضح. وحاصل هذا السؤال: أن هذا الجمع خاص بالعقلاء، والعالم غالبه غير عاقل. فأجاب بقوله: **(تغليباً)** إلخ. قوله: **(مستأنف)** إلخ، هذه العبارة في بعض النسخ، وهي معترضة بأنه لا محذور في الفصل بين المتعاطفين بالجمل المعترضة، ولا يقال إنه وقع بين أجزاء صلة الموصول؛ لأنه يقال: الموصول قد استوفى صلته، ويغتفر في التابع ما لا يغتفر في المتبوع، فالأولى اسقاط هذه العبارة، كما هو في بعض النسخ، وقوله: **(للفاصل)** أي وهو قوله: ﴿**وَتَجْعَلُونَ**﴾ إلخ، فإنه معطوف

الذي للفاصل الأجنبي ﴿فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ جبالاً ثوابت ﴿مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ بكثرة المياه والزروع والضروع ﴿وَقَدَّرَ﴾ قسم ﴿فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا﴾ للناس والبهائم ﴿فِيٓ﴾ تمام ﴿أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ﴾ أي الجعل وما ذكر معه في يوم الثلاثاء والأربعاء ﴿سَوَآءٗ﴾ منصوب على المصدر أي استوت الأربعة استواء لا تزيد ولا تنقص ﴿لِّلسَّآئِلِينَ ١٠﴾ عن خلق الأرض بما فيها ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ﴾ قصد ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ﴾ بخار مرتفع ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا﴾ إلى مرادي منكما ﴿طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا﴾ في موضع الحال أي طائعتين أو مكرهتين ﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا﴾ بمن فينا ﴿طَآئِعِينَ ١١﴾ فيه تغليب المذكر العاقل، أو

على ﴿تَكْفُرُونَ﴾ فليس من أجزاء الصلة. قوله: ﴿مِنْ فَوْقِهَا﴾ الحكمة في قوله: ﴿مِنْ فَوْقِهَا﴾ أنه تعالى لو جعل لها رواسي من تحتها، لتوهم أنها هي التي أمسكتها عن النزول، فجعل الله الجبال فوقها، ليعلم الإنسان أن الأرض وما عليها ممسكة بقدرة الله تعالى.

قوله: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ قال محمد بن كعب: قدر الأقوات قبل أن يخلق الخلق والأبدان، فخص كل قوت بقطر من الأقطار، وأضاف القوت إلى الأرض، لكونه متولداً منها، وناشئاً فيها، وذلك أنه تعالى جعل كل بلدة معدة لنوع من الأشياء المطلوبة، حتى أن أهل هذه البلدة، يحتاجون إلى الأشياء الموجودة في تلك البلدة، وهكذا، فصار ذلك سبباً لرغبة الناس في التجارة واكتساب الأموال؛ وجميع ما خلقه الله لا ينقص عن حاجة المحتاجين، ولو زادت الخلق أضعافاً، وإنما ينقص توصل بعضهم إليه، فلا يجد له ما يكفيه، وفي الأرض أضعاف كفايته. قوله: ﴿فِي﴾(تمام) ﴿أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، دفعاً لما يتوهم أن الأيام ثمانية: يومان في خلق الأرض، وأربعة في خلق الأقوات، ويومان في خلق السماوات، لينافي في قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾ والحكمة في تقديره هذه المدة، مع أنه تعالى قادر على خلق كل في قدر لمحة تعليم العباد التمهل والتأني في الأمور، والبعد من العجلة. قوله: (في يوم الثلاثاء) بفتح الثاء وضمها.

قوله: ﴿لِلسَّائِلِينَ﴾ متعلق بسواء، والمعنى مستوية للسائلين، أي جواب السائلين فيها سواء، لا يتغير لسائل بزيادة ولا نقص. قوله: (قصد) ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي أراد، والمعنى تعلقت ارادته بخلق السماوات. قوله: ﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾ المراد بخار الماء؛ وذلك أن العرش كان على الماء، قبل خلق السماوات والأرض، ثم أحدث الله في ذلك الماء اضطراباً، فأزبد وارتفع، فخرج منه دخان فارتفع وعلا، فخلق منه السماوات، وأما الزبد فبقي على وجه الماء، فخلق منه اليبوسة، وأحدث منه الأرض. قوله: ﴿فَقَالَ لَهَا﴾ إلخ، اختلف في قول الله للأرض والسماوات وجوابهما له، فقيل: هو حقيقة وأجابتاه بلسان المقال ولا مانع منه، لأن القادر لا يعجزه شيء، فخلق فيهما الحياة والعقل والكلام وتكلمتا، ويؤيده ما روي أنه نطق من الأرض موضع الكعبة، ونطق من السماء بحذائها، فوضع الله فيهما حرمه، وقيل: إن معنى القول في حق الله تعالى، ظهور تأثير قدرته، وكلاهما كناية عن الطاعة والانقياد. قوله: (فيه تغليب المذكر العاقل) أي حيث جمعوا جمعه.

نزلتا لخطابها منزلته ﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾ الضمير يرجع إلى السماء، لأنها في معنى الجمع الآيلة إليه، أي صيرها ﴿سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ الخميس والجمعة، فرغ منها في آخر ساعة منه، وفيها خلق آدم ولذلك لم يقل هنا سواء ووافق ما هنا آيات خلق السموات والأرض في ستة أيام ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ الذي أمر به من فيها من الطاعة والعبادة ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ بنجوم ﴿وَحِفْظًا﴾ منصوب بفعله المقدر، أي حفظناها من استراق الشياطين السمع بالشهب ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلْعَلِيمِ ۝١٢﴾ بخلقه ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ﴾ أي كفار مكة عن الإيمان بعد هذا البيان ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ﴾ خوفتكم ﴿صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۝١٣﴾ أي عذاباً يهلككم مثل

قوله: ﴿فَقَضَاهُنَّ﴾ تفصيل لتكوين السماء. قوله: (أي صير) ﴿سَبْعَ سَمٰوَاتٍ﴾ أشار بذلك إلى أن قضى مضمن معنى صير، فسبع مفعول به. قوله: (وفيها خلق آدم) ظاهره أن آدم خلق في نفس اليوم الذي خلقت فيه السماوات، وهو خلاف المشهور من أن بين خلق آدم وخلقها ألوفاً من السنين. وأجيب: بأن المراد أنه خلق في مثل ذلك اليوم، كما تقول: ولد محمد يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين. قوله: (ووافق ما هنا) إلخ، أي بتقدير المضاف السابق، والمشهور أن الأيام الستة بقدر أيام الدنيا؛ وقيل: كل يوم منها بقدر ألف سنة من أيام الدنيا، فتكون الستة أيام، بقدر الستة آلاف سنة. إن قلت: إن اليوم عبارة عن الليل والنهار، وذلك يحصل بطلوع الشمس وغروبها، وقبل خلق السماوات لا يعقل حصول اليوم، فضلاً عن تسميته بالأحد ونحوه. أجيب: بأن الله تعالى، قدر مقداراً خلق فيه الأرض وسماه الأحد والاثنين، ومقداراً خلق فيه الأقوات وسماه الثلاثاء والأربعاء، وهكذا، فالتسمية للمقادير التي خلقت فيها تلك الأشياء. بقي شيء آخر وهو: أن ما هنا يقتضي أن الأرض خلقت قبل السماوات، فيخالف آية النازعات المفيدة أن الأرض خلقت بعد السماوات، قال تعالى: ﴿أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها﴾ إلى أن قال: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾. وأجيب: بأن الله تعالى خلق الأرض أولاً في يومين كروية، ثم خلق بعدها السماء، ثم بعد خلق السماء دحا الأرض وبسطها، فخلق الجميع في ستة أيام، والدحي بعد ذلك، فلا تناقض، واستشكل ذلك الرزاي وأجاب عنه بما لا طائل تحته. قوله: ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ الوحي كناية عن التكوين. قوله: (الذي أمر به من فيها) إلخ، وقيل: المعنى خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وأفلاكها، وخلق في كل سماء خلقها من الملائكة، والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد والثلج. قوله: (بفعله المقدر) أي وهو معطوف على ﴿زَيَّنَّا﴾. قوله: ﴿ذٰلِكَ﴾ أي المذكور بتفاصيله. قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ مرتب على قوله فيما تقدم ﴿قل أئنكم لتكفرون﴾ إلخ، والمعنى: بين يا محمد لقومك طريق الرشاد، وأظهر لهم الحجج القاطعة الدالة على ذلك، فإن أعرضوا بعد إقامة الحجج وبيان الهدى، فخوفهم بعذاب مثل عذاب من تقدمهم من الأمم، لأنه جرت عادة الله تعالى، أن لا يعذب أمة إلا بعد طلوع شمس الحق لهم وإعراضهم عنه، وفي قوله: ﴿أَعْرَضُوا﴾ التفات من خطابهم بقوله: (أئنكم) إلى الغيبة، إشارة إلى أنهم كما أعرضوا جوزوا بالإعراض والالتفات من خطابهم، لأن الخطاب شأن من يرجى إقباله، وهو ليسوا كذلك.

قوله: ﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ﴾ عبر بالماضي اشارة إلى تحققه وحصوله. قوله: ﴿صَاعِقَةً﴾ هي في الأصل

الذي أهلكهم ﴿إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي مقبلين عليهم ومدبرين عنهم فكفروا كما سيأتي، والإهلاك في زمنه فقط ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ﴾ علينا ﴿مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ على زعمكم ﴿كَافِرُونَ﴾ ﴿١٤﴾ ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا﴾ لما خوفوا بالعذاب ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ أي لا أحد، كان واحدهم يقلع الصخرة العظيمة من الجبل يجعلها حيث يشاء ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعلموا ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا﴾ المعجزات ﴿يَجْحَدُونَ﴾ ﴿١٥﴾ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾

الصيحة التي يحصل بها الهلاك، أو قطعة نار تنزل من السماء معها رعد شديد، والمراد هنا العذاب المهلك، وقرىء شذوذاً صعقة بغير ألف مع سكون العين في الموضعين، وقوله: **﴿مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾** التشبيه في مطلق الهلاك، وإن كان هلاك عاد وثمود عاماً، وهلاك هذه الأمة خاص ببعض أفرادهم، فهو تشبيه جزئي بكلي، وبهذا اندفع ما قد يقال: إن العذاب العام لا يأتي لهذه الأمة، لما ورد في الأحاديث الصحيحة من أمن الأمة من ذلك. وأجيب أيضاً: بأنه لا يلزم من التخويف الحصول بالفعل، وحينئذ فالمعنى: أنتم ارتكبتم أموراً تستحقون عليها ما نزل بعاد وثمود.

قوله: **﴿إِذْ جَاءَتْهُمُ﴾** ظرف لصاعقة الثانية، والمعنى: صعقتهم وقت مجيء رسلهم إليهم، والضمير في **﴿جَاءَتْهُمُ﴾** عائد على **﴿عَادٍ وَثَمُودَ﴾** وقوله: **﴿الرُّسُلُ﴾** المراد بهم هود وصالح ومن قبلهما من الرسل وهم نوح وادريس وشيث وآدم، لكن مجيء هود وصالح لهاتين القبيلتين حقيقي، ومجيء من قبلهما لهاتين القبيلتين باعتبار اللازم، لأن كل رسول قد جاء بالتوحيد، وتكذيب واحد تكذيب للجميع. قوله: **(أي مقبلين عليهم)** أي وهم هود وصالح، وقوله: **(ومدبرين عنهم)** أي وهم الرسل الذين تقدموا على هود وصالح، وهو لف ونشر مرتب.

قوله: **﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا﴾** إلخ، يصح أن تكون **﴿أَنْ﴾** مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن أو مصدرية أو تفسيرية، وكلام المفسر يشير للمعنيين الأولين، حيث قدر الياء و **﴿لَا﴾** ناهية في الأوجة الثلاثة، ويصح أن تكون نافية أيضاً في الوجه الثاني، والفعل منصوب بأن، حذفت منه النون للناصب، و **﴿لَا﴾** النافية لا تمنع عمل **﴿أَنْ﴾** في الفعل. قوله: **﴿قَالُوا﴾** أي عاد وثمود لهود وصالح. قوله: **﴿لَوْ شَاءَ رَبُّنَا﴾** أي انزال ملائكته بالرسالة، فمفعول **﴿شَاءَ﴾** محذوف. والمعنى: لو شاء ربنا ارسال رسول، لجعله ملكاً لا بشراً، وهذا توصل منهم لإنكار الرسالة، لزعمهم أنها لا تكون للبشر. قوله: **(على زعمكم)** أي وإلا فهم ينكرون رسالتهما.

قوله: **﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾** أي تعظموا على أهلها واستعلوا فيها، وهذا شروع في حكاية ما يخص كل طائفة من القبائح والعذاب، بعد الإجمال في كفرهم. قوله: **﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾** أي فنحن نقدر على دفع العذاب على أنفسنا بقوتنا. قال ابن عباس: إن أطولهم كان مائة ذارع، وأقصرهم كان ستين ذراعاً. قوله: **(يجعلها)** أي يضعها حيث شاء. قوله: **﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾** إلخ، هذا الجملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه، خوطب بها النبي ﷺ للتعجيب من مقالتهم الشنيعة، والهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير: أيقولون ذلك ولم يروا؟ قوله: **﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾** ضمنه

باردة شديدة الصوت بلا مطر ﴿فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ﴾ بكسر الحاء وسكونها مشؤومات عليهم ﴿لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ﴾ الذل ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ﴾ أشد ﴿وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ﴾ ١٦ بمنعه عنهم ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ﴾ بينا لهم طريق الهدى ﴿فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ﴾ اختاروا الكفر ﴿عَلَى ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ﴾ المهين ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ ١٧ ﴿وَنَجَّيۡنَا﴾ منها ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ ١٨ الله ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوۡمَ يُحۡشَرُ﴾ بالياء والنون المفتوحة، وضم الشين وفتح الهمزة ﴿أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ﴾ ١٩ يساقون ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا﴾ زائدة ﴿جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ ٢٠ ﴿وَقَالُواْ

معنى يكفرون، فعداه بالباء وهو معطوف على قوله: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾.

قوله: ﴿صَرْصَراً﴾ من الصر وهو البرد، أو من الصرير، وهو التصويت بشدة، والمفسر جمع بينهما. قوله: **(بكسر الحاء وسكونها)** أي فيها قراءتان سبعيتان، وقيل: هما صفة مشبهة، والسكون للتخفيف، كأشر وفرح، وقيل: إنه بالسكون مصدر وصف به. قوله: **(مشؤومات)** أي غير مباركات من الشؤم ضد اليمن. وهو تفسير لكل من القراءتين، وكان آخر شوال صبح الأربعاء، إلى غروب الأربعاء التي يليها، وذلك سبع ليال وثمانية أيام حسوماً. قال ابن عباس: ما عذب قوم إلا في يوم الأربعاء. قوله: ﴿عَذَابَ الْخِزْيِ﴾ أي العذاب الخزي، فهو من اضافة الموصوف لصفته، وقوله: **(الذل)** وصف به العذاب مبالغة، وإلا فحقه أن يوصف به أصحاب العذاب.

قوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ شروع في ذكر أحوال الطائفة الثانية. قوله: **(بينا لهم طريق الهدى)** أي فالمراد بالهداية **الدلالة**، لا الوصول بالفعل. قوله: ﴿عَلَى الْهُدَى﴾ أي الإيمان. قوله: **(المهين)** أي الموقع في الإهانة والذل. قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي من الكفر وتكذيب نبيهم. قوله: ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي مع صالح وكانوا أربعة آلاف، وتقدم في الأعراف أنه نجا من كان مع هود، قال تعالى: ﴿فأنجيناه والذين آمنوا معه برحمة منا﴾وكانوا أربعة آلاف أيضاً، كما تقدم لنا في سورة هود. قوله: ﴿وَ﴾**(اذكر)** ﴿يَوْمَ يُحْشَرُ﴾ ﴿يَوْمَ﴾ ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله: **(اذكر)**. قوله: **(بالياء)** أي مع فتح الشين ورفع ﴿أَعْدَاءُ﴾ على أنه نائب فاعل. قوله: **(وفتح الهمزة)** أي من ﴿أَعْدَاءُ﴾ على أنه مفعول، والفاعل على كل هو الله تعالى، والقراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿أَعْدَاءُ اللهِ﴾ المراد بهم كل من كان من أهل الخلود في النار مطلقاً، من أول الزمان لآخره. قوله: ﴿إِلَى النَّارِ﴾ المراد موقف الحساب، وإنما عبر بالنار لأنها عاقبة حشرهم. قوله: **(يساقون)** وفسره البيضاوي بحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا، ولا ينافي ما قاله المفسر، فإن المراد يساق آخرهم ليلحق أولهم، فيحصل الاجتماع والازدحام، حتى يكون على ألف قدم. قوله: **(زائدة)** أي للتأكيد، وإنما أكده لأنهم ينكرون مضمون الكلام.

قوله: ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ﴾ إلخ، أي بأن يخلق الله فيها النطق والفهم والادراك كاللسان، فتقر بما فعلته من المعاصي حقيقة وهو التحقيق، وقيل: النطق كناية عن ظهور المعاصي على تلك الجوارح، كظهور النتونة على فروج الزناة، ونحو ذلك، وقيل: النطق من غير فهم ولا ادراك. عن أنس بن مالك

لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ أي أراد نطقه ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ قيل: هو من كلام الجلود، وقيل: هو من كلام الله تعالى كالذي بعده، وموقعه قريب مما قبله، بأن القادر على إنشائكم ابتداء، وإعادتكم بعد الموت أحياء، قادر على إنطاق جلودكم وأعضائكم ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ عن ارتكابكم الفواحش من ﴿أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ لأنكم لم توقنوا بالبعث ﴿وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ﴾ عند استتاركم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ ﴿وَذَٰلِكُمْ﴾ مبتدأ ﴿ظَنُّكُمُ﴾ بدل منه ﴿ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ﴾ نعت والخبر ﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾ أي أهلككم ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ ﴿فَإِن يَصْبِرُوا۟﴾ على العذاب ﴿فَٱلنَّارُ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟﴾ يطلبوا العتبى أي الرضا ﴿فَمَا

قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: «أتدرون مم أضحك؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: من مخاطبة العبد ربه فيقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ فيقول: بلى، قال: فيقول: فإني لا أجيز اليوم على نفسي إلا شاهداً مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً، وبالكرام الكاتبين البررة عليك شهوداً، قال: فيختم علي فيه ويقال لأركانه انطقي، فتنطق بأعماله، ثم يخلى بينه وبينها فيقول: بعداً لكن وسحقاً، فعنكن كنت أناضل». قوله: ﴿وَجُلُودُهُمْ﴾ المراد بها مطلق الجوارح، فيكون من عطف العام على الخاص، وقيل: المراد بالجلود خصوص الفروج، ويكون التعبير عنها بالجلود من باب الكناية، ويكون هذا في شهادة الزنا، وحينئذ فالآية فيها الوعيد الشديد على إتيان الزنا، والأقرب الأول.

قوله: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ﴾ أي توبيخاً وتعجباً من هذا الأمر. قوله: ﴿قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ﴾ إلخ، أي جواباً لهم واعتذاراً عما صدر منهم. قوله: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ أي تردون إليه بالبعث، وعبر بالمضارع مع أن المقالة بعد الرجوع بالفعل، لأن المراد بالرجوع البعث، وما يترتب عليه من العذاب الدائم، والعذاب مستقبل بالنسبة لمقالتهم. قوله: (قيل هو) أي قوله: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ﴾ إلخ. قوله: (كالذي بعده) أي وهو قوله: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾. قوله: (وموقعه) أي مناسبته. قوله: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ﴾ ووجه مناسبته له في المعنى، أنه يقربه من القول، من حيث إن القادر على الإبداء والإعادة؛ قادر على إنطاقها.

قوله: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ أي تستخفون من هؤلاء الشهود، وهو لا يكون إلا بترك الفعل بالكلية، لأنها ملازمة للإنسان في حركاته وسكناته. قوله: (من) ﴿أَنْ يَشْهَدَ﴾ أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿أَنْ يَشْهَدَ﴾ في محل نصب بنزع الخافض، ويصح أن يكون مفعولاً لأجله، والتقدير مخالفة إن يشهد، إلخ. قوله: (عند استتاركم) أي من الناس. قوله: ﴿أَنَّ اللهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيراً﴾ المراد به ما اخفوه عن الناس من الأعمال، فظنوا أن علم الله مساو لعلم الخلق، فكل ما ستروه عن الناس لا يعلمه الله. قوله: ﴿وَذٰلِكُمْ ظَنُّكُمْ﴾ إلخ، اعلم أن الظن قسمان: حسن وقبيح، فالحسن أن يظن العبد المؤمن بالله عز وجل الرحمة والإحسان والخير، ففي الحديث: «أنا عند ظن عبدي بي» والقبيح أن يظن الله نقصاً في ذاته أو صفاته أو أفعاله. قوله: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ نتيجة ما قبله.

قوله: ﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ﴾ إن قلت: إن النار مأوى لهم صبروا أو لا، فما وجه التقييد بالصبر؟ وأجيب: بأن في الآية حذفاً، والتقدير: فإن يصبروا أو لا يصبروا، فالنار مثوى لهم، وإنما حذف

هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴾ ﴿٢٤﴾ المرضيين ﴿وَقَيَّضْنَا﴾ سببنا ﴿لَهُمْ قُرَنَآءَ﴾ من الشياطين ﴿فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الدنيا واتباع الشهوات ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الآخرة بقولهم: لا بعث ولا حساب ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ بالعذاب وهو ﴿لأملأن جهنم﴾ الآية ﴿فِىٓ﴾ جملة ﴿أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ﴾ هلكت ﴿مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَـٰسِرِينَ﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ عند قراءة النبي ﷺ ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾ ائتوا باللغط ونحوه، وصيحوا في زمن قراءته ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ فيسكت عن القراءة، قال الله تعالى فيهم ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ أي أقبح جزاء عملهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب

المقابل للعلم به، لأنه إذا كانت لهم النار مع الصبر، فهي لهم مع عدمه بالأولى، بخلاف الدنيا، فإن الإنسان مع الصبر، ربما تخف مصيبته أو يعوض خيراً ومع عدمه يزاد فيها ويغضب الله عليه. قوله: **(أي الرضا)** وقيل العتبى الرجوع إلى ما يحبون. قوله: **(المرضيين)** أي المرضي عليهم.

قوله: **﴿وَقَيَّضْنا لَهُمْ﴾** أي لكفار مكة ومعنى **(سببنا)** هيأنا وبعثنا والمعنى سببنا لهم قرناء يلازمونهم ويستولون عليهم استيلاء القيض وهو قشر البيض على البيض. قوله: **﴿فَزَيَّنُوا لَهُمْ﴾** أي من القبائح. قوله: **﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾(من أمر الدنيا)** إلخ، وقيل: ما بين أيديهم من أمر الآخرة، وما خلفهم من أمر الدنيا، قال القشيري: إذا أراد الله بعبد سوءاً، قيض له إخوان سوء، وقرناء سوء، يحملونه على المخالفات، ويدعونه إليها، ومن ذلك الشيطان، وأشر منه النفس وبئس القرين، يدعوه اليوم إلى ما فيه الهلاك، ويشهد عليه غداً؛ وإذا أراد الله بعبد خيراً، قيض له قرناء خير يعينونه على الطاعة، ويحملونه عليها، ويدعونه إليها، وفي الحديث: «إذا أراد الله بعبد شراً، قيض له قبل موته شيطاناً، فلا يرى حسناً إلا قبحه عنده، ولا قبيحاً إلا حسنه عنده». وعن عائشة قالت: إذا أراد الله بالوالي خيراً؛ جعل له وزير صدق، إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه، وإذا أراد غير ذلك، جعل له وزير سوء، إن نسي لم يذكره، وإن ذكر لم يعنه. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما بعث الله نبي، ولا استخلف من خليفة، إلا** كانت له بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، والمعصوم من عصمه الله تعالى».

قوله: **﴿وَحَقَّ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾** أي ثبت وتحقق. قوله: **﴿فِي أُمَمٍ﴾** حال من الضمير في **﴿عَلَيْهِمْ﴾** والمعنى كائنين في جملة أمم. قوله: **﴿قَدْ خَلَتْ﴾** صفة لأمم. قوله: **(هلكت)** المناسب أن يقول مضت. قوله: **﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾** تعليل لاستحقاقهم العذاب. قوله: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** أي من كفار مكة، وإنما قالوا ذلك، لأنه لما كان النبي ﷺ يقرأ، يستميل القلوب بقراءته، فيصغي إليها المؤمن والكافر، فخافوا أن يتبعه الناس. قوله: **﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾** اللغو الكلام الذي لا فائدة فيه، وهو بفتح الغين في قراءة العامة من لغي كفرح وقرىء شذوذاً بضم الغين من لغا يلغو كدعا يدعو ومنه حديث أنصت فقد لغوت. قوله: **(باللغط)** بسكون الغين وفتحها، وهو كلام فيه جلبة واختلاط.

قوله: **﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾** أي في القول فإذا غلبتموه وسكت، لأنه لم يكن مأموراً حينئذ بقتالهم. قوله: **(قال تعالى فيهم)** أي في شأنهم. قوله: **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** أي استمروا على الكفر وماتوا عليه.

الشديد وأسوأ الجزاء ﴿جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ﴾ بتحقيق الهمزة الثانية وإبدالها واواً ﴿ٱلنَّارُۖ﴾ عطف بيان للجزاء المخبر به عن ذلك ﴿لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِۖ﴾ إي إقامة الانتقال منها ﴿جَزَآءَۢ﴾ منصوب على المصدر بفعله المقدر ﴿بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿يَجۡحَدُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في النار ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾ أي إبليس وقابيل سنّا الكفر والقتل ﴿نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا﴾ في النار ﴿لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ أي أشد عذاباً منا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ على التوحيد وغيره مما وجب عليهم ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ عند الموت ﴿أَلَّا﴾ بأن لا

قوله: (**أي أقبح جزاء عملهم**) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، دفعاً لما قد يتوهم، أنهم يجزون بنفس عملهم الذي عملوه في الدنيا كالكفر مثلاً، والمعنى أن المستهزئين برسول الله ﷺ يجازون بأقبح جزاء أعمالهم، وفي هذه الآية وعيد لكل من يفعل اللغط في حال قرءاة القرآن، ويشوش على القارىء ويخلط عليه، فإنه حرام بإجماع، إن لم يقصد إبطال النفع بالقرآن كراهة فيه، وإلا فهو كافر.

قوله: ﴿**ذَٰلِكَ**﴾ أي المذكور من الأمرين كما قال المفسر. قوله: (**بتحقيق الهمزة الثانية**) أي الكائنة أول أعداء، والقراءتان سبعيتان. قوله: (**عطف بيان**) هذا أحد أوجه في إعرابها، ويصح أن يكون بدلاً من ﴿جَزَاءُ﴾ ورد بأن البدل يصح حلول المبدل منه محله، وهنا لا يصح لأنه يصير التقدير ذلك النار، ويصح أن يكون مبتدأ، و ﴿**لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ**﴾ خبره، ويصح أن يكون خبر مبتدأ محذوف. قوله: ﴿**لَهُمْ فِيها دَارُ الْخُلْدِ**﴾ في الكلام تجريد، وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة، أمراً آخر موافقاً له في تلك الصفة على سبيل المبالغة، فقد انتزع من النار داراً أخرى سماها دار الخلد، والمعنى أن الدار نفسها هو الخلد. قوله: (**منصوب على المصدر بفعله المقدر**) والتقدير يجزون جزاء. قوله: ﴿**بِآيَاتِنَا**﴾ الباء إما زائدة أو ضمن ﴿**يَجْحَدُونَ**﴾ معنى يكفرون، فعداه بالباء. قوله: (**في النار**) حال من فاعل ﴿**قَالَ**﴾.

قوله: ﴿**أَرِنَا**﴾ أصله أرأينا، فالراء فاء الكلمة، والهمزة الثانية عينها، والياء لامها، حذفت الياء لبناء الفاعل على حذفها، ونقلت حركة الهمزة للساكن قبلها، فسقطت الهمزة وصار وزنه أفنا وهي بصرية، تعدت بالهمزة للمفعول الثاني الذي هو الاسم الموصول، ومفعولها الأول الضمير. والمعنى صيرنا رائين بأبصارنا. قوله: ﴿**مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ**﴾ أي لأن الشيطان على قسمين: جني وإنسي، كما قال تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن﴾ وقدم الجن لأنهم أصل الضلال. قوله: (**سنا الكفر والقتل**) لف ونشر مرتب، فقابيل أخو هابيل، فهو أول من سن القتل، وإبليس أول من كفر بالله. قوله: ﴿**نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا**﴾ أي إما حقيقة فيكونان أشد عذاباً منا، أو هو كناية عن كونهم في الدرك الأسفل. قوله: ﴿**لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ**﴾ أي في دركات النار.

قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا الله**﴾ إلخ، شروع في بيان حال المؤمنين، إثر بيان وعيد الكفارين. والمعنى: قالوا ربنا الله اعترافاً بربوبيته وإقراراً بوحدانيته. قوله: ﴿**ثُمَّ اسْتَقَامُوا**﴾ أي ظاهراً أو باطناً، بأن فعلوا المأمورات، واجتنبوا المنهيات، وداموا على ذلك إلى الممات، قال عمر بن الخطاب: الاستقامة إن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ زوغان الثعلب. قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق. قوله: (**عند الموت**) أي أو عند الخروج من القبر، ولا مانع من الجمع، والمراد ملائكة الرحمة

﴿ تَخَافُواْ ﴾ من الموت وما بعده ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ على ما خلفتم من أهل وولد، فنحن نخلفكم فيه ﴿وَأَبْشِرُواْ بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ أي نحفظكم فيها ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أي نكون معكم فيها حتى تدخلوا الجنة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ ﴿٣١﴾ تطلبون ﴿نُزُلًا﴾ رزقاً مهيأ منصوب بجعل مقدراً ﴿مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ ﴿٣٢﴾ أي الله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾ أي لا أحد أحسن قولاً ﴿مِّمَّن دَعَآ إِلَى اللَّهِ﴾ بالتوحيد ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ

تأتيهم بما يشرح صدورهم، ويدفع عنهم الخوف والحزن. قوله: ﴿أَنْ لَا تَخَافُوا﴾ ﴿أَنْ﴾ مخففة من الثقيلة، أو مصدرية، أو مفسرة، وكلام المفسر يحتمل المعنيين الأولين، والخوف غم يلحق النفس، لتوقع مكروه في المستقبل، والحزن غم يلحقها لفوات نفع في الماضي.

قوله: ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ﴾ أي وهي دار الكرامة التي فيها من النعيم الدائم والسرور، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. قوله: ﴿الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ أي في الكتب المنزلة وعلى ألسنة الرسل. قوله: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ إلخ، يحتمل أن يكون هذا من كلام الله تعالى، وهو ولي المؤمنين ومولاهم، ويحتمل أن يكون من كلام الملائكة. والمعنى: كنا أولياءكم في الدنيا، ونكون معكم في الآخرة، فلا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة. قوله: ﴿مَا تَدَّعُونَ﴾ من الدعاء بمعنى الطلب، وهو أعم من الأول. والمعنى: لكم كل ما تشتهون وكل ما تطلبون، ولو لم يكن مشتهى، كالرتب العلية والفضائل السنية. قوله: (منصوب بجعل مقدراً) ويصح أن يكون حالاً من قوله: ﴿مَا تَدَّعُونَ﴾. قوله: ﴿مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ متعلق بتدعون أو صفة لنزلاً، وخص هذين الوصفين دون شديد العقاب مثلاً، إشارة إلى مزيد السرور لهم وإكرامهم، وأنه تعالى يعاملهم بالمغفرة والرحمة، ويتجلى لهم بأوصاف الجمال، دون أوصاف الجلال.

قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً﴾ إلخ، وقيل: نزلت هذه الآية في رسول الله ﷺ، لأنه هو الذي جمع تلك الأصاف، لأن الداعين إلى الله تعالى أقسام، فمنهم الداعون إلى الله بالتوحيد قولاً، كالأشعري والماتريدي ومن تبعهما إلى يوم القيامة، وفعلاً كالمجاهدين، ومنهم الداعون إلى الله بالأحكام الشرعية، كالأئمة الأربعة ومن على قدمهم، ومنهم الداعون إلى الله تعالى، بزوال الحجب الكائنة على القلوب لمشاهدة علام الغيوب، بحيث يكون دائماً في حضرة الله، ليس في قلبه سواه، كالجنيد وأضرابه من الصوفية أهل الحقيقة، ومنهم من يدعو إلى الله تعالى بالإعلام بأداء الفرائض، كالمؤذنين، وهذه الأقسام مجموعة في النبي عليه الصلاة والسلام، متفرقة في أصحابه، ثم انتقلت منهم إلى من بعدهم، وهكذا إلى يوم القيامة، لقوله في الحديث الشريف: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، ولا يضرهم من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك». قوله: (بالتوحيد) أي وفروعه وإنما خصه لأنه رأس الأمور وأساسها.

قوله: ﴿وَعَمِلَ صَالِحاً﴾ أي امتثل أمر ربه واجتنب نواهيه، وحيث كان داعياً إلى الله، مع اتصافه بالعمل الصالح، كان قوله مقبولاً، ويؤثر في القلوب، وأما من كان بخلاف ذلك، فلا يكون قوله مقبولاً، ولا يؤثر في القلوب، ولا تنبغي صحبته، قال العارف: لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك

إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ﴾ في جزئياتها لأن بعضها فوق بعض ﴿ ٱدْفَعْ ﴾ السيئة ﴿ بِٱلَّتِى ﴾ أي بالخصلة التي ﴿ هِىَ أَحْسَنُ ﴾ كالغضب بالصبر، والجهل بالحلم، والإساءة بالعفو ﴿ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ ﴿٣٤﴾ أي فصير عدوك كالصديق القريب في محبته إذا فعلت ذلك، فالذي مبتدأ، وكأنه الخبر، وإذا ظرف لمعنى التشبيه ﴿ وَمَا

على الله مقاله، وقال بعضهم:

أتنهي الناس ولا تنتهي ... متى تلحق القوم يا لكع
ويا حجر السن ما تستحي ... تسن الحديد ولا تقطع

فمن لم يؤثر كلامه في نفسه، فلا يؤثر في غيره بالأولى. قال بعضهم:

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنا ... كيما يصح به وأنت سقيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا أنتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يسمع ما تقول ويشتفى ... بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

وبالجملة، فالدعوة إلى الله لا تنفع إلا من قلب ناصح، وأعظم الداعين إلى الله تعالى الأولياء المسلكون، الذين يوصلون الخلق إلى طريق الحق، وهم موجودون في كل زمن، غير أنه لا يجتمع بهم ولا يعرفهم، إلا من لحظه الله تعالى بفضله، كما قال بعض العارفين: الأولياء عرائس مخدرة، ولا يرى العرائس المجرمون، نفعنا الله بهم أجمعين. قوله: ﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي تحدثاً بنعمة ربه، وفرحاً بالإسلام. قوله: ﴿وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ يحتمل أن ﴿لَا﴾ زائدة للتوكيد، لأن الاستواء لا يكون من واحد، بل من اثنين، كأنه قال: لا تستوي الحسنة مع السيئة، بل الحسنة خير، والسيئة شر، ويحتمل أن ﴿لَا﴾ أصلية، والمعنى: لا تستوي مراتب الحسنات، بل بعضها أعلى من بعض، ولا تستوي مراتب السيئات، بل بعضها أعلى من بعض، فأعلى الناس من ارتكب أعلى الحسنات، وأدنى الناس من ارتكب أعلى السيئات، وهذا ما مشى عليه المفسر. قوله: ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي حيث فعلت معك سيئة، ادفعها بخصلة هي أحسن. قوله: (كالغضب بالصبر) إلخ، أي أعلى مراتب أن تعطي من حرمك، وتصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك، وقد كان هذا خلق رسول الله ﷺ.

قوله: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ﴾ إلخ. ﴿إِذَا﴾ فجائية ظرف لمعنى التشبيه، فعاملها معنوي مؤخر، واغتفر تأخير عاملها المعنوي، لأنه يغتفر في الظروف ما لا يغتفر في غيرها؛ و ﴿الَّذِي﴾ مبتدأ و ﴿بَيْنَكَ﴾ خبر مقدم، و ﴿عَدَاوَةٌ﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة صلة الموصول، و ﴿كَأَنَّهُ﴾ إلخ، خبر الموصول، والمعنى: فإذا فعلت مع عدوك ما ذكر، فاجأك في الحضرة انقلابه وصيرورته مشابهاً في المحبة للصديق الذي لم تسبق منه عداوة. قوله: ﴿كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ الحميم يطلق على الماء الحار، وعلى القريب الذي تهتم لأمره، وهو المراد هنا. قوله: (فيصير عدوك كالصديق القريب) هذا تفسير لمعنى الولي الحميم، فالولي القريب والحميم القريب الصديق فهو أخص من الولي، قال بعضهم في وصفه:

يُلَقَّىٰهَآ﴾ أي يؤتي الخصلة التي هي أحسن ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ﴾ ثواب ﴿عَظِيمٍ﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿وَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزائدة ﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ أي يصرفك عن الخصلة وغيرها من الخير صارف ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ جواب الشرط، وجواب الأمر محذوف، أي يدفعه عنك ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ للقول ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ ﴿٣٦﴾ بالفعل ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾ أي الآيات الأربع ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ﴾ عن السجود لله وحده ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ أي فالملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ يصلون ﴿لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ لا يملون

إن أخاك الحق من كان معك ... ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذا ريب الزمان صدعك ... شتت فيه شمله ليجمعك

قوله: (**في محبته**) هذا هو وجه الشبه. قوله: (**إذ فعلت ذلك**) أي الإحسان للعدو. قوله: (**التي هي أحسن**) الأوضح أن يقول: وهي مقابلة الإساءة بالإحسان. قوله: (**ثواب**) ﴿**عَظِيمٍ**﴾ وقيل: المراد بالحظ الخلق الحسن وكمال النفس.

قوله: ﴿**وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ**﴾ إلخ، المراد بالنزغ الوسوسة، والمعنى: وإن يوسوس الشيطان بترك ما أمرت به فاستعذ بالله، أي اطلب التحصن من شره، ومن جملة وسوسته الغضب، فإنه ربما يحمله على ارتكاب منهي عنه، فإذا حصل عنده فليدفعه باستعاذة، فإن لم يزل فليدفعه بالسكون، ثم بالجلوس إن كان قائماً، ثم بالاضطجاع إن كان جالساً، فإن لم يزل بعد ذلك، ذهب من المكان الذي هو به. قوله: ﴿**إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ تعليل لما قبله، وفي هذه الآية دليل على استعمال التعوذات في الصباح والمساء، لأن الإنسان بينهما لا يخلو من نزغات شيطانية، فلذلك ورد في الأحاديث وفي كلام العارفين، كثرة التعوذ في هذين الوقتين، فتدبر.

قوله: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ**﴾ خبر مقدم، و ﴿**اللَّيْلُ**﴾ وما عطف عليه مبتدأ مؤخر، والمعنى: ومن دلائل قدرته وانفراده بالألوهية الليل إلخ، أي ظهور كل من هذه الأربع. قوله: ﴿**لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ**﴾ خصهما بالذكر، لأن الكفار عبدوهما من دون الله. قوله: (**أي الآيات الأربع**) وإنما عبر عنها بضمير الإناث، مع أن غالبها مذكر، والعادة تغليب المذكر لا العكس، نظراً للفظ الآيات، فإن مفرده آية وهو مؤنث. قوله: ﴿**إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**﴾ أي تفردونه بالعبادة، فاتركوا عبادة غيره. قوله: ﴿**فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا**﴾ أي تكبروا وعاندوا، حيث جعلوا ما به الهدى والدلالة على توحيد الله إلهاً معبوداً.

قوله: ﴿**فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ**﴾ علة لجواب الشرط المحذوف، والتقدير فلا تنعدم العبادة لأن الذين إلخ، والعندية عندية مكانة وشرف لا مكان، فهو كما تقول: عند الملك من الجند كذا وكذا. قوله: ﴿**يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**﴾ هذا من مجاراة الكفار، وإلا فلو ترك جميع الخلق عبادته، لم ينقص ملكه شيء، لما في الحديث: «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾ يابسة لا نبات فيها ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ﴾ تحركت ﴿وَرَبَتْ﴾ انتفخت وعلت ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ من ألحد ولحد ﴿فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ القرآن بالتكذيب ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ فنجازيهم ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿٤٠﴾ تهديد لهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ﴾ القرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ نجازيهم ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ ﴿٤١﴾ منيع ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ أي ليس قبله كتاب يكذبه ولا بعده ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ ﴿٤٢﴾ أي الله المحمود في أمره ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ﴾ من التكذيب ﴿إِلَّا﴾ مثل ﴿مَا قَدْ

واحد، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً». قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ خبر مقدم و ﴿إنَّ﴾ وما دخلت عليه، في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر، والتقدير: ومن آياته رؤيتك الأرض، إلخ. قوله: **(يابسة)** أي فالأرض الخاشعة هي الغبراء التي ليس بها نبات، استعير لها حال الخاشع، وهو الذل والتقاصر. قوله: ﴿**اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ**﴾ أي تحركت حركة عظيمة شديدة بسرعة، وارتفع ترابها وعلا، فالآية باقية على أصلها خلافاً لمن قال: إن فيها قلباً، والتقدير ربت واهتزت. قوله: ﴿**لَمُحْيِي الْمَوْتَى**﴾ أي يبعثهم.

قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا**﴾ أي يميلون عن الاستقامة في الدين، ويطعنون في آياتنا بالتحريف واللغو والأكاذيب. قوله: **(من ألحد ولحد)** أشار بذلك إلى أن هنا قراءتين سبعيتين وهما ضم الياء وكسر الحاء من ألحد رباعياً، وفتح الياء والحاء من لحد ثلاثياً، من باب نفع، والإلحاد الميل والعدول، ومنه اللحد في القبر، لأنه أميل إلى ناحية منه. قوله: **(فنجازيهم)** أي بأعمالهم. قوله: ﴿**أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً**﴾ عدل عن مقتضى الظاهر حيث لم يقل: أم من يدخل الجنة، تصريحاً بحصول الأمن لهم؛ وانتفاء الخوف عنهم. قوله: **(تهديد لهم)** أي للكفار، وزيادة مسرة للمؤمنين.

قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ إلخ، خبر ﴿**إنَّ**﴾ محذوف قدره المفسر بقوله: **(نجازيهم)** وهو أحد أعاريب وهو أسهلها، وقيل: إنه جملة لا يأتيه الباطل، إلخ، والعائد محذوف، والتقدير: لا يأتيه الباطل منهم، والمعنى لا يبلغون مرادهم فيه، بل هو محفوظ منهم، وقيل: إن الخبر قوله ما يقال لك، إلخ، والعائد محذوف ما يقال لك في شأنهم، وقيل غير ذلك. قوله: ﴿**لَمَّا جَاءَهُمْ**﴾ ظرف لقوله: ﴿**كَفَرُوا**﴾. قوله: ﴿**لَكِتَابٌ عَزِيزٌ**﴾ الجملة حالية من الذكر والمعنى، والتقدير: كفروا بالقرآن حين جاءهم، والحال أنه كتاب يرد المعارض ويقهره، قال البوصيري:

كم جدلت كلمات الله من جدل   فيه وكم خصم البرهان من خصم

قوله: **(منيع)** فعيل بمعنى فاعل، أي مانع المعارض عن الخوض فيه، ويصح أن يفسر العزيز بعديم المثال. قوله: **(أي ليس قبله كتاب يكذبه)** إلخ، أي لا يتطرق إليه الباطل من جهة من الجهات، بل جميع ما فيه صدق مطابق للواقع، ليس بعده كتاب أصلاً، وليس قبله ما تقدح فيه، وفي كلام المفسر لف ونشر مشوش، فقوله: **(ليس قبله)** راجع للخلق، وقوله: **(ولا بعده)** راجع لما بين يديه. قوله: ﴿**مِنْ حَكِيمٍ**﴾ الحكيم هو الذي يضع الشيء في محله. قوله: ﴿**مَا يُقَالُ لَكَ**﴾ إلخ، شروع في تسليته ﷺ على ما يصيبه من

قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ للمؤمنين ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٤٣﴾ للكافرين ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ أي الذكر ﴿قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا﴾ هلا ﴿فُصِّلَتْ﴾ بينت ﴿ءَايَاتُهُ﴾ حتى نفهمها ﴿ءَا﴾ قرآن ﴿أَعْجَمِيٌّ وَ﴾ نبي ﴿عَرَبِيٌّ﴾ استفهام إنكار منهم بتحقيق الهمزة الثانية وقلبها ألفاً بإشباع ودونه ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَشِفَاءٌ﴾ من الجهل ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ ثقل فلا يسمعونه ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ فلا يفهمونه ﴿أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿٤٤﴾ أي هم كالمنادى من مكان بعيد لا يسمع ولا يفهم ما ينادى به ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾ بالتصديق والتكذيب كالقرآن ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ في الدنيا فيما اختلفوا فيه ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي المكذبين به ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ ﴿٤٥﴾ موقع في الريبة ﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾

أذى الكفار. قوله: (من التكذيب) أي من أجل حصوله ووقوعه. قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ إلخ، هذا هو المقول، والمعنى: ما يقال لك من أجل حصول التكذيب ووقوعه منهم، إلا قولاً مثل ما قيل للرسل من قبلك وهو ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ إلخ.

قوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِياً﴾ لقولهم هلا نزل القرآن بلغة العجم. قوله: ﴿لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ أي بلسان نفهمه وهو لسان العرب، وقوله: ﴿أأَعْجَمِيٌّ﴾ إلخ، جملة مستقلة عن جملة مقولهم، والمعنى: أنهم طلبوا أولاً نزوله بلغة العجم، فرد الله عليهم بقوله: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ أي جاءت بلغة العرب، وأخبر الله تعالى أنه لو جاءهم بلغة العجم، لادعوا التنافي بين كونه بلغة العجم، وكون الجائي به عربياً، وغرضهم بذلك إنكار كون القرآن من عند الله على أي حال، والأعجمي يقال للكلام الذي لا يفهم وللمتكلم به، والياء للمبالغة في الوصف، كأحمري وأعجمي، خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله: (أقرآن) إلخ، وكذا قوله: ﴿وَعَرَبِيٌّ﴾. قوله: (بتحقيق الهمزة الثانية) أي من غير ألف بينهما، وقوله: (وقلبها ألفاً) أي ممدوداً مداً لازماً، وهاتان قراءتان، وقوله: (بإشباع ودونه) سبق قلم منه، والصواب أن يقول: وتسهيل الثانية بإشباع ودونه، فالإشباع هو إدخال ألف بين المحققة والمسهلة، وعدمه هو ترك الإشباع، وبقيت قراءة خامسة سبعية أيضاً وهي اسقاط الهمزة الأولى.

قوله: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي صدقوا به وأذعنوا له. قوله: ﴿وَشِفَاءٌ﴾(من الجهل) أي ومن الأمراض الحسية والمعنوية الظاهرية والباطنية. قوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ مبتدأ، و ﴿فِي آذَانِهِمْ﴾ خبر مقدم، و ﴿وَقْرٌ﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة خبر المبتدأ الأول. قوله: (فلا يسمعونه) أي لوجود الحجاب على قلوبهم، فلا يوفقون لاتباعه. قوله: (أي هم كالمنادي) إلخ، أي فالكلام فيه استعارة تمثيلية، حيث شبه حالهم في عدم قبول المواعظ، وإعراضهم عن القرآن وما فيه بحال من ينادي من مكان بعيد، والجامع عدم الفهم في كل.

قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ كلام مستأنف سيق لبيان أن الاختلاف في شأن الكتب عادة قديمة غير مختص بقومك، وهو تسلية له ﷺ، والمعنى لا تحزن على اختلاف قومك في كتابك فقد اختلف من قبلهم في كتابه. قوله: ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ أي عجل لهم العذاب. قوله: ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ أي من أجل

عمل ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَاۗ﴾ أي فضرر إساءته على نفسه ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ ﴿٤٦﴾ أي بذي ظلم، لقوله تعالى: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾ ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِۚ﴾ متى تكون لا يعلمه غيره ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ﴾ وفي قراءة ثمرات ﴿مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ أوعيتها جمع كم بكسر الكاف إلا بعلمه ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّـٰكَ﴾ أعلمناك الآن

المخالفة، وقوله: ﴿مُرِيبٍ﴾ أي مورث شكاً آخر. قوله: ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾(عمل) أشار بذلك إلى أن الجار والمجرور متعلق محذوف ويصح أن يكون خبر المحذوف، أي فعمله الصالح لنفسه، والجملة على كل حال جواب الشرط، إن جعلت شرطية، أو خبر لها إن جعلت موصولة، وكذا يقال في الجملة بعدها. قوله: (أي بذي ظلم) جواب عما يقال: إن الآية لم تنف أصل الظلم. فأجيب: بأن ظلام صيغة نسبة لا مبالغة، والمعنى ليس بمنسوب للظلم كتمار وخباز، أي منسوب للتمر والخبز. إن قلت: إن الظلم مستحيل على الله تعالى، لأن التصرف في ملك الغير، ولا ملك لأحد معه، فكيف يتصور اثباته حتى يحتاج لنفيه؟ أجيب: بأن المراد الظلم المنفي في الآية تعذيب المطيع لا حقيقة الظلم، وإنما سماه ظلماً تفضلاً منه واحساناً، كأن الله تعالى يقول: لا أدخل أحداً النار من غير ذنب، فإن فعلت ذلك كنت ظالماً وهو مستحيل، على حد ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ فتدبر.

قوله: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أي لله يرد علم جواب السؤال عن الساعة، وهذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿قل إنما علمها عند ربي﴾ ﴿لا يجليها لوقتها إلا هو﴾ فالمعنى تعيين وقت مجيئها لا يعلمه إلا الله تعالى وتقدم ذلك عند قوله: ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾. قوله: (لا يعلمه غيره) أخذ الحصر من تقديم الجار والمجرور، والمعنى: لا يفيد علمه غيره تعالى، فلا ينافي أن رسول الله ﷺ لم يخرج من الدنيا، حتى اطلع على ما كان وما يكون وما هو كائن، ومن جملته وقت الساعة، ولكن أمر بكتمانه، فلا يفيد السائل عنه شيئاً. قوله: ﴿مِنْ ثَمَرَةٍ﴾ المراد الجنس، وقوله: (وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضاً والجمع ظاهر. قوله: (جمع كم بكسر الكاف) أي وهو ما يغطي الثمرة من النوار والزهر، ويجمع أيضاً على أكمة وكمام، وأما ما يغطي اليد من القميص فبالضم، وجمعه أكمام، وقيل: ما يغطي الثمرة بالضم والكسر، وما يغطي اليد بالضم فقط.

قوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ﴾ إلخ، أي يعلم قدر أيام الحمل وساعاته، وكونه ذكراً أو أنثى، واحداً أو متعدداً، غير ذلك، ويعلم وقت وضعه ومكانه. قوله: ﴿إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ استثناء مفرغ من عموم الأحوال، والتقدير: وما يحدث شيء، من خروج ثمرة، أو حمل حامل أو وضعها، إلا ملتبساً بعلمه، فقد حذف من الأولين، لدلالة الثالث عليه. إن قلت: قد يعلم ذلك بعض الخلق من أصحاب الكشف، وبعض الكهنة والمنجمين. أجيب: بأن صاحب الكشف عليه بإلهام من الله تعالى لبعض جزئيات فقط، وأما الكهنة والمنجمون، فعلمهم مستند لأمور ظنية قد تصيب، والغالب عليها الخطأ. قوله: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِي﴾ أي بزعمكم وفيه تقريع وتهكم بهم. قوله: ﴿قَالُوا﴾ أي يقولون، وعبر بالماضي لتحقق الوقوع. قوله: (الآن) أشار بذلك إلى أن المراد الإنشاء لا الإخبار عما سبق، فالجملة خبرية لفظاً إنشائية معنى، ويصح أن يراد الإخبار لتنزيلهم علمه تعالى بحالهم منزلة إعلامهم به، فأخبروا وقالوا آذناك.

﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾﴾ أي شاهد بأنَّ لك شريكاً ﴿وَضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِن قَبْلُ﴾ في الدنيا من الأصنام ﴿وَظَنُّواْ﴾ أيقنوا ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾﴾ مهرب من العذاب، والنفي في الموضعين معلق عن العمل، وجملة النفي سدَّت مسد المفعولين ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ أي لا يزال يسأل ربه المال والصحة وغيرهما ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ الفقر والشدة ﴿فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾ من رحمة الله، وهذا وما بعده في الكافرين ﴿وَلَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَذَقْنَٰهُ﴾ آتيناه ﴿رَحْمَةً﴾ غنى وصحة ﴿مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ﴾ شدة وبلاء ﴿مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾ أي بعملي ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ أي الجنة ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾ شديد، واللام في الفعلين لام قسم ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ الجنس ﴿أَعْرَضَ﴾ عن الشكر ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ ثنى عطفه

قوله: ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ﴾ أي غالب نفعهم عنهم، فلا يشفعون لهم، ولا ينصرونهم، وهذا في المحشر، وأما في النار فيجمعون معهم. قوله: ﴿مِنْ مَحِيصٍ﴾ أي فرار ومهرب من النار. قوله: **(والنفي)** أي وهو ﴿مَا﴾ وقوله: **(في الموضعين)** أي وهما: ما منا، وما لهم. **(معلق عن العمل)** التعليق إبطال العمل لفظاً لا محلاً، والعامل المعلق هو آذن وظن. قوله: **(وجملة النفي)** أي في الموضعين. قوله: **(سدت مسد المفعولين)** أي الأول والثاني لظنوا، والثالث لآذنا، فإنه يتعدى لثلاثة، كأعلم وأرى، والمفعول الأول الكاف.

قوله: ﴿لَا يَسْأَمُ الإِنْسَانُ﴾ المراد به جنس الكافر كما يأتي في المفسر. قوله: ﴿مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ المصدر مضاف لمفعوله. قوله: **(وغيرهما)** أي كالولد ونحوه من خير الدنيا. قوله: ﴿فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ﴾ خبران لمبتدأ محذوف، أي فهو قبل اليأس والقنوط مترادفان، وجمع بينهما للتأكيد، وقيل: اليأس قطع الرجاء من رحمة الله، والقنوط إظهار اثاره على ظاهر البدن، ويطلق اليأس على العلم كما في قوله تعالى: ﴿أفلم ييأس الذين آمنوا﴾ وييئس من باب فهم، وقنط من باب جلس ودخل وطرف. قوله: **(وما بعده)** أي وهو قوله: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ﴾ إلى قوله: ﴿لَلْحُسْنَى﴾ وأما قوله: ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ﴾ إلخ، تصريح في الكافرين لا يحتاج للتنبيه عليه. قوله: ﴿لَيَقُولَنَّ هٰذَا لِي﴾ جواب القسم، وجواب الشرط محذوف، لسد جواب القسم مسده، للقاعدة المذكورة في قول ابن مالك:

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم ... جواب ما أخرت فهو ملتزم

قوله: **(أي بعملي)** أي بما لي من الفضل والعمل والشجاعة والتدبير. قوله: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ أي تقوم. قوله: ﴿وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي﴾ أي كما تقول الرسل على فرض صدقهم، وقد أكدت هذه الجملة بأمور زيادة في التعنت منها: القسم وإن، وتقديم الظرف والجار والمجرور. قوله: ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جواب لقول الكافر ﴿وَلَئِنْ رُجِعْتُ﴾ إلخ. قوله: **(الجنس)** أي من حيث هو مسلماً أو كافراً، ولكنه مشكل بالنسبة للكافر، فإنه تقدم عند مس الشر، كان يؤوساً قنوطاً، وهنا أفاد أنه ذو دعاء عريض، فيقتضي أنه راج، فحصل بين الآيتين التناقض. وأجيب: بأنه يمكن حمل ما تقدم على أناس دون

متبختراً، وفي قراءة بتقديم الهمزة ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ۝٥١﴾ كثير ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ﴾ أي القرآن ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ كما قال النبي ﴿ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍ﴾ خلاف ﴿بَعِيدٍ ۝٥٢﴾ عن الحق، أوقع هذا موقع منكم بياناً لحالهم ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ﴾ أقطار السماوات والأرض من النيرات والنبات والأشجار ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ من لطيف الصنعة وبديع الحكمة ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ﴾ أي القرآن ﴿ٱلْحَقُّ﴾ المنزل من الله بالبعث والحساب

آخرين أو على الكل، لكن الأوقات مختلفة، فبعض الأوقات يكونون آيسين، وبعض الأوقات يكونون راجين.

قوله: ﴿**وَنَاءَ بِجَانِبِهِ**﴾ بتقديم الألف على الهمزة بوزن قال، وقوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً وقوله: **(بتقديم الهمزة)** أي على الألف بوزن رمى، والنون مقدمة على كليهما. قوله: ﴿**فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ**﴾ أي فهو ذو دعاء. قوله: **(كثير)** أشار بذلك إلى أن العرض يطلق على الكثرة كالطول يقال: أطال فلان الكلام، وأعرض في الدعاء إذا أكثر. قوله: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ**﴾ رأى في الأصل علمية أو بصرية، أطلق العلم أو الإبصار، وأريد ما ينشأ عنه وهو الخبر، ثم أطلق الاستفهام عن العلم أو الإبصار، وأريد منه طلب الإخبار، ففيه مجازان. قوله: **(كما قال النبي)** المناسب إسقاطه. قوله: **(أي لا أحد)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري. قوله: **(أوقع هذا)** أي قوله: ﴿**مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ**﴾.

قوله: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ**﴾ الضمير عائد على كفار مكة، والمعنى: سنري كفار مكة دلائل قدرتنا حال كونها في الآفاق، جمع أفق كأعناق وعنق، ويقال أفق بفتحتين، كعلم وأعلام. قوله: **(من النيرات)** أي الشمس والقمر والنجوم، وقوله: **(والأشجار والنبات)** أي والرياح والأمطار والجبال والبحار، وغير ذلك من العجائب العلوية والسفلية.

قوله: ﴿**وَفِي أَنْفُسِهِمْ**﴾ أي كخلقهم أولاً، نطفاً ثم علقاً ثم مضغاً ثم عظاماً، ثم بعد تمام مدتهم في البطون، يخرجهم إلى فضاء الدنيا ضعافاً، ثم يعطيهم القوة شيئاً فشيئاً وهكذا، واستشكل ظاهر الآية، بأن السين تدل على تخليص المضارع للاستقبال، مع أنهم مشاهدون هذه الآيات في الحال. أجيب: بأن الكلام على حذف مضاف، والتقدير سنريهم عواقب آياتنا وأسرارها، ففيه وعد للمعتبر، ووعيد لغيره، لأن حكمة هذه الآيات، النظر والتأمل والاعتبار، فمن اعتبر بهذه الآيات فقد سعد، ومن تركه فقد شقي. قوله: **(من لطيف الصنعة وبديع الحكمة)** من ذلك ما خلقه وأبدعه في نفس الإنسان، كالأكل والشرب، يدخل من مكان واحد، ويتميز ذلك خارجاً من مكانين مختلفين، لا يختلط أحدهما بالآخر، وبالبصر فإنه ينظر به السماء من الأرض مسيرة خمسمائة عام، والسمع فإنه يفرق به بين الأصوات المختلفة، وغير ذلك، وهذا ما قرر به المفسر الآية. وهناك احتمالات أخر منها: أن المراد بالآيات ما أخبرهم به النبي ﷺ من الحوادث الآتية، والمراد بالآفاق فتح القرى له ولخلفائه من بعده، الذي لم يتيسر مثله لأحد من خلفاء الأرض قبلهم، والمراد بأنفسهم فتح مكة وملكهم، وقد تحقق ذلك لرسول الله وخلفائه من بعده، ومنها: أن المراد بالآيات وقائع الأمم السابقة، والمراد بأنفسهم ما حصل لهم يوم بدر من القتل والأسر، ومنها غير ذلك.

والعقاب، فيعاقبون على كفرهم به، وبالجائي به ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾ فاعل يكف ﴿أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣﴾ بدل منه، أي أو لم يكفهم في صدقك أن ربك لا يغيب عنه شيء ما ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ لإنكارهم البعث ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ﴾ تعالى ﴿بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ۝٥٤﴾ علماً وقدرة، فيجازيهم بكفرهم.

قوله: ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾ إلخ، الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير: أتحزن على إنكارهم ومعارضتهم لك، ولم يكفك ربك؟ والاستفهام انكاري، والباء زائدة في الفاعل، والمفعول محذوف تقديره يكفك، وإن وما دخلت عليه في تأويل مصدر بدل من الفاعل، بدل كل من كل، والمعنى: أتحزن على كفرهم، ولم يكفك شهادة ربك لك وعليهم؟ والمفسر قرر الآية بتقرير آخر، والمؤدى واحد، حيث جعل الآية إخباراً عن حالهم، وعليه فالمعنى: ألم يعتبروا؟ أو لم يكفهم شهادة ربك لك بالصدق، وعليهم بالتكذيب؟ قوله: **(لأنكارهم البعث)** أي بألسنتهم، والمعنى: أن الدليل لنا على كونهم في شك من لقاء ربهم، إنكارهم بألسنتهم للبعث، ولا يقال: إن عندهم جزماً في قلوبهم بعدم البعث، لأننا نقول: لا دليل لهم عليه، حتى يحصل الجزم بالأوهام، أو وساوس شيطانه، والحجة القطعية إنما هي على البعث، وهكذا سائر عقائد الكفر فتدبر. قوله: ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ تسلية له ﷺ والمعنى: لا تحزن على كفرهم، فإن الله محيط بكل شيء، فلا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، ومن لازمه أنه يجازيهم، فلذلك قال المفسر: **(فيجازيهم)**.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الشُّورَىٰ

مكيّة
وآياتها ثلاث وخمسون

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿حمٓ﴾ (١) ﴿عٓسٓقٓ﴾ (٢) الله أعلم بمراده به ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل ذلك الإيحاء ﴿يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَ﴾ أوحى ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ﴾ فاعل الإيحاء ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ في

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الشورى مكية

إلا ﴿قل لا أسألكم﴾ الآيات الأربع. وهي ثلاث وخمسون آية

بالتعريف، وتسمى أيضاً سورة شورى من غير تعريف، وسورة حم عسق، وسورة عسق، وسورة حم سق. قوله: (**إلا ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً﴾**) إلخ، وقيل: أول المدني ﴿**ذلك الذي يبشر الله عباده**﴾ وينتهي إلى ﴿**عليم بذات الصدور**﴾ وقيل: فيها من المدني أيضاً. قوله: ﴿**والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون**﴾ إلى قوله: ﴿**من سبيل**﴾. قوله: ﴿**حٓم عسق**﴾ أجمع القراء على أن ﴿**حٓم**﴾ مفصولة من ﴿**عسق**﴾ في الخط، وعلى أن ﴿**كهيعص**﴾ متصلة ببعضها، والحكمة في ذلك أن ﴿**حٓم عسق**﴾ فصلت لما قيل: إنهما اسمان للسورة، وأيضاً ليطابق سائر الحواميم. قوله: (**أي مثل ذلك الإيحاء**) أشار بذلك إلى أن الكاف في محل نصب على المفعولية المطلقة، والمعنى: يوحي إليك وإلى الذين من قبلك ايحاء مثل ذلك الإيحاء في المعنى، لما ورد عن ابن عباس: ليس من نبي صاحب كتاب، إلا وقد أوحي إليه ﴿**حٓم عسق**﴾ ووجه المشابهة أن الوحي به في الكل، يرجع لأمور ثلاثة: التوحيد، والنبوة، والبعث، فهذا القدر مشترك بين القرآن وغيره من الكتب.

قوله: ﴿**يُوحِي إِلَيْكَ**﴾ جمهور القراء على أنه بالياء مبنياً للفاعل والله فاعله، وقرأ ابن كثير بالبناء للمفعول، ونائب الفاعل إما ضمير عائد على ﴿**كَذَٰلِكَ**﴾ أو الجار والمجرور، وقوله: ﴿**الله الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ فاعل بفعل محذوف كأنه قيل من يوحيه؟ فقيل: يوحيه الله، نظير ﴿**يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال**﴾ وقرىء شذوذاً بالنون مبنياً للفاعل، ولفظ الجلالة بدل من الضمير في نوحي الواقع فاعلاً. قوله: ﴿**وَ**﴾ (**أوحى**) ﴿**إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ**﴾ أشار بذلك إلى أن يوحي مستعمل في حقيقته ومجازه، فهو مستعمل في المستقبل، بالنظر لما لم ينزل عليه من القرآن حينئذ، وفي الماضي بالنظر لما أنزل عليه بالفعل،

ملكه ﴿ٱلۡحَكِيمُ ۝٣﴾ في صنعه ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾ على خلقه ﴿ٱلۡعَظِيمُ ۝٤﴾ الكبير ﴿تَكَادُ﴾ بالتاء والياء ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ﴾ بالنون، وفي قراءة بالتاء والتشديد ﴿مِن فَوۡقِهِنَّۚ﴾ أي تنشق كل واحدة فوق التي تليها، من عظمة الله تعالى ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ أي ملابسين للحمد ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ من المؤمنين ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ﴾ لأوليائه ﴿ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ بهم ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي الأصنام ﴿أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ﴾ محصٍ ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ ليجازيهم ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ۝٦﴾ تحصل

وبالنظر لما أنزل على الرسل السابقين. قوله: (فاعل الإيحاء) أي على قراءة الجمهور، وأما على قراءة البناء للمفعول، فهو فاعل بفعل محذوف، وعلى قراءة النون، فهو بدل من ضمير نوحي.

قوله: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾(على خلقه) أي المنزه عن صفات خلقه. قوله: ﴿الْعَظِيمُ﴾ أي المنفرد بالكبرياء والعظمة. قوله: (بالنون) إلخ، ظاهره أن القراءات أربع، من ضرب اثنتين في اثنتين، وليس كذلك، بل هي ثلاثة فقط سبعيات، لأن من قرأ ﴿تَكَادُ﴾ بالتاء الفوقية، يجوز في ﴿يَنْفَطِرْنَ﴾ الوجهين، ومن قرأ (يكاد) بالياء التحتية لا يقرأ يتفطرن إلا بالتاء مع التشديد. قوله: (أي تنشق كل واحدة) أي تسقط السابعة فوق السادسة، والسادسة فوق الخامسة، وهكذا، إلى أن يسقط الجميع فوق الأرض ﴿فتنشق الأرض وتخر الجبال هداً﴾والتقييد بالفوقية أبلغ، في مزيد الهيبة والجلال. قوله: (فوق التي تليها) أشار بذلك إلى أن الضمير في ﴿فَوْقِهِنَّ﴾ عائد على ﴿السَّمٰوَاتُ﴾ ويصح عوده على فوق الكفار والمشركين، أو على الأرضين لتقدم ذكر الأرض. قوله: (من عظمته تعالى) أي فالسماوات تكاد تنشق وتخر، خوفاً من الجلال الناشيء على قولهم ﴿اتخذ الله ولداً﴾ يدل على ذلك ما تقدم في سورة مريم.

قوله: ﴿وَالْمَلاَئِكَةُ يُسَبِّحُونَ﴾ إلخ، هذا كلام مستأنف سيق لبيان فضل بني آدم. قوله: (من المؤمنين) أي والمراد بالملائكة حملة العرش ومن حوله، بدليل ما تقدم في غافر، فحمل المطلق على المقيد، وقيل: المراد مطلق الملائكة وبمن في الأرض العموم، فيشمل جميع الحيوانات، والمراد بالاستغفار طلب الأرزاق ودفع البلاء، وكل صحيح، ولذلك قال بعض العارفين: أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة، وأغش عباد الله لعباد الله الشياطين.

قوله: ﴿أَلاَ إِنَّ اللهَ﴾ إلخ ﴿أَلاَ﴾ أداة استفتاح يؤتى بها لتأكيد ما بعدها، وقد وصف سبحانه وتعالى نفسه بالمغفرة والرحمة، وأكد بألا الاستفتاحية، و ﴿إِنَّ﴾ والجملة الاسمية تفضلاً منه وإحساناً، للإشارة إلى أن رحمته غلبت غضبه. قوله: (أي الأصنام) تفسير للمفعول الأول فهو محذوف، والثاني هو قوله: ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ والمعنى: والذين اتخذوا الأصنام آلهة معبودة قائلين ﴿مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾يدل عليه الآية الأخرى، وأما الأولياء بمعنى المتولين خدمة ربهم، وتولاهم بمحبته ومعرفته، فمحبتهم والتعلق بهم من جملة طاعة الله، لأنهم الوسيلة لنا إلى الله ورسوله، وليست محبتنا لهم، وتوسلنا بهم شركاً، إلا إذا كانت على وجه العبادة كالسجود مثلاً، واعتقاد أنهم يؤثرون بذواتهم في نفع أو ضر، خلافاً للخوارج الضالين المضلين، حيث زعموا أن كل من توسل إلى الله بأحد سواه فهو مشرك. قوله: ﴿الله حَفِيظٌ﴾ أي ضابط لهم ولأعمالهم، فلا يغيب عنه شيء منها، ولا يفلتون منه، فهذه الآية توبيخ للكفار، وتسلية له ﷺ.

المطلوب منهم، ما عليك إلا البلاغ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الإيحاء ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ﴾ تخوِّف ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي أهل مكة وسائر الناس ﴿وَتُنذِرَ﴾ الناس ﴿يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾ أي يوم القيامة، تجمع فيه الخلائق ﴿لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهِ فَرِيقٌ﴾ منهم ﴿فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ ﴿٧﴾ النار ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي على دين واحد وهو الإسلام ﴿وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الكافرون ﴿مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿٨﴾ يدفع عنهم العذاب ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي الأصنام ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ أم منقطعة بمعنى بل التي للانتقال، والهمزة

قوله: ﴿وَكَذٰلِكَ﴾ يصح أن يكون مفعولاً مطلقاً لأوحينا، و ﴿قُرْآناً﴾ مفعول به، والتقدير: وأوحينا اليك قرآنا عربياً إيحاء كذلك، واسم الإشارة عائد على الإيحاء المتقدم في قوله: ﴿كذلك يوحي إليك﴾ إلخ، ويصح أن يكون مفعولاً به، و ﴿قُرْآناً﴾ حال، والتقدير: وأوحينا إليك ذلك الإيحاء، حال كونه قرآناً عربياً. قوله: ﴿أُمَّ الْقُرَى﴾ سميت بذلك لأنها أول بلد خلقها الله وشرفها، ولذا بعث لها أصل الخلق وأشرفهم، وهو سيدنا محمد ﷺ. قوله: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي من كل جهة، فهو مبعوث لسائر أهل الأرض، بل وأهل السماء، وإنما اقتصر على الإنذار، وإن كان مبعوثاً بالبشارة أيضاً، لأنه في ذلك الوقت لم يكن محل للبشرى، لأن الخلق في ذلك الوقت كفار.

قوله: ﴿يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ هو المفعول الثاني، والأول محذوف قدره المفسر بقوله: **(الناس)** عكس الفعل الأول، فإنه قد ذكر المفعول الأول، وحذف الثاني تقديره العذاب، ففي الآية احتباك، حيث حذف من كل نظير ما أثبته في الآخر. قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ حال من ﴿يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ قوله: ﴿فَرِيقٌ﴾ إما مبتدأ في كل خبره الجار والمجرور بعده، والمسوغ للابتداء بالنكرة وقوعها في معرض التفصيل وهو الأولى، أو مبتدأ خبره محذوف تقديره منهم، أو خبر لمبتدأ محذوف أي هم. قوله: ﴿فِي الْجَنَّةِ﴾ المراد بها دار الثواب، فنعم جميع الجنان، وقوله: ﴿وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ المراد به دار العذاب بجميع طباقها، فالجنة لمن لم يتصف بالكفر من الثقلين إنساً وجناً، والنار لمن اتصف بالكفر من المكلفين إنساً وجناً.

قوله: ﴿لَوْ شَاءَ اللهُ﴾ مفعول ﴿شَاءَ﴾ محذوف تقديره جعلهم أمة واحدة، والمعنى: أن الأمر كله لله، فلا يسأل عما يفعل لحكمة سبقت، بأن خلق الجنة وخلق لها أهلاً، وخلق ناراً وخلق لها أهلاً. قوله: **(وهو الإسلام)** أي أو الكفر. قوله: ﴿وَلٰكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ أي بفضله وإحسانه، وهم فريق الجنة. قوله: ﴿وَالظَّالِمُونَ﴾ أي وهم فريق النار، وهو مقابل قوله: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ كان مقتضى الظاهر أن يقال: ويدخل من يشاء في غضبه، وعدل عنه إلى ما ذكر، إشارة إلى دفع توهم، أن لهم شفيعاً ونصيراً في الآخرة، وأما دخولهم في الغضب، فأمر معلوم لا يحتاج للنص عليه. قوله: **(الكافرون)** تفسير للظالمون، فالمراد بالظلم الكفر، وأما الظالمون بمعنى العاصين بغير الكفر، فلهم نصير يدفع عنهم العذاب، لما في الحديث: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي». قوله: **(التي للانتقال)** أي من بيان المسبب لبيان السبب، فاتخاذهم الأصنام آلهة سبب في دخولهم النار. قوله: **(والهمزة للإنكار)** هذا أحد أوجه في ﴿أَمْ﴾ المنقطعة، وهو أنها تقدر ببل والهمزة، ويصح تقديرها ببل وحدها، أو الهمزة

للإنكار، أي ليس المحذوف أولياء ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾ أي الناصر للمؤمنين، والفاء لمجرد العطف ﴿وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٩﴾ ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ﴾ مع الكفار ﴿فِيهِ مِن شَىْءٍ﴾ من الدين وغيره ﴿فَحُكْمُهُۥٓ﴾ مردود ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ يوم القيامة يفصل بينكم، قل لهم ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝١٠﴾ أرجع ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مبدعهما ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ حيث خلق حوَّاء من ضلع آدم ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا﴾ ذكوراً وإناثاً ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ بالمعجمة يخلقكم ﴿فِيهِ﴾ في الجعل المذكور، أي يكثركم بسببه بالتوالد، والضمير للأناسي، والأنعام بالتغليب ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ الكاف زائدة لأنه تعالى لا مثل له ﴿وَهُوَ

وحدها. قوله: (أي ليس المتخذون أولياء) أي فالنفي منصب على المفعول الثاني.

قوله: ﴿فَالله هُوَ الْوَلِيُّ﴾ أي المعبود بحق المتولي أمور الخلق، والجملة المعرفة الطرفين تفيد الحصر فلا معبود بحق الله تعالى، إن قلت: مقتضى الحصر هنا أن لفظ الولي لا يتصف به المخلوق، ومقتضى آية ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ أنه يتصف به المخلوق، فكيف الجمع بينهما؟ أجيب: بأن معنى الولي هنا المعبود بحق، وذلك لا يتصف به غيره تعالى، وأما الولي في تلك الآية، فمعناه المنهمك في طاعة الله تعالى، المتولي الله أموره، وتقدم ذلك. قوله: (والفاء لمجرد العطف) أي عطف ما بعدها على ما قبلها، ورد بذلك على الزمخشري القائل: إن الفاء واقعة في جواب الشرط مقدر، أي إن أرادوا ولياً بحق، فالله هو الولي، قال أبو حيان: لا حاجة إلى هذا التقدير، لتمام الكلام بدونه.

قوله: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ﴿مَا﴾ مبتدأ شرطية أو موصولة، و ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ بيان لما، وقوله: ﴿فَحُكْمُهُ إِلَى الله﴾ خبر المبتدأ. قوله: (وغيره) أي كأمور الدنيا. قوله: (يفصل بينكم) أي فيدخل المحق الجنة والمبطل النار. قوله: ﴿ذٰلِكُمْ﴾ اسم الإشارة مبتدأ، أخبر عنه بأخبار، أولها لفظ الجلالة، وآخرها ﴿شرع لكم من الدين﴾. قوله: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي فوضت أموري. قوله: (مبدعهما) أي على غير مثال سابق.

قوله: ﴿جَعَلَ لَكُم مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي من جنسكم، وقوله: ﴿أَزْوَاجاً﴾ أي نساء. قوله: (حيث خلق حواء من ضلع آدم) أي اليسرى وهو نائم، فلما استيقظ ورآها، سكن ومال إليها، ومد يده إليها، فقالت الملائكة: مه يا آدم، قال: لم وقد خلقها الله لي؟ فقالوا: حتى تؤدي مهرها، قال: وما مهرها؟ قالوا: حتى تصلي على محمد ثلاث مرات، وفي رواية: لما رام آدم القرب منها، طلبت منه المهر، فقال: يا رب وما أعطيها؟ فقال: يا آدم صل على حبيبي محمد بن عبد الله عشرين مرة، فلما فعل ما أمر به، خطب الله له خطبة النكاح ثم قال: اشهدوا يا ملائكتي وحملة عرشي، أني زوجت أمتي حواء من عبدي آدم، والضلع بوزن عنب وحمل، فالضاد مكسورة، واللام إما مفتوحة أو ساكنة، وفعله ضلع من باب تعب اعوج، ومن باب نفع مال عن الحق.

قوله: ﴿وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجاً﴾ أي أصنافاً. قوله: (أي يكثركم بسببه) أشار بذلك إلى أن في السببية، والضمير في ﴿فِيهِ﴾ عائد على (الجعل) المأخوذ من جعل. قوله: (والضمير للأناسي) أي وهو الكاف في ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾. قوله: (بالتغليب) جواب عما يقال: كيف جمع بين العاقل وغيره في ضمير واحد؟

ٱلسَّمِيعُ﴾ لما يقال ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ ﴿١١﴾ لما يفعل ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي مفاتيح خزائنهما من المطر والنبات وغيرهما ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ امتحاناً ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاء ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٢﴾ ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ هو أول أنبياء الشريعة ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟

فكان مقتضى الظاهر أن يقال: يذرؤكم ويذرؤها. قوله: (الكاف زائدة) أي للتأكيد، وهذا أحد أجوبة عن سؤال مقدر، وهو أن ظاهر الآية يوهم ثبوت المثل له تعالى وهو محال، لأنه يصير التقدير: ليس مثل مثله شيء، فنفى المماثلة عن مثله، فثبت أن له مثلاً، ولا مثل له، وأيضاً يلزم عليه التناقض، لأنه إذا كان له مثل، فلمثله مثل، وهو هو، مع أن إثبات المثل له تعالى محال، فأجاب المفسر بأن الكاف زائدة، والتقدير: ليس مثله شيء، وهذا الجواب أسهل الأجوبة في هذا المقام. وأجيب أيضاً: بأن مثل زائدة، ورد بأن زيادة الأسماء غير جائزة أيضاً، يلزم عليه دخول الكاف على الضمير، وهو لا يجوز إلا في الشعر. وأجيب أيضاً: بأن المثل بمعنى الصفة، وحينئذ فالتقدير ليس بمثل صفته شيء. وأجيب أيضاً: بأن الكاف أصلية، والكلام من قبيل الكناية كقولهم: مثلك لا يبخل، وليس لأخي زيد أخ، ففي المماثلة عن المثل مبالغة في نفيها عنه، لأن العرب تقيم المثل مقام النفس.

قوله: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ جمع مقلاد، أو مقليد، أو أقليد. قوله: (من المطر) إلخ، بيان للخزائن، وقوله: (وغيرهما) أي كالجواهر المستخرجة من الأرض. قوله: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ تعليل ما قبله. قوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ﴾ الخطاب لأمة محمد ﷺ، والمعنى بين لكم وجعل لكم ديناً قوياً واضحاً، تطابقت على صحته الأنبياء والرسل من قبل، وهو تفصيل لما أجمل أولاً في قوله: ﴿كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك﴾.

قوله: ﴿مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً﴾ إلخ، خص هؤلاء بالذكر، لأنهم أكابر الأنبياء، وأولي العزم وأصحاب الشرائع المعظمة المستقلة المتجددة، فكان كل من هؤلاء الرسل له شرع جديد، وأما من عداهم من الرسل، إنما كان يبعث بتبليغ شرع ما قبله، فمن بين نوح وإبراهيم، وهما هود وصالح، بعثا بتبليغ شرع نوح، ومن بين إبراهيم وموسى، بعثوا بتبليغ شرع إبراهيم، وكذا من بين موسى وعيسى، بعثوا بتبليغ شرع موسى، وإنما يذكر من قبلهم، لأنه لم يكن قبل نوح أحكام مشروعة، لأن آدم كان شرعه التوحيد، ومصالح المعاش، واستمر ذلك الأمر إلى نوح، فبعثه الله تعالى بتحريم الأمهات والبنات والأخوات، ووظف عليه الواجبات، وأوضح له الآداب والديانات، ولم يزل ذلك الأمر يتأكد بالرسل، ويتناصر بالأنبياء، واحداً بعد واحد وشريعة إثر شريعة، حتى ختمها الله بخير الملل ملتنا، على لسان أكرم الرسل نبينا ﷺ، فتبين بهذا أن شرعنا معشر الأمة المحمدية، قد جمع جميع الشرائع المتقدمة. قوله: (هو أول أنبياء الشريعة) أي فهذا حكمة بدئه بنوح، وأيضاً لتقدمه في الزمان.

قوله: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أتى بالاسم الموصول الذي هو أصل الموصولات، وعبر في جانبه ﷺ بالإيحاء، تعظيماً لشأنه، ورداً على المشركين المنكرين بعثته ﷺ حيث قالوا: لست مرسلاً. قوله: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ الأوضح أن ﴿أَنْ﴾ تفسيرية بمعنى أي، ويصح أن تكون مصدرية، إما في محل رفع خبر

﴿فِيهِ﴾ هذا هو المشروع الموصى به والموحى إلى محمد ﷺ وهو التوحيد ﴿كَبُرَ﴾ عظم ﴿عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ من التوحيد ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ﴾ إلى التوحيد ﴿مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ ﴿١٣﴾ يقبل إلى طاعته ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ﴾ أي أهل الأديان في الدين، بأن وحد بعض وكفر بعض ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ بالتوحيد ﴿بَغْيًۢا﴾ من الكافرين ﴿بَيْنَهُمْۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير الجزاء ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يوم القيامة ﴿لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْۚ﴾ بتعذيب الكافرين في الدنيا ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ من محمد ﷺ ﴿مُرِيبٍ﴾ ﴿١٤﴾ موقع في الريبة ﴿فَلِذَٰلِكَ﴾ التوحيد ﴿فَٱدْعُۖ﴾ يا محمد الناس ﴿وَٱسْتَقِمْ﴾ عليه ﴿كَمَآ

لمحذوف تقديره هو إقامة الدين، أو في محل نصب بدل من مفعول ﴿شَرَعَ﴾ والمراد بإقامة الدين، تعديل أركانه وحفظه والمواظبة عليه. قوله: (وهو التوحيد) بيان للمراد من الدين الذي اشترك فيه هؤلاء الرسل، وأما قوله: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ فهو أعم من ذلك، فإن المراد به جميع الشريعة أصولاً وفروعاً، وإنما اقتصر على التوحيد، لأنه رأس الدين وأساسه.

قوله: ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ﴾ أي شق عليهم. قوله: (من التوحيد) اقتصر عليه لأنه عماد الدين، وإلا فما يدعوهم إليه عام، يشمل جميع الأصول والفروع. قوله: ﴿الله يَجْتَبِي إِلَيْهِ﴾ من الاجتباء وهو اصطفاء الله العبد وتوفيقه لما يرضاه، وتخصيصه بالفيوضات الربانية. قوله: ﴿مَنْ يُنِيبُ﴾ ضمنه معنى يقبل أو يميل، فعداه بإلى. قوله: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا﴾ الضمير عائد على أهل الأديان المتقدمين، من أول الزمان إلى آخره، كما قال المفسر، والمراد بأهل الأديان أمم الأنبياء المتقدمين، كأمة نوح، وأمة هود، وأمة صالح وغيرهم، وأخذ المفسر العموم من مجموع روايات عن ابن عباس وغيره، ففي رواية عنه أن المراد بهم قريش، والمراد بالعلم محمد، دليله قوله تعالى: ﴿فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به﴾ وقوله تعالى: ﴿فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفوراً﴾ وفي رواية عنه: أن المراد بهم أهل الكتاب بدليل قوله: ﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة﴾ وفي رواية غيره، أن المراد أمم الأنبياء المتقدمين. قوله: ﴿الْعِلْمُ﴾ (والتوحيد) أي بأن قامت عليهم الحجج والبراهين من النبي المرسل إليهم.

قوله: ﴿بَغْياً﴾ مفعول لأجله، أي تفرقوا من أجل حصول البغي بينهم الذي هو الحسد والعناد في الكفر. قوله: (بتأخير الجزاء) أي إلى يوم القيامة، وأما الدنيا فليست دار جزاء لشقي ولا سعيد. إن قلت: إن كفار الأمم الماضية، قد نزل بهم أنواع العذاب كالصيحة والخسف والمسخ وغير ذلك. أجيب: بأنه ليس بجزاء، بل هو علامة الجزاء والخزي. قوله: ﴿أُورِثُوا﴾ فعل مبني للمفعول والفاعل الله تعالى. قوله: (وهم اليهود والنصارى) تفسير للذين أورثوا الكتاب، وحينئذ فالمراد بالكتاب التوراة والإنجيل، والضمير في ﴿بَعْدِهِمْ﴾ عائد على أصولهم المتفرقين في الحق، وقيل: معنى ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ من قبلهم، ويكون الضمير حينئذ عائداً على مشركي مكة، وقيل: المراد بالذين أورثوا الكتاب مشركي العرب، والمراد بالكتاب القرآن، والضمير في ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ عائد على اليهود والنصارى. قوله: ﴿لَفِي شَكٍّ﴾ المراد به هنا مطلق التردد والتحير. قوله: (موقع في الريبة) أي الشبهات والضلالات.

قوله: ﴿فَلِذَٰلِكَ﴾ الجار والمجرور متعلق بادع، والتقدير: فادع الناس لذلك التوحيد الذي تقدم

أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ في تركه ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ﴾ أي بأن أعدل ﴿بَيْنَكُمُ﴾ في الحكم ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ فكل يجازى بعمله ﴿لَا حُجَّةَ﴾ خصومة ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ هذا قبل أن يؤمر بالجهاد ﴿ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ في المعاد لفصل القضاء ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ ﴿١٥﴾ المرجع ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى﴾ دين ﴿ٱللَّهِ﴾ نبيه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ﴾ بالإيمان لظهور معجزته وهم اليهود ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ باطلة ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ ﴿١٦﴾ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بأنزل ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ العدل ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ يعلمك ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ أي إتيانها ﴿قَرِيبٌ﴾ ﴿١٧﴾ ولعل معلق للفعل عن العمل أو ما بعده، سد مسد المفعولين ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ يقولون

ذكره في قوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ فِي الَّدِينِ﴾. قوله: ﴿وَاسْتَقِمْ﴾ الاستقامة لزوم المنهج القويم. قوله: ﴿كَمَا أُمِرْتَ﴾ أي من تقوى الله حق تقاته، وعبادته حق العبادة، ومن هنا شاب رسول الله ﷺ وقال: شيبتني هود وأخواتها، فسبب شيبه خوفه من عدم قيامه بما أمر به، ولكن خفف الله عنه وعن أمته بقوله: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ وقوله: ﴿كَمَا أُمِرْتَ﴾ الكاف بمعنى مثل، والمعنى استقم استقامة مثل الذي أمرت به، أي موافقة له.

قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي حيث قالوا: اعبد آلهتنا سنة، ونحن نعبد إلهك سنة. قوله: ﴿مِنْ كِتَابٍ﴾ بيان لما، والمعنى: آمنت بكل كتاب أنزله الله تعالى، وهذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿كل آمن بالله وملائكته وكتبه﴾ إلخ. قوله: (أي بأن أعدل) أشار بذلك إلى أن اللام بمعنى الباء، وأن المصدرية مقدرة، والفعل منصوب بها. قوله: (فكل يجازى بعمله) أي من خير وشر. قوله: (هذا قبل أن يؤمر بالجهاد) أشار بذلك إلى أن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾ الآية، وقيل: ليست منسوخة، بل المراد من الآية أن الحق قد ظهر والحجج قامت، فلم يبق إلا العناد، وبعد العناد لا حجة ولا جدال. قوله: ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ أي فيجازي كل أحد بعمله من خير وشر.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللهِ﴾ الكلام على حذف مضاف، والمفعول محذوف كما أشار لذلك المفسر. قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ﴾ أي من بعد دخول الناس في دينه، وأجابوا دعوته، فالسين والتاء زائدتان. قوله: (وهم اليهود) تفسير للموصول. قوله: ﴿دَاحِضَةٌ﴾ من الأدحاض وهو الازلاق، يقال: دحضت رجله أي زلقت، والمراد هنا الإبطال. قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ أي في الآخرة. قوله: (متعلق بأنزل) أي والباء للملابسة. قوله: ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ (العدل) أي وسمى العدل ميزاناً، لأن الميزان يحصل به الإنصاف والعدل، فهو من تسمية المسبب باسم السبب، وإنزاله الأمر به، وقيل: المراد بالميزان نفسه الذي يوزن به، والمراد بإنزاله إنزال الإلهام بعمله والأمر بالوزن به، وقيل: الميزان محمد ﷺ يقضي بينكم بكتاب الله.

قوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ استفهام إنكاري، والمعنى: لا سبب يوصلك للعلم بقربها، إلا الوحي الذي ينزل عليك. قوله: (أي إتيانها) ﴿قَرِيبٌ﴾ قدر المضاف ليصح الإخبار بالمذكر عن المؤنث. قوله: (ولعل معلق للفعل عن العمل) التعليق إبطال العمل لفظاً، لا محلاً، بسبب توسط أداة لها صدر الكلام.

متى تأتي؟ ظناً منهم أنها غير آتية ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشْفِقُونَ﴾ خائفون ﴿مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ﴾ يجادلون ﴿فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ﴾ ﴿١٨﴾ ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ برّهم وفاجرهم حيث لم يهلكهم جوعاً بمعاصيهم ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ من كل منهم ما يشاء ﴿وَهُوَ ٱلْقَوِيُّ﴾ على مراده ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ ﴿١٩﴾ الغالب على أمره ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي

قوله: (أو ما بعده سد مسد المفعولين) أي الثاني والثالث، وأما الأول فهو الكاف، ويتعين جعل (أو) بمعنى الواو. قوله: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ أي فلا يشفقون منها، وقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ أي فلا يستعجلون بها، ففي الآية احتباك حيث حذف من كل نظير ما أثبته في الآخر. قوله: ﴿أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ أي كائنة وحاصلة لا محالة. قوله: ﴿فِي السَّاعَةِ﴾ أي في إتيانها. قوله: ﴿لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ أي عن الاهتداء.

قوله: ﴿اللهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ أي حفيّ بهم، وقيل: بارّ بهم، وقيل: رفيق بهم، وقيل: معناه لطيف بهم في العرض والمحاسبة، وقيل: يلطف بهم في الرزق من وجهين: أحدهما أنه جعل رزقك من الطيبات، والثاني أنه لم يدفعه اليك مرة واحدة فتبذره، وقيل اللطيف من إذا لجأ إليه أحد من عباده قبله وأقبل عليه، وفي الحديث: «إن الله تعالى يطلع على القبور الدوارس، فيقول الله عز وجل: انمحقت آثارهم، واضمحلت صورهم، وبقي عليهم العذاب، وأنا اللطيف، وأنا أرحم الراحمين خففوا عنهم» وقيل: اللطيف الذي ينشر من عباده المناقب، ويستر عليهم المثالب، ومنه حديث: «يا من أظهر الجميل وستر القبيح»، وقيل: هو الذي يقبل القليل، ويبذل الجزيل، وقيل: هو الذي يجبر الكسير وييسر العسير، وقيل: هو الذي لا يخاف إلا عدله، ولا يرجى إلا فضله، وقيل: هو الذي يعين على الخدمة، ويكثر المدحة، وقيل: هو الذي لا يعاجل من عصاه، ولا يخيب من رجاه، وقيل: هو الذي لا يرد سائله، ولا يؤيس آمله، وقيل: هو الذي يعفو عمن يهفو، وقيل: هو الذي يرحم من لا يرحم نفسه، وقيل: هو الذي أوقد في أسرار العارفين من المشاهدة سراجاً، وجعل لهم الصراط المستقيم منهاجاً، وأجزل لهم من سحائب بره ماء ثجاجاً، وبالجملة فهذا الاسم جامع لمعاني الأسماء الجمالية، فينبغي للعاقل الإكثار من ذكره، سيما إذا قصد بذكره رضا ربه، فإن له السعادة دنيا وأخرى، ويكفي همومهما لما ورد: اعمل لوجه واحد، يكفك كل الأوجه. قوله: (من كل منهم) بيان لمن، والمعنى: أن الذي يشاء رزقه هو كل منهم.

قوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ﴾ إلخ، الحرث في الأصل إلقاء البذر في الأرض، ويطلق على الزرع الحاصل منه، ثم استعمل في ثمرات الأعمال ونتائجها، على سبيل الاستعارة، حيث شبهت ثمرات الأعمال بالغلال الحاصلة من البذر، بجامع حصول العمل والتعب في كل، فإن من أتعب نفسه أيام البذر، واشتغل بالحرث والزرع أراحها ووجد الثمرات أيام الحصاد، فكذلك من أتعب نفسه في الدنيا، وعمل ابتغاء وجه ربه، فإنه يجد ثمرات أعماله في الآخرة، ومنها هنا حديث: «الدنيا مزرعة للآخرة»، وهذه الآية عامة، لبيان حال المخلص في عمله لوجه الله، والذي يطلب بعمله أعراض الدنيا ذكراً أو أنثى، لأن ﴿مَنْ﴾ من صيغ العموم، وقوله: (بعمله) المراد به خدمته في الدنيا، صلاة أو صوماً أو غيرهما، كالسعي على العيال، وحينئذ فالمدار على النية الحسنة، إذ بها تصير العادات عبادات. قوله:

كسبها وهو الثواب ﴿نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ بالتضعيف فيه الحسنة إلى العشرة وأكثر ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ بلا تضعيف ما قسم له ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿أَمْ﴾ بل ﴿لَهُمْ﴾ لكفار مكة ﴿شُرَكَٰٓؤُا۟﴾ هم شياطينهم ﴿شَرَعُوا۟﴾ أي الشركاء ﴿لَهُم﴾ للكفار ﴿مِّنَ ٱلدِّينِ﴾ الفاسد ﴿مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ كالشرك وإنكار البعث ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ﴾ أي القضاء السابق بأن الجزاء في يوم القيامة ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ وبين المؤمنين بالتعذيب لهم في الدنيا ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٢١﴾ مؤلم ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يوم القيامة ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين ﴿مِمَّا كَسَبُوا۟﴾ في الدنيا من السيئات أن يجازوا عليها ﴿وَهُوَ﴾ أي الجزاء عليها ﴿وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ يوم القيامة لا محالة ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ﴾ أنزهها بالنسبة إلى من

(الحسنة) منصوب بالمصدر الذي هو التضعيف.

قوله: ﴿وَمَنَ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا﴾ إلخ، أي بعمله وخدمته، والمعنى: من صرف نيته للدنيا، وجعل عمله وخدمته لها، نعطيه ما قسم له منها، وبعد ذلك ليس له في الآخرة حظ ولا نصيب، فالذي ينبغي للشخص أن يسعى فيما يرضي ربه، ويقصد بعمله وجه خالقه وسيده، يحصل له غنى الدنيا والآخرة، ومن معنى هذه الآية حديث: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه». وحديث: «أوحى الله إلى الدنيا: يا دنيا، من خدمني فاخدميه، ومن خدمك فاستخدميه». قوله: (ما قسم له) مفعول ﴿نُؤْتِهِ﴾.

قوله: ﴿وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ أي حظ من النعيم، واعلم أن المقام فيه تفصيل، فإن تجرد عمله للدنيا، وقدم السعي فيها على الإيمان، فهو مخلد في النار، وليس له في الآخرة نعيم أصلاً، وأما إن كان التفريط فيما عدا الإيمان، كأن يرائي بعمله قصداً لطلب الدنيا، فهو مسلم عاص، له نعيم في الآخرة غير كامل. قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ قدرها المفسر ببل التي للانتقال من قصة إلى قصة، وقدرها غيره ببل، والهمزة التي للتوبيخ والتقريع، وهو متصل بقوله: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً﴾. قوله: (شياطينهم) أي الذين شاركوكم في الكفر والعصيان.

قوله: ﴿شَرَعُوا لَهُمْ﴾ إسناد الشرع إلى الشياطين مجاز من الإسناد للسبب، لأنها سبب إضلالهم. قوله: ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ أي حكم بين الكفار والمؤمنين، بأن يعذب الكفار، ويثيب المؤمنين، ولكن حكم الله وقضى في سابق أزله، أن الثواب والعقاب يكونان يوم القيامة. قوله: ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ﴾ خطاب لكل من تتأتى منه الرؤية. قوله: ﴿مُشْفِقِينَ﴾(حال) أي حال كونهم خائفين في ذلك اليوم، وهذا الخوف زيادة عذاب لهم، وأما المنجي فهو الخوف في الدنيا من عذاب الله. قوله: (أن يجازوا عليها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، أي من جزاء ما كسبوا. قوله: (لا محالة) أي أشفقوا أو لم يشفقوا.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ مبتدأ خبره ﴿فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾. قوله: (أنزهها بالنسبة إلى من

دونهم ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ۝٢٢﴾ ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ﴾ من البشارة مخففاً ومثقلاً به ﴿ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ﴾ ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي على تبليغ الرسالة ﴿أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰۗ﴾ استثناء منقطع، أي لكن أسألكم أن تودوا قرابتي التي

دونهم) أي فروضة الجنة، أي أعلاها وأطيبها، وفيه إشارة إلى أن الذين آمنوا ولم يعملوا الصالحات في الجنة، غير أنهم ليسوا في الأعلى، ولا في الأطيب. قوله: ﴿**عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾ ظرف ليشاؤون، والعندية مجازية. قوله: ﴿**الْفَضْلُ الْكَبِيرُ**﴾ أي الذي لا يوصف، لأن الله تعالى بجلاله وعظمته وصفه بالكبر، فمن ذا الذي يستطيع أن يصفه من الحوادث. قوله: ﴿**ذٰلِكَ**﴾ مبتدأ، و ﴿**الَّذِي يُبَشِّرُ**﴾ خبره، والعائد محذوف قدره المفسر بقوله: **(به)** حذف الجار فاتصل الضمير، وهذا على الصحيح من أنها اسم موصول، وأما على رأي يونس من أنها مصدرية، فلا تحتاج إلى عائد، والتقدير عنده ذلك تبشير الله إلى عباده. قوله: **(من البشارة)** أي وهي الخبر السار. قوله: **(مخففاً ومثقلاً)** أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً**﴾ أي قل يا محمد لأمتك: لا أطلب منكم أجراً في نظير تبليغ الرسالة وتبشيري اياكم؛ ولا خصوصية له ﷺ بذلك، بل جميع الأنبياء لا يسألون الأجرة، لأن سؤال الأجرة على الأمور الأخروية، نقص في حق غير الأنبياء فأولى الأنبياء. قوله: ﴿**إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ اختلف المفسرون في معنى هذه الآية على ثلاثة أقوال، الأول عن ابن عباس: أن النبي ﷺ كان وسط النسب من قريش، ليس بطن من بطونهم إلا وقد ولده، وكان له فيهم قرابة، فقال الله عز وجل: ﴿**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ أي ما بيني وبينكم من القرابة، والمعنى: إن لم تتبعوني، فاحفظوا حق القربى، وصلوا رحمي، ولا تؤذوني، يعد عليكم نفعها، لما في الحديث: «الرحم معلقة بالعرش تقول: اللهم صل من وصلني، واقطع من قطعني» فثمرته عائدة عليهم لا على النبي ﷺ. الثاني عنه أيضاً: أن النبي ﷺ لما قدم المدينة، لم يكن في يده سعة فقالت الأنصار: إن هذا الرجل هداكم، وهو ابن أختكم، وأجاركم في بلدكم، فاجمعوا له طائفة من أموالكم، ففعلوا ثم أتوه بها فردها عليهم، ونزلت الآية، وحينئذ فالخطاب للأنصار. الثالث عن الحسن: أن معناه إلا أن تجعلوا محبتكم ومودتكم محصورة في التقرب إلى الله بطاعته وخدمته لا لغرض دنيوي، فالقربى على الأول القرابة بمعنى الرحم، وعلى الثاني بمعنى الأقارب، على الثالث بمعنى القرب والتقرب، واعلم أن طلب الأجر على التبليغ لا يجوز لوجوه، الأول: تبري الأنبياء جميعاً منه. الثاني: أن التبليغ واجب، وطلب الأجرة على أداء الواجب لا يليق بأفراد الأمة فضلاً عن الأنبياء. الثالث: أن النبوة أمر عظيم، والدنيا وإن عظمت حقيرة، لا تزن جناح بعوضة، ولا يليق طلب الخسيس في دفع الشريف، وغير ذلك، إن قلت: حيث كان الأمر كذلك، فما معنى الاستثناء في الآية؟ أجيب بجوابين، الأول: أن هذا من تأكيد المدح بما يشبه الذم، على حد قول الشاعر:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

فالمعنى: لا أطلب إلا هذا، وهو في الحقيقة ليس بأجر، لأن المودة بين المسلمين واجبة، خصوصاً في حق أشرافهم، وحينئذ فيكون الاستثناء متصلاً بالنظر للظاهر. الثاني: أن الاستثناء منقطع كما قال المفسر، وحينئذ فالكلام تم عند قوله: ﴿**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً**﴾ ثم قال: ﴿**إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ أي أذكركم قرابتي، والمراد بقرابته قيل: فاطمة وعلي وابناهما، وقيل: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر

هي قرابتكم أيضاً، فإن له في كل بطن من قريش قرابة ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ﴾ يكتسب ﴿حَسَنَةً﴾ طاعة ﴿نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾ بتضعيفها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾ للقليل فيضاعفه ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة القرآن إلى الله تعالى ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ﴾ يربط ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ بالصبر على أذاهم بهذا القول وغيره وقد فعل ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ الذي قالوه ﴿وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ﴾ يثبته ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦٓ﴾ المنزلة على نبيه ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾﴾ بما في القلوب ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ منهم ﴿وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ المتاب عنها ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ بالياء والتاء ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يجيبهم إلى ما يسألون ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾﴾ ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ﴾ جميعهم ﴿لَبَغَوْاْ﴾ جميعهم،

وآل عباس، لما روي عن زيد بن أرقم عن النبي ﷺ أنه قال: «إني تارك فيكم ثقلين: كتاب الله، وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي» قيل لزيد بن أرقم: فمن أهل بيته؟ فقال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس، وقيل: هم الذين تحرم عليهم الزكاة، وقيل: غير ذلك، فتحصل أن الخطاب على القول الأول لقريش، وعلى الثاني للأنصار، والعبرة بعموم اللفظ، لأن رحم النبي، رحم لكل مؤمن، لقوله تعالى: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم﴾ فمحبة أهل البيت، فيها السعادة والسيادة، دنيا وأخرى، والمرء يحشر مع من أحب، وقوله: ﴿فِي الْقُرْبَى﴾ الظرفية مجازية. والمعنى: إلا المودة العظيمة المحصورة في القربى، وإنما لم يعدها باللام لئلا يتوهم زيادة اللام، فيكون الكلام خالياً من البلاغة، فالتعبير بفي للمبالغة، إشارة إلى أنهم جعلوا محلاً للمودة، وهم لها أهل. قوله: **(فإن له في كل بطن)** أي قبيلة. . قوله: **(من قريش)** أي وهم أولاد النضر بن كنانة أحد أجداده ﷺ. قوله: ﴿حَسَنَةً﴾ فسرها ابن عباس بالمودة لآل محمد ﷺ. قوله: **(بتضعيفها)** أي من عشرة إلى سبعين إلى سبعمائة إلى غير ذلك. قوله: ﴿شَكُورٌ﴾**(للقليل)** أي يقبله ويثيب عليه. قوله: **(وقد فعل)** أي وقد ختم على قلبه ﷺ بأن صبره على ما ذكر، فدل كلامه على أن مشيئة الختم هنا مقطوع بوقوعها. قوله: ﴿وَيَمحُ الله الْبَاطِلَ﴾ كلام مستأنف غير داخل في حيز الشرط، لأنه تعالى يمحو الباطل مطلقاً. قوله: ﴿بِكَلمَاتِهِ﴾ أي القرآن. قوله: **(بما في القلوب)** أشار بذلك إلى أنه أطلق المحل وأراد الحال.

قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ التوبة الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة، ولها شروط ثلاثة: الإقلاع عن المعصية، والندم على فعلها، والعزم على ألا يعود إليها أبداً فإن كانت المعصية بحق آدمي، فيزاد على هذه الثلاثة رابع، وهو استسماح صاحب الحق، ويكفي عند مالك براءة المجهول، فلا يشترط عنده أن يعين له ذلك الحق، فإذا تاب بالشروط، وقدر الله عليه الوقوع في الذنب مرة أخرى، فإنه يتوب، ولا يقنط من رحمة الله تعالى، ولا ترجع عليه ذنوبه التي تاب منها. قوله: **(منهم)** أشار بذلك إلى أن ﴿عَنْ﴾ بمعنى من، والقبول بمعنى الأخذ. قوله: **(المتاب منها)** أي ويصح أن المراد ولو لم يتب، فمن صفاته تعالى أنه يقبل توبة التائب، ويعفو عن سيئات من لم يتب، إذ لا يسأل عما يفعل. قوله: **(بالياء والتاء)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(يجيبهم إلى ما يسألون)** أشار بذلك إلى أن السين والتاء زائدتان، والموصول مفعول به، والفاعل ضمير يعود على الله تعالى. قوله: ﴿لَبَغَوْا﴾**(جميعهم)** دفع بذلك ما يقال: إن البغي حاصل بالفعل فكيف يصح انتفاؤه؟

أي طغوا ﴿فِي ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ﴾ بالتخفيف والتشديد من الأرزاق ﴿بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ فيبسطها لبعض عباده دون بعض وينشأ عن البسط البغي ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ المطر ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾ يئسوا من نزوله ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ يبسط مطره ﴿وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾ المحسن للمؤمنين ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ ﴿٢٨﴾ المحمود عندهم ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَ﴾ خلق ﴿مَا بَثَّ﴾ فرق ونشر ﴿فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ﴾ هي ما يدب على الأرض من الناس وغيرهم ﴿وَهُوَ عَلَىٰ

فأجاب: بأن اللازم المنتفي هو بغي جميعهم، والملزوم بسط الرزق للجميع وإلا فبغي البعض، وبسط الرزق للبعض، حاصل في كل زمن. قوله: **(أي طغوا)** **﴿فِي الأَرْضِ﴾** أي لأن الله تعالى لو سوى في الرزق بين جميع عباده، لامتنع كون البعض محتاجاً للبعض، وذلك يوجب خراب العالم وفساد نظامه، فأفعال الله تعالى لا تخلو عن مصالح، وإن لم يجب على الله فعلها، فقد يعلم من حال عبد، أنه لو بسط عليه الرزق، قاده ذلك إلى الفساد، فيزوي عنه الدنيا مصلحة له، ففي حديث أنس عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: «إن من عبادي المؤمنين من يسألني الباب من العبادة، وإني عليم أني لو أعطيته إياه لدخله العجب فأفسده، وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا الغنى، ولو أفقرته لأفسده الفقر، وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا الفقر، ولو أغنيته لأفسده الغنى، وإني لأدبر عبادي لعلمي بقلوبهم، فإني عليم خبير» ثم قال أنس: اللهم إني من عبادك المؤمنين الذي لا يصلحهم إلا الغنى، فلا تفقرني برحمتك. قوله: **(بالتخفيف والتشديد)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(فيبسطها لبعض دون بعض)** أي ويبسطها للبعض أحياناً، ويضيقها عليه أحياناً، فلا يسأل عما يفعل. قوله: **﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ﴾** تعليل لما قبله. والمعنى عليم بالبواطن والظواهر.

قوله: **﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ﴾** بالتخفيف والتشديد، قراءتان سبعيتان. قوله: **﴿مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾** العامة على فتح النون، وقرىء شذوذاً بكسر النون، ومضارعها بفتح النون، وبه قرىء في المتواتر، فتحصل أنه في المضارع قرىء بالوجهين قراءة سبعية، وفي الماضي لم يقرأ في السبع إلا بالفتح، والكسر قراءة شاذة، وإن كان لغة فيه. قوله: **(يبسط مطره)** أشار بذلك إلى أن المطر سمي باسمين: الغيث لأنه يغيث من الشدائد، والرحمة لأنه رحمة وإحسان للخلق، ويصح أن يراد بالرحمة البراكات؛ أي بركات الغيث، ومنافعه في كل شيء، ومن السهل والجبل والنبات والحيوان وحينئذ فيكون عطفه على ما قبله، من عطف المسبب على السبب. قوله: **(المحمود عندهم)** أي وعند جميع المخلوقات، وإنما خص المؤمنين تشريفاً لهم.

قوله: **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾** أي دلائل قدرته وعجائب وحدانيته. قوله: **﴿خَلْقُ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ﴾** أي فإنهما بذاتها وصفاتها، يدلان على اتصاف خالقهما بالكمالات، قال تعالى: ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها﴾ الآية. قوله: **﴿وَ﴾(خلق) ﴿مَا بَثَّ﴾** أشار بذلك إلى أن قوله: **﴿وَمَا بَثَّ﴾** معطوف على **﴿السَّمٰواتِ﴾** مسلط عليه **﴿خَلْقُ﴾** ويصح أن يكون في محل رفع عطف على **﴿خَلْقُ﴾**. قوله: **(هي ما يدب على الأرض)** أشار بذلك إلى أن المراد في أحدهما، فهو من اطلاق المثنى على المفرد، كما في قوله تعالى: ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ وإنما يخرجان من أحدهما وهو الملح، وهذا أسلم وأحسن مما

﴿جَمۡعِهِمۡ﴾ للحشر ﴿إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ﴾ ﴿٢٩﴾ في الضمير تغليب العاقل على غيره ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم﴾ خطاب للمؤمنين ﴿مِّن مُّصِيبَةٖ﴾ بلية وشدة ﴿فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ أي كسبتم من الذنوب، وعبر بالأيدي لأن أكثر الأفعال تزاول بها ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ ﴿٣٠﴾ منها فلا يجازي عليها وهو تعالى أكرم من أن يثني الجزاء في الآخرة، وأما غير المذنبين فما يصيبهم في الدنيا لرفع درجاتهم في الآخرة ﴿وَمَآ

قيل: إن الآية باقية على ظاهرها، ولا مانع من أن الله تعالى خلق حيوانات في السماوات، يمشون فيها كمشي الأناسي على الأرض، لأن ذلك بعيد من الافهام، لكونه على خلاف العرف العام.

قوله: ﴿إِذَا يَشَاءُ﴾ متعلق بجمعهم، و ﴿قَدِيرٌ﴾ خبر الضمير، و ﴿عَلَى جَمْعِهِمْ﴾ متعلق بقدير، والمعنى: وهو قدير على جمعهم في أي وقت شاء، وهو معنى قوله تعالى: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ فمتى أراد الله شيئاً أبرزه بقدرته. قوله: (في الضمير) أي وهو قوله: ﴿عَلَى جَمْعِهِمْ﴾ ولو لم يرد التغليب لقال على جمعها. قوله: (خطاب المؤمنين) أي وأما مصائب الكفار في الدنيا، فتعجيل لبعض العقاب لهم. قوله: ﴿مِنْ مُصِيبَةٍ﴾ بيان لما، وقوله: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ جواب الشرط إن جعلت ما شرطية، أو خبر المبتدأ إن جعلت موصولة، وقرنت بالفاء لما في المبتدأ على معنى الشرط، وهذا على ثبوت الفاء، وأما على حد قراءة حذفها، فالأولى جعلها خبراً وما موصولة، وجعلها شرطية يلزم عليه حذف الفاء في جوابه هو شاذ والقراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ من تتمة قوله: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ والمعنى: أن الذنوب قسمان، قسم تعجل العقوبة عليه في الدنيا بالمصائب، وقسم يعفو عنه فلا يعاقب عليه بها، وما يعفو عنه أكثر، قال علي بن أبي طالب: هذه الآية أرجى آية في كتاب الله عز وجل، وإذا كان يكفر عني بالمصائب ويعفو عن كثير؛ فأي شيء يبقى بعد كفارته وعفوه؟ وقد روي هذا المعنى مرفوعاً عنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال علي بن أبي طالب: ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها النبي ﷺ: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ الآية؟ «يا علي، ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا، فبما كسبت أيديكم، والله أكرم من أن يثني عليكم العقوبة في الآخرة، وما عفا عنه في الدنيا، فالله أحلم من أن يعاقب به بعد عفوه». وقال الحسن: لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «ما من اختلاف عرق، ولا خدش عود، ولا نكتة حجر، إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر». وقال الحسن: دخلنا على عمران بن حصين، فقال رجل: لا بد أن أسألك عما أرى بك من الوجع، فقال عمران: يا أخي لا تفعل، فوالله إني لأحب الوجع، ومن أحبه كان أحب الناس إلى الله، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ فهذا مما كسبت يدي، وعفو ربي عما بقي أكثر. وقال عكرمة: ما من نكبة أصابت عبداً فما فوقها، إلا بذنب لم يكن الله ليغفره إلا بها، أو لنيل درجة لم يكن ليوصله إليها إلا بها. وروي أن رجلاً قال لموسى: يا موسى سل الله لي في حاجة يقضيها لي هو أعلم بها، ففعل موسى، فلما ترك إذا هو بالرجل قد مزق السبع لحمه وقتله، فقال موسى: يا رب ما بال هذا؟ فقال الله تعالى: يا موسى إنه سألني درجة علمت أنه لا يبلغها بعمله، فأصبته بما ترى، لأجعله وسيلة له في نيل تلك الدرجة. قوله: (وهو تعالى أكرم) إلخ، متعلق بقوله: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ فكان المناسب تقديمه بلصقه. قوله: (من أن يثني الجزاء في الآخرة) أي من أن يعيد الجزاء بالعقوبة في الآخرة، لأن الكريم لا يعاقب مرتين. قوله:

﴿أَنتُم﴾ يا مشركين ﴿بِمُعۡجِزِينَ﴾ الله هرباً ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ فتفوتونه ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾ ﴿٣١﴾ يدفع عذابه عنكم ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ﴾ السفن ﴿فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ﴾ ﴿٣٢﴾ كالجبال في العظم ﴿إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ﴾ يصرن ﴿رَوَاكِدَ﴾ ثوابت لا تجري ﴿عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ﴾ ﴿٣٣﴾ هو المؤمن يصبر في الشدة ويشكر في الرخاء ﴿أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ﴾ عطف على يسكن، أي يغرقهن بعصف الريح بأهلهن ﴿بِمَا كَسَبُواْ﴾ أي أهلهن من الذنوب ﴿وَيَعۡفُ عَن كَثِيرٖ﴾ ﴿٣٤﴾ منها فلا يغرق أهله ﴿وَيَعۡلَمَ﴾ بالرفع مستأنف

(وأما غير المذنبين) أي كالأنبياء والأطفال والمجانين. قوله: (لرفع درجاتهم) وقيل في الأطفال: إن مصائبهم لتكفير سيئات أبويهم، وفي الحقيقة رفع درجات لهم، وتكفير لآبائهم. قوله: (يا مشركين) كذا في النسخ التي بأيدينا، والصواب يا مشركون، لأن المنادى يبنى على ما يرفع به، وهو يرفع بالواو. قوله: ﴿بِمُعْجِزِينَ﴾(الله) أي فارين من عذابه.

قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ أي أدلة توحيده وعجائب قدرته. قوله: ﴿الْجَوَارِ﴾ بحذف الياء خطأ، لأنها من ياءات الزوائد، واثباتها في اللفظ وصلاً ووقفاً، وحذفها كذلك أربع قراءات سبعيات. قوله: (السفن) استشكل بأن الظاهر الآية، يوهم حذف الموصوف وإبقاء صفته، مع أن الجري ليس من الصفات الخاصة بالموصوف وهو (السفن) وحينئذ فلا يجوز حذفه لعدم علمه. قال ابن مالك:

وما من المنعوت والنعت عقل   يجوز حذفه وفي النعت يقل

أجيب: بأن محل الإمتناع، إذا لم تجر الصفة مجرى الجوامد، بأن تغلب عليها الاسمية، كالأبطح والأبرق والأجرع، وإلا جاز حذف الموصوف، ولذلك فسر ﴿الْجَوَارِ﴾ بالسفن، ولم يقل أي السفن الجارية. قوله: ﴿فَيَظْلَلْنَ﴾ بفتح اللام وفي قراءة العامة، من ظلل بكسرها كعلم، وقرىء شذوذاً فيظللن بكسر اللام من ظل بفتحها كضرب. قوله: (أي يصرن) أشار بذلك إلى أن المراد من ظل الصيرورة في ليل أو نهار، وليس المراد معناها، وهو اتصاف المخبر عنه بالخبر نهاراً. قوله: ﴿رَوَاكِدَ﴾ جمع راكد، يقال: ركد الماء ركوداً، من باب قعد سكن، ويوصف به الريح والسفينة وكل شيء سكن بعد تحركه. قوله: ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ أي كثير الصبر على البلايا، عظيم الشكر على العطايا. قوله: (عطف على يسكن) أي فالمعنى: إن يشأ يسكن الريح فيركدن، أو يعصفها فيغرقن، ولا مفهوم له، بل قد يغرقها الله بسبب آخر، كقلع لوح أو غير ذلك. قوله: (بعصف الريح بأهلهن) أي اشتدادها، وإنما قيد به، وإن كانت أسباب الغرق كثيرة، نظراً للشأن والغالب. قوله: (أي أهلهن) تفسير للواو في ﴿كَسَبُوا﴾ العائد على أهل السفن المعلوم من السياق.

قوله: ﴿وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ قرأ العامة بالجزم، عطفاً على جواب الشرط، واستشكل بأنه يلزم عليه دخول العفو في حيز المشيئة، مع أنه إخبار عن العفو، من غير شرط المشيئة، وأجيب: بأن الجزم من حيث الصورة الظاهرية، لا من حيث المعنى، وقرىء شذوذاً ويعفو بالرفع والنصب، أما قراءة الرفع فهي محتملة لوجهين: الأول الاستئناف، الثاني الجزم، وزيدت الواو للإشباع، كزيادتها في من يتقي ويصبر، وأما قراءة النصب، فهي على إضمار أن بعد الواو، وقال ابن مالك:

وبالنصب معطوف على تعليل مقدر، أي يغرقهم لينتقم منهم ويعلم ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ۝٣٥﴾ مهرب من العذاب، وجملة النفي سدت مسد مفعولي يعلم، والنفي معلق عن العمل ﴿فَمَآ أُوتِيتُم﴾ خطاب للمؤمنين وغيرهم ﴿مِّن شَيْءٍ﴾ من أثاث الدنيا ﴿فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يتمتع به فيها ثم يزول ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٣٦﴾ ويعطف عليه ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ موجبات الحدود، من عطف البعض على الكل ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ۝٣٧﴾ يتجاوزون ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟

والفعل من بعد الجزا إن يقترن ... بالفا أو الواو بتثليث قمن

وهذا نظير ما في قوله تعالى: ﴿فيغفر لمن يشاء﴾. قوله: **(منها)** أي الذنوب أو السفن. قوله: **(بالرفع مستأنف)** أي وهو يعلم، وقوله: **(وبالنصب)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(لينتقم منهم)** أي بالغرق، وهو تعليل للإغراق. قوله: **﴿فَمَا أُوتِيتُمْ﴾** ما الشرطية مفعول ثان لأوتيتم، والأول ضمير المخاطبين به نائب الفاعل، و **﴿مِنْ شَيْءٍ﴾** بيان لما، وقوله: **﴿فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾** جملة من مبتدأ وخبر جواب الشرط. قوله: **(من أثاث الدنيا)** أي منافعها من مأكل ومشرب وملبس ومنكح ومركب وغير ذلك، واحدة أثاثة، وقيل: لا واحد له من لفظه. قوله: **(ثم يزول)** أخذ من قوله: **﴿مَتَاعُ﴾** لأن المتاع هو ما يتمتع به تمتعاً ينقضي. قوله: **﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾** أي اتصفوا بالإيمان وماتوا عليه.

قوله: **﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾** أي يعتقدون أن لا ملجأ لهم من الله إلا إليه، ولا ضار ولا نافع سواه، والتوكل بهذا المعنى شرط في صحة الإيمان، وأما إن أريد به تفويض الأمور إليه، والاعتماد عليه في جميع ما ينزل بالشخص، فليس شرطاً في صحته، بل هو وصف كامل الإيمان، وليس مراداً هنا، لأن ما عند الله من الثواب، يكون لعموم المؤمنين. قوله: **(ويعطف عليه)** أي على قوله: **﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾**. قوله: **﴿يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ﴾** هي كل ما ورد فيها حد أو وعيد. قوله: **(من عطف البعض على الكل)** مراده عطف الخاص على العام، لأن من الكبائر ما فيه الوعيد، ولا حد فيه، كالغيبة والنميمة والعجب والرياء.

قوله: **﴿وإِذَا مَا غَضِبُوا﴾** إلخ **﴿إِذَا﴾** ظرف منصوب بيغفرون مجرد عن معنى الشرط، و **﴿مَا﴾** صلة، و **﴿هُمْ﴾** مبتدأ، و **﴿يَغْفِرُونَ﴾** خبره، والجملة معطوفة على الصلة، والتقدير: والذين يجتنبون وهم يغفرون، عطف جملة اسمية على فعلية، ويصح أن تكون **﴿إِذَا﴾** شرطية، و **﴿مَا﴾** صلة، و **﴿غَضِبُوا﴾** فعل الشرط و **﴿هُمْ﴾** تأكيد للواو، و **﴿يَغْفِرُونَ﴾** جواب الشرط، وأما جعل **﴿هُمْ يَغْفِرُونَ﴾** جملة من مبتدأ وخبر جواب الشرط فشاذ، لخلوه من الفاء، ولا ينبغي حمل التنزيل عليه، والمعنى: أن مكارم الأخلاق التجاوز والحلم عند حصول الغضب، ولكن يشترط أن يكون الحلم، غير مخل بالمروءة ولا واجباً، وإلا فالغضب مطلوب، كما إذا انتهكت حرمات الله، فالواجب الغضب لا الحلم، وعليه قول الإمام الشافعي: من استغضب ولم يغضب فهو حمار، وقال الشاعر:

إذ قيل حلم قل فللحلم موضع ... وحلم الفتى في غير موضعه جهل

لِرَبِّهِمْ ﴾ أجابوه إلى ما دعاهم إليه من التوحيد والعبادة ﴿ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أداموها ﴿ وَأَمْرُهُمْ ﴾ الذي يبدو لهم ﴿ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ يتشاورون فيه ولا يعجلون ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ﴾ أعطيناهم ﴿ يُنفِقُونَ ﴾ ﴿٣٨﴾ في طاعة الله ومن ذكر صنف ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ ﴾ الظلم ﴿ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ ﴿٣٩﴾ صنف أي ينتقمون ممن ظلمهم بمثل ظلمه كما قال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ سميت الثانية سيئة لمشابهتها للأولى في الصورة، وهذا ظاهر فيما يقتص فيه من الجراحات، قال بعضهم: وإذا قال له: أخزاك الله، فيجيبه: أخزاك الله ﴿فَمَنْ عَفَا﴾ عن

وبالجملة فكل مقام له مقال. قوله: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ معطوف على الموصول المتقدم، وهذه الآية نزلت في الأنصار، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإيمان فاستجابوا له، ونقب عليهم اثني عشر نقيباً قبل الهجرة. قوله: (أجابوه إلى ما دعاهم) إلخ، أي على لسان رسول الله ﷺ، وأشار المفسر إلى أن السين والتاء زائدتان. قوله: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أي أدوها بشروطها وآدابها.

قوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ والشورى مصدر شاورته أي شاركته في الرأي كالبشرى، وكانت الأنصار قبل قدوم النبي ﷺ إذا أرادوا أمراً، تشاوروا فيه ثم عملوا عليه، فمدحهم الله تعالى به وأمر ﷺ بذلك، قال تعالى:﴿وشاورهم في الأمر﴾ تأليفاً لقلوب أصحابه، وذلك في الأمور الاجتهادية، كالحروب ونحوها، ولم يكن يشاورهم في الأحكام، لأنها منزلة من عند الله تعالى، وكانت الصحابة بعده ﷺ يتشاورون في المهمات من أمور الدين والدنيا، وأول ما تشاور فيه الصحابة الخلافة، لأن النبي لم ينص عليها، فوقع بينهم اختلاف، ثم اجتمعوا وتشاوروا فيه، فقال عمر: نرضى لدنيانا ما رضيه النبي لديننا، فوافقوه على ذلك، وبالجملة فالشورى أمرها عظيم، قال الحسن: ما تشاور قوم قط، إلا هدوا إلى أرشد أمورهم، وفي الحديث: «إذا كان أمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم سمحاءكم، وأمركم شورى بينكم، فظهر الأرض خير لكم من باطنها، وإن كان أمراؤكم شراركم، وأغنياؤكم بخلاءكم، وأموركم إلى نسائكم، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها».

قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ أي في وجوه البر، وكانوا يقدمون غيرهم عليهم، قال تعالى في وصفهم: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾. قوله: (ومن ذكر صنف) أي المؤمنون المتقدمون، فتحصل أن الله تعالى جعل المؤمنين صنفين، صنفاً يعفون عمن ظلمهم، وقد ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿وإذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ وصنفاً ينتقمون ممن ظلمهم، وقد ذكرهم الله في قوله: ﴿وَالَّذِينَ إذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾. قوله: ﴿يَنْتَصِرُونَ﴾ هذا في الإعراب كقوله: ﴿وإذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ سواء بسواء، ويزيد هنا: أنه يصح أن يكون ﴿هُمْ﴾ توكيداً للضمير المنصوب في ﴿أَصَابَهُمْ﴾ وحينئذ ففيه الفصل بين المؤكد والمؤكد بالفاعل. قوله: (وهذا) أي قوله مثلها، وقوله: (من الجراحات) أي وغيرها من سائر الحقوق التي يمكن استيفاؤها. قوله: (قال بعضهم) هو مجاهد والسدي.

قوله: ﴿فَمَنْ عَفَا﴾ الفاء للتفريع، أي إذا كان الواجب في الجزاء رعاية المماثلة، فالأولى العفو والإصلاح لتعذر المماثلة غالباً. قوله: ﴿وَأَصْلَحَ﴾ (الود بينه وبين المعفوّ عنه) أشار بذلك إلى أن الإصلاح من تمام العفو، وفيه تحريض وحث على العفو، فإن أمره عظيم، وفيه تفويض الأمر إلى الله تعالى، والله لا

ظالمه ﴿ وَأَصْلَحَ ﴾ الودّ بينه وبين المعفوّ عنه ﴿ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ أي إن الله يأجره لا محالة ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٤٠) أي البادئين بالظلم فيترتب عليهم عقابه ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾ أي ظلم إياه ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾ (٤١) مؤاخذة ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ ﴾ يعملون ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ بالمعاصي ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٤٢) مؤلم ﴿ وَلَمَن صَبَرَ ﴾ فلم ينتصر ﴿وَغَفَرَ﴾ تجاوز ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ ﴾ الصبر والتجاوز ﴿ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ (٤٣) أي معزوماتها بمعنى المطلوبات شرعاً ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ أي أحد يلي هدايته بعد إضلال الله إياه ﴿ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ ﴾ إلى الدنيا ﴿مِّن سَبِيلٍ ﴾ (٤٤) طريق ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا ﴾ أي النار ﴿خَٰشِعِينَ﴾ خائفين متواضعين ﴿مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ ﴾ إليها ﴿ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ﴾ ضعيف النظر مسارقة، ومن ابتدائية أو بمعنى الباء ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ بتخليدهم في النار وعدم وصولهم إلى الحور المعدة لهم في الجنة لو آمنوا، والموصول خبر إن ﴿ أَلَآ إِنَّ

يخيب من فوض الأمر إليه. قوله: (أي البادئين بالظلم) أي الذين فعلوا الظلم ابتداء.

قوله: ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾ اللام للابتداء، ومن شرطية، وجملة ﴿فَأُولَئِكَ﴾ إلخ، جواب الشرط أو موصولة مبتدأ، وقوله: ﴿فَأُولَئِكَ﴾ خبره، ودخلت الفاء لشبه الموصول بالشرط. قوله: (أي ظلم الظالم إياه) أشار بذلك إلى أن المصدر مضاف للمفعول، وفي هذه الآية إشارة إلى أن للمظلوم أن يأخذ حقه ممن ظلمه بنفسه، وهو جائز بشرط أن لا يزيد على حقه، وأن يأمن من ولاة الأمور، وأن يكون حقه ثابتاً. قوله: ﴿فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ أي لأنهم فعلوا ما هو جائز لهم. قوله: ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ قيد به اشارة إلى أن البغي قد يكون مصحوباً بالحق، كما إذا أخذ حقه من التجاوز فيه. قوله: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ﴾ إلخ عطف على قوله: ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾ وجملة ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ﴾ إلخ اعتراض، وكرر الصبر اهتماماً به وترغيباً فيه، واشارة إلى أنه محمود العاقبة وهو أولى، إن لم يترتب عليه مفسدة، وإلا كان الانتصار أولى. قوله: ﴿لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ أي من الأمور التي أمر الله بها وأكد عليها. قوله: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ﴾ أي يمنعه عن الهدى.

قوله: ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ﴾ خطاب لكل من تتأتى منه الرؤية وهي بصرية، والجملة بعدها حال. قوله: ﴿لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ عبر عنه بالماضي اشارة لتحقق الوقوع. قوله: ﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ حال، وكذا قوله: ﴿خَاشِعِينَ﴾. قوله: (أي النار) أي المعلومة من دلالة العذاب عليها. قوله: ﴿مِنْ الذُّلِ﴾ متعلق بخاشعين أي من أجل الذل. قوله: (مسارقة) أي يسارقون النظر إليها، خوفاً منها وذلاً في أنفسهم. قوله: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ظرف لخسروا، والقول واقع في الدنيا، أو ظرف لقال، فهو واقع يوم القيامة، وعبر بالماضي لتحقق الوقوع. قوله: (بتخليدهم في النار) إلخ، لف ونشر مرتب. قوله: ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ﴾ ﴿لَهُمْ﴾ خبر مقدم، و ﴿مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ اسمها مؤخر، و ﴿مِنْ﴾ زائدة، و ﴿يَنْصُرُونَهُمْ﴾ صفة لأولياء.

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين ﴿فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ﴾ ﴿٤٥﴾ دائم هو من مقول الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۗ﴾ أي غيره يدفع عذابه عنهم ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾ ﴿٤٦﴾ طريق إلى الحق في الدنيا، وإلى الجنة في الآخرة ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم﴾ أجيبوه بالتوحيد والعبادة ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ هو يوم القيامة ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾ أي أنه إذا أتي به لا يرد ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٖ﴾ تلجؤون إليه ﴿يَوْمَئِذٖ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٖ﴾ ﴿٤٧﴾ إنكار لذنوبكم ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ﴾ عن الإجابة ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًاۖ﴾ تحفظ أعمالهم بأن توافق المطلوب منهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُۗ﴾ وهذا قبل الأمر بالجهاد ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةٗ﴾ نعمة كالغنى والصحة ﴿فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبْهُمْ﴾ الضمير للإنسان باعتبار الجنس ﴿سَيِّئَةُۢ﴾ بلاء ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي قدموه، وعبر بالأيدي لأن أكثر الأفعال تزاول بها ﴿فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٞ﴾ ﴿٤٨﴾

قوله: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾ السين والتاء زائدتان كما أشار له المفسر بقوله: (أجيبوه) والمعنى: أجيبوا داعي ربكم وأطيعوه فيما يأمركم به من التوحيد والعبادة. قوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ إلخ، أي أطيعوا في الدنيا هي ظرف للأعمال والإيمان، قبل أن يأتي يوم الحسرة والندامة، فإنه إذا جاء لا يرده الله، ففيه وعيد للكافرين. قوله: (لا يرده) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿مِنَ اللهِ﴾ متعلق بمرد. قوله: ﴿مِنْ مَلْجَأٍ﴾ أي مفر ومهرب. قوله: (إنكار لذنوبكم) أي لأنها مكتوبة في صحائفكم، تشهد بها الملائكة والجوارح، والمراد إنكار نافع، وإلا فالكفار أولاً ينكرون الذنوب طمعاً في العفو، ثم لما لم يجدوا مخلصاً يقرون، وما قاله المفسر أوضح ما قاله غيره، إن المراد بالنكير الناصر الذي ينصرهم لإغناء قوله من ملجأ عنه.

قوله: ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾ هذه الجملة تعليل للجواب المحذوف، والتقدير: فلا تحزن، أو لا عتاب عليك، أو لا تكلف بشيء، لأننا ما أرسلناك إلخ. قوله: (بأن توافق) أي أعمالهم الصادرة منهم، وقوله: (المطلوب منهم) أي الأعمال المطلوبة منم كالإيمان والطاعة. والمعنى: لم نرسلك لتخلق الهدى في قلوبهم، وتجعل أعمالهم موافقة للوجه الذي طلبناه منهم. قوله: (وهذا قبل الأمر بالجهاد) اسم الإشارة عائد على الحصر. والمعنى: أن هذا الحصر منسوخ، لأنه بعد الأمر بالجهاد عليه البلاغ والقتال.

قوله: ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الإِنْسَانَ﴾ إلخ، الحكمة في تصدير النعمة بإذا، والبلاء بإن، الإشارة إلى أن النعمة محققة الحصول بخلاف البلاء، لأن رحمة الله تغلب غضبه. قوله: ﴿فَرِحَ بِهَا﴾ أي فرح بطر وتكبر. قوله: (الضمير) أي في ﴿تُصِبْهُمْ﴾. قوله: (باعتبار الجنس) أي الاستغراق فجمعه باعتبار المعنى. قوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ في ذلك اشارة إلى أن المصيبة تكون بسبب كسب المعاصي، والنعمة تكون بمحض فضل الله، قال تعالى: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ فالواجب على الإنسان، إذا أعطاه الله نعمة، أن يشكره عليها ويصرفها فيما يرضيه، وإذا أصيب بمصيبة، فليصبر عليها ويحمده عليها، فلعلها تكون كفارة لما اقترفه.

قوله: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أي يتصرف فيهما كيف يشاء. قوله: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾

للنعمة ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ﴾ من الأولاد ﴿إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ﴾ يجعلهم ﴿ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ فلا يلد، ولا يولد له ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يخلق ﴿قَدِيرٌ﴾ ﴿٥٠﴾ على ما يشاء ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا﴾ أن يوحى إليه ﴿وَحْيًا﴾ في المنام أو بالإلهام ﴿أَوْ﴾ إلا ﴿مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ بأن يسمعه كلامه ولا يراه، كما وقع لموسى عليه السلام ﴿أَوْ﴾ إلا أن ﴿يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ ملكاً كجبريل

أي من حيوانات وغيرها. قوله: ﴿يَهَبُ﴾ من وهب كوضع، والمصدر وهباً بسكون الهاء، وفتحها وهبة، والاسم الموهب والموهبة بكسر الهاء، وهو العطاء من غير مقابل ولا عوض. قوله: ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أي الآباء والأمهات. قوله: (من الأولاد) متعلق بيهب لا بيان لمن، لأنها عبارة عن الآباء والأمهات. قوله: ﴿إِنَاثاً﴾ قدمهن اشارة إلى أنه يفعل ما يشاء، لا ما يشاؤه عباده، فالإناث مما يشاؤه هو، ونكرهن لانحطاط رتبتهن عن الذكور، ولذا عرف الذكور وقدمهم آخراً. قوله: (أي يجعلهم) ﴿ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً﴾ أشار بذلك إلى أن ﴿ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً﴾ مفعول ثان ليزوج، والمعنى: يجعل الأولاد ذكراناً وإناثاً حال كونهم مزدوجين.

قوله: ﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً﴾ ﴿مَنْ﴾ واقعة على الرجل والمرأة، فقوله: (فلا يلد) أي إذا كان امرأة، وقوله: (ولا يولد له) أي إذا كان رجلاً، فالعقيم هو الذي لا يولد له ذكراً أو أنثى، وفعله من باب فرح ونصر، وكرم، وقال ابن عباس: يهب لمن يشاء إناثاً، يريد لوطاً وشعيباً عليهما السلام، لأنهما لم يكن لهما إلا البنات، ويهب لمن يشاء الذكور، يريد ابراهيم عليه السلام، لأنه لم يكن اه إلا الذكور، أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً، يريد محمداً ﷺ، فإنه كان له من البنين ثلاثة على الصحيح: القاسم وعبدالله وإبراهيم، ومن البنات أربع: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة، ويجعل من يشاء عقيماً، يريد يحيى وعيسى عليهما السلام انتهى، ولكن حمل الآية على العموم أولى، لأن المراد بيان نفاذ قدرته تعالى في الكائنات كيف يشاء.

قوله: ﴿أَنْ يُكَلِّمَهُ﴾ ﴿أَنْ﴾ وما دخلت عليه في تأويل مصدر اسم ﴿كَانَ﴾. قوله: ﴿إِلَّا﴾(أن يوحى إليه) أشار بذلك إلى أن ﴿وَحْياً﴾ منصوب على الاستثناء المفرغ، خلافاً لمن قال إنه منقطع نظراً لظاهر اللفظ، فإن الوحي ليس بتكليم، والوحي الإشارة والرسالة والكتابة، ولك ما ألقيته إلى غيرك ليعلمه، ثم غلب استعماله فيما يلقى إلى الأنبياء. قوله: (في المنام) أي فرؤيا الأنبياء حق، وذلك لما وقع للخليل حين أمر بذبح ولده في المنام، ولرسول الله ﷺ حين رأى أنه يدخل مكة فصدق الله رؤياهما، وقوله: (أو بالإلهام) أي الإلقاء في القلوب لا بواسطة ملك، وقد يقع الإلهام لغير الأنبياء كالأولياء، غير أن إلهام الأولياء، لا مانع من اختلاط الشيطان به، لأنهم غير معصومين، بخلاف الأنبياء فإلهامهم محفوظ منه. قوله: ﴿أَوْ﴾(إلا) ﴿مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ أشار بذلك إلى أن ﴿مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ معطوف على ﴿وَحْياً﴾ باعتبار متعلقة تقديره إلا أن يوحي إليه أو يكلمه. قوله: (ولا يراه) أشار بذلك إلى أن المراد من الحجاب لازمه وهو عدم الرؤية، والحجاب وصف العبد لا وصف الرب. قوله: (كما وقع لموسى عليه السلام) أي في جميع مناجاته كما تقدم مفصلاً. قوله: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً﴾ برفع اللام وكذا يوحي ونصبهما قراءتان سبعيتان، فالرفع خبر لمحذوف أي هو يرسل، والنصب على ﴿وَحْياً﴾ بإضمار أن، قال ابن مالك:

﴿فَيُوحِيَ﴾ الرسول إلى المرسل إليه، أي يكلمه ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ أي الله ﴿مَا يَشَآءُۚ﴾ الله ﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ﴾ عن صفات المحدثين ﴿حَكِيمٌ﴾ ﴿٥١﴾ في صنعه ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي مثل إيحائنا إلى غيرك من الرسل ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿رُوحًا﴾ هو القرآن به تحيا القلوب ﴿مِّنْ أَمْرِنَاۚ﴾ الذي نوحيه إليك ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي﴾ تعرف من قبل الوحي إليك ﴿مَا ٱلْكِتَٰبُ﴾ القرآن ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ أي شرائعه ومعالمه، والنفي معلق للفعل عن العمل، وما بعده سد مسد المفعولين ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ﴾ أي الروح أو الكتاب ﴿نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ﴾ تدعو بالوحي إليك ﴿إِلَىٰ

وإن على اسم خالص فعل عطف تنصبه إن ثابتاً أو منحذف

قوله: (كجبريل) أدخلت الكاف غيره كإسرافيل وملك الجبال، فإن الله تعالى أرسل كلاً إلى رسول الله ﷺ. قوله: ﴿إِنَّهُ عَلِيٌّ﴾(عن صفات المحدثين) أي منزه ومقدس عنها. قوله: ﴿حَكِيمٌ﴾(في صنعه) أي يضع الشيء في محله. قوله: (أي مثل ايحائنا إلى غيرك) إلخ، التشبيه في مطلق الإيحاء والإرسال، لأنه ﷺ وقع له الكلام والرؤية، بخلاف باقي الأنبياء، فهو من تشبيه الأكمل بالكامل، بسابقية الكامل في الوجود، فالحصر المتقدم بالنسبة للأنبياء غير نبينا ﷺ فلا يقال: إن الآية تدل على أن الوحي منحصر في هذه الثلاثة، ولا يشمل الكلام مشافهة، مع أنه وقع لرسول الله ﷺ. قوله: (هو القرآن) هذا أحد تفاسير في الروح، وقيل هو الرحمة، وقيل هو الوحي، وقيل الكتاب، وقيل جبريل. قوله: (به تحيا القلوب) أي فشبه بالقرآن بالروح من حيث إن كلاً به الحياة، فالقرآن به حياة الأرواح، والروح بها حياة الأشباح. قوله: ﴿مِنْ أَمْرِنَا﴾ ﴿مِنْ﴾ تبعيضية حال. والمعنى: حال كون هذا القرآن بعض ما نوحيه إليك، لأنه ورد أنه أعطي القرآن ومثله معه. قوله: ﴿مَا الْكِتَابُ﴾ الكلام على حذف مضاف أي جواب ﴿مَا الْكِتَابُ﴾ والمعنى جواب هذا الاستفهام.

قوله: ﴿وَلَا الإِيمَانُ﴾ إن قلت: إن الأنبياء لم تحجب أرواحهم بدخولها في الأشباح، عن التوحيد الأصلي الكائن في يوم ألست بربكم، بل بعض الأولياء كذلك، فكيف يقال في حق نبينا عليه الصلاة والسلام ﴿وَلَا الإِيمَانُ﴾ مع أنه كان يتعبد قبل البعثة، وحاشاه أن يعبد الله مع جهله بمعبوده؟ أجاب المفسر: بأن الكلام على حذف مضاف، أي شرائع الإيمان ومعالمه، كالصلاة والصوم والزكاة والطلاق والغسل من الجنابة وتحريم المحارم بالقرابة والصهر، والمراد بالإيمان الإسلام. قوله: (والنفي معلق) صوابه الاستفهام لأنه متأخر عن النفي، وهو المعلق للفعل عن العمل لفظاً. قوله: (أو ما بعده) (أو) بمعنى الواو. قوله: ﴿نَهْدِي بِهِ﴾ صفة لنور، أو سمي نوراً لأن بالنور الاهتداء في الظلمات الحسية، فكذا القرآن يهتدى به في الظلمات المعنوية، والمراد الهداية الموصلة بدليل قوله: ﴿مَنْ نَشَاءُ﴾. قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾ أي تدل، والمفعول محذوف أي كل مكلف فتحصل أن المعنى أنت يا محمد، عليك البلاغ والدلالة وإقامة الحجج، ونحن نخلق الهداية والتوفيق في قلب من نختاره من عبادنا. قوله: (دين الإسلام) أي وسمي طريقاً، لأنه يحصل به الوصول إلى المقصود كالطريق الحسي. قوله: ﴿صِرَاطِ اللهِ﴾ بدل من ﴿صِرَاطٍ﴾ الأول بدل معرفة من نكرة.

﴿صِرَٰطٍ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ دين الإسلام ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ۝٥٣﴾ ترجع.

قوله: ﴿أَلَا إِلَى الله تَصِيرُ الأمُورُ﴾ ﴿أَلَا﴾ أداة استفتاح يؤتى بها للاهتمام بما بعدها، والجار والمجرور متعلق بتصير، قدم للحصر، وأتى بهذه الجملة عقب التي قبلها، اشارة إلى أن كل شيء من الله وإلى الله، فأفاد بالجملة الأولى، أن جميع ما في السماوات وما في الأرض، مملوك وناشيء منه، وأفاد بالجملة الثانية، أن جميع هذه الأشياء مرجعها إليه في كل ذرة ولمحة، فلا غنى لها عنه تعالى، والمراد من المضارع الدوام. والمعنى: شأنه رجوع الأمور إليه تعالى، وليس المراد حقيقته لأن الأمور متعلقة به في كل وقت، فإذا علمت ذلك، فكل شيء لا يستغني عن الله تعالى طرفة عين، قال العارف الشاذلي: ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا أقل من ذلك، فإذا شاهد الإنسان ذلك أورثه مقام المراقبة، ورؤية عجز نفسه واضطرارها وافتقارها إلى مالكها، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

فائدة: قال سهل بن أبي الجعد: احترق مصحف فلم يبق إلا قوله: ﴿أَلَا إِلَى الله تَصِيرُ الأمُورُ﴾ وغرق مصحف فانمحى كله إلا قوله: ﴿أَلَا إِلَى الله تَصِيرُ الأمُورُ﴾ انتهى.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُورَةُ الزُّخۡرُفِ

مكيّة

وآياتها تسع وثمانون

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿حمٓ﴾ ﴿١﴾ الله أعلم بمراده به ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿ٱلۡمُبِينِ﴾ ﴿٢﴾ المظهر طريق الهدى وما يحتاج إليه من الشريعة ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ﴾ أوجدنا الكتاب ﴿قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب ﴿لَّعَلَّكُمۡ﴾ يا أهل مكة ﴿تَعۡقِلُونَ﴾ ﴿٣﴾ تفهمون معانيه ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ مثبت ﴿فِيٓ أُمِّ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الزخرف مكية

وقيل إلا ﴿واسأل من أرسلنا﴾ الآية. وهي تسع وثمانون آية

سميت باسم كلمة منها وهي قوله تعالى: ﴿وزخرفا﴾. قوله: (مكية) أي كلها حتى هذه الآية، بناء على أن المراد سؤال نفس الرسل، وكان ذلك ليلة الإسراء لبيت المقدس، فتكون مكية لكونها قبل الهجرة. قوله: (**وقيل إلا قوله تعالى﴿واسأل من أرسلنا﴾**) إلخ، أي بناء على أن المعنى: واسأل من أمم رسلنا، والمراد بهم اليهود والنصارى. قوله: **﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾** هذا هو القسم به، والمقسم عليه هو قوله: **﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِياً﴾** وهو من أنواع البلاغة، حيث جعل المقسم والمقسم عليه من واد واحد، كأن الله تعالى يقول: ليس عندي أعظم من كلامي حتى أقسم به. قوله: (**أوجدنا الكتاب**) أي صيرناه مقروءاً، أي مجموعاً سوراً، موصوفة بكونها عربية، رحمة منا وتنزلاً لعبادنا، لعجزهم عن شهود الوصف القائم بنا، فحدوثه من حيث قيامه بالمخلوقات، وقدمه من حيث وصف الله به، وقد تنزه وصفه عن الحروف والأصوات والجمع والتفرق فتدبر، ودفع بذلك ما قيل: إن ظاهر الآية يدل على حدوث القرآن من وجوه ثلاثة: الأول أنها تدل على أن القرآن مجعول، والمجعول هو المصنوع والمخلوق، والثاني أنه وصفه بكونه قرآناً، والمجموع بعضه لبعض مصنوع، والثالث وصفه بكونه عربياً، والعربي ما كان بلغة العرب، وذلك يدل على أنه مجعول. وأجاب الرازي أيضاً على ذلك: بأن هذا الذي ذكرتموه حق، لأنكم استدللتم بهذه الوجوه، على كون الحروف المتواليات والكلمات المتعاقبة محدثة، وذلك معلوم بالضرورة، وليس لكم منازع فيه.

قوله: **﴿وَإِنَّهُ﴾**(**مثبت**) إلخ، أشار بذلك إلى أن الجار والمجرور خبر إن، ولعل خبر ثان، واعتراض بأنه يلزم عليه تقديم الخبر الغير المقرون باللام على المقرون بها، وفي جوازه خلاف، فالأحسن أن الجار

﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أصل الكتب، أي اللوح المحفوظ ﴿لَدَيۡنَا﴾ بدل عندنا ﴿لَعَلِيٌّ﴾ على الكتب قبله ﴿حَكِيمٌ ۝٤﴾ ذو حكمة بالغة ﴿أَفَنَضۡرِبُ﴾ نمسك ﴿عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ﴾ القرآن ﴿صَفۡحًا﴾ إمساكاً، فلا تؤمرون ولا تنهون لأجل ﴿أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ ۝٥﴾ مشركين؟ لا ﴿وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٦﴾ ﴿وَمَا﴾ كان ﴿يَأۡتِيهِم﴾ أتاهم ﴿مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٧﴾ كاستهزاء قومك بك، وهذا تسلية له ﷺ ﴿فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم﴾ من قومك ﴿بَطۡشٗا﴾ قوة ﴿وَمَضَىٰ﴾ سبق في الآيات ﴿مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٨﴾ صفتهم في الإهلاك، فعاقبة قومك كذلك ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي النونات وواو الضمير لالتقاء

والمجرور متعلق بعليّ، ولا يقال إن لام الابتداء لها صدر الكلام، لأنه يقال محل ذلك في غير باب إن كما قال ابن هشام في مغنيه، لأنها فيه مؤخرة من تقديم، ولهذا تسمى المزحلقة. قوله: **(بدل)** أي من الجار والمجرور، وقوله: **(عندنا)** تفسير للدنيا. قوله: ﴿**لَعَلِيٌّ**﴾ أي رفيع الشأن على غيره من الكتب. قوله: ﴿**أَفَنَضْرِبُ**﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه تقديره أنهملكم فنضرب إلخ، والاستفهام انكاري بدليل قول المفسر في آخر العبارة **(لا)** والمعنى: لا نهملكم برفع الوحي ومنع إنزال القرآن، ونعجل الهلاك من أجل كونكم قوماً مسرفين، بل نتم نورنا بتمام الإنزال لعبدنا، ﴿ومن نكث فإنما ينكث على نفسه﴾. قوله: **(نمسك)** أي عن إنزاله لكم. قوله: ﴿**صَفْحاً**﴾ أشار المفسر إلى أنه مفعول مطلق ملاق لعامله، وهو نضرب، في المعنى. قوله: **(فلا تؤمرون ولا تنهون)** أي بل تصيرون كالبهائم. قوله: ﴿**أَنْ كُنْتُمْ قَوْماً مُسْرِفِينَ**﴾ بكسر الهمزة على أنها شرطية، وفتحها على أنها تعليلية، قراءتان سبعيتان، لكن يرد على القراءة الأولى أن ﴿**إِنَّ**﴾ تفيد الشك، مع إن إسرافهم محقق، ويجاب: بأنه يؤتى بها في مقام التحقق قصداً لتجهيل المخاطب، بجعله متردد في ثبوت الشرط شاك فيه.

قوله: ﴿**وَكَمْ أَرْسَلْنَا**﴾ ﴿**كَمْ**﴾ خبرية بمعنى عدداً كثيراً، مفعول مقدم لأرسلنا، و ﴿**مِنْ نَبِيٍّ**﴾ تمييز لها، و ﴿**فِي الأَوَّلِينَ**﴾ متعلق بأرسلنا أي في الأمم الأولين. قوله: **(أتاهم)** أشار بذلك إلى أن المضارع بمعنى الماضي، وعبر عنه بالمضارع استحضاراً للصورة العجيبة. قوله: ﴿**مِنْ نَبِيٍّ**﴾ أي رسول بدليل قوله: ﴿**أَرْسَلْنَا**﴾ والمعنى تسل يا محمد ولا تحزن، فإنه وقع للرسل قبلك ما وقع لك. قوله: ﴿**أَشَدَّ مِنْهُمْ**﴾ صفة لموصوف محذوف مفعول لأهلكنا. قوله: ﴿**بَطْشاً**﴾ تمييز أي أهلكنا قوماً أشد من قومك من جهة البطش، وهو شدة الأخذ. قوله: **(سبق في الآيات)** أي في القرآن غير مرة. قوله: **(صفتهم في الهلاك)** وإنما سمي مثلاً لغرابته، فإن المثل في الأصل كلام شبه مضربه بمورده لغرابته. قوله: **(وعاقبة قومك كذلك)** أي الهلاك، فاصبر على أذى قومك، كما صبر من قبلك من الرسل على أذى قومهم، وفي هذه الآيات تعليم للأمة، أن يصبروا على من آذاهم، لينالوا العز الأكبر تأسياً بنبيهم. قوله: **(لام قسم)** أي وقوله: ﴿**لَيَقُولُنَّ**﴾ جوابه، وجواب الشرط محذوف، لدلالة جواب القسم عليه، وهذا على القاعدة في اجتماع الشرط والقسم من حذف جواب المتأخر. قوله: **(حذف منه نون الرفع)** أي لتوالي النونات، ثم حذفت الواو لالتقاء الساكنين، ووجود الدليل عليها وهو الضمة.

الساكنين ﴿خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ ﴿٩﴾ آخر جوابهم أي الله ذو العزة والعلم، زاد تعالى ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ فراشاً كالمهد للصبي ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ طرقاً ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ﴿١٠﴾ إلى مقاصدكم في أسفاركم ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ أي بقدر حاجتكم إليه، ولم ينزله طوفاناً ﴿فَأَنشَرْنَا﴾ أحيينا ﴿بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل هذا الإحياء ﴿تُخْرَجُونَ﴾ ﴿١١﴾ من قبوركم أحياء ﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ﴾ الأصناف ﴿كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ﴾ السفن ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ كالإبل ﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾ ﴿١٢﴾ حذف العائد اختصاراً، وهو مجرور في الأوَّل، أي فيه منصوب في الثاني ﴿لِتَسْتَوُۥا۟﴾ لتستقرُّوا ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ ذكر الضمير وجمع الظهر نظراً للفظ ما ومعناها ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا

قوله: ﴿**خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ**﴾ كرر الفعل للتوكيد، وإلا فيكفي أن يقال العزيز العليم، وهذا الجواب مطابق للسؤال من حيث عجزه، ولو روعي صدره لجيء بجملة ابتدائية بأن يقال: هو العزيز العليم مثلاً. قوله: (**آخر جوابهم**) أي أن ما ذكر آخر جواب الكفار، وأما قوله: ﴿**الَّذِي جَعَلَ**﴾ إلى قوله: ﴿**الْمُنْقَلِبُونَ**﴾ فهو من كلامه تعالى زيادة في توبيخهم على عدم التوحيد. قوله: (**كالمهد للصبي**) أي الفرش له، أي ولو شاء لجعلها متحركة، لا يثبت عليها شيء، ولا يمكن الانتفاع بها، فمن رحمته أن جعل الأرض قارة مسطحة ساكنة. قوله: ﴿**وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً**﴾ أي بحيث تسلكون فيها إلى مقاصدكم، ولو شاء لجعلها سداً ليس فيها طرق، بحيث لا يمكنكم السير فيها كما في بعض الجبال. قوله: (**أي بقدر حاجتكم**) أي فليس بقليل فلا تنتفعون به، ولا كثير فيضركم. قوله: ﴿**فَأَنْشَرْنَا**﴾ في الكلام التفات من الغيبة للتكلم. قوله: ﴿**تُخْرَجُونَ**﴾ أي فالقادر على إحياء الأرض بعد موتها بالماء، قادر على احياء الخلق بعد موتهم. قوله: (**الأصناف**) أي الأشكال والأنواع، كالحلو والحامض والأبيض والأسود والذكر والأنثى.

قوله: ﴿**وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ**﴾ أي خلق لكم مواد السفن كالخشب وغيره، وألهمكم صنعتها، وسيرها لكم في البحر لتنتفعوا بها. قوله: (**كالإبل**) إن قلت: إنه لم يبق شيء من الأنعام يركب سوى الإبل، فالكاف استقصائية إلا أن يقال: المراد بالأنعام ما يركب من الحيوان، وهو الإبل والخيل والبغال والحمير، لأن المقام للامتنان بالركوب. قوله: ﴿**مَا تَرْكَبُونَ**﴾ مفعول لجعل، و ﴿**مِنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَامِ**﴾ بيان له. قوله: (**حذف العائد اختصاراً**) إلخ، أي والمعنى: جعل لكم من الفلك ما تركبون فيه، ومن الأنعام ما تركبونها، فهو مجرور في الأول بفي، منصوب في الثاني بالفعل.

قوله: ﴿**لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ**﴾ اللام للتعليل أو للعاقبة، والصيرورة متعلقة بجعل. قوله: (**ذكر الضمير**) أي المضاف إليه، وقوله: (**وجمع الظهر**) أي الذي هو المضاف، وقوله: (**نظراً للفظ ما**) إلخ، لف ونشر مرتب، والمناسب أن يقول: أفرد الضمير وجمع الظهر إلخ، ولو روعي معناها، فيهما لقيل على ظهورها، ولو روعي لفظها لقيل على ظهره. قوله: ﴿**ثُمَّ تَذْكُرُوا**﴾ أي بقلوبكم. قوله: ﴿**إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ**﴾ أي على ما تركبون، ففيه مراعاة للفظ ﴿**مَا**﴾ وكذا في قوله: ﴿**سَخَّرَ لَنَا هَذَا**﴾.

قوله: ﴿**وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي**﴾ إلخ، أي تقولوا بألسنتكم لتجمعوا بين القلب واللسان. قوله:

هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ مطيقين ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ لمنصرفون ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ حيث قالوا: الملائكة بنات الله تعالى لأن الولد جزء الوالد، والملائكة من عباد الله ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ القائل ما تقدم ﴿لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ بين ظاهر الكفر ﴿أَمِ﴾ بمعنى همزة الإنكار، والقول مقدر أي أتقولون ﴿ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ لنفسه ﴿وَأَصْفَىٰكُم﴾ أخلصكم ﴿بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾﴾ اللازم من قولكم السابق، فهو من جملة المنكر ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾ جعل

﴿هَٰذَا﴾ أي المركوب من سفينة ودابة، وظاهر الآية أنه يقول ذلك عند ركوب السفينة أو الدابة وهو الأولى، وقال بعضهم: إن هذا مخصوص بالدابة، وأما السفينة فيقول فيها ﴿بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم وما قدروا الله حق قدره﴾ الآية، وفي الحديث: «كان ﷺ إذا وضع رجله في الركاب قال: بسم الله، فإذا استوى على الدابة قال: الحمد لله على كل حال»، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾ إلى قوله: ﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ فإذا كان الإنسان يريد السفر زاد: اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، والمال، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، والحور بعد الكور، وسوء المنظر في الأهل والمال. ومعنى الحور بعد الكور: الفرقة بعد الاجتماع، وورد: أن الإنسان إذا قرأ هذه الآية عند ركوب الدابة تقول الدابة: بارك الله فيك من مؤمن، خففت عن ظهري، وأطعت ربك، أنجح الله حاجتك، فالذي ينبغي للإنسان، أن لا يدع ذكر الله خصوصاً في هذه المواطن، فإنه معرض فيها للتلف، فكم من راكب دابة، عثرت به أو طاح عن ظهرها فهلك، وكم من راكب سفينة انكسرت به فغرق، وحينئذ فمنقلبه إلى الله، غير منفلت من قضائه، فيكون مستعداً لقضاء الله بإصلاح نفسه. قوله: ﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ الجملة حالية وهو من الإقران أو المقارنة. قوله: (لمنصرفون) أي من الدنيا إلى دار البقاء، فتذكر بالحمل على السفينة والدابة الحمل على الجنازة، فالآية منبهة بالسير الدنيوي على السير الأخروي، ففيه اشارة للردّ على منكري البعث.

قوله: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ﴾ إلخ هذا مرتبط بقوله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾ الخ، والمعنى: أنهم ينسبون الخلق لله تعالى، ومع ذلك يعتقدون أن له شريكاً، فالمقصود التأمل في عقول هؤلاء الكفرة، حيث لم يضبطوا أحوالهم. قوله: (لأن الولد جزء الوالد) أي لأنه خارج من مخه وعظامه، وهذا مناف لقولهم ﴿خلقهن العزيز العليم﴾ لأن من شأن الوالد أن يكون مركباً، والإله ليس بمركب، بل هو واحد في ذاته وصفاته وأفعاله، وشأن الخالق أن يكون مخالفاً لما خلقه، والولد لا بد وأن يكون مماثلاً لوالده لأنه جزء منه، فتبين أن الولد على الله محال، وتبين أن هؤلاء الكفرة حالهم متناقض غير مضبوط. قوله: (بين) أشار بهذا إلى أن ﴿مُبِينٌ﴾ من أبان اللازم، ويصح أن يقدر من أبان المتعدي، بمعنى مظهر الكفر. قوله: (بمعنى همزة الإنكار) أي والتوبيخ والتقريع، وتقدر ببل أو بها والهمزة، ففيها ثلاثة أوجه كما تقدم غير مرة. قوله: (لنفسه) متعلق باتخذ. قوله: (أخلصكم) أي خصكم. قوله: (اللازم) بالنصب نعت لقوله: ﴿وَأَصْفَاكُمْ﴾ المعطوف على ﴿اتَّخَذَ﴾ الواقع مقولاً لقول محذوف، فالمعنى أنهم قالوا﴿الملائكة بنات الله﴾ مع كراهة نسبتها لأنفسهم، ومحبة نسبة البنين لهم، فلزم منه أنهم قالوا: والبنون لنا. قوله: (فهو من جملة المنكر) أي لعطفه على ﴿اتَّخَذَ﴾ الداخل عليه أم التي هي بمعنى همزة الإنكار.

قوله: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ﴾ إلخ كلام مستأنف تقرير لما قبله، وزيادة توبيخ لهم، وترقّ في الرد

له شبهاً بنسبة البنات إليه لأن الولد يشبه الوالد، المعنى: إذا أخبر أحدهم بالبنت تولد له ﴿ظَلَّ﴾ صار ﴿وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ متغيراً تغير مغتم ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ﴿١٧﴾ ممتلىء غماً، فكيف ينسب البنات إليه؟ تعالى عن ذلك ﴿أَوَ﴾ همزة الإنكار، وواو العطف بجملة أي يجعلون لله ﴿مَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ﴾ الزينة ﴿وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ ﴿١٨﴾ مظهر الحجة لضعفه عنها بالأنوثة ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُوا۟﴾ حضروا ﴿خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ﴾ بأنهم إناث ﴿وَيُسْـَٔلُونَ﴾ ﴿١٩﴾ عنها في الآخرة فيترتب عليها العقاب ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ أي الملائكة، فعبادتنا إياهم بمشيئته فهو راض بها، قال تعالى: (﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ﴾ المقول من الرضا بعبادتها ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ يكذبون فيه، فيترتب عليهم العقاب به ﴿أَمْ

عليهم. قوله: ﴿بِمَا ضَرَبَ﴾ ما موصولة واقعة على الأنثى بدليل الآية الأخرى ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى﴾و ﴿ضَرَبَ﴾ بمعنى جعل، والمفعول الأول محذوف هو العائد أي ضربه، و ﴿مَثَلًا﴾ هو المفعول الثاني. قوله: (**شبهاً**) أشار بذلك إلى أن المثل بمعني الشبه أي المشابه، وليس بمعنى الصفة الغريبة. قوله: ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ الجملة حالية. قوله: ﴿أَوَ مَنْ يُنَشَّأُ﴾ قرأ العام بفتح الياء وسكون النون من نشأ، وبضم الياء وفتح النون وتشديد الشين مبنياً للمفعول، أي يربى قراءتان سبعيتان، وقرىء شذوذاً ينشأ بضم الياء مخففاً، ويناشأ كيقاتل مبنياً للمفعول. قوله: (**همزة الإنكار**) إلخ، أي إنهما كلمتان لا كلمة واحدة هي أو التي للعطف، فتحل أن ﴿مِنْ﴾ معمولة لمحذوف معطوف بواو العطف على محذوف، والتقدير: أيجترئون، ويسيئون الأدب ويجعلون من ينشأ إلخ؟ وقوله: (**الزينة**) أي إن الأنثى تتزين في الزينة لنقصها، إذ لو كملت في نفسها لما احتاجت للزينة. قوله: ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ الجملة حالية، والمعنى غير قادر على تقرير دعواه وإقامة الحجة، لنقصان عقله وضعف رأيه، فقلّما تكلمت امرأة تريد أن تتكلم بحجة لها، إلا تكلمت بالحجة عليها. قوله: (**مظهر الحجة**) أشار بذلك إلى أنه من أبان المتعدي، وسابقاً أفاد أنه من أبان اللازم، وهما استعمالان.

قوله: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ﴾ إلخ، المراد بالجعل القول والحكم، وهو بيان أنواع أخر من كفرياتهم لأن نسبة الملائكة الذين هم أكمل العباد وأكرمهم على الله للأنوثة التي هي وصف خسة كفر، ورد أنهم لما قالوا ذلك، سألهم النبي ﷺ فقال: «ما يدريكم أنها إناث؟» قالوا سمعنا من أبائنا، ونحن نشهد أنهم لم يكذبوا، فنزل ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْئَلُونَ﴾. قوله: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمٰنُ﴾ إلخ، مفعول ﴿شَاءَ﴾ محذوف، أي عدم عبادة الملائكة ما عبدناهم، وهذا استدلال منهم بنفي مشيئة عدم العبادة، على امتناع النهي عنها، لزعمهم أن المشيئة متحدة مع الرضا وهو فاسد، لأن الله تعالى قد يريد ما لا يرضاه، فهو بيان لنوع آخر من كفرياتهم، فتحصل أنهم كفروا بمقالات ثلاث: هذه، وقولهم: الملائكة إناث، وقولهم: الملائكة بنات الله.

قوله: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ قاله هنا بلفظ ﴿يَخْرُصُونَ﴾ وفي الجاثية بلفظ (يظنون) لأن ما هنا متصل بقوله: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ﴾ الآية، أي قالوا: الملائكة بنات الله وإن الله قد شاء عبادتنا إياهم، وهذا كذب فناسبه ﴿يَخْرُصُونَ﴾ وما هناك متصل بخلطهم الصدق بالكذب، لأن قولهم ﴿نموت ونحيا﴾

ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ﴾ أي القرآن بعبادة غير الله ﴿فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾﴾؟ أي لم يقع ذلك ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ ملة ﴿وَإِنَّا﴾ ماشون ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ بهم وكانوا يعبدون غير الله ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾ متنعموها مثل قول قومك ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ ملة ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ متبعون ﴿قَٰلَ﴾ لهم ﴿أَ﴾ تتبعون ذلك ﴿وَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ أنت ومن قبلك ﴿كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ قال تعالى تخويفاً لهم ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ أي من المكذبين للرسل قبلك ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾ اذكر ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ﴾ أي بريء ﴿مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ خلقني ﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ يرشدني ﴿وَجَعَلَهَا﴾ أي

صدق، وإنكارهم البعث وقولهم ﴿ما يهلكنا إلا الدهر﴾ كذب فناسبه يظنون. قوله: ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً مِنْ قَبْلِهِ﴾ تنويع في الإنكار عليهم مرتبط بقوله: ﴿أَشْهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾. قوله: **(أي لم يقع ذلك)** أشار به إلى أن الهمزة للإنكار.

قوله: ﴿**بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا**﴾ إلخ، أي لم يأتوا بحجة عقلية ولا نقلية، بل اعترفوا بأنه لا مستند لهم سوى تقليد آبائهم. قوله: ﴿**أُمَّةٍ**﴾ قرأ العام بضم الهمزة بمعنى الطريقة والملة، وقرىء شذوذاً بكسرها بمعنى الطريقة أيضاً، وبالفتح المرة من الأم وهو القصد. قوله: **(ماشون)** أشار بتقدير هذا، إلى أن الجار والمجرور خبر إن، وعليه فيكون ﴿**مُهْتَدُونَ**﴾ خبراً ثانياً. قوله: ﴿**مُهْتَدُونَ**﴾ قاله هنا بلفظ ﴿**مُهْتَدُونَ**﴾ وفيما يأتي بلفظ ﴿**مُقْتَدُونَ**﴾ تفنناً. قوله: ﴿**وَكَذٰلِكَ**﴾ أي والأمر كما ذكر من عجزهم عن الحجة وتمسكهم بالتقليد، وقوله: ﴿**مَا أَرْسَلْنَا**﴾ استئناف مبين لذلك، دال على أن التقليد فيما بينهم ضلال قديم، ليس لأسلافهم أيضاً مستند غيره، وفيه تسلية لرسول الله.

قوله: ﴿**إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا**﴾ جمع مترف اسم مفعول، وتفسير المفسر له باسم الفاعل تفسير باللازم. قوله: **(مثل قول قومك)** مفعول مطلق نعت مصدر محذوف، أي قولاً مثل قول قومك وقوله: ﴿**إِنَّا وَجَدْنَا**﴾ مقول القول. قوله: ﴿**قُلْ**﴾**(لهم)** خطاب للنبي ﷺ أي قل لقومك يا محمد إلخ. قوله: ﴿**بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ**﴾ إلخ، أي بدين أهدى وأصوب مما وجدتم إلخ، أي من الضلالة التي ليست من الهداية في شيء، والتعبير بالتفصيل لأجل التنزل معهم وإرخاء العذاب.

قوله: ﴿**فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾ أي فلا تكترث بتكذيب قومك لك، فإن عاقبتهم كغيرهم من المكذبين. قوله: **(واذكر)** قدره إشارة إلى أن الظرف معمول لمحذوف، وسيأتي أن قوله: ﴿**لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ متعلق بذلك المحذوف. قوله: ﴿**لأَبِيهِ**﴾ تقدم الخلاف في كونه أباه حقيقة أو عمه، وتوجيه كل من القولين مفصلاً. قوله: ﴿**بَرَاءٌ**﴾ العام على فتح الباء والراء، بعدها ألف فهمزة، مصدر وقع موقع الصفة وهي بريء، فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث، وقرىء شذوذاً بضم الباء وكسرها، بوزن طوال وكرام.

قوله: ﴿**إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي**﴾ يحتمل أن الاستثناء منقطع، بناء على أنهم كانوا يشركون مع الله غيره، وذلك أنهم كانوا يعبدون النمروذ، ويحتمل أن إلا صفة بمعنى غير. قوله: **(يرشدني لدينه)** أي يدلني على

كلمة التوحيد المفهومة من قوله ﴿إني ذاهب إلى ربي سيهدين﴾ ﴿ كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ ﴾ ذرِّيته فلا يزال فيهم من يوحد الله ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي أهل مكة ﴿ يَرْجِعُونَ ﴾ ﴿٢٨﴾ عما هم عليه إلى دين إبراهيم أبيهم ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ المشركين ﴿وَءَابَآءَهُمْ﴾ ولم أعاجلهم بالعقوبة ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ القرآن ﴿ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٢٩﴾ مظهر لهم الأحكام الشرعية وهو محمد ﷺ ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ القرآن ﴿ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا﴾ هلا ﴿ نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ﴾ من أية منهما ﴿ عَظِيمٍ﴾ ﴿٣١﴾ أي الوليد بن المغيرة بمكة أو عروة بن مسعود الثقفي بالطائف ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ النبوة؟ ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾

أحكامه من صلاة وغيرها، ودفع بذلك ما يقال: إن الهداية حاصلة، لكونه مجبولاً على التوحيد من ﴿ألست بربكم﴾ فكيف يعبر بالمضارع فضلاً عن اقترابه بالسين، فأجاب بما ذكر، نظير ما أجاب به عن قوله: ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾ وأجيب أيضاً: بأن السين زائدة، والمضارع للدلالة على الإستمرار، والمعنى يديمني على الهدى، وأجيب أيضاً: بأن المعنى سيثبتني على الهداية. قوله: **(أي كلمة التوحيد)** إلخ، تفسير للضمير البارز، والضمير المستتر يعود على إبراهيم، والمعنى: أن إبراهيم وصى بهذه الكلمة عقبه، قال تعالى: ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب﴾ الآية. قوله: **(أي أهل مكة)** أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿**لَعَلَّهُمْ**﴾ إلخ، متعلق باذكر الذي قدره، والمعنى: اذكر يا محمد لقومك ما ذكر، ليحصل عندهم رجوع إلى دين إبراهيم.

قوله: ﴿**بَلْ مَتَّعْتُ هٰؤلَاءِ**﴾ إضراب انتقالي للتوبيخ والتقريع على ما حصل منهم من عدم الاتباع، واسم الإشارة عائد على المشركين الكائنين في زمنه ﷺ. قوله: **(ولم أعاجلهم بالعقوبة)** أي بل أعطيتهم نعماً عظيمة وحرماً آمناً، يجبى إليه ثمرات كل شيء، فلم يشكروا بل ازدادوا طغياناً، فأمهلتهم ولم أعجل لهم الانتقام. قوله: ﴿**حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ**﴾ غاية لمحذوف، والتقدير بل متعت هؤلاء، فاشتغلوا بذلك التمتع حتى جاءهم.

قوله: ﴿**وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ**﴾ إلخ هذا من جملة شبههم الفاسدة التي بنوا عليها إنكار نبوته ﷺ، وذلك أنهم قالوا: إن الرسالة منصب شريف، لا يليق إلا برجل شريف، وهذا صدق، غير أنهم غلطوا في دعواهم أن الرجل الشريف هو الذي يكون كثير المال والجاه، ومحمد ليس كذلك، فلا تليق به رسالة الله ، وليس كذلك، بل العبرة بتعظيم الله، لا بالمال والجاه، فليس كل عظيم المال والجاه معظماً عند الله تعالى. قوله: **(من أية منهما)** أي من أحدى القريتين. قوله: **(أي الوليد بن المغيرة)** أي وقد استمر كافراً حتى هلك. قوله: **(وعروة بن مسعود)** أي وقد هداه الله للإسلام، فأسلم وحسن إسلامه، وكان النبي عليه الصلاة والسلام، يشبه عيسى ابن مريم عليه السلام، به رضي الله تعالى عنه.

قوله: ﴿**أَهُمْ يَقْسِمُونَ**﴾ الاستفهام انكاري وتعجب من حالهم وتحكمهم. قوله: ﴿**رَحْمَتَ رَبِّكَ**﴾ ترسم بالتاء المجرورة هنا، وفي قوله تعالى فيما يأتي ﴿**وَرَحْمَةُ رَبِّكَ**﴾ اتباعاً لرسم المصحف وهذا موضعان ترسم فيهما بالتاء المجرورة. ثالثها في البقرة ﴿أولئك يرجون رحمت الله﴾ رابعها في الأعراف ﴿إن رحمت الله قريب من المحسنين﴾ خامسها في هود ﴿رحمت الله وبركاته عليهم﴾ سادسها في مريم ﴿رحمت

فجعلنا بعضهم غنياً وبعضهم فقيراً ﴿وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ﴾ بالغنى ﴿فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم﴾ الغني ﴿بَعۡضٗا﴾ الفقير ﴿سُخۡرِيّٗاۗ﴾ مسخراً في العمل له بالأجرة، والياء للنسب، وقرىء بكسر السين ﴿وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ﴾ أي الجنة ﴿خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢﴾ في الدنيا ﴿وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ على الكفر ﴿لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ﴾ بدل من لمن ﴿سُقُفٗا﴾ بفتح السين وسكون القاف وبضمهما جمعاً ﴿مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ﴾ كالدرج من فضة ﴿عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ٣٣﴾ يعلون إلى السطح ﴿وَلِبُيُوتِهِمۡ أَبۡوَٰبٗا﴾ من فضة ﴿وَ﴾ جعلنا لهم ﴿سُرُرًا﴾ من فضة جمع سرير ﴿عَلَيۡهَا يَتَّكِـُٔونَ ٣٤﴾ ﴿وَزُخۡرُفٗاۚ﴾ ذهباً، المعنى: لولا خوف الكفر على المؤمن من إعطاء الكافر ما ذكر، لأعطيناه ذلك، لقلة حظ الدنيا عندنا، وعدم حظه في الآخرة في النعيم ﴿وَإِن﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا﴾ بالتخفيف فما زائدة، وبالتشديد بمعنى إلا فإن نافية ﴿مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾

ربك﴾ سابعها في الروم﴿فانظر إلى آثار رحمت الله﴾ وما عداها يرسم بالهاء، وللقراء في تلك المواضع السبعة في الوقف طريقان: فمنهم من يقف بالهاء، كسائر الهاءات الداخلة على الأسماء، كفاطمة وقائمة، ومنهم من يقف بالتاء تغليباً لجانب الرسم.

قوله: ﴿**نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ أي فجعلنا هذا غنياً، وهذا فقيراً، وهذا مالكاً، وهذا مملوكاً، وهذا قوياً، وهذا ضعيفاً، لاستقامة نظام العالم، لا للدلالة على سعادة وشقاوة. قوله: ﴿**لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً**﴾ اللام للتعليل، أي إن القصد من جعل الناس متفاوتين في الرزق، لينتفع بعضهم ببعض، ولو كانوا سواء في جميع الأحوال، لم يخدم أحد أحداً، فيفضي إلى خراب العالم وفساد نظامه. قوله: (**والياء للنسب**) أي نسبته للسخرة وهي العمل بلا أجرة. إذا علمت ذلك، فقول المفسر (**بالأجرة**) تقييد بالنظر لصحة التعليل، ويصح أن يكون من السخرية التي هي بمعنى الاستهزاء، والمعنى ليستهزىء الغني بالفقير، وعليه فتكون اللام للعاقبة والصيرورة. قوله: (**وقرىء بكسر السين**) أي قراءة شاذة هنا، جرياً على عادته في التعبير عن الشاذ بقرىء، وعن السبعي بوفي قراءة، وأما ما في المؤمنين وص فكسر السين فيهما قراءة سبعية، ففرق بين ما هنا وما في السورتين المتقدمتين. قوله: ﴿**خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ أي والعظيم من حازها وهو النبي ﷺ ومن تبعه، لا من حاز الكثير من المال.

قوله: ﴿**وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ**﴾ إلخ، الكلام على حذف مضاف، أي ولولا خوف أن يكون الناس إلخ، كما أشار له المفسر فيما يأتي، والأوضح أن يقول: لولا رغبة الناس في الكفر إذا رأوا الكفار في سعة وتنعم لجلعنا إلخ، لأنه تعالى لا يوصف بالخوف، ففرق الله الدنيا بين المؤمنين والكافر، على حسب ما قدره لهم في الأزل. إن قلت: لم لم يوسع الدنيا على المسلمين، حيث يصير ذلك سبباً لاجتماع الناس على الإسلام، فالجواب: لأن الناس حينئذ يجتمعون على الإسلام لطلب الدنيا، وهو إيمان المنافقين، فما قدره الله تعالى خير، لأن كل من دخل الإيمان، فإنما يقصد رضا الله فقط. قوله: (**بدل من لمن**) أي بدل اشتمال. قوله: (**وبضمهما جمعاً**) أي على وزن رهن جمع رهن، فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿**وَمَعَارِجَ**﴾ جمع معرج بفتح الميم وكسرها وهو السلم. قوله: ﴿**وَ**﴾(**وجعلنا لهم**) ﴿**سُرُراً**﴾ أشار بذلك إلى أن

يتمتع به فيها ثم يزول ﴿وَٱلْأَخِرَةُ﴾ الجنة ﴿عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿وَمَن يَعْشُ﴾ يعرض ﴿عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي القرآن ﴿نُقَيِّضْ﴾ نسبب ﴿لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ ﴿٣٦﴾ لا يفارقه ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي الشياطين ﴿لَيَصُدُّونَهُمْ﴾ أي العاشين ﴿عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي طريق الهدى ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ في الجمع رعاية معنى من ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾ العاشي بقرينه يوم القيامة ﴿قَالَ﴾ له ﴿يَٰا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ أي مثل بعد ما بين المشرق والمغرب ﴿فَبِئْسَ

﴿سُرُراً﴾ معمول لمحذوف معطوف على قوله: ﴿لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمٰنِ﴾ عطف جمل.

قوله: ﴿وَزُخْرُفاً﴾ ذهباً، وقيل الزخرف الزينة. قوله: (**مخففة من الثقيلة**) أي مهملة لوجود اللام في خبرها. قوله: ﴿**وَالآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ أي إن الجنة تكون لكل موحد، قال كعب: وجدت في بعض كتب الله المنزلة: لولا أن يحزن عبدي المؤمن، لكللت رأس عبدي الكافر بالإكليل، ولا يتصدع ولا ينبض منه عرق لوجع، أي لا يتحرك، وفي الحديث: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر». وورد: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة، ما سقى الكافر منها شربة ماء» قال البقاعي: ولا يبعد أن يكون ما صار إليه الفسقة والجبابرة، من زخرفة الأبنية، وتذهيب السقوف وغيرها. من مبادىء الفتنة، بأن يكون الناس أمة واحدة في الكفر قرب الساعة، حتى لا تقوم الساعة على من يقول الله أو في زمن الدجال، لأن من يبقى إذ ذاك على الحق في غاية القلة، بحيث إنه لا عداد له في جانب الكفرة، لأن كلام الملوك لا يخلو عن حقيقة، وإن خرج مخرج الشرط، فكيف بملك الملوك سبحانه ا. هـ.

قوله: ﴿**وَمَنْ يَعْشُ**﴾ من العشاء وهو الإعراض والتغافل، ويطلق على ضعف البصر، وفعله عشا يعشو، كدعا يدعو. قوله: (**يعرض**) أي يتعام ويتغافل، وهذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً﴾. قوله: ﴿**عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ**﴾ أضاف الذكر إلى هذا الاسم إشارة إلى أن الكافر بإعراضه عن القرآن، سد على نفسه باب الرحمة، ولو اتبعه لعمته الرحمة. قوله: ﴿**نُقَيِّضْ**﴾ جواب الشرط، وفعله قوله: ﴿**يَعْشُ**﴾ مجزوم بحذف الواو، والضمة دليل عليها. قوله: ﴿**فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ**﴾ أي في الدنيا، بأن يمنعه من الحلال، ويحمله على فعل الحرام، وينهاه عن الطاعة، ويأمره بالمعصية، أو في الآخرة إذا قام من قبره، لما ورد: إذا مقام من قبره، شفع بشيطان لا يزال معه حتى يدخله النار، وإن المؤمن ليشفع بملك حتى يقضي الله بين خلقه، والأولى العموم.

قوله: ﴿**وَإِنَّهُمْ**﴾ جمع الضمير مراعاة لمعنى شيطان، كما أفرد أولاً في قوله: ﴿**فَهُوَ**﴾ مراعاة للفظه. قوله: ﴿**وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾ الجملة حالية، أي يعتقدون أنهم على هدى، وهو بمعنى قوله تعالى: ﴿ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون﴾. قوله: (**في الجمع**) أي في المواضع الثلاثة الأول، أي ليصدونهم ويحسبون أنهم، وقوله: (**رعاية معنى من**) أي بعد أن روعي لفظها في ثلاثة أيضاً: الضمير المستتر في ﴿**يَعْشُ**﴾ والضميران المجروران باللام في نقيض له ﴿**فَهُوَ لَهُ**﴾ وسيأتي مراعاة لفظها في موضعين المستتر في ﴿**جَاءَ**﴾ و ﴿**قَالَ**﴾ ثم مراعاة معناها في ثلاثة مواضع ﴿**وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ**﴾.

قوله: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَنَا**﴾ بالإفراد والتثنية قراءتان سبعيتان، فعلى الأولى فاعل جاء ضمير مستتر يعود على العاشي، وعلى الثانية ضمير التثنية. قوله: (**بقرينه**) أي مع قرينه. قوله: ﴿**يَا**﴾ (**للتنبيه**) ويصح

﴿ٱلْقَرِينُ﴾ ﴿٣٨﴾ أنت لي، قال تعالى: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ﴾ أي العاشين تمنيكم وندمكم ﴿ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾ أي تبين لكم ظلمكم بالإشراك في الدنيا ﴿أَنَّكُمْ﴾ مع قرنائكم ﴿فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ ﴿٣٩﴾ علة بتقدير اللام لعدم النفع، وإذا بدل من اليوم ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٤٠﴾ بيِّن؟ أي فهم لا يؤمنون ﴿فَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزائدة ﴿نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ بأن نميتك قبل تعذيبهم ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ ﴿٤١﴾ في الآخرة ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ﴾ في حياتك ﴿ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ﴾ به من العذاب ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم﴾ على عذابهم ﴿مُّقْتَدِرُونَ﴾ ﴿٤٢﴾ قادرون ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ أي القرآن ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ﴾ لشرف ﴿لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ لنزوله بلغتهم ﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ عن القيام بحقه ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي غيره ﴿ءَالِهَةً

أن تكون للنداء، والمنادى محذوف تقديره قريني. قوله: ﴿بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ اسم ﴿لَيْتَ﴾ مؤخر، وفيه تغليب (المشرق والمغرب). قوله: (أي مثل ما بين المشرق والمغرب) أي في أنهما لا يجتمعان ولا يقربان منه، لأنهما ضدان. قوله: (أنت) هو المخصوص بالذم. قوله: (قال تعالى) الماضي بمعنى المضارع، لأن هذا القول يحصل في الآخرة. (أي العاشقين) تفسير للكاف، وقوله: (وتمنيكم وندمكم) للضمير المستتر، فهو اشارة إلى أنه فاعل ينفع، وهو معلوم من السياق دل عليه قوله: ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ إلخ، وبعضهم قال: إن الفاعل هو ﴿أَنَّكُمْ﴾ وما في حيزها، والتقدير: ولن ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب، وأتى بهذا دفعاً لما قد يتوهم من أن عموم المصيبة يهونها، كمصائب الدنيا، فإنها إذا عمت هانت، بل في الآخرة عمومها موجب لعظمها وهولها. قوله: (أي تبين لكم) أي الآن في الآخرة، ودفع بذلك ما يقال: إن الظلم وقع في الدنيا، و ﴿الْيَوْمَ﴾ عبارة عن يوم القيامة، و ﴿إِذْ﴾ بدل من ﴿الْيَوْمَ﴾ فكيف يدل الماضي من الحال؟ فأجاب: بأن المراد تبين الظلم وظهوره، وذلك يكون يوم القيامة. قوله: (وإذ بدل من اليوم) أي بدل كل، إن قلت: لن ينفعكم عامل في اليوم، وإذ مع أنه مستقبل، واليوم ظرف حالي، وإذ ظرف ماض، فكيف يعمل المستقبل في الحال والماضي؟ أجيب: بأن عمله في الحال، من حيث إنه فريق من الاستقبال، وتقدم أن الماضي مؤول بالحال.

قوله: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ الاستفهام إنكاري بمعنى النفي، أي أنت لا تسمعهم، كما أشار له المفسر، وهذه الآية نزلت لما كان يجتهد في دعائهم، وهم لا يزدادون إلا تصمياً على الكفر. قوله: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ عطف على ﴿الْعُمْيَ﴾ ويكفي في العطف تغاير العنوان، وإلا فالأوصاف الثلاثة مجتمعة في كل كافر. قوله: (بأن نميتك قبل تعذيبهم) أي نقبضك الينا قبل انتقامنا منهم. قوله: ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ﴾ أي فلا يعجزوننا، وقد وقع بهم العذاب على يده في الدنيا، وعلى أيدي أتباعه بعد موته إلى يوم القيامة، ولعذاب الآخرة أشد. قوله: ﴿فَاسْتَمْسِكْ﴾ أي دم على الاستمساك.

قوله: ﴿إِنَّكَ﴾ إلخ تعليل للأمر بالاستمساك. قوله: ﴿وَلِقَوْمِكَ﴾ أي قريش خصوصاً ولغيرهم عموماً، فهو شرف لكل من تبعه، وهذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿ولقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم﴾. قوله: ﴿مِنْ رُسُلِنَا﴾ بيان لمن. قوله: ﴿أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمٰنِ﴾ إلخ، أي حكمنا بعبادة الأوثان،

يَعۡبُدُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ قيل هو على ظاهره بأن جمع له الرسل ليلة الإسراء، وقيل: المراد أمم من أي أهل الكتابين، ولم يسأل على واحد من القولين، لأن المراد من الأمر بالسؤال التقرير لمشركي قريش أنه لم يأت رسول من الله ولا كتاب بعبادة غير الله ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ أي القبط ﴿فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ الدالة على رسالته ﴿إِذَا هُم مِّنۡهَا يَضۡحَكُونَ﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنۡ ءَايَةٍ﴾ من آيات العذاب كالطوفان وهو ماء دخل بيوتهم ووصل إلى حلوق الجالسين سبعة أيام والجراد ﴿إِلَّا هِيَ أَكۡبَرُ مِنۡ أُخۡتِهَا﴾ قرينتها التي قبلها ﴿وَأَخَذۡنَٰهُم

وأنزلنا ذلك في كتبنا. قوله: (**قيل هو على ظاهره**) أي من غير تقدير، فهو مأمور بسؤال المرسلين أنفسهم، وهذا على أن الآية مكية. قوله: (**بأن جمع له الرسل**) إلخ، جواب عما يقال: إنه متأخر في البعث عن الرسل، فكيف يؤمر بسؤال من لم يلقه؟ قوله: (**وقيل المراد أمم**) إلخ، أي فالكلام على حذف مضاف، والمعنى: اسأل أمم من أرسلنا، وقوله: (**أي أهل الكتابين**) تفسير لأمم، وهذا على أن الآية مدنية، لأن أهل الكتابين إنما كانوا في المدينة. قوله: (**ولم يسأل على واحد من القولين**) هذا أحد قولين، قال ابن عباس وابن زيد: لما أسري برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وهو مسجد بيت المقدس، بعث الله له آدم ومن دونه من المرسلين، وجبريل مع النبي ﷺ، فأذن جبريل عليه الصلاة والسلام وأقام الصلاة ثم قال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ رسول الله ﷺ قال له جبريل: سل يا محمد من أرسلنا من قبلك من رسلنا، أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون؟ فقال ﷺ: قد اكتفيت: والقول الآخر لغير ابن عباس: أنهم صلوا خلفه ﷺ سبعة صفوف: المرسلون ثلاثة صفوف، والنبيون أربعة صفوف، وكان يلي ظهر رسول الله ﷺ إبراهيم الخليل، وعلى يمينه إسماعيل، وعلى يساره إسحاق، ثم موسى، ثم سائر المرسلين، فصلى بهم ركعتين، فلما انتقل قام فقال: إن ربي أوحى إلي أن أسألكم: هل أرسل أحداً منكم بدعوة إلى عبادة غير الله تعالى؟ فقالوا: يا محمد إنا نشهد إنا أرسلنا أجمعين بدعوة واحدة، أن لا إله إلا الله، وأن ما يعبدون من دونه باطل، وأنك خاتم النبيين وسيد المرسلين، وقد استبان ذلك بإمامتك إيانا، وأنه لا نبي بعدك إلى يوم القيامة إلا عيسى ابن مريم، فإنه مأمور أن يتبع أثرك.

قوله: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى**﴾ إلخ، الحكمة في ذكر تلك القصة والتي بعدها، عقب ما تقدم من مقالات الكفار تسليته ﷺ، فإن موسى وعيسى وقع لهما من قومهما ما وقع لمحمد ﷺ من قومه، من التعيير بقلة المال والجاه. قوله: ﴿**بِآيَاتِنَا**﴾ أي معجزاتنا التسع، والباء للملابسة. قوله: ﴿**فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ في القصة اختصار قد بين في سورة طه والقصص، والمعنى: فقال إني رسول رب العالمين، لتؤمن به وترسل معه بني اسرائيل.

قوله: ﴿**فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا**﴾ مرتب على مقدر، أي فطلبوا منه آية تدل على صدقه، يدل عليه ما تقدم في الأعراف ﴿قال إن كنت جئت بآية فائت بها﴾ إلخ، قوله: ﴿**إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ**﴾ ﴿**إِذَا**﴾ فجائية، والمعنى: حين جاءهم بالآيات فاجؤوا المجيء بها بالضحك والسخرية، من غير تأمل ولا تفكر. قوله: (**والجراد**) أي والقمل والضفادع والدم، كل واحدة تمكث سبعة أيام عليهم، فيستجيروا بموسى،

﴿بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٤٨﴾ عن الكفر ﴿وَقَالُواْ﴾ لموسى لما رأوا العذاب ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ أي العالم الكامل، لأن السحر عندهم علم عظيم ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ من كشف العذاب عنا إن آمنا ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ أي مؤمنون ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾ بدعاء موسى ﴿عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ﴾ افتخاراً ﴿فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي من النيل ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ أي تحت قصوري ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿٥١﴾ عظمتي ﴿أَمْ﴾ تبصرون؟ وحينئذ ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا﴾ أي موسى ﴿ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ﴾ ضعيف حقير ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ ﴿٥٢﴾ يظهر كلامه للثغته بالجمرة التي تناولها في صغره ﴿فَلَوْلَآ﴾ هلا ﴿أُلْقِىَ عَلَيْهِ﴾ إن كان صادقاً ﴿أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾ جمع أسورة كأغربة جمع سوار

فيدعو الله تعالى فيكشفه عنهم، فيمكثون بين كل واحدة والأخرى شهراً ويعودون لما كانوا عليه من الطغيان، ثم أرسل الله عليهم السنين المجدبة، فاستجاروا ثم عادوا للطغيان، ثم دعا الله فكشفت عنهم، ثم دعا عليهم بالطمس فطمست أموالهم، فعزموا على قتل موسى وقومه، فانتقم الله منهم بالغرق.

قوله: ﴿إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ الجملة صفة لآية، والمعنى إلا هي بالغة الغاية في الإعجاز بحيث يظن الناظر فيها أنا أكبر من غيرها. قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي عما هم عليه من الكفر. قوله: **(لأن السحر عندهم علم عظيم)** أي فقصدوا بذلك تعظيمه لا نقصه. إن قلت: إن الله تعالى قال في سورة الأعراف حكاية عنهم﴿قالوا يا موسى ادع لنا ربك﴾ إلخ، فهذا يقتضي أنهم نادوه باسمه، وهذا صريح في أنهم نادوه بيا أيها الساحر، فكيف الجمع بينهما؟ أجيب: بأن الخطاب تعدد، وإنما لم يلمهم على ذلك، رجاء أن يؤمنوا واستقصاراً لعقولهم. قوله: (من **كشف العذاب**) بيان لما. قوله: ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ أي إن كشف العذاب عنا. قوله: ﴿إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ أي في كل مرة من مرات العذاب.

قوله: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ﴾ أي بنفسه وبمناديه. قوله: ﴿وَهٰذِهِ الأَنْهَارُ﴾ إلخ، معطوف على ﴿مُلْكُ مِصْرَ﴾ وجملة ﴿تَجْرِي﴾ حال من اسم الإشارة. قوله: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ مفعوله محذوف قدره المفسر بقوله: **(عظمتي)**. قوله: ﴿أَمْ﴾**(تبصرون)** أشار بذلك إلى أن ﴿أَمْ﴾ متصلة معادلة للهمزة مطلوب بها التعيين، والمعادل محذوف، واعترض بأن المعادل لا يحذف بعد ﴿أَمْ﴾ إلا إن كان بعدها لا، نحو: أتقوم أم لا؟ أي أم لا تقوم. وأجيب: بأن هذا غالب لا مطرد. قوله: **(وحينئذ)** أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ﴾ إلخ، مسبب عن المعادل المحذوف. قوله: **(حقير)** أي لأنه يخدم نفسه، وليس له ملك ولا نفاذ أمر.

قوله: ﴿وَلَا يَكَدُ يُبِينُ﴾ الجملة إما عطف على جملة ﴿وَهُوَ مُهِينٌ﴾ أو حال أو مستأنفة. قوله: **(للثغته)** بضم اللام وهي تصيير الراء غيناً أو لاماً، أو السين تاء. قوله: **(التي تناولها في صغره)** أي حين لطم فرعون على وجهه، فاغتم لذلك وأراد قتله، فمنعته زوجته وقالت له: إنه صغير لا يعرف التمرة من الجمرة، فأتى له بتمر وجمر، فأراد أخذ التمرة، فحول جبريل يده فأخذ الجمرة، فأثرت في لسانه، وقد حلها الله حين أرسله، وإنما وصفه فرعون بها الآن، استصحاباً لما كان يعرف منه. قوله: ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ

كعادتهم فيمن يسودونه أن يلبسوه أسورة ذهب ويطوقوه طوق ذهب ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ متتابعين يشهدون بصدقه ﴿فَٱسْتَخَفَّ﴾ استفز فرعون ﴿قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾ فيما يريد من تكذيب موسى ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ أغضبونا ﴿ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا﴾ جمع سالف كخادم وخدم أي سابقين عبرة ﴿وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾ ﴿٥٦﴾ بعدهم يتمثلون بحالهم فلا يقدمون على مثل أفعالهم ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ﴾ جعل ﴿ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ حين نزل قوله تعالى: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ فقال المشركون: رضينا أن تكون آلهتنا مع عيسى، لأنه عبد من دون الله ﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾ أي المشركون ﴿مِنْهُ﴾ من المثل ﴿يَصِدُّونَ﴾ ﴿٥٧﴾ يضحكون فرحاً بما سمعوا ﴿وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ أي عيسى فنرضى أن تكون آلهتنا معه ﴿مَا ضَرَبُوهُ﴾ أي المثل ﴿لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا﴾ خصومة بالباطل لعلمهم أن ما لغير العاقل فلا يتناول عيسى عليه السلام ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ شديدو الخصومة ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ﴾ عيسى ﴿إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ بالنبوة ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾ بوجوده من غير أب

عَلَيْهِ﴾ أي من عند مرسله الذي يدعي أنه الملك حقيقة. قوله: **(استفز فرعون) ﴿قَوْمَهُ﴾** المعنى: استخف فرعون عقول قومه، فألقي عليهم تلك الشبه الواهية التي أثبت بها ألوهية نفسه وكذب موسى فأطاعوه. قوله: **﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾** أصله أأسفونا بهمزتين، أبدلت الثانية ألفاً. قوله: **(أغضبونا)** أي حيث بالغوا في العناد والعصيان. قوله: **﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾** أي عاقبناهم. قوله: **﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾** تفسير للانتقام، وقد أهلكوا بجنس ما تكبروا به، ففيه اشارة إلى أن من افتخر بشيء وتعزز به غير الله أهلكه به. قوله: **﴿وَمَثَلاً﴾** معطوف على **﴿سَلَفاً﴾** والمراد بالآخرين المتأخرون في الزمان، وهي الأمة المحمدية.

قوله: **﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً﴾** سبب نزولها أنه لما نزل قوله تعالى: **﴿إنكم وما تعبدون من دون الله﴾** الآية، قال عبد الله بن الزبعري وكان قبل أن يسلم: أهذا لنا ولآلهتنا، أم لجميع الأمم؟ فقال رسول الله: هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم، فقال: قد خصمتك ورب الكعبة، أليست النصارى يعبدون المسيح؟ واليهود يعبدون عزيراً؟ وبنو مليح يعبدون الملائكة؟ فإن كان هؤلاء في النار، فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم، فسكت انتظاراً للوحي، فظنوا أنه ألزم الحجة، فضحكوا وارتفعت أصواتهم، إذ علمت ذلك تعلم الاقتصار الواقع من المفسر في القصة. قوله: **﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾** فجائية، والمعنى: فاجأ ضرب المثل صدودهم وفرحهم. قوله: **﴿يَصِدُّونَ﴾** بضم الصاد وكسرها من باب ضرب وورد قراءتان سبعيتان. قوله: **(فرحاً بما سمعوا)** أي إن محمداً صار مغلوباً بهذا الجدال.

قوله: **﴿وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ﴾** إلخ، تفصيل لجدالهم، والمعنى أنهم قالوا: آآلهتنا خير عندك أم عيسى؟ فإن كان في النار فلتكن آلهتنا معه، وقوله: **﴿أَآلِهَتُنَا﴾** بتحقيق الهمزتين أو تسهيل الثانية، بغير ادخال ألف بينهما، فهما قراءتان سبعيتان فقط، وقرىء شذوذاً بهمزة واحدة بعدها ألف على لفظ الخبر. قوله: **﴿فَتَرْضَى أَنْ تَكُونَ﴾** إلخ، هذا تفريع على الشق الثاني. قوله: **﴿إِلاَّ جَدَلاً﴾** مفعول من أجله، أي لأجل الجدل والمراء. قوله: **(لعلمهم أن ما)** أي الوقعة في قوله تعالى: **﴿إنكم وما تعبدون﴾** وعلمهم ذلك لكون القرآن نزل بلغتهم ولغة العرب، أن ما تكون لغير العاقل، ومن للعاقل. قوله: **﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ**

﴿مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ ﴿٥٩﴾ أي كالمثل لغرابته، يستدل به على قدرة الله تعالى على ما يشاء ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم﴾ بدلكم ﴿مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ﴾ ﴿٦٠﴾ بأن نهلككم ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي عيسى ﴿لَعِلۡمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ تعلم بنزوله ﴿فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا﴾ أي تشكن فيها حذف منه نون الرفع للجزم، وواو الضمير لالتقاء الساكنين ﴿وَ﴾ قل لهم ﴿ٱتَّبِعُونِۚ﴾ على التوحيد ﴿هَٰذَا﴾ الذي آمركم به ﴿صِرَٰطٌ﴾ طريق ﴿مُّسۡتَقِيمٌ﴾ ﴿٦١﴾ ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ﴾ يصرفنكم عن دين الله ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ﴿٦٢﴾ بين العداوة ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات والشرائع ﴿قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ﴾ بالنبوة وشرائع الإنجيل ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ﴾ من أحكام التوراة من أمر الدين وغيره، فبيَّن لهم أمر الدين ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ﴾ طريق ﴿مُّسۡتَقِيمٌ﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ﴾ في عيسى، أهو الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة؟ ﴿فَوَيۡلٌ﴾ كلمة عذاب ﴿لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ كفروا بما قالوه في عيسى

عَبْدٌ﴾ رد عليهم، والمعنى: ما عيسى إلا عبد مكرم منعم عليه بالنبوة، لا إله ولا ابن إله. قوله: (بوجوده من غير أب) أي فهو نظير آدم في خلقه من غير أبوين. قوله: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ خطاب لقريش، والمعنى: أننا أغنياء عنكم وعن عبادتكم، فلو نشاء لأهلكناكم، وجعلنا بدلكم ملائكة يعبدوني في الأرض. قوله: (بدلكم) أي فهو نظير قوله تعالى: ﴿أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة﴾ وقول الشاعر:

جارية لم تأكل المرققا ... ولم تذق من البقول الفستقا

ويصح أن تكون من تبعيضية، والمعنى: لو نشاء لجعلنا بعضكم ملائكة يخلفونكم فيها، بأن يحول بعضكم إلى صورة الملائكة، أو يلد بعضكم ملائكة. قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ﴾ أي نزوله علامة على قرب الساعة، فالكلام على حذف مضاف، واللام بمعنى على. قوله: ﴿وَاتَّبِعُونِ﴾ أي امتثلوا ما آمركم به. قوله: ﴿وعلا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ معطوف على ﴿اتَّبِعُونَ﴾ فهو مقول القول، وقيل: من كلام الله تعالى: والمعنى: اتبعوا يا عبادي هديي أو رسولي ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ إلخ. قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى﴾ أي أرسل لبني إسرائيل. قوله: ﴿وَلأُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ معطوف على قوله: ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾ أي وجئتكم لأبين، ولم يترك العاطف، اشارة إلى أنه متعلق بما قبله، اشعاراً بالاهتمام بالقلة، حتى جعل كأنه كلام برأسه. قوله: ﴿بَعْضَ الَّـذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ أي فبين لهم أمر الدين، وهو بعض ما يختلفون فيه، لأن اختلافهم في أمر الدين وتكسبات الدنيا، والأنبياء بعثوا لبيان الدين، لا لصنائع الدنيا، فإنها تؤخذ عن أهلها، وفي الحديث: «أنتم أعلم بأمردنياكم» ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾ أي فيما أبلغه عنه.

قوله: ﴿فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ أي تفرقوا من بين من بعث إليهم من اليهود والنصارى. قوله: (أهو الله) هذه مقالة فرقة من النصارى تسمى اليعقوبية. قوله: (أو ابن الله) هذا قول فرقة منهم أيضاً تسمى المرقوسية. قوله: (أو ثالث ثلاثة) هذا قول فرقة منهم أيضاً تسمى الملكانية، وقالت فرقة: إنه عبد الله ورسوله، وإنما كفرت ببعثة محمد ﷺ وقالت اليهود: إنه ليس بنبي فإنه ابن زنا؛ لعنهم الله. قوله: (كلمة عذاب) أي كلمة معناها العذاب وهو مبتدأ، وقوله: ﴿لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ خبره. قوله: (أي

﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ ﴿٦٥﴾ مؤلم ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي كفار مكة أي ما ينتظرون ﴿إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم﴾ بدل من الساعة ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ بوقت مجيئها قبله ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ﴾ على المعصية في الدنيا ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة متعلق بقوله ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٦٧﴾ المتحابين في الله على طاعته فإنهم أصدقاء ويقال لهم ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ نعت لعبادي ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ ﴿٦٩﴾ ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ﴾ مبتدأ ﴿وَأَزْوَٰجُكُمْ﴾ زوجاتكم ﴿تُحْبَرُونَ﴾ ﴿٧٠﴾ تسرون وتكرمون خبر المبتدأ ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ﴾ بقصاع ﴿مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ جمع كوب وهو إناء لا عروة له، ليشرب الشارب من حيث شاء ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ تلذذاً ﴿وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ نظراً ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ ﴿٧١﴾

كفار مكة) هذا توعد لهم بالعذاب، إثر بيان فرحهم بجعل المسيح مثلاً.

قوله: ﴿**وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾ الجملة حالية. قوله: (**على المعصية**) أي وعليه فيكون الاستثناء منقطعاً، ويصح أن المراد بالاخلاء الأحباب مطلقاً، فيكون الاستثناء متصلاً. قوله: (**متعلق بقوله** ﴿**بَعْضُهُمْ**﴾) أي والفصل بالمبتدأ لا يضر. قوله: (**فإنهم أصدقاء**) أي ويشفعون لبعضهم ويتوددون، كما كانوا في الدنيا. قوله: (**ويقال لهم**) أي تشريفاً وتطييباً لقلوبهم، ورد أنه ينادي مناد في العرصات ﴿**يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ**﴾، فيرفع أهل العرصة رؤوسهم، فيقول المنادي: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ**﴾، فينكس أهل الأديان رؤوسهم غير المسلمين.

قوله: ﴿**يَا عِبَادِي**﴾ الإضافة للتشريف والتكريم، والياء إما ساكنة أو مفتوحة أو محذوفة، ثلاث قراءات سبعيات، وقد ناداهم الله تعالى بأربعة أمور: الأول نفي الخوف، والثاني نفي الحزن، والثالث الأمر بدخول الجنة، والرابع البشارة بالسرور في قوله: ﴿**تُحْبَرُونَ**﴾. قوله: ﴿**لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ**﴾ بالرفع والتنوين في قراءة العامة، وهو مبتدأ، و ﴿**عَلَيْكُمْ**﴾ خبره، وقرىء شذوذاً بالضم والفتح دون تنوين. قوله: ﴿**وَكَانُوا مُسْلِمِينَ**﴾ أي مخلصين في أمر الدين. قوله: (**زوجاتكم**) أي المؤمنات. قوله: (**تسرون**) أي يظهر أثره على وجوهكم. قوله: (**بقصاع**) جمع قصعة وهي الإناء الذي يشبع العشرة، وأكبر منها الجفنة، والصحفة ما يشبع الخمسة، والمأكلة ما يشبع الرجلين أو الثلاثة، ورد أنه يطوف على أدنى أهل الجنة، منزلة سبعون ألف غلام، بسبعين ألف صحفة من ذهب، يغدى عليه بها في كل واحدة منها لون ليس في صاحبتها، يأكل من آخرها كما يأكل من أولها، ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها، لا يشبه بعضه بعضاً، ويراح عليه بمثلها، ويطوف على أرفعهم درجة، كل يوم سبعمائة ألف غلام، مع كل غلام صحفة من ذهب، فيها لون من الطعام ليس في صاحبتها، يأكل من آخرها كما يأكل من أولها، ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها، لا يشبه بعضه بعضاً. قوله: (**جمع كوب**) أي كعود وأعواد. قوله: (**لا عروة له**) أي ليس له محل يمسك منه. قوله: (**ليشرب الشارب من حيث شاء**) أي لأن العروة تمنع من بعض الجهات، وروي أنهم يؤتون بالطعام والشراب، فإذا كان في آخر ذلك، أتوا بالشراب الطهور، فتنضمر لذلك بطونهم، وتفيض عرقاً من جلودهم أطيب من ريح المسك، قال تعالى: ﴿وسقاهم ربهم شراباً طهوراً﴾.

﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا﴾ أي بعضها ﴿تَأْكُلُونَ ﴾ ﴿٧٣﴾ وكل ما يؤكل يخلف بدله ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿لَا يُفَتَّرُ﴾ يخفف ﴿عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ ﴿٧٥﴾ ساكتون سكوت يأس ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ﴾ هو خازن النار ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ ليمتنا ﴿قَالَ﴾ بعد ألف سنة ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾ ﴿٧٧﴾ مقيمون في العذاب دائماً، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم﴾ أي أهل مكة

قوله: ﴿وَفِيهَا﴾ أي الجنة. قوله: ﴿مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ﴾ أي من الأشياء المعقولة والمسموعة والمنظورة والملموسة والمذوقة والمشمومة، روي «أن رجلاً قال: يا رسول الله أفي الجنة خيل؟ فإني أحب الخيل. فقال: إن يدخلك الله الجنة، فلا تشاء أن تركب فرساً من ياقوتة حمراء، فتطير بك في أي الجنة شئت إلا فعلت، فقال أعرابي: يا رسول الله في الجنة إبل؟ فإني أحب الإبل. فقال: يا أعرابي إن أدخلك الله الجنة، أصبت فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك». وتشتهي: بهاء واحدة اثنتين بينهما الياء، قراءتان سبعيتان. قوله: (تلذذاً) أي بطعامها وشرابها، لا عن عطش. قوله: (نظراً) أي وأعظمه النظر إلى وجه الله الكريم.

قوله: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ﴾ مبتدأ وخبر، وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب تشريفاً لها وتعظيماً لقدرها، ولم يقل: وتلكمو الجنة، ليكون مناسباً لقوله: ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾ إشارة إلى أن كل واحد من أهل الجنة مخاطب بالاستقلال. قوله: ﴿أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي أعطيتموها بسبب عملكم، وهذا زيادة في الإكرام لأهل الجنة، وحيث لم يقل أورثتموها من فضلي، وإن كانت في الحقيقة من فضله تعالى، قال ابن عباس: خلق الله لكل نفس جنة وناراً، فالكافر يرث نار المسلم، والمسلم يرث جنة الكافر. قوله: (يخلف بدله) أي لأنها على صفة الماء النابع، لا يؤخذ منها شيء، إلا خلف مكانه في الحال مثله.

قوله: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾ إلخ، لما ذكر وعد المؤمنين الحسن بالجنة وما فيها، شرع في ذكر وعيد الكافرين السيىء بالنار وما فيها، على حكم عادته سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، والمراد بالمجرمين الكفار لذكرهم في مقابلة المؤمنين. قوله: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾ الجملة حالية، وكذا ما بعدها والفتور السكون، يقال من فتر الماء سكن حره. قوله: (ساكتون) أي فالإبلاس السكوت، ويطلق على السكون، يقال أبلس سكت وسكن. قوله: (سكوت يأس) أي من رحمة الله تعالى. إن قلت: إن مقتضى ما هنا أنهم يسكتون في النار، ومتقضى ما يأتي في قوله: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ﴾ الآية، أنهم يستغيثون ويتكلمون، فحصل التنافي بين الموضعين. أجيب: بأنهم يسكتون تارة ويستغيثون أخرى، فأحوالهم مختلفة. قوله: ﴿وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ العامة على نصب ﴿الظَّالِمِينَ﴾ خبراً لكان، و ﴿هُمُ﴾ ضمير فصل، وقرىء شذوذاً الظالمون بالرفع، على أن ﴿هُمُ﴾ ضمير منفصل مبتدأ، والظالمون خبره، والجملة خبر كان.

قوله: ﴿وَنَادَوْا﴾ التعبير بالماضي لتحقق الحصول. قوله: (هو خازن النار) أي كبير خزنتها، ومجلسه وسط النار، وفيها جسور تمر عليها ملائكة العذاب، فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها. قوله: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ اللام للدعاء، ويقض مجزوم بحذف الياء، والمعنى: سل ربك أن يميتنا، فهو من قضى عليه إذا أماته. قوله: (ليمتنا) أي لنستريح مما نحن فيه. قوله: (بعد ألف سنة) هذا أحد أقوال،

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ على لسان الرسول ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓاْ﴾ أي كفار مكة أحكموا ﴿أَمْرًا﴾ في كيد محمد النبي ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ ﴿٧٩﴾ محكمون كيدنا في إهلاكهم ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾ ما يسرون إلى غيرهم وما يجهرون به بينهم ﴿بَلَىٰ﴾ نسمع ذلك ﴿وَرُسُلُنَا﴾ الحفظة ﴿لَدَيْهِمْ﴾ عندهم ﴿يَكْتُبُونَ﴾ ﴿٨٠﴾ ذلك ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾ فرضاً ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ ﴿٨١﴾ للولد لكن ثبت أن لا ولد له تعالى، فانتفت عبادته ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ﴾ الكرسي ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ يقولون من الكذب بنسبة الولد إليه ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ﴾ في باطلهم ﴿وَيَلْعَبُواْ﴾ في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ ﴿٨٣﴾ فيه العذاب وهو يوم القيامة ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى﴾ هو ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ﴾ بتحقيق الهمزتين

وقيل بعد مائة سنة، وقيل بعد أربعين سنة، والسنة ثلاثمائة وستون يوماً، واليوم كألف سنة مما تعدون. قوله: **(مقيمون في العذاب دائماً)** أي لا مفر لكم منه بموت ولا غيره. قوله: **﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ﴾** إلخ، يحتمل أنه من كلام الله تعالى، خطاب لأهل مكة عموماً، مبين لسبب مكث الكفار في النار، وهو ما مشى عليه المفسر، وقوله: **﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾** وأما قلتكم فهو مؤمن يحب الحق، ويحتمل أنه من كلام مالك لأهل النار، جار مجرى العلة كأنه قال: إنكم ماكثون لأنا جئناكم إلخ، ويكون معنى أكثركم كلكم. قوله: **﴿كَارِهُونَ﴾** أي لما فيه من منع الشهوات، فكراهتكم له من أجل كونه مخالفاً لهواكم وشهواتكم.

قوله: **﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً﴾** الإبرام في الأصل الفتل المحكم، يقال: أبرم الحبل إذا أتقن فتله ثانياً، وأما فتله أولاً فيسمى سحلاً، ثم أطلق على مطلق الإتقان والإحكام، و **﴿أَمْ﴾** منقطعة تفسر ببل والهمزة، وهو انتقال من توبيخ أهل النار إلى توبيخ الكفار، على بعض ما حصل منهم في الدنيا. قوله: **(في كيد محمد)** أي كما ذكره في قوله تعالى: **﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك﴾** الآية.

قوله: **﴿أَمْ يَحْسَبُونَ﴾** **﴿أَمْ﴾** منقطعة تفسر ببل وهمزة الإنكار. قوله: **﴿وَرُسُلُنَا﴾** إلخ، الجملة حالية، وقوله: **﴿يَكْتُبُونَ﴾(ذلك)** أي سرهم ونجواهم. قوله: **﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ وَلَدٌ﴾** أي إن صح وثبت ذلك ببرهان صحيح، فأنا أول من يعظم ذلك الولد ويعبده. قوله: **(لكن ثبت أن لا ولد له)** أشار بذلك إلى أن قياس استثنائي، وقد استثنى فيه نقيض المقدم بقوله: **(لكن ثبت)** إلخ، فأنتج نقيض التالي وهو قوله: **(فانتفت عبادته)** وإيضاحه: أنه علق العبادة بكينونة الولد وهي محالة في نفسها، فكان المعلق بها محالاً مثلها، فحصل نفيها على أبلغ الوجوه وأقواها. قوله: **(الكرسي)** المناسب إبقاء الآية على ظاهرها، لأن من المعلوم أن **﴿الْعَرْشِ﴾** غير **(الكرسي)**. قوله: **(العذاب)** مفعول ثان ليوعدون وفيه متعلق بالعذاب. قوله: **(وهو يوم القيامة)** المناسب أن يقول: يوم موتهم، لأن خوضهم ولعبهم إنما ينتهي بيوم الموت.

قوله: **﴿وَهُوَ الَّذِي﴾(هو)** **﴿فِي السَّمَاءِ﴾** إلخ، قدر الضمير إشارة إلى أن العائد محذوف وهو مبتدأ، و **﴿إِلٰهٌ﴾** خبره، و **﴿فِي السَّمَاءِ﴾** متعلق بإله، وإنما حذف المبتدأ لدلالة المعنى عليه، ولطول

وإسقاط الأولى وتسهيلها كالياء أي معبود ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ وكل من الظرفين متعلق بما بعده ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في تدبير خلقه ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴾ ﴿٨٤﴾ بمصالحهم ﴿وَتَبَارَكَ﴾ تعظم ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ متى تقوم ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٨٥﴾ بالياء والتاء ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدون أي الكفار ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي الله ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ لأحد ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي قال لا إله إلا الله ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨٦﴾ بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم وهو: عيسى وعزير والملائكة، فإنهم يشفعون للمؤمنين ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ حذف منه نون الرفع وواو الضمير ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ ﴿٨٧﴾ يصرفون عن عبادة الله ﴿وَقِيلِهِۦ﴾ أي قول محمد النبي، ونصبه على المصدر بفعله المقدر أي وقال ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٨٨﴾ قال تعالى: ﴿فَٱصْفَحْ﴾ فأعرض ﴿عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾ منكم، وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨٩﴾ بالياء والتاء، تهديد لهم.

الصلة بالمعمول، نظير قولك: ما أنا بالذي قائل لك سوءاً، ولا يصح أن يكون الجار والمجرور خبراً مقدماً، و ﴿إِلَٰهٌ﴾ مبتدأ مؤخراً، لئلا تعرى الجملة عن رابط نظير: جاء الذي في الدار زيد. قوله: **(بتحقيق الهمزتين)** إلخ، أي همزة سماء، وهمزة إله، وذكر المفسر هنا ثلاث قراءات، وفي الحقيقة هي سبع سبعيات: التحقيق وهي قراءة واحدة، وإسقاط الهمزة الأولى وتسهيلها مع القصر في سماء بقدر ألف والمد بقدر ألفين، وتسهيل الثانية وابدالها ياء مع القصر لا غير. قوله: **(متعلق بما بعده)** أي وهو إله لأنه بمعنى معبود، والتقدير: وهو معبود في السماء ومعبود في الأرض، ولا شك أن العابد في السماء غير العابد في الأرض، والمعبود واحد، ودفع ما يتوهم من ظاهر الآية أن الإله متعدد، لأن النكرة إذا أعيدت كانت غيراً. قوله: ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أي علم وقت قيامها. قوله: **(والتاء)** أي فهو التفات من الغيبة للخطاب للتهديد والتقريع.

قوله: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ﴾ إلخ، الاسم الموصول فاعل ﴿يَمْلِكُ﴾ وهو إما عبارة عن مطلق المعبودات غير الله ليكون الاستثناء متصلاً، وهو ما تقتضيه عبارة المفسر، أو عن خصوص الأصنام فيكون منقطعاً. قوله: **(أي الكفار)** تفسير للواو في ﴿يَدْعُونَ﴾. قوله: **(لأحد)** قدره اشارة إلى أن مفعول ﴿الشَّفَاعَةَ﴾ محذوف. قوله: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ الضمير عائد على ﴿مِنْ﴾ والجمع باعتبار معناها.

قوله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾ أي العابدين مع ادعاء الشريك. قوله: ﴿لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ جواب القسم، وجواب الشرط محذوف على القاعدة. قوله: **(أي قول محمد النبي)** تفسير لكل من المضاف والمضاف إليه، وقوله: **(ونصبه على المصدر)** أي فالقول والقيل المقالة كلها مصادر بمعنى واحد، وفي قراءة سبعية أيضاً بالجر، إما عطفاً على ﴿السَّاعَةَ﴾ أو أن الواو للقسم، والجواب: إما محذوف والتقدير لأفعلن بهم ما أريد، أو مذكور وهو قوله: إن هؤلاء قوم لا يؤمنون. قوله: ﴿وَقُلْ سَلَامٌ﴾ خبر لمحذوف أي شأني سلام، أي ذو سلامة منكم ومني، فهو تباعد وتبرؤ منهم، فليس في الآية مشروعية السلام على الكفار. قوله: **(وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم)** أي فالآية منسوخة، ويحتمل أن المراد الكف عن مقابلتهم بالكلام فلا نسخ فيها.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُورَةُ الدُّخَانِ

مكيّة

وآياتها تسع وخمسون

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿حمٓ﴾ (١) الله أعلم بمراده به ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿ٱلۡمُبِينِ﴾ (٢) المظهر الحلال من الحرام ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ هي ليلة القدر، أو ليلة النصف

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الدخان مكية

وقيل إلا ﴿إنا كاشفو العذاب﴾ الآية. وهي ست أو سبع أو تسع وخمسون آية

أي كلها وهو المعتمد. قوله: **(الآية)** أي إلى قوله: ﴿عائدون﴾ وورد في فضل هذه السورة أحاديث منها قوله ﷺ: «من قرأ الدخان ليلة الجمعة، أصبح مغفوراً له، وزوج من الحور العين». ومنها قوله ﷺ: «من قرأ الدخان ليلة الجمعة، أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك». ومنها قوله ﷺ: «من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة أو يوم الجمعة، بنى الله له بيتاً في الجنة». قال بعض العلماء ما ذكره البيضاوي من الواردة في فضل السورة متكلم فيها إلا أحاديث سورة الدخان، وحديث يس الذي تقدم لنا وهو: «إن لكل شيء قلباً، وقلب القرآن يس، من قرأها يريد وجه الله تعالى غفر الله له» إلى آخره، وحديث سورة الواقعة وهو: «من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً».

قوله: ﴿**وَالْكِتَابِ**﴾ الواو للقسم، و﴿**الْكِتَابِ**﴾ مقسم به، وجواب القسم هو قوله: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ**﴾ إلخ، وأما قوله: ﴿**إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ**﴾ فهو تعليل للجواب، وهو أحسن من جعل الجواب قوله: ﴿**إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ**﴾ وقوله: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ**﴾ جملة معترضة بين القسم وجوابه. قوله: **(القرآن)** هذا أحد أقوال في تفسير الكتاب وهو أقواها، وعليه فقد أقسم بالقرآن أنه أنزل القرآن في ليلة مباركة، وهذا من أبلغ الكلام الدال على غاية تعظيم القرآن، كما تقول للعظيم: أتشفع بك لك، وفي الحديث: «أعوذ برضاك من سخطك، وبعفوك من عقوبتك، وبك منك». وقيل المراد بالكتاب الكتب المنزلة على الأنبياء، والضمير في ﴿**أَنْزَلْنَاهُ**﴾ عائد على القرآن المفهوم من السياق، وقيل المراد به في اللوح المحفوظ، وقوله: ﴿**أَنْزَلْنَاهُ**﴾ أي أنزلنا بعض ما فيه وهو القرآن. قوله: **(هي ليلة القدر)** هذا قول قتادة وابن زيد وأكثر المفسرين، ووجه بأمور منها قوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ فيجب أن تكون الليلة المباركة، هي المسماة بليلة القدر، لأن خير ما فسرته بالوارد، ومنها قوله تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ فقوله تعالى

من شعبان، نزل فيها من أم الكتاب من السماء السابعة إلى السماء الدنيا ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾ مخوِّفين به ﴿فِيهَا﴾ أي في ليلة القدر أو ليلة النصف من شعبان ﴿يُفْرَقُ﴾ يفصل ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ محكم من الأرزاق والآجال وغيرهما التي تكون في السنة إلى مثل تلك الليلة ﴿أَمْرًا﴾ فرقاً

هنا: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ يجب أن تكون هذه الليلة المباركة في رمضان، فثبت أنها ليلة القدر، ومنها قوله تعالى في صفة ليلة القدر: ﴿تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر﴾ وقال هنا ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ وقال هنا: ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِكَ﴾ وقال في ليلة القدر: ﴿سلام هي حتى مطلع الفجر﴾ وإذا تقاربت الأوصاف، وجب القول بأن احدى الليلتين هي الأخرى، وهذه أدلة ظاهرة واضحة على أنها ليلة القدر وهو المعتمد، وسميت ليلة القدر، لأن الله تعالى يقدر فيها ما يشاء من أمره، إلى مثلها من السنة القابلة، من أمر الموت والأجل والرزق، ويسلم ذلك إلى مدبرات الأمور وهم: اسرافيل وميكائيل وعزرائيل وجبريل عليهم السلام، وقيل: يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ، من ليلة نصف من شعبان، ويقع الفراغ في لية القدر، فتدفع نسخة الأرزاق إلى ميكائيل، ونسخة الحروب إلى جبريل، وكذلك الزلازل والصواعق والخسف، ونسخة الأعمال إلى اسماعيل صاحب سماء الدنيا، وهو ملك عظيم، ونسخة المصائب إلى ملك الموت. قوله: (أو ليلة النصف من شعبان) هو قول عكرمة وطائفة، ووجه بأمور منها أن ليلة النصف من شعبان لها أربعة أسماء: الليلة المباركة، وليلة البراءة، وليلة الرحمة، وليلة الصك. ومنها فضل العبادة فيها لما ورد: من صلى فيها مائة ركعة، أرسل الله تعالى إليه مائة ملك، ثلاثون يبشرونه بالجنة، وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار، وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا، وعشرة يدفعون عنه مكائد الشيطان، ومنها نزول الرحمة فيها لما في الحديث: «إن الله يرحم أمتي هذه الليلة، بعدد شعر أغنام بني كلب». ومنها حصول المغفرة فيها لما في الحديث: «إن الله يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة، إلا الكاهن، والساحر، ومدمن الخمر، وعاق والديه، والمصر على الزنا». ومنها أن الله تعالى أعطى رسول في تلك الليلة تمام الشفاعة في أمته، وذلك أنه سأل ليلة الثالث عشر من شعبان في أمته فأعطي الثلث منها، ثم سأل ليلة الرابع عشر فأعطي الثلثين، ثم سأل ليلة الخامس عشر فأعطي الجميع، إلا من شرد عن الله شرود البعير. قوله: (نزل فيها) أي جملة، ومعنى إنزاله من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، أن جبريل أملاه منه على ملائكة سماء الدنيا، فكتبوه في صحف وكانت عندهم في محل من تلك السماء يسمى بيت العزة، ثم نجمته الملائكة المذكورون على جبريل في عشرين سنة، ينزل بها على النبي ﷺ بحسب الوقائع والحوادث. قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرينَ﴾ المراد من كان الاستمرار والدوام، أي شأننا وعادتنا الإنذار والتخويف، وهذه الجملة علة للإنزال، وكونه في ليل مباركة. والمعنى: إنما أنزلناه في ليلة مباركة، لأن شأننا الإنذار، وهذا القرآن عظيم أنزل في ليلة مباركة، شأنه أن يخاف منه.

قوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ﴾ هذه الجملة إما مستأنفة أو صفة لليلة، وما بينهما اعتراض. قوله: (يفصل) أي يبين ويظهر للملائكة الموكلين بالتصرف. قوله: (محكم) أي مبرم لا تغيير فيه ولا تبديل. قوله: (فرقاً) أشار بذلك إلى أن ﴿أمراً﴾ منصوب على المصدرية بفعل ملاق له في المعنى: كقمت وقوفاً، وجلست قعوداً، ويصح أن يكون حالاً من فاعل ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ والتقدير أنزلناه حال كوننا آمرين، أو من مفعوله والتقدير أنزلناه حال كونه مأموراً به، ويصح أن يكون مفعولاً لأجله وعامله أنزلناه، والتقدير

﴿ مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ﴾ ﴿٥﴾ الرسل محمداً ومن قبله ﴿رَحۡمَةً﴾ رأفة بالمرسل إليهم ﴿مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ ﴿٦﴾ لأفعالهم ﴿ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ ﴾ برفع رب خبر ثالث، وبجره بدل من ربك ﴿ إِن كُنتُم ﴾ يا أهل مكة ﴿مُّوقِنِينَ﴾ ﴿٧﴾ بأنه تعالى رب السماوات والأرض، فأيقنوا بأن محمداً رسوله ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ ﴿٨﴾ ﴿ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ ﴾ من البعث ﴿يَلۡعَبُونَ﴾ ﴿٩﴾ استهزاء بك يا محمد، فقال: اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف، قال تعالى: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ ﴾ لهم ﴿ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴾ ﴿١٠﴾ فأجدبت

أنزلناه لأمر الخلق أي شأنهم، بمعنى أن فيه مصالح دينهم ودنياهم. قال تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾. قوله: ﴿مِنْ عِنْدِنَا﴾ صفة لأمراً. قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ جملة مستأنفة قصد بها بيان حكمة الإنزال في ليلة مباركة وكونه آمراً.

قوله: ﴿رَحْمَةً﴾ مفعول لأجله، والعامل فيه: إما ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ وإما ﴿أَمْراً﴾ وإما ﴿مُنْذِرِينَ﴾ وإما ﴿يُفْرَقُ﴾ وإما ﴿مُرْسَلِينَ﴾ وهو الأقرب، ويصح أن يكون منصوباً بفعل محذوف، أي رحمناهم رحمة، ويصح أن يكون حالاً من ضمير ﴿مُرْسِلِينَ﴾ أي ذوي رحمة، ويصح أن يكون بدلاً من ﴿أَمْراً﴾. قوله: ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ متعلق برحمة، وفيه التفات من التكلم للغيبة، لمزيد الإرهاب والترغيب، فالإرهاب للكفار، والترغيب للمؤمنين. قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ تعليل لما قبله، وإن حرف توكيد ونصب، والهاء اسمها، وهو ضمير فصل، و ﴿السَّمِيعُ﴾ خبر أول، و ﴿الْعَلِيمُ﴾ خبر ثان، وقوله: ﴿رَبُّ﴾ خبر ثالث كما قال المفسر، ففيه إشارة لهذا الإعراب. قوله: (فأيقنوا) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف، والجملة الشرطية معترضة بين الأخبار، فإن قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ خبر رابع. قوله: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ﴾ بالرفع في قراءة العامة، على أنه بدل أو بيان أو نعت لرب السماوات والأرض فيمن رفعه، وقرىء شذوذاً بالجر والنصب، فالأول على أنه نعت لرب السماوات في قراءة من جره؛ والثاني على المدح.

قوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ﴾ إضراب عن محذوف، والمعنى: فليسوا موقنين ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ﴾ وقوله: ﴿يَلْعَبُونَ﴾ حال، أي حال كونهم يلعبون بظواهرهم، من الأقوال والأفعال، والمراد بلعبهم انهماكهم في الفاني واعراضهم عن الباقي، قال تعالى ﴿إنما الحياة الدنيا لعب﴾. قوله: (فقال اللهم أعني عليهم بسبع) أي سنين، هذا مفرغ على محذوف، أشار له المفسر بقوله: (استهزاء) أي فلما استهزؤوا به وكثر عنادهم، دعا عليهم بقوله: (اللهم أعني عليهم) أي على هداهم، وفي الحقيقة هو دعاء لهم، لأن من شأن النفوس، أنها إذا شبعت وكثر عليها الخير، تكبرت وطغت وبغت، فإذا جاعت واشتد بها الألم، ذلت وصغرت ورجعت للحق، لما ورد: أن الله تعالى لما خلق النفس قال لها: من أنا؟ قالت له: أنت أنت، وأنا أنا، فألقاها في بحر الجوع، فذلت وقالت أنت الله لا إله غيرك، ومن هنا كانت تربية العارفين نفوسهم بالجوع. قوله: (قال تعالى) أي إجابة لدعوته، واختلف هل حصل ذلك والنبي ﷺ في مكة، أو بعد هجرته إلى المدينة، وهو الراجح.

قوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ﴾ مفعول به، وعامله ﴿فَارْتَقِبْ﴾. قوله: ﴿بِدُخَانٍ﴾ الدخان بوزن غراب وجبل ورمان الغبار، والجمع أدخنة ودواخن ودواخين، والتلاوة بوزن غراب. قوله: (فأجدبت

الأرض واشتد بهم الجوع إلى أن رأوا من شدته كهيئة الدخان بين السماء والأرض ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾ فقالوا ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١١ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝١٢﴾ مصدقون نبيك، قال تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أي لا ينفعهم الإيمان عند نزول العذاب ﴿وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝١٣﴾ بين الرسالة ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ﴾ أي يعلمه القرآن بشر ﴿مَّجْنُونٌ ۝١٤﴾ ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ﴾ أي الجوع عنكم زمناً ﴿قَلِيلًا﴾ فكشف عنهم ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ۝١٥﴾ إلى كفركم فعادوا إليه، اذكر ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ هو يوم بدر ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ ۝١٦﴾ منهم والبطش الأخذ بقوة ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ بلونا ﴿قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ معه ﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ﴾ هو موسى

الأرض) أشار بذلك إلى أن حصول مطلوبه فيهم بالفعل. قوله: **(كهيئة الدخان)** أشار بذلك إلى أنه ليس المراد حقيقة الدخان، بل رأوا شيئاً يشبهه من ضعف أبصارهم، وهو قول ابن عباس ومقاتل ومجاهد وابن مسعود، فلما اشتد الأمر عليهم، جاءه أبو سفيان فقال: يا محمد جئت تأمر بصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا، فادع الله أن يكشف عنهم، فدعا لهم بالمطر فنزل واستمر عليهم سبعة أيام، حتى تضرروا من كثرته، فجاء أبو سفيان وطلب منه أن يدعو برفعه، فدعا فارتفع، وقال ابن عمر وأبو هريرة وزيد بن علي والحسن: إنه دخان حقيقة، يظهر في العالم في آخر الزمان، يكون علامة على قرب الساعة، يملأ ما بين المشرق والمغرب، وما بين السماء والأرض، يمكث أربعين يوماً وليلة، وأما المؤمن فيصيبه كالزكام، وأما الكافر فيصير كالسكران، فيملأ جوفه ويخرج من منخريه وأذنيه ودبره، وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه للنار.

قوله: **﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾** صفة ثانية للدخان، والمراد بهم قريش وأمثالهم على ما قاله المفسر، وعلى القول الآخر يكون المراد بالناس جميع الموجودين في ذلك الوقت من المؤمنين والكفار. قوله: **﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾** هذا وعد منهم بالإيمان وقد أخلفوه، وليس المراد أنهم آمنوا حقيقة ثم ارتدوا. قوله: **(أي لا ينفعهم الإيمان)** إلخ، الأوضح أن يقول: أي لا يوفون بما وعدوا من الإيمان عند كشف العذاب عنهم، فهو استبعاد لإيمانهم. قوله: **﴿وَقَالُوا مُعَلَّمٌ﴾** أي قالوا في حق النبي عليه السلام تارة إنه يعلمه غلام أعجمي، وقالوا تارة إنه مجنون، وتقدم في سورة النحل في قوله: ﴿إنما يعلمه بشر﴾ أن رجلاً اسمه جبر، وهو غلام عامر بن الحضرمي، ورجلاً اسمه يسار، كانا يصنعان السيوف بمكة، ويقرآن التوراة والإنجيل، فكان النبي عليه السلام يدخل عليهما ويسمع ما يقرآنه، فقال الكفار ﴿إنما يعلمه بشر﴾ فرد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿لسان الذي يلحدون اليه أعجمي﴾ الآية.

قوله: **﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ﴾** جواب عن قوله: **﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَا الْعَذَابَ﴾**. قوله: **﴿قَلِيلاً﴾** قيل إلى يوم بدر، وقيل إلى ما بقي من أعمارهم. قوله: **(فعادوا إليه)** أي استمروا عليه، لأنه لم يوجد منهم إيمان بالفعل. قوله: **(اذكر) ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ﴾** أشار بذلك إلى أن **﴿يَوْمَ﴾** منصوب بمحذوف، ويصح أن يكون بدلاً من **﴿يَوْمَ تَأْتِي﴾** . قوله: **(بلونا)** أي امتحنا. والمعنى: فعلنا بهم فعل الممتحن، بإقبال النعم عليهم منا، ومقابلتهم لها بالكفر والطغيان. قوله: **﴿قَبْلَهُمْ﴾** أي قبل قريش. قوله: **(معه)** أشار بذلك دفعاً لما يتوهم من ظاهر الآية؛ أن الابتلاء لخصوص قوم فرعون، فأجاب: بأن المراد هو وقومه.

عليه السلام ﴿كَرِيمٌ ۝١٧﴾ على الله تعالى ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿أَدُّوٓاْ إِلَيَّ﴾ ما أدعوكم إليه من الإيمان، أي أظهروا إيمانكم بالطاعة لي يا ﴿عِبَادَ ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ۝١٨﴾ على ما أرسلت به ﴿وَأَن لَّا تَعۡلُواْ﴾ تتجبروا ﴿عَلَى ٱللَّهِۖ﴾ بترك طاعته ﴿إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلۡطَٰنٖ﴾ برهان ﴿مُّبِينٖ ۝١٩﴾ بين على رسالتي، فتوعدوه بالرجم فقال: ﴿وَإِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمۡ أَن تَرۡجُمُونِ ۝٢٠﴾ بالحجارة ﴿وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ لِي﴾ تصدقوني ﴿فَٱعۡتَزِلُونِ ۝٢١﴾ فاتركوا أذاي، فلم يتركوه ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ﴾ أي بأن ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ مُّجۡرِمُونَ ۝٢٢﴾ مشركون، فقال تعالى: ﴿فَأَسۡرِ﴾ بقطع الهمزة ووصلها ﴿بِعِبَادِي﴾ بني

قوله: ﴿وَجَاءَهُمْ﴾ هو من جملة الممتحن به. قوله: ﴿كَرِيمٌ﴾(على الله) أي عزيز عليه، حيث اختصه بالرسالة والكلام، وهذا رد لقول فرعون﴿أم أنا خير من هذا الذي هو مهين﴾كأنه قال: حاشا موسى من المهانة، بل هو كريم عزيز على ربه. قوله: (أي بأن) أشار بذلك إلى أن ﴿أَنْ﴾ مصدرية، ويصح أن تكون مفسرة، وأن تكون مخففة من الثقيلة. قوله: ﴿عِبَادَ الله﴾ مشى المفسر على أن مفعول ﴿أَدُّوا﴾ محذوف، و ﴿عِبَادَ الله﴾ منادى، وعليه فالمراد بعباد الله فرعون وقومه، وقيل: إن ﴿عِبَادَ الله﴾ مفعول لأدوا، والمراد بهم بنو إسرائيل: ومعنى تأديتهم إياهم اطلاقهم من الأسر، يشير إلى هذا قوله تعالى في سورة الشعراء ﴿أن أرسل معي بني اسرائيل﴾وعلى كلا القولين فالخطاب في ﴿أَدُّوا﴾ لفرعون وقومه. قوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ تعليل للأمر، وقوله: (على ما أرسلت به) متعلق بأمين. والمعنى: مأمون على ما أرسلني الله به، فلا أزيد ولا أنقص، وذكر الأمانة بعد الرسالة، وإن كانت تستلزمها، اشارة إلى أنها وصف شريف ينبغي الاعتناء به.

قوله: ﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى الله﴾ عطف على قوله: ﴿أَنْ أَدُّوا﴾. قوله: (تتجبروا) ﴿عَلَى الله﴾ فسر العلو بالتجبر، وفسره غيره بالتكبر والبغي والافتراء والتعاظم والاستكبار، وكلها معان متقاربة. قوله: ﴿إِنِّي آتِيكُمْ﴾ تعليل للنهي. قوله: (فتوعدوه بالرجم) ظاهره أنه حين قال ﴿إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ توعدوه بالرجم ولم يتمهلوا، مع أنه تقدم أن فرعون قال له: ﴿فائت بها إن كنت من الصادقين﴾ومكث بينهم مدة عظيمة، وهو يأتيهم بالمعجزات الباهرة، ثم لما توعدوه دعا عليهم، وحينئذ فيكون بين ما هنا وبين ما تقدم تناف، فالجواب: أن القصة ذكرت هنا مجملة، وما تقدم ذكرت مبسوطة، وذكر الشيء مفصلاً ثم مجملاً أثبت في النفس. قوله: ﴿أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ الباء فيه وفي قوله: ﴿فَاعْتَزِلُونِ﴾ من ياءات الزوائد لا تثبت في الرسم، وأما في اللفظ فيجوز إثباتها وحذفها حالة الوصل فقط، وأما في الوقف فيتعين حذفها. قوله: ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي﴾ اللام بمعنى الباء، ويصح أن تكون لام العلة. والمعنى: إن لم تصدقوني ولم تؤمنوا بالله لأجل برهاني، إلخ. قوله: (فاتركوا أذاي) أي لا تتعرضوا لي بسوء.

قوله: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ﴾ عطف على مقدر قدره بقوله: (فلم يتركوه) وقوله: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ إلخ، تعريض بالدعاء كأنه قال: فافعل ما يليق بهم، و ﴿أَنَّ﴾ بفتح الهمزة في قراءة العامة، وقرىء شذوذاً بكسرها على اضمار القول. قوله: (بقطع الهمزة ووصلها) أي فهما قراءتان سبعيتان ولغتان جيدتان: الأولى من أسرى، والثانية من سرى، قال تعالى:﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾وقال تعالى:﴿والليل إذا

إسرائيل ﴿لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ يتبعكم فرعون وقومه ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ﴾ إذا قطعته أنت وأصحابك ﴿رَهْوًا﴾ ساكناً منفرجاً حتى يدخله القبط ﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ فاطمأن بذلك، فأغرقوا ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ ﴿٢٥﴾ تجري ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ ﴿٢٦﴾ مجلس حسن ﴿وَنَعْمَةٍ﴾ متعة ﴿كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ ناعمين ﴿كَذَٰلِكَ﴾ خبر مبتدأ، أي الأمر ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ أي أموالهم ﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾ ﴿٢٨﴾ أي بني إسرائيل ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ بخلاف المؤمنين يبكي عليهم بموتهم مصلاهم من الأرض ومصعد عملهم من السماء

يسر﴾والإسراء السير ليلاً، وحينئذ فذكر الليل تأكيد بغير اللفظ. قوله: **(إذا قطعته أنت وأصحابك)** هذا تعليم لموسى بما يفعله في سيره قبل أن يسير، والمعنى: إذا سرت بهم، وتبعك العدو، ووصلت إلى البحر، وأمرناك بضربه، ودخلتم فيه ونجوتم منه، فاتركه بحاله ولا تضربه بعصاك فيلتئم، بل أبقه على حاله ليدخله فرعون وقومه فينطبق عليهم. قوله: **﴿رَهْواً﴾** حال من البحر، وهو في الأصل مصدر رها يرهو رهواً، إما بمعنى سكن، وإما بمعنى انفرج، والمفسر جمع بينهما. قوله: **(فاطمأن بذلك)** أي بقوله: **﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ﴾** والضمير في اطمأن عائد على موسى. قوله: **﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ﴾** **﴿كَمْ﴾** مفعول لتركوا، والمعنى: تركوا أموراً كثيرة بينها بقوله: **﴿مِنْ جَنَّاتٍ﴾** إلخ. قوله: **(مجلس حسن)** أي محافل مزينة ومنازل حسنة، كما هو مشاهد في منازل الملوك الآن. قوله: **(متعة)** أي أمور يتمتعون بها وينتفعون بها، كالملابس والمراكب. قوله: **﴿فَاكِهِينَ﴾** العامة بالألف، وقرىء شذوذاً بغير ألف، ومعنى الأولى **(ناعمين)** كما قال المفسر أي متنعمين، ومعنى الثانية مستخفين ومستهزئين بنعمة الله. قوله: **(خبر مبتدأ)** أي والوقف على كذلك، والجملة معترضة لتوكيد ما قبلها. قوله: **(أي الأمر)** أي وهو هلاك فرعون وقومه. قوله: **﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾** معطوف على **﴿كَمْ تَرَكُوا﴾** والمعنى: تركوا أموراً كثيرة، وأورثنا تلك الأمور بني اسرائيل. قوله: **(أي بني اسرائيل)** فقد رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون إن قلت: كيف قال تعالى: **﴿وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ﴾** مع أنه تقدم أن أموالهم طمست ومسخت حجارة؟ قلت: لعل الجواب أنها بعد غرقهم، أعيدت كما كانت، اكراماً لبني اسرائيل، فحين رجعوا وجدوها كما كانت قبل الطمس. قوله: **﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ﴾** اختلف في البكاء، فقيل حقيقة وعليه فقيل هو واقع من ذات السماوات والأرض، ويؤيده ما ورد: ما من مؤمن إلا وله في السماء بابان: باب ينزل منه رزقه، وباب يدخل منه كلامه وعمله، فإذا مات فقداه فيبكيان عليه، وتلا **﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ﴾** ويؤيده أيضاً قول مجاهد: إن السماء والأرض ليبكيان على المؤمن أربعين صباحاً، قال أبو يحيى: فعجبت من قوله، فقال: أتعجب! وما للأرض لا تبكي على عبد يعمرها بالركوع والسجود، وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوي كدويّ النحل؟ وقيل: الكلام على حذف مضاف أي أهل السماوات والأرض، وقيل: إن بكاهما حمرة أطرافهما، ويؤيده قول السدي لما قتل الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما: بكت عليه السماء، وبكاها حمرتها، وقول محمد بن سيرين: أخبرونا أن الحمرة التي تكون مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين بن علي رضي الله تعالى عنه، وقال سليمان القاضي: مطرنا دماً يوم قتل

﴿وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴾ ﴿٢٩﴾ مؤخرين للتوبة ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ ﴿٣٠﴾ قتل الأبناء واستخدام النساء ﴿مِن فِرْعَوْنَ﴾ قيل: بدل من العذاب بتقدير مضاف أي عذاب، وقيل: حال من العذاب ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿٣١﴾ ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ﴾ أي بني إسرائيل ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ منا بحالهم ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿٣٢﴾ أي عالمي زمانهم أي العقلاء ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ﴾ ﴿٣٣﴾ نعمة ظاهرة، من فلق البحر، والمن والسلوى وغيرها ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي كفار مكة ﴿لَيَقُولُونَ﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿إِنْ هِىَ﴾ ما الموتة التي بعدها الحياة ﴿إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ أي وهم نطف ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ ﴿٣٥﴾ بمبعوثين أحياء بعد الثانية ﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ أحياء ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ أنا نبعث بعد موتتنا، أي نحيا، قال تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ هو نبي أو رجل صالح ﴿وَٱلَّذِينَ

الحسين، وقيل: إن البكاء كناية عن عدم الاكتراث وعدم المبالاة بهم. قوله: ﴿**وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ هذا من جملة تعداد النعم على بني اسرائيل، والمقصود من ذلك تسليته ﷺ وتبشيره بأنه سينجيه وقومه المؤمنين من أيدي المشركين، فإنهم لم يبلغوا في التجبر مثل فرعون وقومه. قوله: (**وقيل حال من العذاب**) أي متعلق بمحذوف، والمعنى واقعاً من جهة فرعون. قوله: ﴿**مِنَ الْمُسْرِفِينَ**﴾ خبر ثان لكان، والمعنى من المتجاوزين الحد. قوله: ﴿**عَلَى عِلْمٍ**﴾ ﴿**عَلَى**﴾ بمعنى مع، وقوله: ﴿**عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ ﴿**عَلَى**﴾ على بابه للاستعلاء، فاختلف معناهما، وحينئذ فجاز تعلقهما بعامل واحد وهو اخترنا. قوله: (**بحالهم**) أي بكونهم أهلاً للاصطفاء، لكون أكثر الأنبياء منهم. قوله: (**أي عالمي زمانهم**) دفع بذلك ما يقال: إن ظاهر الآية، يدل على كون بني اسرائيل، أفضل من كل العالمين، مع أن أمة محمد أفضل منهم، فدفع ذلك بأن المراد بالعالمين عالمو زمانهم، فلا ينافي في أمة محمد أفضل منهم. قوله: (**العقلاء**) المناسب أن يقول الثقلين، فإن من جملة العقلاء الملائكة، وبنو اسرائيل ليسوا أفضل منهم. قوله: ﴿**مِنَ الآيَاتِ**﴾ بيان مقدم على المبين. قوله: (**نعمة ظاهرة**) هذا تفسير للبلاء، فإن البلاء معناه الاختبار، وهو يكون بالمحن وبالنعم، هل يصبر أو لا؟ وهل يشكر أو لا؟ قوله: (**أي كفار مكة**) إنما أشار إليهم بإشارة القريب، تحقيراً لهم وازدراء بهم. قوله: ﴿**لَيَقُولُونَ**﴾ أي جواباً لما قيل لهم: إنكم تموتون موته تعقبها حياة، دل عليه قوله تعالى: ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون﴾ كأنهم قالوا: مسلم أن لنا موتة تعقبها حياة، لكن المراد بها الأولى، وهي حال النطفة، لا الثانية التي ينقضي بها العمر، فإنها لا تعقبها حياة. قوله: ﴿**وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ**﴾ هذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين﴾. قوله: ﴿**فَائْتُوا بِآبَائِنَا**﴾ أي أحيوهم لنا ليخبرونا بصدقكم. قوله: ﴿**أَهُمْ خَيْرٌ**﴾ أي أمور الدنيا. قوله: ﴿**أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ**﴾ هو تبع الحميري أبو كرب واسمه أسعد، وإليه تنسب الأنصار، بنى الحيرة بكسر الحاء بعدها مثناة تحتية فراء مهملة، مدينة بقرب الكوفة، وبني سمرقند، وأراد غزو البيت وتخريب المدينة، فأخبر بأنها مهاجر نبي اسمه أحمد، فكف عنها، وكسا البيت بالحبرة، وكتب كتاباً وأودعه عند أهل المدينة، وكانوا يتوارثونه كابراً عن كابر، إلى أن هاجر النبي ﷺ فدفعوه إليه، يقال: إن الكتاب عند أبي أيوب خالد بن زيد وفيه:

شهدت على أحمد أنه رسول الله باريء النسم

مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ من الأمم ﴿أَهۡلَكۡنَٰهُمۡۖ﴾ بكفرهم، والمعنى: ليسوا أقوى منهم وأهلكوا ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ ﴿٣٨﴾ بخلق ذلك، حال ﴿مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ﴾ وما بينهما ﴿إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ أي محقين في ذلك، ليستدل به على قدرتنا ووحدانيتنا، وغير ذلك ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ﴾ أي كفار مكة ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ﴾ يوم القيامة يفصل الله فيه بين العباد ﴿مِيقَٰتُهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ ﴿٤٠﴾ للعذاب الدائم ﴿يَوۡمَ لَا يُغۡنِي مَوۡلًى عَن مَّوۡلًى﴾ بقرابة أو صداقة، أي لا يدفع ﴿شَيۡـًٔا﴾ من العذاب ﴿وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ ﴿٤١﴾ يمنعون منه، ويوم بدل من يوم الفصل ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ﴾ وهم المؤمنون فإنه يشفع بعضهم لبعض بإذن الله ﴿إِنَّهُۥ هُوَ

فلو مد عمري إلى عمره لكنت وزيراً له وابن عم

أما بعد: فإني آمنت بك وبكتابك الذي ينزل عليك، وأنا على دينك وسنتك، وآمنت بربك ورب كل شيء، وآمنت بكل ما جاء من ربك من شرائع الإسلام، فإن أدركتك فيها ونعمت، وإن لم أدركك فاشفع لي، ولا تنسني يوم القيامة، فإني من أمتك الأولين، وبايعتك قبل مجيئك، وأنا على ملتك وملة أبيك ابراهيم عليه السلام، ثم ختم الكتاب ونقش عليه: لله الأمر من قبل ومن بعد، وكتب على عنوانه: إلى محمد بن عبد الله، نبي الله ورسوله، خاتم النبيين ورسول رب العالمين ﷺ، من تبع الأول. وكان من اليوم الذي مات فيه تبع، إلى اليوم الذي بعث فيه النبي ﷺ ألف سنة، لا يزيد ولا ينقص. قوله: **(هو نبي أو رجل صالح)** أو لحكاية الخلاف، فالقول الأول لابن عباس، والثاني لعائشة رضي الله عنها، وكان ملكاً من الملوك، وكان قومه كهاناً، وكان معهم قوم من أهل الكتاب، فأمر الفريقين أن يقرب كل فريق منهم قرباناً ففعلوا، فتقبل قربان أهل الكتاب فأسلم. قوله: **﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾** عطف على **﴿قَوْمُ تُبَّعٍ﴾** وقوله: **﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾** حال من المعطوف والمعطوف عليه. قوله: **﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ﴾** إلخ، هذا دليل على صحة الحشر ووقوعه، وذلك أن الله تعالى خلق النوع الإنساني، وخلق له ما في الأرض جميعاً، وكلفه بالإيمان والطاعة، فآمن البعض وكفر البعض، وختم الله في سابق أزله، أن النعيم للمؤمن، والعقاب للكافر، وذلك لا يكون في الدنيا لعدم الاعتداد بها، فحينئذ لا بد من البعث، لتجزى كل نفس بما كسبت. قوله: **﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾** أي بين الجنسين. قوله: **(حال)** أي وهي لا يستغنى عنها. قوله: **(أي محقين في ذلك)** أي لنا فيه حكمة، وقد بينها المفسر بقوله: **(ليستدل به)** إلخ. قوله: **﴿لاَ يَعْلَمُونَ﴾** أي ليس عندهم علم بالكلية. قوله: **﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾** الإضافة على معنى اللام. قوله: **﴿مِيقَاتُهُمْ﴾** أي موعدهم، والمراد جميع الخلق. قوله: **(للعذاب الدائم)** أي للكفار والنعيم الدائم للمؤمنين. قوله: **﴿يَوْمَ لاَ يُغْنِي مَوْلًى﴾** المولى يطلق على المعتق بالكسر والفتح، وابن العم والناصر والجار والحليف. قوله: **(بقرابة)** أي بسببها. قوله: **﴿وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ﴾** الضمير للمولى، وجمع باعتبار المعنى، وهذه الجملة توكيد لما قبلها، والمعنى: لا ينصر الكافر، ولو كان بينهما علقة من قرابة أو صداقة أو غيرهما. قوله: **﴿إِلاَّ مَنْ رَحِمَ اللهُ﴾** يصح أن يكون الاستثناء متصلاً، والمعنى: لا يغني قريب عن قريب إلا المؤمنين، فإنه يؤذن لهم في الشفاعة فيشفعون لبعضهم، وهو ما مشى عليه المفسر، ويصح أن يكون منقطعاً، أي ولكن من رحم الله لا ينالهم ما يحتاجون فيه إلى من ينفعهم من المخلوقين. قوله: **﴿إِنَّهُ هُوَ**

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب في انتقامه من الكفار ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ ﴿٤٢﴾ بالمؤمنين ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾ ﴿٤٣﴾ هي من أخبث الشجر المرِّ بتهامة ينبتها الله تعالى في الجحيم ﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ ﴿٤٤﴾ أبي جهل وأصحابه ذوي الإثم الكبير ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ أي كدردي الزيت الأسود خبر ثان ﴿يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ﴾ ﴿٤٥﴾ بالفوقانية خبر ثالث، وبالتحتانية حال من المهل ﴿كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ﴾ ﴿٤٦﴾ الماء الشديد الحرارة ﴿خُذُوهُ﴾ يقال للزبانية خذوا الأثيم ﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾ بكسر التاء وضمها جرُّوه بغلظة وشدة ﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ ﴿٤٧﴾ وسط النار ﴿ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ﴾ ﴿٤٨﴾ أي من الحميم الذي لا يفارقه العذاب، فهو أبلغ مما في آية ﴿يصب من فوق رؤوسهم الحميم﴾ ويقال له ﴿ذُقْ﴾ أي العذاب ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ ﴿٤٩﴾ بزعمك وقولك: ما بين جبليها أعز وأكرم مني، ويقال لهم ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي ترون من العذاب ﴿مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ فيه تشكون ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ﴾ مجلس ﴿أَمِينٍ﴾ ﴿٥١﴾ يؤمن فيه الخوف ﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ

﴿الْعَزِيزُ﴾ الخ تعليل لما قبله.

قوله: **﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ﴾** ترسم شجرت بالتاء المجرورة في هذا الموضع دون غيره من القرآن، ويوقف عليه بالهاء والتاء؛ وأما غير هذا الموضع، فيرسم بالهاء، ويوقف عليه بالهاء لا غير، والزقوم يطلق على نبات بالبادية، له زهر ياسميني الشكل، طعام أهل النار، ويطلق على شجر له ثمر كالتمر، وله دهن عظيم المنافع، عجيب الفعل في تحليل الرياح الباردة، وأمراض البلغم، وأوجاع المفاصل وعرق النساء، والريح الساقطة في الورق، يشرب زنة سبعة دراهم ثلاثة أيام، وربما أقام الزمنى والمقعدين، ويقال أصله الأهليلج الكابلي. قوله: **(أي كدردي الزيت الأسود)** هذا أحد معاني المهل، ويطلق على القيح والصديد والنحاس المذاب. قوله: **(وبالتحتانية)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(حال من المهل)** الأظهر أنه حال من طعام، لأن المراد وصف الطعام المشبه بالمهل بالغليان، لا وصف المهل لأنه لا يتصف بذلك.

قوله: **﴿كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾** صفة لمصدر محذوف، أي تغلي غلياً مثل غلي الحميم. قوله: **(بكسر التاء وضمها)** أي فهما قراءتان سبعيتان، من باب ضرب ونصر. قوله: **(جروه بغلظة)** أي أو اضربوه بالعتلة، وهي بفتحتين، العصا الضخمة من الحديد لها رأس. قوله: **﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ﴾** أي ليكون محيطاً بجميع جسده. قوله: **(من الحميم الذي)** إلخ، أي فإذا صب عليه الحميم، فقد صب عليه عذابه وشدته. قوله: **(ويقال له)** **﴿ذُقْ﴾** الأمر للإهانة والتحقير. قوله: **﴿إِنَّكَ﴾** بفتح الهمزة على معنى التعليل، وكسرها على الاستئناف المفيد للعلة، قراءتان سبعيتان، ووصفه بهذين الوصفين للتهكم والاستهزاء. قوله: **(وقولك)** تفسير بقوله: **(بزعمك)** وقوله: **(ما بين جبليها)** أي مكة. قوله: **﴿مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾** الجمع باعتبار المعنى، لأن المراد جنس الأثيم.

قوله: **﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾** مقابل: **﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الأَثِيمِ﴾** لأنه جرت عادة الله تعالى في كتابه، أنه إذا ذكر أحوال أهل النار، أتبعه بذكر أحوال أهل الجنة، وقوله: **﴿الْمُتَّقِينَ﴾** أي

﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ أي ما رقَّ من الديباج وما غلظ منه ﴿مُتَقَابِلِينَ ۝٥٣﴾ حال أي لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض لدوران الأسرة بهم ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يقدر قبله الأمر ﴿وَزَوَّجْنَاهُم﴾ من التزويج أو قرناهم ﴿بِحُورٍ عِينٍ ۝٥٤﴾ بنساء بيض واسعات الأعين حسانها ﴿يَدْعُونَ﴾ يطلبون الخدم ﴿فِيهَا﴾ أي الجنة أن يأتوا ﴿بِكُلِّ فَاكِهَةٍ﴾ منها ﴿آمِنِينَ ۝٥٥﴾ من انقطاعها ومضرتها ومن كل مخوف. حال ﴿لَا

الشرك بأن ماتوا على التوحيد، وهذا أعم من أن يكونوا في أعلى مراتب التقوى، وهي تقوى الأغيار، بأن لا يخطر الغير ببالهم، أو أوسطها وهي تقوى المعاصي بفعل الطاعات، أو أدناها وهي تقوى مجرد الشرك بالإيمان. قوله: ﴿فِي مَقَامٍ﴾ بفتح الميم وضمها، قراءتان سبعيتان، فالفتح هو موضع القيام ومكانه، والضم موضع الإقامة والمكث. قوله: (يؤمن فيه الخوف) أي من الخلق والخالق، والمعنى: تطمئن فيه النفس لا تنزعج من شيء أصلاً، فأهل الجنة آمنون من غضب الله، ومن جميع ما يؤذي في البدن والأهل والمال، وآمنون من خطور الأكدار ببالهم.

قوله: ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ إلخ، بدل من مقام، وتقديمه عليه من باب تقديم التخلية على التحلية، لأن الأمن من المخاوف تحلية، وكونهم ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ إلخ تحلية. قوله: ﴿وَعُيُونٍ﴾ أي أنهار تجري تحت القصور. قوله: ﴿يَلْبَسُونَ﴾ خبر آخر لأن أو مستأنف. قوله: (أي ما رق من الديباج) إلخ لف ونشر مرتب، والديباج هو الحرير، إن قلت: كيف يكون لبس الغليظ من الحرير نعيماً من الجنة، مع أنه في الدنيا ربما كان غير نعيم؟ أجيب: بأن غليظ حرير الجنة، ليس كغليظ حرير الدنيا، بل هو أعلى، على أن من غليظ حرير الدنيا ما يؤلف وينعم به كالقطيفة مثلاً.

قوله: ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ أي يواجه بعضهم بعضاً ليحصل الانس لبعضهم بعضاً، وهذا في غير وقت النظر إلى وجه الله الكريم، وأما عنده فينسون النعيم، بل ومقابلة اخوانهم، لكونه أعلى نعيم الجنة رتبة، ومن هنا قيل: إن حكمة المقابلة في حلق العلم والذكر في الدنيا، التشبه بمجالس الجنة والإنس بمقابلة الإخوان، وحكمة الاصطفاف وبالصلاة وعدم المقابلة فيها، التشبه بالنظر لوجه الله الكريم في الجنة، لأن في الصلاة إقبالاً بالكلية على الله تعالى، وقطعاً للشواغل. قوله: (أي لا ينظر بعضم إلى قفا بعض) أي لأن النظر للقفا مما يحزن، ولا حزن في الجنة. قوله: (يقدر قبله الأمر) أي فهو مبتدأ، وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ خبره، والجملة معترضة لتقدير ما قبلها.

قوله: ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ﴾ عطف على قوله: ﴿يَلْبَسُونَ﴾. قوله: (من التزويج) أي وهو جعل الشيء زوجاً، والمعنى جعلناهم اثنين اثنين، فقوله: (أو قرناهم) مرادف له، وليس المراد بالتزويج الإنكاح بالعقد، فإنه لا قابل به. قوله: ﴿عِينٍ﴾ جمع عيناء، وأصله عين بضم العين وسكون الياء، فكسرت العين لتصح الياء. قوله: (بنساء بيض) تفسير للحور، وقوله: (واسعات الأعين) تفسير لعين، وهذا على أن المراد بالحور البياض مطلقاً، وقيل: الحور شدة بياض العين وشدة سوادها، واختلف هل الأفضل في الجنة نساء الدنيا، أو الحور العين؟ والحق أن نساء الدنيا أفضل، لما روي: أن الآدميات أفضل من الحور بسبعين ضعف. قوله: ﴿يَدْعُونَ﴾ حال من الهاء في ﴿زَوَّجْنَاهُمْ﴾.

يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي التي في الدنيا بعد حياتهم فيها قال بعضهم: إلا بمعنى بعد ﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿فَضْلًا﴾ مصدر بمعنى تفضلاً منصوب بتفضل مقدراً ﴿مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ﴾ سهلنا القرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾ بلغتك لتفهمه العرب منك ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ يتعظون فيؤمنون، لكنهم لا يؤمنون ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ انتظر هلاكهم ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ هلاكك، وهذا قبل نزول الأمر بجهادهم.

قوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ﴾ حال من الضمير في ﴿آمِنِينَ﴾. قوله: **(قال بعضهم)** هو الطبري، وبهذا اندفع ما قيل: كيف قال صفة أهل الجنة ذلك، مع أنهم لم يذوقوه فيها أصلاً؟ وهذا القول وإن كان يدفع الإشكال، إلا أن مجيء ﴿إِلَّا﴾ بمعنى بعد لم يرد، وبعضهم يجعل الاستثناء منقطعاً، والمعنى: لكن الموتة الأولى قد ذاقوها. قوله: **(منصوب بتفضل)** أي على أنه مفعول مطلق. قوله: ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ أي لأنه خلوص من المكاره وظفر بالمطلوب. قوله: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ هذا إجمال لما فصل في السورة كأنه قال: ذكر قومك بهذا الكتاب المبين، فإننا سهلنا عليك تلاوته وتبليغه إليهم. قوله: **(لكنهم لا يؤمنون)** دخول على قوله: ﴿فَارْتَقِبْ﴾ قوله: ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾ أشار المفسر إلى أن مفعول **(كل)** محذوف قدر الأول بقوله: **(هلاكهم)** والثاني بقوله: **(هلاكك)**. قوله: **(وهذا قبل الأمر بالجهاد)** أي فهو منسوخ، لأن معنى ارتقب أمهلهم من غير قتال، حتى يحكم الله بينك وبينهم.

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

مكيّة
وآياتها سبع وثلاثون

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿حمٓ﴾ ① الله أعلم بمراده به ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن مبتدأ ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ خبره ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ ② في صنعه ﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي في خلقهما ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ دالة على قدرة الله تعالى ووحدانيته ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ③ ﴿وَفِى خَلْقِكُمْ﴾ أي في

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الجاثية مكية

إلا ﴿قل للذين آمنوا﴾ الآية. وهي ست أو سبع وثلاثون آية

سميت باسم كلمة منها وهي قوله: ﴿وترى كل أمة جاثية﴾ وتسمى سورة الشريعة لقوله فيها: ﴿ثم جعلناك على شريعة﴾. قوله: (مكية إلا قوله: ﴿قل للذين آمنوا﴾) إلخ، أي إلى قوله: ﴿أيام الله﴾ وهو قول ابن عباس وقتادة قالا: إنها نزلت بالمدينة في عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عابه عبد الله ابن أبي، فأراد عمر قتله فنزلت، وقيل: مكية كلها حتى هذه الآية فإنها نزلت في عمر أيضاً، شتمه رجل في مكة من الكفار، فأراد قتله فنزلت، ثم نسخت بآية الجهاد. قوله: ﴿مِنَ الله﴾ (خبره) أي متعلق بمحذوف تقديره كائن. قوله: ﴿الْعَزِيزِ﴾ (في ملكه) أي الغالب على أمره. قوله: ﴿الْحَكِيمِ﴾ (في صنعه) أي الذي يضع الشيء في محله، فاقتضت حكمته تعالى إنزال أشرف الكتب وهو القرآن، على أشرف العبيد وهو محمد ﷺ.

قوله: ﴿إِنَّ فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ إلخ، ذكر الله سبحانه وتعالى هنا من الدلائل ستة في ثلاثة فواصل، وختم الأولى بالمؤمنين، والثانية بيوقنون، والثالثة بيعقلون، ووجه التغاير، أن الإنسان إذا تأمل في السماوات والأرض، وأنه لا بد لهما من صانع آمن، وإذا نظر في خلق نفسه ونحوها ازداد يقيناً، وإذا نظر في سائر الحوادث، كمل عقله واستحكم علمه. قوله: (أي في خلقهما) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، يدل عليه التصريح به في سورة البقرة في قوله: ﴿إن في خلق السموات والأرض﴾ وما في سورة آل عمران ﴿إن في خلق السموات والأرض﴾.

قوله: ﴿لآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنصب بالكسرة باتفاق القراء، لأنه اسم إن، وأما ما يأتي في قوله:

خلق كل منكم من نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى أن صار إنساناً ﴿وَ﴾ خلق ﴿مَا يَبُثُّ﴾ يفرق في الأرض ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ هي ما يدب على الأرض من الناس وغيرهم ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ بالبعث ﴿وَ﴾ في ﴿ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ ذهابهما ومجيئهما ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ﴾ مطر لأنه سبب الرزق ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ تقليبها مرة جنوباً ومرة شمالاً وباردة وحارة ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥﴾ الدليل فيؤمنون ﴿تِلْكَ﴾ الآيات المذكورة ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ حججه الدالة على وحدانيته ﴿نَتْلُوهَا﴾ نقصها ﴿عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بنتلو ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ﴾ أي حديثه وهو القرآن ﴿وَءَايَٰتِهِۦ﴾ حججه ﴿يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ أي كفار مكة أي لا يؤمنون، وفي قراءة بالتاء ﴿وَيْلٌ﴾ كلمة عذاب ﴿لِّكُلِّ أَفَّاكٍ﴾ كذاب ﴿أَثِيمٍ ۝٧﴾ كثير الإثم ﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ﴾ على كفره ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ متكبراً عن الإيمان ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨﴾ مؤلم ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا﴾ أي القرآن ﴿شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾ أي مهزوءاً

﴿آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوْقِنُونَ﴾ و ﴿آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ففيه قراءتان سبعيتان، الرفع والنصب بالكسرة، فالرفع على أن قوله: ﴿فِي خَلْقِكُمْ﴾ خبر مقدم، و ﴿آيَاتٍ﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة معطوفة على جملة ﴿إِنَّ فِي السَّمٰوات﴾ والنصب على أن ﴿آيَاتٍ﴾ معطوف على آيات الأول، الذي هو اسم ﴿إِنَّ﴾ وقوله: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾ معطوف على قوله: ﴿فِي السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ﴾ الواقع خبراً لأن، ففيه العطف على معمولي عامل واحد، وهو جائز باتفاق. قوله: ﴿وَ﴾(خلق) ﴿مَا يَبُثُّ﴾ أشار بذلك إلى أنه معطوف على ﴿خَلْقِكُمْ﴾ المجرور بفي على حذف مضاف. قوله: (هي ما يدب) أي يتحرك. قوله: ﴿وَ﴾(في) ﴿اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أشار المفسر إلى أن حرف الجر مقدر، يؤيده القراءة الشاذة بإثباته. قوله: ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي يبسها. قوله: (وباردة وحارة) لف ونشر مشوش وترك الصبا والدبور، فالرياح أربع.

قوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الله﴾ مبتدأ وخبر، وجملة ﴿نَتْلُوهَا﴾ حال. قوله: (الآيات المذكورة) أي وهي السماوات والأرض وما بعدهما. قوله: (متعلق بنتلو) أي على أنه عامل فيه مع كونه حالاً، والباء للملابسة. قوله: (أي لا يؤمنون) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري. قوله: (وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضاً. قوله: (كلمة عذاب) أي فيطلق على العذاب، ويطلق على واد في جهنم. قوله: (كذاب) أي كثير الكذب على الله وخلقه. قوله: (كثير الإثم) أي المعاصي. قوله: ﴿يَسْمَعُ آيَاتِ الله﴾ إما مستأنف أو حال من الضمير في ﴿أَثِيمٌ﴾. قوله: ﴿تُتْلَى عَلَيْهِ﴾ حال من ﴿آيَاتِ الله﴾. قوله: ﴿ثُمَّ يُصِرُّ﴾(على كفره) ﴿ثُمَّ﴾ للترتيب الرتبي، والمعنى: أن إصراره على الكفر، حاصل بعد تقدير الأدلة المذكورة وسماعه إياها.

قوله: ﴿كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا﴾ ﴿كَأَنْ﴾ مخففة على حذف منها ضمير الشأن، والجملة إما مستأنفة أو حال. قوله: ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ سماه بشارة تهكماً بهم، لأن البشارة هي الخبر السار.

قوله: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئاً﴾ أي إذا بلغه شيء وعلم أنه من آياتنا اتخذها هزواً، إلخ، وذلك نحو قوله في الزقوم: إنه الزبد والتمر، وقوله في خزنة جهنم: إن كانوا تسعة عشر فأنا ألقاهم وحدي.

بها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي الأفاكون ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾﴾ ذو إهانة ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ﴾ أي أمامهم لأنهم في الدنيا ﴿جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُواْ﴾ من المال والفعال ﴿شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي الأصنام ﴿أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ ﴿هَٰذَا﴾ أي القرآن ﴿هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ﴾ حظ ﴿مِّن رِّجْزٍ﴾ أي عذاب ﴿أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ موجع ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ﴾ السفن ﴿فِيهِ بِأَمْرِهِۦ﴾ بإذنه ﴿وَلِتَبْتَغُواْ﴾ تطلبوا بالتجارة ﴿مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من شمس وقمر ونجوم وماء وغيره ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من دابة وشجر ونبات وأنهار وغيره أي خلق ذلك لمنافعكم ﴿جَمِيعًا﴾ تأكيد ﴿مِّنْهُ﴾ حال أي سخرها كائنة منه تعالى ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ فيها فيؤمنون ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾ يخافون ﴿أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ وقائعه أي اغفروا للكفار ما وقع

قوله: ﴿اتَّخَذَهَا هُزُواً﴾ أنث الضمير مع أنه عائد على ﴿شَيْئاً﴾ وهو مذكر مراعاة لمعناه وهو الآية، ويصح عوده على ﴿آيَاتِنَا﴾. قوله: (أي الأفاكون) جمع باعتبار معنى الأفاك، وراعى أولاً لفظه فأفرد. قوله: (أي أمامهم) أشار بذلك إلى أن الوراء، كما يطلق على الخلف، يطلق على الأمام، كالجون يستعمل في الأبيض والأسود على سبيل الاشتراك. قوله: ﴿مَا كَسَبُوا﴾ ﴿مَا﴾ إما مصدرية كسبهم، أو موصولة أي الذي كسبوه، وهذان الوجهان يجريان في قوله: ﴿وَلَا مَا اتَّخَذُوا﴾ ومقتضى عبارة المفسر أنها فيهما موصولة، حيث قال في الأول (من المال والفعال) وقال في الثاني (أي الأصنام). قوله: ﴿هَذَا هُدىً﴾ أي لمن اذعن له واتبعه وهم المؤمنون، ووبال وخسران على الكفار، قال تعالى: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾.

قوله: ﴿اللهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ﴾ أي حلواً وملحاً، والمعنى: ذلله وسهل لكم السير فيه، بأن جعله أملس الظاهر مستوياً شفافاً، يحمل السفن ولا يمنع الغوص فيه. قوله: (بإذنه) أي إرادته ومشيئته، ولو شاء لم تجر. قوله: (بالتجارة) أي والحج والغزو، وغير ذلك من المصالح الدينية والدنيوية. قوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي تصرفون النعم في مصارفها. قوله: (وغيره) أي كالملائكة فإنهم مسخرون لأهل الأرض، يدبرون معاشهم، وهذا سر قوله تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ الآية. قوله: (تأكيد) أي حال مؤكدة. قوله: (حال) أي من ما، ويصح أن يكون صفة لجميعاً، والمعنى الأول: سخر لكم هذه الأشياء كائنة منه أي مخلوقة له، وعلى الثاني: جميعاً كائناً منه تعالى. قوله: ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي يتأملون في تلك الآيات.

قوله: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا﴾ إلخ، المراد بالغفر لهم، تحمل أذاهم وعدم مقابلتهم بمثل ما فعلوا، واختلف في هذه الآية، فقيل مدنية، وعليه فسبب نزولها كما قال ابن عباس: أنهم كانوا في غزوة بني المصطلق، نزلوا على بئر يقال له: المريسيع، فأرسل عبد الله بن أبي غلامه يستقي الماء، فأبطأ عليه فلما أتاه قال له: ما حبسك؟ قال: غلام عمر، قعد على طرف البئر، فما ترك أحداً يتسقي حتى ملأ قرب النبي ﷺ، وقرب أبي بكر، فقال عبد الله: ما مثلنا ومثل هؤلاء، إلا كما قيل: سمن كلبك يأكلك، فبلغ

منهم من الأذى لكم، وهذا قبل الأمر بجهادهم ﴿لِيَجْزِيَ﴾ أي الله وفي قراءة بالنون ﴿قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ من الغفر للكفار أذاهم ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ عمل ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ أساء ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾ تصيرون فيجازي المصلح والمسيء ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَالْحُكْمَ﴾ به بين الناس ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾ لموسى وهارون منهم ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الحلالات كالمن والسلوى ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ عالمي زمانهم العقلاء ﴿وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾ أمر الدين من الحلال والحرام، وبعثة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ في بعثته ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ أي لبغي حدث بينهم

ذلك عمر، فاشتمل بسيفه يريد التوجه له، فنزلت هذه الآية، وقيل مكية، وعليه فسبب نزولها كما قال مقاتل: أن رجلاً من بني غفار شتم عمر بمكة، فهم عمر أن يبطش به، فنزلت، أو كما قال السدي: أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل مكة، كانوا في أذى كثير من المشركين، قبل أن يؤمروا بالجهاد، فشكوا ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت، وما ذكره المفسر، فيه إشارة إلى هذا الأخير.

قوله: ﴿لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ﴾ أي لا يتوقعون وقائعه من قولهم أيام العرب، أي وقائعهم، وهذا ما مشى عليه المفسر، وقيل: إن الرجاء باق على معناه الأصلي، والمراد بالأيام مطلق الأوقات، والمعنى لا يؤملون الأوقات التي جعل الله فيها نصر المؤمنين وثوابهم. قوله: **(أي اغفروا للكفار)** أشار بذلك إلى أن مقول القول محذوف دل عليه قوله: ﴿يَغْفِرُوا﴾ فهو مجزوم لكونه جواب أمر محذوف، والتقدير: قل لهم اغفروا يغفروا. قوله: **(وهذا قبل الأمر بجهادهم)** أي فهو منسوخ بآية القتال، وهذا على أنها مكية، وأما على أنها مدنية، فالكف عن المنافقين خوف أن يقول المشركون: إن محمداً يقتل أصحابه، حتى جاء الإذن بتمييزهم، وقيل: إنها ليست منسوخة، بل هي محمول على ترك المنازعة، والتجاوز فيما يصدر عنهم من الكلام المؤذي، قوله: ﴿لِيَجْزِيَ قَوْماً﴾ علة لما قبله، والقوم هم المؤمنون، وهو ما مشى عليه المفسر، وقيل الكافرون، وقيل كل منهما، فالتنكير إما للتعظيم، أو التحقير، أو التنويع. قوله: **(وفي قراءة بالنون)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: **(أذاهم)** مفعول للغفر الواقع مصدراً. قوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ﴾ جملة مستأنفة لبيان كيفية الجزاء.

قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ إلخ، المقصود من ذلك تسليته ﷺ كأنه قال: لا تحزن على كفر قومك، فإننا آتينا بني اسرائيل الكتاب والنعم العظيمة، فلم يشكروا بل أصروا على الكفر. قوله: **(التوارة)** إنما اقتصر عليها لكونها تغني عن غيرها من كتبهم، ولا يغني غيرها عنها، فإن فيها أحكام شرعهم، وإلا ففي الحقيقة كتب بني اسرائيل: التوراة والإنجيل والزبور. قوله: ﴿وَالْحُكْمَ﴾ أي الفصل بين الخصوم، وهذه نعم دينية، وقوله: ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ نعم دنيوية فلم يشكروا عليها. قوله: **(كالمن والسلوى)** أي في أيام التيه. قوله: **(العقلاء)** تقدم ما فيه، وأن الأولى التعبير بالثقلين.

قوله: ﴿وَآتَيْنَاهُمْ﴾ أي بني اسرائيل في التوراة، والمعنى: بينا لهم فيه أمر الشريعة، وأمر محمد ﷺ، وأنهم يؤمنون به إن ظهر بينهم، كما أشار له المفسر. قوله: ﴿وَاخْتَلَفُوا﴾ **(في بعثته)** إلخ، أي وقد كانوا قبل ذلك متفقين، فلما جاءهم العلم والشرع في كتابهم اختلفوا، وكان مقتضاه أن يدوم لهم

حسداً له ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ ١٧ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾ طريقة ﴿مِنَ الْأَمْرِ﴾ أمر الدين ﴿فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ١٨ في عبادة غير الله ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا﴾ يدفعوا ﴿عَنكَ مِنَ اللَّهِ﴾ من عذابه ﴿شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ ١٩ المؤمنين ﴿هَٰذَا﴾ القرآن ﴿بَصَائِرُ لِلنَّاسِ﴾ معالم يتبصرون بها في الأحكام والحدود ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ٢٠ بالبعث ﴿أَمْ﴾ بمعنى همزة الأنكار ﴿حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا﴾ اكتسبوا ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ الكفر والمعاصي ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً﴾ خبر ﴿مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ مبتدأ ومعطوف، والجملة بدل من

الاتفاق. قوله: ﴿يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ أي بالمؤاخذة والمجازاة. قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ﴾ الكاف مفعول أول لجعلنا، و ﴿عَلَى شَرِيعَةٍ﴾ هو المفعول الثاني، والشريعة تطلق على مورد الناس من الماء على المذهب والملة، والمراد هنا ما شرعه الله لعباده من الدين، سمي شريعة لأنه يقصد ويلجأ إليه، كما يلجأ إلى الماء من العطش. قوله: ﴿مِنَ الأَمْرِ﴾ يطلق على مقابل النهي وعلى الشأن، ويصح إرادة كل منهما هنا، والمعنى: ثم جعلناك على طريقة من الدين، وهي ملة الإسلام التي كان عليها إبراهيم، ولا شك أن الله تعالى لم يغاير بين الشرائع في التوحيد والمكارم والمصالح، وإنما التغاير في الفروع. قوله: ﴿أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي وهم رؤساء قريش حيث قالوا: ارجع إلى دين آبائك، فإنهم كانوا أفضل منك وأسن.

قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ﴾ تعليل لما قبله، وقوله: ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ عطف على ما قبله من تتمة التعليل. قوله: ﴿أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ أي في الدنيا، والأولى لهم في الآخرة يزيل عنهم العقاب. قوله: ﴿والله وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ أي في الدنيا والآخرة، لأنهم اتقوا الشرك. قوله: ﴿هٰذَا بَصَائِرُ﴾ مبتدأ وخبر، وجمع الخبر باعتبار أن المبتدأ مشار به إلى ما تقدم من الآيات، ولا شك أنه جمع. قوله: (معالم) جمع معلم، وهو في الأصل الأثر الذي يتسدل به على الطريق، والمراد هنا أن تلك الآيات تبصر الناس في الأحكام وتدلهم عليها.

قوله: ﴿وَهُدىً﴾ أي من الضلالة. قوله: ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ أي إحسان. قوله: ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أي يطلبون اليقين، وأما الكفار فهو وبال وخسران عليهم. قوله: ﴿أَمْ﴾(بمعنى همزة الإنكار) أي فهي منقطعة، تقدر تارة بالهمزة وحدها، أو ببل وحدها، أو بهما معاً، والمراد انكار الحسبان أي الظن، والمعنى: لا ينبغي أن يكون، وإلا فالظن قد وقع بالفعل. قوله: ﴿الَّذِينَ اجْتَرَحُواالسَّيِّئَاتِ﴾ فاعل حسب، وجملة ﴿أَنْ نَجْعَلَهُمْ﴾ إلخ سادة مسد المفعولين، والمراد بالاجتراح الاكتساب كما قال المفسر، ومنه الجوارح، قال الكلبي الذين اجترحوا السيئات عتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة، والذين آمنوا وعملوا الصالحات، علي وحمزة وعبيدة بن الحرث رضي الله عنهم، حين برزوا إليهم يوم بدر فقتلوهم، وقيل: نزلت في قوم من المشركين قالوا إنهم يعطون في الآخرة خيراً مما يعطاه المؤمن، كما أخبر الله عنهم في قوله: ﴿ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى﴾.

قوله: ﴿سَوَاءً﴾(خبر) أي على قراءة الرفع، وقرأ بعض السبعة بالنصب على الحال. قوله:

الكاف والضميران للكفار، المعنى: أحسبوا أن نجعلهم في الآخرة في خير كالمؤمنين أي في رغد من العيش مساو لعيشهم في الدنيا حيث قالوا للمؤمنين: لئن بعثنا لنعطي من الخير مثل ما تعطون، قال تعالى على وفق إنكار بالهمزة ﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ ﴿٢١﴾ أي ليس الأمر كذلك فهم في الآخرة في العذاب، على خلاف عيشهم في الدنيا، والمؤمنون في الآخرة في الثواب بعملهم الصالحات في الدنيا، من الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك، وما مصدرية أي بئس حكماً حكمهم هذا ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَ﴾ خلق ﴿ٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ﴾ متعلق بخلق ليدل على قدرته ووحدانيته ﴿وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ﴾ من المعاصي والطاعات، فلا يساوي الكافر المؤمن ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿أَفَرَءَيۡتَ﴾ أخبرني ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هواه﴾ ما يهواه من حجر بعد حجر يراه أحسن

(والجملة) أي من المبتدأ والخبر. قوله: (بدل من الكاف) أي الداخلة على الموصول. قوله: (أي ليس الأمر كذلك) أشار بذلك إلى أن همزة الإنكار للنفي، وكان المناسب للمفسر تقديم هذا على قوله: ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ فإنه مرتبط بما قبله، والمعنى: أم حسبوا أن نجعلهم كائنين مثلهم مستوياً، محياهم ومماتهم؟ كلا لا يستوون في شيء منها، فإن هؤلاء في عز الإيمان والطاعة، وشرفهما في المحيا، وفي رحمة الله ورضوانه في الممات، وأولئك في ظل الكفر والمعاصي، وهو أنهما في المحيا، وفي لعنة الله والعذاب المخلد في الممات، ولا يعتبر توسعة العيش في الدنيا، فإنها بحسب القسمة الأزلية، للمؤمن والكافر ولكل دابة. قوله: (أي بئس حكماً) إلخ، مقتضى هذا الحل أن ﴿مَا﴾ مميزة، وحينئذ فالفاعل مستتر، وهو ينافي كونها مصدرية، لأنها في تلك الحالة تكون فاعلاً، فالمناسب لجعلها مصدرية أن يقول: ساء الحكم حكمهم.

قوله: ﴿وَخَلَقَ اللهُ السَّمٰوَاتِ﴾ إلخ، من تتمة قوله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ إلخ وهو كالدليل له، كأنه قال: لا يستوي المؤمن والكافر، بدليل أن الله خلق السماوات والأرض بالحق، أي للعبر والاستدلال، ولم يترك العباد سدى، وجازى كل نفس بما كسبت، فلا يستوي جزاء المؤمن بجزاء الكافر. قوله: (متعلق بخلق) أي على أنه حال من الفاعل أو المفعول. قوله: (ليدل على قدرته) إلخ، قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿وَلِتُجْزَى﴾ عطف على علة محذوفة. قوله: ﴿وَهُمْ﴾ أي النفوس المدلول عليها بقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾. قوله: ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي لا ينقص من ثواب المؤمن، ولا يزاد في العذاب على ما يستحقه الكافر. قوله: (أخبرني) تقدم أن فيه مجازين، حيث أطلق الرؤية وأراد الإخبار، ثم أطلق الاستفهام على الإخبار وأراد الأمر به، وقوله: ﴿مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ﴾ إلخ، مفعول أول لرأيت، والمعنى: ترك متابعة الهدى إلى مطاوعة الهوى، فكأنه يعبده. قوله: (من حجر) أي وغيره كالشمس والقمر من كل معبود غير الله، عاقلاً أو غير عاقل، فالكفر هو العبادة، بأن يتقرب إلى غيره كما يتقرب إليه، وأما زيارة الصالحين والأنبياء، فليس من قبيل العبادة لهم، بل هي من باب التسبب في نفع الغير، لأن الترضي عن الأولياء، والصلاة والسلام على الأنبياء، دعا للغير بذلك، ولا شك أن ذلك الغير ينتفع به، والمتسبب له مثله، لما ورد: أن الملك يقول له ولك مثل ذلك، فآل الأمر إلى أن زيارة الصالحين والتوسل بهم، من جملة طاعة الله، وصاحبها محبوب لله، لأن أحب عباد الله إلى الله أنفعهم لعباده، وصدق عليهم أنهم يصلون ما أمر الله به أن يوصل، فليست معصية فضلاً عن كونها شركاً، كما اعتقده ذوو الجهل المركب والعقيدة

﴿ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ منه تعالى، أي عالماً بأنه من أهل الضلالة قبل خلقه ﴿ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ ﴾ فلم يسمع الهدى ولم يعقله ﴿ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً ﴾ ظلمة فلم يبصر الهدى ويقدر هنا المفعول الثاني لرأيت أيهتدي ﴿ فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ اللَّهِ ﴾ بعد إضلاله إياه لا يهتدي ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿٢٣﴾ تتعظون فيه إدغام إحدى التاءين في الذال ﴿ وَقَالُوا ﴾ أي منكرو البعث ﴿ مَا هِيَ ﴾ أي الحياة ﴿ إِلَّا حَيَاتُنَا ﴾ التي في ﴿ الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ أي يموت بعض ويحيا بعض بأن يولدوا ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ أي مرور الزمان، قالت تعالى: ﴿ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ ﴾ المقول ﴿ مِنْ عِلْمٍ إِنْ ﴾ ما ﴿ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا ﴾ من القرآن الدالة على قدرتنا على البعث ﴿ بَيِّنَٰتٍ ﴾ واضحات حال ﴿ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِـَٔابَآئِنَآ ﴾ أحياء ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ ﴿٢٥﴾ أنا نبعث ﴿ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ﴾ حين كنتم نطفاً ﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ ﴾ أحياء ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ ﴾ شك ﴿ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ ﴾ وهم القائلون ما ذكر ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٢٦﴾

الزائغة. قوله: (أي عالماً بأنه من أهل الضلالة) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾ من الفاعل، ويصح أن يكون حالاً من المفعول، والمعنى أضله في حال كونه عالماً بالحق غير جاهل به، فهو أشد قبحاً.

قوله: ﴿غِشَاوَةً﴾ بكسر الغين أو بفتحها، مع سكون الشين وحذف الألف، قراءتان سبعيتان، وقرىء شذوذاً بفتح الغين وضمها، وإثبات الألف أو بكسر الغين وحذف الألف، أو بالعين المهملة. قوله: (ويقدر هنا المفعول الثاني) أي وإنما حذف لدلالة ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ﴾ عليه، ولا حاجة للتقدير، إذ يصح أن تكون هي المفعول الثاني، وقد وصفهم الله تعالى بأربعة أوصاف: الأول قوله: ﴿اتَّخَذَ﴾ إلخ، الثاني قوله: ﴿وَأَضَلَّهُ﴾ إلخ، الثالث قوله: ﴿وَخَتَمَ﴾ إلخ، الرابع قوله: ﴿وَجَعَلَ﴾ إلخ، فكل وصف منها مقتض للضلالة، فلا يمكن إيصال الهدى إليه بوجه من الوجوه. قوله: (إحدى التاءين) أي الثانية. قوله: (أي الحياة) بيان لمرجع الضمير، ويقال لهذا الضمير ضمير قصة. قوله: (أي يموت بعض) إلخ، دفع بذلك ما يقال إن قولهم ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ فيه اعتراف بالحياة بعد الموت، مع أنهم ينكرونها، ويجاب أيضاً: بأن الآية فيها تقديم وتأخير، أي نحيا ونموت. قوله: (أي مرور الزمان) أي فكان الجاهلية يقولون: الدهر هو الذي يهلكنا، وهو الذي يحيينا ويميتنا، ولذلك رد عليهم بقوله ﷺ: «كان أهل الجاهلية يقولون: وما يهلكنا إلا الليل والنهار، وهو الذي يحيينا ويميتنا، فيسبون الدهر، فقال تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار». والحاصل أن فرقة من الكفار يسمون الدهرية، ينسبون الفعل ضراً أو نفعاً للزمان، فرد عليهم بما تقدم. قوله: (المقول) أي وهو قولهم ﴿مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ إلخ. قوله: (واضحات) أي ظاهرات. قوله: (حال) أي من ﴿آيَاتِنَا﴾.

قوله: ﴿مَا كَانَ حُجَّتُهُمْ﴾ بالنصب خبر ﴿كَانَ﴾ وقوله: ﴿إِلاَّ أَنْ قَالُوا﴾ اسمها، أي إلا قولهم، وتسميتها حجة على سبيل التهكم، أو على حسب زعمهم. قوله: ﴿ائْتُوا بِآبَائِنَا﴾ أي الذين ماتوا قبلنا. قوله: ﴿قُلِ اللهُ يُحْيِيكُمْ﴾ رد لقولهم: ﴿مَا يَهلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرِ﴾. قوله: (وهم) أي الأكثر، وجمع باعتبار

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ يبدل منه ﴿يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ الكافرون أي يظهر خسرانهم بأن يصيروا إلى النار ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ﴾ أي أهل دين ﴿جَاثِيَةً﴾ على الركب أو مجتمعة ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ كتاب أعمالها ويقال لهم ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ أي جزاؤه ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا﴾ ديوان الحفظة ﴿يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾ نثبت ونحفظ ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ جنته ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾ ﴿٣٠﴾ البين الظاهر ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ فيقال لهم ﴿أَفَلَمْ

المعنى. قوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ تعميم بعد تخصيص. قوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ ظرف لقوله: ﴿يَخْسَرُ﴾ وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من ﴿يَوْمَ﴾ قبله للتوكيد، والتنوين في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ عوض عن جملة مقدرة، والتقدير: يومئذ تقوم الساعة، فهو بدل توكيدي. قوله: **(أي يظهر خسرانهم)** جواب عما يقال: إن خسرانهم متحتم في الأزل.

قوله: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ رأى بصرية و ﴿كُلَّ﴾ مفعولها و ﴿جَاثِيَةً﴾ حال، واختلف هل الجثي خاص بالكفار، وبه قال يحيى بن سلام، وقيل عام للمؤمن والكافر انتظاراً للحساب، ويؤيده ما ورد: إن في القيامة لساعة هي عشر سنين، يخرّ الناس فيها جثاة على ركبهم، حتى إن إبراهيم عليه السلام ينادي: لا أسألك اليوم إلا نفسي، وذلك لأن الحضرة في ذلك اليوم حضرة جلال، فالجميع يعطونه حقه من الخوف والهيبة، إلى أن يحصل التمييز، والجثو وضع الركبتين بالأرض، مع رفع الألية ونصب القدمين، ويطلق على الجلوس على أطراف القدمين مع وضع الركب بالأرض، وكل من المعنيين يدل على كونه مستوفزاً غير مطمئن، وقوله: **(أو مجتمعة)** أو لحكاية الخلاف، وقيل معناه متميزة، وقيل خاضعة. قوله: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ﴾ بالرفع في قراءة العامة مبتدأ، و ﴿تُدْعَى﴾ خبرها. قوله: ﴿تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾ أضيف لهم الكتاب باعتبار أنه مشتمل على أعمالهم. قوله: **(ويقال لهم)** قدره إشارة إلى أن الجملة مقولة لقول محذوف، و ﴿الْيَوْمَ﴾ معمول لتجزون، و ﴿مَا كُنْتُمْ﴾ مفعوله الثاني، ونائب الفاعل مفعول أول.

قوله: ﴿هٰذَا كِتَابُنَا﴾ قيل من قول الله لهم، وقيل من قول الملائكة لهم. قوله: ﴿يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ أي يدل عليه لأنهم يقرؤونه، فيذكرهم بما فعلوه لقوله تعالى: ﴿ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾ قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ قيل معناه أن لله ملائكة مطهرين، ينسخون من أم الكتاب في رمضان كل يوم ما يكون من أعمال بني آدم في العام كله، ويعرضونه على الحفظة كل خميس، فيجدون ما كتبه الحفظة على بني آدم موافقاً لما في أيديهم، وقيل إن الملائكة الحفظة، إذا رفعت أعمال العباد إلى الله عز وجل، أمر بأن يثبت عنده منها ما فيه ثواب أو عقاب، ويسقط ما لا ثواب فيه ولا عقاب. قوله: **(نثبت ونحفظ)** أي فالمراد بالنسخ الإثبات والنقل، إما من اللوح المحفوظ، أو من صحف الكتبة كما علمت.

قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلخ، تفصيل لما أجمل في قوله: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ قوله: ﴿فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾ أي مع السابقين، فلا ينافي أن المؤمن، وإن لم يعمل الصالحات

تَكُنْ ءَايَتِى﴾ أي القرآن ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ تكبرتم ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ ﴿٣١﴾ كافرين ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ لكم أيها الكفار ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ﴾ بالرفع والنصب ﴿لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن﴾ ما ﴿نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ قال المبرد: أصله إن نحن إلا نظن ظناً ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ ﴿٣٢﴾ أنها آتية ﴿وَبَدَا﴾ ظهر ﴿لَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟﴾ في الدنيا أي جزاؤها ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ أي العذاب ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ﴾ نتركِكم في النار ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ أي تركتم العمل للقائه

يدخل الجنة، لكن لا مع السابقين، بل إما بعد الحساب، أو بعد الشفاعة، فلا يقال: إن التقييد بالعمل الصالح، يخرج من مات على الإيمان ولم يعمل صالحاً. قوله: **(جنته)** إنما فسر العام بالخاص، لأن الجنة أثر الرحمة التي تستقر الخلائق فيها، وتوصف بالدخول فيها دون غيرها من آثار الرحمة. قوله: **﴿الْفَوْزُ﴾** أي بلوغ الآمال والظفر بالمقصود. قوله: **﴿الْمُبِينُ﴾** أي الخالص من الشوائب. قوله: **(فيقال لهم)** قدره إشارة إلى أن جواب إما محذوف.

قوله: **﴿أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي﴾** إلخ، الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، أي أتركتم الإيمان بالرسل فلم تكن إلخ. قوله: **﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ﴾** هذا من جملة ما يقال لهم، وحينئذ فيصير المعنى: وكنتم إذا قيل لكم إن وعد الله حق، إلخ. قوله: **﴿إِنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ﴾** بكسر **﴿إِنَّ﴾** في قراءة العامة لحكايتها بالقول، وقرىء شذوذاً بفتحها، إجراء للقول مجرى الظن في لغة سليم. قوله: **(بالرفع والنصب)** أي فهما قراءتان سبعيتان، فالرفع على الابتداء، وجملة **﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾** خبره، والنصب عطفاً على اسم **﴿إِنَّ﴾**.

قوله: **﴿مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ﴾** هذا على سبيل الاستغراب والاستبعاد. قوله: **(إن نظن إلا ظناً)** إن قلت: ما الجمع بين ما هنا وما تقدم في قوله: ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا﴾ فإن ما تقدم أثبت أنهم جازمون بعدم البعث، وهنا أفاد أنهم شاكون فيه، ويمكن الجواب بأن الكفار لعلهم افترقوا فرقتين: فرقة جازمة بنفي البعث وفرقة متحيرة فيه. قوله: **(قال المبرد)** إلخ، جواب عما يقال: إن ظاهر الآية وقوع المفعول المطلق استثناء مفرغاً، مع أن المقرر في النحو، أنه يجوز تفريغ العامل لما بعده من جميع المعمولات، إلا المفعول المطلق، فلا يقال: ما ضربت إلا ضرباً لاتحاد مورد النفي والإثبات، لأنه يصير في قوة ما ضربت إلا ضربت، ولا فائدة في ذلك، فأجاب المفسر: بأن الآية مؤولة بأن مورد النفي محذوف تقديره **﴿نَحْنُ﴾**، ومورد الإثبات كونه نظن ظناً، فكلمة **﴿إِلَّا﴾** مؤخر من تقديم، والمعنى حصر أنفسهم في الظن ونفي ما عداه.

قوله: **﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾** مبالغة في نفي ما عدا الظن عنهم. قوله: **(أي جزاؤها)** أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: **(نترككم في النار)** أشار بذلك إلى أن المراد من النسيان الترك مجازاً، لأن الترك مسبب عن النسيان، فإن من نسي شيئاً تركه، فسمي السبب باسم المسبب، لاستحالة حقيقة النسيان عليه تعالى. قوله: **(أي تركتم العمل للقائه)** أشار بذلك إلى أنه من اضافة المصدر إلى ظرفه على حد مكر الليل، وفي الكلام حذف قدره المفسر بقوله: **(العمل)** والمعنى: تركتم العمل للقاء الله

﴿ وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ ﴿٣٤﴾ مانعين منها ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ القرآن ﴿ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ حتى قلتم: لا بعث ولا حساب ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ ﴾ بالبناء للفاعل وللمفعول ﴿مِنْهَا﴾ من النار ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ ﴿٣٥﴾ أي لا يطلب منهم أن يرضوا ربهم بالتوبة والطاعة، لأنها لا تنفع يومئذ ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ ﴾ الوصف بالجميل على وفاء وعده في المكذبين ﴿ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ﴿٣٦﴾ خالق ما ذكر، والعالم ما سوى الله، وجمع لاختلاف أنواعه، ورب بدل ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾ العظمة ﴿ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ حال أي كائنة فيهما ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ﴿٣٧﴾ تقدم.

في يومكم هذا، ولا يصح أن يكون من اضافة المصدر لمفعوله، لأن التوبيخ على نسيان ما في اليوم من الجزاء، لا على نفس اليوم. قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي العذاب الدائم. قوله: ﴿بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ﴾ إلخ، أي بسبب اتخاذكم.

قوله: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ﴾ إلخ، فيه التفات من الخطاب للغيبة، ونكتته الإشارة إلى أنهم ساقطون عن رتبة الخطاب لهوانهم. قوله: **(بالبناء للفاعل وللمفعول)** أي فيهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(لأنها لا تنفع يومئذ)** أي وأما في الدنيا فالتوبة والطاعة نافعان، فالذي ينبغي للعاقل المبادرة لذلك قبل الفوات. قوله: **(على وفاء وعده في المكذبين)** أي وللمؤمنين، وإنما اقتصر على المكذبين، دفعاً لما يتوهم أنه تعالى إنما يحمد على الفضل، فأفاد أنه كما يحمد على الفضل، يحمد على العدل، لأن أوصافه تعالى جميلة. قوله: **(ورب بدل)** أي في المواضع الثلاثة، ويصح أن يكون نعتاً للفظ الجلالة.

قوله: ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ﴾ أي آثارها، لأن وصف الكبرياء قائم بذاته تعالى، وإنما تظهر آثارها في السماوات والأرض من التصرف والقهر، فتصرفه سبحانه وتعالى في السماوات والأرض وما فيهما من آثار كبريائه سبحانه وتعالى، لا يعلم قدره غيره، ولا يبلغ الواصفون صفته. قوله: **(حال)** ويصح أن يتعلق بنفس الكبرياء لأنه مصدر. قوله: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي الغالب الذي يضع الشيء في محله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الأَحْقَافِ

مكيّة
وآياتها خمس وثلاثون

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿حمٓ﴾ (١) الله أعلم بمراده به ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن مبتدأ ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ خبره ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ (٢) في صنعه ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا﴾ خلقاً ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ ليدل على قدرتنا ووحدانيتنا ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى فنائهما يوم القيامة ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ﴾ خوِّفوا به من العذاب ﴿مُعْرِضُونَ﴾ (٣) ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم﴾ أخبروني ﴿مَّا

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الأحقاف مكية

إلا ﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله﴾ الآية. وإلا ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾ الآية. وإلا ﴿ووصينا الإنسان بوالديه﴾ الثلاث آيات. وهي أربع أو خمس وثلاثون آية.

سيأتي أن الأحقاف واد باليمن، كانت فيه منازل عاد، وقيل: إنه جمع حقف وهو التل من الرمل، ولا منافاة بين القولين، إذ لا مانع من كون التلال في منازل عاد. قوله: (**إلا قوله تعالى ﴿قل أرأيتم﴾ الخ**) أي بناء على أن الشاهد عبدالله بن سلام، إذ لم يظهر منه التصديق بالقرآن إلا بالمدينة، وأما على أن المراد به موسى عليه السلام، فلا تكون مدنية. قوله: (**الثلاث آيات**) أي وآخرها قوله: ﴿**أساطير الأولين**﴾ وحينئذ فجملة الآيات المستثنيات خمس. قوله: (**وهي أربع أو خمس**) الخ، هذا الخلاف مبني على أن ﴿حمٓ﴾ تعد آية مستقلة أولاً. قوله: (**الله أعلم بمراده به**) تقدم غير مرة، أن هذا القول هو الأسلم، وهو طريقة السلف في تفويض علم المتشابه لله تعالى.

قوله: ﴿**مِنَ ٱللَّهِ**﴾ أي لم يخترعه من نفسه، ولم ينقله من بشر، ولا من جني كما قال الكفار. قوله: ﴿**ٱلْحَكِيمِ**﴾ (**في صنعه**) أي الذي أتقن كل شيء. قوله: ﴿**إِلَّا بِٱلْحَقِّ**﴾ هذا هو مصب النفي، وهو صفة لمصدر محذوف كما قدره المفسر. قوله: (**ليدل على قدرتنا ووحدانيتنا**) أي وباقي الصفات الكمالية، وتنزهه عن النقائص، لأن بالخلق يعرف الحق، لأن كل صنعة تدل على وجود صانعها، واتصافه بصفات الكمال. قوله: ﴿**وَأَجَلٍ مُّسَمًّى**﴾ عطف على الحق والكمال على حذف مضاف، أي وإلا بتقدير أجل مسمى، لأن الأجل نفسه متأخر عن الخلق، وفيه رد على الفلاسفة القائلين بقدم العالم.

قوله: ﴿**وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ مبتدأ، و ﴿**مُعْرِضُونَ**﴾ خبره، وقوله: ﴿**عَمَّا أُنْذِرُوا**﴾ متعلق بمعرضون،

﴿تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي الأصنام مفعول أول ﴿أَرُونِي﴾ أخبروني تأكيد ﴿مَاذَا خَلَقُوا﴾ مفعول ثان ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ بيان ما ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ مشاركة ﴿فِي﴾ خلق ﴿السَّمَاوَاتِ﴾ مع الله، وأم بمعنى همزة الإنكار ﴿ائْتُونِي بِكِتَابٍ﴾ منزل ﴿مِن قَبْلِ هَذَا﴾ القرآن ﴿أَوْ أَثَارَةٍ﴾ بقية ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ يؤثر عن الأولين بصحة دعواكم في عبادة الأصنام أنها تقربكم إلى الله ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٤﴾ في دعواكم ﴿وَمَنْ﴾ استفهام بمعنى النفي أي لا أحد ﴿أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا﴾ يعبد ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ وهم الأصنام لا يجيبون عابديهم إلى شيء يسألونه أبداً ﴿وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ﴾ عبادتهم ﴿غَافِلُونَ﴾ ﴿٥﴾ لأنهم جماد لا يعقلون ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا﴾ أي الأصنام ﴿لَهُمْ﴾ لعابديهم ﴿أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ﴾ بعبادة عابديهم ﴿كَافِرِينَ﴾ ﴿٦﴾ جاحدين ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي أهل مكة ﴿آيَاتُنَا﴾ القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ ظاهرات حال ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ منهم ﴿لِلْحَقِّ﴾ أي القرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٧﴾ بين ظاهر

وما اسم موصول، والعائد محذوف قدره المفسر بقوله: والأولى أن يقدر منصوباً لاختلاف الجار للموصول وللعائد بأن يقول خوفوه. قوله: (تأكيد) أي لقوله: ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾. قوله: (مفعول ثان) أي أن الجملة الاستفهامية سدت مسد المفعول الثاني. قوله: (بيان ما) أشار بذلك إلى أن ﴿مَا﴾ اسم استفهام، و ﴿ذَا﴾ اسم موصول خبرها، و ﴿خَلَقُوا﴾ صلة الموصول، ويصح أن ﴿مَاذَا﴾ اسم استفهام مفعول لخلقوا. قوله: (بمعنى همزة الإنكار) أي وبل الإضرابية فهي منقطعة.

قوله: ﴿إِيتُونِي بِكِتَابٍ﴾ الأمر للتبكيت، وفيه إشارة إلى نفي الدليل النقلي، بعد الإشارة إلى نفي الدليل العقلي. قوله: ﴿مِنْ قَبْلِ هٰذَا﴾ صفة لكتاب، والجار والمجرور متعلق بمحذوف قدره المفسر خاصاً بقوله: (منزل) والمناسب أن يقدره عاماً من مادة الكون. قوله: ﴿أَو أَثَارَةٍ﴾ مصدر على وزن كفالة، وقوله: ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ صفة لأثارة، وهي مشتقة من الأثر الذي هو الرواية والعلامة، أو من أثرت الشيء أثيره أثارة، استخرجت بقيته، والمعنى: ائتوني برواية أو علامة أو بقية من علم يؤثر عن الأنبياء والصلحاء. قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه، أي فائتوني.

قوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ الخ، مبتدأ وخبر. قوله: ﴿مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ﴾ ﴿مَنْ﴾ نكرة موصوفة بالجملة بعدها؛ أو اسم موصول ما بعدها صلتها، وهي معمولة لـ ﴿يَدْعُو﴾ والمعنى لا أحد أضل من شخص يعبد شيئاً لا يجيبه، أو الشيء الذي لا يجيبه، ولا ينفعه في الدنيا والآخرة. قوله: ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ الغاية داخلة في المغيا، وهو كناية عن عدم الاستجابة في الدنيا والآخرة. قوله: (وهم الأصنام) عبر عنهم بضمير العقلاء، مجاراة لما يزعمه الكفار. قوله: (لأنهم جماد) أشار بذلك إلى أن المراد بالغفلة عدم الفهم. قوله: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ﴾ أي جمعوا بعد إخراجهم من القبور. قوله: (جاحدين) أي منكرين، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون﴾ قوله: (حال) أي من آياتنا. قوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أظهر في مقام الإضمار، لبيان وصفهم بالكفر، ووصف الآيات بالحق، وإلا فمقتضى الظاهر: قالوا لها. قوله: ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ أي حين جاءهم. قوله: (ظاهر) أي باهر لا يعارض إلا بمثله.

﴿أَمْ﴾ بمعنى بل وهمزة الإنكار ﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ أي القرآن ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ﴾ فرضاً ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي من عذابه ﴿شَيْـًٔا﴾ أي لا تقدرون على دفعه عني إذا عذبني الله ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ تقولون في القرآن ﴿كَفَىٰ بِهِۦ﴾ تعالى ﴿شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ لمن تاب ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ ﴿٨﴾ به فلم يعاجلكم بالعقوبة ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا﴾ بديعاً ﴿مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ أي أول مرسل، قد سبق قبلي كثير منهم فكيف تكذبوني ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ في الدنيا أأخرج من بلدي أم أقتل كما فعل بالأنبياء قبلي أم ترموني بالحجارة أم يخسف بكم كالمكذبين قبلكم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ أي القرآن ولا أبتدع من عندي شيئاً ﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٩﴾ بين الإنذار ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ أخبروني ماذا حالكم ﴿إِن كَانَ﴾ أي القرآن ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾

قوله: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ**﴾ الخ، ترق في الانكار، وانتقال إلى ما هو أشنع. قوله: (**فرضاً**) أي على سبيل الفرض والتقدير. قوله: ﴿**فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيْئاً**﴾ أي فهو المتولي أموري، لا أحد يقدر على دفع ما أصابني منه غيره. قوله: ﴿**هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ**﴾ أي تخوضون وتقدحون في القرآن بقولكم: هو شعر، هو سحر، وغير ذلك. قوله: ﴿**كَفَى بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ**﴾ أي فيشهد لي بالصدق والبلاغ، وعليكم بالتكذيب والأنكار. قوله: ﴿**الرَّحِيمُ**﴾ (**به**) المناسب أن يقول: الرحيم بعباده، ليحسن ترتيب قوله: (**فلم يعاجلكم**) الخ، عليه. قوله: (**فلم يعاجلكم بالعقوبة**) أي بل أمهلكم لتتوبوا وترجعوا، عما أنتم عليه، ففيه وعد حسن بالمغفرة للتائبين، والرحمة بجميع العباد، إشارة إلى أن حلم الله ورحمته شاملة لهم، مع عظم خوفهم. قوله: (**بديعاً**) أشار بذلك إلى أن ﴿**بِدْعاً**﴾ صفة كحق وحقيق، وهو من الابتداع والاختراع، ويصح أن يكون مصدراً على حذف مضاف، أي ذا بدع، وقرىء شذوذاً بكسر الباء وفتح الدال جمع بدعة، أي ما كنت صاحب بدع، وبفتح الباء وكسر الدال، وصف كحذر.

قوله: ﴿**وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ**﴾ ﴿**مَا**﴾ استفهامية مبتدأ، والجملة بعدها خبرها، وهي معلقة لأدري عن العمل، فهي سادة مسد مفعوليها، ولما نزلت هذه الآية، فرح المشركون والمنافقون وقالوا: كيف نتبع نبياً لا يدري ما يفعل به ولا بنا؟ وإنه لا فضل له علينا، ولولا أنه ابتدع الذي يقوله من تلقاء نفسه، لأخبره الذي بعثه بما يفعله به، فنسخت هذه الآية، وأرغم الله أنف الكفار بنزول قوله تعالى﴿**ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر**﴾الآيات، فقالت الصحابة: هنيئاً لك يا رسول الله، لقد بين الله لك ما يفعل بك، فليت شعرنا ما هو فاعل بنا؟ فنزلت﴿**ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار**﴾ الآية. ونزلت ﴿**وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً**﴾فهذه الآية نزلت في أوائل الإسلام، قبل بيان مآل النبي والمؤمنين والكافرين، وإلا فما خرج ﷺ من الدنيا، حتى أعلمه الله في القرآن، ما يحصل له وللمؤمنين والكافرين في الدنيا والآخرة، إجمالاً وتفصيلاً.

قوله: ﴿**وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾ الحصر إضافي، أي منذر عن الله، لا مخترع من تلقاء نفسي، فلا ينافي أنه بشير أيضاً. قوله: (**ماذا حالكم**) أشار بذلك إلى أن مفعولي ﴿**أرأيتم**﴾ محذوفان دلت عليهما

وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾ جملة حالية ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ هو عبدالله بن سلام ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ أي عليه أنه من عند الله ﴿فَـَٔامَنَ﴾ الشاهد ﴿وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ تكبرتم عن الإيمان، وجواب الشرط بما عطف عليه ألستم ظالمين؟ دل عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿١٠﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي في حقهم ﴿لَوْ كَانَ﴾ الإيمان ﴿خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟﴾ أي القائلون ﴿بِهِۦ﴾ أي بالقرآن ﴿فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ﴾ أي القرآن ﴿إِفْكٌ﴾ كذب ﴿قَدِيمٌ﴾ ﴿١١﴾ ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾ أي القرآن ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ أي التوراة ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ للمؤمنين بـه حالان ﴿وَهَٰذَا﴾ أي القرآن ﴿كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ﴾ للكتب قبله ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال من الضمير في مصدق ﴿لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ مشركي مكة ﴿وَ﴾ هو ﴿بُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٢﴾ المؤمنين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾

الجملة. قوله: (جملة حالية) أي وكذا ما بعدها من الجمل الثلاث، ويصح جعل الجمل الأربعة معطوفات على فعل الشرط، فقول المفسر فيما يأتي بما عطف عليه، يعني من الجمل الأربع فيه تلفيق، ويمكن أن يجاب بأن المراد العطف اللغوي. قوله: (هو عبدالله بن سلام) وقيل: الشاهد موسى، وشهادته ما في التوراة من نعته ﷺ. قوله: (أي عليه) أشار بذلك إلى أن مثل صلة. قوله: (ألستم ظالمين) المناسب للمفسر تقدير الفاء، لأن الجملة التي فعلها جامدة، إذا وقعت جواباً للشرط، لزمت الفاء.

قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الخ، هذا من جملة قبائح الكفار، وزعماً منهم أن عز الآخرة تابع لعز الدنيا، ولم يعلموا أن رحمة الله يخص بها من يشاء، ولا سيما من لم تكن الدنيا أكبر همه ومبلغ علمه، ورد أن القائل ذلك جملة من العرب وهم: بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع، ولما أسلم جهينة ومزينة أو أسلم وغفار. قوله: (أي في حقهم) أشار بذلك إلى أن اللام بمعنى في، ويصح أن تبقى على بابها. قوله: ﴿لَوْ كَانَ﴾ (الإيمان) الخ، أشار بذلك إلى أن الضمير في ﴿كَانَ﴾ عائد على (الإيمان) ويصح عوده على القرآن أو على الرسول، وكلها معان متلازمة. قوله: ﴿مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ التفات من الخطاب إلى الغيبة، وكان مقتضى الظاهر ما سبقتمونا إليه، والضمير في ﴿إِلَيْهِ﴾ عائد على ما عاد عليه ضمير ﴿كَانَ﴾.

قوله: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ﴾ ظرف لمحذوف تقديره زادوا طغياناً، وليس قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ عاملاً فيه لأمرين: وجود الفاء. وكون الفعل مستقبلاً، لأن ما بعد الفاء، لا يعمل فيما قبلها وبين الماضي، والاستقبال تضاد، فإن الفعل مستقبل و ﴿إِذْ﴾ للماضي. قوله: ﴿إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ أي من قول الأقدمين: أتى به هو ونسبة إلى الله تعالى، فهو كقولهم ﴿أساطير الأولين﴾. قوله: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ خبر مقدم، و ﴿كِتَابُ﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة حالية أو مستأنفة، وهو رد لقولهم ﴿هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ والمعنى: لا يصح كونه إفكاً قديماً، مع كونكم سلمتم كتاب موسى ورجعتم إلى حكمه، فإن القرآن مصدق لكتاب موسى وغيره، وفيه قصص المتقدمين من الرسل وغيرهم والمتأخرين. قوله: (حالان) أي من كتاب موسى. قوله: ﴿مُصَدِّقٌ﴾ (للكتب قبله) أي كتاب موسى وغيره من باقي الكتب السماوية. قوله: (حال من الضمير في مصدق) ويصح أن يكون حالاً من ﴿كِتَابٌ﴾، و ﴿عَرَبِيًّا﴾ صفة لـ ﴿لِسَانًا﴾. قوله: ﴿لِيُنْذِرَ﴾ متعلق بـ ﴿مُصَدِّقٌ﴾ قوله: ﴿وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾ أشار المفسر بتقدير الضمير إلى أنه خبر لمبتدأ محذوف، والجملة حالية، ويصح أن يكون معطوفاً على ﴿مُصَدِّقٌ﴾ فهو مرفوع بضمة مقدرة منع من ظهورها

على الطاعة ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١٣﴾ ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال ﴿جَزَاءً﴾ منصوب على المصدر بفعله المقدر أي يجزون ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١٤﴾ ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ وفي قراءة إحساناً أي أمرناه أن يحسن إليهما، فنصب إحساناً على المصدر بفعله المقدر، ومثله حسناً ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ أي على مشقة ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ﴾ من الرضاع ﴿ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ ستة أشهر أقل مدة الحمل، والباقي مدة الرضاع، وقيل: إن حملت به ستة أو تسعة أرضعته الباقي ﴿حَتَّىٰ﴾ غاية لجملة مقدرة أي وعاش حتى ﴿إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ هو كمال

التعذر، أو منصوب عطف على محل قوله: ﴿لِيُنْذِرَ﴾ كأنه قال للإنذار والبشارة.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ أي وحدوا ربهم، وقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ الاستقامة هي العلم والعمل، وأتى بثم اشارة إلى أن اعتبار العلم والعمل، إنما يكون بعد التوحيد، وللدلالة على الاستمرار على الاستقامة، فليس المراد حصول الاستقامة مدة، ثم يرجع للمخالفات. قوله: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي من وقت حضور الموت، إلى ما لا نهاية له، فيأمنون من الفتانات، وسؤال الملكين، وعذاب القبر، وهو الموقف والنار. قوله: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي على ما فاتهم في الدنيا. قوله: ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ أي هي لهم بالأصالة. قوله: (حال) أي من ضمير أصحاب الجنة.

قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ لما كان حق الوالدين مطلوباً، بعد حق الله تعالى، ذكر الوصية بهما، ثم ما يتعلق بحقوقه تعالى، ومناسبة ذكر الوصية بالوالدين، ، عقب ذكر صفات أهل الجنة وأهل النار، لأن الإنسان يختلف حاله مع أبويه، فقد يبرهما فيكون ملحقاً بأهل الجنة، وقد يعقهما فيكون ملحقاً بأهل النار. قوله: (وفي قراءة) أي سبعية أيضاً. قوله: (أي أمرناه) الخ، تفسير لكل من القراءتين. قوله: (فنصب إحساناً) الخ، بيان لإعراب القراءتين، على اللف والنشر المشوش، والحسن والإحسان بمعنى واحد، وهو جمال القول والفعل، بأن يعظمها ويوقرهما قولاً وفعلاً. قوله: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ﴾ الخ، علة لقوله: ﴿وَصَّيْنَا﴾ واقتصر على ذكر الأم، لأن حقها أعظم، ولذلك قيل: إن لها ثلثي الأجر. قوله: ﴿كُرْهاً﴾ بفتح الكاف وضمها، قراءتان سبعيتان، ومعناهما واحد. قوله: (أي على مشقة) أي في أثناء الحمل، إذ لا مشقة في أوله.

قوله: ﴿وَحَمْلُهُ﴾ أي مدة حمله، وقوله: ﴿ثَلَاثُونَ شَهْراً﴾ خبر قوله: ﴿حَمْلُهُ﴾ على حذف مضاف. قوله: (إن حملت به ستة) أي من الشهور، وقوله: (أرضعته الباقي) أي من الثلاثين، وهو أربعة وعشرون، أو أحد وعشرون، قيل: إن الآية عامة في كل إنسان، وقيل: إنها خاصة بمن نزلت في حقه، وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، لما روي أن أمه حملت به تسعة أشهر، وأرضعته إحدى وعشرين شهراً. قوله: (غاية لجملة مقدرة) أي معطوفة على قوله: ﴿وَوَضَعَتْهُ﴾ أو مستأنفة. قوله: (أقله ثلاث وثلاثون سنة) أي لأن هذا الوقت هو الوقت الذي يكمل فيه بدن الإنسان. قوله: (الخ) أي وآخرها قوله: ﴿وإني من المسلمين﴾. قوله: (نزل) أي المذكور من قوله تعالى ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ﴾ الخ. وحاصل ذلك: أن أبا بكر صحب النبي ﷺ وهو ابن ثمان عشرة سنة، والنبي ﷺ ابن عشرين سنة، في تجارة إلى الشام، فنزلوا منزلاً فيه سدرة، فقعد النبي ﷺ في ظلها، ومضى أبو بكر إلى راهب هناك، فسأله عن

قوّته وعقله ورأيه أقله ثلاث وثلاثون سنة أو ثلاثون ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ أي تمامها وهو أكثر الأشد ﴿قَالَ رَبِّ﴾ الخ، نزل في أبي بكر الصديق لما بلغ أربعين سنة بعد سنتين من مبعث النبي ﷺ آمن به ثم آمن أبواه ثم ابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن أبو عتيق ﴿أَوْزِعْنِيٓ﴾ ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ﴾ بها ﴿عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ وهو التوحيد ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ﴾ فكلهم مؤمنون ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي قائلوا هذا القول أبو بكر وغيره ﴿ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ﴾ بمعنى حسن ﴿مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ﴾ حال أي كائنين في جملتهم ﴿وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ في قوله تعالى: ﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات﴾ ﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ﴾ وفي قراءة بالإدغام أريد به الجنس ﴿أُفٍّ﴾ بكسر الفاء وفتحها بمعنى مصدر أي نتناً وقبحاً ﴿لَّكُمَآ﴾ أتضجر منكما ﴿أَتَعِدَانِنِيٓ﴾ وفي قراءة بالإدغام ﴿أَنْ أُخْرَجَ﴾ من القبر ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ﴾ الأمم ﴿مِن قَبْلِي﴾ ولم تخرج من القبور ﴿وَهُمَا

الدين فقال له الراهب: من الرجل الذي في ظل السدرة؟ فقال: هو محمد بن عبدالله بن عبد المطلب، فقال الراهب: هذا والله نبي، وما استظل تحتها بعد عيسى أحد إلا هذا، وهو نبي آخر الزمان، فوقع في قلب أبي بكر اليقين والتصديق وكان لا يفارق النبي ﷺ في سفر ولا حضر، فلما بلغ رسول الله أربعين سنة، وأكرمه الله تعالى بنبوته، واختصه برسالته، آمن به أبو بكر الصديق رضي الله عنه وصدقه، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة، فلما بلغ أربعين سنة، دعا ربه عز وجل فقال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ الآية. قوله: **(ثم آمن أبواه)** أي أبوه عثمان بن عامر بن عمرو، وكنيته أبو قحافة، وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو. قوله: **(وابن عبد الرحمن)** أي واسمه محمد، وكلهم أدركوا النبي ﷺ، ولم يجتمع هذا لأحد من الصحابة غير أبي بكر، وامرأة أبي بكر اسمها قتيلة بنت عبد العزى، وامرأة أبيه اسمها قيلة. قوله: **(ألهمني)** أي رغبني ووفقني. قوله: **(فأعتق تسعة)** أي افتداهم من أيدي الكفار، وخلصهم من أذاهم، فهو عتق صوري، ولم يرد شيئاً من الخير إلا أعانه الله عليه.

قوله: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ أي أجعل الصلاح سارياً فيهم، وعبر بفي اشارة إلى أنهم كالظرف للصلاح لتمكنه منهم. قوله: **(فكلهم مؤمنون)** أي فالصلاح مقول بالتشكيك، يتحقق بأصل الإيمان، ويتزايدون فيه على حسب مراتبهم. قوله: **(أي قائل القول)** أشار بذلك إلى أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. قوله: ﴿الَّذِينَ يُتَقَبَّلُ﴾ هو، و ﴿يُتَجَاوَزُ﴾ بالياء مبنياً للمفعول، أو بالنون مبنياً للفاعل، قراءتان سبعيتان، وقرىء شذوذاً بالياء مبنياً للفاعل. قوله: **(بمعنى حسن)** أشار بذلك إلى أن اسم التفضيل ليس على بابه. قوله: **(حال)** أي من ضمير ﴿عَنْهُمْ﴾. قوله: ﴿وَعْدَ الصِّدْقِ﴾ مصدر منصوب بفعله المقدر، أي وعد الله وعد الصدق. قوله: ﴿الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ أي في الدنيا على لسان رسول الله ﷺ.

قوله: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ﴾ الخ، اسم الموصول معمول لمحذوف تقديره: اذكر يا محمد لقومك

﴿يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ﴾ يسألانه الغوث برجوعه ويقولون إن لم ترجع ﴿وَيْلَكَ﴾ أي هلاكك بمعنى هلكت ﴿ءَامِنْ﴾ بالبعث ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ﴾ أي القول بالبعث ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾﴾ أكاذيبهم ﴿أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ حَقَّ﴾ وجب ﴿عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ بالعذاب ﴿فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من جنس المؤمن والكافر ﴿دَرَجَٰتٌ﴾ فدرجات المؤمنين في الجنة عالية، ودرجات الكافرين في النار سافلة ﴿مِّمَّا عَمِلُوا﴾ أي المؤمنون من الطاعات والكافرون من المعاصي ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ﴾ أي الله، وفي قراءة بالنون ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي جزاءها ﴿وَهُمْ لَا

الشخص الذي قال لوالديه الخ، ويحتمل أنه مبتدأ خبره قوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ الخ، والمراد منه الجنس لا شخص معين، ولذ أخبر عنه بالجمع مراعاة لمعناه، فهي واردة في كل شخص كافر عاق لوالديه المسلمين، وهذا هو الصحيح، خلافاً لمن شذ وقال: إن هذه الآية نزلت في حق عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قبل إسلامه، فإنه كان من أفاضل الصحابة وخيارهم، وقد كذبت الصديقة من قال ذلك، ويرده أيضاً قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ الخ. قوله: **(وفي قراءة بالادغام)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: **(بكسر الفاء)** أي مع التنوين وتركه، قوله: **(وفتحها)** أي من غير تنوين، فالقراءات ثلاث سبعيات، وهو مصدر أف يؤف أفاً، بمعنى نتناً وقبحاً، أو هو اسم صوت يدل على تضجر، أو اسم فعل أتضجر، والمفسر أشار لاثنين منها بقوله: **(بمعنى مصدر)** وبقوله: **(أتضجر منكما)**. قوله: **(أي نتناً)** النتن القذارة والرائحة الكريهة، وهو كناية عن عدم الرضا بفعلهما والتضجر منهما. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً.

قوله: ﴿أَنْ أُخْرَجَ﴾ هذا هو الموعود به، والباء محذوفة أي بأن أخرج، وحذف الجار مع أن مطرد. قوله: ﴿وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾ الجملة حالية. قوله: **(ولم تخرج من القبور)** أي زعماً منه أن الخروج من القبور لو كان صدقاً، لحصل قبل انقضاء الدنيا. قوله: ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ﴾ اعلم أن مادة الاستغاثة تتعدى بنفسها تارة، وبالباء أخرى، لكن لم ترد في القرآن إلا متعدية بنفسها. قال تعالى ﴿إذ تستغيثون ربكم﴾ ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا﴾ ﴿فاستغاثه الذي من شيعته﴾. قوله: **(يسألانه الغيث)** أي اغاثة ذلك الولد بتوفيقه للإسلام. قوله: ﴿وَيْلَكَ﴾ معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله: **(ويقولون)** الخ، وذلك المحذوف حال من فاعل يستغيثان. والمعنى: يستغيثان الله حال كونهما قائلين ﴿وَيْلَكَ﴾ فهو فعل أمر. قوله: ﴿آمِنْ﴾ أي صدق واعترف.

قوله: ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ جملة مستأنفة أو تعليل لما قبلها. قوله: **(أكاذيبهم)** أي اخترعوها من غير أن يكون لها أصل. قوله: ﴿فِي أُمَمٍ﴾ حال من ضمير ﴿عَلَيْهِمُ﴾، والمعنى ثبت عليهم القول في عداد أمم، الخ. قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ أي كافرين ابتداء وانتهاء. قوله: ﴿وَلِكُلٍّ﴾ خبر مقدم، و ﴿دَرَجَاتٌ﴾ مبتدأ مؤخر. والمعنى لكل شخص من المؤمنين والكفار. قوله: ﴿دَرَجَاتٌ﴾ في الكلام تغليب، لأن مراتب أهل النار يقال لها دركات بالكاف لا بالجيم، أو تسمح حيث أطلق الدرجات، وأراد المنازل مطلقاً، علوية أو سفلية، قوله: ﴿مِمَّا عَمِلُوا﴾ أي من أجل ما عملوا من خير وشر. قوله: ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ﴾ عطف علة على معلول، والمعنى جازاهم بذلك ليوفيهم. قوله: **(أي جزاءها)** أشار بذلك

يُظْلَمُونَ ﴾ ⑲ شيئاً، ينقص للمؤمنين ويزاد للكفار ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ بأن تكشف لهم يقال لهم ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾ بهمزة وبهمزتين، وبهمزة ومدة، وبهما، وتسهيل الثانية ﴿ طَيِّبَٰتِكُمْ ﴾ باشتغالكم بلذتكم ﴿ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم ﴾ تمتعتم ﴿ بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾ أي الهوان ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ تتكبرون ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ ⑳ به وتعذبون بها ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ هو هود عليه السلام ﴿إِذْ﴾ الخ بدل اشتمال ﴿أَنذَرَ قَوْمَهُۥ﴾ خوفهم ﴿ بِٱلْأَحْقَافِ﴾ واد باليمن به منازلهم ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ ﴾ مضت الرسل

إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: (بنقص للمؤمنين) أي من درجاتهم، بل قد يزاد لهم فيها. قوله: (ويزاد للكفار) أي في دركاتهم، بل قد يخفف عن بعضهم، كأبي طالب وأبي لهب.

قوله: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ﴾ الخ ﴿يَوْمَ﴾ معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله: (يقال لهم) الخ، والمعنى يقال لهم أذهبتم الخ، وقت عرضهم على النار. قوله: (بأن تكشف لهم) أشار بذلك إلى أن الكلام فيه قلب، والأصل ويوم تعرض النار على الذين كفروا، أي يكشف لهم عنها، وأتى به كذلك، لأن عرض الشخص على النار، أشد في إهانته من عرض النار عليه لأن عرضه عليها يفيد أنه كالحطب المجعول للإحراق، وإنما كان فيه قلب، لأن المعروض عليه شأنه العلم والإطلاع، والنار ليست كذلك، وقيل: المراد بالعرض العذاب، وحينئذ فليس فيه قلب، وقد أفاد هذا المعنى المفسر آخراً بقوله: (يعذبون بها). قوله: (يقال لهم) هذا المقدر عامل في جملة ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾ وناصب لـ ﴿يَوْمَ﴾ على الظرفية.

قوله: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ﴾ أي ما قدر لكم من المستلذات، فقد استوفيتموه في الدنيا، فلم يبق لكم حظ تأخذونه في الآخرة. قوله: (بهمزة) الخ، أشار المفسر لخمس قراءات: تحقيق الهمزتين: وتسهيل الثانية بألف بينهما على الوجهين، وتركه، وهمزة واحدة وأجمل في ذلك، فقوله: (بهمزة) وهي إحدى القراءات الخمس، وقوله: (وبهمزتين) أي محققتين بغير مدّ بينهما، ثانيتها قوله: (وبهمزة ومدة) المناسب وبهمزتين محققتين ومدة وهي ثالثها، وقوله: (وبها وتسهيل الثانية) أي بمدة ودونها فقد تمت الخمس. قوله: (أي الهوان) أشار بذلك إلى أنه من اضافة الموصوف لصفته. قوله: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ وصف كاشف، لأن الاستكبار لا يكون إلا بغير الحق، فإن الكبرياء وصف لله وحده. قوله: (به) متعلق بـ ﴿تَسْتَكْبِرُونَ﴾ و ﴿تَفْسُقُونَ﴾ وقدره إشارة إلى أن العائد محذوف ويصح أن تكون مصدرية، أي بكونهم مستكبرين فاسقين، والمراد بالاستكبار الفواحش الباطنية، وبالفسق الفواحش الظاهرية. قوله: (ويعذبون بها) عطف على ﴿يُعْرَضُ﴾ عطف تفسير، فهو تفسير آخر للعرض، فالمناسب تقديمه و ﴿عَلَى﴾ بمعنى الباء.

قوله: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ أي في النسب لا في الدين، لأن هوداً هو وقومه ينتسبون لعاد. قوله: (هو هود) أي ابن عبدالله بن رباح، وتقدم ذكره تفصيلاً في سورة هود. قوله: (بدل اشتمال) أي فالمقصود ذكر قصته مع قومه للاعتبار بها. قوله: ﴿بِٱلْأَحْقَافِ﴾ حال من ﴿قَوْمَهُ﴾ أي أنذرهم، والحال أنهم مقيمون بالأحقاف. قوله: (واد باليمن) أي فهو علم على الوادي لا جمع، وقوله: (ومنازلهم) تفسير آخر، وعليه فهو جمع حقف وهو الرمل المستطيل، وتقدم القولان في أول السورة، وقيل: إن الأحقاف جبل بالشام.

﴿ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ ﴾ أي من قبل هود ومن بعده إلى أقوامهم ﴿أن﴾ أي بأن قال ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ وجملة وقد خلت معترضة ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ﴾ إن عبدتم غير الله ﴿ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ ﴿٢١﴾ ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا﴾ لتصرفنا عن عبادتها ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذاب على عبادتها ﴿ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ﴿٢٢﴾ في أنه يأتينا ﴿قَالَ﴾ هود ﴿إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ هو الذي يعلم متى يأتيكم العذاب ﴿ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ ﴾ إليكم ﴿ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ باستعجالكم العذاب ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ﴾ أي ما هو العذاب ﴿عَارِضٗا﴾ سحاباً عرض في أفق السماء ﴿مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ ﴾ أي ممطر إيانا، قال تعالى ﴿ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ﴾ من العذاب ﴿رِيحٞ﴾ يدل من ما ﴿فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ ﴿٢٤﴾ مؤلم ﴿تُدَمِّرُ﴾ تهلك ﴿كُلَّ شَيۡءِۭ﴾ مرت عليه ﴿ بِأَمۡرِ رَبِّهَا﴾ بإرادته أي كل شيء أراد إهلاكه بها، فأهلكت رجالهم

قوله: ﴿وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ﴾ الواو اعتراضية، والخلو بالنسبة لزمن رسول الله ﷺ، وأتى بهذه الجملة لبيان أن إنذار هود لعاد وقع مثله للرسل المتقدمين عليه والمتأخرين عنه، فلم يكن مختصاً بهود، ويحتمل أن معنى قوله: ﴿وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ﴾ الخ، أي مضى لك ذكرهم في القرآن مراراً، فلا حاجة للإعادة، فهو ذكر لباقي القصص إجمالاً، نظير قوله تقدم ﴿وقد مضى مثل الأولين﴾ فتدبر. قوله: **(أي من قبل هود)** الخ، لف ونشر مرتب، والذين قبله أربعة: آدم وشيث وإدريس ونوح، والذين بعده: كصالح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق وسائر بني اسرائيل. قوله: **(إلى أقوامهم)** متعلق بمضت لتضمنه معنى مرسلين. قوله: **(أي بأن)** أشار بذلك إلى أن ﴿أَنْ﴾ مصدرية ومخففة من الثقيلة، والباء المقدرة للتصوير. قوله: **(معترضة)** أي بين الإنذار ومعموله.

قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ﴾ علة لقوله: ﴿لَا تَعْبُدُوا﴾. قوله: ﴿عَظِيمٍ﴾ بالجر صفة لـ ﴿يَوْمٍ﴾ ووصف اليوم بالعظم لشدة هوله. قوله: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا﴾ أي جواباً لإنذاره. قوله: ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه. قوله: ﴿إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي علم وقت إتيان العذاب عند الله، فلا علم لي بوقته، ولا مدخل لي في استعجاله. قوله: ﴿وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾ أي أن وظيفتي تبليغكم لا الإتيان بالعذاب، إذ ليس في طاقتي، و ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ بسكون الباء وتخفيف اللام، وبفتحها وتشديد اللام مكسورة، قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿وَلَٰكِنِّي﴾ بسكون الياء وفتحها قراءتان سبعيتان. قوله: **(أي ما هو العذاب)** أشار بذلك إلى أن الضمير في ﴿رَأَوْهُ﴾ عائد على ما في قوله: ﴿مَا تَعِدُنَا﴾. قوله: **(سحاباً عرض)** أي فالعارض هو السحاب الذي يعرض في الأفق.

قوله: ﴿مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ أي متوجهاً إليها، والإضافة لفظية للتخفيف، وكذا هي في قوله: ﴿مُمْطِرُنَا﴾ ولذا وقع المضاف في الموضعين صفة للنكرة، وهي عارضاً وعارض. قوله: **(أي ممطر إيانا)** أي يأتينا بالمطر. قوله: **(قال تعالى)** أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿بَلْ هُوَ﴾ الخ من كلامه تعالى، ويصح أن يكون من كلام هود، رداً لقولهم ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾ وهو الأولى. قوله: **(بدل من ما)** أي أو خبر لمحذوف أي هي ريح. قوله: ﴿فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الجملة صفة لـ ﴿رِيحٌ﴾ وكذا قوله: ﴿تُدَمِّرُ﴾. قوله:

ونساءهم وصغارهم وأموالهم، بأن طارت بذلك بين السماء والأرض ومزقته، وبقي هود ومن آمن معه ﴿فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْۚ كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿نَجْزِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿٢٥﴾ غيرهم ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ﴾ في الذي ﴿إِن﴾ نافية أو زائدة ﴿مَّكَّنَّٰكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿فِيهِ﴾ من القوة والمال ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا﴾ بمعنى أسماعاً ﴿وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً﴾ قلوباً ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ﴾ أي شيئاً من الإغناء، ومن زائدة ﴿إِذْ﴾ معمولة لأغنى وأشربت معنى التعليل ﴿كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ حججه البينة ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ أي العذاب ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾ أي من أهلها، كثمود وعاد وقوم لوط ﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْأَيَٰتِ﴾ كررنا الحجج البينات ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿فَلَوْلَا﴾ هلا ﴿نَصَرَهُمُ﴾ بدفع العذاب عنهم ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿قُرْبَانًا﴾ متقرباً بهم إلى الله ﴿ءَالِهَةًۢ﴾ معه وهم الأصنام، ومفعول اتخذ الأول ضمير محذوف يعود على الموصول أي هم وقرباناً الثاني وآلهة بدل منه ﴿بَلْ ضَلُّواْ﴾ غابوا ﴿عَنْهُمْۚ﴾ عند نزول العذاب ﴿وَذَٰلِكَ﴾ أي

(أي كل شيء أراد إهلاكه بها) تفسير لقوله: ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾. قوله: (فأهلكت رجالهم) قدر هذا ليعطف عليه قوله: ﴿فَأَصْبَحُوا﴾ الخ، روي أن هوداً لما أحس بالريح، أخذ المؤمنين ووضعهم في حظيرة، وقيل خط حولهم خطاً، فكانت الريح لا تعدو الخط، وجاءت الريح فأمالت الأحقاف على الكفرة، فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام، يسمع لهم أنين، ثم كشفت عنهم الرمل، واحتملتهم فقذفتهم في البحر. قوله: (وبقي هود ومن آمن معه) أي وهم آلاف، وكانت الريح تأتيهم لينة باردة طيبة، والريح التي تصيب قومه، شديدة عاصفة مهلكة، وهي معجزة عظيم لهود عليه السلام. قوله: ﴿فَأَصْبَحُوا﴾ أي صاروا. قوله: ﴿لَا تُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾ بتاء الخطاب ونصب المساكن وبياء الغيبة، مبنياً للمفعول، ورفع مساكن على أنه نائب الفاعل، قراءتان سبعيتان، والمعنى: فصاروا لا يرى إلا أثر مساكنهم، لأن الريح لم تبق منها إلا الآثار، والمساكن معطلة. قوله: (كما جزيناهم) أي عاداً.

قوله: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ﴾ أي عاداً. قوله: (في الذي) أشار به إلى أن ما موصوله. قوله: (نافية) أي بمعنى ما، ولم يؤت بلفظها دفعاً لثقل التكرار، ويكون المعنى: ولقد مكنا عاداً في الذي لم نمكنكم يا أهل مكة فيه. قوله: (أو زائدة) أي والمعنى: ولقد مكنا عاداً في مثل الذي مكناكم فيه، ويصح أن تكون شرطية، وجوابها محذوف، والتقدير: ولقد مكناهم في الذي إن مكناكم فيه طغيتم وبغيتم، وأوضحها أولها. قوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً﴾ الخ، أفرد السمع لأن ما يدرك به متحد وهو الصوت، بخلاف ما بعده من الأبصار والأفئدة، فإنه يدرك بها أشياء كثيرة. قوله: (أي شيئاً) أشار بذلك إلى أن ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ مفعول مطلق منصوب بفتحة مقدرة، منع من ظهورها حركة حرف الجر الزائد. قوله: (معمولة لأغنى) أي لنفيه، فإن التعليل للنفي، والمعنى: انتفى نفع هذه الحواس عنهم، لأنهم كانوا يجحدون، الخ.

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ﴾ الخطاب لأهل مكة. قوله: ﴿مِنَ الْقُرَى﴾ أي أهلها. قوله: (هلا) أشار بذلك إلى أن ﴿لَوْلَا﴾ تحضيضية. قوله: (ومفعول اتخذوا) الخ، أي والمعنى: فلا تدفع عنهم العذاب الأصنام الذين اتخذوهم قرباناً آلهة، والمقصود توبيخهم. قوله: (وآلهة بدل منه) هذا أحد

اتخاذهم الأصنام آلهة قرباناً ﴿إِفْكُهُمْ﴾ كذبهم ﴿وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ يكذبون، وما مصدرية أو موصولة، والعائد محذوف أي فيه ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ صَرَفْنَآ﴾ أملنا ﴿إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ جن نصيبين باليمن أو جن نينوى، وكانوا سبعة أو تسعة، وكان ﷺ ببطن نخل يصلي بأصحابه الفجر

أعاريب، ويصح أن يكون ﴿آلِهَةً﴾ الثاني و ﴿قُرْبَاناً﴾ حال أو مفعول من أجله. قوله: ﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ﴾ إضراب انتقالي من نفي الدفع عنهم، إلى غيبتها عنهم بالكلية، والمعنى: لم يحضروا عندهم فضلاً عن كونهم يدفعون عنهم العذاب. قوله: ﴿إِفْكُهُمْ﴾ قرأ العامة بكسر الهمزة وسكون الفاء، مصدر أفك يأفك إفكاً، وقرىء شذوذاً بفتح الهمزة، وهو مصدر له أيضاً، وبفتحات فعلاً ماضياً. قوله: **(وما مصدرية)** أي وافتراؤهم وهو الأحسن لتناسب المعطوفين. قوله: **(أي فيه)** أي فحذف الجار فاتصل الضمير ثم حذف، لو قال: أي يفترونه لكان أوضح.

قوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ﴾ أي اذكر يا محمد لقومك قصة صرفنا إليك نفراً من الجن، ليعتبروا بأن رسالتك عامة، للإنس والجن والملائكة وجميع الخلق، لكن إرساله للإنس والجن إرسال تكليف إجماعاً، وإرساله للملائكة قيل إرسال تكليف بما يليق بهم، وقيل إرسال تشريف، وارساله لما عداهم من الحيوانات الغير العاقلة والجمادات ارسال تشريف ورحمة. قوله: ﴿نَفَراً﴾ النفر بفتحتين، والنفر والنفير من ثلاثة رجال إلى عشرة. قوله: **(نصيبين)** أي وهي قرية باليمن. قوله: **(أو جن نينوى)** بنون مكسورة فياء ساكنة، فنون مضمومة أو مفتوحة، فواو فألف مقصورة، هي قرية يونس عليه السلام قرب الموصل. قوله: **(وكان ﷺ ببطن نخل)** الصواب أن يقول: وكان ببطن نخلة لأنه هو الذي في طريق الطائف، وأما بطن نخل، فهو المكان الذي صلى فيه صلاة الخوف، وهو على مرحلتين من المدينة. قوله: **(يصلي بأصحابه الفجر)** فيه شيء، إذ لم يثبت أنه كان معه من الصحابة إلا زيد بن حارثة، وهذه الواقعة كانت قبل فرض الصلوات، فالصواب أن يقول: كان يصلي في جوف الليل، وعبارة المواهب: ثم خرج عليه السلام إلى الطائف، بعد موت خديجة بثلاثة أشهر، في ليال بقين من شوال سنة عشر من النبوة، لما ناله من قريش بعد موت أبي طالب، وكان معه زيد بن حارثة، فأقام به شهراً يدعو أشراف ثقيف إلى الله تعالى، فلم يجيبوه وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه، ولما انصرف عليه السلام عن أهل الطائف راجعاً إلى مكة، نزل نخلة وهو موضع على ليلة من مكة، صرف إليه سبعة من جن نصيبين، وكان عليه السلام قد قام في جوف الليل يصلي الخ. واعلم أن العلماء ذكروا في سبب هذه الواقعة قولين: أحدهما: أن الجن كانت تسترق السمع، فلما رجموا ومنعوا من السماء حين بعث النبي ﷺ قالوا: ما هذا إلا شيء حدث في الأرض، فذهبوا فيها يطلبون السبب، وكان قد اتفق أن النبي ﷺ في الحادية عشرة من النبوة، لما أيس من أهل مكة، خرج إلى الطائف يدعوهم إلى الإسلام، فلم يجيبوه، فانصرف راجعاً إلى مكة، فقام ببطن نخل يقرأ القرآن، فمر به نفر من جن نصيبين، كان إبليس قد بعثهم يطلبون السبب الذي أوجب حراسة السماء بالرجم بالشهب، فسمعوا القرآن فعرفوا أن ذلك هو السبب، وعليه فلم يكن اجتماعه بالجن مقصوداً للإرسال. ثانيهما: أن الله أمر رسوله ﷺ أن ينذر الجن، ويدعوهم إلى الله، ويقرأ عليهم القرآن، فصرف الله إليه نفراً منهم يستمعون القرآن وينذرون قومهم، وذلك لأن الجن مكلفون، لهم الثواب، وعليهم العقاب، ويدخلون الجنة، ويأكلون فيها ويشربون كالانس، فانتهض النبي ﷺ

رواه الشيخان ﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ﴾ أي قال بعضهم لبعض ﴿أَنصِتُواْ﴾ أصغوا لاستماعه ﴿فَلَمَّا قُضِىَ﴾ فرغ من قراءته ﴿وَلَّوْاْ﴾ رجعوا ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ مخوِّفين قومهم العذاب إن لم يؤمنوا، وكانوا يهوداً وقد أسلموا ﴿قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا﴾ هو القرآن ﴿أُنزِلَ

ذات ليلة وقال: إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة القرآن، فأيكم يتبعني؟ فأطرقوا، فتبعه عبدالله بن مسعود، قال عبدالله بن مسعود: ولم يحضر معه أحد غيري، قال: فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة، دخل النبي شعباً يقال له شعب الحجون، وخط لي خطاً، وأمرني أن أجلس فيه وقال لي: لا تخرج حتى أعود إليك، فانطلق حتى وصل إليهم، فافتتح القرآن، فجعلت أرى أمثال النسور تهوي، وسمعت لغطاً شديداً حتى خفت على نبي الله، وغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه، حتى لم أسمع صوته، ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين، ففرغ النبي منهم مع الفجر، فانطلق إليّ فقال لي: قد نمت؟ فقلت: لا والله، ولكني هممت أن آتي اليك لخوفي عليك، فقال ﷺ له: لو خرجت لم آمن عليك أن يتخطفك بعضهم، فأولئك جن نصيبين، فقلت: يا رسول الله سمعت لغطاً شديداً، فقال: إن الجن اختصموا في قتيل قتل بينهم، فتحاكموا إليّ، فقضيت بينهم بالحق، وكان عدة هؤلاء اثني عشر ألفاً، وروي عن أنس قال: كنت عند النبي ﷺ وهو بظاهر المدينة، إذ أقبل شيخ يتوكأ على عكازه، فقال النبي ﷺ: إنها لنغمة جني، فقال الشيخ: أجل يا رسول الله، فقال له النبي ﷺ: من أي الجن أنت؟ قال: إني هام بن هيم بن لاقيس بن إبليس، فقال له النبي: كم أتى عليك من العمر؟ فقال: أكلت عمر الدنيا إلا القليل، كنت حين قتل هابيل غلاماً ابن أعوام، فكنت أشرف على الآكام، وأصطاد الهام، وأجعله بين الأنام، فقال النبي: بئس العمل، فقال: يا رسول الله، دعني من العتب، فإني ممن آمن مع نوح عليه السلام، وعاتبته في دعوته فبكى وأبكاني وقال: والله إني لمن النادمين، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، وأتيت هوداً فعاتبته في دعوته فبكى وأبكاني وقال: والله إني لمن النادمين، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، ولقيت إبراهيم وآمنت به، وكنت بينه وبين الأرض إذ رمي به في المنجنيق، وكنت معه في النار إذ ألقي فيها، وكنت مع يوسف إذ ألقي في الجب، فسبقته إلى قعره، ولقيت موسى بن عمران، وكنت مع عيسى ابن مريم عليهما السلام، فقال لي: إن لقيت محمداً فاقرأ عليه السلام، قال أنس: فقال النبي: وعليه السلام، وعليك السلام يا هام، ما حاجتك؟ فقال: إن موسى علمني التوراة، وإن عيسى علمني الأنجيل، فعلمني القرآن قال أنس: فعلمه النبي ﷺ: سورة الواقعة، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت، وقل يا أيها الكافرون، وسورة الأخلاص، والمعوذتين. ولا منافاة بين هذه القصص، فلعل الواقعة تعددت، فإحداها كان بها زيد بن حارثة، والأخرى كان فيها عبدالله بن مسعود، والأخرى كان فيها أنس بن مالك، كما أن قراءة القرآن عليهم تعددت.

قوله: **﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْآنَ﴾** جمعه مراعاة لمعنى النفر، ولو راعى لفظه لقال يستمع. قوله: **﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾** أي القرآن والرسول. قوله: **(اصغوا)** بكسر الهمزة وفتح الغين؛ من باب رمى، أو بفتح الهمزة وضم الغين من الرباعي. قوله: **﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾** بالبناء للمفعول في قراءة العامة، وقرىء شذوذاً بالبناء للفاعل، فالأولى تؤيد عود الضمير على القرآن، والثانية تؤيد عوده على الرسول.

قوله: **﴿وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾** أي بأمر الرسول عليه السلام، لأنه جعلهم رسلاً إلى قومهم.

مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ أي تقدمه كالتوراة ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ﴾ الإسلام ﴿وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ ﴿٣٠﴾ أي طريقه ﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾ محمداً ﷺ إلى الإيمان ﴿وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ﴾ الله ﴿لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ أي بعضها، لأن منها المظالم، ولا تغفر إلا برضا أصحابها ﴿وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ ﴿٣١﴾ مؤلم ﴿وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي لا يعجز الله بالهرب منه فيفوته ﴿وَلَيۡسَ لَهُۥ﴾ لمن لا يجب ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي الله ﴿أَوۡلِيَآءُۚ﴾ أنصار يدفعون عنه العذاب ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين لم يجيبوا ﴿فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ ﴿٣٢﴾ بينٍ ظاهر ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ يعلموا، أي منكرو البعث ﴿أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ﴾ لم يعجز عنه ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ خبر أن، وزيدت الباء فيه لأن الكلام في قوة أليس الله بقادر ﴿عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓ﴾ هو قادر على إحياء الموتى ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ بأن يعذبوا بها يقال لهم ﴿أَلَيۡسَ هَٰذَا﴾ التعذيب ﴿بِٱلۡحَقِّۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾ ﴿٣٤﴾

قوله: **(وكانوا يهوداً)** أي وقد أسلموا في هذه الواقعة، وأسلم من قومهم حين رجعوا إليهم وأنذروهم وهم سبعون، وقال العلماء: إن الجن فيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأصنام، وفي مسلميهم مبتدعة ومن يقول بالقدر وخلق القرآن ونحو ذلك من المذاهب والبدع. وروي أنهم أصناف ثلاثة: صنف لهم أجنحة يطيرون بها، وصنف على صورة الحيات والكلاب، وصنف يحلون ويظعنون، واختلف في مؤمني الجن، فقيل: لا ثواب لهم إلا النجاة من النار؛ وعليه أبو حنيفة والليث؛ وبعد نجاتهم من النار يقال لهم: كونوا تراباً. وقال الأئمة الثلاثة: هم يدخلون الجنة، ويأكلون ويشربون ويتنعمون. وقيل: إنهم يكونون حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها. قوله: **(كالتوراة)** أي والإنجيل والزبور وغيرهما. قوله: **(أي طريقه)** أي الإسلام وهو الانقياد وطريقه الأعمال الصالحة، كالصلاة والصوم. قوله: ﴿**يَغْفِرْ لَكُمْ**﴾ جواب الأمر. قوله: ﴿**وَيُجِرْكُمْ**﴾ أي يخلصكم وينجيكم.

قوله: ﴿**وَمَنْ لَا يُجِبْ**﴾ الخ، ﴿**مَنْ**﴾ شرطية وجوابها قوله: ﴿**فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ**﴾ الخ. قوله: ﴿**أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ**﴾ هنا همزتان مضمومتان من كلمة، وليس في القرآن محل لاجتماعهما غير هذا. قوله: ﴿**أُولَئِكَ**﴾ الخ، هذا آخر كلام الجن الذين سمعوا القرآن. قوله: ﴿**أَوَ لَمْ يَرَوْا**﴾ الخ، رجوع لتوجيه الكلام إلى أهل مكة وغيرهم بعد تقرير قصة الجن، والهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه تقديره: أتركوا التفكر ولم يروا. قوله: **(لم يعجز عنه)** أي لم يضعف ولم يتعب. قوله: **(وزيدت الباء فيه)** الخ، جواب عما يقال: إن الباء لا تزاد إلا في خبر ليس وما، كما قال ابن مالك: وبعد ما وليس جر الباء الخبر: وإن للإثبات. قوله: **(لأن الكلام)** الخ، حاصل الجواب أنها واقعة في خبر ليس تأويلاً. قوله: ﴿**بَلَى**﴾ هي جواب النفي ويصير بها إثباتاً؛ بخلاف نعم فإنها تقرر ما قبلها نفياً أو إثباتاً.

قوله: ﴿**وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ الخ، هذا إشارة لبعض ما يحصل في يوم البعث من الأهوال، إثر بيان إثباته وتقرره. قوله: **(يقال لهم)** قدره إشارة إلى أن ﴿**يَوْمَ**﴾ ظرف لمحذوف، وإلى أن قوله: ﴿**أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ**﴾ مقول لقول محذوف. قوله: ﴿**وَرَبِّنَا**﴾ الواو للقسم، وإنما أكدوا كلامهم بالقسم طمعاً في الخلاص، حيث اعترفوا بالحق. قوله: ﴿**بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ**﴾ أي بسبب كفركم. قوله:

﴿فَٱصْبِرْ﴾ على أذى قومك ﴿كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ﴾ ذوو الثبات والصبر على الشدائد ﴿مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ قبلك فتكون ذا عزم، ومن للبيان، فكلهم ذوو عزم، وقيل للتبعيض فليس منهم آدم لقوله تعالى: ﴿ولم نجد له عزماً﴾ ولا يونس لقوله تعالى: ﴿ولا تكن كصاحب الحوت﴾ ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ لقومك نزول العذاب بهم: قيل: كأنه ضجر منهم فأحب نزول العذاب بهم، فأمر بالصبر وترك الاستعجال للعذاب فإنه نازل بهم لا محالة ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب في الآخرة لطوله ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾ في الدنيا في ظنهم ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ هذا القرآن

﴿فَاصْبِرْ﴾ الخ، هذا تسلية له ﷺ، والصبر: تلقي الشدائد بالرضا والتسليم. قوله: ﴿كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ﴾ الكاف بمعنى مثل، صفة لمصدر محذوف، وما مصدرية، والتقدير: صبر أولي العزم. قوله: **(فكلهم ذ. وعزم)** أي حزم وكمال وثبات وصبر على الشدائد، قوله: **(وقيل)** هي للتبعيض في كلامه؛ اشارة لقولين في تفسير أولي العزم، من جملة أقوال شتى، **وقيل**: هم نجباء الرسل المذكورون في سورة الأنعام ثمانية عشر: إبراهيم واسحاق ويعقوب ونوح وداود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وزكرياء ويحيى وعيسى وإلياس وإسماعيل واليسع ويونس ولوط. **وقيل**: هم اثنا عشر نبياً، أرسلوا إلى بني اسرائيل بالشام فعصوهم، فأوحى الله إلى الأنبياء: إني مرسل عذابي إلى عصاة بني اسرائيل، فشق ذلك على المرسلين، فأوحى الله إليهم: اختاروا لأنفكسم، إن شئتم أنزلت بكم العذاب وأنجيت بني اسرائيل، وإن شئتم أنجيتم وأنزلت العذاب ببني اسرائيل، فتشاوروا بينهم فاجتمع رأيهم على أن ينزل بهم العذاب، وينجي الله بني اسرائيل، فأنجى الله بني اسرائيل، وأنزل العذاب بأولئك الرسل، وذلك أنه سلط عليهم ملوك الأرض، فمنهم من نشر بالمناشير، ومنهم من سلخ جلدة رأسه ووجهه، ومنهم من صلب على الخشب حتى مات، ومنهم من أحرق بالنار. وقيل: أولو العزم أربعة: إبراهيم صبر على فقد نفسه وذبح ولده. وموسى صبر على أذى قومه، ووثق بربه حين قال له قومه: إنا لمدركون، فقال: كلا إن معي ربي سيهدين. وداود صبر على البكاء من أجل خطيئته، حتى نبت من دموعه الشجر؛ فقعد تحت ظله. وعيسى لم يضع لبنة على لبنة وقال: إنها معبرة فاعبروها ولا تعمروها. فكأن الله تعالى يقول لنبيه: كن صادقاً واثقاً بربك، مهتماً بما سلف منك، زاهداً في الدنيا، وقيل: أولو العزم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ وهو المعتمد، لأنهم أصحاب الشرائع. قوله: **(ولم نجد له عزماً)** أي تاماً، لأن ارادتنا أكله من الشجرة؛ غلبت ارادته عدم الأكل منها؛ وإلا فكل نبي صاحب عزم؛ غير أنهم يتفاوتون فيه على حساب مراتبهم، قال تعالى: ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾.

قوله: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلَ لَهُمْ﴾ أي لأجلهم، والمفعول محذوف قدره المفسر بقوله: **(نزول العذاب)**. قوله: **(قيل كأنه ضجر)** الخ، المناسب حذف كان كما في عبارة غيره. قوله: **(فإنه نازل بهم)** أي ولو في الآخرة. قوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ﴾ ظرف لقوله: ﴿لَمْ يَلْبَثُوا﴾ الخ. قوله: **(لطوله)** تعليل لقوله: ﴿لَمْ يَلْبَثُوا﴾ مقدم عليه. قوله: ﴿إِلاَّ سَاعَةً مِنْ نَهَار﴾ أي لأن ما مضى عليهم من الزمان، كأنهم لم يروه

﴿ بَلَٰغٌۚ ﴾ تبليغ من الله إليكم ﴿ فَهَلْ ﴾ أي لا ﴿يُهْلَكُ﴾ عند رؤية العذاب ﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ ﴿٣٥﴾ أي الكافرون.

لانقضائه. قوله: (هذا القرآن): ﴿بَلاَغٌ﴾ أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿بَلاَغٌ﴾ خبر لمحذوف. قوله: (تبليغ من الله إليكم) أي بلغكم إياه فآمنوا به، أو المعنى موصل من عمل به وآمن إلى الدرجات العلى، لما ورد: يقال له: اقرأ وارق ويؤنسه في قبره، وموصل من لم يعمل به إلى الدركات السفلى.

قوله: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إلا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَاسِقُونَ﴾ أي لا يكون الهلاك والدمار إلا للكافرين، وأما من مات على الإيمان ولو عاصياً فهو فائز، ولا يقال له هالك، وهذه الآية أرجى آية في القرآن، إذ فيها تطميع في سعة فضل الله ورحمته.

ـ **فائدة** ـ نقل القرطبي عن ابن عباس، أن المرأة إذا تعسر وضعها، تكتب هاتان الآيتان والكلمتان في صحفة، ثم تغسل وتسقى منها، فإنها تلد سريعاً، وهي: بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله العظيم الحليم الكريم، سبحان الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم﴿كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها﴾﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَونَ مَا يُوعدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إلاَّ سَاعَةً مِنْ نَهار بَلاَغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إلا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَاسِقُونَ﴾ اهـ.

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

مدنيّة

وآياتها ثمان وثلاثون

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة ﴿وَصَدُّواْ﴾ غيرهم ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي الإيمان ﴿أَضَلَّ﴾ أحبط ﴿أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ (١) كإطعام الطعام وصلة الأرحام، فلا يرون لها في الآخرة ثواباً، ويجزون بها في الدنيا من فضله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي الأنصار وغيرهم

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة القتال مدنية

إلا ﴿وكأين من قرية﴾ الآية. أو مكية. وهي ثمان أو تسع وثلاثون آية

وتسمى سورة محمد ﷺ لذكر هذا الاسم فيها، وسورة الذين كفروا لبدئها بهذا اللفظ. قوله: **(مدنية)** الخ، هذا القول منقول عن ابن عباس، وقوله: **(إلا وكأين)** الخ؛ أي فإنها نزلت بعد حجة الوداع، حين خرج من مكة وجعل ينظر إلى البيت، وهو يبكي حزناً على فراقه، وهذا مبني على أن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة، وهو ضعيف، والصحيح أن المكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعدها ولو بأرض مكة، ورد أيضاً بأنه في حجة الوداع خرج منها مختاراً، ولم يكن عنده حزن، لكونها صارت دار إسلام، وحينئذ في يظهر الوعيد الذي في الآية، وقيل: إنها نزلت لما خرج من مكة إلى الغار مهاجراً، وعليه فكونها مكية ظاهر وهو الصحيح، وسيأتي ايضاحه في تفسيرها. قوله: **(أو مكية) هذا القول بالنظر** لغالبها، وهو ضعيف. قوله: **(وثمان أو تسع)** الخ، وقيل أربعون آية، والخلاف في قوله ﴿حتى تضع الحرب أوزارها﴾ وقوله: (لذة للشاربين) هل كل آية مستقلة؟ أو من تتمة ما قبلها.

قوله: ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿**أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ**﴾ خبره، ومناسبة هذه الآية لآخر الأحقاف ظاهرة، وذلك كأن قائلاً قال: كيف يهلك القوم الفاسقون، ولهم أعمال صالحة، كإطعام الطعام ونحوه، والله لا يضيع أجر المحسنين؟ فأجاب: بأن الفاسقين هم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، **أضل** أعمالهم وأبطلها. قوله: **(فلا يرون لها في الآخرة ثواباً)** أي لقوله تعالى ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً﴾. قوله: **(يجزون بها في الدنيا)** أي بأن يوسع لهم في المال، ويزاد لهم في الولد والعافية، وغير ذلك، حيث لم يقصدوا بها فخراً ولا رياء.

﴿ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﴾ أي القرآن ﴿ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ ﴾ غفر لهم ﴿ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ ۝٢ أي حالهم فلا يعصونه ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي إضلال الأعمال وتكفير السيئات ﴿ بِأَنَّ ﴾ بسبب أن ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَـٰطِلَ ﴾ الشيطان ﴿ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ ﴾ القرآن ﴿ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ ﴾ أي مثل ذلك البيان ﴿ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَـٰلَهُمْ ﴾ ۝٣ يبين أحوالهم، أي فالكافر يحبط عمله، والمؤمن يغفر زلله ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ ﴾ مصدر بدل من اللفظ بفعله، أي فاضربوا رقابهم أي اقتلوهم، وعبر بضرب الرقاب لأن الغالب

قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي صدقوا بقلوبهم ونطقوا بألسنتهم. وقوله: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ العطف يقتضي المغايرة، فاستفيد منه أن العمل الصالح، ليس داخلاً في حقيقة الإيمان، بل هو شرط كمال، كما هو مختار الأشاعرة. قوله: ﴿وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ﴾ الخ، عطف خاص على عام، والنكتة تعظيمه والاعتناء بشأنه، إشارة إلى أن الإيمان لا يتم بدونه، ولذا أكده بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ أي الثابت الذي ينسخ غيره، وهو لا ينسخ. قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ جملة معترضة سيقت لبيان المنزل. قوله: **(غفر لهم)** ﴿سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أي محاها من صحف الملائكة. قوله: ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ البال يطلق على الحال والشأن والأمر، وكلها بمعنى واحد، والمعنى: أصلح أحوالهم الدنيوية، بتوفيقهم للأعمال الصالحة والأخروية، بنجاتهم من النار؛ وإدخالهم الجنة. قوله: **(فلا يعصونه)** أي لا يصرون على معصيته، أعم من أن لا تقع منهم أصلاً أو تقع، ولكن لا يصرون عليها.

قوله: ﴿ذٰلِكَ﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿بِأَنَّ الَّذِينَ﴾ الخ، خبر. قوله: **(الشيطان)** وقيل ﴿ٱلْبَاطِلَ﴾ الكفر. قوله: ﴿ٱلْحَقَّ﴾ **(القرآن)** وقيل: ﴿ٱلْحَقَّ﴾ الإيمان. قوله: ﴿كَذٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ المثل في الأصل القول السائر المشبه مضربه بمورد، كقولهم: الصيف ضيعت اللبن، والكلام على البقر، وليس مراداً هنا، بل المراد الأمور العجيبة، تشبيهاً لها بالمثل في الغرابة المؤدية إلى التعجب، واسم الإشارة عائد على ما بين في أحوال المؤمنين والكافرين.

قوله: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ﴾ الخ، الفاء للفصيحة، لكونها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذ علمتم أحوال المؤمنين، وأنهم أحباب الله، وأحوال الكافرين، وأنهم أعداء الله، فالواجب على أحباب الله، أن يقاتلوا أعداء الله. قوله: **(بدل من اللفظ بفعله)** أي فهو نائب عن الفعل في المعنى، والعمل على الصحيح، وقيل في المعنى دون العمل والأصل: فاضربوا الرقاب ضرباً، حذف الفعل، وأتى بالمصدر محله، وأضيف إلى مفعول الفعل وهو الرقاب، وهو عامل في الظرف أيضاً. قوله: **(أي اقتلوهم)** أي فأراد بضرب الرقاب، مطلق القتل على أي حالة كانت، لا خصوص ضرب الرقاب.

قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ﴾ ﴿حَتَّىٰ﴾ ابتدائية، والمعنى: فإذا عجزتموهم بأي وجه من الوجوه، إما بكثرة القتل وهو الغالب، أو بقطع الماء عنهم، أو بأخذ أسلحتهم، أو غير ذلك فأسروهم. قوله: **(أي فأمسكوا)** أشار بذلك إلى أن في الكلام تقدير جملتين: الإمساك عن القتل والأسر. قوله: **(بدل من اللفظ بفعله)** أي وجيء به لتفصيل جملة، فوجب إضمار عامله، والتقدير: فإما أن تمنوا مناً، وإما أن تفدوا

في القتل أن يكون بضرب الرقبة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ﴾ أكثرتم فيهم القتل ﴿فَشُدُّواْ﴾ أي فأمسكوا عنهم وأسروهم وشدُّوا ﴿ٱلۡوَثَاقَ﴾ ما يوثق به الأسرى ﴿فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ﴾ مصدر بدل من اللفظ بفعله، أي تمنون عليهم بإطلاقهم من غير شيء ﴿وَإِمَّا فِدَآءً﴾ أي تفادونهم بمال أو أسرى مسلمين ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ﴾ أي أهلها ﴿أَوۡزَارَهَاۚ﴾ أثقالها من السلاح وغيره، بأن يسلم الكفار أو يدخلوا في العهد وهذه غاية للقتل والأسر ﴿ذَٰلِكَ﴾ خبر مبتدأ مقدر، أي الأمر فيهم ما ذكر ﴿وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ﴾ بغير قتال ﴿وَلَٰكِن﴾ أمركم به ﴿لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ﴾ منهم في القتال، فيصير من قتل منكم إلى الجنة ومنهم إلى النار ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ﴾ وفي قراءة قاتلوا، الآية نزلت يوم أحد، وقد فشا في المسلمين القتل والجراحات ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ﴾ يحبط

فداء. قوله: ﴿بَعْدُ﴾ أي بعد أسرهم وشد وثاقهم، والمعنى: أن المسلمين بعد القدرة على الكفار، يخيرون فيهم بين أمور أربعة: القتل والمن والفداء والاسترقاق، وهذا في الرجال المقاتلين، وأما النساء والصبيان، فليس فيهم إلا المن والفداء والاسترقاق، وهذا التفصيل للإمام الشافعي، وعند مالك يزاد في حق الرجال الجزية، وعند أبي حنيفة ليس إلا القتل أو الاسترقاق، وأما المن والفداء فمنسوخان بعد بدر. قوله: **(أو أسارى)** بالضم والفتح، أو بفتح فسكون فراء مفتوحة. قوله: **(أي أهلها)** أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: **(بأن يسلم الكفار)** أي فالمراد بوضع آلة القتال، ترك القتال لانفضاض شوكة الكفر، ففي الكلام استعارة تبعية، حيث شبه ترك القتال بوضع آلته، واشتق من الوضع تضع بمعنى تترك. قوله: **(وهذه غاية للقتل)** أي المذكور في قوله: **(فضرب الرقاب)** وقوله: **(والأسر)** أي المذكور في قوله: ﴿**فَشُدُّوا ٱلْوَثَاقَ**﴾. قوله: **(ما ذكر)** أي من القتل والأسر وما بعدهما. قوله: **(بغير قتال)** أي كالخسف. قوله: ﴿**لِيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ**﴾ أي ليظهر لعباده حال الصادق في الإيمان من غيره، قال تعالى: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين﴾.

قوله: ﴿**وَالَّذِينَ قُتِلُوا**﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿**فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ**﴾ خبره. قوله: **(وفي قراءة قاتلوا)** أي وهي سبعية أيضاً مفسرة للقراءة الأولى، وحينئذ فليس المراد قتلوا بالفعل، بل المراد قاتلوا قتلوا أو لا. قوله: **(وقد فشا)** الخ، الجملة حالية، وقوله: **(القتل)** ورد أنهم سبعون، وقوله: **(والجراحات)** أي الكثير، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فهذا الوعد الحسن، لكل من قاتل في سبيل الله، لنصر دينه إلى يوم القيامة، قتل أو جرح أو سلم. قوله: ﴿**فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ**﴾ أي سواء نشأت منهم أو تسببوا فيها. قوله: **(إلى ما ينفعهم)** أي فالذي ينفعهم في الدنيا، العمل الصالح والإخلاص فيه، والذي ينفعهم في الآخرة، الجنة وما فيها، وحينئذ فلا يقع منهم ما يخالف أمر الله، لحفظ الله إياهم من المخالفات، ومنه حديث: «اطلع الله على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم» وليس فيه توهم إباحة المعاصي لأهل بدر، بل المعنى: كما أفنيتم نفوسكم في محبتي، وخرجتم عن شهواتكم في رضاي، جازيتكم بالحفظ مما يوجب سخطي، فاشتريت نفوسكم، فصارت لي راضية مرضية، قال تعالى: ﴿اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم﴾ الآيات، ولهذا أشار العارف ابن وفا بقوله:

وبعد الفنا في الله كن كيفما تشا ... فعلمك لا جهل وفعلك لا وزر

﴿ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾ ﴿٤﴾ ﴿ سَيَهْدِيهِمْ ﴾ في الدنيا والآخرة إلى ما ينفعهم ﴿ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ ﴿٥﴾ حالهم فيهما وما في الدنيا لمن لم يقتل، وأدرجوا في قتلوا تغليباً ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا ﴾ بينها ﴿ لَهُمْ ﴾ ﴿٦﴾ فيهتدون إلى مساكنهم منها وأزواجهم وخدمهم من غير استدلال ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ ﴾ أي دينه ورسوله ﴿ يَنصُرْكُمْ ﴾ على عدوكم ﴿ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ ﴿٧﴾ يثبتكم في المعترك ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ من أهل مكة مبتدأ خبره تعسوا يدل عليه ﴿ فَتَعْسًا لَّهُمْ ﴾ أي هلاكاً وخيبة من الله ﴿ وَأَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾ ﴿٨﴾ عطف على تعسوا ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي التعس والإضلال ﴿ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ من القرآن المشتمل على التكاليف ﴿ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾ ﴿٩﴾ ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ

قوله: (**وما في الدنيا**) أي من الهداية وإصلاح الحال، وقوله: (**إن لم يقتل**) جواب عما يقال: كيف قال سيهديهم ويصلح بالهم، يعني في الدنيا، مع أن الفرض أنهم قتلوا بالفعل؟ وأجيب: بأن ذلك يحصل في الدنيا إن لم يقتل، وعبر بالذين قتلوا تغليباً لهم، أو لأنهم قتلوا حكماً بالنية. وأجيب أيضاً: بأن المراد بالذين قتلوا، الذين وقع منهم القتال، أعم من أن يقتلوا بالفعل أو لا، بدليل القراءة الأخرى. قوله: (**فيهتدون إلى مساكنهم**) الخ أي إذا دخلوها يتفرقون إلى منازلهم، فهم أعرف بها من أهل الجمعة، إذا انصرفوا إلى منازلهم ويؤيد هذا المعنى قوله عليه الصلاة والسلام: «يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، حتى إذا هذبوا ونقوا، أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده، لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة، من منزله الذي كان في الدنيا» وما ورد: إن العبد المؤمن، لا يخرج من الدنيا، حتى يشاهد مسكنه في الجنة، وما أعده الله له من النعيم، ويفتح له طاقة في قبره، يشاهد ذلك ما دام في البرزخ، وأن ارواح الشهداء في حواصل طيور خضر في الجنة، وأرواح الأنبياء في قناديل من ذهب معلقة في العرش، تسرح وتأوي إليها. وقيل: معنى عرفها لهم، طيبها من العرف، وهو طيب الرائحة. قوله: (**يثبتكم**) أشار بذلك إلى أن المراد بالأقدام الذوات بتمامها، وعبر عنها بالأقدام، لأن الثبات والتزلزل يظهران فيها. قوله: (**خبره تعسوا**) الخ، أشار بذلك إلى أن الفاء في قوله: ﴿فَتَعْساً﴾ داخلة على محذوف هو الخبر، و ﴿تَعْساً﴾ مفعول مطلق لذلك المحذوف، وحينئذ فالمناسب للمفسر أن يقدر الخبر بعد الفاء. قوله: (**أي هلاكاً وخيبة لهم**) هذان قولان من عشرة أقوال في معنى التعس، وقيل خزياً لهم، وقيل شقاء لهم، وقيل شتماً لهم من الله، وقيل قبحاً لهم، وقيل رغماً لهم، وقيل شراً لهم، وقيل شقوة لهم، وقيل التعس الانحطاط والعثار، وكلها معان متقاربة، وهو في الأصل أن يخر لوجهه، والنكس أن لا يستقل بعد سقطته، حتى يسقط هو ثانية، وهو أشد من الأولى، وضده الانتعاش، وهو قيام من سقط.

قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ خبره الجار والمجرور بعده، ويصح أن يكون اسم الإشارة خبر مبتدأ محذوف، أي الأمر ذلك. قوله: (**المشتمل على التكاليف**) أي فهذا وجه كراهتهم له، وذلك لأن في التكاليف ترك الملاذ والشهوات، والنفوس الخبيثة تكره ذلك، وتحب إرخاء العنان لها في الشهوات، فمن تبع نفسه من كل وجه كفر، فعلى الإنسان أن يجاهد نفسه، حتى تصير معتادة ما يرضاه الله تعالى، ففي الحديث: «لا يكمل إيمان أحدكم، حتى يكون هواه تابعاً لما جئت به» فالأصل في النفوس الخسة، لا تجر لصاحبها خيراً، ولا تسعى إلا فيما يغضب الله، فإذا شمر الإنسان عن ساعد الجد والاجتهاد، وخالف هوى نفسه،

عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ أهلك أنفسهم وأولادهم وأموالهم ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا﴾ ﴿١٠﴾ أي أمثال عاقبة من قبلهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي نصر المؤمنين وقهر الكافرين ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى﴾ وليّ ناصر ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ ﴿١١﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ﴾ في الدنيا ﴿وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ أي ليس لهم همة إلا بطونهم وفروجهم ولا يلتفتون إلى الآخرة ﴿وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾ ﴿١٢﴾ أي منزل ومقام ومصير ﴿وَكَأَيِّن﴾ وكم ﴿مِّن قَرۡيَةٍ﴾ أريد بها أهلها ﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ﴾ مكة أي أهلها ﴿ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ﴾ روعي لفظ قرية ﴿أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ﴾ روعي معنى قرية الأولى ﴿فَلَا

سكن وهجها واضمحلت شهوتها، فإذا دام ذلك، حسن حالها، وصارت جميلة الأخلاق مطمئنة بخالقها، نسأل الله أن يملكنا نفوسنا، ولا يسلطها علينا.

قوله: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا**﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير: أجبنوا وتركوا السير فلم يسيروا. قوله: ﴿**دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ**﴾ المفعول محذوف قدره المفسر بقوله: (**أنفسهم**) الخ. قوله: ﴿**وَلِلْكَافِرِينَ**﴾ أي السائرين على قدم من قبلهم من الكفار، وقوله: ﴿**أَمْثَالُهَا**﴾ مقابلة الجمع تقتضي القسمة على الآحاد، أي إن لكل واحد من هؤلاء الكفار، عاقبة كعاقبة من تقدمه من الكفار أو أشد، وذلك لأن النبي ﷺ أفضل من جمع الأنبياء، وشرعه جامع لجميع الشرائع، فالكفر به وبشرعه، كفر بجميع الشرائع، فيسبب ذلك عظم عذاب الكافر به. قوله: ﴿**وَأَنَّ ٱلْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ**﴾ أي لا ناصر لهم ولا معين ولا مغيث، وأما قوله تعالى: ﴿ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق﴾ فالمراد بالمولى المالك، فلم يحصل تناف.

قوله: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا**﴾ الخ، بيان لثمرة ولايته تعالى للمؤمنين في الآخرة. قوله: ﴿**كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَامُ**﴾ الكاف في محل نصب، إما نعت لمصدر محذوف، أي أكلاً مثل أكل الأنعام، أو حال، أي أكلاً حال كونه مثل أكل الأنعام. قوله: ﴿**وَٱلنَّارُ مَثْوَى لَهُمْ**﴾ مبتدأ أو خبر.

قوله: ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ**﴾ الخ، ﴿**كَأَيِّنْ**﴾ مركبة من الكاف، وأين بمعنى كم الخبرية، وهي في محل رفع مبتدأ، و﴿**مِنْ قَرْيَةٍ**﴾ تمييز لها، وقوله: ﴿**هِيَ أَشَدُّ**﴾ صفة لقرية، وقوله: ﴿**ٱلَّتِي أَخْرَجَتْكَ**﴾ صفة لـ ﴿**قَرْيَتِكَ**﴾ وقوله: ﴿**أَهْلَكْنَاهُمْ**﴾ خبر المبتدأ، وسبب نزول هذه الآية، أنه لما خرج ﷺ من مكة إلى الغار، التفت إلى مكة وقال: «أنت أحب بلاد الله إلى الله، وأحب بلاد الله إليّ، ولو أن المشركين لم يخرجوني، لم أخرج منك» فنزلت هذه الآية تسلية له ﷺ، والمعنى: لا تحزن على خروجك من بلدك، فإن الله يعزك ويذلهم، فليس خروجك من مكة، إلا كخروج آدم من الجنة، من حيث إنه حصل له العز العظيم، وحصل لإبليس الذي تسبب في إخراجه الخزي العظيم. قوله: (**أريد أهلها**) أي فهو مجاز في الظرف، حيث أطلق المحل، وأريد الحال فيه، لا مجاز بالحذف. قوله: ﴿**ٱلَّتِي أَخْرَجَتْكَ**﴾ هذا الوصف للاحتراز عن قريته التي تكون وطنه فيما يستقبل وهي المدينة. قوله: ﴿**أَهْلَكْنَاهُمْ**﴾ أي فكذلك نفعل بأهل قريتك، فاصبر كما صبر رسل أهل تلك القرى. قوله: ﴿**فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ**﴾ تفريع على قوله: ﴿**أَهْلَكْنَاهُمْ**﴾.

نَاصِرَ لَهُمْ﴾ ﴿١٣﴾ من إهلاكنا ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ حجة وبرهان ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾ وهم المؤمنون ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ فرآه حسناً وهم كفار مكة ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾ ﴿١٤﴾ في عبادة الأوثان، أي لا مماثلة بينهما ﴿مَّثَلُ﴾ أي صفة ﴿ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ المشتركة بين داخليها مبتدأ خبره ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ بالمد والقصر كضارب وحذر، أي غير متغير، بخلاف ماء الدنيا فيتغير بعارض ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ بخلاف لبن الدنيا لخروجه من الضروع ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ﴾ لذيذ ﴿لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ بخلاف خمر الدنيا فإنها كريهة عند الشرب ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ

قوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ الخ، شروع في بيان أحوال المؤمنين والكافرين، والهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير: أليس الأمر كما ذكر فمن كان على بينة، الخ، والتعبير بعلى إشارة إلى تمكنهم من الحجج والراهين، تمكن المستعلي من المستعلى عليه. قوله: ﴿وَٱتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ فيه مراعاة معنى من، كما روعي لفظها فيما سبق.

قوله: ﴿مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ تفصيل لبيان محاسن الجنة، وكيفية أنهارها المتقدمة في قوله: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾. قوله: **(أي صفة)** ﴿ٱلْجَنَّةِ﴾ أشار بذلك إلى أن المراد بالمثل الصفة، فكأنه قال: وصف الجنة كذا وكذا، فليس في الكلام مشبه ومشبه به. قوله: ﴿الَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ المراد من لم يحكم الشرع بكفره، فيشمل عصاة المؤمنين، وأهل الفترة، وأولاد الكفار، الذين ماتوا قبل البلوغ. قوله: **(المشتركة بين داخليها)** أي فهو بيان لمطلق نعيم الجنة، المشترك بين أعلى أهل الجنة وأدناهم، وأما تفصيل ما لكل فريق، فسيأتي في سورة الواقعة. قوله: **(خبره)** ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ﴾ الخ، فيه أن الخبر جملة حالية من رابط يعود على المبتدأ. وأجيب: بأن الخبر عين المبتدأ في المعنى، وحينئذ فلا يحتاج لرابط، وهذا أسهل الأعاريب، وقيل: إن ﴿مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ مبتدأ، خبره ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ﴾ وفي الكلام حذف مضاف وهمزة الإنكار، والتقدير: أمثل أهل الجنة، كمن هو خالد في النار، وقوله: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ﴾ إما حال من ﴿ٱلْجَنَّةِ﴾، أو خبر لمبتدأ محذوف، أي هي ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ﴾ وقيل غير ذلك. قوله: ﴿غَيْرِ آسِنٍ﴾ **(بالمد والقصر)** أي وهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(كضارب)** أي ففعله أسن يأسن، كضرب يضرب، وقوله: **(وحذر)** أي ففعله أسن يأسن، كحذر يحذر.

قوله: ﴿لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ أي فلا يعود حامضاً، ولا مكروه الطعم. قوله: ﴿لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ أي ليس فيها حموضة ولا مرارة، ولم تدنسها الأرجل بالدوس، ولا الأيدي بالعصر، وليس في شربها ذاهب عقل، بل هي لمجرد الالتذاذ. إن قلت: لم لم يقل في جانب اللبن لم يتغير طعمه للطاعمين، وفي العسل مصفى للناظرين؟ أجيب: بأن اللذة تختلف باختلاف الأشخاص، فرب طعام يلتذ به شخص ويعافه الآخر، فلذا قال ﴿لَـذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ بأسرهم، ولأن الخمر كريهة الطعم في الدنيا فقال ﴿لَذَّةٍ﴾ أي ليس في خمر الآخرة كراهة طعم، وأما الطعم واللون فلا يختلفان باختلاف الناس، فلم يكن للتصريح بالتعميم مزيد فائدة. قوله: **(لذيذة)** أشار بذلك لدفع ما قيل إن ﴿لَذَّةٍ﴾ مصدر بمعنى الالتذاذ، فلا يصح وصف الخمر به، لكونها اسم عين. فأجاب المفسر بأنها تؤول بالمشتق على حد: زيد عدل. قوله: ﴿مِنْ عَسَلٍ

﴿ مُّصَفًّى ﴾ بخلاف عسل الدنيا، فإنه بخروجه من بطون النحل يخالطه الشمع وغيره ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا ﴾ أصناف ﴿ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ فهو راض عنهم مع إحسانه إليهم بما ذكر بخلاف سيد العبيد في الدنيا فإنه قد يكون مع إحسانه إليهم ساخطاً عليهم ﴿ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ ﴾ خبر مبتدأ مقدر، أي أمن هو في هذا النعيم ﴿ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا ﴾ أي شديد الحرارة ﴿ فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ ﴿١٥﴾ أي مصارينهم فخرجت من أدبارهم، وهو جمع معى بالقصر وألفه عن ياء لقولهم معيان ﴿ وَمِنْهُم ﴾ أي الكفار ﴿ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ في خطبة الجمعة وهم المنافقون ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ﴾ لعلماء الصحابة منهم ابن مسعود وابن عباس استهزاء وسخرية ﴿ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ﴾ بالمد والقصر، أي الساعة، أي لا نرجع إليه ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ بالكفر ﴿ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ ﴿١٦﴾ في النفاق ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ ﴾ وهم المؤمنون ﴿ زَادَهُمْ ﴾ الله ﴿ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ ﴿١٧﴾ ألهمهم ما يتقون به النار ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ ﴾ ما

﴿مُصَفًّى﴾ يجوز في العسل التذكير والتأنيث، والقرآن جاء على التذكير قوله: **(يخالطه الشمع وغيره)** أي كفضلات النحل.

قوله: ﴿**وَلَهُمْ**﴾ خبر مقدم، وقوله: ﴿**فِيهَا**﴾ متعلق بما تعلق به الخبر، والمبتدأ محذوف قدره بقوله: **(أصناف)** وقوله: ﴿**مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ**﴾ نعت للمبتدأ المحذوف، والمعنى: لهم في الجنة أنواع متعددة من كل الثمرات، فالتفاح أنواع، والرمان أنواع، وهكذا. قوله: **(فهو راض عنهم)** الخ، دفع بذلك ما يقال: إن المغفرة تكون قبل دخول الجنة، والآية تقتضي أنها فيها. فأجاب المفسر: بأن المراد بالمغفرة الرضا، وهو يكون في الجنة، وايضاحه أنه يرفع عنهم التكاليف فيما يأكلونه ويشربونه، بخلاف الدنيا، فإن مأكولها ومشروبها يترتب عليه الحساب والعقاب؛ ونعيم الجنة لا حساب عليه، ولا عقاب فيه. قوله: **(خبر مبتدأ مقدر)** أي أن قوله: ﴿**كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ**﴾ خبر لمحذوف، والاستفهام للإنكار، أي لا يستوي من هو في هذا النعيم المقيم، بمن هو خالد في النار.

قوله: ﴿**وَسُقُوا**﴾ معطوف على ﴿**خَالِدٌ**﴾ عطف صلة فعلية على صلة اسمية. قوله: **(في خطبة الجمعة)** أي فهذه الآيات مدنيات، وحينئذ فتكون مستثنيات من القول بأن السورة مكية. قوله: **(وهم المنافقون)** تفسير لمن. قوله: **(استهزاء)** علة لقالوا، فالاستفهام انكاري، والمعنى: لم يقل شيئاً يعتد به، فلا عبرة بقوله. قوله: ﴿**آنِفاً**﴾ حال، والمعنى: ماذا قال مؤتنفاً؟ أي مبتدئاً ومخترعاً. قوله: **(بالمد والقصر)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(أي الساعة)** أي فآنفاً ظرف حالي بمعنى الآن، وهو أحد استعمالين فيه، والثاني اسم فاعل بمعنى مؤتنفاً كما تقدم. قوله: **(أي لا يرجع إليه)** أي إلى قوله الذي قاله آنفاً، أي لا نعمل به. قوله: ﴿**أُولٰئِكَ**﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿**الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ**﴾ الخ، خبره.

قوله: ﴿**وَالَّذِينَ ٱهْتَدَوْا**﴾ الخ، لما بين الله حال المنافقين، وأنهم لا ينتفعون بما يسمعون بين حال المؤمنين، وأنهم ينتفعون بما يسمعون. قوله: **(ألهمهم ما يتقون به النار)** أي خلق فيهم التقوى والخاصة، وهي ترك متابعة الهوى، والتنزه عما سوى الله تعالى؛ وصرف القلب إلى ما يرضي الله. قوله: ﴿**فَهَلْ يَنْظُرُونَ**﴾ أي ينتظرون جزاء أعمالهم، فالمراد انتظار الجزاء لا انتظار الموت، ، فإنه يأتيهم قبل مجيئها.

ينتظرون أي كفار مكة ﴿إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم﴾ بدل اشتمال من الساعة، أي ليس الأمر إلا أن تأتيهم ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ علاماتها، منها بعثة النبي ﷺ، وانشقاق القمر، والدخان ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ﴾ الساعة ﴿ذِكْرَىٰهُمْ﴾ ﴿١٨﴾ تذكرهم؟ أي لا ينفعهم ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أي دم يا محمد على علمك بذلك النافع في القيامة ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ لأجله، قيل له ذلك مع عصمته لتستن به أمته، وقد فعله، قال ﷺ: «إني لأستغفر الله في كل يوم مائة

قوله: (أن تأتيهم) ﴿بَغْتَةً﴾ أي فقد قرب قيامها.

قوله: ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ كالعلة لقوله: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾ الخ، لأن ظهور أشراط الشيء موجب لانتظاره، ورد عن حذيفة والبراء بن عازب: «كنا نتذاكر الساعة، إذ أشرف علينا رسول الله ﷺ فقال: ما تتذاكرون؟ قلنا نتذاكر الساعة، قال: إنها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات: الدخان، ودابة الأرض، وخسفاً بالمشرق، وخسفاً بالمغرب، وخسفاً بجزيرة العرب، والدجال، وطلوع الشمس من مغربها، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى، وناراً تخرج من عدن» انتهى. قوله: (منها بعثة النبي) الخ، أي من علاماتها الصغرى بعثة النبي ﷺ وقد حصل بالفعل، وأما العلامات الكبرى فستأتي، وإنما عبر عن الجميع بالماضي لتحقق الوقوع، على حد: أتى أمر الله. قوله: ﴿فَأَنَّى لَهُمْ﴾ خبر مقدم، و ﴿ذِكْرَاهُمْ﴾ مبتدأ مؤخر، و ﴿إِذَا﴾ وما بعدها معترض، وجوابها محذوف دل عليه ما قبله، والمعنى: كيف لهم التذكر إذا جاءتهم الساعة فكيف يتذكرون؟

قوله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ مرتب على ما قبله، كأنه قال: إذا علمت أنه لا ينفع التذكر إذا حضرت الساعة، فدم على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية، فإنه النافع يوم القيامة، وعبر بالعلم إشارة إلى أن غيره لا يكفي في التوحيد، كالظن والشك والوهم؛ واعلم أن العلم مراتب: الأولى: العلم بالدليل ولو جملياً، ويسمى علم يقين، وهذا هو المطلوب في التوحيد الذي يخرج به المكلف من ورطة التقليد، وهو الجزم من غير دليل وفيه خلاف. الثانية: العلم مع مراقبة الله، ويسمى عين يقين. الثالثة: العلم مع المشاهدة، ويسمى حق يقين؛ وفي هذه المراتب فليتنافس المتنافسون. قوله: (أي دم يا محمد) الخ، أي فالخطاب له ﷺ، بل ولكل مؤمن، وقوله: (على علمك بذلك) أي بأن لا إله إلا الله، أي لا معبود بحق إلا الله. قوله: (النافع في القيامة) أي لما ورد: «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة». قوله: (لتستن به أمته) أي تقتدي به، وهذا أحد أوجه في تأويل الآية وهو أحسنها، وقيل معناه: اسأل الله العصمة من الذنوب، ومن المعلوم أن دعاءه مستجاب، ففي استغفاره تحدث بنعمة الله عليه، وهي عصمته من الذنوب، وتعليم للأمة أن يقتدوا به، وقيل: المراد بذنبه خلاف الأولى، مثل ما وقع منه في أسارى بدر، وفي إذنه للمنافقين بالتخلف عن الجهاد، فهو ذنب بحسب مقامه ورتبته، وقيل المراد بذنبه ذنب أهل بيته ففي هذه الآية بشرى للأمة حيث أمر ﷺ أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم. قوله: (وقد فعله) أي الاستغفار لذنبه وللمؤمنين والمؤمنات، ورد في الحديث: «إنه ليغان على قلبي، حتى استغفر الله في اليوم مائة مرة». وفي رواية: «توبوا إلى ربكم، فوالله إني لأتوب إلى ربي عز وجل في اليوم مائة مرة». وفي رواية: «إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم سبعين مرة». وفي رواية أكثر من ذلك، قوله في الحديث: «إنه ليغان على قلبي» الغين التغطية والستر، ويسمى به الغيم الرقيق الذي

مرة» ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ فيه إكرام لهم بأمر نبيهم بالاستغفار لهم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ﴾ متصرفكم لأشغالكم بالنهار ﴿وَمَثْوَاكُمْ﴾ ﴿١٩﴾ مأواكم إلى مضاجعكم بالليل، أي هو عالم بجميع أحوالكم لا يخفي عليه شيء منها فاحذروه، والخطاب للمؤمنين وغيرهم ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ طلباً للجهاد ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ فيها ذكر الجهاد ﴿فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ﴾ أي لم ينسخ منها شيء ﴿وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ﴾ أي طلبه ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أي شك وهم المنافقون ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ خوفاً منه وكراهية له، أي فهم يخافون من القتال ويكرهونه ﴿فَأَوْلَى لَهُمْ﴾ ﴿٢٠﴾ مبتدأ خبره ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ أي حسن لك ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ أي فرض القتال ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾ في الإيمان والطاعة ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ ﴿٢١﴾ وجملة لو

يغشى السماء، والمراد به أنوار تغشى قلبه ﷺ، وسبب استغفاره منها، أنه ﷺ دائماً يترقى في الكمالات، فكلما ارتقى إلى مقام، رأى أن الذي فيه بالنسبة للذي ارتقى إليه ذنباً، فيستغفر الله منه.

قوله: **﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾** أشار المفسر إلى أن معنى **﴿مُتَقَلَّبَكُمْ﴾** متصرفكم لاشتغالكم بالنهار، ومعنى **﴿مَثْوَاكُمْ﴾** مأواكم إلى مضاجعكم بالليل، وهو أحد تفاسير في هذه الآية، وقيل **﴿مُتَقَلَّبَكُمْ﴾** من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات وبطونهن، و **﴿مَثْوَاكُمْ﴾** في الدنيا وفي القبور، وقيل **﴿مُتَقَلَّبَكُمْ﴾** في الدنيا، **﴿وَمَثْوَاكُمْ﴾** مصيركم في الآخرة إلى الجنة والنار. قوله: **(والخطاب للمؤمنين وغيرهم)** أي ولكن خطاب المؤمنين، ارشاد لهم إلى مقام المراقبة لله تعالى، وهي أن يشاهد الإنسان، أن الله مطلع عليه في كل لمحة وطرفة وحركة وسكون، وهذا سر، وهو معكم أينما كنتم، وهو مطلب العارفين، وكنز الراسخين، قال العارف ابن الفارض:

أنلنا مع الأحباب رؤيتك التي ... إليها قلوب الأولياء تسارع

وقال العارف الدسوقي:

قد كان في القلب أهواء مفرقة ... فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائي

تركت للناس دنياهم ودينهم ... شغلاً بحبك يا ديني ودنيائي

وفيه فليتنافس المتنافسون، وخطاب غيرهم تخويف وتحذير. قوله: **﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾** الخ، أي حين اشتد كرب المسلمين من أذى المشركين، تمنوا الأمر بالجهاد، ووافقهم في الظاهر على هذا التمني المنافقون، فهذه الآيات من هنا إلى آخر السورة مدنيات قطعاً، ولو على القول بأن السورة مكية، لأن القتال لم يشرع إلا بها، وكذا النفاق لم يظهر إلا بها. قوله: **(أي طلبه)** أي ذكر فيها الأمر به والحث عليه. قوله: **(أي شك)** وقيل ضعف في الدين. قوله: **﴿نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ﴾** أي نظراً مثل نظر المغشي عليه، والمعنى: تشخص أبصارهم كالشخص الذي حضره الموت. قوله: **(خوفاً منه)** أي الموت.

قوله: **﴿فَأَوْلَى لَهُمْ﴾** أي الحق والواجب لهم، أي عليهم الطاعة الخ، هذا ما مشى عليه المفسر، وهو أوضح ما قيل في هذا المقام. قوله: **(أي حسن)** تفسير لمعروف، وقوله: **(لك)** متعلق بكل من **﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾** والمعنى: الواجب عليهم أن يطيعوك ويخاطبوك بالقول الحسن. قوله: **(وجملة لو)**

جواب إذا ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ﴾ بكسر السين وفتحها، وفيه التفات عن الغيبة إلى الخطاب أي لعلكم ﴿إِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ أعرضتم عن الإيمان ﴿أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢﴾ أي تعودوا إلى أمر الجاهلية من البغي والقتال ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي المفسدون ﴿ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ﴾ عن استماع الحق ﴿وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ٢٣﴾ عن طريق الهدى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ فيعرفون الحق ﴿أَمۡ﴾ بل ﴿عَلَىٰ قُلُوبٍ﴾ لهم ﴿أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾ فلا يفهمونه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ﴾ بالنفاق ﴿عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ﴾ أي زين ﴿لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٥﴾ بضم أوله وبفتحه واللام، والمملي الشيطان بإرادته تعالى فهو المضل لهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي إضلالهم ﴿بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ﴾ أي للمشركين ﴿سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِ﴾ أي المعاونة على عداوة

أي مع جوابها. قوله: (بكسر السين وفتحها) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (وفيه التفات) أي لتأكيد التوبيخ. قوله: (أي لعلكم) الخ، تفسير لعسى، ولم يذكر تفسير الاستفهام وهو التقرير، والمعنى: قروا بأنه يتوقع منكم إن توليتم الخ، والتوقع في الآية جار على لسان من يشاهد حرصهم على الدنيا وتفريطهم في الدين، لا لله لأنه هو الخالق لهم، العالم بأحوالهم. قوله: (أعرضتم عن الإيمان) تفسير للتولي، وقيل: معناه تأمرتم وتوليتم أمر الأمة. قوله: ﴿أَنْ تُفْسِدُوا﴾ خبر عسى، والشرط معترض بينهما، وجوابه محذوف لدلالة ﴿فَهَلْ عَسِيتُمْ﴾ عليه.

قوله: ﴿أولئك﴾ مبتدأ خبره. قوله: ﴿الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾. قوله: ﴿فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ أي فلا يهتدون إلى سبيل الرشاد. قوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ أي يتفكرون في معانيه فيهتدون؛ وهذه الآية لتقرير ما قبلها كأنه قال: أولئك الذين لعنهم الله، أي أبعدهم عنه، فجعلهم لا يسمعون النصيحة، ولا يبصرون طريقة الإسلام، فتسبب عن ذلك كونهم لا يتدبرون القرآن. قوله: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ﴾ الخ ﴿أم﴾ منقطعة بمعنى بل، وهو انتقال من توبيخهم على عدم التدبر إلى توبيخهم، بكون قلوبهم مقفلة، لا تقبل التدبر والتفكر. قوله: (لهم) صفة لقلوب.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ﴾ أي رجعوا إلى ما كانوا عليه من الكفر، وهم المنافقون الموصوفون بما تقدم، دل عليه قوله: (بالنفاق) وقيل هم اليهود، وقيل أهل الكتابين، داموا على الكفر به عليه السلام، بعد ما وجدوا نعته في كتابهم. قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾ أي الطريق القويم بالأدلة والحجج الظاهرة. قوله: (بضم أوله) أي وكسر ثالثه وفتح الياء، والجار والمجرور نائب الفاعل، وقوله: (وبفتحه واللام) أي مبنياً للفاعل، والفاعل ضمير يعود على ﴿الشَّيْطَانُ﴾ وهما قراءتان سبعيتان. قوله: (والمملي الشيطان) الخ، جواب عن سؤال مقدر تقديره الإملاء، معناه الإمهال. وهو لا يكون إلا من الله، لأنه الفاعل المختار، فكيف ينسب للشيطان؟ فأجاب: بأن المملي حقيقة الله، وأسند للشيطان باعتبار أنه جار على يديه، لأنه يوسوس لهم سعة الأجل. قوله: (أي للمشركين) أي والقائل هم اليهود أو المنافقون، كما حكى الله عنهم ذلك في سورة الحشر بقوله: ﴿ألم تر إلى الذين نافقوا﴾ الآيات.

قوله: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ أي في بعض ما تأمروننا به، كالقعود عن الجهاد، وتثبيط

النبي ﷺ وتثبيط الناس عن الجهاد معه، قالوا ذلك سراً فأظهره الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ﴾ ﴿٢٦﴾ بفتح الهمزة جمع سر، وبكسرها مصدر ﴿فَكَيۡفَ﴾ حالهم ﴿إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ﴾ حال من الملائكة ﴿وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ﴾ ﴿٢٧﴾ ظهورهم بمقامع من حديد ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي التوفي على الحالة المذكورة ﴿بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾ أي العمل بما يرضيه ﴿فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ﴾ ﴿٢٩﴾ يظهر أحقادهم على النبي ﷺ والمؤمنين ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ﴾ عرّفناكهم وكررت اللام في ﴿فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ﴾ علامتهم ﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ﴾ الواو لقسم محذوف وما بعدها جوابه ﴿فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ﴾ أي معناه: إذا تكلموا عندك بأن يعرضوا بما فيه تهجين أمر المسلمين ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ﴾ نختبركم بالجهاد وغيره ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ﴾ علم ظهور ﴿ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ في الجهاد وغيره ﴿وَنَبۡلُوَاْ﴾ نظهر ﴿أَخۡبَارَكُمۡ﴾ ﴿٣١﴾ من طاعتكم وعصيانكم في الجهاد وغيره بالياء

المسلمين عنه، ونحو ذلك، لا في كله، لأنهم لا يوافقونهم في إظهار الكفر. قوله: (**وبكسرها**) أي وهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿**فَكَيْفَ**﴾ خبر لمحذوف قدره بقوله: (**حالهم**). قوله: ﴿**يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ**﴾ أي فملائكة العذاب تأتيهم عند قبض أرواحهم بمقامع من حديد، يضربون بها وجوههم وأدبارهم. قوله: (**على الحالة المذكورة**) أي وهي التوفي مع ضرب الوجوه والأدبار. قوله: ﴿**بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا**﴾ الخ، راجع لضرب الوجوه، وقوله: ﴿**وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ**﴾ راجع لضرب الأدبار. قوله: ﴿**مَا أَسْخَطَ ٱللَّهَ**﴾ أي من الكفر وغيره. قوله: (**بما يرضيه**) أي من الإيمان وغيره من الطاعات.

قوله: ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ**﴾ الخ، أي وهم المنافقون المتقدم ذكرهم. قوله: (**أحقادهم**) جمع حقد وهو الانطواء على العداوة والبغضاء. قوله: (**عرفناكهم**) أي فالإرادة علمية لا بصرية. قوله: (**وكررت اللام**) أي في قوله: ﴿**فَلَعَرَفْتَهُمْ**﴾ للتأكيد، والمعنى: لو أردنا لدللناك على المنافقين فعرفتهم بسيماهم، ورد عن ابن مسعود قال: خطبنا رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ان منكم منافقين، فمن سميته فليقم، ثم قال: قم يا فلان، قم يا فلان: حتى ستة وثلاثين. قوله: ﴿**فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ**﴾ اللحن يقال على معنيين: أحدهما صرف الكلام عن الاعراب إلى الخطأ، والثاني الكناية بالكلام، بحيث يكون للكلام ظاهر وباطن، فيكون ظاهره تعظيماً، وباطنه تحقيراً، وهو المراد هنا، ومعنى الآية: وإنك يا محمد، لتعرفن المنافقين فيما يعرضونه بك من القول، الذي ظاهره إيمان وإسلام، وباطنه كفر وسب. قوله: (**بما فيه تهجين أمر المسلمين**) التهجين التقبيح والتعييب، فكانوا يصطلحون فيما بينهم على ألفاظ يخاطبون بها الرسول، ظاهرها حسن، ويعنون بها القبيح، كقولهم: راعنا، وتقدم الكلام على ذلك في سورة البقرة.

قوله: ﴿**وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ**﴾ أي فيجازيكم بحسب قصدكم، ففيه وعد ووعيد. قوله: (**بالجهاد وغيره**) أي من سائر المشاق كما قال تعالى: ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع﴾ الآية. قوله: (**علم ظهور**) أي علماً يشاهده خلقنا، مطابقاً لما هو في علمنا الأزلي، أي فتظهر سرائرهم بين عبادنا. قوله: (في

والنون في الأفعال الثلاثة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ طريق الحق ﴿ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ خالفوه ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ ﴾ هو معنى سبيل الله ﴿ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ ﴿٣٢﴾ يبطلها من صدقة ونحوها، فلا يرون لها في الآخرة ثواباً، نزلت في المطعمين من أصحاب بدر أو في قريظة والنضير ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾ ﴿٣٣﴾ بالمعاصي مثلاً ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ طريقه وهو

ثلاثتها) وفي نسخة (**في الأفعال الثلاثة**) وهي لنبلونكم ونعلم ونبلو، وهما قراءتان سبعيتان. قوله: (**طريق الحق**) أي وهو دين الإسلام. قوله: (**خالفوه**) أي خرجوا عن طاعته.

قوله: ﴿**لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً**﴾ هذه الجملة خبر ﴿إِنَّ﴾ والكلام إما على ظاهره والمعنى: إن كفرهم لا يضر إلا أنفسهم، وتعالى الله عن أن يصل له من خلقه ضر أو نفع، لما في الحديث القدسي: «يا عبادي إنكم لن تقدروا على ضري فتضروني» إلى آخره، أو على حذف مضاف، أي لن يضروا رسول الله لعصمته منهم. قوله: (**المطعمين من أصحاب بدر**) أي في المطعمين الطعام للكفار يوم بدر، وذلك أن أغنياء الكفار كانوا يعينون فقراءهم على حرب رسول الله وأصحابه، كأبي جهل وأضرابه، وهذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها﴾ الآية، وسبب ذلك: أن قريشاً خرجت لغزوة بدر بأجمعها، وكان العام عام قحط وجدب، وكان أغنياؤهم يطعمون الجيش، فأول من نحر لهم حين خروجهم من مكة أبو جهل، نحر لهم عشر جزر، ثم صفوان تسعاً بعسفان، ثم سهل عشراً بقديد، ومالوا منه إلى نحو البحر فضلوا، فأقاموا يوماً، فنحر لهم شيبة تسعاً، ثم أصبحوا بالأبواء، فنحر مقيس الجمحي تسعاً، ونحر العباس عشراً، ونحر الحرث تسعاً، ونحر أبو البحتري على ماء بدر عشراً، ونحر مقيس عليه تسعاً، ثم شغلهم الحرب فأكلوا من أزوادهم. قوله: (**أو في قريظة والنضير**) أي فكانوا ينفقون على قريش، ليستعينوا بهم على عداوة رسول الله ﷺ؛ فآل أمرهم إلى أن أخرج بني النضير من ديارهم، وغزا قريظة، فقتل كبارهم وأسر نساءهم وذراريهم، ولم تنفعهم قريش بشيء.

قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ الخ؛ لما ذكر أحوال الكفار ومخالفتهم لرسول الله، أمر المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله؛ وبالجملة فهذه السورة اشتملت على ذكر أوصاف المؤمنين والكافرين على أحسن ترتيب. قوله: (**بالمعاصي مثلاً**) أي كالردة فإنها تبطل جميع الأعمال الصالحة من أصلها، والعجب والرياء، فإنهما يبطلان ثواب الأعمال، والمن والأذى فإنهما يبطلان ثواب الصدقات، والمن مذموم إلا من الله على عباده، والرسول على أمته، والشيخ على تلميذه، والوالد على ولده، فليس بمذموم، وأما باقي المعاصي فلا تبطل ثواب الأعمال الصالحة، خلافاً للمعتزلة القائلين بأن الكبائر تحبط الأعمال كالردة، ورد كلامهم بقوله تعالى: ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ وأخذ بعض الأئمة من هذه الآية، أنه يحرم على الشخص قطع الأعمال الصالحة ولو نفلاً، كالصلاة والصوم. والحاصل: أن الأصل في النوافل، أنها لا تلزم بالشروع عند جميع الأئمة، واستثنى مالك وأبو حنيفة سبعاً منها تلزم بالشروع نظمها ابن عرفة من المالكية بقوله:

صلاة وصوم ثم حج وعمرة ... طواف عكوف والتمام تحتما

الهدى ﴿ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ ﴿٣٤﴾ نزلت في أصحاب القليب ﴿ فَلَا تَهِنُواْ ﴾ تضعفوا ﴿ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ ﴾ بفتح السين وكسرها، أي الصلح مع الكفار إذا لقيتموهم ﴿ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴾ حذف منه واو لام الفعل الأغلبون القاهرون ﴿ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ ﴾ بالعون والنصر ﴿ وَلَن يَتِرَكُمْ ﴾ ينقصكم ﴿ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ ﴿٣٥﴾ أي ثوابها ﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي الاشتغال فيها ﴿ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ ﴾ الله وذلك من أمور الآخرة ﴿ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴾ ﴿٣٦﴾ جميعاً بل الزكاة المفروضة فيها ﴿ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ ﴾ يبالغ في طلبها ﴿ تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ ﴾ البخل ﴿ أَضْغَٰنَكُمْ ﴾ ﴿٣٧﴾ لدين الإسلام ﴿ هَٰٓأَنتُمْ ﴾ يا ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ ما فرض

وفي غيرها كالوقف والطهر خيرن فمن شاء فليقطع ومن شاء تمما

ولابن كمال باشا من الحنفية:

من النوافل سبع تلزم الشارع أخذا لذلك مما قاله الشارع
صوم صلاة عكوف حجه الرابع طوافه عمرة إحرامه السابع

قوله: ﴿وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ الجملة حالية. قوله: ﴿فَلَنْ يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾. قوله: **(في أصحاب القليب)** هو بئر في بدر، ألقيت فيه القتلى من الكفار، لكن حكمها عام في كل كافر مات على كفره. قوله: ﴿فَلَا تَهِنُوا﴾ الفاء فصيحة وقعت في جواب شرط مقدر، أي إذا تبين لكم بالأدلة القطعية عن الإسلام، وذل الكفر في الدنيا والآخرة ﴿فَلَا تَهِنُوا﴾. قوله: **(بفتح السين وكسرها)** أي فهما قراءتان سبعيتان، وهذه الآية قيل ناسخة لآية ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾ لأن الله منع من الميل إلى الصلح، إذ لم يكن بالمسلمين حاجة إليه، وقيل إنهما نزلتا في وقتين مختلفين فيجوز الصلح عند الضرورة والاحتياج إليه، ولا يجوز عند القدرة والاستعداد، فهذه الآية مخصصة للآية المتقدمة. قوله: ﴿وَأَنْتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ الجملة حالية، وكذا قوله: ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾. قوله: **(لام الفعل)** أي وأصله الأعلوون بواوين، الأولى لام الفعل، والثانية واو الجمع، تحركت الواو الأولى وانفتح ما قبلها، قلبت ألفاً فالتقى ساكنان فحذفت الألف. قوله: **(بالعون والنصر)** أي فالمراد معية معنوية. قوله: **(ينقصكم)** أي أو يفردكم عنها، لأن الترة تطلق بالمعنيين، يقال: وتره حقه يتره وتراً نقصه، وأوتر أرضه بمعنى أفرده.

قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ اللعب ما يشغل الإنسان، وليس فيه منفعة في الحال ولا في المآل، واللهو ما يشغل الإنسان عن مهمات نفسه. قوله: ﴿وَلَا يَسْئَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ أي لا يأمركم بإخراج جميع أموالكم في الزكاة، بل يأمركم بإخراج بعضها. قوله: ﴿فَيُحْفِكُمْ﴾ عطف على الشرط و ﴿تَبْخَلُوا﴾ جوابه. قوله: **(يبالغ في طلبها)** أي حتى يستأصلها. قوله: ﴿وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾ **(لدين الإسلام)** أي أحقادكم وبغضكم لدين الإسلام، وذلك لأن الإنسان جبل على محبة الأموال، ومن نوزع في حبيبه ظهرت سرائره، فمن رحمته على عباده، عدم التشديد عليهم في التكاليف. قوله: ﴿هَا أَنْتُمْ﴾ ﴿هَا﴾ للتنبيه، و ﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ، و ﴿هٰؤُلَاءِ﴾ منادى، وحرف النداء محذوف قدره المفسر، و ﴿تُدْعَوْنَ﴾ خبره، وجملة النداء معترضة بين المبتدأ والخبر.

عليكم ﴿فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾ يقال بخل عليه وعنه ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ﴾ عن نفقتكم ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ﴾ إليه ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ﴾ عن طاعته ﴿يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ أي يجعلهم بدلكم ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ﴾ ٣٨ في التولي عن طاعته، بل مطيعين له عز وجل.

قوله: ﴿فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ﴾ أي ومنكم من يجود، وحذف هذا المقابل لأن المراد الاستدلال على البخل. قوله: (**يقال بخل عليه وعنه**) أي فيتعدى بعلى إذا ضمن معنى شح، وبعن إذا ضمن معنى أمسك. قوله: ﴿وَأَنْتُمُ ٱلْفُقَرَاء﴾ (**إليه**) أي وفي جميع الأحوال. قولـه: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّـوْا﴾ إما خطاب للصحابة، والمقصود منه التخويف، لأنه لم يصل أحد من بعدهم لرتبتهم، والشرطية لا تقتضي الوقوع، أو خطاب للمنافقين، والتبديل حاصل بالفعل، واختلف في القوم المستبدلين، فروي عن أبي هريرة قال: «تلا رسول الله هذه الآية ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ قالوا: ومن يستبدل بنا؟ وكان سلمان جنب رسول الله ﷺ قال: فضرب رسول الله ﷺ فخذ سلمان فقال: هذا وأصحابه، والذي نفس محمد بيده، لو كان الإيمان منوطاً بالثريا، لتناوله رجال من فارس» وقيل هم العجم، وقيل هم فارس والروم، وقيل الأنصار، وقيل الملائكة، وقيل التابعون، وقيل من شاء من سائر الناس، وورد أنه لما نزلت هذه الآية فرح بها رسول الله ﷺ وقال: «هي أحب إلي من الدنيا».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الفَتْحِ

مدنيّة
وآياتها تسع وعشرون

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ قضينا بفتح مكة وغيرها في المستقبل عنوة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الفتح مدنية

وهي تسع وعشرون آية

سبب نزولها: أن رسول الله ﷺ خرج في السنة السادسة، بألف وأربعمائة من أصحابه، قاصدين مكة للاعتمار، فأحرموا بالعمرة من ذي الحليفة، وساق ﷺ سبعين بدنة هدياً للحرم، وساق القوم سبعمائة، فلما وصلوا للحديبية، وهي قرية بينها وبين مكة مرحلة، أرسل عثمان إلى مكة ليخبر أهلها بأن رسول الله يريد زيارة بيت الله الحرام، ولم يكن قاصداً حرباً، فلما ذهب عثمان حبسوه عندهم، فأشاع إبليس في الصحابة أن عثمان قتل، فبايع رسول الله ﷺ أصحابه على أنهم يدخلون مكة حرباً، فلما بلغ المشركين ذلك، أخذهم الرعب وأطلقوا عثمان، وطلبوا الصلح من رسول الله ﷺ على أن يأتي في العام القابل ويدخلها، ويقيم فيها ثلاثة أيام، فتحلل هو وأصحابه هناك بالحلق، وذبح ما ساقوه من الهدي ثم رجعوا يعلوهم الحزن والكآبة، فأراد الله تسليتهم وإذهاب الحزن عنهم، فأنزل الله عليه وهو سائر ليلاً في رجوعه، وهو بكراع الغميم، وهو واد أمام عسفان بين مكة والمدينة ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً**﴾ إلى آخر السورة، فقال ﷺ: «لقد أنزلت علي الليلة سورة هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، ثم قرأ ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً**﴾» فقال المسلمون: هنيئاً مريئاً لك يا رسول الله، لقد بين الله لك ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فنزلت عليه ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ حتى بلغ ﴿فوزاً عظيماً﴾.
قوله: (**مدنية**) أي لكونها نزلت بعد الهجرة.

قوله: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ**﴾ الخ، الفتح هو الظفر بالبلاد عنوة أو صلحاً، فشبه الظفر بالبلاد، بفتح الباب المغلق بجامع التمكن في كل، واستعير اسم المشبه به للمشبه، واشتق من الفتح فتحنا بمعنى ظفرنا، أي مكناك من البلاد، وحذف المعمول ليؤذن بالعموم، وأسند إلى نون العظمة اعتناء بشأن الفتح، وإشارة إلى أن هذا الأمر لا يتيسر إلا بإرادة الله وتوفيقه. قوله: (**قضينا بفتح مكة وغيرها**) أي كخيبر وحنين والطائف ونحوها، وهو جواب عما يقال: إن الآية نزلت في رجوعه من الحديبية عام ست، ومكة لم

بجهادك ﴿ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ ۝١ بيناً ظاهراً ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ ﴾ بجهادك ﴿ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ منه لترغيب أمتك في الجهاد، وهو مؤول لعصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالدليل العقلي القاطع من الذنوب، واللام للعلة الغائية، فمدخولها مسبب لا سبب ﴿ وَيُتِمَّ ﴾ بالفتح المذكور ﴿ نِعْمَتَهُۥ ﴾ إنعامه ﴿ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ ﴾ به ﴿ صِرَٰطًا ﴾ طريقاً ﴿ مُّسْتَقِيمًا ﴾ ۝٢ يثبتك عليه وهو دين الإسلام ﴿ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ ﴾ به ﴿ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ ۝٣ ذا عز لا ذل معه ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ ﴾

تفتح إلا في السنة الثامنة، فكيف عبر بالماضي؟ فأجاب: بأن التعبير بالماضي بالنسبة للقضاء الأزلي، والمعنى: حكمنا لك في الأزل بالفتح المبين، وحينئذ فالتعبير بالماضي حقيقة. وأجيب أيضاً بأن التعبير بالماضي مجاز لتحقق الوقوع، نظير ﴿ونفخ في الصور﴾. وأجيب أيضاً: بأن الفتح على حقيقته، وأن المراد به صلح الحديبية، لأنه أصاب فيه ما لم يصب في غيره، قال الزهري: لقد كان فتح الحديبية أعظم الفتوح، وذلك أن النبي ﷺ جاء إليها في ألف وأربعمائة، فلما وقع الصلح، مشى الناس بعضهم على بعض، وعلموا وسمعوا من الله، فما أراد أحد الإسلام إلا تمكن منه، فما مضت تلك السنتان، إلا والمسلمون قد جاؤوا إلى مكة في عشرة آلاف، وقال الشعبي في قوله: ﴿**إنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً**﴾ هو فتح الحديبية، لقد أصاب فيها ما لم يصب في غزوة غيرها، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وبويع بيعة الرضوان، وأطعموا نخل خيبر، وبلغ الهدي محله، وظهرت الروم على فارس، وفرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس اهـ. قوله: (**عنوة**) هذا مذهب مالك وأبي حنيفة، نظراً لكون النبي وأصحابه دخلوها قهراً، ووقوع القتال من بعض الصحابة لخالد بن الوليد وأصحابه في جهة وأسفلها، مذهب الشافعي أنها فتحت صلحاً نظراً للظاهر، وهو عدم حصول القتال من النبي، وتأمينه أبا سفيان، وهذا الخلاف يكاد أن يكون لفظياً. قوله: (**بجهادك**) متعلق بقوله: (**بفح مكة**) وهو جواب عما يقال: إن الفتح ناشىء من الله، والمغفرة تكون للشخص، فكيف تترتب عليه، وإنما الشأن أن تترتب على ما يكون من الشخص؟ فأجاب: بأن الفتح وإن كان من الله، لكنه ترتب على فعل النبي وهو الجهاد، فصح أنه يترتب على الفتح المغفرة بهذا الاعتبار. قوله: (**لترغب أمتك**) علة لترتب الغفران على الفتح. قوله: (**وهو مؤول**) أي أن اسناد الذنب له ﷺ مؤول، إما بأن المراد ذنوب أمتك، أو هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين، أو بأن المراد بالغفران، الإحالة بينه وبين الذنوب، فلا تصدر منه، لأن الغفر هو الستر، والستر إما بين العبد والذنب، أو بين الذنب وعذابه، فاللائق بالأنبياء الأول، وبالأمم الثاني، إن قلت: إن عصمة النبي عليه السلام من الذنوب، حاصلة بالفعل قبل النبوة وبعدها، فكيف تكون مرتبة على جهاده؟ أجيب: بأن المرتب اظهارها للخلق لا هي نفسها. قوله: (**من الذنوب**) أي صغيرها وكبيرها، عمدها وسهوها، قبل النبوة وبعدها. قوله: (**للعلة الغائية**) أي وهي المترتبة على آخر الفعل، وليست العلة باعثة لاستحالة الأغراض على الله تعالى في الأفعال والأحكام. قوله: (**لا سبب**) أي لأن السبب ما يضاف إليه الحكم، كالزوال لوجوب الظهر، والمغفرة ليست كذلك. قوله: (**بالفتح المذكور**) أي وهو فتح مكة وغيرها بجهادك. قوله: (**يثبتك عليه**) أي يديمك ويقويك عليه، أو المراد يزيدك في الهداية باتباع الشريعة وأحكام الدين. قوله: (**ذا عز**) جواب عما يقال: إن العزيز وصف للمنصور لا للنصر، وتوضيح جوابه أن فعيلاً صيغة نسبة، أي نصراً منسوباً للعز. قوله: (**لا ذل معه**) أي لا في الدنيا ولا في الآخرة، وأما مطلق

الطمأنينة ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ بشرائع الدين كلما نزل واحدة منها آمنوا بها، منها الجهاد ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فلو أراد نصر دينه بغيركم لفعل ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ ﴿٤﴾ في صنعه، أي لم يزل متصفاً بذلك ﴿لِّيُدْخِلَ﴾ متعلق بمحذوف أي أمر بالجهاد ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ﴿٥﴾ ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ

النصر، فيكون حتى لبعض الكفار في الدنيا.

قوله: ﴿فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي وهم أهل الحديبية، حين بايعوا رسول الله ﷺ على مناجزة الحرب مع أهل مكة، بعد أن حصل لهم ما شأنه أن يزعج النفوس ويزيغ القلوب، من صد الكفار، ورجوع الصحابة دون بلوغ مقصود، فلم يرجع أحد منهم عن الإيمان، بعد أن هاج الناس وزلزلوا، حتى عمر بن الخطاب لما روي أنه قال: «أتيت النبي ﷺ فقلت: ألست نبي الله حقاً؟ قال: بلى قلت: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعط الدنية في ديننا إذاً؟ قال: إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري، قلت: أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى أنا أخبرتك أنا نأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به، قال: فأتيت أبا بكر، فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقاً؟ قال: بلى، فقلت: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، فقلت: فلم نعط الدنية في ديننا؟ إذاً؟ قال: أيها الرجل، إنه رسول الله، وليس يعصي ربه، وهو ناصره، فاستمسك بأمره ولا تخالفه، فوالله إنه على الحق، قلت: أو ليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى، افأخبرك أنا نأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتيه فنطوف به». قال العلماء: لم يكن سؤال عمر شكاً، بل طلباً لكشف ما خفي عليه، وحثاً على إذلال الكفار، وظهور الإسلام، كما هو معروف من شدته وصلابته في الدين، وأما جواب أبي بكر المطابق لجواب النبي ﷺ، فهو من الدلائل الظاهرة على عظيم فضله، وبارع علمه، وزيادة عرفانه ورسوخه، رضي الله عنهما وعنا بهما. قوله: **(بشرائع الدين)** متعلق بـ ﴿إِيمَاناً﴾، وقوله: ﴿مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ متعلق بمحذوف، أي بالله ورسوله.

قوله: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلأَرْضَ﴾ اختلف في المراد بجنود السماوات والأرض، فقيل: هم ملائكة السماوات والأرض، وقيل: إن جنود السماوات الملائكة، وجنود الأرض الحيوانات، وقيل: إن جنود السماوات مثل الصواعق والصيحة والحجارة، وجنود الأرض مثل الزلازل والخسفْ والغرق، ونحو ذلك، وكل صحيح. قوله: **(لفعل)** أي لكنه لم يفعل، بل أنزل السكينة على المؤمنين، ليكون إهلاك الأعداء بأيديهم، ليحصل لهم الشرف والعز دنيا وأخرى. قوله: **(متعلق بمحذوف)** أي لا بفتحنا، أي لئلا يلزم عليه عمل الفعل في حرفي جر متحدي اللفظ، والمعنى: من غير عطف ولا بدل ولا توكيد. قوله: ﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّآتِهِمْ﴾ أي يمحوها، وهو معطوف على قوله: ﴿لِيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الخ، عطف سبب على مسبب، فدخول الجنة مسبب عن تكفير السيئات، وقدم الإدخال في الذكر على التكفير، مسارعة إلى بيان ما هو المطلب الأعلى. قوله: ﴿وَكَانَ ذٰلِكَ﴾ أي المذكور من الإدخال والتكفير. قوله: ﴿عِنْدَ ٱللهِ﴾ حال من ﴿فَوْزاً﴾ لأنه صفة له في الأصل، فلما قدم عليه صار حالاً، أي كائناً عند الله، أي

﴿بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ بفتح السين وضمها في المواضع الثلاثة، ظنوا أنه لا ينصر محمداً ﷺ والمؤمنين ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ بالذل والعذاب ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾ أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٦﴾ أي مرجعاً ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ في ملكه ﴿حَكِيمًا ۝٧﴾ في صنعه، أي لم يزل متصفاً بذلك ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ على أمتك في القيامة ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ في الدنيا بالجنة ﴿وَنَذِيرًا ۝٨﴾ منذراً مخوفاً فيها من عمل سوءاً بالنار ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ بالياء والتاء فيه وفي الثلاثة بعده ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ ينصروه وقرىء بزاءين مع الفوقانية ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ يعظموه وضميرهما لله أو لرسوله ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ أي الله ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩﴾ بالغداة

في علمه وقضائه.

قوله: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَافِقِينَ﴾ قدمهم على المشركين، لأنهم أشد ضرراً من الكفار المتجاهرين، وذلك لأن المؤمن كان يتوقى المجاهر، ويخالط المنافق، لظنه إيمانه. قوله: ﴿ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ إما من إضافة الموصوف لصفته على مذهب الكوفيين، أو أن ﴿ٱلسَّوْءِ﴾ صفة لموصوف محذوف، أي ظن الأمر السوء، فحذف المضاف اليه، وأقيمت صفته مقامه. قوله: **(بفتح السين وضمها)** أي فالفتح الذم، والضم العذاب، والهزيمة والشر. قوله: **(في المواضع الثلاثة)** أي هذين والثالث قوله فيما يأتي ﴿وظننتم ظن السوء﴾ وهو سبق قلم، والصواب أن يقول: في الموضع الثاني، وأما الأول والثالث فليس فيهما إلا الفتح باتفاق السبعة.

قوله: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ إما اخبار عن وقوعه بهم أودعاء عليهم، كأن الله يقول: سلوني بقلوبكم ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ والدائرة عبارة عن الخط المحيط بالمركز، ثم استعملت في الحادثة المحيطة بمن وقعت عليه، والجامع الإحاطة في كل. قوله: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ عطف على قوله: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾. قوله: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الخ، ذكر هذه الآية أولاً في معرض الخلق والتدبير، فذيلها بقوله: ﴿عليماً حكيماً﴾ وذكرها ثانياً في معرض الانتقام فذيلها بقوله: ﴿عَزِيزاً حَكِيماً﴾ فلا تكرار. قوله: **(أي لم يزل)** الخ، أشار بذلك إلى أن ﴿كَانَ﴾ في أوصاف الله معناها الاستمرار.

قوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ الخ، امتنان منه تعالى عليه ﷺ حيث شرفه بالرسالة، وبعثه إلى كافة الخلق، شاهداً على أعمال أمته. قوله: ﴿شَاهِداً﴾ **(على أمتك)** أي بالطاعة والعصيان. قوله: ﴿لِيُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ﴾ متعلق بـ ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾. قوله: **(بالياء والتاء)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(وقرىء)** أي شذوذاً. قوله: **(وضميرهما لله)** الخ، أي فهما احتمالان، أي فإذا أردت الجري على وتيرة واحدة، جعلتها كأنها عائدة على الله تعالى، وأما قوله: ﴿وَيُسَبِّحُوهُ﴾ فهو عائد على الله قولاً واحداً، ويؤخذ من هذه الآية، أن من اقتصر على تعظيم الله وحده، أو على تعظيم الرسول وحده، فليس بمؤمن، بل المؤمن من جمع بين تعظيم الله تعالى، وتعظيم رسوله، ولكن التعظيم في كل بحسبه، فتعظيم الله تنزيهه عن صفات الحوادث، ووصفه بالكمالات، وتعظيم رسوله اعتقاد أنه رسول الله حقاً وصدقاً لكافة الخلق، بشيراً ونذيراً، إلى غير ذلك من أوصافه السنية وشمائله المرضية.

والعشي ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ بيعة الرضوان بالحديبية ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ هو نحو: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ التي بايعوا بها النبي، أي هو تعالى مطلع على مبايعتهم فيجازيهم عليها ﴿فَمَن نَّكَثَ﴾ نقض البيعة ﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ﴾ يرجع وبال نقضه ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ﴾ بالياء والنون ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿١٠﴾ ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ حول المدينة، أي الذين خلفهم الله عن صحبتك لما طلبتهم ليخرجوا معك إلى مكة خوفاً من تعرُّض قريش لك عام الحديبية إذا رجعت منها ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾ عن الخروج معك ﴿فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ الله من ترك الخروج معك، قال تعالى: مكذباً لهم ﴿يَقُولُونَ

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ الخ، لما ذكر سبحانه وتعالى أنه أرسله بشيراً ونذيراً، بين أن متابعته متابعة له، وطاعته له، وذلك يشعر بعظيم منزلته وقدره عند ربه، والبيعة في الأصل العقد الذي يعقده الإنسان على نفسه، من بذل الطاعة للإمام، والوفاء بالعهد الذي التزمه له، والمراد بها هنا، بيعة الرضوان بالحديبية، وهي قرية ليست كبيرة، بينها وبين مكة أقل من مرحلة أو مرحلة، سميت ببئر هناك، واختلف فيها، فقيل من الحرم، وقيل بعضها من الحل، يجوز فيها التخفيف والتشديد.

قوله: ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ آللَّهَ﴾ اعلم أن في هذا المقام، استعارة تصريحية تبعية ومكنية وتخييلية ومشاكلة، فالتبعية في الفعل هو ﴿يُبَايِعُونَ﴾ وذلك لأن المبايعة معناها مبادلة المال بالمال، فشبه المعاهدة على دفع الأنفس في سبيل الله، طلباً لمرضاة الله بدفع السلع في نظير الأموال، واستعير اسم المشبه به للمشبه، واشتق من البيع ﴿يُبَايِعُونَ﴾ بمعنى يعاهدون على دفع أنفسهم في سبيل الله والمكنية في لفظ الجلالة، وذلك لأن المتعاهدين إذا كان هناك ثالث، يضع يده فوق يديهما ليحفظهما، فشبه اطلاع الله ومجازاته على فعلهم، بملك وضع يده على يد أميره ورعيته، وطوى ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو اليد، فإثباتها تخييل، والمشاكلة لذكر الأيدي بعده. قوله: (**هو نحو من يطع الرسول**) الخ، أي من حيث إنه في المعنى يرجع له، وفيه إشارة إلى أنه تعالى منزه عن الجوارح. قوله: (**يرجع وبال نقضه**) أشار بذلك إلى أن في الكلام حذف مضافين. قوله: (**بالياء والنون**) أي وهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿أَجْراً عَظِيماً﴾ أي وهو الجنة، وهذه الآية وإن كان سبب نزولها بيعة الرضوان، إلا أن العبرة بعموم اللفظ، فيشمل مبايعة الإمام على الطاعة والوفاء بالعهد، ومبايعة الشيخ العارف على محبة الله ورسوله، والتزام شروطه وآدابه، ومن هنا استعمل مشايخ الصوفية هذه الآية عند أخذ العهد على المريد.

قوله: ﴿سَيَقُولُ لَكَ آلْمُخَلَّفُونَ﴾ الخ، أي وهم غفار ومزينة وجهينة وأشجع، وذلك أن رسول الله ﷺ حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمراً، طلب من الأعراب وأهل البوادي حول المدينة، أن يخرجوا معه، حذراً من قريش أن يتعرضوا له بحرب، ويصدوه عن البيت، فأحرم بالعمرة، وساق الهدي، ليعلم الناس أنه لا يريد حرباً، فتثاقل عنه كثير من الأعراب، وتخلفوا عنه وقالوا: يذهب إلى قوم قد غزوه في قعر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه. قوله: (**حول المدينة**) حال من الأعراب أو صفة لهم. قوله: (**إذا رجعت منها**) ظرف ليقول. قوله: ﴿وَأَهْلُونَا﴾ أي النساء والصبيان، فإنا لو تركناهم لضاعوا،

﴿بِأَلْسِنَتِهِم﴾ أي من طلب الاستغفار وما قبله ﴿مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فهم كاذبون في اعتذارهم ﴿قُلْ فَمَن﴾ استفهام بمعنى النفي، أي لا أحد ﴿يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾ بفتح الضاد وضمها ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ﴿١١﴾ أي لم يزل متصفاً بذلك ﴿بَلْ﴾ في الموضعين للانتقال من غرض إلى آخر ﴿ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ أي إنهم يستأصلون بالقتل فلا يرجعون ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ هذا وغيره ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ ﴿١٢﴾ جمع بائر، أي هالكين عند الله بهذا الظن ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾ ﴿١٣﴾ ناراً شديدة ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ﴿١٤﴾ أي لم يزل متصفاً بما ذكر ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ المذكورون ﴿إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ﴾ هي مغانم خيبر ﴿لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا﴾ اتركونا

لأنه لم يكن لنا من يقوم بهم، وأنت قد نهيت عن ضياع المال والتفريط في العيال. قوله: (**فهم كاذبون في اعتذارهم**) أي وطلب الاستغفار.

قوله: ﴿**قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ**﴾ الخ، أي فمن يمنعكم من مشيئته وقضائه؟ قوله: ﴿**إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً**﴾ أي كقتل وهزيمة ونحوهما. قوله: (**بفتح الضاد وضمها**) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿**بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً**﴾ ترق في الرد عليهم. قوله: (**للانتقال من غرض إلى آخر**) أي فأضرب عن تكذيبهم في اعتذارهم، إلى ايعادهم بجزاء أعمالهم، ومن التخلف والاعتذار الباطل، ثم أضرب عن بيان بطلان اعتذارهم، إلى بيان ما حملهم على التخلف، وهذا على سبيل الترقي في الرد عليهم. قوله: ﴿**بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولَ**﴾ أي لا يرجع إلى المدينة، وسبب ظنهم ذلك، اعتقادهم عظمة المشركين، وحقارة المؤمنين، حتى قالوا: ما هم في قريش إلا أكلة رجل. قوله: (**جمع بائر**) أي كحائل وحول، وقيل: البور مصدر بمعنى الهلاك.

قوله: ﴿**وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ**﴾ لما بين حال المتخلفين عن رسول الله، وبين حال ظنهم الفاسد، وأنه يفضي بصاحبه إلى الكفر، حرضهم على الإيمان والتوبة على سبيل العموم، و﴿**مَنْ**﴾ إما شرطية أو موصولة، والاسم الظاهر قائم مقام العائد، وقوله: ﴿**فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيراً**﴾ دليل الجواب أو الخبر. قوله: (**ناراً شديدة**) أي فالمراد جميع طبقات النار، لا الطبقة المسماة بذلك. قوله: ﴿**وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ أي يتصرف فيهما كيف يشاء. قوله: ﴿**يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾ هذا قطع لطمعهم في استغفاره ﷺ لهم، كأن الله يقول لهم: لا يستحق أحد عندي شيئاً، وإنما أغفر لمن أريد، وأعذب من أريد، وقد سبقت حكمتي، أن المغفرة للمؤمنين، والتعذيب للكافرين، فلا تطمعوا في المغفرة ما دمتم كفاراً.

قوله: ﴿**سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ**﴾ الخ، هذا من جملة الإخبار عما يحصل منهم. قوله: ﴿**إِذَا ٱنْطَلَقْتُمْ**﴾ ظرف لما قبله، والمعنى يقولون عند انطلاقكم الخ. قوله: (**هي مغانم خيبر**) أي وذلك أن المؤمنين لما انصرفوا من الحديبية على صلح من غير قتال، ولم يصيبوا من المغانم شيئاً، وعدهم الله عز وجل فتح

﴿نَتَّبِعْكُمْ﴾ لنأخذ منها ﴿يُرِيدُونَ﴾ بذلك ﴿أَن يُبَدِّلُواْ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ وفي قراءة كلم الله بكسر اللام أي مواعيده بغنائم خيبر أهل الحديبية خاصة ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ أي قبل عودنا ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أن نصيب معكم من الغنائم فقلتم ذلك ﴿بَلْ كَانُواْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ من الدين ﴿إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾ منهم ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ المذكورين اختباراً ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي﴾ أصحاب ﴿بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قيل: هم بنو حنيفة أصحاب اليمامة، وقيل: فارس والروم ﴿تُقَـٰتِلُونَهُمْ﴾ حال مقدرة هي المدعو إليها في المعنى ﴿أَوْ﴾ هم ﴿يُسْلِمُونَ﴾ فلا

خيبر، وجعل مغانمها لمن شهد الحديبية خاصة، عوضاً عن غنائم أهل مكة، حيث انصرفوا عنهم، ولم يصيبوا منهم شيئاً، وكان المتولي للقسمة بخيبر، جبار بن صخر الأنصاري من بني سلمة، وزيد بن ثابت من بني النجار، كانا حاسبين قاسمين، وأمر ﷺ بالقسم لمن حضر من أهل الحديبية ومن غاب، ولم يغب منهم عنها غير جابر بن عبد الله، فقسم له ﷺ كسهم من حضر. قوله: ﴿ذَرُونَا﴾ أي دعونا، وهذا الفعل هجر مصدره وماضيه واسم فاعله استغناء بمادة ترك، وأصل مادته: وذر يذر وذراً، فهو واذر، والأمر منه ذر، وهذه الجملة مقول القول.

قوله: ﴿يُرِيدُونَ﴾ إما مستأنف أو حال من ﴿ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾. قوله: ﴿أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ ٱللهِ﴾ أي يغيروا وعد الله الذي وعد أهل الحديبية به، من جعل غنائم خيبر لهم، عوضاً عن فتح مكة في ذلك العام. قوله: (وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضاً. قوله: ﴿لَنْ تَتَّبِعُونَا﴾ نفي في معنى النهي للمبالغة. قوله: ﴿كَذٰلِكُمْ﴾ أي مثل هذا القول وهو لن تتبعونا. قوله: ﴿قَالَ ٱللَّهُ﴾ أي حكم بأن غنيمة خيبر، لمن شهد الحديبية، ليس لغيرهم فيها نصيب. قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ أي عند سماعهم النهي. قوله: ﴿بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أي فليس هذا النهي حكماً من الله تعالى، بل هو حسد منكم لنا على مشاركتكم في الغنائم. قوله: (من الدين) أشار بذلك إلى أن الإضراب الأول معناه رد منهم أن يكون حكم الله أن يتبعوهم وإثبات الحسد، والثاني إضراب عن وصفهم، بإضافة الحسد إلى المؤمنين إلى وصفهم بما هو أهم، وهو الجهل وقلة الفهم.

قوله: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ﴾ كرر وصفهم بهذا الاسم، إشعاراً بشناعته، ومبالغة في ذمهم. قوله: (قيل هم بنو حنيفة) أي وهم جماعة مسيلمة الكذاب، والداعي للمخلفين على قتالهم حينئذ أبو بكر بعد وفاة النبي ﷺ. قوله: (أصحاب اليمامة) اسم لبلاد في اليمن، ولامرأة كانت بها ويقال لها زرقاء، كانت تبصر الركب من مسيرة ثلاثة أيام. قوله: (وقيل فارس والروم) أي والداعي لهم عمر بن الخطاب، وقيل: إن ذلك في هوازن وغطفان يوم حنين، والداعي لهم رسول الله، إن قلت: إن الله تعالى أمر رسوله أن لا يدعو المخلفين إلى الجهاد في قوله: ﴿فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً﴾ وحينئذ فيبعد أن ذلك في غزوة حنين، والداعي لهم رسول الله ﷺ. وأجيب: بأنه لا بعد، إذ قوله: ﴿لَنْ تَخْرُجُوا مَعِي أَبَداً﴾ الخ، إنما نزلت بعد الفتح في غزوة تبوك، فتحصل أن الأقوال ثلاثة، وكل صحيح. قوله: ﴿أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ أشار بذلك إلى أن الجملة مستأنفة، وليست أو بمعنى إلى، أو إلا، وإلا لنصب الفعل بحذف النون، ومعنى ﴿يُسْلِمُونَ﴾ ينقادون ولو بعقد الجزية، فإن الروم نصارى، وفارس مجوس، وكل منهما يقر

تقاتلون ﴿فَإِن تُطِيعُوا﴾ إلى قتالهم ﴿يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿١٦﴾ مؤلماً ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ في ترك الجهاد ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ﴾ بالياء والنون ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ﴾ بالياء والنون ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿١٧﴾ ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾

بالجزية، وأما بالنسبة لبني حنيفة، فمعناه يسلمون بالفعل، لأنهم كانوا مرتدين، والمرتد لا يقر بالجزية، بل إما السيف أو الإسلام. قوله: ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ أي في الحديبية.

قوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ﴾ نزلت لما قال أهل الزمانة والعاهة والآفة: كيف بنا يا رسول الله؟ حين سمعوا قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا﴾ الخ. قوله: (في ترك الجهاد) أي في التخلف عن الجهاد، وهذه أعذار ظاهرة، وذلك لأن الأعمى لا يمكنه الكر ولا الفر، وكذلك الأعراج والمريض، ومثل هذه الأعذار الفقر الذي لا يمكن صاحبه أن يقضي مصالحه وأشغاله التي تعوق عن الجهاد، وكل هذا ما لم يفجأ العدو، وإلا وجب على كل بما يمكنه. قوله: (بالياء والنون) أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي فعل بهم فعل الراضي من الثواب والفتح المبين؛ وفي ذلك تلميح إلى أن الكافرين غير راض عنهم، فلهم الخذلان في الدنيا والآخرة، وكان سبب هذه البيعة على ما ذكره محمد بن إسحاق عن أهل العلم، أن رسول الله ﷺ دعا خراش بن أمية الخزاعي حين نزل الحديبية، فبعثه إلى قريش بمكة، وحمله على جمله ﷺ ليبلغ أشرافهم أنه ﷺ جاء معتمراً، ولم يجيء محارباً، فعقروا جمل رسول الله ﷺ وأرادوا قتله، فمنعتهم الأحابيش فخلوا سبيله، فأتى لرسول الله فأخبره، فدعا رسول الله عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة فقال: يا رسول الله إني أخاف على نفسي قريشاً، وليس في مكة من بني عدي بن كعب أحد، وقد عرفت قريش عداوتي إياها، وغلظتي عليها، ولكن أدلك على رجل هو أقربها مني، لوجود عشيرته فيها، وهو عثمان بن عفان، فدعا رسول الله ﷺ عثمان، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وإنما جاء زائراً لهذا البيت، معظماً لحرمته، وكتب له كتاباً بعثه معه، وأمره أن يبشر المستضعفين بمكة بالفتح قريباً، وأن الله سيظهر دينه، فخرج عثمان وتوجه إلى مكة، فوجد قريشاً قد اتفقوا على منعه ﷺ من دخول مكة، ولقيه أبان بن سعيد بن العاصي حين دخل مكة، وقبل أن يدخلها، فنزل عن فرسه وحمله بين يديه، ثم أردفه وأجاره، حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ وقرأ عليهم الكتاب واحداً واحداً، فصمموا على أنه لا يدخلها هذا العام، وقالوا لعثمان: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به، قال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ، وقد كان المسلمون قالوا: هنيئاً لعثمان خلص إلى البيت وطاف به دوننا، فقال ﷺ: إن ظني به أن لا يطوف حتى يطوف معنا، وبشر عثمان المستضعفين، واحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله والمسلمين أن عثمان قد قتل، فقال رسول الله ﷺ: لا نبرح حتى نناجز القوم، ودعا الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، وضع النبي ﷺ شماله في يمينه وقال: هذه عن عثمان، وهذا يشعر بأن النبي قد علم بنور النبوة، أن عثمان لم يقتل حتى بايع عنه. وفي الحديث أن النبي ﷺ قال لما بايع الناس: «اللهم إن عثمان في حاجتك وحاجة رسولك» فضرب بإحدى يديه على الأخرى، فكانت يده لعثمان، خيراً من أيديهم

بالحديبية ﴿تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ هي سمرة، وهم ألف وثلثمائة أو أكثر، ثم بايعهم على أن يناجزوا قريشاً وأن لا يفرُّوا من الموت ﴿فَعَلِمَ﴾ الله ﴿مَا فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ من الصدق والوفاء ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا﴾ ﴿١٨﴾ هو فتح خيبر بعد انصرافهم من الحديبية ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةٗ يَأۡخُذُونَهَاۗ﴾ من خيبر ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾ ﴿١٩﴾ أي لم يزل متصفاً بذلك ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةٗ تَأۡخُذُونَهَا﴾ من الفتوحات ﴿فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ﴾ غنيمة خيبر ﴿وَكَفَّ أَيۡدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمۡ﴾ في عيالكم لما خرجتم وهمت بهم اليهود، فقذف الله في قلوبهم الرعب ﴿وَلِتَكُونَ﴾ أي المعجلة عطف على مقدر أي تشكروه ﴿ءَايَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ في نصرهم ﴿وَيَهۡدِيَكُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾ ﴿٢٠﴾ أي طريق التوكل عليه، وتفويض الأمر إليه تعالى ﴿وَأُخۡرَىٰ﴾ صفة مغانم مقدراً مبتدأ ﴿لَمۡ تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهَا﴾

لأنفسهم، ولما سمع المشركون بهذه البيعة، خافوا وبعثوا بعثمان وجماعة من المسلمين وكانوا عشرة، دخلوا مكة بإذنه ﷺ.

قوله: **﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾** ظرف لرضي، وعبر بصيغة المضارع استحضاراً لصورة المبايعة. قوله: **﴿تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾** معمول ليبايعونك. قوله: (**هي سمرة**) بضم الميم من شجر الطلح وهو الموز، كما عليه جمهور المفسرين في قوله تعالى: **﴿وطلح منضود﴾** وهذه الشجرة قد أخفيت، لئلا يحصل الافتتان بها، وروي أن عمر بلغه أن قوماً يأتون الشجرة ويصلون عندها فتوعدهم، ثم أمر بقطعها فقطعت. قوله: (**أو أكثر**) وقيل أربعمائة وهو الصحيح، وقيل خمسمائة. قوله: (**أن يناجزوا قريشاً**) أي يقاتلوهم. قوله: **﴿مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾** معطوف على **﴿يُبَايِعُونَكَ﴾**. قوله: (**بعد انصرافهم من الحديبية**) أي في ذي الحجة، فأقام ﷺ بالمدينة بقيته وبعض المحرم، ثم خرج إلى خيبر في بقية المحرم سنة سبع. قوله: **﴿وَمَغَانِمَ﴾** معطوف على **﴿فَتْحاً﴾** و **﴿يَأْخُذُونَهَا﴾** صفة لمغانم أو حال منها.

قوله: **﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ﴾** الالتفات إلى الخطاب لتشريفهم في مقام الامتنان، وهو لأهل الحديبية. قوله: (**من الفتوحات**) أي غير خيبر، مما استقبلهم بعد، كفتح مكة وهوازن وبلاد كسرى والروم. قوله: (**غنيمة خيبر**) مقتضى ما تقدم، من أن السورة نزلت كلها في رجوعه من الحديبية أن يكون قوله: **﴿فعجّل لَكُمْ هٰذِهِ﴾** من التعبير بالماضي عن المستقبل، لتحقق وقوعه من الإخبار بالغيب. قوله: (**في عيالكم**) أي عن عيالكم، والجار والمجرور بدل من قوله: **﴿عَنْكُمْ﴾** والمراد بالناس، أهل خيبر وحلفاؤهم من بني أسد وغطفان. قوله: (**لما خرجتم**) أي للحديبية، وقوله: (**وهمت بهم اليهود**) أي يهود خيبر، هموا بأخذ عيال النبي والصحابة من المدينة، في غيبة النبي للحديبية، وكان هو السبب في أخذ خيبر. قوله: (**عطف على مقدر**) هذا أحد قولين، والآخر أنها زائدة، وعليه فيكون تعليلاً لقوله: **﴿كفَّ﴾**. قوله: **﴿آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾** أي أمارة يعرفون بها صدق الرسول ﷺ في وعده إياهم، عند الرجوع من الحديبية بتلك الغنائم. قوله: (**أي طريق التوكل عليه**) فسر الصراط المستقيم بما ذكر، لأن الحاصل من الكف ليس إلا ذلك، ولأن أصل الهدى حاصل قبله.

ـ تنبيه ـ ملخص غزوة خيبر: أن رسول الله ﷺ لما رجع من الحديبية، أقام بالمدينة بقية ذي الحجة

وبعض المحرم، ثم خرج إلى خيبر في بقية المحرم سنة سبع، وكان إذا غزا قوماً ينتظر الصباح، فإن سمع أذاناً كف عنهم، وإن لم يسمع أذاناً أغار عليهم، فلما أصبح ولم يسمع أذاناً ركب عليهم، فخرجوا بمكاتلهم ومساحيهم، فلما رأوا النبي ﷺ قالوا محمد والخميس أي الجيش، فلما رآهم النبي ﷺ قال: الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم، فساء صباح المنذرين، وعن سلمة بن الأكوع قال: خرجنا إلى خيبر مع رسول الله ﷺ فجعل عمي عامر يرتجز بالقوم:

تالله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
ونحن عن فضلك ما استغنينا فثبت الأقدام إن لاقينا
وأنزلن سكينة علينا

فقال رسول الله ﷺ من هذا؟ قال: أنا عامر، قال: غفر لك ربك، قال: وما استغفر رسول ﷺ لإنسان يخصه إلا استشهد، قال: فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له: يا نبي الله، لولا متعتنا بعامر، قال: فلما قدمنا خيبر، قدم ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهب

قال: وبرز له عمي عامر فقال:

قد علمت خيبر أني عامر شاكي السلاح بطل مغامر

قال: فاختلفا بضربتيهما، فوقع سيف مرحب في ترس عامر، وذهب عامر يسفل، فرجع سيفه على نفسه فقطع أكحله، فكانت فيها نفسه رضي الله عنه، قال سلمة: فخرجت فإذا نفر من أصحاب النبي ﷺ يقولون: بطل عمل عامر، قتل نفسه، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي فقلت: يا رسول الله، بطل عمل عمي عامر، قال رسول الله ﷺ: من قال ذلك؟ قلت: ناس من أصحابك، قال: كذب من قال ذلك، بل له أجره مرتين، ثم أرسلني إلى علي وهو أرمد فقال: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، أو يحبه الله ورسوله؛ قال: فأتيت علياً فجئت به أقوده وهو أرمد، حتى أتيت به رسول الله ﷺ فبصق في عينيه فبرىء وأعطاه الراية، فخرج مرحب فقال:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهب

فقال على رضى الله عنه:

أنا الذي سمتني أمي حيدره كليث غابات كريه المنظره
أوفيهم بالصاع كيل السندره

قال: فضرب مرحباً فقتله، ثم كان الفتح على يده، أخرجه مسلم بهذا اللفظ، وفي رواية أخرى: أنه خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يرتجز، فخرج إليه الزبير بن العوام، فقالت أمه صفية بنت عبد

هي من فارس والروم ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ علم أنها ستكون لكم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ ﴿٢١﴾ أي لم يزل متصفاً بذلك ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالحديبية ﴿لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا

المطلب: أيقتل ابني يا رسول الله؟ قال: بل ابنك يقتله إن شاء الله، ثم التقيا فقتله الزبير، ثم لم يزل رسول الله يفتح الحصون، ويقتل المقاتلة، ويسبي الذرية، ويحوز الأموال، فجمع السبي فجاء دحية فقال: يا رسول الله أعطني جارية من السبي، قال: اذهب فخذ جارية، فأخذ صفية بنت حيي، فجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير، لا تصلح إلا لك، قال: ادعوه فجاء بها، فلما نظر إليها النبي ﷺ قال: خذ جارية من السبي غيرها، فأعتقها النبي ﷺ وتزوجها، فلما دخل بها، رأى في عينها أثر خضرة، فسألها عن سببها فقالت: إني رأيت في المنام وأنا عروس بكنانة بن الربيع، أن قمراً وقع في حجري، فقصصت رؤياي على زوجي فقال: ما هذا إلا أنك تمنيت ملك الحجاز محمداً، ثم لطم وجهي لطمة اخضرت منها عيني، فلما ظهر رسول الله على خيبر، أراد اخراج اليهود منها، فسألت اليهود رسول الله ﷺ أن يقرهم بها، على أن يكفوهم العمل، ولهم نصف الثمر، فقال لهم رسول الله ﷺ: نقركم بها على ذلك ما شئنا، فقروا بها حتى أجلاهم عمر في إمارته إلى تيماء وأريحاء. قال محمد بن إسحاق: لما سمع أهل فدك بما فعل رسول الله ﷺ بخيبر، بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يحقن دماءهم وأن يسيرهم، ويخلوا له الأموال، ففعلوا بهم، ثم سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم على النصف كأهل خيبر ففعل، فكانت خيبر للمسلمين، وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ، لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب، فلما اطمأن رسول الله، أهدت له زينب بنت الحرث، امرأة سلام بن مشكم اليهودية شاة مصلية ـ يعني مشوية ـ وسألت: أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ؟ قيل لها: الذراع، فأكثرت فيها السم، وسمت سائر الشاة، ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يدي رسول الله، تناول الذراع، فأخذها فلاك منها قطعة فلم يسغها، ومعه بشر بن البراء بن معرور، فأخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ، فأما بشر فأساغها، يعني ابتلعها، وأما رسول الله فلفظها ثم قال: إن هذا العظم يخبرني أنه مسموم، ثم دعا بها فاعترفت، فقال: ما حملك على ذلك، فقالت: بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت: إن كان ملكاً استرحنا منه، وإن كان نبياً فسيخبر، فتجاوز عنها رسول الله ﷺ، ومات بشر على مرضه الذي توفي فيه، فقال: يا أم بشر، ما زالت أكلة خيبر التي أكلت مع ابنك تعاودني، فهذا أوان قطع أبهري؛ فكان المسلمون يرون أن رسول الله ﷺ مات شهيداً، مع ما أكرمه الله به من النبوة. قوله: (مبتدأ) أي وخبره قوله: ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ قوله: ﴿لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ صفة لمغانم المقدر، وسوغ الابتداء بالنكرة الوصف، وهذا أسهل الأعاريب، ولذا اختاره المفسر. قوله: (**هي فارس والروم**) أي وباقي الأقطار. قوله: ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ أي أعدها لكم في قضائه وقدره، فهي محصورة لا تفوتكم. قوله: (**أي لم يزل متصفاً**) أشار بذلك إلى أن المراد من ﴿كَانَ﴾ الاستمرار.

قوله: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي وهم أهل مكة ومن وافقهم، وقد كانوا اجتمعوا وجمعوا الجيوش، وقدموا خالد بن الوليد إلى كراع الغميم، ولم يكن أسلم حينئذ، فما شعر بهم خالد، حتى إذا هم بقترة الجيش، أي بغبار أثرهم، فانطلق يركض نذيراً لقريش. قوله: ﴿لَوَلَّوُا ٱلْأَدْبَارَ﴾ أي مضوا

﴿يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يحرسهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله من هزيمة الكافرين ونصر المؤمنين، أي سن الله ذلك سنة ﴿ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ ﴿٢٣﴾ منه ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ بالحديبية ﴿مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ فإن ثمانين منهم طافوا بعسكركم ليصيبوا منكم فأخذوا وأتي بهم إلى رسول الله ﷺ فعفا عنهم وخلى سبيلهم، فكان ذلك سبب الصلح ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ ﴿٢٤﴾ بالياء والتاء، أي لم يزل متصفاً بذلك ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي عن الوصول إليه ﴿وَٱلْهَدْيَ﴾ معطوف على كم ﴿مَعْكُوفًا﴾ محبوساً حال ﴿أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ أي مكانه الذي ينحر فيه عادة وهو الحرم بدل اشتمال ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾ موجودون بمكة مع الكفار ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ بصفة الإيمان ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ أي تقتلوهم مع الكفار لو أذن لكم في الفتح بدل اشتمال من هم ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ﴾ أي إثم ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ منكم به، وضمائر الغيبة للصنفين بتغليب الذكور، وجواب لولا محذوف أي لأذن لكم في الفتح، لكن لم يؤذن فيه حينئذ

منهزمين. قوله: (من هزيمة الكافرين) (من) بيانية. قوله: ﴿ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ﴾ أي مضت، وقوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي فيمن مضى من الأمم. قوله: ﴿تَبْدِيلًا﴾ (منه) أي من الله تعالى، والمعنى: أن الله لا يبدل ولا يغير سنته وطريقته، من نصر المؤمنين، وخذلان الكافرين. قوله: (بالحديبية) بيان لبطن مكة، والمراد بمكة الحرم، والحديبية تقدم فيها الخلاف، هل هي منه أو بعضها؟ فعلى الأول التعبير بالبطن ظاهر، وعلى الثاني فالمراد بالبطن الملاصق والمجاور.

قوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ﴾ أي أظهركم فتعديته بعلى ظاهرة. قوله: (فكان ذلك) أي العفو عنهم وتخلية سبيلهم. قوله: (سبب الصلح) أي لعلمهم أن هذا الأمر لا يقع إلا من قادر على قتالهم، غير مكترث بهم. قوله: (بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (معطوف على كم) أي الضمير المنصوب في صدوركم، وهو أحسن الأعاريب. قوله: (محبوساً) أي فالعكوف الاحتباس، ومنه الاعتكاف المشهور، وهو حبس النفس على ما تكره، مع ملازمة المسجد. قوله: (أي مكانه) أي المعهود، وهو منى للمحرم بالحج، والمروة للمحرم بالعمرة، وهو الأفضل، وإلا فالحرم كله محل النحر. قوله: (بدل اشتمال) أي من الهدي، والمعنى: صدوا بلوغ الهدي محله، ويصح أن يكون على اسقاط الخافض، أي عن أن يبلغ الهدي محله، والجار والمجرور إما متعلق بصدوكم، أو بمعكوفاً. قوله: (موجودون) هو خبر المبتدأ. قوله: (بدل اشتمال من هم) أي والمعنى: لم تعلموا وطأهم، ويصح أن يكون بدلاً من رجال ونساء، والمعنى: ولولا وطء رجال ونساء قوله: (إثم) أي مكروه كالتأسف عليهم، أو المراد بالإثم حقيقته بسبب ترك التحفظ. قوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (منكم به) أي بالقتل. قوله: (وجواب لولا محذوف) أي والمعنى: لولا كراهة أن تهلكوا ناساً مؤمنين بين أظهر الكفار، حال كونكم جاهلين بهم، فيصيبكم بإهلاكهم مكروه، لما كف أيديكم عنهم. قوله: (حينئذ) أي عام الحديبية.

﴿لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ كالمؤمنين المذكورين ﴿لَوۡ تَزَيَّلُواْ﴾ تميزوا عن الكفار ﴿لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ﴾ من أهل مكة حينئذ بأن نأذن لكم في فتحها ﴿عَذَابًا أَلِيمًا ۝٢٥﴾ مؤلماً ﴿إِذۡ جَعَلَ﴾ متعلق بعذبنا ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فاعل ﴿فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ﴾ الأنفة من الشيء ﴿حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ﴾ بدل من الحمية وهي صدهم النبي وأصحابه عن المسجد الحرام ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ فصالحوهم على أن يعدوا من قابل، ولم يلحقهم من الحمية ما لحق

قوله: ﴿لِيُدْخِلَ ٱللَّهُ﴾ الخ، علة لما قدره المفسر بقوله: (لكن لم يؤذن). قوله: **(كالمؤمنين المذكورين)** أي وكالمشركين، لأنه آل أمر أهل مكة إلى الإسلام إلا ما قل. قوله: **(تميزوا)** أي تفرقوا وانفردوا، ولكن لم يتميزوا، بل اختلط المستضعفون بالمشركين، والأصول المشركون بالفروع المسلمين، كالذراري الذين علم الله إسلامهم، فلم يحصل العذاب. قوله: **(الأنفة)** بفتحتين أي الكبر. قوله: ﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ﴾ بدل من الحمية قبلها، وهي فعيلة مصدر يقال: حميت من كذا حمية، وحمية الجاهلية عدم الإذعان للحق ونصرة الباطل.

قوله: ﴿فَأَنْزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ معطوف على شيء مقدر، أي فضاقت صدور المسلمين، واشتد الكرب عليهم، ﴿فَأَنْزَلَ﴾ الخ، روي أن رسول الله ﷺ لما نزل الحديبية، بعثت قريش سهل بن عمرو القرشي وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الأحنف، على أن يعرضوا على النبي ﷺ أن يرجع من عامه ذلك، على أن تخلي له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام، ففعل ذلك، وكتبوا بينهم كتاباً، فقال عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله عنه: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقالوا: ما نعرف هذا، اكتب باسمك اللهم، ثم قال اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ أهل مكة، فقالوا: لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك، اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله أهل مكة، فقال ﷺ اكتب ما يريدون، فهم المؤمنون أن يأبوا ذلك ويبطشوا بهم، فأنزل الله السكينة عليهم، فتوقروا وحلموا. قوله: **(على أن يعودوا من قابل)** أي وعلى وضع الحرب عشر سنين، قال البراء: صالحوهم على ثلاثة أشياء: على أن من أتاهم من المشركين مسلماً ردوه إليهم، ومن أتاهم من المسلمين لم يردوه، وعلى أن يدخلها من قابل، ويقيم فيها ثلاثة أيام، ولا يدخلها بسلاح، فكتب بذلك كتاباً، فلما فرغ من قضية الكتاب قال لأصحابه: قوموا وانحروا ثم احلقوا، فوالله ما قام منهم أحد، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد، لما حصل لهم من الغم، قام فدخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت له: يا نبي الله، اخرج ولا تكلم أحداً منهم حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج ففعل، فلما رأوا ذلك منه قاموا فنحروا، وجعل يحلق بعضهم بعضاً وروى ثابت عن أنس، أن قريشاً صالحوا النبي ﷺ واشترطوا أن من جاء منكم لم نرده عليكم، ومن جاء منا ردوه علينا، فقالوا: يا رسول الله أتكتب هذا؟ قال: نعم، إن من ذهب منا إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم، فسيجعل الله له فرجاً ومخرجاً. روي أنه بعد عقد الصلح، جاء جندل بن سهل بن عمرو بقيوده قد انفلت، وخرج من أسفل مكة، حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال له سهل: هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إليّ، فقال النبي ﷺ: إنا لم نقض الكتاب بعد، قال: فوالله إذاً لا أصالحك على

الكفار حتى يقاتلوهم ﴿وَأَلْزَمَهُمْ﴾ أي المؤمنين ﴿كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأضيفت إلى التقوى لأنها سببها ﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا﴾ بالكلمة من الكفار ﴿وَأَهْلَهَا﴾ عطف تفسيري ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٢٦﴾ أي لم يزل متصفاً بذلك، ومن معلومه تعالى أنهم أهلها ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ رأى رسول الله ﷺ في النوم عام الحديبية قبل خروجه أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين، ويحلقون ويقصرون، فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا، فلما خرجوا معه وصدهم الكفار بالحديبية ورجعوا، وشق عليهم ذلك، وراب بعض المنافقين نزلت، وقوله بالحق متعلق بصدق أو حال من الرؤيا، وما بعدها تفسيرها ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ للتبرك ﴿ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ﴾ أي جميع شعورها ﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾ بعض شعورها وهما حالان

شيء أبداً، قال النبي ﷺ: فأجره لي، قال: ما أنا بمجيره لك، قال: بلى فافعل، قال: ما أنا بفاعل، ثم جعل سهل يجره ليرده إلى قريش، فقال أبو جندل: أي معشر المسلمين، أرد إلى المشركين وقد جئت مسلماً؟ ألا ترون ما لقيت؟ وكان قد عذب في الله عذاباً شديداً. وفي الحديث إن رسول الله ﷺ قال: يا أبا جندل احتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وعقداً، وإنا لا نغدر، فقام عمر وتكلم طويل منه ما تقدم لنا عند قوله: ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين﴾ثم بعد رجوع رسول الله وأصحابه إلى المدينة، جاءه أبو بصير عتبة بن أسد من قريش مسلماً، فأرسلوا في طلبه رجلين، فسلمه النبي ﷺ، فقتل أحدهما، وفر عنه الآخر، فأتى أبو بصير سيف البحر وجلس هناك، فبلغ ذلك أبا جندل وأصحابه من المستضعفين، فلحقوا به حتى تكاملوا نحواً من سبعين رجلاً، فما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا تعرضوا لها، فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم، بأنه لا يرسل إليهم من أتاه منهم مسلماً، وأبطلوا هذا الشرط، فأرسل النبي ﷺ إلى أبي بصير وأبي جندل ومن معهما فأحضرهم المدينة. قوله: **﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾** أي اختار لهم، فهو إلزام إكرام وتشريف، والمراد تقوى الشرك. قوله: **(لا إله إلا الله)** هذه رواية أبي بن كعب، وقيل إنها: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. وقيل إنها: بسم الله الرحمن الرحيم. قوله: **﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا﴾** أي في علم الله، لأنه اختارهم لدينه. قوله: **(تفسيري)** أي لاحق بها، أو الضمير في **﴿بِهَا﴾** لكلمة التوحيد، وفي أهلها للتقوى.

قوله: **﴿لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا﴾** أي رؤياه صادقة محققة، لم يدخلها الشيطان، لأنه معصوم منه هو وجميع الأنبياء، وتأخيرها لا ينافي كونها حقاً وصدقاً، نظير رؤيا يوسف الصديق، أن أحد عشر كوكباً والشمس والقمر ساجدون له، فتأخرت الزمن الطويل، وبعد ذلك تحققت. قوله: **(وراب بعض المنافقين)** أي ارتاب، حيث قال عبدالله بن أبي وعبدالله بن نفيل ورفاعة بن الحرث: والله ما حلقنا ولا قصرنا، ولا رأينا المسجد الحرام. قوله: **(أو حال من الرؤيا)** أي فهو متعلق بمحذوف، والتقدير ملتبسة بالحق، ويصح أن يكون صفة لمصدر محذوف، والتقدير صدقاً ملتبساً بالحق، ويصح أن يكون **﴿بِالْحَقِّ﴾** قسماً وجوابه قوله: **﴿لَتَدْخُلُنَّ﴾** الخ، وعليه فالوقف على قوله: **﴿الْحَقِّ﴾** وقوله: **﴿لَتَدْخُلُنَّ﴾** اللام موطئة لقسم محذوف. قوله: **(للتبرك)** أي مع تعليم العباد الأدب، وتفويض الأمر إليه، وهو جواب عما

مقدرتان ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ أبداً ﴿فَعَلِمَ﴾ في الصلح ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ من الصلاح ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ أي الدخول ﴿فَتْحًا قَرِيبًا ۝٢٧﴾ هو فتح خيبر، وتحققت الرؤيا في العام القابل ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ﴾ أي دين الحق ﴿عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ على جميع باقي الأديان ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ۝٢٨﴾ أنك مرسل بما ذكر كما قال الله تعالى ﴿مُّحَمَّدٌ﴾ مبتدأ ﴿رَّسُولُ اللَّهِ﴾ خبره ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أي أصحابه من المؤمنين مبتدأ خبره ﴿أَشِدَّاءُ﴾ غلاظ ﴿عَلَى الْكُفَّارِ﴾ لا يرحمونهم ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ خبر ثان، أي متعاطفون متوادون كالوالد مع الولد ﴿تَرَاهُمْ﴾ تبصرهم ﴿رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ حالان ﴿يَبْتَغُونَ﴾ مستأنف يطلبون ﴿فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ﴾ علامتهم مبتدأ ﴿فِي وُجُوهِهِم﴾ خبره، وهو نور وبياض يعرفون به في الآخرة أنهم سجدوا في الدنيا ﴿مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ متعلق بما تعلق به الخبر أي كائنة، وأعرب حالاً من ضميره المنتقل إلى الخبر

يقال: إن الله تعالى خالق للأشياء كلها، وهو عالم بها قبل وقوعها، فكيف وقع منه التعليق بالمشيئة، مع أن التعليق إنما يكون من المخبر المتردد، أو الشاك في وقوع المعلق، والله منزه عن ذلك؟ فأجاب: بأن المقصود التبرك لا التعليق، ويجاب أيضاً: بأن المشيئة باعتبار جميع الجيش، فإن الذين حضروا عمرة القضاء كانوا سبعمائة، وأما باعتبار المجموع، فالقضاء مبرم لا تعليق فيه، ويجاب أيضاً: بأنه حكاية عن كلام الملك المبلغ للرسول كلام الله، أو حكاية عن كلام الرسول عليه السلام.

قوله: ﴿آمِنِينَ﴾ حال مقارنة للدخول، والجملة شرطية معترضة. قوله: **(مقدرتان)** دفع بذلك ما قد يقال: إن حال الدخول هو حال الإحرام، وهو لا يتأتى معه حلق ولا تقصير. قوله: **﴿لَا تَخَافُونَ﴾** **(أبداً)** أشار بذلك إلى أنه غير مكرر مع قوله: ﴿آمِنِينَ﴾ والمعنى: آمنون في حال الدخول، وحال المكث، وحال الخروج، وقد كان عند أهل مكة، أنه يحرم قتال من أحرم ومن دخل المحرم، فأفاد أنه يبقى أمنهم بعد خروجهم من الإحرام. قوله: **(من الصلاح)** أي وهو حفظ دماء المسلمين المستضعفين. قوله: **﴿مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ﴾** أي قبله. قوله: **(هو فتح خيبر)** وقيل هو صلح الحديبية، وقيل هو فتح مكة.

قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ تأكيد لتصديق الله رؤياه، والمعنى: حيث جعله رسولاً، فلا يريه خلاف الحق. قوله: **﴿بِالْهُدَىٰ﴾** أي القرآن أو المعجزات. قوله: **﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾** أي ليعليه على جميع الأديان، فينسخ ما كان حقاً، ويظهر فساد ما كان باطلاً. قوله: **(بما ذكر)** أي **﴿بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾**. قوله: **(كما قال)** أشار بذلك إلى أن قوله: **﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ﴾** مؤكد لقوله: **﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾**. قوله: **(لا يرحمونهم)** أي لا يرأفون بهم، وذلك لأن الله أمرهم بالغلظة عليهم، وقد بلغ من تشديدهم على الكفار، أنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تمس أبدانهم. قوله: **﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾** أي فكان الواحد منهم إذا رأى أخاه في الدين صافحه وعانقه.

قوله: **﴿تَرَاهُمْ رُكَّعاً﴾** إما خبر آخر أو مستأنف، والمعنى: أنهم في النهار على الأعداء أسود، وفي الليل ركع سجود. قوله: **(حالان)** أي من مفعول **﴿تَرَاهُمْ﴾**. قوله: **(مستأنف)** أي واقع في جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: ماذا يريدون بركوعهم وسجودهم؟ فقيل **﴿يَبْتَغُونَ﴾** الخ. قوله: **﴿سِيمَاهُمْ فِي**

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي الوصف المذكور ﴿مَثَلُهُمْ﴾ صفتهم ﴿فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ مبتدأ وخبره ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾ مبتدأ خبره ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ بسكون الطاء وفتحها فراخه ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ بالمد والقصر، قوّاه وأعانه ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ غلظ ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ قوي واستقام ﴿عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ أصوله جمع ساق ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ أي زراعه لحسنه مثل الصحابة رضي الله عنهم بذلك، لأنهم بدؤوا في قلة وضعف، فكثروا وقووا على أحسن الوجوه ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ متعلق بمحذوف دل عليه ما قبله، أي شبهوا بذلك ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم﴾ أي الصحابة ومن لبيان الجنس لا للتبعيض، لأنهم كلهم بالصفة المذكورة ﴿مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٢٩﴾ الجنة، وهما لمن بعدهم أيضاً في آيات.

وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ اختلف في تلك السيما، فقيل: إن مواضع سجودهم يوم القيامة ترى كالقمر ليلة البدر، وقيل: هو صفرة الوجوه من سهر الليل، وقيل: الخشوع الذي يظهر على الأعضاء، حتى يتراءى أنهم مرضى وليسوا بمرضى، وليس المراد به ما يصنعه بعض الجهلة المرائين من العلامة في الجبهة، فإنه من فعل الخوارج، وفي الحديث: «إني لأبغض الرجل وأكرهه إذا رأيت بين عينيه أثر السجود». قوله: (من ضميره) أي من ضمير ما تعلق به الخبر وهو كائنة. قوله: **(المنتقل إلى الخبر)** أي وهو الجار والمجرور. قوله: **(أي الوصف المذكور)** أي وهو كونهم ﴿أَشِدَّاءُ﴾ ﴿رُحَمَاءُ﴾ ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعاً﴾ الخ، ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾ الخ. قوله: ﴿مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾ أي وصفهم العجيب الجاري في الغرابة مجرى الأمثال. قوله: (مبتدأ وخبره) أي أن قوله: ﴿مَثَلُهُمْ﴾ مبتدأ خبره قوله: ﴿فِي التَّوْرَاةِ﴾ والجملة خبر عن ذلك. قوله: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ﴾ الخ، ويصح أن يكون مبتدأ خبره قوله: ﴿كَزَرْعٍ﴾ وحينئذ فيوقف على قوله: ﴿فِي التَّوْرَاةِ﴾ ويكونان مثلين، وعليه مشى المفسر، ويصح أنه معطوف على ﴿مَثَلُهُمْ﴾ الأول، وحينئذ فيوقف على قوله: ﴿الإِنْجِيلِ﴾ ويكونان مثلاً واحداً في الكتابين، وقوله: ﴿كَزَرْعٍ﴾ خبر لمحذوف أي مثلهم كزرع الخ، وهو كلام مستأنف. قوله: **(بسكون الطاء وفتحها)** أي فهما قراءتان سبعيتان، والشطء أفراخ النخل، والزرع أوراقه. قوله: **(فراخه)** بكسر الفاء جمع فرخ كفرع، لفظاً ومعنى. قوله: **(بالمد)** أي وأصله أأزره بوزن أكرمه، قلبت الهمزة الثانية ألفاً للقاعدة المعلومة، وقوله: **(والقصر)** أي فهو من باب ضرب، وهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(غلظ)** أي فهو من باب استحجر الطير. قوله: ﴿عَلَى سُوقِهِ﴾ متعلق باستوى. قوله: ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ الجملة حالية، والمعنى حال كونه معجباً. قوله: **(فكثروا)** هو مأخوذ من قوله: ﴿أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ وقوله: ﴿فَآزَرَهُ﴾ مأخوذ من قوله: ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ وقوله: **(على أحسن الوجوه)** مأخوذ من قوله: ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾. قوله: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ تعليل لما دل عليه التشبيه كأنه قال: إنما قواهم وكثرهم ليغيظ الخ. قوله: **(لبيان)** أي لا للتبعيض كما زعمه بعضهم. قوله: **(لمن بعدهم)** أي كالتابعين وأتباعهم إلى يوم القيامة. قوله: (في آيات) متعلق بما تعلق به قوله: **(لمن بعدهم)** والمعنى: وهما ثابتان لمن بعد الصحابة في آيات كقوله تعالى ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله﴾.

. . . .

ـ خاتمة ـ قد جمعت هذه الآية، وهي قوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ إلى آخر السورة، جميع حروف المعجم، وفي ذلك بشارة تلويحية مع ما فيها من البشائر التصريحية، باجتماع أمرهم، وعلو نصرهم رضي الله عنهم، وحشرنا معهم، نحن ووالدينا ومحبينا وجميع المسلمين بمنه وكرمه. وهذا آخر القسم الأول من القرآن وهو المطول، وقد ختم كما ترى بسورتين هما في الحقيقة للنبي ﷺ، وحاصلهما: الفتح بالسيف والنصر على من قاتله ظاهراً، كما ختم القسم الثاني المفصل بسورتين هما نصره له ﷺ بالحال على من قصده بالضر باطناً، ومن أجل ذلك اتخذ العارفون هذه الآية، ورداً وحصناً منيعاً.

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الحُجُرَاتِ

مدنيّة

وآياتها ثماني عشرة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا﴾ من قدم بمعنى تقدم أي لا تتقدموا بقول ولا فعل ﴿بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ المبلغ عنه أي بغير إذنهما ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الحجرات مدنية

وهي ثمان عشرة آية

أي بالإجماع، وهذه أوائل السور المسماة بالمفصل، واختلف في تسميته بذلك، فقيل: لكثرة الفصل فيه بين السور، وقيل: لكون جميعه محكماً لا نسخ فيه، قوله: ﴿يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا﴾ ذكر هذه اللفظة في هذه السورة خمس مرات، اعتناء بشأن المؤمنين في الأوامر والنواهي، نظير خطابات لقمان لابنه في قوله: ﴿يا بني﴾ ولئلا يتوهم أن المخاطب ثانياً غير المخاطب أولاً، وذكر ﴿يا أيها الناس﴾ مرة خطاباً لما يعم المؤمن والكافر، لمناسبة ما يترتب عليه من قوله تعالى ﴿إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ وهذه السورة جمعت آداباً ظاهرية وباطنية، وأوامر ونواهي ظاهرية وباطنية، عامة وخاصة، فهي متضمنة طريقة الصوفية التي من تمسك بها وصل. قوله: **(من قدم بمعنى تقدم)** العامة على ضم التاء وفتح القاف وتشديد الدال مكسورة، وفيها وجهان أحدهما: إنه متعد حذف مفعوله اقتصاراً كقولهم: هو يعطي ويمنع، وكلوا واشربوا، والأصل لا تقدموا ما لا يصلح. والثاني: أنه لازم نحو وجه وتوجه، ويعضده قراءة ابن عباس والضحاك ﴿لاَ تَقَدَّمُوا﴾ بالفتح في الثلاثة، والأصل لا تتقدموا، فحذفت إحدى التاءين، وفي الآية استعارة تمثيلية، حيث شبه تجري الصحابة على الحكم، في أمر من أمور الدين، بغير إذن من الله ورسوله، بحالة من تقدم بين يدي متبوعه إذا سار في طريقه من غير إذن، فإنه في العادة مستهجن، ثم استعمل في جانب المشبه ما كان في جانب المشبه به من الألفاظ، والغرض التنفير من التجري بغير إذن الله ورسوله، ومثله قوله تعالى في حق الملائكة ﴿لا يسبقونه بالقول﴾ أصله لا يسبق قولهم قوله، فمدحهم بنفي السبق، تنبيهاً على استهجان السبق، أو المراد بين يدي رسول الله، وذكر لفظ الله تعظيماً للرسول، وإشعاراً بأنه من الله بمكان يوجب إجلاله، وعلى هذا فلا استعارة. قوله: **(بقول أو فعل)** مثال القول ما ذكره المفسر في سبب النزول أيضاً، من أنهم ذبحوا يوم النحر قبل رسول الله، فأمرهم أن يعيدوا الذبح. وقال: من ذبح قبل

﴿سَمِيعٌ﴾ لقولكم ﴿عَلِيمٌ ۝١﴾ بفعلكم، نزلت في مجادلة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما على النبي ﷺ في تأمير الأقرع بن حابس أو القعقاع بن معبد. ونزل فيمن رفع صوته عند النبي ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ﴾ إذا نطقتم ﴿فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ إذا نطق ﴿وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ إذا ناجيتموه ﴿كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ﴾ بل دون ذلك إجلالاً له ﴿أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢﴾ أي خشية ذلك بالرفع والجهر المذكورين، ونزل فيمن كان يخفض صوته

الصلاة، فإنما هو لحم عجله لأهله، ليس من النسك في شيء، وما ورد عن عائشة أنه في النهي عن صوم يوم الشك، أي لا تصوموا قبل أن يصوم نبيكم، وقال الضحاك: وهو عام في القتال وشرائع الدين، أي لا تقطعوا أمراً دون الله ورسوله، وهو الأولى.

قوله: ﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ﴾ أي في التقدم الذي نهاكم عنه. قوله: (على النبي) الأولى أن يقول عند النبي، ففي الحديث، أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ وطلبوا أن يؤمر عليهم واحداً منهم، فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد، وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، وقال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا أي تخاصما، حتى ارتفعت أصواتهما، فنزلت تلك الآيات الخمس إلى قوله﴿غفور رحيم﴾ ومعنى قول عمر: ما أردت خلافك، أي ما أردت مخالفتك تعنتاً، وإنما أردت أن تولية الأقرع أصلح بهم، ولم يظهر لك ذلك. قوله: ﴿ونزل فيمن رفع صوته﴾الخ، كأبي بكر وعمر في القصة المذكورة، كما أن قوله: (ونزل فيمن كان يخفض صوته عند النبي) أي كأبي بكر وعمر، حين بلغهما النهي عن رفع الصوت، فصارا يخفضان صوتهما عند النبي، كما أن قوله: (ونزل في) الخ، هم بنو تميم الذين تكلم في شأنهم أبو بكر وعمر، فتلخص أنه لما اختلف أبو بكر وعمر في تأمير الأمير على الوفد المذكور، ولم يصبرا حتى يكون رسول الله هو الذي يشير بذلك، نزل قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الآية، ولما رفعا أصواتهما في تلك القضية، نزل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ الآية، ولما خفضا أصواتهما بعد ذلك نزل ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ﴾ الآية، ولما نادى الركب المذكور النبي ﷺ من وراء الحجرات نزل ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ ٱلْحُجُرَاتِ﴾ الآيتين. قوله: (إذا نطقتم) أي تكلمتم، وقوله: (إذا نطق) أي تكلم.

قوله: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾ لما كانت هذه الجملة كالمكررة مع ما قبلها، مع أن العطف يأباه، أشار المفسر إلى أن المراد بالأول، إذا نطق ونطقتم، فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم حداً يبلغه صوته، بل يكون كلامكم دون كلامه، والمراد بالثاني أنكم إذا كلمتموه وهو صامت، فلا ترفعوا أصواتكم، كما ترفعونها فيما بينكم. قوله: (ناجيتموه) أي كلمتموه وهو صامت. قوله: (بل دون ذلك) راجع لكل من النهيين، أي بل اجعلوا أصواتكم دون صوته، ودون جهر بعضكم لبعض، وقوله: (إجلالاً له) تعليل لما تضمنه قوله: (بل دون ذلك).

قوله: ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾ أي يبطل ثوابها، وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ أي بحبوطها. قوله: (أي خشية ذلك) أشار إلى ﴿أَنْ تَحْبَطَ﴾ على حذف مضاف، أي خشية الحبوط، والخشية منهم وقد تنازعه، لا ترفعوا ولا تجهروا، فيكون مفعولاً لأجله، والعامل فيه الثاني أو الأول. قوله: (بالرفع والجهر)

عند النبي ﷺ كأبي بكر وعمر وغيرهما رضي الله عنهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ﴾ اختبر ﴿ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ أي لتظهر منهم ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٌ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾﴾ الجنة، ونزل في قوم جاؤوا وقت الظهر والنبي ﷺ في منزله فنادوه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ

الباء سببية متعلقة باسم الإشارة، لأنه واقع على الحبوط، فكأنه قال: أي خشية الحبوط بسبب الرفع والجهر، لأن في الرفع والجهر استخفافاً بجانبه، فيؤدي إلى الكفر المحبط، وذلك إذا انضم له قصد الإهانة وعدم المبالاة. روي أنه لما نزلت هذه الآية، قعد ثابت في الطريق يبكي، فمر به ابن عدي فقال: ما يبكيك يا ثابت؟ قال: هذه الآية أتخوف أن تكون نزلت في، وأنا رفيع الصوت على النبي ﷺ، أخاف أن يحبط عملي، وأن أكون من أهل النار، فمضى عاصم إلى رسول الله ﷺ وغلب ثابتاً البكاء، فأتى امرأته جميلة بنت عبدالله بن أبي ابن سلول فقال لها: إذا دخلت بيت فرشي، فسدي علي الضبة بمسمار، فضربته بمسمار، فأتى عاصم رسول الله ﷺ فأخبره خبره قال: اذهب فادعه لي، فجاء عاصم إلى المكان الذي رآه فيه فلم يجده، فجاء إلى أهله فوجده في بيت الفرش فقال له: إن رسول الله ﷺ يدعوك، فقال: اكسر الضبة، فأتيا رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: ما يبكيك؟ فقال: أنا صيّت، وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت فيّ، فقال رسول الله ﷺ: أما ترضى أن تعيش حميداً، وتقتل شهيداً، وتدخل الجنة؟ فقال: رضيت ببشرى الله ورسوله، لا أرفع صوتي على رسول الله ﷺ أبداً، فأنزل الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ﴾ الآية، قال أنس: فكنا ننظر إلى رجل من أهل الجنة يمشي بين أيدينا، فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة، رأى ثابت من المسلمين بعض انكسار، وانهزمت طائفة منهم، قال: أف لهؤلاء، ثم قال ثابت لسالم مولى حذيفة: ما كنا نقاتل أعداء الله مع رسول الله ﷺ مثل هذا، ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلا، واستشهد ثابت وعليه درع، فرآه رجل من الصحابة بعد موته في المنام وأنه قال له: اعلم أن فلاناً رجل من المسلمين، نزع درعي فذهب بها، وهي في ناحية من العسكر، عند فرس يستن في طيله، وقد وضع على درعي برمة، فائت خالد بن الوليد فأخبره حتى يسترد درعي، وائت أبا بكر خليفة رسول الله ﷺ قل له: إن علي ديناً حتى يقضي عني، وفلان من رقيقي عتيق، فأخبر الرجل خالداً، فوجد الدرع والفرس على ما وصفه، فاسترد الدرع، وأخبر خالد أبا بكر بتلك الرؤيا، فأجاز أبو بكر وصيته، قال مالك بن أنس: لا أعلم وصية أجيزت بعد موت صاحبها إلا هذه. قوله: **(فيمن كان يخفض صوته)** أي مخافة من مخالفة النهي السابق، وإجلالاً وتعظيماً. قوله: **(كأبي بكر وعمر)** الخ، أي فكان الجميع يخفضون أصواتهم عند رسول الله، إجلالاً له وتعظيماً.

قوله: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ**﴾ الخ، اسم الإشارة مبتدأ، والموصول بعد خبره، والجملة خبر ﴿**إِنَّ**﴾ وجملة ﴿**لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾ مستأنفة لبيان ما أعد لهم. قوله: ﴿**ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ**﴾ الامتحان افتعال، من محنت الأديم محناً أوسعته، ومعنى ﴿**ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوى**﴾ وسعها. قوله: **(أي لتظهر منهم)** أي فإنها لا تظهر، إلا بالاصطبار على أنواع المحن والتكاليف الشاقة، فالاختبار سبب لظهور التقوى، لا سبب للتقوى نفسها، فهو من إطلاق السبب على المسبب، أي فالاختبار يظهر ما كان كامناً في النفس من التقوى، كما أن سماع الألحان، يظهر ما كان كامناً في النفس من الحب فتدبر. قوله: **(ونزل في قوم)** أي وهم وفد بني تميم.

﴿مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ حجرات نسائه ﷺ جمع حجرة وهي ما يحجر عليه من الأرض بحائط ونحوه، كأن كل واحد منهم نادى خلف حجرة، لأنهم لم يعلموه في أي حجرة، ومناداة الأعراب بغلظة وجفاء ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ۝٤ فيما فعلوه محلك الرفيع وما يناسبه من التعظيم ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾ أنهم في محل رفع بالابتداء، وقيل: فاعل بفعل مقدر أي ثبت ﴿حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ۝٥ لمن تاب منهم ونزل في الوليد بن عقبة، وقد بعثه النبي ﷺ إلى بني

قوله: ﴿مِنْ وَرَاءِ ٱلْحُجُرَاتِ﴾ أي من خارجها، خلفها أو قدامها، لأن ﴿وَرَاءِ﴾ من الأضداد تكون بمعنى خلف، وبمعنى قدام، قال مجاهد وغيره: نزلت في أعراب بني تميم، قدم وفد منهم على النبي ﷺ فدخلوا المسجد ونادوا النبي ﷺ من وراء الحجرات، أن أخرج الينا، فإن مدحنا زين، وذمنا شين، وكانوا سبعين رجلاً، قدموا لفداء ذراري لهم، وكان النبي ﷺ نائماً للقائلة، وسئل ﷺ فقال: هم جفاة بني تميم، لولا أنهم من أشد الناس قتالاً للأعور الدجال، لدعوت الله عليهم أن يهلكهم، وقيل: كانوا جاؤوا شفعاء في أسارى بني عنبر، فأعتق رسول الله ﷺ نصفهم، وفادى نصفهم، ولو صبروا لأعتق جميعهم بغير فداء. قوله: **(وهي ما يحجر عليه)** أي يحوط عليه للمنع من الدخول. قوله: **(كأن كل واحد منهم)** الخ، أتى بصيغة لا جزم فيها، لأن المقام مقام احتمال، وذلك لأن مناداتهم، يحتمل أن تكون كما قال المفسر، أو الكل وقفوا على كل حجرة ونادوه منها. قوله: **(مناداة الأعراب)** معمول لينادونك.

قوله: ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ المراد بالأكثر الكل، لأن العرب قد تعبر بالأكثر وتريد الكل. قوله: **(محلك الرفيع)** معمول ليعقلون، وفي نسخة بمحلك، فيكون معمولا لفعلوه، فالمحل على الأول المكانة والرتبة، وعلى الثاني الدار المحسوسة، ومعنى الرفيع على الأول العلي القدر، وعلى الثاني المحفوظ من إساءة الأدب لحلولك فيه، فإن الظرف يعظم بالمظروف، قال الشاعر:

وما حب الديار شغفن قلبي ... ولكن حب من سكن الديارا

قوله: **(أنهم في محل رفع بالابتداء)** هو قول سيبويه، ولا يحتاج إلى خبر، لاشتمال صلتها على المسند والمسند إليه، وقيل: الخبر محذوف وجوباً لوقوعه بعد ﴿لَوْ﴾. قوله: **(أي ثبت)** بيان للفعل المقدر، والمعنى ثبت صبرهم وانتظارهم، وهذا قول المبرد والزجاج والكوفيين، ورجح بأن فيه إبقاء له على الاختصاص بالفعل. قوله: ﴿لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ﴾ أي لكان الصبر خيراً لهم من الاستعجال، لما فيه من حفظ الأدب وتعظيم الرسول، الموجبين للثناء والثواب، قال العارفون: الأدب عند الأكابر، يبلغ بصاحبه إلى الدرجات العلى، وسعادة الدنيا والآخرة. قوله: **(ونزل في الوليد بن عقبة)** بن أبي معيط، أخو عثمان بن عفان لأمه، وذلك أن رسول الله ﷺ بعثه إلى بني المصطلق بعد الوقعة معهم، والياً يجبي الزكاة، وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية، فلما سمع به القوم تلقوه تعظيماً لأمر رسول الله، فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله، فهابهم، فرجع من الطريق إلى رسول الله ﷺ وقال: إنهم منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي، فغضب رسول الله ﷺ وهم أن يغزوهم، فبلغ القوم رجوعه، فأتوا إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، سمعنا برسولك، فخرجنا نتلقاه ونكرمه، ونؤدي إليه ما قبلنا من حق الله، فبدا له الرجوع، فخشينا أنه إنما رده من الطريق كتاب جاءه منك، لغضب غضبته علينا، وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله،

المصطلق مصدقاً فخافهم لترة كانت بينه وبينهم في الجاهلية، فرجع وقال: إنهم منعوا الصدقة وهموا بقتله، فهمَّ النبي ﷺ بغزوهم، فجاؤوا منكرين ما قاله عنهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ﴾ خبر ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ صدقه من كذبه، وفي قراءة فتثبتوا من الثبات ﴿أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا﴾ مفعول له أي خشية ذلك ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾ حال من الفاعل أي جاهل ﴿فَتُصْبِحُواْ﴾ تصيروا ﴿عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ﴾ من الخطأ بالقوم ﴿نَٰدِمِينَ ٦﴾ وأرسل ﷺ إليهم بعد عودهم إلى بلادهم خالداً، فلم ير فيهم إلا الطاعة والخير، فأخبر النبي بذلك ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ فلا تقولوا الباطل، فإن الله يخبره بالحال ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ الذي تخبرون به على خلاف الواقع فيرتب على ذلك مقتضاه ﴿لَعَنِتُّمْ﴾ لأثمتم دونه إثم التسبب إلى المرتب ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ﴾ حسنه ﴿فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ استدراك من حيث المعنى دون اللفظ، لأن من حبب إليه الإيمان الخ، غايرت صفته صفة من تقدم ذكره

فاتهمهم رسول الله، وبعث خالد بن الوليد في عسكره خفية، وأمره أن يخفي عليهم قدومه وقال: انظر، فإن رأيت منهم ما يدل على إيمانهم، فخذ منهم زكاة أموالهم، وإن لم تر ذلك، فافعل فيهم ما تفعل في الكفار، ففعل ذلك خالد، ووافاهم عند الغروب، فسمع منهم أذان صلاة المغرب والعشاء، ووجدهم مجتهدين في امتثال أمر الله، فأخذ منهم صدقات أموالهم، ولم ير منهم إلا الطاعة والخير، وانصرف إلى رسول الله وأخبره الخبر، فنزلت الآية، واستشكل بأن الوليد صحابي جليل، ولا يليق إطلاق لفظ الفاسق عليه، فإن المراد به الكافر، قال تعالى: ﴿ففسق عن أمر ربه﴾ ﴿وأما الذين فسقوا فمأواهم النار﴾ إلى غير ذلك. وأجيب: بأن الذي وقع من الوليد توهم وظن، فترتب عليه الخطأ، وإنما سماه الله فسقاً، تنفيراً عن هذا الفعل، وزجراً عليه، ويؤخذ من الآية حرمة النميمة، وتعظيم كيفية ردها على صاحبها. قوله: **(مصدقاً)** بتخفيف الصاد، أي يأخذ الصدقات. قوله: **(لترة)** بكسر التاء وفتح الراء، أي عداوة.

قوله: **﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ﴾** المقصود من الآية أي نمام، فإن النمام فاسق، وليس المقصود عين الوليد، فإنه ليس بفاسق، بل هو صحابي جليل، وإن كان سبب النزول واقعته. قوله: **﴿أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً﴾** أي بالقتل والسبي. قوله: **﴿نَادِمِينَ﴾** أي مغتمين لما وقع منكم. قوله: **﴿وَٱعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللهِ﴾** أي فلا تكذبوا عليه، فإن الله يعلمه ببواطنكم فتفتضحوا. قوله: **﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ﴾** الخ، حال من الضمير المجرور في **﴿فِيكُمْ﴾** والمعنى: أنه فيكم كائناً على حالة منكم يجب تغييرها، وهي أنكم تودون أن يتبعكم في كثير من الحوادث، ولو فعل ذلك لوقعتم في الجهل، لكن عصمه الله رحمة بكم. قوله: **(لأثمتم دونه)** أي فلا يأثم لعذره، وقوله: **(إثم التسبب)** أي لا إثم الفعل، لأنكم لم تفعلوا، قوله: **(إلى المرتب)** أي الذي يرتبه النبي ﷺ على أخباركم ويفعله، كقتال بني المصطلق.

قوله: **﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ﴾** أي الكامل، وهو التصديق بالجنان، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان، وإذا حبب إليهم الإيمان، الجامع للخصال الثلاث، لزم كراهتهم لأضدادها، فلذلك قال: **﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ ٱلْكُفْرَ﴾** الذي هو مقابله التصديق بالجنان، والفسوق الذي هو مقابله الإقرار باللسان، والعصيان الذي هو مقابله العمل بالأركان. قوله: **(استدراك من حيث المعنى)** الخ، أشار بذلك لدفع ما

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ﴾ فيه التفات عن الخطاب ﴿الرَّاشِدُونَ﴾ ﴿٧﴾ الثابتون على دينهم ﴿فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ﴾ مصدر منصوب بفعله المقدر أي أفضل ﴿وَنِعْمَةً﴾ منه ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بهم ﴿حَكِيمٌ﴾ ﴿٨﴾ في إنعامه عليهم ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية، نزلت في قضية هي أن النبي ﷺ ركب حماراً ومرَّ على ابن أبيّ فبال الحمار، فسد ابن أبيّ أنفه، فقال ابن رواحة: والله لبول حماره أطيب من مسكك، فكان بين قوميهما ضرب بالأيدي والنعال والسعف ﴿اقْتَتَلُوا﴾ جمع نظراً إلى المعنى، لأن كل طائفة جماعة، وقرىء اقتتلتا ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ ثني نظراً إلى اللفظ ﴿فَإِن بَغَتْ﴾ تعدت ﴿إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ﴾ ترجع ﴿إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ الحق ﴿فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾ بالإنصاف ﴿وَأَقْسِطُوا﴾ اعدلوا ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ﴿٩﴾ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ في

قيل إن، لكن يشترط أن يكون ما بعدها مخالفاً لما قبلها، نفياً وإثباتاً، وتوضيح الجواب: أن الذين حبب إليهم الإيمان، قد غايرت صفتهم صفة المتقدم ذكرهم، فإن ما قيل: لكن يوهم أنهم على غير استقامة مع الله ومع رسوله، فهو استدراك بحسب المعنى. قوله: **(مصدر منصوب)** الخ، فيه مسامحة، إذ هو اسم مصدر، والمصدر إفضال، ويصح أن يكون مفعولاً لأجله عامله حبب، وما بينهما اعتراض، وفي هذه الآية تنبيه على أن السعادة العظمى، محبة الله ورسوله، وكراهة أهل الكفر والفسوق. قوله: **(هي أن النبي ﷺ ركب حماراً)** الخ ،ذكر القصة مختصرة،ورواها الشيخان بطولها وحاصلها :أنه روي عن أسامة بن زيد،أنه ﷺ ركب على حمار عليه إكاف، تحته قطيفة فدكية، وأردف أسامة بن زيد وراءه، يعود سعد بن عبادة في بني الحرث بن الخزرج قبل وقعة بدر، قال: فسار النبي ﷺ حتى مر على مجلس فيه عبدالله بن أبي ابن سلول، وذلك قبل أن يسلم عبدالله بن أبي، وإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، وفي المسلمين عبدالله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة، خمر عبدالله بن أبي أنفه بردائه ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلم رسول الله ﷺ ثم وقف فنزل، فدعاهم إلى الله تعالى، وقرأ عليهم القرآن، فقال عبدالله بن أبي ابن سلول: أيها المرء، إنه لا أحسن مما تقول، أي لا شيء أحسن منه إن كان حقاً، فلا تؤذنا به في مجالسنا وارجع إلى رحلك، فمن جاء فاقصص عليه، فقال عبدالله بن رواحة: بلى يا رسول الله، فاغشنا به في مجالسنا، فإنا نحب ذلك، فما لبث المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتحاربون، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حتى سكتوا. اهـ. قوله: **(ومر على ابن أبي)** أي وكان من الخزرج، وقوله: **(فقال ابن رواحة)** أي وكان من الأوس. قوله: **(وسد ابن أبي أنفه)** أي وقال: إليك عني، والله لقد آذاني نتن حمارك. قوله: **(فكان بين قوميهما)** أي وهما الأوس والخزرج. قوله: **(والسعف)** أي وهو جريدة النخل، إذا كان عليه الخوص، فإن جرد منه قيل له عسيب. قوله: **(وقرىء)** أي شذوذاً.

قوله: **﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا﴾** أي أبت النصيحة والإجابة إلى حكم الله. قوله: **﴿حَتَّى تَفِيءَ﴾** **﴿حَتَّى﴾** هنا للغاية، والنصب بأن المضمرة بعدها، أي إلى أن ترجع الخ. قوله: **﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾** أي بالنصح والدعاء إلى حكم الله. قوله: **(بالإنصاف)** أي فلا تجوروا على إحدى الطائفتين، بل احكموا بينهما بالإنصاف. قوله: **(اعدلوا)** أشار به إلى أن أقسط معناه عدل، فهمزته للسلب، بخلاف

الدين ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ إذا تنازعا وقرىء إخوتكم بالفوقانية ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ﴿١٠﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ﴾ الآية، نزلت في وفد تميم حين سخروا من فقراء المسلمين، كعمار وصهيب، والسخرية الازدراء والاحتقار ﴿قَوْمٌ﴾ أي رجال منكم ﴿مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ عند الله ﴿وَلَا نِسَآءٌ﴾ منكم ﴿مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا

قسط، فمعناه جار، قال تعالى ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً﴾. قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ كالتعليل لما قبله. قوله: ﴿إِخْوَةٌ﴾ **(في الدين)** أي من حيث إنهم ينتسبون إلى أصل واحد وهو الإيمان.

قوله: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ خص الاثنين بالذكر، لأنهما أقل من يقع بينهما النزاع، فإذا ألزمت المصالحة بين الأقل، كانت بين الأكثر أولى. قوله: **(وقرىء)** أي شذوذاً، وهذه القراءة تدل على أن قراءة التثنية معناها الجماعة. قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي على تقواكم، وفي هذا الترجي إطماع من الكريم الرحيم.

قوله: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ﴾ الخ، يقال: سخر منه سخراً، من باب تعب، والاسم السخرية بضم السين وكسرها، والسخرة بوزن غرفة، ما سخرته من خادم أو دابة بلا أجرة أو ثمن. قوله: **(سخروا من فقراء المسلمين)** أي لما رأوا من رثاثة حالهم وتقشفهم، وهذا كان في أول إسلامهم قبل تمكنهم منه، وإلا فقد صاروا بعد ذلك إخواناً متحابين في الله. قوله: **(كعمار)** الخ، أي وهم أهل الصفة، الذين قال الله فيهم ﴿للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله﴾ الآية. قوله: **(أي رجال منكم)** أشار بذلك إلى أن القوم اسم جمع، بمعنى الرجال خاصة، واحده في المعنى رجل، وقيل: جمع لا واحد له، من لفظه يدل على تخصيصه بالرجال، مقابلته بقوله: ﴿وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ﴾ وهذا هو الموافق لأصل اللغة، قال الشاعر:

وما أدري ولست أخال أدري أقوم آل حصن أم نساء

وأما قوله تعالى ﴿كذبت قبلهم قوم نوح﴾ونحوه، فالمراد ما يشمل النساء، لكن بطريق التبع، لأن قوم كل نبي رجال ونساء، وسمي الرجال قوماً، لأنهم قوامون على النساء. قوله: **(منكم)** قيد به قوم المرفوع، وتركه في المجرور، ويصح تقييده بكل، ويقال نظيره في قوله: ﴿ولا نِسَاءٌ﴾ الخ. قوله: ﴿عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ﴾ الجملة مستأنفة لبيان العلة الموجبة للنهي، ولا خبر لعسى، لأنه يغني عنه فاعلها، والمعنى: لا يحتقر أحدا أحداً، فلعل من يحتقر، يكون عند الله أعلى وأجل ممن احتقره، وبالجملة فينبغي للإنسان أن لا يسخر بأخيه في الدين، بل ولا بأحد من خلق الله، فلعله يكون أخلص ضميراً، وأتقى قلباً ممن سخر به، ولقد بلغ بالسلف الصالح هذا الأمر، حتى قال بعضهم: لو رأيت رجلاً يرضع عنزاً فضحكت منه، لخشيت أن أصنع مثل ما صنع، وقال عبدالله بن مسعود: البلاء موكل بالقول، لو سخرت من كلب، لخشيت أن أحول كلباً. قوله: ﴿وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ﴾ قال أنس: نزلت في صفية بنت حيي، بلغها أن حفصة قالت: بنت يهودي فبكت، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي فقال: ما يبكيك؟ قالت: قالت لي حفصة إني بنت يهودي، فقال النبي ﷺ: إنك لابنة نبي، وعمك نبي، وإنك لتحت نبي، ففيم تفتخر عليك؟ ثم قال: اتقي الله يا حفصة. وذكر النساء لمزيد الإيضاح والتبيين، ولدفع توهم

تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ لا تعيبوا فتعابوا، أي لا يعب بعضكم بعضاً ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾ لا يدعُ بعضكم بعضاً بلقب يكرهه، ومنه يا فاسق يا كافر ﴿بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ﴾ أي المذكور من السخرية واللمز والتنابز ﴿ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾ بدل من الاسم، لإفادة أنه فسق لتكرره عادة ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ﴾ من ذلك ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾ أي مؤثم وهو كثير، كظن السوء بأهل الخير من المؤمنين وهم كثير بخلافه

أن هذا النهي خاص بالرجال. قوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ اللمز في الأصل الإشارة بالعين ونحوها. قوله: (ولا تعيبوا فتعابوا) أشار بذلك إلى توجيه قوله: ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ وذلك لأن الإنسان إذا عاب غيره، عابه ذلك الغير، فقد عاب الشخص نفسه بتسببه. قوله: (أي لا يعب بعضكم بعضاً) هذا توجيه آخر، فكان الأولى للمفسر أن يأتي بأو، والمعنى: أن المؤمنين كشخص واحد، فمن عاب غيره، كأنه عاب نفسه، ومن هذا المعنى قول العارف:

إذا شئت أن تحيا سعيداً من الردى ... وحظك موفور وعرضك صين
لسانك لا تذكر به عورة امرىء ... فكلك عورات وللناس ألسن
وعينك إن أبدت إليك معايباً ... فدعها وقل يا عين للناس أعين
فعاشر بمعروف وسامح من اعتدى ... وفارق ولكن بالتي هي أحسن

قوله: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ النبز بفتح الباء اللقب مطلقاً، حسناً أو قبيحاً، ثم صار مخصوصاً بما يكرهه الشخص، وسبب نزول هذه الآية كما قال جبيرة بن الضحاك الأنصاري: قدم علينا رسول الله ﷺ وليس منا رجل إلا له اسمان أو ثلاثة، فجعل رسول الله ﷺ يقول: يا فلان، فيقولون: مه يا رسول الله، إنه يغضب من هذا الاسم، فأنزل الله هذه الآية، ومن ذلك الشتم كقولك لأخيك: يا كلب يا حمار ونحو ذلك، والمراد بهذه الألقاب ما يكرهه المخاطب، وأما الألقاب التي صارت كالأعلام لأصحابها، كالأعمش والأعرج، وما أشبه ذلك، فلا بأس بها، إذا لم يكرهه المدعو بها، وأما الألقاب التي تشعر بالمدح فلا تكره، كما قيل لأبي بكر: عتيق، ولعمر فاروق، ولعثمان: ذو النورين، ولعلي: أبو تراب، ولخالد: سيف الله، ونحو ذلك. قوله: ﴿بِئْسَ الاسْمُ﴾ ﴿بِئْسَ﴾ فعل ماض، والاسم فاعل، وقوله: ﴿ٱلْفُسُوقُ﴾ بدل من الاسم كما قال المفسر، وعليه فالمخصوص بالذم محذوف تقديره هو، والأوضح إعرابه مخصوصاً بالذم، والمراد بالاسم الذكر المرتفع. قوله: ﴿ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ﴾ أي الاتصاف بالفسوق، بعد الاتصاف بالإيمان، والمراد بالفسوق: الخروج عن الطاعة. قوله: (لإفادة أنه) أي ما ذكر من السخرية، الخ. قوله: (لتكرره عادة) أي إنه وإن كان المذكور صغيرة لا يفسق بها، لكنه في العادة يتكرر، فيصير كبيرة يفسق بها. قوله: ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ﴾ أي الضارون لأنفسهم بمعاصيهم ومخالفاتهم، ففي هذه الآيات وصف المؤمنين بالفسق والظلم، وإن كان في غالب الآيات، إطلاق الفسق والظلم على أهل الكفر. قوله: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ ٱلظَّنِّ﴾ قيل: نزلت في رجلين اغتابا رفيقهما، وذلك أن رسول الله ﷺ كان إذا غزا أو سافر، ضم الرجل المحتاج إلى رجلين موسرين، يخدمهما ويتقدمهما إلى المنزل، فيهيىء لهما ما يصلحهما من الطعام والشراب، فضم سلمان إلى

بالفساق منهم فلا إثم فيه في نحو ما يظهر منهم ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ حذف منه إحدى التاءين، لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم بالبحث عنها ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ لا يذكره بشيء

رجلين في بعض أسفاره، فتقدم سلمان إلى المنزل، فغلبته عيناه فنام، ولم يهيىء لهما شيئاً، فلما قدما قالا له: ما صنعت شيئاً؟ قال: لا، غلبتني عيناي، قالا له: انطلق إلى رسول الله فاطلب لنا منه طعاماً، فجاء سلمان إلى رسول الله ﷺ فسأله طعاماً، فقال رسول الله: انطلق إلى أسامة بن زيد وقل له: إن كان عنده فضل طعام وإدام فليعطك، وكان إسامة خازن طعام رسول الله ﷺ وعلى رحله، فأتاه فقال: ما عندي شيء، فرجع سلمان إليهما فأخبرهما فقالا: كان عند أسامة ولكن بخل، فبعثا سلمان إلى طائفة من الصحابة، فلم يجد عندهم شيئاً، فلما رجع قالوا: لو بعثناك إلى بئر سمحة لغار ماؤها، ثم انطلقا يتجسسان، هل عند أسامة ما أمر لهما به رسول الله، فلما جاءا إلى رسول الله قال لهما: ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما؟ قال: والله يا رسول الله، ما تناولنا يومنا هذا لحماً، قال: ظلمتما بأكل لحم سلمان وأسامة، فنزلت الآية، والمعنى: أن الله تعالى نهى المؤمن أن يظن بأخيه المؤمن شراً، كأن يسمع من أخيه المسلم كلاماً لا يريد به سوءاً، أو يدخل مدخلاً لا يريد به سوءاً، فيراه أخوه المسلم فيظن به سوءاً، لأن بعض الفعل قد يكون في الصورة قبيحاً، وفي نفس الأمر لا يكون كذلك، لجواز أن يكون فاعله ساهياً، ويكون الرائي مخطئاً، فأما أهل السوء والفسق المتجاهرين بذلك، فلنا أن نظن فيهم مثل الذي يظهر منهم.

قوله: ﴿كَثِيراً مِنَ ٱلظَّنِّ﴾ أبهم الكثير إشارة إلى أنه ينبغي الاحتياط والتأمل في كل ظن، خوف أن يقع في منهي عنه، قال سفيان الثوري: الظن ظنان: أحدهما إثم، وهو أن يظن ويتكلم به، والآخرة ليس بإثم، وهو أن يظن ولا يتكلم به. قوله: **(وهو)** أي بعض الظن كثير، وقوله: **(وهم)** أي أهل الخير. قوله: **(بخلافه بالفساق منهم)** أي المؤمنين، وقوله: **(في نحو ما يظهر منهم)** أي نحو المعاصي التي تظهر منهم، بأن يتجاهروا بها.

قوله: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ العامة على قراءته بالجيم، وقرىء شذوذاً بالحاء، واختلف فقيل معناهما واحد، وقيل التجسس بالجيم البحث عما يكتم عنك، والتحسس بالحاء طلب الأخبار والبحث عنها، والمعنى: خذوا ما ظهر، ولا تتبعوا عورات المسلمين، فإن من تتبع عوراتهم، تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته. قوله: ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً﴾ اعلم أن الغيبة ثلاثة أوجه في كتاب الله تعالى: الغيبة والإفك والبهتان، فأما الغيبة فهي أن تقول في أخيك ما هو فيه، وأما الإفك فهو أن تقول فيه ما بلغك عنه، وأما البهتان فهو أن تقول فيه ما ليس فيه، وقيل: إن كلا يطلق على كل وهو المشهور.

ـ واعلم ـ أن هذه الأمور المتقدم ذكرها كبائر تحتاج لتوبة، وهل تفتقر لاستحلال المغتاب ونحوه أو لا؟ فقال جماعة: ليس عليه الاستحلال، بل يكفيه التوبة بينه وبين الله، لأن المظلمة ما تكون في النفس والمال، ولم يأخذ من ماله ولا أصاب من بدنه ما ينقصه، وقال جماعة: يجب عليه أن يستغفر لصاحبها، لما ورد عن الحسن: كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته، وقال جماعة: عليه الاستحلال منها ولو اجمالاً، ويستثنى من الغيبة المحرمة سبعة أمور نظمها بعضهم بقوله:

يكرهه وإن كان فيه ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ بالتخفيف والتشديد، أي لا يحسن به لا ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ أي فاغتيابه في حياته كأكل لحمه بعد مماته، وقد عرض عليكم الثاني فكرهتموه فاكرهوا الأول ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي عقابه في الاغتياب بأن تتوبوا منه ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ قابل توبة التائبين ﴿رَحِيمٌ﴾ ﴿١٢﴾ بهم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ آدم وحواء ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا﴾ جمع شعب بفتح الشين، هو أعلى طبقات النسب ﴿وَقَبَائِلَ﴾ هي دون

تظلم واستغث واستفت حذر وعرف بدعة فسق المجاهر

قوله: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ﴾ الخ، تمثيل لما يناله المغتاب من عرض من اغتابه على أقبح وجه، وإنما مثله بهذا، لأن أكل لحم الميت حرام في الدين، وقبيح في النفوس. قوله: (**بالتخفيف والتشديد**) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (**لا يحسن به**) تفسير لميتاً، وقوله: (**لا**) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري. قوله: ﴿**فَكَرِهْتُمُوهُ**﴾ الضمير عائد على الأكل المفهوم من ﴿يَأْكُلَ﴾. قوله: (**أي فاغتيابه في حياته**) الخ، في هذا التمثيل اشارة إلى أن عرض الإنسان كلحمه ودمه، لأن الإنسان يتألم قلبه من قرض عرضه، كما يتألم جسمه من قطع لحمه، فإذا لم يحسن من العاقل أكل لحوم الإنسان، لم يحسن منه قرض عرضه بالأولى. قوله: (**قابل توبة التائبين**) يشير به إلى أن المبالغة في تواب، للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده، لأنه ما من ذنب إلا ويعفو الله عنه بالتوبة إذا استوفيت شروطها. واعلم أنه تعالى ختم الآيتين بذكر التوبة فقال ﴿**وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ وقال هنا ﴿**إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ**﴾ لكن لما كان الابتداء في الآية الأولى بالنهي في قوله: ﴿**لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ**﴾ ذكر النفي الذي هو قريب من النهي، وفي الثانية كان الابتداء بالأمر في قوله: ﴿**اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ**﴾ ذكر الاثبات الذي هو قريب من الأمر تأمل.

قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى**﴾ اختلف في سبب نزول هذه الآية، فقال ابن عباس: لما كان يوم فتح مكة، أمر رسول الله ﷺ بلالاً حتى علا ظهر الكعبة فأذن، فقال عتاب بن أسيد بن أبي الفيض: الحمد لله الذي قبض أبي حتى لا يرى هذا اليوم، وقال الحرث بن هشام: ما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذناً، وقال سهل بن عمرو: وإن يرد الله شيئاً يغيره، وقال أبو سفيان: أنا لا أقول شيئاً أخاف أن يخبره رب السماوات، فأتى جبريل النبي ﷺ وأخبره بما قالوا، فدعاهم وسألهم عما قالوا فأقروا، فأنزل الله تعالى هذه الآية، زجراً لهم عن التفاخر بالأنساب، والتكاثر بالأموال، والازدراء بالفقراء، وأن المدار على التقوى، لأن الجميع من آدم وحواء، وإنما الفضل بالتقوى، وقيل: نزلت في أبي هند، حين أمر رسول الله ﷺ بني بياضة أن يزوجوه امرأة منهم، فقالوا لرسول الله: نزوج بناتنا موالينا؟ وقيل: نزلت في قيس بن ثابت حين قال له رجل: افسح لي، فقال: إن ابن فلانة يقول: افسح لي، كناية عن استخفافه به، فقال رسول الله ﷺ: من الذاكر فلانة؟ قال ثابت: أنا يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: انظر في وجوه القوم، فنظر فقال له النبي ﷺ: ما رأيت؟ قال ثابت: رأيت أبيض وأسود وأحمر، فقال: إنك لا تفضلهم إلا بالتقوى، ونزل فيه أيضاً قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس﴾ الآية. قوله: (**آدم وحواء**) لف ونشر مرتب. قوله: (**هو أعلى طبقات النسب**) أي فالشعوب

الشعوب وبعدها العمائر ثم البطون ثم الأفخاذ ثم الفصائل آخرها مثاله خزيمة شعب كنانة قبيلة قريش عمارة بكسر العين قصي بطن هاشم فخذ العباس فصيلة ﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ حذف منه إحدى التاءين ليعرف بعضكم بعضاً لا لتفاخروا بعلو النسب، وإنما الفخر بالتقوى ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بكم ﴿خَبِيرٞ ١٣﴾ ببواطنكم ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ﴾ نفر من بني أسد ﴿ءَامَنَّاۖ﴾ صدقنا بقلوبنا ﴿قُل﴾ لهم ﴿لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ انقدنا ظاهراً ﴿وَلَمَّا﴾ أي لم ﴿يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾ إلى الآن لكنه يتوقع منكم ﴿وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بالإيمان وغيره ﴿لَا يَلِتۡكُم﴾ بالهمز وتركه وبإبداله ألفاً لا ينقصكم ﴿مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ﴾ أي من ثوابها ﴿شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ

رؤوس القبائل، وسمي شعباً لتشعب القبائل منه. قوله: **(ثم الفصائل آخرها)** أي فالمراتب ست، وزاد بعضهم سابعة وهي العشيرة، وكل واحدة تدخل فيما قبلها، فالقبائل تحت الشعوب، والعمائر تحت القبائل؛ والبطون تحت العمائر، والأفخاذ تحت البطون، والفصائل تحت الأفخاذ، والعشائر تحت الفصائل. قوله: **(بكسر العين)** أي وفتحها، ففيها لغتان، لكن الأفصح الفتح. قوله: **(ليعرف بعضكم بعضاً)** أي فتصلوا أرحامكم وتنتسبوا لآبائكم. قوله: **(وإنما الفخر بالتقوى)** أي الافتخار المحمود، إنما يكون على أهل الكفر بترك الشرك والتمسك بالإسلام وشعائره.

قوله: **﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾** أي أعزكم عند الله أكثركم تقوى، فهي سبب رفعة القدر في الدنيا والآخرة، وانظر إلى قوله: **﴿أَتْقَاكُمْ﴾** ولم يقل أكثركم مالاً ولا جاهاً، ولا احسنكم صورة، ولا غير ذلك من الأمور التي تفنى. قوله: **﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾** أي يعلم ظواهركم خبير يعلم بواطنكم، فلا يخفى عليه شيء. قوله: **(نفر من بني أسد)** أشار بذلك إلى سبب نزول هذه الآية، وذلك أنهم قدموا على رسول الله ﷺ في سنة مجدبة فأظهروا الإسلام، ولم يكونوا مؤمنين في السر، وأفسدوا طريق المدينة بالعذرات وأعلوا اسعارها، وكانوا يغدون ويروحون إلى رسول الله ﷺ ويقولون: أتتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها، ونحن جئناك بالأطفال والعيال والذراري، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان، يمنون على رسول الله ﷺ ويريدون الصدقة ويقولون أعطنا، فنزلت هذه الآية. قوله: **(صدقنا بقلوبنا)** جواب عما يقال: إن الإسلام والإيمان متلازمان، فأجاب: بأن المنفي هنا الإيمان بالقلب، والمثبت الانقياد ظاهراً، فهما متغايران بهذا الاعتبار، وأما الإسلام والإيمان الشرعيان المعتبران متحدان ما صدقا، وإن كان مفهومهما مختلفاً، إذ الإيمان هو التصديق القلبي بشرط التعلق بالشهادتين، والإسلام الانقياد الظاهري الناشىء عن التصديق القلبي.

قوله: **﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا﴾** أي فلا تقولوا آمنا، وقوله: **﴿وَلٰكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾** أي فحصل منكم الإسلام ظاهراً، ففي الآية احتباك، حذف من كل نظير ما أثبت في الآخر. قوله: **(إلى الآن)** أخذه من لما، لأن نفيها مختص بالحال، وقوله: **(لكنه يتوقع منكم)** أشار إلى أن منفي لما متوقع الحصول، ففيه بشارة لهم بأنهم سيؤمنون وقد حصل، وبهذا اندفع ما قد يتوهم من أن هذه الجملة مكررة مع قوله: **﴿لَمْ تُؤْمِنُوا﴾** وإيضاح الجواب أن هذه الجملة أفادت معنى زائداً، وهو نفي الإيمان مع توقع حصوله، بخلاف الأولى فإنها أفادت نفيه فقط، قوله: **(بالهمز)** أي من ألت من بابي ضرب ونصر. قوله: **(وتركه)** أي من

غَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿رَحِيمٌ﴾ ﴿١٤﴾ بهم ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي الصادقون في إيمانهم كما صرح به بعد ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ لم يشكوا في الإيمان ﴿وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فجهادهم يظهر صدق إيمانهم ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ ﴿١٥﴾ في إيمانهم لا من قالوا آمنا ولم يوجد منهم غير الإسلام ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ مضعف علم بمعنى شعر أي أتشعرونه بما أنتم عليه في قولكم آمنا ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٦﴾ ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟﴾ من غير قتال بخلاف غيرهم ممن أسلم بعد قتاله منهم ﴿قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم﴾ منصوب بنزع الخافض الباء ويقدر قبل أن في الموضعين ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ﴿١٧﴾ في قولكم آمنا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ أي ما غاب فيهما ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٨﴾ بالياء والتاء لا يخفى عليه شيء منه.

لات يليت كباع يبيع، فحذفت منه عين الكلمة وهي الياء، وقيل: هو من ولت يلت، كوعد يعد، فحذفت منه فاء الكلمة وهي الواو قوله: (**وبإبداله ألفاً**) أي فالقراءات ثلاثة سبعيات.

قوله: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ**﴾ مبتدأ خبره قوله: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا**﴾. قوله: ﴿**ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا**﴾ أتى بثم إشارة إلى أن نفي الريب لم يكن وقت حصول الإيمان، بل هو حاصل فيما يستقبل فكأنه قال: ثم داموا على ذلك. قوله: ﴿**فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ أي طاعته. قوله: (**فجهادهم يظهر صدق إيمانهم**) أي أن الجهاد في سبيل الله، دل على أنهم صادقون في الإيمان وليسوا منافقين، وهو جواب عن سؤال وهو أن العمل ليس من الإيمان، فكيف ذكر أنه منه في هذه الآية؟ وإيضاح الجواب عنه: أن المراد من الآية الإيمان الكامل. قوله: ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ فيه تعريض بكذب الأعراب في ادعائهم الإيمان، فلما نزلت هاتان الآيتان، أتت الأعراب رسول الله يحلفون أنهم مؤمنون صادقون، وعلم الله منهم غير ذلك، فأنزل الله ﴿**قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ**﴾ الخ. قوله: (**مضعف علم بمعنى شعر**) أي وهو بهذا المعنى متعد لواحد فقط، وبواسطة التضعيف يتعدى لاثنين، أولهما بنفسه، والثاني بحرف الجر. قوله: ﴿**وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ**﴾ الخ، الجملة حالية.

قوله: ﴿**يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا**﴾ أي يعطون إسلامهم منه عليك. قوله: (**من غير قتال**) أي لك ولأصحابك. قوله: (**ويقدر**) أي الخافض الذي هو الباء. والحاصل أنه مقدر في ثلاثة مواضع: الأول منها قوله: ﴿**أَنْ أَسْلَمُوا**﴾. الثاني قوله: ﴿**قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ**﴾. الثالث قوله: ﴿**أَنْ هَدَاكُمْ**﴾ فموضعان فيهما ﴿**أَنْ**﴾ وموضع خال عنها. قوله: ﴿**أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ**﴾ أي على حسب زعمكم، كأنه قال: إن إيمانكم على فرض حصوله منه من الله عليكم. قوله: ﴿**إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه. قوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ أي فلا يخفى عليه شيء فيهما. قوله: **بالياء**) أي نظراً لقوله: ﴿**يَمُنُّونَ**﴾ وما بعده، وقوله: (**والتاء**) أي نظراً لقوله: ﴿**لَا تَمُنُّوا**﴾ وهما قراءتان سبعيتان.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُورَةُ قٓ

مكيّة

وآياتها خمس وأربعون

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿قٓ﴾ الله أعلم بمراده به ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ ١ الكريم ما آمن كفار مكة بمحمد ﷺ ﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ﴾ رسول من أنفسهم يخوفهم بالنار بعد

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة قٓ مكية

إلا ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض﴾ الآية فمدنية. وهي خمس وأربعون آية.

أي كلها على أحد القولين، وقوله: **(إلا ولقد خلقنا)** على القول الآخر، فكان المناسب للمفسر أن يقول أو إلا **﴿ولقد خلقنا﴾** ليكون مشيراً للقولين. قوله: **﴿قٓ﴾** العامة على قراءته بالسكون وقرىء شذوذاً بالبناء على الكسر والفتح والضم. قوله: **(الله أعلم بمراده)** تقدم غير مرة أن هذا القول أصح وأسلم، وقيل: هو جبل محيط بالأرض، من زمردة خضراء اخضرت السماء منه، وعليه طرفا السماء، والسماء عليه مقبية، وما أصاب الناس من زمرد، كان مما تساقط من ذلك الجبل، وقال وهب: أشرف ذو القرنين على جبل ق، فرأى تحته جبالاً صغاراً فقال له: ما أنت؟ قال: أنا ق، قال: فما هذه الجبال حولك؟ قال: هي عروقي، وما مدينة إلا وفيها عرق من عروقي، فإذا أراد الله أن يزلزل مدينة أمرني فحركت عرقي ذلك، فتزلزلت تلك الأرض. فقال له: يا ق أخبرني بشيء من عظمة الله، قال: إن شأن ربنا لعظيم، وإن ورائي أرضاً مسيرة خمسمائة عام، في خمسمائة من جبال ثلج، بعضها يحطم بعضاً، لولا هي لاحترقت من حر جهنم، ثم قال: زدني، قال: إن جبريل عليه السلام واقف بين يدي الله ترتعد فرائصه، يخلق الله من كل رعدة مائة ألف ملك، فهؤلاء الملائكة واقفون بين يدي الله منكسون رؤوسهم، فإذا أذن الله لهم في الكلام قالوا: لا إله إلا الله، وهو قوله تعالى﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً﴾وقيل: معنى ﴿قٓ﴾ قضي الأمر، كما قيل في حم: حم الأمر، وقيل: هو اسم من أسمائه تعالى أقسم به، وقيل هو اسم من أسماء القرآن، وقيل: هو افتتاح كل اسم من أسمائه تعالى في أوله ق، كقادر وقهار وقوي، ولعظم فضل تلك السورة، كان رسول الله ﷺ يقرأ في الأضحى والفطر بها، وباقتربت الساعة، وكان يقرؤها على المنبر يوم الجمعة إذا خطب الناس. قوله: **(الكريم)** أي فكل من طلب منه مقصوده وجده فيه. قوله: **(ما آمن كفار مكة)** الخ، قدره إشارة إلى أن جواب القسم محذوف،

البعث ﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا﴾ الإنذار ﴿شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝٢﴾ ﴿أَءِذَا﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ نرجع ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝٣﴾ في غاية البعد ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ﴾ تأكل ﴿مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ۝٤﴾ هو اللوح المحفوظ، فيه جميع الأشياء المقدرة ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ بالقرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ﴾ في شأن النبي ﷺ والقرآن ﴿فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥﴾ مضطرب قالوا مرَّة ساحر وسحر، ومرَّة شاعر وشعر، ومرَّة كاهن وكهانة ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟﴾ بعيونهم، معتبرين بعقولهم حين أنكروا البعث ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ كائنة ﴿فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا﴾ بلا عمد ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ بالكواكب ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦﴾ شقوق تعيبها ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾ معطوف على موضع إلى السماء كيف ﴿مَدَدْنَٰهَا﴾ دحوناها على وجه الماء ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً تثبتها ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ﴾ صنف ﴿بَهِيجٍ ۝٧﴾ يبهج به لحسنه ﴿تَبْصِرَةً﴾ مفعول له، أي فعلنا ذلك تبصيراً منا ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ تذكيراً ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨﴾ رجاع إلى طاعتنا ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ

وهو أسهل الأعاريب.

قوله: ﴿بَلْ عَجِبُوا﴾ اضراب عن جواب القسم المحذوف، لبيان أحوالهم الشنيعة، والعجب استعظام أمر خفي سببه، وهذا بالنسبة لعقولهم القاصرة حيث قالوا ﴿لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾. قوله: ﴿فَقَالَ ٱلْكَافِرُونَ﴾ حكاية لبعض تعجبهم وأقاويلهم الباطلة. قوله: ﴿هَـٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ أي يتعجب منه، لأنه خارج عن طور عقولنا. قوله: ﴿أَئِذَا مِتْنَا﴾ معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله: (نرجع). قوله: (وإدخال ألف بينهما) أي وتركه فالقراءات أربع سبعيات لا اثنتان كما توهمه عبارته. قوله: ﴿بَعِيدٌ﴾ أي عن العادة.

قوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ رد لاستبعادهم وتعجبهم. قوله: ﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ الجملة حالية، والكلام على تشبيه علمه بتفاصيل الأشياء، بعلم من عنده كتاب حاوٍ محفوظ يطلع عليه. قوله: (هو اللوح المحفوظ) أي وهو من درة بيضاء، مستقرة على الهواء، فوق السماء السابعة، طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب. قوله: (فيه جميع الأشياء) يحتمل أن الجار والمجرور متعلق بالمحفوظ و (جميع) نائب فاعل متعلق به، ويحتمل أنه خبر مقدم و (جميع) مبتدأ مؤخر. قوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ انتقال من شناعتهم إلى ما هو أشنع، وهو تكذيبهم للنبوة الثابتة بالمعجزات الظاهرة. قوله: ﴿مَرِيجٍ﴾ (مضطرب) أي مختلط يقال: مرج الأمر، ومرج الدين اختلط.

قوله: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير: أغفلوا وعموا فلم ينظروا إلى السماء، الخ. قوله: (كائنة) ﴿فَوْقَهُمْ﴾ أشار به إلى أن ﴿فَوْقَهُمْ﴾ حال من ﴿السَّمَاءِ﴾. قوله: ﴿كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ ﴿كَيْفَ﴾ مفعول مقدم، وجملة ﴿بَنَيْنَاهَا﴾ بدل من ﴿السَّمَاءِ﴾. قوله: ﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ الجملة حالية. قوله: (معطوف على موضع إلى السماء) أي المنصوب بينظروا. قوله: (يبهج به) أي يسر، وفيه إشارة إلى أن فعيل بمعنى فاعل، أي يحصل السرور به. قوله: (مفعول له) أي لأجله، ويصح أن يكونا منصوبين على المصدرية، والتقدير: بصرناهم تبصرة، وذكرناهم تذكرة. قوله: (تبصيراً منا) أي تعليماً وتفهيماً، والتبصرة والتذكرة إما عائدان على كل من ﴿السَّمَاءِ﴾ و ﴿الأَرْضَ﴾ والمعنى خلقنا السماوات تبصرة وذكرى،

﴿ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾ كثير البركة ﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿وَحَبَّ﴾ الزرع ﴿ٱلۡحَصِيدِ﴾ ﴿٩﴾ المحصود ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٍ﴾ طوالاً حالاً مقدرة ﴿لَّهَا طَلۡعٌ نَّضِيدٌ﴾ ﴿١٠﴾ متراكب بعضه فوق بعض ﴿رِّزۡقًا لِّلۡعِبَادِ﴾ مفعول له ﴿وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةً مَّيۡتًا﴾ يستوي فيه المذكر والمؤنث ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل هذا الأحياء ﴿ٱلۡخُرُوجُ﴾ ﴿١١﴾ من القبور فكيف تنكرونه والاستفهام للتقرير، والمعنى أنهم نظروا وعلموا ما ذكر ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٍ﴾ تأنيث الفعل لمعنى قوم ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ﴾ هي بئر كانوا مقيمين عليها بمواشيهم يعبدون الأصنام، ونبيهم قيل حنظلة بن صفوان، وقيل غيره ﴿وَثَمُودُ﴾ ﴿١٢﴾ قوم صالح ﴿وَعَادٌ﴾ قوم هود ﴿وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٍ﴾ (١٣) ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ﴾

والأرض تبصرة وذكرى، ويحتمل أنه لف ونشر مرتب، فالسماء تبصرة، والأرض تذكرة، والفرق بينهما أن التبصرة تكون فيها آياته مستمرة، والتذكرة فيها آياته متجددة. قوله: (رجاع إلى طاعتنا) أي ذا رجوع وإقبال عليه، فالصيغة للنسبة لا للمبالغة.

قوله: ﴿وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ﴾ قدر المفسر الزرع إشارة إلى أنه حذف الموصوف، وأقيمت صفته مقامه. قوله: (المحصود) أي الذي شأنه أن يحصد كالبر والشعير، وفيه مجاز الأول، أي الزرع الذي يؤول إلى كونه محصوداً. قوله: ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٍ﴾ يقال: بسقت النخلة بسوقاً من باب قعد طالت، فهي باسقة، والجمع باسقات وبواسق، وبسق الرجل بهر في علمه. قوله: (حال مقدرة) أي لأنها وقت الإنبات لم تكن طوالاً، وأفردها بالذكر لكثرة منافعها وزيادة ارتفاعها. قوله: ﴿لَّهَا طَلۡعٌ نَّضِيدٌ﴾ الجملة حال من النخل مترادفة، أو من الضمير في ﴿بَاسِقَٰتٍ﴾. قوله: ﴿رِّزۡقًا لِّلۡعِبَادِ﴾ منصوب على الحال، ولم يقيد العباد هنا بالانابة، وقيد به في قوله: ﴿تَبۡصِرَةً وَذِكۡرَىٰ﴾ لأن التذكرة لا تكون إلا لمنيب، والرزق يعم كل أحد.

قوله: ﴿وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ﴾ أي بذلك الماء، وقوله: ﴿بَلۡدَةً مَّيۡتًا﴾ أي أرضاً جدبة يابسة، فاهتزت وربت بذلك الماء، وأنبتت من كل زوج بهيج. قوله: (يستوي فيه المذكر والمؤنث) جواب عن سؤال مقدر تقديره الأرض مؤنثة، فكيف وصفها بالمذكر؟ وفي هذا الجواب نظر، لأن استواء المذكر والمؤنث في فعيل وليس هنا، والصواب أن التذكير باعتبار كونه مكاناً. قوله: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ﴾ جملة قدم فيها الخبر لقصد الحصر، والمعنى خروجهم من قبورهم، مثل ما تقدم من عجائب خلق السماء وما بعدها. قوله: (والاستفهام للتقرير) الخ، الأولى أن يقول للإنكار والتوبيخ، قوله: (والمعنى) الخ، غير صحيح، إذ لو نظروا وعلموا لآمنوا.

قوله: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٍ﴾ الخ، كلام مستأنف قصد به تقرير حقيقة البعث والوعيد لقريش، والتسلية لرسول الله. قوله: (لمعنى قوم) أي لأنه بمعنى أمة. قوله: (هي بئر) أي فخسفت تلك البئر مع ما حولها، فذهبت بهم وبأموالهم. قوله: (وقيل غيره) هو شعيب أو نبي آخر أرسل بعد صالح لبقية من ثمود. قوله: ﴿وَثَمُودُ﴾ ذكرهم بعد أصحاب الرس، لأن الرجفة التي أخذتهم مبدأ الخسف لأصحاب الرس، وأتبع ثمود بعاد، لأن الريح التي أهلكتهم أثر صيحة ثمود. قوله: ﴿وَإِخۡوَٰنُ لُوطٍ﴾ تقدم أنه ابن أخي إبراهيم، وأنه هاجر معه من العراق إلى الشام، فنزل إبراهيم بفلسطين، ونزل لوط بسذوم، وأرسله الله إلى أهلها وهو أجنبي منهم، فكيف يقال إخوانه! أجيب: بأنه تزوج فصار صهراً

أي الغيضة قوم شعيب ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ هو ملك باليمن أسلم ودعا قومه إلى الإسلام فكذبوه ﴿كُلٌّ﴾ من المذكورين ﴿كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ كقريش ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ ﴿١٤﴾ وجب نزول العذاب على الجميع، فلا يضق صدرك من كفر قريش بك ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾ أي لم نعي به فلا نعيا بالإعادة ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾ شك ﴿مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ﴿١٥﴾ وهو البعث ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ﴾ حال بتقدير نحن ﴿مَا﴾ مصدرية ﴿تُوَسْوِسُ﴾ تحدث ﴿بِهِۦ﴾ الباء زائدة أو للتعدية، والضمير للإنسان ﴿نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ بالعلم ﴿مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ ﴿١٦﴾ الإضافة للبيان،

لهم، فالأخوة من حيث ذلك. قوله: ﴿وَأَصْحَابُ ٱلْأَيْكَةِ﴾ تقدم الكلام عليهم في الشعراء. قوله: ﴿أي الغيضة﴾ أي وهي الشجر الملتف، وهي هنا بأل المعرفة، وفي ص والشعراء بأل ودونها قراءتان سبعيتان. قوله: (هو ملك كان باليمن) وقيل نبي وهو تبع الحميري، واسمه اسعد، وكنيته أبو قرن. قوله: ﴿كُلٌّ﴾ التنوين عوض عن المضاف، أي كل أمة، والمراد بالكل الكل المجموعي. قوله: ﴿كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ أي ولو بالواسطة كتبع. قوله: ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ مضاف لياء المتكلم، حذفت الياء وبقيت الكسرة دليلاً عليها. قوله: (فلا يضيق صدرك) أي لما تقدم أنه تسلية لرسول الله وتهديد لهم.

قوله: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والأصل أقصدنا الخلق الأول فعجزنا عنه حتى يحكموا بعجزنا عن الاعادة؟ وفيه إلزام لمنكري البعث، والعي العجز. قوله: ﴿بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ﴾ الباء سببية أو بمعنى عن، والاستفهام انكاري بمعنى النفي. قوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾ عطف على مقدر يقتضيه السياق، كأنه قيل هم غير منكرين لقدرتنا على الخلق الأول، **بل هم في** خلط وشبهة من خلق جديد، لما فيه من مخالفة العادة، وتنكير خلق لتفخيم شأنه والإشعار بخروجه عن حدود العادات. قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ﴾ المراد به الجنس الصادق بآدم وأولاده. قوله: (حال بتقدير نحن) أي لأن الجملة المضارعية المثبتة إذا وقعت حالاً، لا تقترن بالواو، بل تحوي الضمير فقط، فإن اقترنت بالواو، أعربت خبر المحذوف، وتكون الجملة الاسمية حالاً، قال ابن مالك:

وذات بدء بمضارع ثبت ... حوت ضميراً ومن الواو خلت
وذات واو بعدها انوِ مبتدا ... له المضارع اجعلن مسندا

قوله: (ما مصدرية) أي والتقدير: ونعلم وسوسة نفسه إياه، ويصح أن تكون موصولة والضمير عائد عليها، والتقدير: ونعلم الأمر الذي تحدث نفسه به. قوله: (الباء زائدة) أي فهو نظير صوت بكذا، وقوله: (أو للتعدية) أي فالنفس تجعل الإنسان قائماً به الوسوسة. قوله: (والضمير للإنسان) أي فجعل الإنسان مع نفسه شخصين، تجري بينهما مكالمة ومحادثة، تارة يحدثها وتارة تحدثه، وهذه الوسوسة لا يؤاخذ بها الإنسان خيراً أو شراً، ومثلها الخاطر والهاجس، وأما الهم فيكتب في الخير لا في الشر، وأما العزم فيكتب خيراً أو شراً، وقد تقدم ذلك. قوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ أي لأن الله لا يحجبه شيء، بل هو القائم على كل نفس، لا تخفى عليه خافية، فقربه تعالى من عبده اتصال تصاريفه فيه، بحيث لا يغيب عنه طرفة عين، قال تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾.

والوريدان عرقان بصفحتي العنق ﴿إِذْ﴾ ناصبه اذكر مقدراً ﴿يَتَلَقَّى﴾ يأخذ ويثبت ﴿ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ الملكان الموكلان بالإنسان ما يعمله ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾ منه ﴿قَعِيدٌ ١٧﴾ أي قاعدان، وهو مبتدأ خبره ما قبله ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾ حافظ ﴿عَتِيدٌ ١٨﴾ حاضر، وكل منهما بمعنى المثنى ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ غمرته وشدته ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ من أمر الآخرة حتى يراه المنكر لها عياناً، وهو نفس الشدة ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي الموت ﴿مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ١٩﴾ تهرب وتفزع ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ للبعث ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي يوم النفخ ﴿يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ٢٠﴾ للكفار بالعذاب ﴿وَجَآءَتْ﴾ فيه ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ إلى المحشر ﴿مَّعَهَا سَآئِقٌ﴾ ملك يسوقها إليه ﴿وَشَهِيدٌ ٢١﴾ يشهد عليها بعملها،

قوله: ﴿مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ هذا مثل في شدة القرب، والحبل العرق. قوله: **(والوريدان عرقان بصفحتي العنق)** أي مكتنفان صفحتي العنق في مقدمها يتصلان بالوتين وهو عرق متصل بالقلب، وبالأبهر وهو عرق في الظهر، وبالأكحل وهو عرق في الذراع، وبالنسا وهو عرق في الفخذ، وبالأسلم وهو عرق في الخنصر متى قطع من أي جهة مات صاحبه، قال القشيري: في هذه الآية هيبة وفزع وخوف لقوم، وروح وأنس وسكون قلب لقوم، أي بحسب تجلي الله تعالى وشهوده، فإذا شهد الإنسان جلال الله وهيبته وشدة بطشه وسرعة انتقامه، مع شدة تمكنه منه واتصال تصاريفه به، ذاب من خشية الله، وإذا شهد جمال الله ورحمته وإحسانه أنس وفرح. قوله: **(يأخذ ويثبت)** أي يكتبان في صحيفتي الحسنات والسيئات، وقلبهما لسانه، ومدادهما ريقه، ومحلهما من الإنسان نواجذه. قوله: **(ما يعمله)** مفعول ﴿يَتَلَقَّى﴾. قوله: **(أي قاعدان)** أشار بذلك إلى أن ﴿قَعِيدٌ﴾ مفرد أقيم مقام المثنى، لأن فعيلاً يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع. قوله: **(وهو مبتدأ خبره ما قبله)** أي والجملة في محل نصب على الحال من المتلقيان.

قوله: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ﴾ الخ ﴿مَا﴾ نافية و ﴿مِنْ﴾ زائدة في المفعول، وقوله: ﴿لَدَيْهِ﴾ خبر مقدم، و ﴿رَقِيبٌ﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة حالية. قوله: **(وكل منهما بمعنى المثنى)** أي فالمعنى إلا لديه ملكان موصوفان بأنهما رقيبان وعتيدان، فكل منهما موصوف بأنه رقيب وعتيد، وقوله: **(حاضر)** أي فلا يفارقه إلا في مواضع ثلاثة: في الخلاء، وعند الجماع، وفي حال الجنابة، فإذا فعل العبد في تلك الحالات حسنة أو سيئة، عرفاها برائحتها وكتباها. قوله: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ أي حضرت إما بالموت فرادى وهو ظاهر واقع، أو دفعة عند النفخة الأولى، وإنما عبر عنها بالماضي لتحقق وقوعها، وإشارة إلى أنها في غاية القرب. قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ الباء للتعدية، أي أتت بالأمر الحق أي أظهرته، والمراد به ما بعد الموت من أهوال الآخرة، ومعنى كونه حقاً أنه واقع لا محالة. قوله: **(وهو نفس الشدة)** المناسب حذف هذه العبارة للاستغناء بما قبلها عنها، إلا أن يقال إن الضمير في **(هو)** عائد على أمر الآخرة، والمراد بالشدة الأمر الشديد، وهو أهوال الآخرة. قوله: **(تهرب)** بضم الراء من باب طلب.

قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ عطف على قوله: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ و ﴿الصُّورِ﴾ هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل، لا يعلم قدره إلا الله تعالى، وقد التقمه اسرافيل من حيث بعث رسول الله ﷺ منتظراً للأذن بالنفخ. قوله: **(إلى يوم النفخ)** أي فالإشارة إلى الزمان المفهوم من قوله: ﴿نُفِخَ﴾ لأن الفعل كما يدل على الحدث يدل على الزمان. قوله: ﴿مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ اختلف في معنى السائق

وهو الأيدي والأرجل وغيرها، ويقال للكافر ﴿لَقَدْ كُنتَ﴾ في الدنيا ﴿فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ النازل بك اليوم ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ﴾ أزلنا غفلتك بما تشاهده اليوم ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ ﴿٢٢﴾ حادّ تدرك به ما أنكرته في الدنيا ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾ الملك الموكل به ﴿هَٰذَا مَا﴾ أي الذي ﴿لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ ﴿٢٣﴾ حاضر فيقال لمالك ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ أي ألق ألق، أو ألقين، وبه قرأ الحسن، فأبدلت النون ألفاً ﴿كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ ﴿٢٤﴾ معاند ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ كالزكاة ﴿مُعْتَدٍ﴾ ظالم ﴿مُّرِيبٍ﴾ ﴿٢٥﴾ شاكّ في دينه ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ مبتدأ ضمن معنى الشرط خبره ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ ﴿٢٦﴾ تفسيره مثل ما تقدم ﴿قَالَ قَرِينُهُ﴾ الشيطان ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ أضللته ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿٢٧﴾ فدعوته فاستجاب لي وقال هو أطغاني بدعائه لي ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ أي ما ينفع الخصام هنا ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم﴾ في الدنيا

والشهيد على أقوال: أشهرها ما قاله المفسر، وقيل سائق كاتب السيئات، والشهيد كاتب الحسنات، وقيل السائق نفسه أو قرينه، والشهيد جوارحه أو أعماله، وقيل غير ذلك. قوله: **(ويقال للكافر)** هذا أحد قولين، وقيل إن القول يقع للمسلم أيضاً، لكن على سبيل التهنئة، ومعنى **﴿كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ﴾** كنت في حجاب لم تشاهده بالبصر، إذ ليس راء كمن سمع، فكشفنا عنك غطاءك، فاهنأ بما رأيت، وتمل بما أعطيت من النعيم المقيم.

قوله: **﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾** أي حجابك، وهو الغفلة والانهماك في الشهوات. قوله: **(حاد)** أي نافذ لزوال المانع للإبصار. قوله: **(الملك الموكل به)** أي في الدنيا لكتابة أعماله، وهو الرقيب العتيد المتقدم ذكره، والمعنى أن **الملك** يقول: هذا عمله المكتوب عندي حاضر لدي، وقيل: المراد بقرينه الشيطان المقيض له، واسم الإشارة عائد على ذات الشخص الكافر، والمعنى يقول الشيطان: هذا الشخص الذي عندي حاضر معد ومهيأ للنار.

قوله: **﴿هٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾** يصح أن تكون **﴿مَا﴾** نكرة موصوفة، و **﴿عَتِيدٌ﴾** صفتها، و **﴿لَدَيَّ﴾** متعلق بعتيد، أي هذا شيء حاضر عندي، ويصح أن تكون **﴿مَا﴾** موصولة بمعنى الذي و **﴿لَدَيَّ﴾** صلتها، و **﴿عَتِيدٌ﴾** خبر الموصول، والموصول وصلته خبر اسم الإشارة. قوله: **(أي ألق ألق)** الخ، لما جعل المفسر الخطاب للواحد، احتاج للجواب عن التثنية في قوله: **﴿أَلْقِيَا﴾** فأجاب بجوابين، الأول: أنه تثنية بحسب الصورة، والأصل أن الفعل مكرر للتوحيد، فحذف الثاني وعبر عنهما بضمير التثنية، فعلى هذا يعرب بحذف النون، والألف فاعل. الثاني: أن الألف ليست للتثنية، بل هي منقلبة عن نون التوكيد الخفيفة، وأجرى الوصل هنا مجرى الوقف. قوله: **(وبه قرأ الحسن)** أي وهي قراءة شاذة. قوله: **(معاند)** أي معرض عن الحق مخالف له. قوله: **(مبتدأ ضمن معنى الشرط)** المناسب أن يقول: مبتدأ يشبه الشرط. قوله: **(تفسيره)** أي تخريجه مثل ما تقدم، من حيث الاعتذار عن التثنية.

قوله: **﴿قَالَ قَرِينُهُ﴾** الخ، أي جواباً عما ادعاه الكافر عليه بقوله: هو أطغاني، فالكافر أولاً: يقول: الشيطان أطغاني. فيجيبه الشيطان بقوله: **﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾** وكان الأولى للمفسر أن يقدم قوله: **(هو أطغاني)** بأن يقول: وقال قرينه، جواباً لقوله: **(هو أطغاني)** **﴿رَبَّنَا﴾** الخ. قوله: **﴿لَا تَخْتَصِمُوا﴾**

﴿بِٱلْوَعِيدِ ۝٢٨﴾ بالعذاب في الآخرة لو لم تؤمنوا ولا بد منه ﴿مَا يُبَدَّلُ﴾ يغير ﴿ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ في ذلك ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٢٩﴾ فأعذبهم بغير جرم، وظلام بمعنى ذي ظلم لقوله﴿لا ظلم اليوم﴾ ﴿يَوْمَ﴾ ناصبه ظلام ﴿نَقُولُ﴾ بالنون والياء ﴿لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ﴾ استفهام تحقيق لوعده بملئها ﴿وَتَقُولُ﴾ بصورة الاستفهام كالسؤال ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝٣٠﴾ أي فيَّ لا أسع غير ما امتلأت به أي قد

خطاب للكافرين وقرنائهم. قوله: **(أي ما ينفع الخصام هنا)** أي في موقف الحساب. قوله: **﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ﴾** ظاهره أن الجملة حال من قوله: **﴿لَا تَخْتَصِمُوا﴾** وهو مشكل بأن التقديم بالوعيد في الدنيا، والاختصام في الآخرة. وأجيب: بأن الكلام على حذف، والأصل وقد ثبت الآن أني قد تقدمت اليكم الخ. قوله: **(ولا بد)** أي لا تطمعوا أني أبدل وعيدي، فإن وعيدي للكافرين محتم كوعدي للمؤمنين.

قوله: **﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ﴾** المراد بالقول الوعيد بتخليد الكافر في النار. قوله: **(في ذلك)** أي في ذلك اليوم، فاسم الإشارة عائد على يوم الحساب. قوله: **(لا ظلم اليوم)** أي وإذا انتفى الظلم عنه في هذا اليوم، فنفي الظلم عنه في غيره أحرى، سبحان من تنزه عن الظلم عقلاً ونقلاً. قوله: **(ناصبه ظلام)** أي والمعنى: ما أنا بظلام يوم قولي لجهنم الخ. قوله: **﴿استفهام تحقيق لوعده بمثلها)** خاطب الله سبحانه وتعالى جهنم خطاب العقلاء، وأجابته جواب العقلاء، ولا مانع من ذلك عقلاً ولا شرعاً لما رود: تحاجت الجنة والنار، واشتكت النار إلى ربها، فلا حاجة إلى تكلف المجاز، مع التمكن من الحقيقة في هذا ونظائره مما ورد في السنة من نطق الجمادات، والمراد باستفهام التحقق التقرير، فالله تعالى يقررها بأنها قد امتلأت.

قوله: **﴿وَتَقُولُ﴾ (بصورة الاستفهام كالسؤال)** أي أجابته جواباً صورته استفهام، ومعناه الخبر، كما أشار له المفسر بقوله: **﴿أي امتلأت)** وإنما أجابته بصورة الاستفهام، ليكون طبق السؤال، لكن استفهام السؤال تقريري، واستفهام جوابها إنكاري، هذا ما مشى عليه المفسر، وقيل: إن الاستفهام لطلب الزيادة فهو بمعنى زدني، ويدل عليه ما جاء في الحديث من قوله ﷺ «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول: قط قط وعزتك، فينزوي بعضها على بعض وتقول: قط قط وعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضل، حتى ينشىء الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة» وفي رواية «فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع الله عليها رجله، يقول لها: قط قط، فهنالك تمتلىء وينزوي بعضها إلى بعض، فلا يظلم الله من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن الله ينشىء لها خلقاً» اهـ. ولفظ القدم والرجل في الحديث من المتشابه، يأتي فيه مذهب السلف والخلف، فالسلف ينزهونه عن الجارحة، ويفوضون علمه إلى الله تعالى، والخلف لهم فيه تأويل منها: أن المراد بالقدم والرجل قوم من أهل النار في علم الله، لأن القدم والرجل يطلقان في اللغة على العدد الكثير من الناس، فكأنه قال: حتى يضع رب العزة فيها العدد الكثير من الناس الموعودين بها، ويؤيده ما ورد عن ابن مسعود، أن ما في النار بيت ولا سلسلة ولا مقمع ولا تابوت، إلا وعليه اسم صاحبه، فكل واحد من الخزنة، ينتظر صاحبه الذي قد عرف اسمه وصفته؛ فإذا استوفى ما أمر به وما ينتظره، ولم يبق أحد منهم قالت الخزنة: قط قط، حسبنا حسبنا، اكتفينا اكتفينا، وحينئذ فتنزوي جهنم على من فيها وتنطق،

امتلأت ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ﴾ قربت ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ مكاناً ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ ﴿٣١﴾ منهم فيرونها ويقال لهم ﴿هَٰذَا﴾ المرئي ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ بالتاء والياء في الدنيا، ويبدل من المتقين قوله ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ رجاع إلى طاعة الله ﴿حَفِيظٍ﴾ ﴿٣٢﴾ حافظ لحدوده ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ خافه ولم يره ﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ ﴿٣٣﴾ مقبل على طاعته، ويقال للمتقين أيضاً ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ أي سالمين من كل مخوف أو مع سلام أي سلموا وادخلوا ﴿ذَٰلِكَ﴾ اليوم الذي حصل فيه الدخول ﴿يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ ﴿٣٤﴾ الدوام في الجنة ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ ﴿٣٥﴾ زيادة على ما عملوا وطلبوا ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ أي أهلكنا قبل كفار قريش قروناً كثيرة من الكفار ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ قوة

إذ لم يبق أحد ينتظر. ومنها أن وضع القدم والرجل كناية عن تجلي الجلال عليها، فتتصاغر وتضيق وتنزوي فتقول: قط قط، وهذا هو الأقرب.

قوله: ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ المراد بهم من ماتوا على التوحيد. قوله: (مكاناً) قدره المفسر إشارة إلى أن قوله: ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ صفة لموصوف محذوف، فهو منصوب على الظرفية لقيامة مقام الظرف، ولم يقل بعيدة، إما لأنه صفة لمذكر محذوف، أو لأن فعيلاً يستوي فيه المذكر والمؤنث، وأتى بهذه الجملة عقب قوله: ﴿وَأُزْلِفَتِ﴾ للتأكيد، كقولهم: هو قريب غير بعيد، وعزيز غير ذليل، إن قلت: إن الجنة مكان، والشأن انتقال الشخص للمكان، لا انتقال المكان للشخص. أجيب: بأنه أضاف القرب لها إكراماً للمؤمنين، كأن الإكرام ينقل لهم، وهو كناية عن سهولة وصولهم إليها. قوله: (ويبدل من المتقين) أي بإعادة الجار، وجملة ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ معترضة بين البدل والمبدل منه. قوله: (حافظ لحدوده) أي فحفيظ بمعنى حافظ لا بمعنى محفوظ.

قوله: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ﴾ إما بدل من كل، أو مستأنف خبر لمحذوف. قوله: (خافه ولم يره) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿بِالْغَيْبِ﴾ حال من المفعول، والمعنى خشيه، والحال أن الله غائب عنه، أي متحجب بصفة جلاله وكبريائه، ويصح أن يكون حالاً من الفاعل، والمعنى خشي الرحمن، والحال أن الشخص غائب عن الله أي محجوب عنه. قوله: (أي سالمين من كل مخوف) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿بِسَلَامٍ﴾ حال من فاعل ﴿ادْخُلُوهَا﴾ وهي حال مقارنة. قوله: (أو مع سلام) أي إن دخولهم مصحوب بالسلام من بعضهم على بعض، أو من الله وملائكته عليهم، وحينئذ فالمعنى ادخلوها مسلماً عليكم. قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ (اليوم الذي حصل فيه الدخول) الخ، فائدة هذا القول، بشرى للمؤمنين وطمأنينة قلوبهم. قوله: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ﴾ أي ما يشتهونه ويريدونه يحصل لهم عاجلاً، وقوله: ﴿فِيهَا﴾ إما متعلق بـ ﴿يَشَاؤُونَ﴾ أو حال من ﴿مَا﴾. قوله: (زيادة على ما عملوا وطلبوا) أي وهو النظر إلى وجه الله الكريم لما قيل: يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى كل ليلة جمعة في دار كرامته، فهذا هو المزيد، وقيل: إن السحابة تمر بأهل الجنة، فتمطرهم الحور فيقلن: نحن المزيد الذي قال الله فيه ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾.

قوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾ الخ، ﴿كَمْ﴾ خبرية معمولة لأهلكنا، و ﴿مِنْ قَرْنٍ﴾ تمييز لكم، وقوله: ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ﴾ مبتدأ، وخبر الجملة صفة إما لكم أو لقرن، ﴿بَطْشاً﴾ تمييز، المعنى: أننا أهلكنا قروناً كثيرة أشد بأساً وبطشاً من قريش، ففتشوا في البلاد عند نزول العذاب بهم، فلم يجدوا مخلصاً. قوله:

﴿فَنَقَّبُواْ﴾ فتشوا ﴿فِي ٱلْبِلَـٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ ﴿٣٦﴾ لهم أو لغيرهم من الموت فلم يجدوا ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَذِكْرَىٰ﴾ لعظة ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ عقل ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾ استمع الوعظ ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ ﴿٣٧﴾ حاضر ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد، وآخرها الجمعة ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ ﴿٣٨﴾ تعب، نزل رداً على اليهود في قولهم: إن الله استراح يوم السبت، وانتفاء التعب عنه لتنزهه تعالى عن صفات المخلوقين، ولعدم المماسة بينه وبين غيره ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ ﴿فَٱصْبِرْ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي اليهود وغيرهم من التشبيه والتكذيب ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ صل حامداً ﴿قَبْلَ طُلُوعِ

﴿فَنَقَّبُوا فِي ٱلْبِلَادِ﴾ أي ساروا فيها طالبين الهرب. قوله: (لهم أو لغيرهم) هذا يقتضي أن جملة ﴿هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ استثنائية من كلامه تعالى، وحينئذ فالوقف على قوله: ﴿فِي ٱلْبِلَادِ﴾ ويكون في الكلام حذف، والتقدير: ففتشوا في البلاد هاربين، فلم يجدوا مخلصاً، فهل من قرار لهم أو لغيرهم؟ وقيل: إنها من كلامهم، والتقدير: قائلين هل من محيص لنا.

قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ (المذكور) أي من أول السورة إلى هنا. قوله: ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ ﴿أَوْ﴾ مانعة خلو تجوز الجمع وهو المطلوب، فإن الموعظة لا تفيد ولا ينتفع بها صاحبها، إلا إذا كان ذا عقل، وأصغى بسمعه وأحضر قلبه، فإن لم يكن كذلك فلا ينتفع بها. قوله: (استمع الوعظ) أي بكليته حتى كأنه يلقي شيئاً من علو إلى أسفل. قوله: ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ الجملة حالية أي ألقى السمع، والحال أنه حاضر القلب، غير مشتغل بشيء غير ما هو فيه، وحضور القلب على مراتب، مرتبة العامة أن يشهد الأوامر والنواهي من القارىء، ومرتبة الخاصة أن يشاهد الشخص منهم أنه في حضرة الله تعالى يأمره وينهاه، ومرتبة خاصة الخاصة أن يفنوا عن حسهم ويشاهدوا أن القارىء هو الله تعالى، وإنما ترجمان عن الله تعالى.

قوله: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أي تعليماً لعباده التمهل والتأني في الأمور، وإلا فلو شاء لخلق الكل في أقل من لمح البصر. قوله: ﴿مِنْ لُغُوبٍ﴾ ﴿مِنْ﴾ زائدة في الفاعل، واللغوب مصدر لغب من باب دخل وتعب الإعياء والتعب، والعامة على ضم اللام وقرىء شذوذاً بفتحها، والجملة إما حالية أو مستأنفة. قوله: (نزل رداً على اليهود) الخ، أي فقالوا: خلق السماوات والأرض في ستة أيام، أولها الأحد، وآخرها الجمعة، ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش، فلذلك تركوا العمل فيه، فنزلت هذه الآية رداً عليهم وتكذيباً لهم في قولهم: استراح يوم السبت بقوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾. قوله: (ولعدم المماسة بينه وبين غيره) أي من الموجودات التي يوجدها، والتعب والإعياء إنما يحصل من العلاج ومماسة الفاعل لمفعوله، كالنجار والحداد وغير ذلك، وهذا إنما يكون في أفعال المخلوقين. قوله: (إنما أمره) أي شأنه. قوله: (إذا أراد شيئاً) أي إيجاد شيء أو إعدامه. قوله: (أن يقول له كن فيكون) أي من غير فعل ولا معالجة عمل، وهذا على حسب التقريب للعقول، وإلا ففي الحقيقة، لا قول ولا كاف ولا نون. قوله: (من التشبيه) أي تشبيه الله بغيره، إذ نسبوا له الإعياء والاستراحة وغير ذلك من كفرياتهم.

قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ الخ، أي حيث لم يهتدوا ولم يتبعوك، فاشتغل بعبادة ربك، ولا

﴿ٱلشَّمۡسِ﴾ أي صلاة الصبح ﴿وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ۝٣٩﴾ أي صلاة الظهر والعصر ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ﴾ أي صلّ العشاءين ﴿وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ۝٤٠﴾ بفتح الهمزة جمع دبر وبكسرها مصدر أدبر أي صلّ النوافل المسنونة عقب الفرائض، وقيل المراد حقيقة التسبيح في هذه الأوقات ملابساً للحمد ﴿وَٱسۡتَمِعۡ﴾ يا مخاطب مقولي ﴿يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ﴾ هو إسرافيل ﴿مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ۝٤١﴾ من السماء وهو صخرة بيت المقدس أقرب موضع من الأرض إلى السماء يقول: أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة، والشعور المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء ﴿يَوۡمَ﴾ بدل من يوم قبله ﴿يَسۡمَعُونَ﴾ أي الخلق كلهم ﴿ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾ بالبعث وهي النفخة الثانية من إسرافيل، ويحتمل أن تكون قبل ندائه أو بعده ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي يوم النداء والسماع ﴿يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ۝٤٢﴾ من القبور، وناصب يوم ينادي مقدراً أي يعلمون عاقبة تكذيبهم ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ ۝٤٣﴾ ﴿يَوۡمَ﴾ بدل من يوم قبله وما بينهما اعتراض ﴿تَشَقَّقُ﴾ بتخفيف

تتركها حزناً على عدم إيمانهم، وذلك أن الله تعالى أمره بشيئين: هداية الخلق وعبادة ربه، فحيث فاته هدايتهم فلا نترك العبادة، لأنه ليس مأموراً بجهادهم حينئذ. قوله: (صلّ حامداً) أشار بذلك إلى أن ﴿سَبِّحْ﴾ معناه صلّ، إما مجاز من إطلاق الجزء على الكل أو حقيقة، لأن من جملة معاني الصلاة التسبيح، لما ورد عن عائشة: كنت أصلي سبحة الضحى الخ. قوله: (بفتح الهمزة جمع دبر) أي أعقاب الصلاة، من أدبرت الصلاة إذا انقضت. قوله: (وبكسرها مصدر أدبر) أي والمعنى وقت إدبار الصلاة، أي انقضائها وتمامها، والقراءتان سبعيتان. قوله: (وقيل المراد حقيقة التسبيح) أي لما ورد: من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين، وكبر ثلاثاً وثلاثين، فلذلك تسعة وتسعون، وتمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر. قوله: (مقول) أشار بذلك إلى أن مفعول ﴿ٱسْتَمِعْ﴾ محذوف، أي استمع ما أقول لك في شأن أحوال يوم القيامة، قوله: ﴿يَوْمَ يُنَادِي﴾ كلام مستأنف مبين للمفعول المحذوف.

قوله: ﴿يَوْمَ يُنَادِ﴾ الوقف عليها إما بالياء أو بدونها قراءتان سبعيتان، والمناد إما بالياء وصلاً ووقفاً، أو بإثباتها وصلاً لا وقفاً، أو بحذفها وصلاً ووقفاً، ثلاث قراءات. قوله: (هو إسرافيل) هذا أحد قولين، وقيل: المنادي جبريل، والنافخ إسرافيل. قوله: (أقرب موضع من الأرض إلى السماء) أي باثني عشر ميلاً. قوله: (والأوصال) أي العروق. قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ حال من الواو، أي يسمعون ملتبسين بالحق، أو من الصيحة أي ملتبسة بالحق، وعبارة المفسر تقتضي أن الباء للتعدية. قوله: (ويحتمل أن تكون قبل ندائه أو بعده) هذا يقتضي أنها غير النداء المذكور، ومع أن النداء المذكور هو ما يسمع من النفخة، فهذا الصنيع غير مستقيم، إلا على القول بأن المنادي جبريل والنافخ إسرافيل. قوله: (أي يعلمون عاقبة تكذيبهم) بيان للناصب المقدر، ولو قدره بلصقه لكان أولى.

قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي﴾ أي في الدنيا، وقوله: ﴿وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾ أي في الآخرة. قوله: (وما بينهما) أي وهو قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾. قوله: (بتخفيف الشين) الخ، أي فهما

الشين وتشديدها، بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها ﴿ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًاۚ﴾ جمع سريع، حال من مقدر، أي فيخرجون مسرعين ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ ﴿٤٤﴾ فيه فصل بين الموصوف والصفة بمتعلقها للاختصاص، وهو لا يضر، وذلك إشارة إلى معنى الحشر المخبر به عنه، وهو الإحياء بعد الفناء، والجمع للعرض والحساب ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ﴾ أي كفار قريش ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍۖ﴾ تجبرهم على الإيمان، وهذا قبل الأمر بالجهاد ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ ﴿٤٥﴾ وهم المؤمنون.

قراءتان سبعيتان. قوله: (حال من مقدر) أي ويصح أن يكون حالاً من ضمير عنهم. قوله: (للاختصاص) أي الحصر، والمعنى لا يتيسر ذلك إلا على الله وحده. قوله: ﴿**نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ**﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ. قوله: ﴿**بِجَبَّارٍ**﴾ صيغة مبالغة من جبر الثلاثي، ويقال أيضاً: أجبر رباعياً، فهما لغتان فيه. قوله: (**وهذا قبل الأمر بالجهاد**) أي فهو منسوخ. قوله: ﴿**مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ**﴾ يرسم بدون ياء، وفي اللفظ يقرأ بإثباتها وصلاً لا وقفاً، وبحذفها وصلاً ووقفاً، قراءتان سبعيتان. قوله: (**وهم المؤمنون**) خصهم لأنهم المنتفعون به، ويؤخذ من الآية أنه ينبغي للشخص أن لا يعظ إلا من يسمع وعظه ويقبله.

* * *

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

مكيّة
وآياتها ستون

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾ الرياح تذرو التراب وغيره ﴿ذَرۡوٗا﴾ ﴿١﴾ مصدر، ويقال تذريه ذرياً: تهب به ﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ﴾ السحب تحمل الماء ﴿وِقۡرٗا﴾ ﴿٢﴾ ثقلاً مفعول الحاملات ﴿فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ﴾ السفن تجري على وجه الماء ﴿يُسۡرٗا﴾ ﴿٣﴾ بسهولة، مصدر في موضع الحال، أي ميسرة ﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا﴾ ﴿٤﴾ الملائكة تقسم الأرزاق والأمطار وغيرها بين العباد والبلاد ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ ما مصدرية، أي إن وعدهم بالبعث وغيره ﴿لَصَادِقٞ﴾ ﴿٥﴾ لوعد صادق ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الذاريات مكية

وهي ستون آية

وفي بعض النسخ والذاريات بالواو. قوله: ﴿**وَالذَّارِيَاتِ**﴾ الواو للقسم، و﴿**الذَّارِيَاتِ**﴾ مقسم به، و﴿**الْحَامِلَاتِ**﴾ عطف عليه، و﴿**الْجَارِيَاتِ**﴾ عطف على ﴿**الْحَامِلَاتِ**﴾ و﴿**الْمُقَسِّمَاتِ**﴾ عطف على ﴿**الْجَارِيَاتِ**﴾ والمقسم عليه هو قوله: ﴿**إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ**﴾ وإنما أقسم بهذه الأشياء تعظيماً لها، ولكونها دلائل على باهر قدرة الله، ويصح أن يكون الكلام على حذف مضاف، أي ورب هذه الأشياء، فالقسم بالله لا بتلك الأشياء. قوله: (**وتذور التراب**) أي ففعله واوي من باب عدا، وأشار به إلى أن مفعول ﴿**الذَّارِيَاتِ**﴾ محذوف. قوله: (**مصدر**) أي مؤكد وناصبه اسم الفاعل. قوله: (**ويقال تذريه**) أي ففعله يأتي من باب رمى. قوله: (**تهب به**) راجع لكل من الواوي واليائي. قوله: ﴿**وِقْراً**﴾ الوقر والثقل والحمل كلها ألفاظ متحدة الوزن والمعنى. قوله: (**مفعول الحاملات**) أي مفعول به للحاملات. قوله: (**أمراً**﴾ إما مفعول به أو حال أي مأمورة، وعليه فيحتاج إلى حذف مفعول ﴿**الْمُقَسِّمَاتِ**﴾. قوله: (**الملائكة تقسم الأرزاق**) الخ، أي ورؤساء ذلك أربعة، جبريل وهو صاحب الوحي إلى الأنبياء، وميكائيل صاحب الرزق، وإسرافيل صاحب الصور، وعزرائيل صاحب قبض الأوراح، وما مشى عليه المفسر في تفسير هذه الأشياء هو المشهور، وقيل: هذه الأوصاف الأربعة للرياح، لأنها تثير السحاب ثم تحمله وتنقله، ثم تجري جرياً سهلاً، ثم تقسم الأمطار بتصريف السحاب. قوله: (**أي إن وعدهم**) صوابه

الجزاء بعد الحساب ﴿لَوَٰقِعٞ ﴾٦ لا محالة ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ﴾٧ جمع حبيكة كطريقة وطرق، أي صاحبة الطرق في الخلقة كالطرق في الرمل ﴿إِنَّكُمۡ﴾ يا أهل مكة في شأن النبي ﷺ والقرآن ﴿لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ ﴾٨ قيل: شاعر ساحر كاهن، شعر سحر كهانة ﴿يُؤۡفَكُ﴾ يصرف ﴿عَنۡهُ﴾ عن النبي ﷺ والقرآن، أي عن الإيمان به ﴿مَنۡ أُفِكَ﴾٩ صرف عن الهداية في علم الله تعالى ﴿قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ﴾١٠ لعن الكذابون أصحاب القول المختلف ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ﴾ جهل يغمرهم ﴿سَاهُونَ﴾١١ غافلون عن أمر الآخرة ﴿يَسۡـَٔلُونَ﴾ النبي استفهام استهزاء ﴿أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴾١٢ أي متى مجيئه، وجوابهم يجيء ﴿يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ﴾١٣ أي يعذبون فيها، ويقال لهم حين التعذيب ﴿ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ﴾ تعذيبكم ﴿هَٰذَا﴾ التعذيب ﴿ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴾١٤ في الدنيا استهزاء ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾١٥ تجري فيها ﴿ءَاخِذِينَ﴾ حال من الضمير في خبر إن ﴿مَآ ءَاتَىٰهُمۡ﴾ أعطاهم ﴿رَبُّهُمۡۚ﴾ من الثواب ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ

بكاف الخطاب. قوله: ﴿لَوَاقِعٌ﴾ أي حاصل.

قوله: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ بضمتين في قراءة العامة، وقرىء بوزن إبل وسلك وجبل ونعم وبرق. قوله: (في الخلقة) أشار به إلى أن المراد بها الطرق المحسوسة التي هي مسيرة الكواكب، ويصح أن المراد بها الطرق المعنوية للناظرين الذين يستدلون بها على توحيد الله تعالى. قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ جواب القسم. قوله: (قيل شاعر) الخ، المناسب أن يقول قلتم. قوله: (عن النبي والقرآن) أي فالضمير عائد على أحدهما، وفيه تسلية للنبي ﷺ، أي فما من عبد كفر بك إلا لسابق كفره أزلاً، ويصح أن يكون الضمير عائداً على القول المذكور، والمعنى يصرف عن هذا القول المختلق من صرف عنه، وهو من أراد الله هدايته كالمؤمنين. قوله: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ هذا التركيب في الأصل، مستعمل في القتل حقيقة، ثم استعمل في اللعن على سبيل الاستعارة، حيث شبه من فاتته السعادة بالمقتول الذي فاتته الحياة، وطوي ذكر المشبه به، ورمز له من لوازمه وهو القتل، فإثباته تخييل.

قوله: ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ ﴿أَيَّانَ﴾ خبر مقدم، و ﴿يَوْمُ الدِّينِ﴾ مبتدأ مؤخر. قوله: (أي متى مجيئه) جواب عن سؤال مقدر تقديره: إن الزمان لا يخبر به عن الزمان، وإنما يخبر به عن الحدث. فأجاب: بأن الكلام على حذف مضاف. قوله: (وجوابهم) أي جواب سؤالهم، وإنما أجيبوا بما لا تعيين فيه، لأنهم مستهزئون لا متعلمون. قوله: ﴿عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ عداه بعلى لتضمنه معنى يعرضون. قوله: ﴿هَذَا﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿الَّذِي كُنتُمْ﴾ الخ خبره.

قوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ الخ، لما بين حال الكفار، وما أعد لهم في الآخرة، أخذ يبين أحوال المتقين، وما أعد لهم. قوله: (تجري فيها) جواب عما يقال: إن المتقين لم يكونوا في العيون، فكيف قال في جنات وعيون؟ فأجاب: بأن المراد أن العيون تجري في الجنة، وتكون في جهاتهم وأمكنتهم. قوله: (حال من الضمير في خبر إن) أي كائنون في جنات وعيون، حال كونهم آخذين ما آتاهم ربهم، أي راضين به.

قَبۡلَ ذَٰلِكَ ﴾ أي دخولهم الجنة ﴿مُحۡسِنِينَ ﴾ ﴿١٦﴾ في الدنيا ﴿ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴾ ﴿١٧﴾ ينامون، وما زائدة، ويهجعون خبر كان، وقليلاً ظرف، أي ينامون في زمن يسير من الليل ويصلون أكثره ﴿ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾ ﴿١٨﴾ يقولون: اللهم أغفر لنا ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾ ﴿١٩﴾ الذي لا يسأل لتعففه ﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ من الجبال والبحار والأشجار والثمار والنبات وغيرها ﴿ءَايَٰتٞ ﴾ دلالات على قدرة الله سبحانه وتعالى ووحدانيته ﴿ لِّلۡمُوقِنِينَ ﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ ﴾ آيات أيضاً، من مبدأ خلقكم إلى منتهاه، وما في تركيب خلقكم من العجائب ﴿ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ ﴿٢١﴾ ذلك فتستدلون به على صانعه وقدرته ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ ﴾ أي المطر المسبب عنه النبات الذي هو رزق ﴿ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ ﴿٢٢﴾ من المآب والثواب والعقاب أي مكتوب ذلك في السماء ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ ﴾ أي ما توعدون ﴿ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴾ ﴿٢٣﴾ برفع مثل صفة،

قوله: **(من الثواب)** بيان لما. قوله: **﴿كَانُوا قَلِيلاً﴾** الخ، تفسير للاحسان. قوله: **﴿وَبِالأَسْحَارِ﴾** متعلق بـ **﴿يَسْتَغْفِرُونَ﴾** المعطوف على **(يهجعون)** والباء بمعنى في و **﴿الأَسْحَارِ﴾** جمع سحر وهو سدس الليل الأخير. قوله: **(يقولون اللهم اغفر لنا)** أي تقصيرنا في حقك، فإنه لا يقدرك أحد حق قدرك.

قوله: **﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ﴾** أي بمقتضى كرمهم، جعلوه كالواجب عليهم، كصلة الأرحام ومواساة الفقراء والمساكين، والمعنى: أنهم بذلوا نفوسهم وأموالهم في طاعة ربهم. قوله: **(لتعففه)** أي فيظن غنياً فيحرم الصدقة، وهذا على حد تفسير القانع والمعتر. قوله: **﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ﴾** الخ، الجار والمجرور خبر مقدم، و **﴿آيَاتٌ﴾** مبتدأ مؤخر، وقوله: **﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾** خبر حذف مبتدؤه لدلالة ما قبله عليه، وهو كلام مستأنف قصد به الاستدلال على قدرته تعالى ووحدانيته، وقد اشتمل على دليلين: الأرض والأنفس. قوله: **(من الجبال)** الخ، بيان للأرض، فالمراد بها ما قابل السماء. قوله: **(دلالات على قدرة الله تعالى)** الخ، أي وجميع صفاته الكمالية. قوله: **(من مبدأ خلقكم إلى منتهاه)** أي كالأطوار المذكورة في قوله تعالى: **﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾** إلخ. قوله: **(وما في تركيب خلقكم)** إلخ، أي كحسن القامة وحسن الشكل ونحو ذلك. قوله: **﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾** جملة مستأنفة قصد بها الحث على النظر والتأمل.

قوله: **﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾** كلام آخر قصد به الامتنان والوعد والوعيد. قوله: **(أي المطر المسبب عنه النبات)** أي فالكلام على حذف مضاف، والتقدير وفي السماء سبب رزقكم. قوله: **﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾** عطف عام على قوله: **(أي مكتوب ذلك)** أي **﴿مَا تُوعَدُونَ﴾** فهو تفسير لظرفية ما توعدون في السماء، وأما ظرفية الرزق فيها فظاهرة، إذا المطر فيها حقيقة، والمعنى: أن جميع ما توعدون به من خير وشر، مكتوب في السماء، تنزل به الملائكة الموكلون بتدبير العالم على طبق ما أمروا به.

قوله: **﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾** الخ، هذا قسم من الله تعالى، على ما ذكره من الرزق وغيره، وأنه مثل النطق في كونه حقاً، لا يفارق الشخص في حال من أحواله. قوله: **(أي ما توعدون)** أي رزقكم أيضاً. قوله: **(برفع مثل صفة)** أي لحق. قوله: **(وبفتح اللام)** أي والقراءتان سبعيتان. قوله: **(مركبة مع ما)** أي حال كونها مركبة مع **﴿مَا﴾** تركيب مزج ككلما وطالما، فيقال في إعرابها **﴿مِثْلَ مَا﴾** صفة **﴿لَحَقٌّ﴾**

وما مزيدة، وبفتح اللام مركبة مع ما، المعنى: مثل نطقكم في حقيته أي معلوميته عندكم، ضرورة صدوره عنكم ﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ ﴿٢٤﴾ وهم ملائكة، اثنا عشر، أو عشرة، أو ثلاثة، منهم جبريل ﴿إِذْ﴾ ظرف لحديث ضيف ﴿دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ أي هذا اللفظ ﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾ أي هذا اللفظ ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ لا نعرفهم، قال ذلك في نفسه، وهو خبر مبتدأ مقدر أي هؤلاء ﴿فَرَاغَ﴾ مال ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ سراً ﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ ﴿٢٦﴾ وفي سورة هود بعجل حينئذ أي مشوي ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ عرض عليهم الأكل فلم يجيبوا ﴿فَأَوْجَسَ﴾ أضمر في نفسه ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ﴾ إنا رسل ربك

مبني على السكون في محل رفع، و ﴿مِثْلَ مَا﴾ مضاف، وجملة ﴿أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ مضاف إليه في محل جر قوله: (المعنى) أي معنى القراءتين. قوله: (مثل نطقكم في حقيقته) أي فكما أنه لا شك لكم في أنكم تنطقون، ينبغي لكم ألا تشكوا في حقيقته. حكي أن رجلاً جاع في مكان، وليس فيه شيء، فقال: اللهم رزقك الذي وعدتني فائتني به، فشبع وروي من غير طعام ولا شراب.

قوله: ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ الخ، استفهام تشويق وتفخيم لشأن تلك القصة، وقيل: إن ﴿هَلْ﴾ بمعنى قد، كما في قوله تعالى: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر﴾. قوله: ﴿ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ الضيف في الأصل مصدر مضاف، ولذلك يطلق على الواحد والجماعة. قوله: ﴿ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ أي المعظمين. قوله: (مكنهم جبريل) أي على جميع الأقوال. قوله: (ظرف لحديث ضيف) هذا أحد أوجه في عامل الظرف، الثاني: أنه منصوب بما في ﴿ضَيْفِ﴾ من معنى الفعل، لكونه في الأصل مصدراً، الثالث: أنه منصوب بالمكرمين، الرابع: منصوب بفعل محذوف تقديره اذكر، ولا يصح نصبه بأتاك لاختلاف الزمانين.

قوله: ﴿فَقَالُوا سَلَاماً﴾ أي نسلم عليكم سلاماً، وقوله: ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾ أي عليكم سلام، وعدل إلى الرفع قصداً للإثبات، فتحيته أحسن من تحيتهم. قوله: ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ أي لا نعرف من أي بلدة قدموا، وفي هود ﴿فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم﴾ فمقتضاه أن إنكارهم إنما حصل بعد مجيئه لهم بالعجل، وامتناعهم من الأكل، ومقتضى ما هنا أنه قبل ذلك، وحاصل الجمع بين الموضعين، أن الإنكار هنا غيره فيما تقدم، فما هنا محمول على عدم العلم بأنهم دخلوا عليه لقصد الخير أو الشر.

قوله: ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ﴾ أي خدمه، وكان عامة ماله البقر. قوله: (سراً) أي في خفية من ضيفه، فإن من دأب رب المنزل الكريم، أن يبادر بالقرى في خفية، حذراً من أن يمنعه الضيف. قوله: ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾ عطف على محذوف، والتقدير فشواه. قوله: (عرض عليهم الأكل) أشار بذلك إلى أن ﴿أَلَا﴾ للعرض، وهو الطلب بلين ورفق، كما قال الشاعر:

يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصر ما ... قد حدثوك فما راء كمن سمعا

قوله: ﴿فَأَوْجَسَ﴾ عطف على ما قدره المفسر. قوله: ﴿خِيفَةً﴾ أي من عدم اكلهم، فإن الضيف إذا لم يأكل من طعام رب المنزل يخاف منه. قوله: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ أي لما ظهر لهم أمارات خوفه. قوله: (إنا رسل ربك) أي إلى قوم لوط، وقيل: مسح جبريل العجل بجناحه، فقام يمشي حتى لحق بأمه،

﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ ﴿٢٨﴾ ذي علم كثير، هو إسحق كما ذكر في هود ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ﴾ سارة ﴿فِى صَرَّةٍ﴾ صيحة حال أي جاءت صائحة ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ لطمته ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ ﴿٢٩﴾ لم تلد قط، وعمرها تسع وتسعون سنة، وعمر إبراهيم مائة سنة أو عمره مائة وعشرون سنة وعمرها تسعون سنة ﴿قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ﴾ أي مثل قولنا في البشارة ﴿قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في صنعه ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ ﴿٣٠﴾ بخلقه ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ شأنكم ﴿أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿٣١﴾ ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ ﴿٣٢﴾ كافرين أي قوم لوط ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ ﴿٣٣﴾ مطبوخ بالنار ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ معلمة عليها اسم من يرمى بها ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ ظرف لها ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿٣٤﴾ بإتيانهم الذكور مع كفرهم ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا﴾ أي قرى قوم لوط ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٣٥﴾ لإهلاك الكافرين ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ وهم لوط وبنتاه، وصفوا بالإيمان والإسلام، أي هم مصدقون بقلوبهم، عاملون بجوارحهم الطاعات ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ﴾ بعد إهلاك الكافرين ﴿ءَايَةً﴾ علامة على إهلاكهم ﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ ﴿٣٧﴾ فلا يفعلون مثل فعلهم ﴿وَفِى مُوسَىٰٓ﴾ معطوف على فيها، المعنى: وجعلنا في قصة موسى آية ﴿إِذْ

فعرفهم وأمن منهم. قوله: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ﴾ أي لما سمعت البشارة المذكورة، وكانت في زاوية من زوايا البيت، فجاءت وقالت ما ذكر. قوله: (سارة) بالتخفيف والتشديد لغتان. قوله: (صيحة) تفسير لصرة، وتقدم في هود أنها ضحكت أي حاضت، فلم يكن بين البشارة والولادة إلا سنة. قوله: ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ أي ضربته بيدها مبسوطة أو بأطراف اصابعها مثل المتعجب، وهي عادة النساء إذا انكرن شيئاً. قوله: ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ﴾ أي أنا عجوز.

قوله: ﴿قَالُوا كَذٰلِكَ﴾ منصوب على المصدر بقال الثانية، أي مثل ذلك القول الذي أخبرناك به ﴿قَالَ رَبُّكِ﴾ أي قضى وحكم في الأزل، فلا تعجبي منه. قوله: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ أي لما رأى من حالهم، وأن اجتماعهم لم يكن لهذه البشارة. قوله: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً﴾ استدل به على أن اللائط يرجم بالأحجار، وكان في تلك المدائن ستمائة الف، فأدخل جبريل جناحه تحت الأرض فاقتلعها ورفعها، حتى سمع أهل السماء اصواتهم، ثم قلبها، ثم ارسل الحجارة على من كان منهم خارجاً عنها. قوله: ﴿مُسَوَّمَةً﴾ إما حال من ﴿حِجَارَةً﴾ أو صفة ثانية لها.

قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا﴾ الخ، حكاية من جهته تعالى لما جرى على قوم لوط بطريق الإجمال، بعد حكاية ما جرى بين الملائكة مع إبراهيم. قوله: (أي قرى قوم لوط) أي وهي وإن لم تذكر، دل عليها السياق. قوله: ﴿غَيْرَ بَيْتٍ﴾ أي غير أهل بيت. قوله: (وهم لوط وابنتاه) أي وقيل: كانوا ثلاثة عشر منهم ابنتاه. قوله: (وصفوا بالإيمان والإسلام) أي لأن المسلم قد يكون مؤمناً وقد لا يكون. قوله: ﴿وَتَرَكْنَا﴾ أي ابقينا في القرى. قوله: (علامة) أي وهي تلك الأحجار والصخر المتراكم والماء الأسود المنتن، يشاهدها من يمر بأرضهم. قوله: (معطوف على فيها) أي على الضمير المجرور بفي. قوله: (المعنى وجعلنا) الخ، أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، والمفعول محذوف.

أَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ ملتبساً ﴿بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٣٨﴾ بحجة واضحة ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ أعرض عن الإيمان ﴿بِرُكْنِهِۦ﴾ مع جنوده لأنهم له كالركن ﴿وَقَالَ﴾ لموسى هو ﴿سَـٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ﴾ طرحناهم ﴿فِى ٱلْيَمِّ﴾ البحر فغرقوا ﴿وَهُوَ﴾ أي فرعون ﴿مُلِيمٌ﴾ ﴿٤٠﴾ آت بما يلام عليه، من تكذيب الرسل ودعوى الربوبية ﴿وَفِى﴾ إهلاك ﴿عَادٍ﴾ آية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ ﴿٤١﴾ هي التي لا خير فيها، لأنها لا تحمل المطر ولا تلقح الشجر وهي الدبور ﴿مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ﴾ نفس أو مال ﴿أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ ﴿٤٢﴾ كالبالي المتفتت ﴿وَفِى﴾ إهلاك ﴿ثَمُودَ﴾ آية ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾ بعد عقر الناقة ﴿تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ﴿٤٣﴾ أي إلى انقضاء آجالكم كما في آية ﴿تمتعوا في داركم ثلاثة أيام﴾ ﴿فَعَتَوْا۟﴾ تكبروا ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ أي عن امتثاله ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ﴾ بعد مضي الثلاثة أيام أي الصيحة المهلكة ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ أي بالنهار ﴿فَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ﴾ أي ما قدروا على النهوض حين نزول العذاب ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ﴾ ﴿٤٥﴾

قوله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ﴾ الظرف متعلق بآية المحذوف، والمعنى: تركنا في قصة موسى علامة في وقت إرسالنا إياه. قوله: (ملتبساً) ﴿بِسُلْطَانٍ﴾ الخ، أشار بذلك إلى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال، والباء للملابسة. قوله: (بحجة واضحة) أي وهي الآيات التسع. قوله: (كالركن) أي كركن البيت الذي يعتمد عليه، فسمى الجنود ركناً، لأنه يحصل بهم التقوى والاعتماد، كما يعتمد على الركن. قوله: ﴿وَقَالَ﴾ (لموسى) أي شأن موسى. قوله: ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ يحتمل أن ﴿أَوْ﴾ على بابها من الإبهام على السامع أو للشك، نزل نفسه منزلة الشك تمويهاً على قومه، ويحتمل أنها بمعنى الواو وهو الأحسن لأنه قالهما، قال تعالى: ﴿إن هذا لساحر عليم﴾ وقال في موضع آخر ﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾. قوله: ﴿وَجُنُودَهُ﴾ معطوف على مفعول ﴿أَخَذْنَاهُ﴾. قوله: ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ الجملة حالية من مفعول ﴿أَخَذْنَاهُ﴾. قوله: (آت بما يلام عليه) أشار بذلك إلى أن اسناد الإيلام مجاز عقلي على حد عيشة راضية. قوله: (من تكذيب الرسول) الخ، اشار بذلك إلى أن الفعل الذي يحصل اللوم عليه مختلف باعتبار من وصف به، فاندفع بذلك ما يقال: كيف وصف فرعون بما وصف به ذو النون.

قوله: ﴿وَفِي﴾ (إهلاك) ﴿عَادٍ﴾ الخ، أي فما تقدم من تقدير المضاف، والمفعول يأتي هنا. قوله: (التي لا خير فيها) أي فالعقم في الأصل وصف للمرأة التي لا تلد، وصفت به الريح من حيث إنها لا تأتي بخير. قوله: (وهي الدبور) وقيل هي الجنوب، وقيل هي النكباء، وهي كل ريح هبت بين ريحين، والأظهر ما قاله المفسر لما في الحديث: «نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور». قوله: ﴿إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ هذه الجملة في محل المفعول الثاني لتذر، كأنه قال: ما تترك شيئاً إلا مجعولاً كالرميم. قوله: (البالي المتفتت) وقيل: الرميم الرماد، وقيل: التراب المدقوق، والمعاني متقاربة.

قوله: ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ هذا الترتيب في الذكر فقط، وإلا فقول الله لهم ﴿تَمَتَّعُوا﴾ متأخر عن العتو. قوله: ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ أي المذكور في سورة هود بقوله: ﴿ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية﴾ الخ. قوله: (أي الصيحة المهلكة) أي فصاح عليهم جبريل فهلكوا جميعاً، والصاعقة تطلق على النار تنزل من المساء، وعلى الصيحة وهو المراد هنا. قوله: (أي بالنهار) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾

على من أهلكهم ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ بالجر عطف على ثمود، أي وفي إهلاكهم بما في السماء والأرض آية وبالنصب أي وأهلكنا قوم نوح ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي قبل إهلاك هؤلاء المذكورين ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ﴾ بقوة ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ ﴿٤٧﴾ قادرون، يقال: آد الرجل يئيد قوي، وأوسع الرجل صار ذا سعة وقوة ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ مهدناها ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ ﴿٤٨﴾ نحن ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ متعلق بقوله ﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ صنفين كالذكر والأنثى، والسماء والأرض، والشمس والقمر، والسهل والجبل، والصيف والشتاء، والحلو والحامض، والنور والظلمة ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل، فتعلمون أن خالق الأزواج فرد فتعبدونه ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ أي إلى ثوابه من عقابه، بأن تطيعوه ولا تعصوه ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ

من النظر، وقيل هو من الانتظار، والمعنى ينتظرون ما وعدوه من العذاب. قوله: **(على من أهلكهم)** المناسب أن يقول: وما كانوا دافعين عن أنفسهم العذاب، إذ لا يتوهم انتصارهم على الله، وإنما يتوهم الفرار منه. قوله: **(بالجر عطف على ثمود)** هذا احد أوجه وهو أقربها. قوله: **(وبالنصب)** أي على أنه معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله: **(وأهلكنا)** وفيه أوجه أخر، وهذا أحسنها، وقيل منصوب باذكر مقدراً، والقراءتان سبعيتان، وقرىء شذوذاً بالرفع على أنه مبتدأ، والخبر محذوف أي أهلكناهم.

قوله: ﴿**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا**﴾ قرأ العامة بنصب السماء على الاشتغال، وكذا قوله: ﴿**وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا**﴾ وقرىء شذوذاً برفعها على الابتداء، والخبر ما بعدهما، والأفصح في النحو قراءة العامة، لعطف الفعلية على الفعلية. قوله: ﴿**بِأَيْدٍ**﴾ حال من فاعل ﴿**بَنَيْنَاهَا**﴾ والمعنى **بنيناها** حال كوننا ملبسين بقوة وبطش، لا بواسطة شيء، بل بقول كن. قوله: **(قادرون)** فسر الإيساع بالقادرية، إشارة إلى أن قوله: ﴿**إِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾ حال مؤكدة، وهو من أوسع اللازم، كأوراق الشجر إذا صار ذا ورق، ويستعمل متعدياً، والمفعول محذوف أي لموسعون السماء، أي جاعلوها واسعة، وعليه فتكون حالاً مؤسسة، إذا علمت ذلك، تعلم أن النسخ التي فيها لفظة لها بعد موسعون غير صحيحة، لأنها لا تناسب إلا استعماله متعدياً، والمفسر استعمله لازماً حيث قال: **(وأوسع الرجل)** الخ. قوله: **(يقال آد الرجل)** أي اشتد وقوي كما في المختار، وبابه باع. قوله: **(مهدناها)** أي فالفرش كناية عن البسط والتسوية. قوله: **(نحن)** أي فالمخصوص بالذم محذوف. قوله: **(متعلق بقوله)** ﴿**خَلَقْنَا**﴾ ويصح أن يكون متعلقاً بمحذوف حال من ﴿**زَوْجَيْنِ**﴾ لأنه نعت نكرة قدم عليها. قوله: **(صنفين)** أي امرين متقابلين. قوله: **(كالذكر والأنثى)** أشار بتعداد الأمثلة إلى ما نشاهده، فلا يرد العرش والكرسي واللوح والقلم، فإنه لم يخلق من كل إلا واحد. قوله: **(بحذف إحدى التاءين)** أي وهذه إحدى القراءتين السبعيتين، والأخرى ادغام التاء الثانية في الذال.

قوله: ﴿**فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ**﴾ مفرع على ما علم من توحيد الله، والمعنى: حيث علمتم أن الله واحد لا شريك له، وأنه الضار النافع، المعطي المانع، فالجأوا إليه واهرعوا إلى طاعته، والفرار مراتب، ففرار العامة من الكفر والمعاصي إلى الإيمان والطاعة، وفرار الخاصة من كل شاغل عن الله، كالمال والولد، إلى شهود الله والانهماك في طاعته، فلا يصرف جزءاً من اجزائه لغير الله، فكما أن الله في خلق العبد واحد،

مُّبِينٌ ﴾ ﴿٥٠﴾ بين الإنذار ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ ﴿٥١﴾ يقدر قبل ففروا قل لهم ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ ﴾ هو ﴿ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ ﴿٥٢﴾ أي مثل تكذيبهم لك بقولهم: إنك ساحر أو مجنون، تكذيب الأمم قبلهم رسلهم بقولهم ذلك ﴿ أَتَوَاصَوْا۟ ﴾ كلهم ﴿ بِهِۦ ﴾ استفهام بمعنى النفي ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ ﴿٥٣﴾ جمعهم على هذا القول طغيانهم ﴿ فَتَوَلَّ ﴾ أعرض ﴿ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴾ ﴿٥٤﴾ لأنك بلغتهم الرسالة ﴿ وَذَكِّرْ ﴾ عظ بالقرآن ﴿ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٥٥﴾ من علم الله تعالى أنه يؤمن ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا

فليكن العبد في إقباله على ربه واحداً، بحيث لا يجعل في قلبه غير حب ربه، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون. قوله: (أي إلى ثوابه من عقابه) الخ، حمله على الفرار العام، لأن اوامر القرآن ونواهيه لعامة الخلق التي من امتثلها فقد زحزح عن النار وادخل الجنة. قوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ تعليل لما قبله، والضمير في ﴿مِنْهُ﴾ عائد على الله، والمعنى فروا إليه لأني مخوف لكم منه.

قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ﴾ الخ، أشار بذلك إلى أن الطاعة لا تنفع مع الإشراك، ولذا كرر قوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ فالفائز من جمع بين الطاعة والتوحيد، والمعنى لا تنسبوا وصف الألوهية لغير الله، فإنه لا يستحقه غيره. قوله: (يقدر قبل ففروا قل لهم) أي فهو مقول لقول محذوف وليس بمتعين، إذ يصح أن تكون الفاء فصيحة، والتقدير: إذا علمتم ما تقدم من صفات الله الكمالية ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللهِ﴾ كما تقدم. قوله: ﴿كَذٰلِكَ﴾ خبر مقدم، وقوله: ﴿مَا أَتَى﴾ الخ، مبتدأ مؤخر، والمعنى تكذيب الأمم السابقة لأنبيائهم كائن كذلك، أي كتكذيب أمتك لك كما افاده المفسر. قوله: ﴿إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ تقدم أن ﴿أَوْ﴾ بمعنى الواو، وحكمة جمعهم بين الوصفين، أن خروجه عن عوائدهم وعما عليه آباؤهم، وعدم مبالاته بالجم الغفير، اقتضى تسميته مجنوناً، وإتيانه بالمعجزات التي بهرت عقولهم، اقتضت تسميته ساحراً.

قوله: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ﴾ أي اوصى بعضهم بعضاً بهذه المقالة واجتمعوا عليها. قوله: (استفهام بمعنى النفي) أي فهو إنكار تعجبي، والمعنى ما وقع منهم تواص بذلك، لأنهم لم يتلاقوا في زمان واحد. قوله: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ إضراب عن الاستفهام المتقدم، وبيان لحقية الباعث لهم على تلك المقالة.

قوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي اعرض عن خطابهم وجدالهم. قوله: ﴿فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ أي لا لوم عليك في الإعراض عنهم، فإنك قد بلغت الغاية في النصح وبذل الجهد، ولما نزلت هذه الآية، حزن رسول الله، واشتد الأمر على أصحابه، وظنوا أن الوحي قد انقطع، وأن العذاب قد حضر، إذ أمر النبي ﷺ أن يتولى عنهم، وجرت عادة الله في الأمم السابقة، متى امر رسولهم بالإعراض عنهم، حل بهم العذاب فأنزل الله ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ فسروا بذلك، ولذلك قيل إنها ناسخة لما قبلها، ولكن الحق أن ما قبلها منسوخ بآية السيف قوله: ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ تعليل لقوله: ﴿ذَكِّرْ﴾ والمعنى لا تترك التذكير، فربما انتفع به من علم الله إيمانه، ويؤخذ من الآية أن البلاء لا ينزل بقوم وفيهم المتذكرون لما ورد: إن الله يطلع على عمار المساجد، فيرفع العذاب عن مستحقيه.

﴿لِيَعۡبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾ ولا ينافي ذلك عدم عبادة الكافرين لأن الغاية لا يلزم وجودها، كما في قولك: بريت هذا القلم لأكتب له، فإنك قد لا تكتب به ﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ﴾ لي ولا لأنفسهم وغيرهم ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ﴾ ﴿٥٧﴾ ولا أنفسهم ولا غيرهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ ﴿٥٨﴾ الشديد ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أنفسهم بالكفر من أهل مكة وغيرهم ﴿ذَنُوبٗا﴾ نصيباً من العذاب ﴿مِّثۡلَ ذَنُوبِ﴾ نصيب ﴿أَصۡحَٰبِهِمۡ﴾ الهالكين قبلهم ﴿فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ﴾ ﴿٥٩﴾ بالعذاب

قوله: ﴿إلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ أي لا لطلب الدنيا والانهماك فيها. قوله: (ولا ينافي ذلك) أي الحصر المذكور، وهو جواب عن سؤال مقدر حاصله: أن الله تعالى حصر الجن والإنس في العبادة، فمقتضاه أنه لا يخرج أحد عنها، مع أنه شوهد كثير من الخلف كفر وترك العبادة، فأجاب المفسر، بأن اللام للغاية والعاقبة لا للعلة الباعثة، لأن الله لا يبعثه شيء على شيء، وقوله: (فإنك قد لا تكتب به) اعترض بأن هذا مسلم في أفعال المخلوقين، لجهلهم بعواقب الأمور، وأما في حق الله تعالى، فلا يصح التخلف في فعله، بل مقتضاه أنه عالم بأنهم سيعبدونه ولا بد، ولا يمكن تخلفه في البعض، فالجواب الصحيح أن يقال: إن الله تعالى خلق الخلق، وجعلهم مهيئين صالحين للعبادة، بأن ركب فيهم عقلاً وحواس، وجعلهم قابلين للعبادة والطاعة، وبعد ذلك اختار لعبادته وطاعته من أحب منهم، فلا يلزم من الصلاحية للعبادة وقوعها منهم بالفعل، وقيل: معنى ليعبدون لآمرهم وأكلفهم بعبادتي، لا ليهتموا بالرزق وينهمكوا في خدمة الدنيا، وهذا على حد ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ وقيل: معناه إلا ليوحدون، فالمؤمن يوحده طوعاً، والكافر يوحده كرهاً، وقيل: إنه عام أريد به الخصوص، والمعنى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ والإنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ بدليل القراءة الشاذة: وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين. قوله: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ (لي ولا لأنفسهم) دفع المفسر بقوله: (لي) ما يتوهم من عادة سادات العبيد في احتياجهم لمكاسب عبيدهم، فالمعنى: أن عادة الله سبحانه وتعالى، ليست كعادة السادات مع عبيدهم، فإنهم يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم. قوله: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾ إن قلت: إن هذا يغني عنه ما قبله. أجيب: بأنه أتى به لدفع توهم ما عليه سادات العبيد الأغنياء، من احتياجهم للاستعانة بهم في صنع الطعام مثلاً وتهيئته، ونحو ذلك، فكأنه قال: شأن ربنا ليس كشأن السادات مع عبيدهم، فليس محتاجاً لعبيده في تحصيل رزق ولا في صنعه، لا له، ولا لغيره، وهذا من تنزلات الحق سبحانه وتعالى لضعفاء العقول، وإلا فيستحيل على الله عقلاً تلك الأوصاف، ولا ينفي في نفس الأمر إلا ما جوزه العقل. قوله: ﴿إنَّ آللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ أتى بالاسم الظاهر للتفخيم والتعظيم، وأكد الجملة بإن، والضمير المنفصل، لقطع أوهام الخلق في أمور الرزق، وليقوى اعتمادهم عليه. قوله: ﴿ٱلْمَتِينُ﴾ العامة على رفعه، وهو إما نعت للرزق، أو لذو، أو خبر بعد خبر، وقرىء شذوذاً بالجر. قوله: (الشديد) أي الذي لا يطرأ عليه ضعف ولا عجز. قوله: ﴿فَإنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ الخ، أي فلا تحزن على كفر قومك، وتسل عنهم، فلا بد لهم من العذاب. قوله: ﴿ذَنُوباً﴾ هو في الأصل الدلو العظيم، شبه به النصيب من العذاب، اشارة إلى أنه يصب عليهم كما يصب الذنوب، قال تعالى ﴿يصب من فوق رؤوسهم الحميم﴾. قوله: ﴿أَصْحَابِهِمْ﴾ أي نظائرهم من الأمم السابقة. قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وضع الموصول

إن أخرتهم إلى يوم القيامة ﴿ فَوَيْلٌ ﴾ شدَّة عذاب ﴿ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِن ﴾ في ﴿ يَوْمِهِمُ الَّذِى يُوعَدُونَ ﴾ ﴿٦٠﴾ أي يوم القيامة.

موضع ضميره، تسجيلاً عليهم بالكفر، واشعاراً بعلة الحكم. قوله: (شدة عذاب) وقيل واد في جهنم. قوله: ﴿الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ هو مرتبط بقوله تعالى فيما تقدم ﴿إنما توعدون لصادق﴾ الخ.

ـ **فائدة** ـ قد تلقينا عن الصالحين فوائد في استعمال هذه السورة العظيمة، كلها مجربة، منها: استعمالها إحدى وأربعين مرة على وضوء في مجلس واحد، لتفريج السجن، وقضاء الدين، وتيسير الرزق، والانتصار على الخصم، والأمن من كل هول دنيا وأخرى. واستعمالها ستين مرة عدة آياتها أبلغ في تلك المطالب.

* * *

تمَّ الجزء الخامس من كتاب حاشية الصاوي على تفسير الجلالين

ويليه الجزء السادس وأوله سورة الطور

فهرس الجزء الخامس
من
حاشية الصاوي على تفسير الجلالين

الفهرس

تفسير سورة لقمان

تفسير سورة السجدة

تفسير سورة الأحزاب

تفسير سورة سبأ

تفسير سورة فاطر

تفسير سورة يسٓ

تفسير سورة الصَّافات

تفسير سورة صٓ

تفسير سورة الزمر

تفسير سورة غافر

تفسير سورة فصلت

تفسير سورة الشورى

تفسير سورة الزخرف

تفسير سورة الدخان

تفسير سورة الجاثية

تفسير سورة الأحقاف

تفسير سورة محمد

تفسير سورة الفتح

تفسير سورة الحجرات

تفسير سورة قٓ

تفسير سورة الذاريات

مؤسسة جواد للطباعة والتصوير
هاتف: ٨٣٨١٥٧-٨٣٧٧٠٢٠ - بيروت - لبنان